سلسلة
إحياء التراث الإسلامي
(٢١)
هذا العمل بدعم خيري

٤٥ د.ق

مجموع مؤلفات ورسائل
العلامة حمود التويجري رحمه الله

المجموعة الثالثة

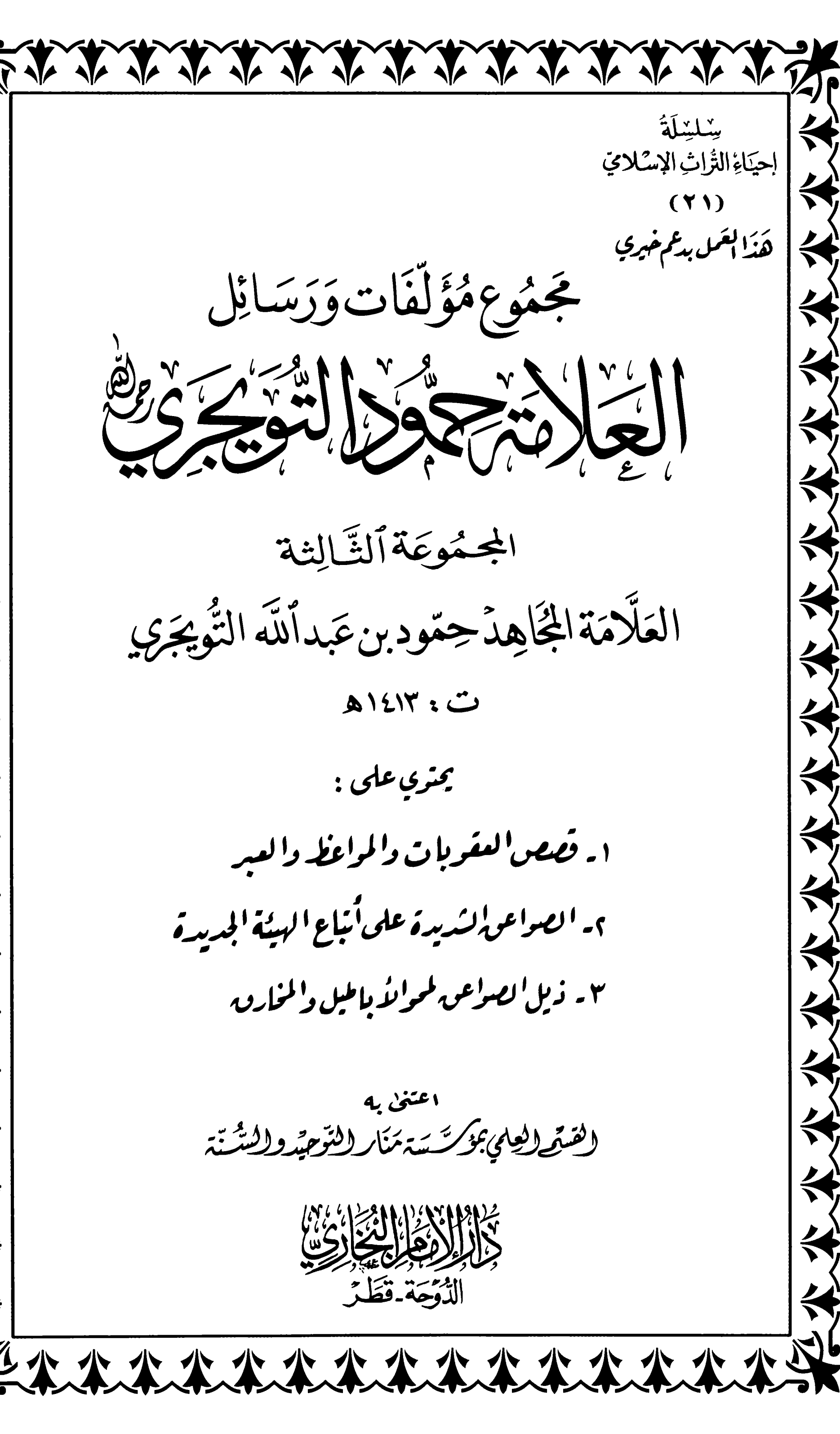
العلامة المجاهد حمود بن عبد الله التويجري
ت: ١٤١٣هـ

يحتوي على:

١- قصص العقوبات والمواعظ والعبر
٢- الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة
٣- ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق

اعتنى به
القسم العلمي بمؤسسة منار التوحيد والسنة

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر



سلسلة
إحياء التراث الإسلامي
(٢١)
هذا العمل بدعم خيري

مجموع مؤلفات ورسائل
العلامة حمود التويجري رحمه الله

المجموعة الثالثة

العلامة المجاهد حمود بن عبد الله التويجري
ت: ١٤١٣هـ

يحتوي على:

١- قصص العقوبات والمواعظ والعبر
٢- الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة
٣- ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق

اعتنى به
القسم العلمي بمؤسسة منار التوحيد والسنة

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر



الطبعة الأولى

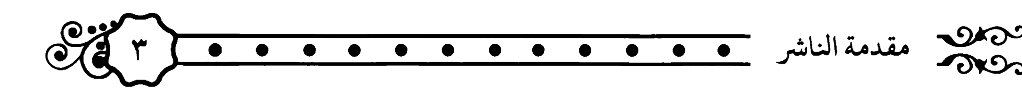
رقم الإيداع:



الدوحة – قطر – طريق سلوى – بجوار إشارة الغانم الجديد

ص.ب ٢٩٩٩٩ – هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ – فاكس ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

albukharibooks@gmail.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَه لَا شَريكَ له، الإلَهُ الحَقُّ المُبين، وأَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه سَيِّدُ الأَوَّلِين والآخِرين، صلَّىٰ اللهُ عَليه وعلىٰ آلِهِ وأَصْحابِه أَجمَعِين.

❑ **وبعد:**

فَهذا هو المُجلَّدُ الثَّالِثُ مِن مَجمُوع مُؤلَّفاتِ فَضيلةِ الشَّيْخ العلَّامَةِ المُجاهِد/ **حِمُود بن عَبدِ الله التُّوَيْجَرِي** رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد تَمَّ -بفَضْل اللهِ تَعالىٰ- إخْراجُ المَجمُوعَةِ الأُولَىٰ والثَّانِيةِ مِن هذه السِّلْسِلةِ الطَّيِّبة.

وَقد احْتَوتْ هَذه المَجمُوعةُ الثَّالِثَةُ علىٰ ثَلاثَةِ مُؤلَّفاتٍ لِفَضيلَةِ الشَّيْخ حِمُود التُّوَيْجري رَحِمَهُ اللَّهُ، **علىٰ النَّحْو التَّالِي:**

١ - «قَصَصُ العُقُوبَات وَالمَواعِظ والعِبَر».

وهِي رِسالَة تَناوَل فيها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ طَائفةً مُفيدَةً مِن قَصَص العُقُوبات

الَّتي جَرَت للأُمَم السَّابِقَة عامَّةً، وطُغاةِ الظَّالِمين خاصَّةً قبلَ وبَعدَ البَعثَة المُحمَّدِيَّة، وما أَعَدَّ اللهُ لهم مِن العُقوباتِ في الدُّنيا والخِزْي والنَّكال في الآخِرَة، والمُرادُ مِن ذِكْر قَصَص عَذاب الأُمَم السَّابقة في القُرآن أَخْذُ العِظَة والعِبْرَة، والتَّذْكِرَة بمَآلِهم، قال تَعالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف: ١١١].

٢- «الصَّواعِقُ الشَّديدَة علىٰ أَتْبَاع الهَيْئَةِ الجَدِيدَة».

وَهِي رِسَالةٌ يَرُدُّ فيها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ قَوْل مَن قَال بثَباتِ الشَّمس ودَوران الأَفْلاك حولَها، ويَنْتَصِر لرَأْي الشَّيخ ابن بَاز رَحِمَهُ اللَّهُ بشَأنِ جَرَيان الشَّمس وسُكونِ الأَرْض وثَباتِها، ويَرىٰ أَنَّ مَن يُعارِض هذا القَولَ هو بمَثابَةِ مُعارَضَةٍ للآياتِ المُحكَمَات والأحاديثِ الصَّحيحَة الدَّالَّة علىٰ جَريانِ الشَّمس وعَدمِ استِقرَارِها، كما بيَّن ذلك خِلالَ كِتابِه بالأدِلَّة العَقليَّة والنَّقليَّة.

٣- «ذَيلُ الصَّواعِق لِمَحْو الأَبَاطِيل والمَخَارِق».

وهُو مُلحَقٌ بكِتَاب «الصَّواعِق الشَّديدة»، رَدَّ فيه الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ ما زَادَه الصَّوَّافُ في رسَالَتِه المَطبُوعَة المُسمَّاة «المُسلِمُون وَعِلْم الفَلَك»، ومَا فِيهَا مِن التَّخرُّصَات والتَّوهُّمَات، وتَحريفِ الكَلِم عَن مَواضِعِه.

هَذا، وقَدْ تَمَّ العَملُ في هذه المَجمُوعةِ الثالثة علىٰ النَّحو التَّالي:

أوَّلًا: اعتمادُ نُسخَةٍ مَطبوعَةٍ لكُلِّ كتابٍ ورِسالةٍ مما سبَق ذِكرُه، والمُقابَلَةُ

عَلَيها بعدَ صَفِّها.

ثانيًا: مُراجَعةُ كلِّ كتابٍ ورِسالَة مُراجعةً لُغويَّة.

ثالثًا: إثباتُ الآياتِ القُرآنيَّة بالرَّسْم العُثمانيِّ، وعَزوها إلىٰ مَواضِعها في المُصحف الشَّريف.

رابعًا: تَخريجُ الأَحاديث والآثَار المَذكورة بكلِّ كِتابٍ ورِسالَة، مع ذِكْر حُكمِ العلَّامة الألبانِي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الأحاديث التي في غير «الصَّحيحين»، فإنْ لَم نَقِفْ علىٰ حُكْمٍ له علىٰ الحَديثِ ذَكَرْنا حُكمَ غيرِه مِن أهلِ العِلْم بالحَديث.

خامسًا: عَزْو النُّقُولَات وأقْوالِ العُلماءِ إلىٰ مَصادِرِها.

سادسًا: بَيانُ مَعاني بعضِ المُفْردات وغَريب الكَلِمات.

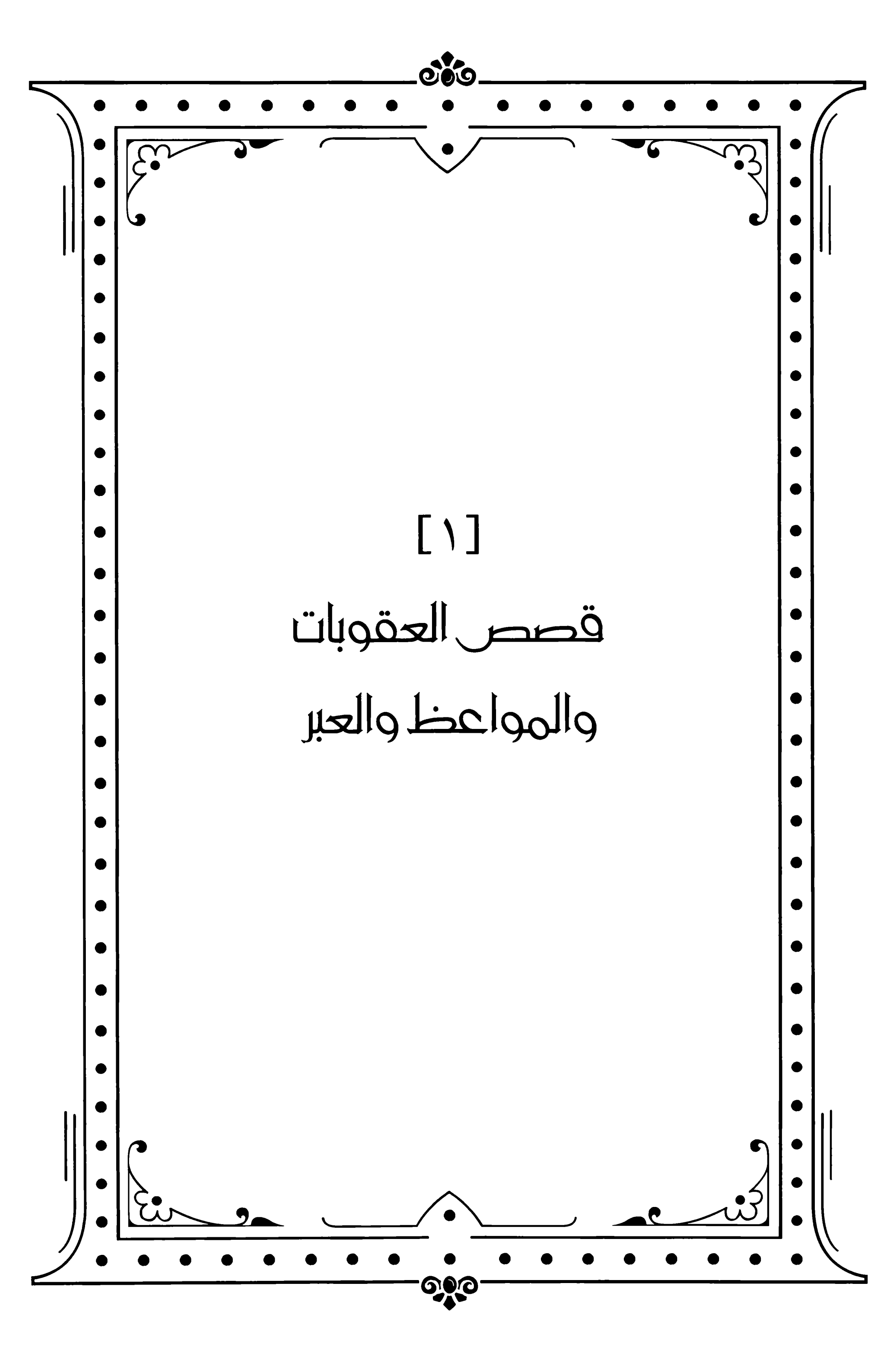
سَابعًا: عَمَل تَرجَمة للأَعْلامِ الَّتي تَحتاجُ إلىٰ تَعريفٍ بها.

ثامنًا: عَمَل فَهارس مَوضُوعات لكُلِّ كِتابٍ ورِسالَةٍ ضِمنَ هذه المَجْمُوعة.

ونَسأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنَّ يَنفعَ بهذا العَمَلِ كُلَّ مَن قَرَأه ودَلَّ عَليه وسَاهَمَ في نَشْرِه، وَأنْ يَغفِرَ لنا تَقصِيرَنا وتَفْرِيطَنا وزَلَلَنَا، إنَّه غَفورٌ رَحِيم.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبِيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبِه أَجمَعِين

قسم التحقيق والبحث العلمي



[١]

قصص العقوبات والمواعظ والعبر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمدَ للهِ نَحْمدُهُ وَنستَعينُهُ، ونستَغْفِرهُ وَنتوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ باللهِ من شرورِ أنْفُسنَا وَمنْ سيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضُلَّ لهُ، وَمنْ يُضلِل فَلا هَادِيَ لهُ، وأشْهدُ أنْ لَا إلَهَ إلا اللهُ وحْدَه لَا شَريكَ لهُ، وأشْهدُ أنَّ مُحَمدًا عَبْدُه ورسُولُه المَبْعُوثُ رَحمَةً للعَالَمينَ، صَلىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابهِ ومَنْ تَبِعهم بِإحْسانٍ إلَىٰ يومِ الدِّين، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَد قَصَّ عَلَينا فِي كِتابِهِ أنْباءَ المُكَذِّبينَ للرُّسُلِ، وأَخْبرَ أنَّه أَهْلَكَهُم بِذُنُوبِهم وَمَعْصِيَتِهم لِرُسُلِهم، وأَخْبر تَعالَىٰ أَنَّ فِي قَصَصِهم عِبرَةً لِأولِي الألْبَابِ وَمَوْعِظَةً لِلمُتَّقِين.

وقَد تَنوَّعَت عُقُوبَاتُهم علىٰ قَدْر جَرَائِمِهم، كَمَا أَخْبَر اللهُ بِذَلكَ فِي قَوْلِه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فَأَمَّا قَوْمُ نُوحٍ: فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَغْرَقَهُم بِالطُّوفَان الذِي عَمَّ الأرْضَ كُلَّهَا، وَلمْ يَنْجُ مِنْهُ إلَّا نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ.

وَأَمَّا عَادٌ: فَأُهْلِكُوا بِريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

وَأَمَّا ثَمُودُ: فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَة، وَهِيَ الصَّيْحَةُ العَظِيمَة التِي أَخْمَدتْهم فَأَصْبَحُوا في دِيارِهم جاثِمِين.

وَأَمَّا قَوْمُ لُوطٍ: فَإِنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَلَبَ مَدينَتَهُم فَجعَل عَالِيَهَا سَافلَهَا وأَمْطَرَ علَيهِم حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنْضُود.

وَأَمَّا قومُ شُعيْب: فَإِنَّه أخَذهُم عَذَابُ يومِ الظُّلَّة، وَأُهلِكُوا بِالصَّيحةِ فَأَصْبَحوا فِي دِيَارِهِم جَاثِمين.

وأَمَّا فِرعونُ وَقَوْمُهُ: فَإِنَّ اللهَ تعَالَىٰ أغْرَقهُم فِي اليمِّ وَلمْ ينْجُ مِنهُم أَحدٌ.

وَأَمَّا قَارونُ: فَإِنَّ اللهَ تعَالىٰ خسَفَ بِهِ وبِدارِه الأَرْضَ.

وأَمَّا الذينَ اعْتَدَوا فِي السَّبت: فَإِنَّ اللهَ تعالَىٰ مَسَخَهُم قِرَدَة، وَمَسَخ آخَرِينَ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ خَنَازِير.

وأَمَّا أَهَلُ سَبأ: فَإِنَّ اللهَ تَعالَىٰ أَرسلَ عليهِم سَيلَ العَرِم وَمَزَّقَهم كُلَّ مُمزَّق.

وأَمَّا الذين أَفْسدوا فِي الأَرْضِ مِن بَنِي إِسْرائِيل وَعَلَوْا عُلُوًّا كَبِيرًا: فَإِنَّ اللهَ تعَالىٰ سَلَّطَ عَلَيْهِم سِنْحَارِيبَ[1]، ثُمَّ بُخْتُنَصَّر[2] فَجَاسُوا خِلَال الدِّيَار

(١) سنحاريب أو سنحريب، كان ابن سرجون الثاني، وملك الإمبراطورية الآشورية الحديثة في الفترة (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م)، وهو والد آسرحدون الذي تولىٰ مملكه آشور بعد أبيه.

(٢) بختنصر أو نبوخذنصر، أحد الملوك الكلدان الذين حكموا بابل، وأكبر أبناء نبوبولاسر، يعتبر أحد أقوىٰ الملوك الذين حكموا بابل وبلاد ما بين النهرين، حيث جعل =

وتَبِّرُوا مَا عَلَوا تَتْبِيرًا.

وأمَّا أصْحَابُ الفِيلِ: فَإنَّ اللهَ تعالَىٰ أرْسَلَ: ﴿عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ [الفيل: ٣ - ٥].

وَإِذَا عُلِمَ هَذا فَلْيُعْلَم أيْضًا أنَّ اللهَ تعالَىٰ قَد رَفع عَذابَ الاسْتِئصَالِ عَنْ أمَّةِ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تكْرِيمًا لِنبيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسْتِجَابَةً لِدُعائِهِ، كَمَا جَاءَ ذلِكَ في حدِيثِ ثوبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمَ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُم، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُم، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُم بَعْضًا**». [رَوَاهُ الإمَامُ أحْمَد وَمُسْلِمُ وَأَبُو دَاودَ والتِّرْمِذِي وابْنُ مَاجَه، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصَحَّحَه أيْضًا ابن حِبَّانَ والحَاكِمُ والبرْقَانِيُّ والذَّهَبِيُّ][1].

=

من الإمبراطورية الكلدانية البابلية أقوىٰ الإمبراطوريات في عهده بعد أن خاض عدة حروب ضد الآشوريين والمصريين، كما أنه قام بإسقاط مدينة أورشليم (القدس) مرتين، الأولىٰ في سنة (٥٩٧ ق. م) والثانية في سنة (٥٨٧ ق. م).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨) (٢٢٤٤٨)، ومسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ١٠٩)

=

[وَرَوَىٰ الإمَامُ أحْمد أيْضًا مِن حَديثِ شَدَّاد بن أوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ](١).

ورَوَىٰ الإمَامُ أحمَدُ أيْضًا، والطَّبَرَانِيُّ عَن أبِي بُصْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ أرْبَعًا؛ فَأعْطَانِي ثَلاثًا وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ كَمَا أَهْلَكَ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَأَنْ لا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا**»(٢).

وَعنْ أبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ. وَقَالَ فِيهِ: «**وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا**». [رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رِجَالُهُ ثِقَاتٌ](٣).

=

(٦٧١٤)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٤٩٦) (٨٣٩٠)، وغيرهم من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «التلخيص» للذهبي.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) (١٧١٥٦)، وغيره من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٦) (٢٧٢٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٨٠) (٢١٧١)، وغيرهما من حديث أبي بصرة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٤١) (١٨٦٢)، وغيره من حديث أبي =

وَعَنْ خَبَّابِ بنْ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَه، وَقَالَ فِيهِ: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ أَنْ لا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَنَا فَأَعْطَانِيهَا**». [رَواهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذي والنَّسَائي وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِهِ**». وَقَالَ التِّرْمِذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وَفِي البَابِ عَنْ سَعْدٍ وابْن عُمَر][1].

قُلْتُ: أَمَّا حدِيثُ سَعْدٍ -وَهُو ابن أَبِي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقَد رَواه الإِمَامُ أحمَدُ وَمُسلِمٌ وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِهِ**»، وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا**...» الحديث[2].

وأَمَّا حَديثُ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَدْ رَواه الإِمَامُ أَحْمَدُ، وفِيهِ: أَنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَأَلَ جابرَ بن عَتِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الثَّلاثِ التِي دَعَا بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**دَعَا بِأَنْ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِم، وَلا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ فَأُعْطِيَهُمَا**...» الحديث. وَفِيهِ أَنَّ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لِجَابِرٍ بن عَتِيكٍ: صَدَقْتَ.

=

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٢).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٠٨) (٢١٠٩١)، والترمذي (٢١٧٥)، والنسائي (١٦٣٨)، وابن حبان (١٦/ ٢١٨) (٧٢٣٦)، وغيرهم من حديث خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٦٠٣) (٥٧٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٨١) (١٥٧٤)، ومسلم (٢٨٩٠)، وابن حبان (١٦/ ٢١٩) (٧٢٣٧)، وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[قَالَ ابنُ كَثيرٍ فِي تفْسيرِ سُورَةِ الأنْعَامِ: إسْنادُهُ جيِّدٌ قَوِيٌّ. وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَقَدْ رَوَاهُ الحَاكِم فِي «مُستَدْرَكِهِ»، ولَيْس فِي رِوَايَتِهِ أَنَّ ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ لجَابِر بن عَتِيكٍ: صَدَقْتَ، وَقَالَ الحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَينِ، وَوَافقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَلْخِيصه»](١).

* * *

فصل

وإِذَا عُلِم أَنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَد رَفعَ عذَابَ الاسْتِئصَال عَنْ أُمَّةِ مَحمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَليُعْلَم أَيْضًا أَنَّ عُقُوباتِ الأفْرادِ مِنْهُم وَمِمَّن كَانَ قَبلَهُم مِن الأُمَمِ كثيرةٌ ومُتَنَوِّعة، وَهِي علَىٰ قِسْمين:

أحدُهُمَا: العُقوبَاتُ فِي الدُّنيا.

والثَّانِي: العُقُوباتُ بِعدَ المَوتِ.

فأمَّا العُقُوباتُ فِي الدُّنْيَا فَهي عَلىٰ قِسْمَين:

أحدُهُما: مَا أَدَّىٰ إِلَىٰ المَوتِ.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٥) (٢٣٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٢) (٨٥٧٩)، وغيرهما من حديث جابر بن عتيك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٧١)، و«مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١). وقد صححه الأرنؤوط في تحقيقه علىٰ «المسند».

والثَّاني: مَا كانَ نكالًا بِمَا دُون المَوتِ.

وقدْ جَاءَ في كُلٍّ مِن القِسمينِ قَصصٌ كَثيرةٌ.

فَمنْ قَصَص القِسمِ الأوَّلِ مِمَّا وَقع في الأمَمِ قَبلَنا: قِصَّة الرَّجُلِ الذِي تَبخْتَر وأعْجَبَتْه نَفسُهُ فَخَسَفَ اللهُ بهِ الأرْضَ، وقَد جَاء ذَلكَ فِي عِدَّة أحَاديثَ صَحِيحة.

منها: مَا رواهُ الإمَامُ أحْمدُ والبُخارِيُّ والنَّسائِيُّ، عَن ابن عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إزارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجلْجَلُ فِي الأرْضِ إلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

ومنها: مَا رَواه الإمَامُ أحْمَدُ والبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ والدَّارِمِيُّ وابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بيْنَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي حُلَّةٍ مُعْجَبٌ بِجُمَّتِهِ قَدْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ؛ إِذْ خَسفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجلْجلُ، أَوْ قَالَ: يَهْوِي فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [هذَا لَفْظُ إِحْدَىٰ الرِّوَايَاتِ عِنْد أحْمد].

وفِي رِوَاية لَهُ: أنَّ رَسُولَ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يَتبَخْتَرُ فِي حُلَّةٍ لَهُ قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ؛ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْض فَهُوَ يَتَجلْجَلُ فِيهَا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٦) (٥٣٤٠)، والبخاري (٣٤٨٥)، والنسائي (٥٣٢٦)، وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وفِي رِوَايةٍ لَه: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ لَهُ مُعْجَبٌ بِنَفْسِه؛ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

ومنها: ما رَواهُ الإمَامُ أحمَدُ والتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبدِ اللهِ بن عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**خَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي حُلَّةٍ لَهُ يَخْتَالُ فِيهَا، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا -أَوْ قَالَ: يَتَلَجْلَجُ فِيهَا- إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [هَذَا لَفْظُ التِّرمِذِي، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ](٢).

ومنها: مَا رَواه الإمَامُ أحْمَدُ والبَزَّارُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بَيْنَ بُرْدَيْنِ مُخْتَالًا، خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [هَذا لَفْظُ أَحْمَد].

وفِي رِوَايةٍ لَهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخضَرَيْنِ يَختَالُ فِيهِمَا؛ أَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، وَإِنَّهُ لَيَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ**». [قَالَ الهَيْثَمِيُّ: أَحَدُ أَسَانِيدِ البَزَّارِ، رِجَالُه

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٦) (٩٨٨٧)، والبخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٠٨٨)، والدارمي (١/ ٤٠٤) (٤٥١)، وابن حبان (١٢/ ٤٩٦) (٥٦٨٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢) (٧٠٧٤)، والترمذي (٢٤٩١)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٦١٣) (٣٢٢٢).

رِجَالُ الصَّحِيحِ][1].

وَفِي البَابِ أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [رَواهُ البَزَّارُ، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيح][2].

وَفِيه أيْضًا عَنْ أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [رَواهُ أَبُو يَعْلَىٰ بِإسْنادٍ فِيهِ ضَعفٌ، ويَشْهَدُ لهُ ما تَقَدَّم مِن الأحَادِيثِ الصَّحِيحَة][3].

ومِنَ القَصَص فِي هذَا القِسمِ: مَا وَقَع لِكَثيرٍ مِن المُتَهَاوِنِين بِحُرمَةِ الكَعْبَةِ والحَرَمِ، فَمِنْ ذلِكَ قِصَّةُ إسَاف ونَائِلَة.

قَال ابن إسْحَاق: كَانَ إسَاف ونَائِلة رَجُلًا وامْرَأَةً مِن جُرْهُم، وَهُو إسَافُ بن بَغَا، وَنَائِلَة بِنْتُ ديك، فَوَقَع إسَافٌ عَلىٰ نَائِلَة فِي الكَعْبَة، فَمَسخَهما اللهُ حَجَرَين.

ثمَّ قَالَ ابن إسْحَاق: حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بن أَبِي بَكْر بن مُحَمَّد بن عَمْرو بن حَزْم،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) (١١٣٧١، ١١٣٧٤)، والبزار في «المسند» (٣/ ٣٦٤) (٢٩٥٠)-كشف، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٦)

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (٣/ ٣٦٤-٣٦٥) (٢٩٥٥)- كشف. من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٦)

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٧/ ٢٧٩) (٤٣٠٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده ضعيف، فيه زياد بن عبد الله النميري، ضعيف، كما في «التقريب»، والحديث له شواهد.

عَنْ عَمْرةَ بنْت عَبْد الرَّحمَن بِن سَعْد بن زُرَارَة قَالَت: سَمِعْت عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تقُول: «**مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةَ كَانَا رَجُلًا وامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمٍ أَحْدَثَا فِي الكَعْبَةِ، فَمَسَخَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ حَجَرَيْنِ**». [وَهَذا إسْنَادٌ صَحِيحٌ][(١)].

ورَوَىٰ الأَزْرَقِيُّ فِي «**أَخْبَار مَكَّة**» بإسْنَاده عَن مُحَمد بن إسْحَاق أنَّه قال: إنَّ جُرْهُم لَمَّا طَغتْ فِي الحَرَمِ دخلَ رَجُلٌ مِنهُم بِامْرَأةٍ مَنهُم الكَعْبَة فَفَجَر بِهَا. ويُقَال: إنَّمَا قَبَّلها فِيهَا، فَمُسِخا حَجَرين -واسْمُ الرَّجُل إسَاف بن بَغَا، واسْمُ المَرأةِ نَائِلَة بِنْت ذِئب- فأُخْرِجا مِن الكَعْبَة فنُصِبَ أَحدُهما عَلىٰ الصَّفَا والآخَرُ عَلىٰ المَرْوَة. وإنَّمَا نُصِبا هُنالِك لِيَعْتَبر بِهِمَا النَّاسُ ويَزْدَجروا عَن مِثْلِ مَا ارْتَكبا لمَا يرونَ مِن الحَال التِي صَارَا إليهَا.

فلمْ يَزَل الأَمْرُ يُدْرَس ويَتَقَادم حَتَّىٰ صَارَا يُمْسَحَان، يَتَمَسَّح بِهِما مَنْ وقَفَ عَلىٰ الصَّفَا والمَرْوَة، ثُمَّ صَارا وَثنَيْن يُعْبَدانِ، فَكَانا كَذَلِكَ حتَّىٰ كَانَ قُصَيُّ بن كِلابٍ فَحَوَّلَهُما من الصَّفَا والمَروةِ، فَجَعل أَحَدَهُما بِلِصقِ الكَعْبَة، وجَعَل الآخَرَ فِي موضِع زَمْزَم، وكَان يَنْحرُ عِنْدَهُمَا.

وَكانَ أَهْلُ الجَاهليَّة يَمُرُّون بِإسَافٍ ونَائِلَة وَيَتَمَسَّحُون بِهِما، وكَانَ الطَّائِفُ إذَا طَاف بِالبَيتِ يَبدَأ بإسَاف فَيستَلِمَه، فَإذا فَرَغ مِن طَوَافِه خَتَم بِنَائِلة فَاستَلَمَها.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٢٤) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

فكانَا كَذلكَ حتَّىٰ كَان يومُ الفَتحِ فكَسرَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ مَا كَسرَ من الأَصْنَام[(١)].

وَرَوَىٰ الأزْرَقِيُّ أيْضًا عَن عَمْرَةَ أَنَّها قالتْ: كَانَ إسَاف ونائِلَة رَجُلًا وامْرَأة فَمُسِخا حَجَرينِ، فأُخْرِجَا مِن جوف الكعْبَة وعلَيْهِمَا ثِيَابُهُما، فَجُعلَ أحَدُهُما بِلِصقِ الكَعبةِ والآخر عِندَ زَمزَم، وكانَ يُطرَحُ بَينهُمَا مَا يُهْدىٰ للكَعْبة. ويُقال: إنَّ ذَلكَ المَوضِعَ كَان يُسَمَّىٰ «**الحَطيم**»، وإنَّمَا نُصِبا هُنَالِك لِيَعتَبِر بِهِمَا الناسُ، فَلم يزَلْ أمْرُهُما يدرسُ حَتَّىٰ جُعِلَا وَثَنينِ يُعْبَدانِ، وكَانتْ ثِيابُهُما كُلَّما بَلِيتْ أخْلَفُوا لِهُمَا ثِيابًا، ثمَّ أُخذ الذِي بِلِصقِ الكَعبةِ فَجُعِلَ مَع الذِي عِندَ زَمزَمَ، وكَانُوا يَذبَحُون عِنْدَهما[(٢)].

ورَوَىٰ الأزْرَقِيُّ أيْضًا، عَنِ الوَاقِدي، عَن أشْيَاخِه قَالوا: كَان إسَاف ونَائِلة رَجُلًا وامْرَأة. الرَّجُلُ إسَاف بن عَمْرو، والمَرْأة نَائِلة بِنْت سُهَيل مِن جُرْهُم، فَزنَيَا فِي جَوفِ الكَعبَةِ فَمُسِخا حَجرَينِ، فَاتَّخَذُوهُما يَعبُدُونَهُمَا، وَكَانوا يذْبحُون عنْدَهُما ويَحلِقُون رُءوسَهم عِندَهُما إذَا نَسَكوا. فَلَمَّا كُسِرت الأصْنَام كُسِرًا، فَخَرَجتْ مِنْ أحَدِهمَا امَرأةٌ سَودَاء شَمْطَاء تَخْمِش وَجْهَها عُريَانَة نَاشِرَة الشَّعَر تَدعُو بِالوَيلِ، فَقيلَ لِرَسُول اللهِ ﷺ فِي ذَلكَ فَقَال: «**تِلْكَ نَائِلَة قَدْ**

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١١٩-١٢٠) عن محمد ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٠) عن عمرة بنت عبد الرحمن.

أَيسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلَادِكُمْ أَبَدًا»[١].

وَرَوَىٰ الأَزْرَقِي أَيْضًا عن ابن جُرَيجٍ أَنَّهُ قال: الحَطِيمُ مَا بَينَ الرُّكْنِ والمَقَامِ وَزَمْزَم والحَجَر، وكَانَ إِسَاف ونَائِلَة رَجُلًا وامْرَأة دَخَلا الكَعْبَة فَقَبَّلَها فِيها فَمُسِخا حَجَرينِ، فَأُخرِجَا منَ الكَعْبَة، فَنُصِبَ أَحَدُهُما فِي مَكَانِ زَمْزَم والآخَر فِي وَجْهِ الكَعْبَةِ لِيعْتَبَرَ بِهِمَا النَّاسُ ويَزدَجِروا عَن مِثْلِ مَا ارْتَكَبا. قالَ: فَسُمِّي هَذا المَوضعُ الحَطِيم؛ لِأَنَّ النَّاس كَانُوا يَحْطِمون هُنَالك بَالأَيْمَانِ، ويُسْتَجَاب فِيه الدُّعَاء عَلىٰ الظَّالم للمَظلُومِ.

فَقلَّ مَنْ دَعَا هُنالِكَ عَلىٰ ظَالِمٍ إلا أُهْلِك، وقَلَّ مَن حَلَف هُنَالك إثمًا إلا عُجِّلَت لَهُ العُقُوبَةُ، فَكَان ذَلكَ يَحجِزُ بِينَ النَّاس عَن الظُّلْم وَيتَهَيَّب النَّاس الأَيْمانَ، فَلم يزَلْ ذَلك كَذلَكَ حَتَّىٰ جَاء اللهُ بِالإِسلامِ، فأَخَّر اللهُ ذَلكَ لِمَا أَرَاد إِلَىٰ يَومِ القِيَامَة[٢].

وِمِن قَصَصِ المُتهاوِنينَ بِحرمَةِ الكَعبَةِ أَيْضًا: مَا رواه ابن أَبِي شَيبةَ عن ابن سابِطٍ قَال: كَان النَّاسُ إِذَا كَان المَوسِمُ بِالجَاهليَّةِ خَرجُوا فَلمْ يبقَ أَحدٌ بِمكَّة، وإِنَّه تَخَلَّف رَجُلٌ سارِقٌ فَعمَدَ إِلَىٰ قِطعَةٍ مِن ذَهبٍ فَوضَعَها، ثمَّ دَخل لِيأَخذَ

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٢) وإسناده فيه الواقدي وهو محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، أبو عبد الله المدني القاضي، متروك مع سعة علمه، قاله في «التقريب». وفيه أيضًا مَن لم يسم.

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٣) عن ابن جريج.

أيْضًا، فَلمَّا أَدْخَل رَأسَهُ صَرَّهُ البيْتُ، فَوَجدُوا رَأسَه في البَيْتِ وَإسْتِه خَارِجَه، فَألقَوهُ للكِلَابِ وأصْلَحوا البيْتَ(١).

وَمنَ القَصصِ فِي هذا البَابِ أيضًا: مَا ذكرَه الأزْرَقِيُّ في «**أخْبَار مَكَّة**»، عَن ابن إسْحَاق أنَّه قَال: كانَ للبَيتِ خِزَانَة بِئر فِي بَطْنِه يُلقىٰ فيهَا الحُلِي والمَتَاعُ الذِي يُهْدىٰ لَهُ، وَهُو يَومئِذ لأَسْقُف لَهُ، فَتَوَاعَد لَهُ خَمسةُ نَفَرْ مِن جُرْهُم أنْ يَسْرِقُوا مَا فِيه، فَقَام عَلىٰ كُلِّ زَاويَةٍ مِن البَيتِ رَجُلٌ مِنهُم واقْتَحَم الخَامِسُ، فَجَعل اللهُ أعْلَاه أسْفَلَه وسَقَطَ مُنكَّسًا فَهلَك، وَفَرَّ الأَرْبَعَة الآخَرُون(٢).

وِمن القَصَصِ فِيه أيضًا: مَا رَوَاه الأزْرَقِيُّ، عَن ابن أبِي نُجَيْحٍ عَن أبِيه: أنَّ نَاسًا كَانوا فِي الجَاهِلِيَّة حَلَفوا عِند البَيتِ عَلىٰ قَسَامَة، وَكَانوا حَلَفوا عَلىٰ بَاطِلٍ، ثُمَّ خَرجوا حَتَّىٰ إذَا كَانوا بِبَعضِ الطَّرِيقِ نَزلُوا تَحتَ صَخرَةٍ، فَبينا هُم قَائلُون إذْ أقْبَلَت الصَّخْرةُ عَليهِم، فَخَرجوا مِن تَحتِهَا يَشتَدُّون فَانفَلَقتْ بِخمسِينَ فلْقَة، فَأدرَكَت كُلَّ رَجُلٍ مِنهَا فلقَةٌ فَقتَلَتهُ، وكَانوا مِن بَني عَامِر بن لُؤَي(٣).

وَمِنَ القَصَصِ فِيه أيضًا: مَا رواهُ الأزْرَقيُّ عنِ الوَاقِدي عَن أشْيَاخِه قَالُوا: أقَامَت قُرَيشٌ بَعد قُصَي علَىٰ مَا كَانَ عَليهِ قُصَي بن كِلاب مِن تَعظِيم البَيتِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٦٨) (١٤٠٩٥) عن ابن سابط.

(٢) انظر: «أخبار مكة» (١/ ٨٧) للأزرقي.

(٣) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٤) عن أبي نجيح يسار المكي.

والحَرمِ، وكانَ الناسُ يَكرَهون الأيْمَان عِندَ البيتِ مَخَافةَ العُقُوبَة فِي أنْفسِهم وأمْوَالِهم.

قالَ الوَاقِديُّ: فَحَدَّثنِي عَبدُ المَجيدِ بن أَبِي أَنَسٍ عَن أَبِيه، عَن أَبِي القَاسم، مَولَىٰ رَبيعَة بن الحَارِثِ، عَن عَبد المُطَّلِب بن رَبِيعَة بن الحَارِثِ قَال: عَدا رَجُلٌ مِن بنِي كِنَانة مِن هُذيلٍ فِي الجَاهِلِيَّة عَلىٰ ابن عمٍ لهُ فَظلَمَه واضْطَهدَه، فناشَدهُ اللهَ تعالَىٰ والرَّحمَ وَعَظَّم عَلَيهِ فأبَىٰ إلَّا ظُلْمَه، فقال: واللهِ لألْحقَنَّ بِحَرمِ اللهِ تعَالىٰ فِي الشَّهر الحَرام فَلأدْعُوَنَّ اللهَ عَليكَ، فَقالَ لهُ ابن عمِّه مُستَهزِئًا بِه: هَذهِ نَاقَتِي فُلانَة فَأنَا أُقْعِدك عَلىٰ ظَهْرِها فاذهَب فاجْتَهِد.

قالَ: فأعْطَاه نَاقتَه وَخَرَج حَتَّىٰ جَاء الحَرَم في الشَّهرِ الحَرَام فَقَال: اللَّهُمَ إنِّي أدْعُوكَ دُعاءَ جَاهدٍ مُضْطرٍ عَلىٰ فُلان ابن عَمِّي لِترمِيه بِدَاءٍ لا دَواءَ لَه. قال: ثمَّ انْصرفَ فَوجَدَ ابنَ عَمِّه قَد رُمِي فِي بطنِهِ، فَصَار مِثل الزِّقِّ فَمَا زالَ يَنْتَفخ حَتَّىٰ انْشَق. قَال عبدُ المُطَّلِب: فَحَدَّثتُ بِهذا الحِديث ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقَال: أنَا رَأيتُ رَجُلًا دَعا عَلىٰ ابن عَمٍّ لَهُ بِالعَمَىٰ فَرَأيتُه يُقادُ أعْمَىٰ[١].

وَمِنَ القَصَص فِيها أيضًا: مَا رَواهُ الأزْرَقيُّ مِن طَرِيقِ الوَاقِدي، عَن ابن أَبِي سَبْرَة، عَن عبْدِ المَجِيد بن سُهَيل، عَن عكْرِمَة، عن ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥) وفي إسناده الواقدي، وقد تقدم بيان حاله. وفيه أيضًا عبد المجيد لم أقف له علىٰ ترجمة، وكذا أبيه وشيخه.

قالَ: سَمِعتُ عُمَر بن الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يسأَلُ رَجُلًا منْ بَنِي سُلَيْم عَن ذَهَابِ بَصَرِه، فَقَال: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِين، كُنَّا بنِي ضَبْعاء عَشْرة، وكَانَ لَنَا ابن عَمٍّ فَكُنَّا نَظلِمُهُ ونضْطَهِدُه، وكَانَ يُذكِّرنا اللهَ والرَّحِمَ أنْ لَا نَظْلِمَه، وكُنَّا أَهْلَ جَاهليَّة نَرتَكبُ كُلَّ الأمُورِ، فلمَّا رأىٰ ابنُ عَمنا أَنَّا لا نَكفُّ عَنه ولا نَردُّ إليهِ ظلَامته أمْهَل حَتَّىٰ إذَا دخَلت الأَشْهُرُ الحُرُم انْتهَىٰ إِلَىٰ الحَرَم فَجَعل يَرفَع يَدَيهِ إِلَىٰ اللهِ تعَالىٰ ويَقول:

اللَّهُـــمَّ أدْعُـــوك دُعَـــاءً جَاهِـــدًا ... اقْتُـــلْ بَنِـــي الضَّـــبْعَا إِلَّا وَاحِـــدَا
ثُـــمَّ اضْـــرِبِ الرَّجُـــلَ فَـــذَرْهُ قَاعِـــدًا ... أَعْمَـــىٰ إذَا مَـــا قِيْـــد عَنِـــي القَائِـــدَا

فماتَ إخوَةٌ لِي تِسْعَةٌ في تِسْعَة أَشْهُرٍ فَي كُلِّ شَهرٍ وَاحدٌ، وبَقيتُ أنَا فَعَميتُ وَرَمىٰ اللهُ فِي رِجلِي وكَمِهْتُ فَليسَ يلايِمني قَائد. قَال: فَسَمعْتُ عُمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يَقُول: سُبحَانَ اللهِ! إِنَّ هَذا لَهو العَجَبُ.

ثمَّ رَوىٰ الواقِديُّ بِإِسنَادِه إِلَىٰ ابنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا قالَ: سَمِعْتُ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يسأَلُ ابنَ عَمِّهِمُ الذِي دَعا علَيْهم، قَال: دَعوتُ عَليهِم لَيالِي رَجَب الشَّهْرَ كُلَّه بِهذا الدُّعَاء، فَأُهلِكُوا في تِسعَةِ أَشْهُر وأَصَابَ البَاقي مَا أَصَابَه(١).

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٦) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا. وفيه الواقدي- تقدم. وشيخه هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة القرشي. رموه بالوضع. انظر: «التقريب».

ومنَ القَصصِ فيهِ أيضًا: مَا رواهُ الأزْرَقي، عنِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «دَعا رَجُلٌ علىٰ ابن عَمٍّ له اسْتَاق ذَودًا لَهُ، فَخَرج يطْلُبه حتَّىٰ أصَابَه فِي الحَرَم، فَقَال: ذَوْدِي، فَقَال اللِّصُّ: كَذبْتَ، ليْسَ الذَّودُ لَك، قَال: فَاحْلَف، قَال: إذًا أحْلِف؛ فَحلَف عِند المَقَام باللهِ الخَالقِ رَبِّ هذا البيتِ مَا الذَّود لَكَ، فِقيلَ لهُ: لا سَبيلَ لكَ عَليهِ.

فَقَامَ رَبُّ الذَّودِ -صَاحِبُ الذَّوْدِ- بَينَ الرُّكنِ والمقامِ بِاسطًا يَديْهِ يدعُو علَىٰ صَاحِبهِ، فما بَرِحَ مَقامَه يَدعُو عَليهِ حَتَّىٰ وَلِهَ فَذَهب عَقْلُه، وجَعَل يَصيحُ بِمَكَّة: مَا لِي ولِلذَّودِ، مَا لِي ولِفلانٍ رَبِّ الذَّودِ؛ فَبَلغ ذَلكَ عَبد المُطَّلبِ فَجَمع ذَودَه فَدَفعَها إِلَىٰ المَظلُومِ فَخرجَ بِهَا، وبَقِي الآخرُ مُتَولِّهًا حَتَّىٰ وَقَع مِن جَبل فَتردَّىٰ مِنه فأكَلَتْه السِّبَاع»[١].

ومنَ القَصَصِ فيهِ أيْضًا: قِصَّة أبْرهَة الحَبَشي الذِي أرَاد هَدمَ الكَعبَة. فَإنَّ اللهَ تعَالىٰ لمَّا أرسَل الطَّيرَ الأبَابيلَ علىٰ قَومِهِ فَرَمَتهُم بالحِجَارةِ هَربَ فِيمنْ هَرب مِن قَومِه ولَم تُصِبْهُ الحِجَارةُ، ولَكنَّه أصِيبَ فِي جَسدِه بِما هُو أنْكىٰ وأشَدُّ مِن الحِجارة التِي أصِيبَ بهَا قوْمُه.

قال ابن إسْحَاق: «أُصيبَ أبْرهَة في جَسده، وخَرجوا بِه مَعهم تَسقُط أنَامِلُه

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفيه الواقدي، وشيخه ابن أبي سبرة، وقد تقدم بيان حالهما.

أَنْمُلةٌ أَنْمُلةٌ، كُلمَا سَقَطت أُنمُلةٌ أَتبَعَتها مِدَّة تَمَثُّ قَيْحًا ودَمًا حتَّىٰ قدِمُوا بِه صَنعاءَ وهُوَ مِثْلُ فَرخِ الطَّيرِ، فمَا ماتَ حتَّىٰ انْصَدع صَدرُه عنْ قلبِه فيما يَزعُمُون»(١).

ومنَ القَصصِ فيهِ أيضًا: قِصَّة النَّجِسِ الخَبيثِ أَبِي طَاهِر القُرْمُطِي - لَعَنَهُ اللهُ-، فَإِنَّه دَخَل مكَّة يَومَ التَّروِيَة فِي سَنة سَبْعَ عَشْرَة وثَلَاثِمِائَة، وَقَتَل خلقًا كَثيرًا مِنَ الحَاجِّ فِي رِحَاب مَكَّةَ وشِعابِهَا وفِي المَسجِدِ الحَرَامِ وفِي جَوفِ الكَعْبَة، ونَهب أَمْوَالَهم وأَخذَ الحَجَر الأَسْوَد وبَابَ الكَعْبَة ثُمَّ عادَ إِلَىٰ بِلَاده.

قَال أَبُو الفِدَاء: «لَمَّا عَادَ القُرْمُطِيُّ إِلَىٰ بِلادِه رَمَاهُ اللهُ تعَالَىٰ فِي جسَدِهِ حتَّىٰ طالَ عذَابُهُ وتَقطَّعَتْ أوصَالُه وأطْرَافه وَهو يَنْظُر إِلَيهَا، وتَناثَرَ الدُّودُ من لَحمِه»(٢).

ومنَ القَصصِ فِيهِ أيضًا: مَا ذكَرَهُ ابن الأثِيرِ فِي «الكَامِلِ»، وابْنُ كَثيرٍ فِي «البِدَايَة والنِّهَايَة»: «أَنَّ القُرمُطِيَّ أَبَا طَاهِر -لَعَنَهُ اللهُ- أَمر رَجُلًا أَنْ يَصعدَ إِلَىٰ مِيزابِ الكَعبَةِ فَيَقتَلِعَه فَسقَط علَىٰ أُمِّ رَأسِهِ فَماتَ، فَعِندَ ذَلكَ انْكَفَّ الخَبيثُ عَن المِيزابِ»(٣).

وقَد جَاء فِي عُقُوباتِ المُتهاوِنينَ بِحُرمَةِ الكَعبَة قَصصٌ كَثيرةٌ سِوىٰ مَا

---

(١) انظر: «أخبار مكة» (١/ ١٤٧) للأزرقي.

(٢) انظر: «النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٢٤) لابن تغري بردي.

(٣) انظر: «الكامل» (٦/ ٧٤٢)، و البداية والنهاية» (١١/ ١٦١).

تَقدَّم ذِكرُه، ولَكِنَّها عُقُوباتٌ لَم تَبْلُغ بِأَصْحَابِها إِلَىٰ المَوتِ، فلِهَذا لَمْ أَذْكرْهَا هَاهُنا، وسَيأتِي ذِكرُها فِي القِسم الثَّاني إنْ شَاء اللهُ تعالىٰ.

ومِنَ القصصِ في هَذا القِسمِ أيضًا: مَا أُصيبَ بِه المُستهزِئُونَ بِرَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ العُقوبَات المُتنوِّعَة. وقَد رُويَت هَذه القِصَّةُ مِن عِدَّة طُرُقٍ. مِنْها: مَا رَواهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلائِل النُّبُوَّة»(١) عَن سَعِيد بن جُبير، عَن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا فِي قَولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحِجر: ٩٥].

قَالَ: «**المُستَهزِئُونَ:** الوَليدُ بن المُغيرَة، والأسْوَدُ بن عَبدِ يَغُوث الزُّهرِي، والأسْوَد بن المُطَّلِب أَبُو زَمْعَة مِن بَنِي أَسد بن عَبْد العُزَّىٰ، والحَارِثُ بنُ غَيْطَلَة السَّهمِي، والعَاصُّ بن وَائِلٍ، فأتَاهُ جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ فَشَكاهُم إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَاه الوَلِيد بن المُغِيرة فَأَوْمَأ جِبرِيلُ إِلَىٰ أَبْجَلِه(٢)، فَقَال: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ.

ثَمَّ أَرَاه الأَسْوَد بن المُطَّلِب فَأومَأ جِبرِيلُ إِلَىٰ عَينَيهِ، فقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قَال: كُفِيتَهُ. ثُمَّ أَرَاهُ الأَسْوَد بن عَبدِ يَغُوث الزُّهْرِي فَأَوْمَأ إِلَىٰ رَأسِه، فَقال: مَا صَنَعْتَ؟ قَال: كُفِيتَه. ثُمَّ أَرَاهُ الحَارِثَ بن غَيطَلَة السَّهمِيَّ فَأومَأ إِلَىٰ رَأسِهِ، أو قَالَ: إِلَىٰ بَطنِه، فَقَال: مَا صَنعتَ؟ قَال: كُفِيتَهُ. ومَرَّ بِهِ العَاصُ بن وَائِل فَأَوْمَأ إِلَىٰ

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣١٦-٣١٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.

(٢) قال في «لسان العرب» (١١/ ٤٤): «الأبجل عرق غليظ في الرجل. وقال الجوهري: الأبجل عرق وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان».

أَخْمُصِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعتَ؟ قالَ: كُفيتَه.

فَأَمَّا الَوليدُ بن المُغيرَةَ فَمرَّ بِرَجلٍ مِن خُزاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نبلًا لَهُ فَأصَاب أَبْجَله فقطَعَها.

وأمَّا الأسْوَد بن المُطَّلب فَعَمِي. فَمِنهُم مَن يَقُول: عَمِي هَكَذا. ومِنهُم من يقول: نـزَل تَحتَ سَمُرَة فَجَعَل يَقُول: يَا بَنِيَّ ألا تَدْفعُون عَنِّي قَدْ قُتِلْتُ، فجَعَلُوا يَقُولون: مَا نَرَىٰ شِيْئًا، وَجَعَل يَقُول: يَا بَنِيَّ، ألا تَمْنَعُون عَنِّي قَد هَلَكْتُ، هَا هُو ذَا أُطْعَنُ بِالشَّوكِ فِي عَيْنِي، فَجَعَلُوا يَقُولُون: مَا نرَىٰ شَيئًا، فَلَم يَزَل كَذلِكَ حتَّىٰ عَمِيت عَيْنَاه.

وأمَّا الأسْوَد بنُ عَبدِ يَغُوث الزُّهْرِي فَخَرَج فِي رأْسِه قُروحٌ فَمَاتَ مِنها.

وأمَّا الحَارثُ بن غَيطَلَة فَأَخذَه المَاء الأصْفَر فِي بَطنِه حَتَّىٰ خَرَج خِرْؤُه مِن فِيهِ فَمَاتَ مِنْها.

وأمَّا العَاصُ بن وَائِل فبينَمَا هُوَ كَذلِكَ يَومًا إذْ دَخَل فِي رَأسْه شِبْرقة(١) حتَّىٰ امْتَلأتْ منْهَا فمَات مِنْها. وقَال غَيرُه فِي هَذا الحَديثِ: فَرَكِبَ إلَىٰ الطَّائف عَلىٰ حِمارٍ فَربَضَ عَلىٰ شبْرُقةٍ فدَخلَتْ فِي أخْمُص قَدَمهِ شَوكَةٌ فقَتَلَته».

---

(١) قال في «لسان العرب» (١٠/ ١٧٢): الشبرق نبات غض وثمرتها شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم، منبتها السباخ والقيعان، واحدتها شِبرقة. وقالوا: إذا يبس الضريع فهو الشبرق، وهو نبت كأظفار الهر. وقال ابن جرير: الشبرقة المعروف بالحسك.

وَقَالَ ابن إِسْحَاق: «كَانَ عظَمَاء المُستَهزِئِينَ -كَمَا حَدَّثَني يَزيدُ بن رُومان، عَن عُرْوَةَ بن الزُّبَير- خَمسَةَ نَفَرٍ، وَكَانوا ذَوِي أَسْنَان وشَرَفٍ فِي قَومِهم: الأَسْوَدُ بن المُطَّلِب أَبُو زَمْعَة، دَعا عَليهِ رَسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَال: «**اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَهُ وَأَثْكِلْهُ وَلَدَهُ**».

والأَسْوَد بن عبْدِ يغُوثَ، والوَليدُ بن المُغيرَة، والعَاصِ بن وَائل، والحَارِثِ بن الطَّلَاطِلَة. وذُكَر أَنَّ اللهَ تعالَىٰ أَنْزَل فِيهم: ﴿ **فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦].

وذكر أَنَّ جِبريلَ أَتىٰ رَسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُمْ يَطُوفُونَ بِالبَيتِ، فَقَام وَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ جَنْبِه، فَمَرَّ بِه الأَسْوَدُ بن المُطَّلِب فَرمىٰ فِي وَجهِهِ بوَرَقة خَضرَاء فَعَمِيَ. ومَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبدِ يَغُوثَ فَأَشارَ إِلَىٰ بَطْنِه فاسْتَسْقَىٰ بَطنه فَمَات حَبنًا(١). ومَرَّ بِهِ الوَليدُ بن المُغيرَةَ فأَشَار إِلَىٰ أَثَرِ جُرحٍ بِأَسفَل كَعبِه كَان أَصَابه قَبلَ ذلِكَ بِسنينَ مِن مُرورِه بِرَجُلٍ يَريشُ نَبلًا لَه مِن خُزاعَة، فَتعلَّق سَهمٌ بِإِزارِه فَخَدشه خدشًا يسيرًا فانْتَقَض بَعد ذَلكَ فَمات.

ومَرَّ بِهِ العاصُ بن وائلٍ فأَشَار إِلَىٰ أَخْمُصِ رِجْلِه فخرَجَ علىٰ حِمارٍ لهُ يُريدُ

(١) قال ابن جرير: الحَبَن الماء الأصفر. وقال ابن منظور في «لسان العرب» (١٣/ ١٠٤): الحَبَن داء يأخذ في البطن فيعظم منه ويَرِم. وقال أيضًا: الأحبن المستسقي من الحَبَن - بالتحريك- وهو عِظم البطن.

الطَّائف فَربض بِه عَلىٰ شبْرقَةٍ فَدَخلت في أخْمُص رِجلِه شَوكَةٌ فَقتلته. ومَرَّ بِهِ الحارِثُ بنُ الطَّلاطِلَة فَأشارَ إلَىٰ رأسِه فامْتَخَض قَيحًا فقتَله». [وقد رَوَاه ابن جَرير فِي «تفسيره»، وأبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِل النَّبُوَّة» من طريق ابن إسحاق][1].

وقالَ البَغوِيُّ[2] فِي الكَلَام عَلىٰ قَولِ اللهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ٩٥﴾ [الحِجر: ٩٥]: «وهُم خَمسَةُ نَفرٍ مِن رُؤسَاء قُريش: الوَليدُ بن المُغيرَة المَخْزُومِي وكَان رَأسَهم، والعَاصُ بن وَائِل السَّهْمي، والأسْوَد بن المُطَّلِب بن الحَارِث بن أسَد بن عِبد العُزَّىٰ أَبُو زَمْعة، والأسْوَد بن عَبدِ يَغُوث بن وَهب بن عَبدِ مَنَاف بن زُهرَة، والحَارِث بن قَيس بن الطَّلَاطِلَة.

فَأتَىٰ جِبريلُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمُستَهزِئونَ يَطُوفُون بِالبَيتِ، فَقَام جِبريلُ وقَامَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ جنبه فمرَّ به الوليدُ بن المُغيرة فَقَال جِبريلُ: يَا مُحَمَّد، كَيفَ تَجِدُ هَذا؟ فَقَال: «**بِئْسَ عَبْدُ اللهِ**»، فَقَال: قَدْ كُفِيتَه، وأوْمَأ إلَىٰ سَاقِ الوَليد، فَمَرَّ بِرَجلٍ مِن خُزاعَة نَبَّال يريش نِبالَه وَعَليه بُردٌ يَمَان وَهُو يَجُرُّ إِزَارَه، فَتَعَلَّقَت شَظْيَة مَن نَبْلِه بِإزَارِه فَمَنَعَه الكِبْرُ أنْ يُطَأطِئ رأسَه فَيَنْزِعَها، وجَعَلَتْ تَضرِبُ سَاقَه فَخَدَشَتْهُ فَمَرِضَ مِنهَا فَمات.

ومَرَّ به العاصُ بنُ وَائل فَقالَ جِبريل: كَيفَ تَجدُ هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَال: «بِئْسَ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٩٥) ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٤٦)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٩٥).

عَبْدُ اللهِ»، فأشَارَ جِبريلُ إلَىٰ أخْمُصِ رِجلِه وَقَال: قَدْ كُفِيتَه، فَخَرجَ عَلىٰ رَاحِلتِه وَمَعه ابنان لَهَ يَتَنزَّهُ، فَنَزل شِعبًا مِن تَلكَ الشِّعابِ فَوَطِئ عَلىٰ شبْرقة فدخلت منها شَوكَةٌ في أخْمُص رِجلِه، فقال: لُدِغْتُ لدغتُ، فطَلَبوا فلَمْ يَجِدوا شَيئًا، وانْتَفَخَت رِجْلُه حتَّىٰ صَارتْ مِثل عُنُق البَعِير فَمَاتَ مَكَانَه.

وَمَرَّ بِهِ الأسْوَد بن المُطَّلِب فَقَال جِبرِيلُ: كَيفَ تَجِدُ هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَالَ: **«عَبْدُ سُوءٍ»**، فأشَار بِيدِه إلَىٰ عَينَيهِ وَقَالَ: قَدْ كُفِيتَه، فَعَمِي».

قَالَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «رَمَاه جِبرِيلُ بِوَرَقةٍ خَضْرَاء فَعَمِي فَذَهبَ ضَوءُ بَصَرِه وَوَجَعَتْ عَيْنَاهُ فَجعَل يَضرِبُ بِرأسِهِ الجِدَارَ حتَّىٰ هَلَكَ».

وفِي رِوَايَة الكَلْبِي: «أَتَاه جِبريلُ وَهُو قَاعِدٌ فِي أصْلِ شَجَرةٍ وَمَعَه غُلامٌ لَه، فَجَعَل يَنْطَحُ رَأسَهُ بِالشَّجَرَةِ ويَضْرِبُ وَجْهَه بِالشَّوْكِ، فاسْتَغَاث بِغُلامِه، فَقَال غلامه: لا أرَىٰ أحَدًا يَصْنَعُ بِكَ شَيئًا غَيرَ نَفْسِك حَتَّىٰ مَات وَهُوَ يقولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّد.

ومَرَّ بِهِ الأسْوَد بن عَبدِ يَغوث فَقَال جِبريل: كَيفَ تَجِد هَذا يَا مُحمَّد؟ قَال: **«بِئْسَ عَبْدُ اللهِ، علَىٰ أَنَّه ابن خَالِي»**. فقال: قَد كُفِيتَه، وأشَار إلَىٰ بَطْنِه فاسْتَسْقَىٰ بَطنَه فمَات حَبنًا».

وفِي رِوَايَة الكَلْبي: «أَنَّه خَرَج مِن أهْلِه فَأصَابه السَّمُوم فاسْوَدَّ حتَّىٰ عَاد حَبَشِيًّا، فَأَتَىٰ أهْلَه فلَم يَعْرِفُوه وأغْلَقوا دُونَه حَتَّىٰ مَاتَ وَهُو يَقُول: قَتَلَني رَبُّ مُحَمَّد.

ومَرَّ بِهِ الحَارِثُ بنُ قَيس فقَال جِبريلُ: كَيف تَجِد هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَال: «**عَبْدُ سُوءٍ**»، فَأَومَأ إِلَىٰ رأسِهِ وقَال: قَدْ كُفِيتَه، فَامْتَخَطَ قَيحًا فقَتَله».

وقالَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّه أَكلَ حُوتًا مَالحًا فَأَصَابه العَطَشُ، فلمْ يزَلْ يَشرَب عَلَيهِ من المَاء حَتَّىٰ انْقَدَّ بَطْنُه فَمات».

[**فَذلكَ قَولُه تَعالىٰ**: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾. وقَدْ رَواهُ أَبُو نُعيمٍ فِي «**دَلَائِل النُّبُوَّة**» مِن طريقِ الكَلبِيِّ، عَن أَبِي صَالِح، عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فذَكَره بِنَحْوِه[1]. وَروَىٰ ابن جَريرٍ فِي «تَفسيرِهِ»، عَن قَتَادة وَمِقسم مَوْلىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَه، وَفيهِ بَعضُ المُغايَرَة لِمَا جَاء فِي «تَفسِير البَغَوي»][2].

وَمِن اسْتِهْزاء المُستَهزِئين بِرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحَابه: مَا ذَكَره البِلاذِرِي فِي «**أنْسَاب الأَشْرَاف**»، وابنُ الأَثِير فِي «**الكَامِل**»: «أَنَّ الأَسوَدَ بن عَبدِ يَغُوث بن وَهْب بن عَبدِ مَناف بن زُهرَةَ كَان إذَا رَأىٰ فُقَراءَ المُسلِمين قَال لِأَصْحَابِه: هَؤلاءِ مُلُوكُ الأَرْضِ الذِين يَرِثُون مُلكَ كِسْرَىٰ وقَيْصر، وكانَ يَقُول لِلنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا كُلِّمتَ اليَومَ مِن السَّمَاء يَا مُحَمَّد؟ ومَا أَشْبَه هَذا القَوْل».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٧٠) وإسناده ضعيف جدًا فيه محمد بن مروان السدىٰ الصغير-متهم بالكذب، وكذا شيخه محمد بن السائب الكلبي. وأبو صالح هو مولىٰ أم هانئ ضعيف يرسل.

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٥٠) عن قتادة ومقسم.

وذَكر البِلَاذِرِيُّ وَابْنُ الأَثِير أَيْضًا: «أَنَّ الأَسْوَد بن المُطَّلِب بن أَسَد بن عبْدِ العُزَّىٰ كَان هُو وأصْحَابُه يَتَغَامَزون بِالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصَحابِهِ ويَقُولون: قَد جَاءَكم مُلُوك الأَرْضِ وَمن يَغْلِبُ عَلىٰ كُنوزِ كِسرَىٰ وَقَيصَر، وَيُصَفِّقون ويُصَفِّرون»(١).

«تَنْبِيهٌ»:

إذَا عُلِم مَا أُصيبَ بِهِ المُستهزِئون بِرسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن العُقُوبة والنَّكَال، فَليُعْلَمَ أَيْضًا أنَه يُخْشَىٰ عَلَىٰ المُستَهزِئينَ بِالأَحَاديثِ الثَّابِتة عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصابوا بِمثلِ مَا أَصِيب بِه مَن كَان قبلَهم مِن المُستهزِئينَ بِالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَما العُقوبَاتُ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبعَيدٍ.

وليُعْلَمَ أَيْضًا أَنَّ الاستِهزاءَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشْمَل الاستهزاءَ بِهِ فِي كُلِّ شَيء مِن أَخْلاقِهِ وأقوالِه وأَفْعَالِه.

ومِن ذَلكَ: الاستِهزَاءُ بالأَحاديثِ الثَّابتةِ عَنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَما يفْعَلُه بَعضُ المُتحَذلِقين(٢) الذِين غَلَب عَلَيهِم التِّيهُ والعُجْبُ بِأَنْفُسهم وبِكتَاباتِهم الخَاطِئة.

فهذا الضَّرْبُ الرَّديء قَد جَعلوا عقُولَهم القَاصرة وآرَاءهُم الفَاسِدة مِيزانًا

(١) انظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٣١- ١٣٢)، و«الكامل» (١/ ٥٩٢).

(٢) قال في «لسان العرب» (١٠/ ٤١): المتحذلق هو المتكيِّس الذي يريد أن يزداد علىٰ قدره، ورجل حِذْلق كثير الكلام صَلِف، وليس وراء ذلك شيء. ويقال: حَذْلَق الرجل وتحذلق إذا أظهر الحذق وادعىٰ أكثر مما عنده.

للأحَاديثَ؛ فَما وَافقَ عُقولَهُم وآرَاءَهم قَبِلوُه ونَصَرُوه ولو كانَ ضَعيفًا أوْ مَوضُوعًا، ومَا خَالَفَ عُقولَهُم وآرَاءَهم ضَرَبُوا بِهِ عَرَض الحَائطِ وَلم يُبَالوا بِرَدِّه ورفضْهِ واطِّرَاحِه ولو كانَ في «الصَّحِيحين» أو فِي أحَدِهما.

وهذا المَسلَكُ البَاطلُ قَريبٌ مِمَّا ذَكره البِلَاذِرَيُّ وابْنُ الأثِير عَن بَعضِ المُستهْزِئينَ مِن كُفارِ قُرَيش، أنَّهم كَانوا يُكَذِّبُون بِما لا تَحْتَمِلُه عُقُولُهم مِن أخْبَار الوَحي، ومَا كَان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبِرُهم بهِ مِن غَلَبة المُسلِمين عَلىٰ مُلكِ كِسرَىٰ وقَيصَر والاسْتِيلاءِ عَلىٰ كُنُوزِهما.

وَقَد ثَبتَ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**مَنْ تَشَبَّه بِقَومٍ فَهُوَ مِنهُم**».

[رَواهُ الإمَامُ أحْمَد وأبُو داود، منْ حَديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا](١).

فَلا يَأمن المُتهاوِنُون بِالأحَاديثِ الثَّابتَةِ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُعارِضُون لَها بِعُقولِهم وآرائِهم أنْ يُصابُوا بِقَارعَةٍ تَكون نكَالًا لَهم وَعِبرَة لِغَيرِهم، وَليعْلَموا أنَّ رَدَّ الأحَاديثِ الثَّابتَة عنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومُعارَضَتها بِالآرَاء والعُقولِ لَيسَ بالأمْرِ الهَيِّن، فَكيفَ بالاسْتهزاءِ بِها والتَّصْريحِ بِرفضِها واطِّرَاحِها؟! فهذا أمرٌ عظِيمٌ وَخطيرٌ جِدًّا، وَيُخشَىٰ عَلىٰ مَنْ فَعلَ ذَلكَ أنْ يَكُون مُرتَدًّا عنِ الإسْلام.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، وغيرهما من حديث ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» (٥/ ١٠٩) (١٢٦٩).

وأدْهَىٰ مِن ذَلكَ: مَا ثبتَ عَن بَعضِ الخُبثَاء فِي زَمانِنا، وكانَ يُناقِشُ أَحَد الطُّلاب فِي حَديثٍ رَواهُ مُسلِمٌ فِي «صَحيحِه»، وَهُو مِن الأحَاديثِ التِي تُخالِفُ مَا يَراهُ ذلكَ الخَبيثُ بِعقْلِه، فقَالَ لِلطَّالِب: «ضَعْ هَذا الحَديثَ تَحْتَ رِجْلِك»، وَهذِه رِدَّة صَرِيحَةٌ، وَلو كَانَ عِندَ ذَلكَ الخَبيثِ إسلامٌ لَمنعَهُ إسْلَامُه مِن مُقَابَلَةِ الحَديثِ الثَّابتِ عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ المُقَابَلة الفَظِيعة.

فَإلىٰ اللهِ المُشْتكىٰ مِنْ شَرِّ هذا الخَبيثِ وأضْرابِه مِنَ الزَّنَادِقة الذِين قَد أضَلُّوا كَثيرًا وَضَلُّوا عَن سَواءَ السَّبِيل: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾**﴾

[البقرة: ١١، ١٢].

وقد قَال الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمه اللهُ تَعالىٰ: «**مَنْ رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عَلَىٰ شَفَا هَلَكَةٍ**». [رَواهُ القَاضِي أَبُو الحُسَيْنِ فِي «**طبقات الحنابلة**»](١).

وقالَ الحَسنُ بن عَلِي بن خَلَف البَرْبَهَاري في كِتَابِه «**شَرْح السُّنَّة**»(٢): «إذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلىٰ الآثَارِ وَلا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإسْلامِ فَإنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ المَذْهَبِ والقَوْلِ، وَإِنَّمَا

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥).

(٢) انظر: «شرح السنة» (ص٧٩).

يَطعَنُ علىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ أصْحَابه».

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ أيْضًا[١]: «وَلا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مِنَ الإِسْلَام حَتَّىٰ يَرُدَّ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَرُدَّ شَيئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الإِسْلَامِ».

وقَال البَرْبَهَارِيُّ أيْضًا[٢]: «مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ رَدَّ الكِتَابَ كُلَّهُ، وِمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَدَّ الأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ العَظِيم».

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ أَيْضًا[٣]: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلامِ اللهِ أَوْ يُنْقِصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيئًا مِمَّا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ شيئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ البربهارِيُّ أيْضًا[٤]: «وإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ، أَوْ يَرُدُّ الآثَارَ، أَوْ يُرِيدُ غَيرَ الآثَارِ، فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلَام، وَلا شَكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ مُبْتَدِعٌ».

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٦٤).

(٢) المصدر السابق (ص٩٧).

(٣) المصدر السابق (ص١٠٢).

(٤) المصدر السابق (ص١١٢).

وقَالَ البَربَهَارِيُّ أيْضًا[(١)]: «وإذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالأَثَرِ فَلا يُرِيدُه وَيُرِيدُ القُرآنَ، فَلا شَكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قد احْتَوَىٰ علَىٰ الزَّنْدَقَةِ».

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ أَيْضًا[(٢)]: «مَنْ جحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ القُرآنِ، أَوْ فِي شَيءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقِيَ اللهَ مُكَذِّبًا». [انْتَهَىٰ المَقْصُودُ مِنْ كلامِ البَربَهَارِي].

ويَدُلُّ لِمَا صَرَّحَ بِه مِن القَولِ بِتكفيرِ مَن رَدَّ شَيئًا من أَحَاديثِ رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]، فأقْسَمَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِنفسِهِ الكَريمَةِ المُقَدَّسَةِ علىٰ نفْي الإيمَانِ عَمَّن لَمْ يُحَكِّم الرَّسُولَ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيرضَ بِحكمِهِ ويُقَابِلْه بالقَبُول والتَّسلِيم.

وقَال تَعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]. قال الإمَامُ أحمَد فِي الكَلامِ علىٰ هذِه الآيَة: «أَتَدرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَولِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبه

(١) المصدر السابق (ص١١٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٢).

شَيءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ»(١).

والآيَاتُ فِي الأمْرِ بِطاعَة الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنَّهْيِ عَن مُخَالَفتِه كَثيرةٌ جِدًّا.

وَقد ثَبَت عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإذَا فعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلىٰ اللهِ**».

[رَوَاهُ مُسلِمٌ مِن حَدِيثِ أبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وفِيهِ دَلِيلٌ لِمَن ذَهَب إِلَىٰ تَكفِير مَن رَدَّ شَيئًا مِن الأحَاديثِ الثَّابِتَة عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأنَّه قد تَرَك شَرْطًا مِن الشُّرُوطِ فِي عِصمَة الدَّمِ والمَال، وَهُو الإيمَان بِمَا جاء بِهِ الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

وَأَيْضًا فَإِنَّه لابُدَّ فِي صِحَّة الإسْلَام مِن تَحقيقِ الشَّهَادَة بِأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَمِن تحْقِيقِها تَصدِيقُ الأحَادِيثِ الثَّابِتَة عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُقَابِلَتها بِالقَبولِ والتَّسْليمِ، والبُعدُ عنْ مُعَارَضَتها بِالعُقول والآرَاء، وَمَن رَدَّ شيئًا منَ الأحَاديثِ الثَّابتَةِ عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَرَّح بِرفْضِها فَلا شَكَّ أنَّهُ لَم يُحقِّق الشَّهادة بِأنَّ مُحمدًا رَسُولُ اللهِ، وَمَنْ لَم يُحَقِّقْها فَلَيس بِمَعصُومِ الدَّمِ والمَال.

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ٢٦٠) (٩٧) بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٢١)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلنَرجِع إِلَىٰ ذِكرِ قَصَص المُؤذينَ لِرسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُنَاوِئين لَهُ، وَمَا أُصيبوا بِهِ مِنَ النَّكال فِي الدُّنْيا مَعَ مَا هُو مُعَدٌّ لَهُمْ مِن العَذابِ الأَلِيم المُقيمِ فِي الدَّار الآخِرَة.

فَمِن ذَلِك: قِصَّةُ إِلْقَاء السَّلَا علىٰ ظَهْرِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو سَاجِدٌ. قَال عبدُ اللهِ بن مَسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بينَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ البيتِ وَأَبُو جَهلٍ وَأَصْحابٌ له جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْل: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلانٍ فَيَأْخُذهُ فَيَضعهُ فِي كَتِفَي مُحَمَّد إذَا سَجَد؟ فَانْبَعَثَ أَشْقىٰ القَوْمِ فَأَخَذَه، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيهِ.

قَال: فَاسْتُضْحِكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَىٰ بَعْضٍ وَأَنا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُه عَن ظَهرِ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّىٰ انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ، وَهِيَ جُوَيْرِيَة، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ثُمَّ أَقبَلت عَلَيهِمْ تَشْتَمُهُم.

فَلَمَّا قَضىٰ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَه ثُمَّ دَعَا عَلَيهِم، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَال: «**اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرِيش**» ثَلَاث مَرَّات. فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ وَخَافُوا دَعْوَتَه.

ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَبِي جَهْل بن هِشَام، وَعُتْبَة بن رَبِيعَة، وشَيْبَةَ بن**

رَبِيعَة، والوَلِيدِ بن عُقْبَة(١)، وَأُمَيَّة بن خَلَف، وَعُقْبَة بن أَبِي مُعَيْطٍ، -وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ-».

فَوَالذي بَعَث مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، لَقَدْ رَأَيتُ الذِينَ سَمَّىٰ صَرْعَىٰ يَومَ بَدرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ القَلِيبِ، قَلِيبِ بَدر». [رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ والبخَارِي وَمُسْلِم. وهَذا لَفْظُ إِحْدَىٰ رِوَاياتِ مُسلِم].

وَفِي رِوَايَةٍ لأحمَد: قَال عَبد الله -وَهُو ابن مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَىٰ قُرِيش غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِد، فَإِنَّه كَان يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِن قُرَيْش جُلُوسٌ وَسَلا جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنه، فقَالُوا: مَنْ يَأخُذُ هَذا السَّلا فَيُلقِيه عَلىٰ ظَهرِه؟ قَال: فَقَال عُقْبَة بن أَبِي مُعَيطٍ: أَنَا، فَأَخذَه فَألقَاه عَلىٰ ظَهرِه». وذَكر بَقِيَّة الحَديثِ بِنحْو مَا تقدم. وقَال فِي آخِره: قَالِ عبدُ الله: «فَلَقَد رَأَيْتُهُم قُتِلُوا يومَ بَدرٍ جَميعًا، ثُمَّ سُحِبوا إلَىٰ القَلِيبِ، غَيرَ أُبَيٍّ -أَوْ أُمَيَّةَ- فَإِنَّه كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا فتَقَطَّع».

وفِي روَايَةٍ للبُخَاريِّ: أَنَّ رسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ القَلِيبِ لَعْنَةً**».

وقَدْ رَوَاه أَبُو نُعَيم فِي «**دَلَائِل النُّبُوَّة**» بِنَحوِ مَا تقَدَّم، وَزَاد بِعْدَ ذِكرِ دُعاءِ

---

(١) كذا جاء في «صحيح مسلم»، وصوابه: «الوليد بن عتبة»، وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ١٥٢).

النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قُريش وَتَسْمِيَتِه مَنْ سَمَّىٰ مِنهم. قَالَ: «ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المَسجِدِ وَلَقِيَهُ أبُو البُخْتُرِيُّ وَمَع أَبِي البُخْتُرِيِّ سَوْطٌ يَتخَصَّرُ[1] بِهِ، فَلَمَّا لَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ وَجْهَهُ فَأَخَذَهُ فقال: تَعالَ مَا لَكَ؟ قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلِّ عَنِّي**»، قَالَ: عَليَّ للهِ أَنْ لَا أُخلِّيَ عَنْكَ أَوْ تُخبِرَنِي مَا شَأْنُكَ، فَلَقَدْ أَصابَكَ شَيءٌ؟ فَلَمَّا عَلِمَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَيرُ مُخَلٍّ عَنْهُ أَخْبَره فقَالَ: «**إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ أَنْ يُطْرَحَ عَلَيَّ فَرْثٌ**».

فَقَالَ أَبُو البُخْتُرِيُّ: هَلُمَّ إِلَىٰ المَسْجِدِ، فَأَبَىٰ، فَأَخَذَهُ أَبُو البُخْتُرِيُّ فَأَدْخَلَهُ إِلَىٰ المَسْجِدَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الحَكَم، أَنْتَ الذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّد فَطُرِحَ عَلَيهِ الفَرْثُ؟ قَالَ: نَعَم، فَرَفَعَ السَّوْطُ فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَثَارَتِ الرِّجَالُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، فَصَاحَ أَبُو جَهْل فَقَالَ: وَيْحكُمْ! مَنْ لَهُ؟! إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُلْقِي بَيْنَنَا العَدَاوَةَ وَيَنْجُو هُو وَأَصْحَابِه»[2].

وَفِي «الصَّحيحَينِ» أيضًا: عَن عَبد اللهِ بنِ مَسعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكَعْبَةَ فَدعَا عَلَىٰ نَفَرٍ مِنْ قُرَيش، عَلَىٰ شَيْبَة بن رَبِيعَة، وَعُتْبَة بن رَبِيعَة، وَالوَلِيدِ بن عُتبَة، وأَبِي جَهْل بن هِشَام، فَأَشْهَدُ بِاللهِ لَقَد رَأَيْتُهُم

---

(١) أي: يمسكه بيده.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٣، ٤١٧) (٣٧٢٢، ٣٩٦٢)، والبخاري (٢٤٠، ٥٢٠) ومسلم (١٧٩٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٦)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صَرْعَىٰ قَدْ غَيَّرَتْهُم الشَّمْسُ وَكَانَ يومًا حارًّا». [هَذَا لَفْظُ البُخاري].

وَلَفظُ مُسلِم قَال: «اسْتقبلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيتَ فَدعَا عَلَىٰ سِتَّةِ نَفَرٍ فَيهم: أَبُو جَهل، وَأُمَيَّة بن خَلَف، وَعُتْبَة بن رَبِيعَة، وَشَيبَة بن رَبِيعَة، وَعُقْبَة بِن أَبِي مُعَيط، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لقَدْ رأَيْتُهُم صَرْعىٰ عَلَىٰ بَدْر قَد غَيَّرَتْهم الشَّمسُ وَكَان يَومًا حَارًّا». [وَقَد رَوَاه الإمَامُ أَحْمَد، والبَيْهَقِي فِي «**دَلَائِل النُّبُوَّة**» بِنَحْو رِوَايَةِ مُسلِمٍ، وَعَنْدَهُما فِي أَوَّلِه: «فَدَعَا عَلَىٰ نَفَرٍ مِن قُرَيش سَبْعَة»][1].

وقَد رَوَىٰ ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقَات**»[2]، عَن الوَاقِدَي قَال: حَدَّثَني ابن مَوْهِب، عَن يَعْقُوب بن عُتْبَة قَال: «كَانَ أَهْل العَداوةِ والمُبَادَاةِ لِرسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَصْحابِهِ، الذِين يَطْلُبُون الخُصُومَة والجَدَلَ؛ أَبُو جَهل بن هِشَام، وأَبُو لَهَب بن عبدِ المُطَّلِب -وَذكَرَ عِشْرِينَ رَجُلًا مِن أَئِمَّة الكُفْرِ وَصَنَادِيد قُرَيش ثُمَّ قَال-: وَالذِينَ كَانَتْ تَنْتَهي عَدَاوةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِم؛ أَبُو جَهْل، وَأَبُو لَهَب، وعُقْبَة بن أَبِي مُعَيط».

قُلتُ: وَقد انْتَقَم اللهُ مِن هَؤلاءِ الثَّلاثَة وَأَقرَّ عيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهلاكِهِم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤١٧) (٣٩٦٢)، والبخاري (٣٩٦٠)، ومسلم (١٧٩٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٥)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (١/ ٢٠٠)، وفي إسناده الواقدي تقدم بيان حاله.

فَأَمَّا أَبُو جَهْل فَإِنَّه قُتلَ فِي المَعرَكةِ يومَ بَدرٍ، ضَربَه ابنا عَفْرَاء حتَّىٰ بَرَدَ، ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيهِ عَبْدُ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحتَزَّ رَأْسَهُ وَجَاءَ بِه إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَلقَاهُ بَينَ يَديْهِ فَحَمِدَ اللهَ وَقَال: «**هَذَا فِرْعَونُ هَذِهِ الأُمَّةِ**».

وقَد رَوَىٰ البَيْهَقي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**»، عَن الوَاقِدي قَال: «وَقَف رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مَصرَعِ ابني عفْرَاء فقَال: «**يَرْحَمُ اللهُ ابني عَفْرَاءَ، فَهُمَا شُرَكَاءُ فِي قَتْلِ فِرْعَوْنِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَرَأْسِ أَئِمَّةِ الكُفرِ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ قَتَلَهُ مَعَهُمَا؟ قَال: «**المَلَائِكَةُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ شَرِكَ فِي قَتْلِهِ**»(١).

قَالَ ابن كَثيرٍ فِي «**البِدَايَة وَالنِّهَايَة**»(٢): «كَانَ قَتلُ أَبي جَهلٍ عَلَىٰ يَدَي شَابٍّ مِن الأنْصَار، ثُمَّ بَعدَ ذَلكَ وَقَف عَلَيهِ عَبدُ اللهِ بن مَسعُودٍ وَمَسَكَ بِلحْيتِهِ وَصَعِد عَلىٰ صَدرِه حَتَّىٰ قَالَ لَه: لَقَد رَقِيتَ مُرتَقًىٰ صَعبًا يَا رُوَيْعِيَّ الغَنَم! ثُمَّ بَعْدَ هَذَا حَزَّ رَأْسَهُ واحْتَمَلَهُ حَتَّىٰ وَضَعَه بَينَ يَدَي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَفَىٰ اللهُ بِهِ قلوبَ المُؤمنينَ، وكَان هَذا أَبْلَغ مِنْ أَنْ تَأتِيهِ صاعِقةٌ أَوْ أَنْ يَسقطَ عَليهِ سَقفُ مَنزلِهِ أو يَمُوتَ حَتْفَ أَنْفِه»؛ انتهىٰ.

وَقَد روَىٰ البَيهقِيُّ في «**دَلائِل النُّبُوَّة**» عَن أَبِي إِسْحَاق قَال: «لمَّا جَاء رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البَشيرُ يَومُ بدْرٍ بِقَتْلِ أَبِي جهْل اسْتَحْلَفَهُ ثَلاثَةَ أيمَان: اللهِ الذِي لا إِلَهَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٨)، وفي إسناده الواقدي تقدم.

(٢) (٣/ ٢٩٦).

إلا هُو لَقَدْ رَأَيتُهُ قَتِيلًا، فَحَلَفَ لَهُ، فَخَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجدًا»(١).

وَرَوىٰ البَيهَقِيُّ -أيْضًا- عَن عَبدِ اللهِ بن أَبِي أَوْفَىٰ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّىٰ الضُّحَىٰ رَكْعَتَين حِينَ بُشِّرَ بِالفَتْحِ وَحِينَ جِيءَ بِرَأْسِ أَبِي جَهْلِ(٢).

وَأَمَّا أَبُو لَهَب وَعُقْبَة بن أَبِي مُعَيط فَإِنَّهُمَا كانَا جَارَينِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَا يُؤذِيَانهِ أَشَدَّ الأذَىٰ.

قَالتْ عَائشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَينِ بَينَ أَبِي لَهَبٍ وَعُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ، إنْ كَانَا يَأتِيَان بَالفُرُوثِ فَيَطْرَحَانِهَا عَلَىٰ بَابِي، حَتَّىٰ إِنَّهُم لَيَأْتُونَ بِبَعْضِ مَا يَطْرَحُونَ مِنَ الأَذَىٰ فَيَطْرَحُونَهُ علىٰ بَابِي**»، فَيَخْرُجُ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف، أَيُّ جوَارٍ هَذا؟!**»، ثُمَّ يُلقِيهِ بِالطَّرِيق». [رَوَاهُ ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقَات**» وَذَكَره البِلَاذِرِيُّ فِي «**أَنْسَاب الأَشْرَاف**» بِنَحْوِه](٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩) وإسناده ضعيف مرسلًا. فيه عنبسة بن الأزهر أبو يحيىٰ الكوفي صدوق ربما أخطأ، وشيخه هو أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمداني ثقة مكثر عابد من الثالثة.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩) وإسناده ضعيف. فيه سلمة بن رجاء صدوق يغرب، والشعثاء امرأة من بني أسد، وهي شعثاء بنت عبد الله الأسدية، الكوفية لا تعرف.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٠١) وفي إسناده الواقدي تقدم. وانظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٣١).

وَذَكَر البِلَاذِرِيُّ أَيْضًا: «أَنَّ أَبَا لَهبٍ كانَ يَطرَح القَذرَ والنَّتنَ عَلىٰ بَاب رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَآهُ حَمزَةُ بن عَبدِ المُطَّلِب وَقَد طَرحَ مِن ذَلكَ شَيئًا، فَأَخذَهُ وَطرَحه عَلىٰ رَأسِه، فَجعلَ أَبُو لَهبٍ يَنْفِضُ رَأسَه وَيَقولُ: صَابِئٌ أَحْمَق، فَأَقْصَر عَمَّا كانَ يَفعَلُ لَكِنَّه كانَ يَدسُّ مَن يَفْعلُهُ». [وقَد ذَكَره ابن الأَثِير فِي «الكامل» بِنَحوِه][(١)].

وَقَد قَصَم اللهُ أَبَا لَهبٍ بَعد وَقعَةِ بَدر بِقليلٍ وَأَلحَقهُ بِإخوانهِ مِن أَئِمَّة الكُفرِ وصَنادِيد قُريش بَعدمَا أَذاقهُ حَرَّ المُصيبَةِ بِقَتلِهِم.

قَالَ ابن إِسْحاق: «حَدثَنِي حُسينُ بن عَبدِ اللهِ بن عُبيد اللهِ بن عَبَّاس، عَن عَكْرِمَة[(٢)] مَولىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: قَالَ أَبُو رَافعٍ مَولىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنتُ غُلامًا للعَبَّاس بن عبد المُطَّلب، وكانَ الإسلامُ قدْ دَخلَنا أَهْلَ البَيتِ، فَأَسْلَم العَبَّاسُ وأَسْلَمتْ أُمُّ الفَضلِ وَأَسْلَمْتُ، وكَانَ العَبَّاسُ يهابُ

---

(١) انظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٣١)، و«الكامل» (١/ ٥٩٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٧٣)، وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد اختلف فيه علىٰ ابن إسحاق، فأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٣٠٨) (٩١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٣) (٥٤٠٣)، وغيرهما من طريق محمد بن إسحاق -أيضًا- قال: حدثنا حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي رافع، فزاد في إسناده ذكر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكيفما كان فالحسين هذا ضعيف كما في «التقريب».

قَومَه ويَكْرَه خِلَافَهُم، وكَان يَكتُم إسْلَامَه، وكَان ذَا مَالٍ كَثيرٍ مُتفَرِّق فِي قَومِه.

وكَانَ أبُو لهَبٍ قَد تَخلَّفَ عَن بَدرٍ فَبعثَ مَكَانَه العَاصِي بن هِشَام بن المُغِيرَة، وَكَذلكَ كَانُوا صَنَعوا، لَم يَتَخلَّف رَجُلٌ إلا بَعَث مَكانَه رَجُلًا، فَلَمَّا جَاءه الخَبَر عَن مُصابِ أصْحابِ بَدرٍ مِن قُريش كَبَته اللهُ وأَخزَاه، وَوَجدْنا فِي أَنْفُسِنا قُوَّةً وَعِزًّا.

قال: وَكُنتُ رَجُلًا ضَعيفًا، وكُنتُ أعمَلُ الأقْداحَ أنْحَتُها فِي حَجرَة زَمْزَم، فَواللهِ إنِّي لَجالِسٌ فِيها أَنْحِت أَقدَاحي وعِنْدي أُمُّ الفَضْل جَالِسة، وقَد سَرَّنا مَا جاءنَا مِن الخَبَر؛ إذْ أقْبَل أبُو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجلَيهِ بِشَرٍّ حتَّىٰ جَلس عَلَىٰ طَنَب الحَجرَة فكَان ظَهْرُه إلَىٰ ظَهْري، فَبينَما هُو جَالِسٌ إذْ قَال النَّاس: هَذا أَبُو سُفيانَ بن الحَارثِ بن عبْد المُطَّلِب قَد قَدِم.

قَالَ: فَقَال له أبُو لَهبٍ: هَلُمَّ إِلَيَّ، فَعندَك لَعمْرِي الخَبَرُ، قالَ: فَجلس إلَيهِ والنَّاسُ قِيامٌ عَليه، فَقَال: يَا ابنَ أخِي، أخْبِرنِي كَيفَ كَان أمرُ النَّاس؟ قَال: واللهِ مَا هُوَ إلا أَنْ لَقِينَا القَومَ فَمَنحْنَاهُم أكْتَافَنَا يَقْتُلونَنَا كيفَ شاءُوا وَيأسِرُونَنا كيفَ شَاءوا، وايْمُ اللهِ، مَعَ ذلكَ مَا لُمْتُ النَّاس، لَقِينَا رِجَالًا بِيضًا عَلَىٰ خَيلٍ بلقٍ بَينَ السَّمَاء والأرْضِ، واللهِ مَا تلِيقُ[١] شَيئًا وَلا يَقُوم لَها شَيءٌ.

قَال أَبُو رَافع: فَرَفعتُ طَنَب الحَجرة بيَدي ثُمَّ قُلتُ: تِلكَ واللهِ المَلائِكَةُ،

---

(١) أي: ما تُبقي شيئًا.

قَال: فَرفعَ أبُو لَهبٍ يَدهُ فَضربَ بِها وَجهِي ضَربةً شَدِيدة، قَال: وَثَاوَرْتُه فَاحْتَمَلني فَضَرب بِيَ الأَرْضَ ثُمَّ بَركَ عَليَّ يَضرِبني، وَكُنتُ رَجُلًا ضَعيفًا، فَقامَت أُمُّ الفَضلِ إلَىٰ عَمودٍ مِن عُمُد الحُجْرَة فَأَخَذَتْهُ فَضربَتهُ بِه ضَربةً فَبلغَت فِي رَأسِه شَجَّة مُنْكَرة، وقَالتْ: اسْتضعَفْتَه أَنْ غَاب عَنهُ سيِّدُه، فَقام مُولِّيًا ذليلًا، فَوالله مَا عَاش إلا سَبْعَ لَيالٍ حتَّىٰ رَماه اللهُ بِالعَدَسَة فَقَتَلته».

زَادَ يُونُس عَن ابن إسْحَاق: «فَلَقَد تَركَهُ ابناه بَعدَ مَوتِه ثَلاثًا مَا دَفَنَاه حَتَّىٰ أَنْتَن. وكَانَتْ قُريش تَتَّقي هَذِه العَدَسَة كَما تَتَّقي الطَّاعُونَ، حتَّىٰ قَال لَهُم رَجُلٌ من قُريش: وَيْحكُما! ألا تَستَحيان؟! إنَّ أَبَاكُمَا قَد أَنْتَنَ فِي بَيتِه لا تَدفِنَانِه. فَقَالا: إنَّا نَخشَىٰ عَدْوَةَ هذِه القُرحَةِ، فقَالَ: انْطَلِقا فَأَنَا أُعِينُكما عَليه، فوَالله مَا غَسَّلُوه إلا قَذْفًا بِالمَاءِ عَليهِ مِن بَعيدٍ مَا يَدنُونَ مِنهُ، ثُمَّ احتَملوه إلَىٰ أعلَىٰ مَكَّة فَأَسْنَدُوه إلَىٰ جِدَارٍ ثُمَّ رَضَمُوا علَيه بِالحِجَارة».

وأَمَّا عُقبَة بن أَبِي مُعيطٍ فَقَد تَقدَّم فِي حَديثِ عَائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا أَنَّه كَان جَارًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ هُو وأَبُو لَهَب، وكَانَا شَرَّ جَارَينِ، وكَانَا يَأتِيانِ بِالفُرُوثِ فَيطْرَحانِهَا عَلَىٰ بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَيأتِيَانِ بِبعْضِ مَا يَطْرَحُون مِنَ الأَذَىٰ فيطْرَحَانِه عَلىٰ بَابِهِ.

قَالَ ابنُ الأثِيرِ فِي «**الكَامِل**»(١): «كَانَ -يعنِي عُقْبَة بن أَبِي مُعَيط- مِن أَشدِّ

(١) (١/ ٦٧١).

النَّاسِ أذىً لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعَداوةً له ولِلمُسلِمينَ، عَمَدَ إلَىٰ مِكْتَل فَجَعل فِيهِ عَذْرَة وَجَعَلهُ عَلىٰ بابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَصُرَ بِهِ طُلَيبُ بن عُمَير بن وَهْب بن عَبد مَنَاف بن قُصَي، وَأُمهُ أَروَىٰ بنتُ عَبد المُطَّلب، فَأَخذ المِكْتَلَ مِنْهُ وضَرَب بِه رَأْسَه وَأَخذ بِأُذُنيه، فَشَكاه عُقْبَةُ إلىٰ أُمِّه فقَال: قدْ صارَ ابنك ينْصُر مُحَمَّدًا، فَقَالت: وَمَن أوْلَىٰ بِه مِنَّا؟! أمْوَالُنا وَأنْفُسُنا دُونَ مُحَمَّد. وأُسِر عُقْبَة ببدرٍ فَقُتِل صَبْرًا، قَتَله عَاصمُ بن ثَابِت الأنْصاري، فَلَمَّا أَرَاد قَتلَهُ قَالَ: يَا مُحَمَّد، مَنْ للصِّبْيَة؟ قَال: «النَّارُ».

وَروَىٰ البَيهَقِيُّ فِي «دَلائِل النبوة»(١) عن الواقدي قال: «كانَ عُقبَة بن أبِي مُعَيط بِمَكَّة، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهاجرٌ بِالمَدينَة، فكَان يَقُول بِمَكَّة فِيهِ بِبيتَينِ مِن شِعر(٢)، فقَال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغه قَولُه: «**اللَّهُمَّ كُبَّهُ لِمِنْخَرِهِ وَاصْرَعْهُ**»، فَجَمَحَ بِهِ فَرَسُه يومَ بَدرٍ فَأَخذَهُ عَبدُ اللهِ بن سَلَمَة العِجْلَانِي، فأمَرَ بِهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاصِمَ بن ثابِت بن أبِي الأَفْلَح فَضَربَ عُنُقَه صَبْرًا».

وَقال حَمَّاد بن سَلَمَة، عَن عَطَاء بن السَّائِب، عَن الشَّعْبِي قَال: «لَما أَمرَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دَلائِل النبوة» (٣/ ٩٤) وفي إسناده الواقدي تقدم.

(٢) قد ذُكِر البيتان في حاشية «دلائل النبوة» وهما:

يا راكب الناقة القصواء هاجرنا ... عما قليل تراني راكب الفرس

أُعِلَّ رمحي فيكم ثم أنهله ... والسيف يأخذ منكم كل ملتمس

رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقتلِ عُقبَة، قَالَ: أَتَقْتُلني يا مُحَمَّدُ بينَ قُريش؟ قالَ: «**نعَمْ، أتَدْرُونَ مَا صَنعَ هَذَا بِي؟ جاءَ وَأنا سَاجِدٌ خلفَ المَقَامِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَىٰ عُنُقِي وَغَمَزَهَا فَمَا رَفَعَهَا حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنَيَّ سَتَنْدَرَان، وَجاءَ مَرَّةً أُخْرَىٰ بِسَلا شَاةٍ فَألْقَاه عَلَىٰ رَأسِي وَأنَا سَاجِدٌ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَغَسَلَتْهُ عَنْ رَأسِي**». [ذَكَرَهُ ابن كَثيرٍ فِي «**البداية والنهاية**»](١).

وَمِن قَصَصِ المُؤذِينَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قِصَّةُ أُمِّ جَمِيلٍ امرأةِ أَبِي لَهَب.**

قَال البِلَاذِرِيُّ: «كانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ ابنة حَرب تُؤذِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا، وَهِي حَمَّالَةُ الحَطَب، وَإِنَّما سمَّاهَا اللهُ تَعالىٰ بذَلِك لِأنَّها كانَتْ تَحمِلُ الشَّوْكَ فَتَطرَحهُ بِاللَّيلِ عَلىٰ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ يَمرُّ هُو وأَصْحَابُه لَتَعْقِرهم بِذَلك، فَبينَا هِي ذَاتَ يَومٍ تَحمِلُ حِزمَة أَعيَت فَقَعَدتْ عَلىٰ حَجَرٍ تَستَرِيحُ، أَتَاهَا مَلَكٌ فَجَذبَها مِن خَلفِهَا بِالحبْلِ الذِي فِي عُنُقِها فَخَنَقَها بِه»(٢).

وِمن قَصصِ المُؤذِين لِرسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قِصَّة عُتَيبَة بن أَبِي لَهب.**

---

(١) هذه القصة أوردها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٠٦). قال الألباني: «مرسل»، انظر: «الإرواء» (٥/ ٤٠).

(٢) انظر: «سبل الهدىٰ والرشاد» (٢/ ٤٦٣) للصالحي.

وَقَد رَوىٰ البَيهَقي قِصَّتَه فِي «**دلائل النبوة**»، مِن طَرِيق عَبَّاس بن الفَضْل الأَزْرَق قَال: حَدَّثَنا الأَسْوَد بن شَيْبَان، قَالَ: حدَّثَنا أبُو نَوْفَل بن أَبِي عَقْرب، عَن أَبِيه، قَال: «كانَ لَهَبُ بن أَبِي لَهَب يَسُبُّ النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويدْعُو عَليهِ، فقالَ النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيهِ كَلْبَكَ**»، قَالَ: وكَان أبُو لَهَب يَحْمِل البَزَّ إلَىٰ الشَّام ويَبْعَث بِوَلِده مَع غِلمانِهِ وَوُكلائِهِ ويَقُول: إِنَّ ابني أخَافُ عليهِ دَعوَةَ مُحَمَّد فَتعاهَدُوه، قَال: وَكانُوا إذَا نَزَل المَنزِلَ ألزَقُوه إلَىٰ الحَائطِ وغَطُّوا عَليهِ الثِّيابَ والمَتاع، قَال: فَفَعلوا ذَلكَ بِهِ زَمانًا، فَجَاءَ سَبعٌ فَنَشَلَهُ فقتَلَهُ، فَبَلغ ذَلكَ أبَا لَهبٍ: فَقالَ: أَلَمْ أَقُل لَكم إِنِّي أَخافُ عليهِ دَعوَة مُحَمَّد؟!». [قالَ البيهَقِيُّ: كَذا قَال عَبَّاسُ بن الفَضل ولَيسَ بالقَوِي: لَهب بن أَبِي لَهَب، وأهْلُ المَغَازي يَقُولُون: عُتْبَة بن أَبِي لَهَب، وقَال بُعضُهم: عُتَيبَة].

قلتُ: قَد رَواه الحَاكِم فِي «**المستدرك**»، منْ طريقِ العَبَّاس بن الفَضل الأَنْصَارِي، عَن الأَسْوَد بن شَيبَان، عَن أَبِي نَوفل بن أَبِي عَقْرب، عَن أَبِيه قَال: «كانَ لَهبُ بن أَبِي لَهَب يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَال النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ**»، فَخَرجَ فِي قَافلة يُرِيدُ الشَّامَ، فَنَزلَ مَنزِلًا فَقَال: إِنِّي أخَافُ دَعوَة مُحَمَّد، قَالوا لَه: كَلَّا، فَحطُّوا متاعَهُم حَولَهُ وَقَعدُوا يَحرُسُونَه، فَجَاء الأَسَدُ فَانتَزعَهُ فَذهبَ بِه». [قالَ الحَاكِم: صَحيحُ الإسْنَادِ، وَوَافَقهُ الذَّهَبي فِي «**تلْخِيصِه**»][١].

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٨)، والحاكم فِي «المستدرك» (٢/ ٥٨٨) =

قَالَ البَيهَقِيُّ: وَفِيمَا أخبَرَنا أَبُو عَبدِ اللهِ قِراءَة عَليه قَالَ: «كانَتْ أُمُّ كُلثُوم - يَعنِي ابنةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الجَاهِلِيَّةِ تَحتَ عُتَيبَةَ بن أبِي لَهبٍ، وَكَانَتْ رُقَيَّة تَحتَ أخِيهِ عُتبَة بن أبِي لهَب، فَلَمَّا أَنزَل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: ١]، قال أبُو لَهَب لابْنَيهِ عُتيبَة وَعُتبَة: رَأسِي ورُءوسُكُما حَرامٌ إِن لَم تُطَلِّقا ابنتَي مُحَمَّد، وَسَأل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُتبَة طَلاق رُقَيَّة وَسَألتْهُ رُقيَّة ذَلك. وقالَتْ لَهُ أُمُّ كُلثُوم[1] بِنت حَربِ بن أُمَيَّة -وَهِي حَمَّالَة الحَطَب-: طلِّقْها يا بُنَي، فَإنَّها قَد صَبَت، فَطَلَّقَها، وَطَلَّق عُتَيبةُ أُمَّ كُلثُوم.

وجَاء إلَىٰ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِين فَارَقَ أُمَّ كُلثُوم فَقالَ: كَفرتُ بِدِينك وفَارَقْتُ ابنتَك، لا تُحِبَّنِي وَلا أُحِبّك، ثُمَّ تسلَّط عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَقَّ قَمِيصَه، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنِّي أَسأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيهِ كَلْبَهُ**»، فَخَرج نَفرٌ مِن قُرَيش حتَّىٰ نَزلوا فِي مَكانٍ مِن الشَّام يَقُول لهُ: الزَّرْقَاء، لَيلًا فَأطَافَ بِهم الأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَة فَجعل عُتَيبَة يَقُول: يَا وَيلَ أُمِّي! هُو واللهِ آكِلِي كَما دَعَا مُحَمَّدٌ عَليَّ، قتَلَنِي ابن أبِي كَبْشَة وَهُو بِمَكَّة وَأنا بِالشَّام، فَعَدا عَليهِ الأَسَدُ مِن بَينِ القَومِ وأخَذَ بِرأسِهِ فضَغمَه ضَغْمَة فَذَبَحه».

=

(٣٩٨٤)، وغيرهما. وإسناده ضعيف جدًّا، فيه العباس بن الفضل الأنصاري متروك الحديث، انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٨٥).

(١) كذا في «دلائل النبوة»، والصواب: أم جميل.

قَالَ أَبُو عبْدِ اللهِ: فحَدَّثَنا بِجميعِ ذلِكَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعيل الحَافِظ قَال: حدَّثَنا الثَّقَفِي قَال: حدَّثَنا أحْمَد بن المِقدَامِ قَال: حدَّثَنا زُهَيرُ بن العَلاءِ العَبْدي، عَن ابن أَبِي عَرُوبَة، عَن قَتَادة، قَال زُهَير: وَحَدَّثَنا هِشَامُ بن عُروَة، عَن أَبِيه: أنَّ الأسَدَ لَمَّا طَافَ بِهِم تِلكَ اللَّيْلَة انْصَرفَ عَنهُم فنَاموا وَجُعِلَ عُتيبَة فِي وَسَطهِم، فأقْبَلَ الأسَدُ يَتَخطَّاهم حَتَّىٰ أخَذَ بِرأسِ عُتَيبَةَ فَفَدَغَه». [وَقَدْ رَوَىٰ أبُو نُعيم فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**» قِصَّة ابن أَبِي لَهَب مِن عِدَّة طُرُق](١).

وَمِن قَصَص المُؤذِين لِرسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والمُنَاوِئينَ لَهُ:** قِصَّة أُبَيِّ بن خَلَف، وَقَد رُوِيتْ قصَّتُه مِن طُرق.

منها: مَا رَواه ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقَات**» عن سعيد بن المُسَيِّب: «أنَّ أُبَيَّ بن خَلَف الجُمَحِي أُسِرَ يَومَ بَدرٍ، فَلمَّا افْتُدِي مِن رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَال لِرَسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ عِندِي فَرَسًا أعْلِفُها كُلَّ يومٍ فَرَقَ ذُرَة لَعَلِّي أقْتلُك علَيْها، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيهَا إنْ شَاءَ اللهُ**»، فَلمَّا كَان يَومَ أُحُدٍ أَقبَل أُبَيُّ بنُ خَلَف يَركُضُ فَرَسُه تِلكَ حتَّىٰ دَنَا مِن رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْتَرَضَ رِجالٌ مِن المُسلِمِينَ لَه لِيقْتُلُوه، فَقَال لَهُم رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَأخِرُوا اسْتَأخِرُوا**»، فَقَام رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَرْبَةٍ فِي

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، وانظر: «دلائل النبوة» -أيضًا- لأبي نعيم (ص٣٨٠).

يَدِه فَرمىٰ بِهَا أُبيَّ بنَ خَلَف فكَسرت الحَرْبَةُ ضِلعًا مِن أضْلاعِهِ، فَرجَع إِلَىٰ أصْحَابِهِ ثَقِيلًا فَاحتَمَلُوه حتَّىٰ وَلَّوا بِه، وطَفِقُوا يَقُولون لَه: لا بَأسَ عَليكَ، فقَال لَهم أُبيٌّ: أَلَمْ يَقُل لِي: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فانْطَلَق بِه أصحَابُه فَمات بِبعْضِ الطَّرِيق فَدَفَنُوه.

قالَ سَعيدُ بن المُسَيِّبِ: وَفِيه أَنزَل اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]».

وقَد رَوَاه الحَاكِم فِي «**المُستَدْرك**» مِن طَرِيقِ مُوسَىٰ بن عُقْبَة، عَن ابن شِهَاب، عَن سَعيد بن المُسَيِّب، عَن أَبِيه قَال: «أَقبَل أُبيُّ بن خَلَف يَوم أُحُد إِلىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُه، فاعْتَرَض رِجالٌ مِن المُؤمِنِينَ، فَأمرَهم رَسُول اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَلَّوا سَبيلَه، فاسْتَقْبلَه مُصعَبُ بن عُمَير أَخُو بَنِي عَبدِ الدَّارِ، وَرَأىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْقُوَةَ أُبَي مِنْ فُرجَةٍ بينَ سَابِغَة الدِّرْعِ والبَيضَة، فطَعَنَه بِحَربَتِهِ فَسَقطَ أُبَي عَن فَرَسه وَلَم يَخْرُج مِن طَعنَتِه دَمٌ، فَكَسَر ضِلعًا مِن أَضْلَاعِهِ، فَأَتَاه أَصْحَابُه وهُو يَخُور خِوَارَ الثَّوْر فَقالوا لَه: مَا أعْجزَك! إِنَّمَا هُو خَدْش، فَذَكر لَهم قَولَ رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُ أُبَيًّا**»، ثُمَّ قَال: وَالذِي نَفسِي بِيدِهِ، لَو كَان هَذا الذِي بِي بِأَهلِ ذِي المَجَاز لمَاتُوا أَجمَعِين. فَمَات أُبَي إِلَىٰ النَّار، فَسُحْقًا لأَصْحَاب السَّعِير قَبلَ أَن يَقْدمَ مَكَّة، فَأَنزَل اللهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية».

[قَالَ الحَاكِم: صَحِيحٌ علَىٰ شَرطِ الشَّيخَين، وَوَافَقه الذَّهَبي فِي «تَلخِيصِه». وَقَد رَواهُ البَيهَقِيُّ في «دلائل النبوة» بِنَحوِه][1].

وَقَولُ سَعيدٍ بن المُسَيِّب رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ: إنَّ الآيَة مِن سُورَة الأَنفَالِ نَزلتْ فِي رَمْي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُبَي بن خَلَف يَومُ أُحد غَريبٌ جِدًّا. والصَّحِيحُ أنَّ الآيَةَ نَزلتْ فِي رَمِي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَ الكَافرينَ يَومَ بَدرٍ بِالقَبضَةِ مِن التَّرابِ، فلَمْ يَبْقَ مُشركٌ إلا دَخل فِي عَينَيهِ ومِنْخَريهِ وَفَمهِ تُرابٌ مِن تِلكَ القَبْضَة فَوَلَّوا مُدبِرين.

وقَد رَوَىٰ ابنُ جَرير[2] عَن الزُّهرِي مِثل قَولِ سَعيد بن المُسَيِّب فِي تَفسيرِ الآيَةِ مِن سُورَة الأنْفَال. [قَال ابن كَثير[3]: وَهذَا القَولُ عَن هَذَينِ الإمَامَين غَريبٌ جِدًّا، ولَعَلَّهمَا أرَادَا أنَّ الآيَةَ تَتناوَلُهُ بِعُمومِها لا أَنَّهَا نَزلتْ فيهِ خاصَّة. انتهىٰ].

وقالَ ابنُ إسْحاق: «لَمَّا أُسْنِد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشِّعْب أدْرَكَه أُبي بن خَلَف وَهُو يَقُول: أيْنَ مُحمَّد؟ لا نَجَوْتُ إنْ نَجوتَ، فَقَال القَوْم: يَا

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٧) (٣٢٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٨)، وغيرهم من طرق عن سعيد بن المسيب به مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٨٧)، وغيره عن الزهري مرسلًا.

(٣) انظر: «تفسيره» (٤/ ٣٢).

رَسُول اللهِ، أيَعْطِف عَلَيه رَجُلٌ مِنَّا؟ فَقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**دَعُوهُ**»، فَلَمَّا دَنا مِنه تَناول رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الحَرْبَة مِن الحَارِث بن الصِّمَّة -يَقول بَعضُ القَوم، فِيما ذكر لِي-، فَلَمَّا أخَذَها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنه انْتَفَضَ بِها انْتِفَاضة تَطَايَرنَا عَنْه تَطَايرَ الشُّعَرَاء[1] عَن ظَهرِ البَعِير إذَا انْتَفَض بِها، ثُمَّ اسْتقبلَهُ فَطعَنَهُ فِي عُنُقِه طَعْنة تَدَأدَأ[2] مِنهَا عَن فَرَسِهِ مِرارًا».

قالَ ابنُ إسْحَاق: «وكانَ أُبَي بن خَلَف -كَمَا حَدَّثني صَالح بن إبْرَاهيم بن عَبدِ الرَّحمن بن عَوْف- يَلقَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّة فَيَقُول: يَا مُحَمَّد، إنَّ عِنْدي العَوْدَ فَرَسًا أعْلِفُه كُلَّ يوم فَرَقًا مِن ذُرةٍ، أقْتُلُك عليهِ، فَيَقول رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَلَمَّا رَجع إلَىٰ قُريش وقَدْ خَدَشَه فِي عُنُقِه خَدشًا غَيرَ كَبيرٍ فَاحتَقَن الدَّم، قَال: قَتَلني مُحَمَّد، قَالوا لَه: ذَهبَ واللهِ فُؤادُكَ! واللهِ إن بِك بَأسٌ. قَال: إنَّه قَد كَان قَالَ لِي بِمكَّة: «**أَنَا أَقْتُلُكَ**»، فَواللهِ لَو بَصَق عَليَّ لَقَتلَني، فَمَات عَدُوُّ اللهِ بِسَرِف وَهُم قَافِلون بِه إلَىٰ مَكَّة». [وَقَد رَواه ابن جَرير فِي «**تاريخه**» عَن ابن إسْحَاق][3].

---

(١) قال ابن الأثير وابن منظور: الشعراء ذبَّان حمر -وقيل: زرق- تقع على الإبل وتؤذيها أذىً شديدًا. انظر: «النهاية» (٢/ ٤٨٠) لابن الأثير.

(٢) قال ابن هشام: تدأدأ، يقول: تقلَّب عن فرسه فجعل يتدحرج. وفي «القاموس» (ص٣٩): تدأدأ: تدحرَج.

(٣) انظر: «السيرة» (ص١١٧) لابن إسحاق، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٦٧) للطبري.

ومِنْ قَصَص المُنَاوئين لِرسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المُحَرِّضِين علىٰ المُسلِمِين يَومَ بَدرٍ: قِصَّة نوفَل بن خُوَيلِد.

وَقد ذَكَرَهَا البَيهَقِيُّ في «**دلائل النبوة**»(١)، عَنِ الوَاقِدي قال: حدَّثني ابن راشِد، عَن الزُّهرِي قال: «قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم بَدرٍ: «**اللَّهُمَّ اكْفِني نَوفَلَ بن خُوَيلد**»، ثُمَّ ذَكر الحَديثَ فِي قَتلِهِ. قالَ: فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِنَوْفَلِ بن خُوَيلِدٍ؟**» فقَال عَلِيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَا قَتَلْتُه. قَالَ: فَكَبَّر النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقَالَ: «**الحَمْدُ للهِ الذِي أجَابَ دَعوَتي فِيهِ**».

ومِن قَصَص المُؤذِين لِرَسولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قِصَّة أَبِي الأَصْدَاءِ الهُذَلِي.

قَال مُحَمَّد بن سَعْد فِي «الطبقات»(٢): أَخْبرَنا مُحَمَّد بن عُمر -يَعنِي الوَاقِدي- قَال: حَدَّثَني ابن مَوْهب، عَن يَعْقُوب بن عُتبَة قال: «كانَ أهْل العَدَاوة والمُبَاداة لِرسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحَابِهِ، الذِينَ يطْلُبونَ الخُصُومَة والجَدَل؛ أبُو جَهلٍ بن هِشَام، وأبُو لَهَب بن عبْدِ المُطَّلب -وَذَكَر عِشرِين مِن أئِمَّة الكُفْر وصَنَادِيد المُشْرِكين، وَذَكر مِنهُم ابن الأصدىٰ الهُذَلي-. قَال: وَهُوَ الذِي نَطَحَته الأَرْوَىٰ».

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٩٤). وإسناده ضعيف، فيه الواقدي-تقدم. فضلًا عن إرساله، فالزهري من رءوس الطبقة الرابعة.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٠١) ومحمد بن عمر هو الواقدي، تقدم.

وذكَر البِلَاذري[١]: «أنَّ أبَا الأصْدَاء كانَ يُؤذِي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَان يَقُول لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّما يُعلِّمُك أهلُ الكِتابِ أسَاطِيرَهم، وَيقُول لِلنَّاس: هُو مُعلَّم مَجْنُون، فدَعَا عَلَيه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّه لَعلىٰ جَبَلٍ إذْ اجْتَمَعت عَلَيهِ الأرْوَىٰ فَنطَحَتْه حَتَّىٰ قتَلَته».

وَمِن قَصصِ المُؤذِينَ لِرسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُعادينَ لَهُ: قِصَّة النَّضْرِ بن الحَارِث.

قالَ البيَهَقِيُّ في «دَلَائِل النُّبُوَّة»[٢]: «كانَ النَّضْر مِن شَياطِينِ قُريش وَمِمَّن كَان يُؤذِي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويَنْصِب لَه العَدَاوَة».

وقَال ابن الأثِير فِي «الكَامِل»[٣]: «كانَ أشَدَّ قُرَيش فِي تَكذِيب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأذَىٰ لَه ولأصْحَابِه، وكانَ ينْظُرُ فِي كُتُبِ الفُرسِ ويُخَالطُ اليَهودَ والنَّصارَىٰ، وسَمِعَ بِذكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقُربِ مَبْعَثِه، فقَالَ: إنْ جَاءنَا نَذيرٌ لنكُونَنَّ أهْدَىٰ مِن إحْدَىٰ الأمَمِ، فنزَلت: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النحل: ٣٨] الآية. وكانَ يقُول: إنَّما يأتِيكُم مُحَمَّد بِأسَاطِيرِ الأوَّلِين، فنَزَل فِيه عِدَّة آيَات. أسَرَه المِقْداد يَوم بَدر، وأمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) انظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٥٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠١) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وفي إسناده مَن لم يُسم.

(٣) انظر: «الكَامِل» (١/ ٦٧٠).

بضَربِ عُنُقِه، فَقَتلهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالب صَبرًا بِالأُثَيْل»؛ انتهىٰ.

ومِن قَصَص المُنَاوئين لِرسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قِصَّة أرْبِد بن قَيس، وعَامِر بن الطُّفَيل.

قالَ ابنُ إسْحَاق[1]: «وقَدِم عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفْدُ بَنِي عَامِر فِيهم: عَامِر بن الطُّفَيْل، وأَرْبِد بن قَيْس بن جزء بن خَالد بن جَعْفر، وجَبَّار بن سَلْمىٰ بن مَالِك بن جَعْفر؛ وكَانَ هَؤلاءِ الثَّلاثَة رُؤسَاءَ القَوم وشَياطِينَهم. فقَدِمَ عَامر بن الطُّفَيل عَدوُّ اللهِ علَىٰ رسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُو يُريدُ الغَدرَ بِهِ. وقَد قَالَ لَه قَوْمُه: يَا عَامر، إنَّ النَّاس قَد أَسْلَموا فَأَسْلِم، قَال: واللهِ لَقَد كُنتُ آلَيْتُ أَنْ لَا أَنْتَهي حتَّىٰ تَتبع العَربُ عَقِبي، أفأَنَا أَتَّبِع عَقِبَ هَذا الفَتَىٰ مِن قُرَيش؟! ثُمَّ قَال لأَرْبِد: إذَا قَدِمنا علَىٰ الرَّجُل فَإِني سَأَشْغَل عَنكَ وَجهَه، فَإذا فَعَلَتُ ذَلك فَاعْلُه بِالسَّيفِ، فلمَّا قِدموا عَلىٰ رَسول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال عَامر بن الطُّفَيل: خَالِّني[2]، قَال: «**لا وَاللهِ حَتَّىٰ تُؤمِنَ بِاللهِ وَحْدَه**»، قالَ: يَا مُحَمَّد خَالِّني، وجَعَل يُكَلِّمه وَيَنتَظِر مِن أَرْبد مَا كَان أمَرَه بِهِ، فَجَعل أَرْبد لَا يُحير شَيئًا. فلمَّا رَأىٰ عَامر مَا يصْنَع أَرْبد قَال: يَا مُحَمَّد، خَالِّني، قَال: «**لا، حَتَّىٰ تُؤمِنَ بِاللهِ وحْدَه لا شَرِيكَ**

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٢٨) لابن القيم، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٦٧- ٥٦٩).

(٢) خالني: يُروىٰ بكسر اللام مخففة وبتشديدها مكسورة. فالأول معناه: تفرد لي خاليًا حتىٰ أُحدِّثك علىٰ انفراد. والثاني معناه: اتَّخِذْني خليلًا، مِن المخالَّة، وهي الصداقة. انظر: «سبل الهدىٰ والرشاد» للصالحي (٦/ ٣٦٤).

لَهُ»، فلمَّا أبَىٰ عليهِ رَسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: أمَا وَاللهِ لَأمْلأنَّها عليكَ خيلًا ورِجالًا. فَلمَّا وَلَّىٰ قَال رسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِني عَامِر بن الطُّفَيلِ**».

فلمَّا خَرجوا مِن عِندِ رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال عَامر لأرْبِد: وَيلكَ يَا أربِد! أيْنَ ما كنتُ أمرْتُك بِهِ؟ واللهِ مَا كانَ علىٰ ظَهرِ الأرْضِ رَجُلٌ هَو أخْوَف عِندِي عَلىٰ نَفسِي مِنكَ، وايْم اللهِ لا أخَافكَ بَعدَ اليَوم أبدًا، قالَ: لا أبَا لَك! لا تَعْجَل عَليَّ، واللهِ مَا همَمتُ بِالذِي أمَرتَني بهِ مِن أمره، دَخَلْتَ بَيني وبَين الرَّجل حتَّىٰ مَا أرَىٰ غيْرَك، أفأضْرِبك بِالسَّيف؟

وخَرجوا راجِعين إلىٰ بِلادِهم حتَّىٰ إذَا كَانوا بِبَعضِ الطَّرِيق بَعثَ اللهُ علَىٰ عَامِر بن الطُّفَيل الطَّاعونَ فِي عُنُقِه فقَتلهُ اللهُ فِي بيتِ امْرَأةٍ مِن بَني سَلُول. فَجَعل يقُول: يَا بَني عَامر، أغُدَّة كَغُدة البِكر فِي بَيت امْرَأة مِن بَني سَلُول؟!

قال ابن إسْحَاق: ثُمَّ خَرجَ أصْحابُه حِين وَارَوْه حتَّىٰ قَدِموا أرضَ بَني عَامر، فَلَمَّا قَدِموا أتَاهم قَوْمُهم فقَالوا: مَا وَرَاءكَ يَا أَربد؟ قَال: لا شَيء، واللهِ لقَدْ دَعَانا إلىٰ عِبَادة شَيء، لَوَدِدت أنَّه عِندِي الآنَ فأرْمِيه بِالنَّبل حَتَّىٰ أقْتُله.

فَخرَجَ بَعدَ مقَالتِهِ بيومٍ أوْ بِيومَينِ مَعَه جَملٌ لَه يَتبَعُه، فَأرسَلَ اللهُ عَليهِ وَعلَىٰ جَملِهِ صَاعِقةً فَأحرقَتْهُما. وكَان أرْبد أخَا لُبَيد بن رَبيعَة لِأمهِ».

قال ابن هِشام: وذَكَر زَيد بن أسْلَم، عَن عَطَاء بن يَسَار، عن ابن

عبَّاس(١) رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا قال: «وأنْزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي عَامر وَأَربِد: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ [الرعد: ٨]، إلىٰ قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١]، قالَ: والمُعقِّبَات هِي مِن أمْرِ اللهِ يَحفَظُون مُحمَّدًا، ثُمَّ ذَكَر أَرْبِدَ وَما قَتَلَه اللهُ بِه فَقَال: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد: ١٣]».

وَقالَ ابنُ سَعدٍ فِي «**الطَّبَقات**»(٢): قَالوا: «وقَدِمَ عَامر بن الطُّفَيل بن مَالك بن جَعْفَر بن كِلاب، وأَرْبِد بن رَبِيعَة بن مَالك بن جَعْفر، عَلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقَالَ عَامر: يَا مُحَمَّد، مَا لِي إنْ أَسْلَمت؟ فقَال: «**لَكَ مَا لِلمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَىٰ المُسْلِمِينَ**»، قَالَ: أتَجْعل لِي الأمْرَ مِن بَعْدِك؟ قَال: «**لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلا لِقَوْمِكَ**»، قَالَ: أَفتَجْعَل لِي الوَبَرَ وَلَكَ المَدَر؟ قَال: «**لا، وَلَكِنِّي أَجْعَلُ لَكَ أَعِنَّةَ الخَيْلِ فَإِنَّكَ امْرُؤٌ فَارِس**»، قَال: أَوَلَيْسَت لِي؟! لأَمْلأَنَّها

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣١٨-٥٢٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به مرسلًا، ورواه سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة به مرسلًا. وهذه الرواية عند ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ١٤٤)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣١٢) (١٠٧٦٠)، و«الأوسط» (٩/ ٦٠) (٩١٢٧)، وغيره، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه عبد العزيز بن عمران القرشي الأعرج، يعرف بابن أبي ثابت، متروك. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٤٨١) عن ابن جريج مرسلًا. وفي إسناده سُنيد بن داود المصيصي، أبو علي المحتسب، ضعيف.

(٢) انظر: «الطبقات» (١/ ٣١٠).

عَليكَ خَيلًا ورِجَالًا. ثُمَّ وَلَّيَا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهُمَا، اللَّهُمَّ وَاهْدِ بَنِي عَامِر، وَأَغْنِ الإِسْلَامَ عَنْ عَامِر**» -يعْنِي ابن الطُّفَيل-. فَسَلطَ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عَلىٰ عَامِر دَاءً فِي رَقَبتِهِ فَاندَلَع لِسَانُه فِي حَنجَرَته كَضَرع الشَّاةِ، فمَال إِلَىٰ بَيتِ امْرأةٍ مِن بَني سَلُول وقالَ: غُدَّة كَغُدَّة البِكر ومَوتٌ فِي بَيتِ سَلُولِيَّة، وأرْسَل اللهُ علَىٰ أرْبِد صَاعقَةً فقتَلَتْه، فَبَكاه لبيد بن رَبِيعة».

[وقَد رَوَىٰ ابنُ جَرير فِي «**تَاريخِه**»، والبَيهَقِيُّ فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**» قِصَّة عَامر بن الطُّفَيل وأرْبِد بن قَيس مِن طَريق ابن إسْحَاق بنَحْو مَا تَقَدم عنه. وفِي رِوَاية ابن جَرِير، عَن ابن إسْحَاق، عَن عَاصم بن عُمَر بن قتَادَة[1]، ورَوَاها الطَّبَراني فِي «**الأوْسَط**» و«**الكَبِير**» مِن حَديثِ ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بِنحْو رِوَاية ابن إسْحاق[2]. ورَوَاها ابن جَرير أيضًا في «**تَفْسِيره**» مِن حَديثِ ابن جُرَيج بِسياق مُخْتَصر][3].

وَمِن قَصَص المُعَاجَلة بِالانْتِقَام: مَا نَقَله السَّمْهُودي فِي كِتَابه «**وفَاء الوَفَاء بِأخْبَار دَار المُصْطَفَىٰ**»[4]، عَن ابن زبَالَة أنَّه قَال: حَدَّثني غَير واحِدٍ من أَهَل العِلم -فذَكَر قِصَّة توسِيع المسْجِد النَّبَوي فِي زمَن الوَليد بن عبْدِ المَلك-. وفيهَا: «أنَّ الوَليد كَتبَ إِلَىٰ مَلكِ الرُّوم: إنَّا نُريدُ أنْ نُعَمِّر مَسجِد نَبينا الأعْظَم

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ١٤٤)، و«دلائل النبوة» (٥/ ٣١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣١٢) (١٠٧٦٠)، و«الأوسط» (٩/ ٦٠) (٩١٢٧).

(٣) «تفسير الطبري» (١٦/ ٣٩٣) (٢٠٢٧٢).

(٤) (٢/ ٩٣).

فَأعِنَّا فيهِ بِعُمَّال، قالوا: فبَعَث إليهِ بِضعَة وَعِشرينَ عامِلًا، قال: فَبينَما أولَئكَ العُمَّال يَعمَلُون فِي المَسجدِ إذْ خَلا لَهم المَسجِد، فقَال بَعضُ أولَئكَ العُمَّال مِن الرُّوم: ألا أبُول علَىٰ قَبرِ نَبيِّهم، فتَهيأ لِذلكَ فنَهاه أصْحابُه، فلمَّا هَمَّ أنْ يَفعَلَ اقْتُلِع فَأُلْقِي عَلىٰ رَأسِه فانْتَثَر دِمَاغُه، فأسْلَم بَعضُ أولِئك النَّصارىٰ.

وعَمِل أحَدُ أوْلئكَ الرُّوم علَىٰ رأسِ خَمسِ طَاقاتٍ فِي جِدارِ القِبلة فِي صَحن المَسجِدِ صُورةَ خِنزير، فَظَهر عَليهِ عُمر بن عَبد العَزيزِ فأمَر بِه فَضُربت عُنُقه».

ومِن قَصَص العُتَاة الذِين أُهْلِكوا بِالصَّواعِق: «مَا جَاء فِي حَديثِ ثَابت البُنَاني، عَن أَنَس بن مَالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَث رَجُلًا مَرَّة إلَىٰ رَجُل مِن فَرَاعِنة العَرب، فَقَال: «**اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي**»، قَالَ: فَذَهبَ إلَيهِ، فقَالَ: يَدعُوكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَال لَه: مَنْ رَسُول اللهِ؟ وَمَا الله؟ أمِن ذَهبٍ هُو، أمْ مِن فِضَّة هُوَ، أمْ مِن نُحَاس هُو؟ قَال: فَرَجع إلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَأخبره فقَال: يَا رَسولَ اللهِ، قَد أخْبَرتُك أنَّه أعْتَىٰ مِن ذَلكَ. قَال لِي كَذا وَكَذا، فَقال لِي: «**ارْجِعْ إلَيهِ الثَّانِيَةَ**»، فَذَهب فقَال لَهُ مِثلَها، فَرَجع إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَال: يَا رَسُول اللهِ، قَد أخْبَرتُكَ أنَّه أعْتَىٰ مِن ذَلكَ، فَقَال: «**ارْجِعْ إلَيهِ فَادْعُهُ**».

فَرَجَع إليهِ الثَّالِثَة، قَال: فَأعادَ عَليهِ ذَلكَ الكَلامَ، فَبينَما هُو يُكلِّمه إذْ بَعَث اللهُ عَزَّوَجَلَّ سَحابَة حِيالَ رأْسِه فَرعَدَت، فَوَقَعت مِنهَا صَاعِقَةٌ، فَذَهبتْ بقَحفِ رَأسِهِ، فأنْزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ**

يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]. [رَوَاه أَبُو يَعلىٰ والبَزَّار وابْنُ جَرِير والطَّبَراني. قَال الهَيثَمي: وَرِجَال البَزَّار رِجَال الصَّحيحِ غير دَيْلم بن غَزْوَان وَهُو ثِقَة، وفِي رِجَال أَبِي يَعلَىٰ والطَّبَراني عَلِي بن أَبِي سَارَّة وَهُو ضَعِيف][(١)].

ورَوَىٰ ابن جَرِير أيْضًا، عَن عبْدِ الرَّحمنِ بن صَحَّار العَبدِي[(٢)]: «أنَّه بَلَغه أنَّ نَبِي اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث إلَىٰ جبَّار يَدعُوه فقَال: أرَأيْتُم ربَّكُم؛ أذَهَبٌ هُو أم فِضَّة هُو أمْ لُؤلُؤ هُو؟ قَال: فَبينَمَا هُو يُجَادِلُهم إذْ بَعثَ اللهُ سحَابةً فَرَعَدت، فأرْسَل اللهُ علَيهِ صَاعقَة فَذَهبتْ بِقَحفِ رَأسِه، فأنْزَل اللهُ هذِه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]».

ورَوَىٰ ابن جَرير أَيْضًا، عَن مُجَاهد[(٣)] قال: «جَاءَ يَهُودي إلَىٰ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَال: أخْبرنِي عَن رَبِّك مِن أيِّ شَيءٍ هُو؟ مِن لُؤلُؤٍ أوْ مِن يَاقُوت؟

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٦/ ١٨٣) (٣٤٦٨)، والبزار في «المسند» (٣/ ٥٤) (٢٢٢١) كشف، وابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٦) (٢٦٠٢)، وغيرهم من طرق عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٧٩) عن عبد الرحمن العبدي مرسلًا.

(٣) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٧٩) عن مجاهد مرسلًا. وفي إسناده ليث بن أبي سُليم، صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فتُرِك.

فَجاءَت صَاعِقةٌ فَأخَذَته، فأنْزَل اللهُ: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾».

ورَوىٰ ابن جَرِير أيضًا، عَن عَلي[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «جَاء رَجُل إِلَىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَال: يَا مُحَمَّد، حَدِّثني مَن هَذا الذِي تَدْعُو إِلَيهِ، أيَاقُوتٌ هُو؟ أذَهَبٌ هُو، أمْ مَا هُوَ؟ قالَ: فنَزلت علىٰ السَّائِل الصَّاعِقةُ فأحْرَقَته، فأنزَل اللهُ: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ الآية».

وَرَوىٰ ابن جَرير أيضًا عَن قَتَادة قَال: «ذُكِر لَنا أَنَّ رَجلًا أنْكَر القُرآنَ وَكذَّب النَبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأرسَل اللهُ عليهِ صَاعِقةً فَأهلَكَته، فأنْزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيه: ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾»[2]، وهذِه الآثَارُ يَشُدُّ بَعضُها بَعْضًا.

ومِن قَصَص ذَوِي المُجُون والاسْتِهْتَار والاستِهزَاء بِالسُّنَّة: مَا ذَكره ابن خلِّكَان، مِمَّا نَقلهُ مِن خَطِّ الشَّيخ قُطب الدِّين اليُونِيني قالَ: «بَلَغنا أنَّ رَجُلًا يُدعَىٰ أبَا سَلامَة مِن نَاحِية بُصْرىٰ، كَان فِيه مُجونٌ واسْتِهتارٌ، فَذُكِر عِندَهُ السِّوَاكُ ومَا فِيه مِن الفَضيلَةِ، فقَالَ: واللهِ لا أسْتَاكُ إلا فِي المَخْرج -يعْني دُبُرَه- فأخَذَ سِوَاكًا فَوَضعه في مَخرجِهِ ثُمَّ أخْرجَه فمَكَث بَعدَه تِسعَة أشْهُر وهو يَشكُو مِن ألَم البَطنِ والمَخْرَج. فوَضَع وَلدًا علىٰ صِفَة الجِرذانِ لَه أرْبَع قَوائم ورَأس كَرَأس السَّمَكَة، ولَه أرْبَعة

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٨٠) وفي إسناده سيف بن عمر، ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٨١) عن قتادة.

أنْيَاب بَارِزة وذَنَب طَويل مِثل شبر وأرْبَع أصابع، وله دُبُر كَدُبر الأرْنَب.

ولمَّا وضَعَه صَاح ذَلك الحَيوان ثَلاث صَيحات، فقَامت ابنَة ذَلكَ الرَّجل فَرَضَخت رَأسَه فَماتَ. وعَاش ذلكَ الرَّجُل بَعد وَضعِه لَه يَومين ومَات فِي الثَّالث. وكان يَقُول: هَذا الحَيوان قَتلني وَقَطَّع أمْعَائي. وقَد شَاهَد ذلِكَ جمَاعَة مِن أهْلَ تلك النَّاحِية وخُطَباء ذَلك المَكَان، ومِنهُم مَن رَأىٰ ذَلِك الحَيَوان حَيًّا، وَمنهُم مَن رَآه بَعد مَوتِه». [وقَد ذَكَر هَذه القِصَّة ابن كَثِير فِي «**البِدَاية والنِّهَاية**» فِي حَوَادث سَنَة خَمسٍ وسِتِّين وستمَائة، وذَكَرها أيضًا عَبد الحَي بن العِمَاد في «**شذرات الذهب**»][١].

وفِي هَذه القِصَّة عِبرةٌ للمُعتَبِرينَ وَموعِظة لِلذينَ يَستَهزِئونَ ببعضِ الأحَاديثِ الثَّابتةِ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ولَا يُبالونَ بِرفْضِها واطِّرَاحِها ومُقَابَلة بعْضِها بِأسْوأ المُقَابلة، ولاسِيَّما إذَا كانَ الحَديثُ مُخالفًا لمَا يَرونَه بِعقولِهم القَاصرة وآرائِهم الفَاسِدة. وقدْ رأيْنَا ذَلكَ فِي كُتب ومَقَالات لِبَعض الأجْلافِ الذين قَد أُعْجِبوا بأنْفُسهم وكتَابَاتِهم الخَاطِئة؛ ومَا أكْثَرَهم فِي زمَانِنا! لا كَثَّرَهم الله.

ومنْ قَصصِ المُكذِّبين بِالقدرِ: مَا روَاه اللالكائي فِي «**شَرح السُّنَّة**» عَن حمَّاد بن زَيد قَال: «جَعل رَجلٌ لِرَجلٍ جُعْلًا علىٰ أنْ يَعْبُرَ نَهرًا، قالَ: فَعَبر حتَّىٰ إذَا قَرُبَ مِن الشَّطِّ قَال: عَبَرتُ واللهِ، فقالَ لهُ الرَّجُل: قُل إنْ شَاءَ اللهُ، قَال: شَاء أوْ

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٤٩)، و«شذرات الذهب» (٧/ ٥٥١).

لمْ يَشَأ، قَال: فَأَخذَته الأَرْضُ»(١).

ومِن قَصَص الذِين يَسبُّون الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: مَا ذَكَره ابن القَيمِ فِي كِتَاب «**الرُّوح**»(٢) عَن القَيروَانِي، أنَّه ذَكَر فِي كِتَاب «**البُستَان**»، عن بَعضِ السَّلَف قَال: «كانَ لِي جَارٌ يَشْتُم أبَا بَكر وَعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلمَّا كانَ ذاتَ يوم أكْثَر مِن شَتمِهما، فَتَناوَلتُهُ وتَناولَنِي، فانْصَرفْتُ إلىٰ مَنزِلي وأنَا مَغمُومٌ حَزينٌ، فنِمْتُ وتَركت العَشَاء، فَرَأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَام فَقُلتُ: يَا رَسُول اللهِ! فُلانٌ يُسبُّ أصْحَابك، قَال: «مَنْ أصْحَابِي؟»، قلتُ: أَبُو بَكْر وَعُمَر، فَقَال: «خُذْ هَذِه المُدْيَة فَاذْبَحْهُ بِها»، فَأَخَذْتُها فَأَضْجَعتُه وذَبَحتُه ورأيْتُ كَأنَّ يَدَي أصَابَها مِن دَمِه، فألقَيتُ المُديَة وأهْوَيتُ بِيدي إلَىٰ الأَرْضِ لأمْسَحَها، فانْتَبهت وأنَا أسْمَع الصُّرَاخ مِن نَحْو دَارِه، فقلْتُ: مَا هَذا الصُّرَاخ؟ قالوا: فُلانٌ مَات فَجأة، فَلمَّا أصْبَحنا جِئتُ فَنظرتُ إليه فَإذا خَطٌّ مَوْضِع الذَّبْح». [وقَد ذَكَر هذِه القِصَّة ابن الجَوزِي فِي «**سِيرة عُمَر بن الخَطَّاب**» عَن رضْوَان السمان].

ومِن قَصصهم أيْضًا: مَا ذكَره ابنُ القَيمِ فِي كتَابِ «**الرُّوح**»(٣)، عَن القَيرَوَانِي أنَّه قَال: قَال مُحَمَّد بن عَبد الله المُهَلَّبِي: «رَأيتُ فِي المَنَام كَأنِّي فِي

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٨٠٢) (١٣٣٩)، وابن بطة في «الابانة» (٤/ ٩٣) (١٥٠٧).

(٢) (ص١٨٩).

(٣) (ص١٩٠).

رَحْبَة بَنِي فُلان، وإذَا النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَالسٌ علَىٰ أَكَمَة وَمَعَه أَبُو بَكر، وعُمَر واقفٌ قُدَّامَه، فقالَ لَه عُمَر: يَا رَسولَ اللهِ، إنَّ هَذا يَشتِمُنِي ويَشتِمُ أبَا بَكر، فَقال: «جِئْ بِهِ يَا أبَا حَفْص»، فَأَتَىٰ بِرَجُل فَإِذَا هُو العُمَانِي، وَكانَ مَشهُورًا بِسبِّهِما، فقَالَ لهُ النَّبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَضْجِعْهُ»، فَأَضْجَعَه ثُمَّ قَال: «اذْبَحْهُ»، فَذَبَحه. قَال: فَما نَبَّهَنِي إلا صِيَاحُه، فَقُلت: مَا لِي لا أُخْبِرُه عَسىٰ أنْ يَتُوبَ، فَلمَّا تَقرَّبتُ مِن مَنزِله سَمعتُ بُكاءً شَديدًا، فَقُلت: مَا هذَا البُكاء؟ فَقُالوا: العُمَاني ذُبِح البَارِحة علَىٰ سَرِيره، قَال: فَدَنوت مِن عُنُقه فَإذا مِن أُذُنِه إلىٰ أذُنِه طَرِيقَة حَمْراء كَالدَّم المَحصور».

ومن قَصَصِهم أيضًا: مَا رَواه اللالكائي فِي «شَرحِ السُّنَّة»(١)، عن خلف بن تَمِيم قَال: حَدَّثنا عُمَير أبُو الحَبَّاب، عَن عَمَّار بن سَيف الضَّبي قال: «خَرجْنَا في غَزَاةٍ فِي البَحرِ وعَلينا مُوسَىٰ بنُ كَعب، فكانَ مَعَنا فِي المركِبِ رَجلٌ يُكنىٰ أبَا حِمان، فأقبل يَشتِمُ أبَا بكْرٍ وعُمَر، فَنهيناهُ فَلم يَنتَهِ وزَجرْناه فلمْ يَنزَجِرْ، فأتَينا عَلىٰ جَزيرَة فِي البَحرِ، فأرْفَينَا إليهَا، ثُمَّ خَرجنَا وتفَرقنَا نريدُ الوُضوءَ لِصلاةِ الظُّهر، فأُخبِرنَا أنَّ الدَّبر -يعْنِي الزَّنَابير- وقَعَت عَلىٰ أبِي حِمَان فأتَتْ عَلىٰ نَفسِه، قال: فَدَفعتُ إلَيه وَهوَ مَيتٌ».

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٢٩) (٢٣٦٤).

قالَ خلفُ بنُ تَميم: فَزادَنِي فِي هذَا الحَدِيث نَجْدَةُ بن المُبَارك السُّلَمي قالَ: «سَمِعتُ أبَا الحَبَّاب يذْكرُ شَيئًا فَأخبرَ النَّاسَ فتعَجَّبوا وقالُوا: هَذِه كَانتْ مَأمُورةً، قَال نَجْدَة: فأقْبَل قَومٌ يَحْفُرون فاسْتوعَرت علينَا الأرْضُ وصَلُبت، فَلم نَقدِر أنْ نَحْفُر لَه فألقَينَا عليهِ الحِجَارة وَورق الشَّجر. قالَ خَلف: وَكان صَاحِبٌ لَنَا يَبُول فَوقعَتْ نَحْلةٌ علىٰ ذَكَره فَلم تَضُرَّه فَعلَمْنَا أنَّها كانَت مَأمُورةً».

ورَوَىٰ اللالكائي[1] أيضًا، عن عُمَر بن الحَكَم، عَن عَمِّه قال: «خَرجْنَا نُريدُ مدان وَمَعَنا رَجُلٌ يَسُبُّ أبَا بَكْر وعُمَر، قَال: فَنَهيناه فَلم يَنْتَه، وانْطَلق لِيَقضِي حَاجَته فَوَقع عَلَيه الدَّبرُ فَلم يُقْلع عَنه حَتَّىٰ قطعَه».

ومِن قَصَصهم أيضًا: مَا رَوَاه الخَطيبُ البَغْدَادي فِي «تارِيخِه»[2]، عَن إسْمَاعيلِ بن حمَّاد بن أَبِي حَنِيفَة قالَ: «كَانَ لَنا جَارٌ طَحَّانٌ رافِضي وكَان لَه بَغْلانَ سمَّىٰ أحدُهُما أبَا بَكر والآخر عُمَر، فَرمحه ذَات لَيلةٍ أحدُهُما فَقتله، فَأُخْبِرَ أبُو حَنيفَة قالَ: انْظُروا البَغْل الذِي رَمَحه الذِي سَمَّاه عُمَر فَنظَروا فكَان كَذَلك».

وَروىٰ اللالكائي فِي «شرْح السُّنَّة»[3] عَن سُفيانَ الثَّوْري قَال: «كُنتُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٠) (٢٣٦٦).

(٢) (١٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٢) (٢٣٧١).

أغْدُو إلَىٰ الصَّلاةِ بغَلَس، وكانَ لَنا جَارٌ لهُ كَلبٌ عقورٌ، فقَعدتُ أنْظُر حَتَّىٰ يَتنحَّىٰ، فقَالَ لِي الكَلبُ: جُزْ يَا أبَا عَبد اللهِ، فَإنَّما أمْرتُ بِمنْ يَشتمُ أبَا بكْر وعُمَر».

وَفِي البَاب قِصَّةٌ لِقائدٍ مِن قُوَّاد الدَّيْلم صَرَّح بِالبَراءَة مِن أَبِي بَكْر وعُمَر، فَأَخذه اللهُ وجَعلهُ عِبرةً للمُعتَبرينَ، وسَيأْتِي ذِكرُها فِي آخِر الكِتابِ إنْ شَاء اللهُ تَعالَىٰ(١).

وَمِن قَصَص الذِين يَسُبُّون الصَّحَابَة أيضًا: مَا رَوَاه الحَاكمُ فِي «**المُسْتَدْرَك**» عَن مُصعَب بن سَعْد، عَن سَعْد -يَعنِي ابن أبِي وَقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنهُ-: «**أَنَّ رَجُلًا نالَ مِن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَدَعا علَيهِ سَعدُ بنُ مَالكٍ فجَاءَتهُ نَاقةٌ أو جَملٌ فقَتَله، فأعْتَق سَعدٌ نَسَمة وحَلَف أنْ لا يَدعُو عَلىٰ أحَد**»(٢).

ومنْ قَصَصهم أيْضًا: مَا رَوَاه الحَاكمُ عَن قَيس بن أَبِي حَازم قَال: «كُنتُ بِالمَدينَة فَبينَا أنَا أطُوفُ فِي السُّوقِ إذْ بَلغْتُ أحَجارَ الزَّيتِ، فَرأيتُ قومًا مُجْتَمعينَ عَلىٰ فَارسٍ قَد رَكبَ دَابَّةً وَهُو يَشتِم علِيَّ بن أَبِي طَالِب، والنَّاسُ وقُوف حَوالَيهِ، إذْ أقْبَل سَعدُ بن أَبِي وَقَّاص فوَقَف عَلَيهِم فَقالَ: مَا هذَا؟ فقَالُوا: رَجُلٌ يَشتِمُ عَلِيَّ بن أَبِي طَالِب، فَتقدَّمَ سعدٌ فَأفرَجُوا لَهُ حتَّىٰ وقَفَ علَيهِ، فقَال: يَا هَذا، عَلَىٰ مَا تِشتِمُ عَلِيَّ بن أَبِي طالِب؟ ألَمْ يَكُن أوَّلَ مَن أسَلَم؟! ألَمْ يَكُن أوَّلَ

---

(١) انظر: (ص٢١١).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧١) (٦١٢٠).

مَن صَلَّىٰ مَع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ألَمْ يكُن أزْهَد النَّاسِ؟! ألَمْ يكُن أعْلَم النَّاس؟! وذَكر حَتَّىٰ قَال: ألَم يَكُن خِتنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ابنتِه؟! ألَمْ يَكُن صَاحِب رَايَة رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَوَاته؟! ثُمَّ اسْتَقْبَل القِبلَة ورَفَع يَدَيهِ وَقالَ: اللَّهمَّ إِنَّ هَذا يَشتِمُ وَليًا مِن أوْلِيَائِك، فَلا تُفَرِّق هَذا الجَمعَ حَتَّىٰ تُرِيهِم قُدرَتَك.

قَال قَيسٌ: فوَاللهِ مَا تفرَّقْنَا حتَّىٰ سَاختْ بِه دَابَّتُه فرمَتْه عَلىٰ هَامَتِه فِي تِلكَ الأحْجَار فانْفَلَق دِمَاغُه وَمات». [قالَ الحَاكِمُ: صَحيحٌ عَلىٰ شَرطِ الشَّيْخَينِ، وَوافقهُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَلخيصِه»][(١)].

وَمِن قَصَصهم أيْضًا: مَا رَوَاه الطَّبَرَاني فِي «**الكَبِير**» عَن عَامر بن سَعد قَال: «بينَمَا سَعدٌ يَمشِي إذْ مَرَّ بِرجُلٍ وَهُو يَشتِمُ عَليًا وطَلحَة والزُّبَيرَ، فَقَال لَه سَعد: إنَّك تَشتِم قَومًا قدْ سَبَق لَهم مِن اللهِ مَا سَبَق، فَوَاللهِ لَتكُفَّنَّ عَن شَتْمِهم أو لأدْعُوَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عليكَ، فَقال: تُخَوِّفُنِي كَأنَّك نَبِي، فَقال سَعد: اللَّهُمَّ إنَّ هَذا يَشتِم أقوَامًا سَبَق لَهمْ مِنكَ مَا سَبقَ فَاجعَلهُ اليَومَ نكالًا. فَجاءت بَخْتِيَّة فَأفْرَج النَّاس لَها فَتَخَبَّطَتْه فَرأيتُ النَّاس يَتْبَعُون سَعْدًا ويقُولونَ: استَجَاب اللهُ لكَ يَا أبَا إسْحَاق». [قَال الهَيْثَمِي: رِجَالُه رِجَال الصَّحِيح. وقَد رَوَاه أبُو نُعيم فِي «**دلائِل النُّبُوَّة**» من

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧١) (٦١٢١).

حَديثِ سَعيد بن المُسَيِّب بنحوه][(١)].

وَمِن قَصَصِهم أيْضًا: مَا رَواه الطَّبَراني فِي «**الكَبِير**» عَن قَبِيصَة بن جَابر الأسَدِي قَال: «قَالَ ابن عَمٍّ لَنَا يَومَ القَادِسِيَّة:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَنْـزَلَ نَصـرَهُ وَسَـعْدٌ بِبَـابِ القَادِسِـيَّة مُعْصَـمُ
فَأُبْنَـا وَقَـدْ آمَـتْ نِسَـاءٌ كَثِيـرَةٌ وَنِسْـوَةُ سَـعْدٍ لَـيْسَ فِـيهِنَّ أَيِّـمُ

فَلَمَّا بَلغ سعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَولَه قَال**: اللَّهُمَّ اقطَع عَنِّي لِسَانه وَيدَه، فجَاءت نَشَّابَة فأصَابَت فَاهُ فَخَرِسَ، ثُمَّ قُطِعت يَدُه فِي القِتَال».

وفِي رِوَاية أنَّه قالَ: «اللَّهُم اقْطَع لِسانَه ويَدَه عَنِّي بِمَا شِئتَ، فَرُمِي يَوم القَادِسِيَّة وقُطِع لِسانُه وقُطِعت يَدُه وَقُتِل». [قالَ الهَيثَمِي: رَواه الطَّبَراني بِإسْنَادين رِجالُ أحَدِهما ثِقَات. وقدْ رَواه أبُو نُعَيم فِي «**دَلائِل النُّبُوة**» بِنحْوه][(٢)].

وَمِن قصَصهم أيْضًا: مَا ذَكَره أبُو سَعد السَّمَعَاني، عَن الشَّيخ العَارف يُوسُف الهَمَذَاني، عَن الشَّيخ الفَقِيه أبِي إسْحَاق الشِّيرَازي، عن القَاضِي أبِي الطَّيب الطَّبَري قَال: «كُنَّا جُلوسًا بالجَامِع بِبغْدادَ فَجَاء خُرَاسَاني سَألنَا عَن المُصَرَّاة، فَأجبْنَا فِيها واحتَجَجنَا بِحديثِ أبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَطَعن فِي أبِي

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٤٠) (٣٠٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٥٦٨)، وغيرهما من طرق عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٤١) (٣١٠، ٣١١)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٥٦٨)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤).

هُريرَة فوَقَعت حَيَّةٌ مِن السَّقفِ وجَاءتْ حَتَّىٰ دخَلتْ الحَلقة وذَهبَت إلىٰ ذَلكَ الأعْجَمِي فضَرَبَته فقَتَلَتْهُ». [ذَكَر هذِه القِصَّة شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاس بنُ تَيميَة فِي جَوابٍ لَه فِي الرَّدِّ علىٰ مَن تكَلَّم فِي أبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ. وَهذا الجَوابُ فِي المُجلدِ الرَّابع منْ «مَجمُوع الفَتاوىٰ» صفحة (٥٣٢ - ٥٣٩)، فَليُراجُع فَإنَّه مُهمٌّ جدًّا، وليُرَاجع المُجلَّد كله ففِيه الرَّدُّ عَلىٰ الذِين يسبُّون الصَّحَابة وأهَلَ الحَديثِ ويَتنقِصُونَهم].

ومِن **قَصَص النَّكَال التِي فِيها عِبرَةٌ لِلمُعتَبرينَ ومَوْعِظة لِلمُتَّقِين**: مَا ذَكره نُور الدِّين عَلي بن أحْمَد السَّمْهُودي في كِتَابه «**وَفَاء الوَفَاء بِأَخْبَار دارِ المُصْطَفىٰ**»(١) قال: ذَكَر المُحِبُّ الطَّبَري في «**الريَاض النَّضِرة فِي فَضَائِل العَشَرَة**» قال: أخبَرَني هَارُون ابن الشَّيخ عُمر بن الزُّعْب -وَهُو ثِقَة صَدُوقٌ مَشهورٌ بالخَيرِ والصَّلَاحِ والعِبَادَة-، عَن أبِيه -وكَان مِن الرِّجَال الكِبَار- قالَ: «كُنتُ مُجَاورًا بِالمَدينَة، وشَيخُ خُدَّام مَسجِد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إذْ ذَاك شَمسُ الدِّين صَواب اللَّمَطِي، وَكانَ رَجلًا صَالحًا كَثيرَ البر بِالفُقَراء، وكانَ بِينِي وبينَه أُنس، فَقَال لي يَومًا: أُخْبِرُك بعَجِيبَةٍ، كَانَ لِي صَاحبٌ يَجلسُ عِندَ الأمِيرِ ويَأتِيني مِن خَبَره بِمَا تَمَسُّ حَاجَتي إلَيهِ، فَبينمَا أنَا ذَات يَومٍ إذْ جَاءني فَقال: أمْرٌ عَظيمٌ حَدَثَ اليَوم، قُلتُ: مَا هُو؟ قال: جَاء قَومٌ مِن أهْلِ حَلَب وبَذَلوا لِلأمِير بَذلًا كَثِيرًا

---

(١) (٢/ ١٨٩).

وسَألوه أنْ يُمَكِّنَهم مِن فتْحِ الحُجْرَة وإخْراج أَبِي بَكر وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مِنْها فأجَابهُم إلىٰ ذلِكَ.

قَال صَواب: فَاهتَمَمْتُ لذَلكَ هَمًّا عَظِيمًا فَلمْ أَنْشب أنْ جَاء رَسُول الأمِير يَدعُونِي إلَيهِ فأجَبْتُه فقَال لِي: يَا صَواب، يَدُقُّ عَليكَ الليلَة أَقْوَامٌ المَسجِد فافْتَح لَهم وَمَكِّنْهم مِمَّا أرَادوا وَلا تُعَارضْهم وَلا تَعتَرضْ عَلَيهم، قالَ: فَقُلتُ له سَمْعًا وطَاعَة.

قَال: وخَرجْت ولَم أزَل يَومي أجَمْع خَلف الحُجرة أبْكِي لَا تَرقَأ لِي دَمعَة ولا يَشعُر أَحَدٌ مَا بِي، حتَّىٰ إذَا كانَ اللَّيلُ وصَلَّينَا العِشاء الآخِرَة وخَرَج النَّاسُ مِن المَسجد وَغَلَّقنا الأبْوابَ فَلم نَنشب أنْ دَقَّ البَاب الذِي حِذَاء بَاب الأمِير- أي بَاب السَّلام- قَال: فَفَتحتُ البَاب، فَدَخل أرْبَعون رَجلًا أعُدُّهم وَاحدًا بَعدَ وَاحِد، ومَعَهم المَسَاحي والمَكَاتل والشُّمُوع وآلات الهَدْم والحَفْر.

قالَ: وقَصدوا الحُجْرَة، فَواللهِ مَا وصَلوا المِنبَر حتَّىٰ ابْتلَعَتهُم الأرْضُ جمِيعَهم بِجميعِ مَا كانَ مَعهُم مِن الآلاتِ وَلم يَبقَ لَهم أثَرٌ، قالَ: فاستَبْطأ الأمِيرُ خَبرَهم، فَدَعانِي وَقال: يا صَواب، ألمْ يَأتِك القَومُ؟ قُلتُ: بَلىٰ، وَلكن اتَّفَق لَهم مَا هُو كيت وكيت، قَال: انْظُر مَا تَقُول، قُلتُ: هُو ذَلكَ وَقم فانْظُر هَل ترَىٰ مِنهُم بَاقيةً أَوَ لهُم أثَرًا. فَقَال: هَذا مَوضِع هَذا الحَدِيث، وإنْ ظَهَر مِنك كانَ يقطَعُ رأسك، ثُمَّ خَرجْتُ عنه».

[**قَالَ المُحِبُّ الطَّبري**: فلمَّا وَعيتُ هَذهِ الحِكَايةِ عَن هارُونَ حَكيتُها لِجَماعة مِن الأصْحَاب فِيهم مَن أثِق بِحدِيثه فَقال: وأنَا كُنتُ حَاضرًا فِي بَعضِ الأيَّام عِندَ الشَّيخِ أبِي عَبدِ اللهِ القُرطُبي بِالمدِينة، والشَّيخ شَمس الدِّين صواب يَحكِي لَه هَذه الحِكَاية، سَمِعتُها بأذُنِي مِن فِيه. انتهىٰ ما ذكره الطبري.

قَالَ السَّمْهُودِي: وَقد ذَكَر أبُو مُحَمَّد عَبد اللهِ بن أبِي عَبد اللهِ بنِ أبِي مُحَمَّد المَرْجَاني هذِه الوَاقِعَة باخْتِصَار فِي «**تَاريخِ المَدِينَة**» لَهُ، وَقَال: سَمِعتُها مِن وَالدي -يعْنِي الإمَامَ الجَليلَ أبَا عبد اللهِ المَرجَاني- وقَال لِي: سَمعْتُها مِن وَالدي أبِي مُحَمَّد المَرجَاني سَمِعَها مِن خَادِم الحُجْرة. قَال أبُو عَبد اللهِ المَرْجَاني: ثُمَّ سَمعْتُها أنَا مِن خَادم الحُجرة الشَّرِيفَة، وذَكر نَحو مَا تَقَدَّم إلا أنَّه قَال: فَدَخل خَمسَة عَشَر -أو قَال: عِشرُون- رَجُلًا بِالمسَاحِي، فَما مَشَوا غَير خُطوَة أوْ خُطْوَتينِ وابْتَلَعتْهُم الأرْضُ. انتهىٰ].

ومِنْ قَصَص النَّكَال التِي فِيها عِبرَة ومَوعِظَة: مَا ذَكَره الشَّيخُ كَمَال الدِّين جَعْفَر بن ثَعْلَب الأدْفَوي فِي كِتَابه المُسَمَّىٰ بـ«**الطَّالِع السَّعِيد الجَامِع أسْمَاء نُجبَاء الصَّعِيد**»(١) قَال: «اتَّفَق بِإخْمِيم أنَّ شَخْصًا زَنَىٰ بامْرأةٍ يومَ عَرفة، فَالتَصَقا وأُخْرِجَا مُلتَصِقَين ومَاتا، وعُمِلَ بِذلكَ مَحضَرٌ عِندَ الحَاكم».

قلتُ: سَيأتِي إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ فِي الفَصْلِ الذِي بَعد هَذا الفَصل قِصَّة

(١) (٣٩٦).

شَبِيهَة بِهذِه القِصَّة[١]، إلا أنَّ الزَّانِيَين عُولِجا فانْفَكَّ كُلٌّ منْهُما عَن صَاحِبه وعَاشَا بَعدَ ذَلكَ.

ومِن قَصَص العُقُوبَة عَلَىٰ الكَذِب: قِصَّة أرْوَىٰ بِنتُ أوَيس مَع سَعِيد بن زَيد بن عَمْرو بن نُفَيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقد روىٰ قصَّتَها مُسْلِم فِي «**صَحِيحه**»، مِن طَرِيق عُمَر بن مُحَمَّد: أنَّ أبَاه حدَّثَه، عَن سَعيد بن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل: «أنَّ أرْوَىٰ خَاصَمَتهُ في بَعضِ دَارِه، فَقالَ: دَعُوها وإيَّاهَا، فإنِّي سَمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيرِ حَقِّهِ طُوِّقَهُ فِي سَبعِ أَرضِينَ يَومَ القِيَامَة**»، اللَّهُمَّ إنْ كانَتْ كاذِبَة فَأعْمِ بَصَرَها واجْعَل قَبرَها في دَارِها.

قَال[٢]: فَرأَيْتُها عَمياء تلتَمِس الجُدُر تَقُول: أصَابَتْنِي دَعوَة سَعيد بن زَيد، فَبينَمَا هي تَمْشي فِي الدَّار مَرَّت عَلىٰ بِئر في الدَّار فَوَقعت فِيها فكَانت قَبرَها».

ورَوَاه أيْضًا مِن طَريق هِشام بن عُروَة، عَن أبِيه: «أنَّ أرْوَىٰ بِنْت أوَيْس ادَّعَت عَلىٰ سَعيد بن زَيد أنَّه أخَذ شَيئًا مِن أرْضِها، فخَاصَمته إلَىٰ مَروَان بن الحَكم، وذَكَر بَقِيَّة الحَديث بنَحو مَا تقَدَّم».

---

(١) انظر (ص ١١٧ – ١١٨).

(٢) القائل هو: محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، وهو الذي روىٰ الحديث عن سعيد بن زيد.

وقَد ذَكر هَذهِ القِصَّة أبُو نُعَيم فِي «**الحِلْية**» مِن عِدَّة طُرق.

منْهَا: عَن أَبِي بَكر بن مُحَمَّد بن عمْرو بن حَزم: «أَنَّ أَرْوَىٰ اسْتَعْدَت عَلَىٰ سَعيد بن زَيْد إِلَىٰ مَرْوَان بن الحَكَم، فَقال سَعِيد: اللَّهُمَّ إنَّها قدْ زَعمتْ أَنِّي ظَلمتُها، فإنْ كانَت كَاذِبة فَأَعْمِ بَصرَها وألقِهَا فِي بئرِها وأظْهر مِن حَقِّي نُورًا يُبَيِّنُ لِلمُسْلمينَ أنِّي لَمْ أظْلِمْها، قَال: فبينَمَا هُم عَلىٰ ذَلكَ إذْ سَالَ العَقيقُ بَسيلٍ لَم يَسلْ مَثلهُ قَط، فكَشَف عَن الحَدِّ الذِي كَانا يَختَلفانِ فيهِ، فَإذا سَعيدٌ قَد كَان فِي ذَلكَ صَادقًا، ولَم تَلبثْ إلا شَهرًا حتَّىٰ عَميتْ، فبَينَا هِي تَطوفُ فِي أرضِها تِلك إذْ سَقطَت في بئرها.

قالَ: فَكُنا ونَحنُ غِلمَان نَسمعُ الإنْسانَ يَقُول للإنْسَان: أعْمَاك اللهُ كَما أعْمَىٰ الأرْوَىٰ، فلا نَظُن إلا أنَّه يُرِيد الأرْوَىٰ التِي مِن الوَحْش، فَإذا هُو إنَّما كَان ذَلكَ لِمَا أَصَاب أرْوَىٰ مِن دَعْوة سَعِيد بن زَيد، ومَا يتَحَدَّث النَّاس بهِ مِمَّا استَجَاب اللهُ لهُ سُؤلَه».

وقَد ذَكَر ابن عَبد البَرِّ فِي «**الاسْتِيعَاب**» قِصَّة أَرْوَىٰ مَع سَعيد بن زَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن عِدَّة طُرُق، وفِي بَعضِها: «أَنَّ أَرْوَىٰ بَعدَما عَمِيت كَانتْ تَقوم مِن اللَّيْل وَمَعها جَارِية لَها تَقُودُها لِتُوقِظ العُمَّال، فقَامتْ ليلَة وتَركَت الجَارِية لَم تُوقِظْها، فَخَرجت تَمشِي حتَّىٰ سَقطتْ فِي البِئر فأصْبحَت مَيِّتة»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٧)، وغيرهما، وانظر: =

ومِن العُقُوبَة عَلىٰ قَتلِ أهْلِ الخَيرِ والصَّلَاحِ: مَا وَقعَ للحَجَّاج بن يُوسُف بِسبَب قَتلِه سَعِيد بن جُبَير.

وقد ذَكَر قِصَّتَه فِي ذلِكَ أبُو العَرب مُحَمَّد بن أحْمَد بن تَميم التَّمِيمِي في كِتَاب «**المِحَن**»[(١)]، وهِي قِصَّة طَوِيلة ذَكَرها مِن عِدَّة طُرق.

منْها: مَا رَواه مِن طَرِيقِ عبدِ اللهِ بنِ الوَليد. وَقدْ جَاء فِي هذِهِ الرِّوايَة: «أنَّ سعِيد بن جُبَير دَعَا عَلىٰ الحَجَّاج قَبل أنْ يُذْبَح فَقَال: «اللَّهُمَّ لا تُسَلِّطْه عَلىٰ أحَدٍ يَقْتُله بَعْدِي»، فَلَم يَقتل بَعدَه أحَدًا. وبَلَغني أنَّه عَاش سِتَّ عَشَرة لَيلة وَوَقَعت الآكَلَةُ فِي بَطنِهِ، فَدعَا بِطبيبٍ لِينظُر إلَيهِ، فَلَمَّا نَظَر إلَيهِ دَعَا بِلحمٍ مُنتَن فَعلَّق فِي خَيطٍ أسْوَد فَسَرَّحَه فِي حَلقِه، ثُمَّ تَركَه سَاعة ثُمَّ اسْتَخرجَه وَقد لَزِق بِهِ الدُّودُ، فَعلمَ أنَّه ليسَ بنَاجٍ.

وبَلغَنا أنَّه كَان يُنادِي فِي بَقية حَيَاته: مَا لِي ولِسَعيد بن جُبَير! كُلَّما أرَدْتُ النَّوم أخَذَ برِجْلي. وبَلَغه أنَّه كَان دَعا عَليهِ بِالزَّمْهَرير، قالَ: فكَانوا يَجْعَلون حَولَه الكَوَانِين قَد مُلِئَت جَمْرًا مَع مَا كَان قَد دَثَّرُوه، فَمَا زَال فِي عَذَابِه ذَلك، فَأرْسَل فِي طَلَب الحسَن فأتاهُ فاعْتَذَر إلَيهِ وشَكا مَا نَزَل بِه، فَقالَ لهُ الحَسنُ: قدْ نَهيتُك مَرَّة بَعد أُخرىٰ أنْ لا تَتعرَّض للصَّالِحين، ولا تكنْ مِنهُم إلا بِسبِيلِ خَيرٍ، فَأبَيتَ

=

«الاستِيعاب» (٢/ ٦١٨).

(١) (ص٢٤٢).

ولَججْتَ ليَقْضِي اللهُ أمرًا كَان مَفْعُولًا، فَقَد انْتَهىٰ بَكَ الكِتابُ أجَله، ثمَّ مَات».

وفِي رِواية: «أنَّ سَعيد بن جُبير لَمَّا قُتِل ضَرب الحَجاجَ الزَّمْهَريرُ فِي بَطنِه، فَصاحَ: خَلُّوا سَبيلَ الرَّجُل، فَخَرج النَّاس فَأصَابُوه قَتِيلًا، فَأخْبَروا الحَجَّاج فَنَاديٰ: دَثِّرُوني، فَما انْتَفع بِشيءٍ، قال: مَا أرَىٰ الدِّثَار يَنفَعُني شَيئًا، عَلَيَّ بِالنَّار.

فأَتوه بالكَوانِين فَجَعلوا النَّار حَولَه مِن كُلِّ نَاحِية حتَّىٰ احْتَرقَت ثِيابُه وهُوَ فِي ذلكَ يَصيحُ مِن شِدَّة البَردِ، فتجرَّد وأقْبَل يَصْطَلي حتَّىٰ تفَطَّر جسَدُه ولَمْ يَنفعْه شَيء، فلمَّا عظُمَ البَلاء عليهِ قَال: ائتُونِي بالحَسَن، فأتوه بِه فَصاحَ الحَجاجُ: يَا أبَا سَعيد، أدْرِكْني مَا لِي ولِسعِيد! فَقالَ له الحَسن: مَا لِسَعيد وَمَالكَ يا حَجَّاج، لَو تَركتَ سَعِيدًا لَتركَكَ اللهُ، أمَا نَهيتُك يا حجَّاج أنَ تَتعرَّض لأحَدٍ منْ أوْلِياءِ اللهِ؟! فَلمَّا نَظر الحسنُ إلَىٰ مَا نـزلَ بهِ منَ العَذابِ وضَع يدَه علَىٰ أمِّ رأسِهِ ثُمَ صَاح بِأعلَىٰ صوتِه، ثُمَّ أقْبَل يبْكِي علَىٰ نفْسِه. فقَال لَه الحجَّاج: يَا أبَا سَعيد، أرْسَلتُ إليكَ أسْتَغيثُ بكَ وأنتَ تبكِي علَىٰ نفْسِك، فَقال الحَسن: أمَّا أنْتَ يا حجاج فَقَد عُجِّل لَكَ مَا صَنَعتَ.

ثُمَّ خرَج عنْه الحَسنُ مَغمُومًا مَكرُوبًا خَائفًا وَجِلًا عَلىٰ نَفسِه. فأقَامَ الحجَّاج مُعذبًا لا يكادُ يموتُ ولا يَحيا خَمس عَشَرة لَيلَة. فَقال الحجَّاج: ردُّوا عليَّ الحَسن، فَردُّوه، قَال: فدَخلتُ علَيهِ وقدْ تَغيَّر لوْنُه وغَارت عَيناه مِن السَّهَر، وقَد احْتَرقَت ثِيَابُه وتَشقَّق جِلدُه مِن حَرِّ النَّار وَحولَه تسْعَة كَوانين، وكلُّ ذَلكَ لا

يُفارقُ الزَّمْهريرُ جوفَه.

قالَ: فكلَّمَني وَقَد ضَعُفَ وَبَحَّ صَوتُه، فَأَنْشَأ يَقُول: يا إلَهي، إنَّ النَّاس يقُولون: إنَّك لا تَرْحَمني؛ فَارحَمْني، ثُمَّ قال: يَا حَسَن، لا أَسْأَلك أَنْ تَسأَلَه أَنْ يُفَرِّجَ عنِّي، وَلكنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسأَلَه أَنْ يَقبِضَ رُوحي ولا يَطُول عَذَابي. فبَكَىٰ الحَسنُ بُكاءً شَديدًا واسْتحْيا مِن اللهِ أَنْ يسأَلَه فِيه، فَأَذِن اللهُ بِقبْضِ رُوحِه، فَقُبِضَ والحَسن وَاقفٌ».

وفِي رِوايَة: «أَنَّ الحَسَن البَصرِي لمَّا بَلغَه أَنَّ الحَجَّاج قَتَل سَعيد بن جُبير قَال: اللَّهمَّ قَاصِم الجَبَابِرة، اقْصِم الحجَّاج، فمَا بَقِي بَعد ذَلكَ إلا أَيَّامًا حتَّىٰ وقَع فِي جَوفِه الدُّودُ وأَصَابَه الكُزَاز[(١)]».

وسَيَأتِي -إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ- فِي آخِر الكِتَاب[(٢)] عِدَّةُ مَنَامات رُؤيت للحجَّاج بَعد مَوتِه، فَلتُراجع، فَفِيها وفِيما حَصَل للحجَّاجِ بِسببِ قَتلِه سَعِيدَ بن جُبَير أَبْلغُ مَوعِظَة وعِبرة لِمَن اعْتَبر.

فليَعْتَبر بِها المُتسَلِّطُون عَلىٰ أَوْلياءِ اللهِ بِالجَبروتِ والظُّلمِ والعُدوانِ، وليَعْلَموا أَنَّ اللهَ لهُم بِالمِرصَاد، وليَتَدَبَّرُوا قَول اللهِ تعَالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) قال الجوهري: الكُزاز بالضم: داء يأخذ من شدة البرد. وكذا قال في «لسان العرب» (٥/ ٤٠٠) قال: وتعتري منه رعدة.

(٢) صفحة (١١٧ – ١١٨).

غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣]، وليَتَدبَّرُوا أيْضًا قَول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». [مُتَّفق علَيه مِن حَدِيث أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ](١).

وَرَوىٰ البُخَارِي أيْضًا عنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»(٢).

وَرَوىٰ ابنُ مَاجه نَحْوَه مِن حَديثِ مُعاذ بن جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

ورَوَىٰ الإمَام أحْمد عنْ عَائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحارَبَتِي**»(٤)، فلْيَتأمل المُعَادون لِأولِيَاء اللهِ مَا جَاء فِي هذِهِ الأحَادِيثِ، وليَسْتَعِدُّوا لِمُحارَبَة اللهِ إنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣)، وغيرهما من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم أقف له علىٰ رواية من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، وغيره من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٤٦٥) (٥٣٢٨).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٦) (٢٦٢٣٦)، وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قال الأرنؤوط: «حديث صحيح لغيره».

كَانتْ لَهم طَاقةٌ بِمُحَارَبَتِه.

ومِن العُقُوبَة العَاجِلَة عَلَىٰ قَتل الفُقَراء المُسْتَضعَفين الذِين لا ذُنُوب لَهُم: مَا وَقع لِلأمِير عَبد العَزِيز بن مِتعِب بن رَشِيد(١).

وَذَلكَ أنَّ الأمِيرَ المَذكُور مَرَّ علَىٰ رَوضَة مِهَنَّا -المَعْرُوفَة فِي بِلادِ القَصِيم- فَوَجد فِيها أرْبَعينَ رَجُلًا مِن الذِين يَجمَعُون الكلأ ويَبِيعُونَه ويَشتَرُون بِثَمنِه مَا يحتَاجُون إلَيهِ مِن الطَّعَام والثِّيابِ لَهُم ولِعَوائِلهِم، فأحَبَّ الأمِيرُ أنْ يَنتَقِمَ مِن أهْلِ القَصِيم بِقَتلِ هَؤلاءِ الضُّعَفاء المَسَاكِين، فَصَفَّهم صَفًّا وَقَرَنهم بِالحِبَال ثُمَّ قَتَلهم صَبْرًا.

فَيا لهَا مِن كارِثَة مَا أشْنَعَها وأفْظَعَها! وكَان مِن بَينِ المَقْتُولين شَيخٌ كَبيرٌ قَد انْحَنىٰ ظَهرُه مِن الكِبَر وَمَعه ابن لَه صَغير يَبلُغ مِن العُمر نَحو عَشْر سِنينٍ، فَقالَ الشَّيخُ للأَمِير: اقْتُلْني واتْرُك هَذا الطِّفْل الصَّغِير، فَإنَّ وَراءَنا عِدَّة نِسَاء لَيسَ لَهُنَّ مَن يَعُولُهُنَّ بَعْدَنا، فكَان جوابُ الأمِير أنَّه أمَرَ أنْ يُبْدَأ بِقَتل الطِّفْلِ وأبُوه يَنْظُر إلَيه، فَضَحِك الشَّيخُ، فَقالَ لَه الأميرُ: مِمَّ تَضحَك؟ قَال: أضْحَك مِن حِلمِ اللهِ عَنكَ، فَقَتله وَألحَقَه بِوَلَده.

---

(١) عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد: من أمراء آل رشيد، أصحاب حائل وما حولها، بنجد، وليها بعد وفاة عمه محمد بن عبد الله الرشيد، سنة (١٣١٥هـ)، كان أشجع العرب في عصره، وأصلبهم عودًا، له وقائع وغارات كثيرة، توفي سنة (١٣٢٤هـ) (١٩٠٦م). «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٥).

وكان الأميرُ بعْدَ هَذا لا يَهْنأ بالنَّومِ، فَكُلمَا ابْتَدأ بِه النَّومُ تَراءىٰ لَهُ الشَّيخُ الكَبير وَخنَقَه وقَال لَهُ: يَا ظَالِمُ، وَاللهِ لا تُفْلِح، فَيفزَع لِذَلكَ فَزعًا شَديدًا، ورُبَّما قامَ قَائمًا وَهُو مَرعُوب وَيقُول: مَا لِي وَلِهذا الشَّايِب؟! وَلم تَطُل مُدَّتُه بَعد هَذَا الظُّلْم والعُدْوَان حَتَّىٰ قُتِل فِي رَوضَة مِهَنَّا التِي قَتَل فِيها الفُقَراء الذِين يَجمعُون الكَلأ، وقُطِع رأسُه وذُهِبَ بِهِ إلَىٰ بُرَيْدة، جَزاءً وِفَاقًا: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقَد أشَار ابن عِجْل -أَحَد رُؤسَاءِ قَبيلة شمر- عَلىٰ الأمِير ابن رَشِيد أنْ لا يَقْتُل الفُقَراء الذِين يَجمَعُون الكَلأ، وقَال لَه: أتَقْتُل هَؤلاءِ الضُّعفَاء، فواللهِ الذِي لا رَبَّ غيره، لَئِن قَتَلتَهم لَتُحارِبَنَّك المَلائِكةُ، فَأجَابه الأمِير بِقولِه: لَو تَركتُهم لانْضَمُّوا إلىٰ قَومِهم يُقاتِلونَني مَعهُم(١).

قلتُ: وَهذَا الفِعلُ الشَّنِيع مِن أقْبَح الوَرطَات التِي يَكُون لَها عَواقِب سَيِّئَة كمَا جاءَ فِي الحَدِيثِ الذِي رَواه البُخارِي عَن عَبْد اللهِ بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قالَ: «إِنَّ مَنْ وَرطَاتِ الأُمُورِ التِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيها سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيرِ حِلِّه»(٢).

قَالَ الحَافِظ ابنُ حَجَر فِي «**فتْح البَارِي**»(٣): «الوَرْطَة: الهَلاك، يُقالُ: وَقع

(١) انظر: «قلب جريرة العرب» (٣٤٥)، وفيه مقتله في الطرفية بقرب بريدة.
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا.
(٣) (١٢/ ١٨٨).

فُلانٌ فِي وَرطَة، أيْ: فِي شَيء لا يَنْجو مِنه»؛ انتهىٰ.

ومنْ عُقُوبات أَهْلِ البِدَع المُعَادين لِلسُّنَّة وَأهلِهَا: مَا أُصيبَ بِه أحْمدُ بنُ أَبِي دُؤاد، وَمُحَمَّد بن عَبد المَلِك الزَّيَّات، وَهَرْثَمة، مِن أجْلِ قَولِهم: إنَّ أحْمدَ بن نَصر الخُزَاعي قُتِل كَافرًا، ودُعائِهم عَلىٰ أنْفُسِهم بِالعُقُوبَة إنْ لَم يَكُن كَذَلكَ.

وقد ذكرَ قِصَّتَهم الخَطيبُ البَغدَادِي فِي «**تَارِيخ بَغْدَاد**»، وابْنِ كَثير فِي «**البِدَاية والنِّهَاية**»[1]، وحَاصِلها: «أنَّ عَبد العَزيزِ بن يَحيَىٰ الكِنَاني -صَاحِب كِتابِ «الحَيدَة»- قَال للمُتَوَكِّل: يا أَمِيرَ المُؤمِنين، مَا رُؤِي أعْجَب مِن أمْرِ الوَاثِق، قَتَل أحْمَد بن نَصْر وكَانَ لِسانُه يَقرَأ القُرآنَ إِلىٰ أَنْ دُفِن. فَوَجلَ المُتوكِّل مِن كَلامِه وَساءَه مَا سَمِع فِي أخِيه الوَاثِق.

فَلمَّا دَخَل علَيهِ الوَزيرُ مُحمَّد بن عَبد المَلِك الزَّيَّات قَال لَهُ المُتوكِّل: فِي قَلبِي شَيءٌ مِن قَتلِ أحْمد بن نَصر. فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنَّار إنْ قَتَله أمِير المُؤمِنِين الوَاثق إلا كَافِرًا.

ودَخَل علَيهِ هَرثَمَة فَقال: يَا هَرثَمَة، فِي قَلبِي مِن قَتْل أحْمَد بن نَصْر، فَقال: يا أَمِير المُؤمِنين، قَطَّعَنِي اللهُ إرَبًا إرَبًا إنْ قَتَله أمِيرُ المُؤمِنِين الوَاثِق إلا كَافِرًا.

قالَ: وَدَخل عَليه أحْمَد بن أَبِي دُؤاد فقال: يا أَحْمَد، فِي قَلبي مِن قَتْل أحْمَد بن نَصر، فَقَال: يَا أمِير المُؤمِنين، ضَربَني اللهُ بِالفَالِج إنْ قَتَله أمِيرُ

(١) انظر: «تارِيخ بغْداد» (٦/ ٣٩٧)، و«البِداية والنهاية» (١٠/ ٣٠٦).

المُؤمِنين الوَاثِقُ إلا كَافِرًا.

قَال المُتَوكِّل: فَأَمَّا ابن الزَّيَّات فَأنا أَحْرَقْتُه بالنَّار، وأَمَّا هَرْثَمة فَإِنَّه هَرب وَتَبَدَّىٰ واجْتَاز بِقَبيلَةِ خُزَاعة، فَعَرَفه رَجلٌ مِن الحَي فَقَال: يا مَعشَر خُزَاعة، هذَا الذِي قَتَل ابن عَمِّكم أَحْمَد بن نَصْر، فَقَطَّعُوه إِرَبًا إِرَبًا، وأَمَّا ابن أَبِي دُؤاد فَقَد سَجَنه اللهُ فِي جِلدِه -يَعنِي بِالفالِج- ضَرَبه اللهُ بِه قَبلَ مَوتِه بأَرْبعِ سِنينَ، وصُودِر مِنْ صُلبِ مَالِه بِمالٍ جَزيل جِدًّا.

وَرَوَىٰ الخَطيبُ فِي «**تَارِيخ بَغْدَاد**»(١) عَنْ عبدِ العزِيزِ بن يَحْيىٰ المَكِّي -صَاحِب كِتَاب «الحَيْدَة»- قَال: دَخَلتُ عَلىٰ أَحْمَد بن أَبِي دُؤاد وَهُو مَفْلوجٌ فَقُلت: إِنِّي لَم آتِكَ عَائدًا، وَلَكِن جِئتُ لِأَحْمَد اللهَ علَىٰ أَنْ سَجَنك فِي جِلدِك».

وَرَوَىٰ الخَطِيبُ أَيْضًا(٢)، عَنِ المُغِيرَةَ بن مُحَمد المُهَلَّبِي قَال: «مَات أَبُو الوَلِيد مُحَمد بن أَحْمَد بن أَبِي دُؤاد وَهُو وَأَبُوه مَنْكُوبَان».

ومِنَ العُقُوبةِ عَلَىٰ الوِشايَةِ بِأَهلِ الدِّينِ والصَّلَاحِ: مَا ذَكَره أَبُو العرب مُحَمَّد بن أَحْمَد بن تَمِيم التَّمِيمِي فِي «**كِتَاب المِحَن**»(٣) قَال: «بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا جَعْفَر المَنْصُور بَعَثَ فِي طَلَبِ أَبِي عَبْد اللهِ جَعْفَر بن مُحَمَّد، فَأُتِيَ بِه إِلَيهِ مِن

---

(١) (٥/ ٢٣٣).

(٢) انظر: «تارِيخ بغْداد» (٥/ ٢٣٣).

(٣) (ص٣٧٤).

المَدينَة، فَلَما رَآهُ أَبُو جَعْفر نَهَضَ إلَيهِ واعْتَنَقه وأَجْلَسَه مَعَه وَقَال لَه: يَا أَبَا عَبد اللهِ، مَا هَذا الذِي يَبْلُغُنِي عَنْك؟ لَقَد هَمَمْت. فَقَال لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إنَّ أَيُّوب ابْتُلِي فَصَبر، وإنَّ سُلَيمَان أُعْطِيَ فَشَكر. وَأَنتَ مِن ذَلِك النَّسِيج.

قَال: فيُرْفَع إلِيَّ أَنَّ الأمْوَالَ تُجْبَىٰ إلَيكَ بِلا سَوطٍ وَلا عَصَا، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّافِع فَأُحْضِرَ، فقَال أَبُو عَبْد اللهِ: أَحَقًّا مَا رَفعتَ إِلىٰ أَمِير المُؤمِنِينَ؟ قَال: نَعم، فَاسْتَحْلِفه يَا أَمِيرَ المُؤْمِنين، فقَال أَبُو عَبدِ اللهِ: رُد اليَمِين عَلَيه. فقَال لَهُ أَبُو جَعْفر: احْلِفْ، فقَال: واللهِ الذِي لَا إله إلَّا هُو. فقَال أَبُو عبدِ اللهِ: لَيسَ هُو كَذَا، إنَّ العَبْد إذَا مَجَّد اللهَ فِي يَمِينهِ أَمْهَله بِالعُقُوبةِ، وَلَكنْ قُل: أَنَا بَريءٌ مِن اللهِ واللهُ بَريءٌ مِنِّي، وأَنَا خَارِجٌ مِن حَولِ اللهِ وَقُوَّته رَاجِعٌ إِلَىٰ حَولِ نَفْسِي وقُوتِها. قَال: فَحَلف، فَواللهِ مَا رُفِعَ إِلَّا مَيتًا. فَرَاع ذَلكَ أَبَا جَعْفر وَقالَ: انْصَرِف أَبَا عَبد اللهِ، فَلَستُ أَسْأَلكَ بَعدهَا عَن شِيء».

وَمِن العُقُوبَة عَلىٰ إِيذَاء العُلَماءِ وَظُلمِهم: مَا ذَكَره القَلْقَشنْدِي فِي كِتَاب **«مَآثِر الأنَافَة فِي مَعَالِم الخِلَافَة»**(١)، عَن القُضَاعِي أَنَّه حَكَىٰ فِي «خُطَط مِصْر»، أَنَّه: «كانَ لِلإمَام اللَّيثِ بن سَعد دَارٌ بِبَلدَة قَلقَشَندَة، فَهَدمَها عَبد المَلِك بن رِفَاعة عِنَادًا لَه، فَعَمَرَها اللَّيْثُ فَهَدمَها عَبدُ الملكِ، فَعمَرَها فَهَدمَها، فَلَمَّا كان فِي الثَّالِثَة بَينَما اللَّيْثُ نَائمٌ إذَا بِهاتِفٍ يَهتِف بِهِ، قُم يَا لَيث: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ

(١) (١/ ١٥٣).

ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ٥]، فأصْبحَ ابن رِفَاعة وَقد أصَابه الفَالجُ، فأوْصَىٰ إلَىٰ اللَّيثِ وَبَقي ثَلاثًا، ثُمَّ مَات».

* * *

فصل

وأمَّا القِسمُ الثَّانِي مِن العُقوباتِ فِي الدُّنْيَا بِما دُون المَوتِ، فَقدْ جَاء فِيه قَصصٌ كَثيرَةٌ.

مِنهَا: مَا وَقَع فِي الأُمَم المَاضيَةِ، وَمنْهَا: مَا وَقعَ فِي زمَنِ الجَاهِليَّةِ قَبلَ بَعثَة النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنهَا: مَا وَقعَ بَعد بَعثَة النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبل الهِجْرَة وَبَعدَها ومَا بَعدَ ذَلكَ إلَىٰ زَمانِنَا.

فَمَن القَصَص التِي وَقَعتْ فِي الأُمَم قَبلَنَا: قِصَّةُ سَارَّة زَوجَة إبْرَاهِيم الخَليلِ مَع الجَبَّار الذِي أرَادَ بِها السُّوءَ.

وَقد رُوِيت هَذِه القِصَّة مِن طُرُقٍ، عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

منها: مَا رَوَاه الإِمَام أحْمَد وَالبُخَارِيُّ مِن حَدِيث أبِي الزِّنَاد، عَن الأعْرَجِ، عَن أبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، قَوْلُهُ حِينَ دُعِيَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾** [الصافات: ٨٩]، **وَقَوْلُهُ: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾** [الأنبياء: ٦٣]، **وَقَوْلُهُ لِسَارَّةَ: إِنَّهَا أُخْتِي.**

قَالَ: وَدَخَلَ إبرَاهِيمُ قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيل: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ اللَّيْلَةَ بِامْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ. قالَ: فَأَرْسَل إِلِيْه المَلكُ أو الجَبَّار: مَن هَذِه مَعَك؟ قَال: أُخْتِي، قَال: أَرْسِل بِهَا، قَالَ: فَأَرسَل بِهِا إِلِيهِ وقَال لَها: لا تَكذِبي، قُولِي فَإِنِّي قَد أَخبَرتُه أَنَّك أَخْتِي، إِنْ عَلَىٰ الأَرْضِ مؤمنٌ غَيرِي وَغيرِك.

قَالَ: فلمَّا دَخلتْ إِليهِ قَام إِليهَا، قَال: فَأَقبلَت تَوضَّأ وَتُصلِّي وتقُول: اللَّهمَّ إنْ كُنتَ تَعلمُ أَنِّي آمَنتُ بِك وبِرَسُولكَ وأَحْصَنتُ فَرجِي إِلا عَلىٰ زَوجِي فَلا تُسَلِّط عَليَّ الكَافرَ، قَال: فَغُطَّ[1] حَتَىٰ رَكَض بِرِجلِه».

قَالَ أَبُو الزِّنَاد: قَال أَبُو سَلَمة بن عَبد الرَّحْمَن، عَن أَبِي هُرَيرَة: «أَنَّها قَالَت: اللَّهمَّ إنَّه إِن يَمُت يُقَل: هِي قَتَلَته، قَال: فَأُرْسِل ثُمَّ قَام إِليهَا فقَامتْ تَوَضَّأ وتُصلي وتَقُول: اللَّهُمَّ إِن كُنتَ تَعلَم أَنِّي آمَنتُ بِكَ وبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرجِي إِلا عَلىٰ زَوجِي فَلا تُسَلِّط عَليَّ الكَافِرَ، قَال: فَغُطَّ حَتَىٰ رَكَضَ بِرِجْلِه».

قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: قَال أَبُو سَلَمَة، عَن أَبِي هُرَيرَةَ: «أَنَّها قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ إِنْ يَمُتْ يُقَل: هِيَ قَتَلَتْهُ، قَال: فَأُرْسِل، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَو الرَّابِعَة: مَا أَرْسَلتُم إِليَّ إِلَّا شَيْطَانًا، أَرْجِعُوهَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَعْطُوهَا هَاجَر.

---

(١) الغَطُّ: العصر الشديد والكبس. وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٢٢): غُطَّ - بضم الغين المعجمة- أي: غُمَّ وزنه ومعناه، وقيل: خنق. وقوله حتىٰ ركض برجله، يعني: أنه اختنق حتىٰ صار كأنه مصروع.

قَالَ: فَرَجعَتْ، فَقَالَت لِإبْرَاهِيمَ: أَشَعَرْتَ أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ رَدَّ كيدَ الكَافِرِ وَأَخدَم وَلِيدَة». [هَذَا لَفظُ أَحْمَد، وَإِسنَادُهُ صَحِيحٌ عَلىٰ شَرطِ مُسلِم. وَرِوَايَة البُخَارِيِّ فِيها اخْتِصار].

وَقَدْ رَوَاه البُخَارِيُّ وَمُسلم، مِن حَديثِ أَيُّوبِ السَّخْتِيانِي، عَن مُحمد بن سِيرِين، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ؛ قَولُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، وَقَوْلُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وَوَاحِدَة فِي شَأْنِ سَارَّة، فَإِنَّه قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي لا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيرِي وَغَيرَكِ.

فَلَمَّا دَخلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنبَغِي لَهَا أَنْ تكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخلَتْ عَلَيهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسطَ يَدَهُ إِلَيهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطلِقَ يَدِي وَلا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأُولَىٰ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَتَينِ الأُوْلَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطلِقَ يَدِي فَلَكِ اللهُ أَنْ لا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الذِي جَاءَ بِهَا فَقَال لَهُ: إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشيطَانٍ وَلَم تَأْتِني بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِن أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قال: فَأَقْبَلتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ

انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَم[١]، قَالَتْ: خَيْرًا. كَفَّ اللهُ الفَاجِرَ وَأَخْدَمَ خَادِمًا». قَالَ أَبُو هُرَيرَة: «فَتِلْكَ أُمُّكُم يَا بَنِي مَاءَ السَّمَاء».

[هَذَا لَفْظُ مُسلِم. وَقَد رَوَاه البُخَارِي فِي عِدَّة مَوَاضِع مِن «صحيحه» مَرفُوعًا مُخْتَصَرًا. ورَوَاه مُطَوَّلًا مَوْقُوفًا عَلَىٰ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنحوِ مَا فِي رِوَايَة مُسلِم. ورَوَاه ابن حِبَّان فِي «صحيحه» مِن حَدِيث هِشَام بن حَسَّان، عَن مُحَمَّد -وَهُو ابن سِيرين-، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَره بِنَحو رِوَايَة مُسلم. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد مِن حَديثِ هِشَام، عَن مُحَمَّد، عَن أَبِي هُريرَةَ، عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْتَصرًا. وروَاه التِّرْمِذي مِن حَدِيث أَبِي الزِّنَاد، عَن الأعْرَج، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْتَصرًا، وقَالَ: هَذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ][٢].

قَوْلُه فِي رِوَايةِ مُسلِم: «فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً». هَذِه الرِّوَاية مُخَالِفَة لِمَا تَقَدم فِي رِوَايةِ الأعْرَج، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه: «غُطَّ حَتَّىٰ رَكَضَ بِرِجْلِهِ».

قَالَ الحَافِظُ ابن حَجَر فِي «فَتح البَارِي»[٣]: «وَيُمْكِن الجَمْعُ بِأَنَّهُ عُوقِبَ

---

(١) قوله: مَهْيَم، أي: ما شأنك وما خبرك؟ قال ابن الأثير: وهي كلمة يمانية. انظر: «النهاية» (٤/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٣) (٩٢٣٠)، والبخاري (٢٢١٧، ٣٣٥٧، ٥٠٨٤)، ومسلم (٢٣٧١)، والترمذي (٣١٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٥) (٥٧٣٧).

(٣) (٦/ ٣٩٣).

تَارَةً بِقَبضِ يَدِه وَتَارَةً بانْصِرَاعه».

قُلتُ: وَيُمكِنُ أنْ يَكُون قَد جُمِع عَلَيهِ قَبْضُ اليَد مَع الغَطِّ الذِي صَرَعَه حتَّىٰ رَكَضَ بِرِجْلِه، فَحَفِظَ بَعْضُ الرُّواةِ الغَطَّ، وحَفِظ بَعضُهُم قَبْضَ اليَد، والله أعْلَم.

وقَد قَال ابن كَثِير فِي «البِدايَة والنِّهَاية»[1]: «رأَيتُ فِي بَعضِ الآثَار أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَشفَ الحِجَاب فيما بَينَ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبينَ سَارَّة فَلَم يَزَلْ يَرَاها مُنذُ خَرجَت مِن عِندِه إلىٰ أَنْ رَجَعت إليهِ، وكانَ مُشَاهِدًا لَها وَهِي عِندَ المَلِك وَكيفَ عَصَمَها اللهُ مِنْه، لِيكُونَ ذَلِك أَطْيبَ لِقلْبه وأقرَّ لِعَينه وَأشَدَّ لِطُمَأنينَتِهِ».

وَمِن قَصَص العُقُوبَات التِي وَقَعتْ فِي الأُمَمِ المَاضِية: قِصةُ الرَّجُل الكَافِرِ الذِي جَعلَ اللهُ لَهُ جَنتَينِ مِن أعْنابٍ وَحفَّهُما بِالنَّخْل وَجَعلَ بَينَهُما زَرعًا.

وَقد ذَكَر اللهُ قِصتَه وَما دَارَ بينَهُ وَبينَ صَاحبِهِ المُؤمِن مِن المُحاوَرَة فِي سُورَة الكَهفِ، فَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢﴾ [الكهف: ٣٢] الآيات، إلَىٰ قَولِه تعالَىٰ فِي ذِكر عقُوبَة الكَافِر: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣﴾ [الكهف: ٤٢، ٤٣].

---

(١) (١/ ١٥٢).

قَالَ ابن كَثيرٍ فِي «البِدَاية وَالنِهَاية»[١]: «قَال بَعضُ النَّاسِ: هذَا مثلٌ مَضرُوبٌ وَلا يلزَمُ أنْ يَكونَ وَاقِعًا، وَالجُمهُورُ أنَّه أَمرٌ قَد وَقَع.

قَال: والمَشهُورُ أَنَّ هَذينِ كَانا رَجُلينِ مُصْطَحِبَين وَكانَ أحدُهُما مُؤمِنًا والآخَرُ كَافرًا. ويُقَال: إنَّه كَان لِكُلٍّ مِنهُمَا مالٌ، فَأنفق المُؤمِنُ مَالَه فِي طَاعَة اللهِ، وَأمَّا الكَافِر فَإنَّه اتَّخذ لَه بَساتِين وَهُما الجَنَّتَان المَذكُورَتَان فِي الآيَة عَلىٰ الصِّفَة والنَّعتِ المَذكُور».

ثُمَّ تَكلم ابن كثيرٍ عَلىٰ مَعانِي الآيَات فِي هَذهِ القِصَّة وَما تَضَمَّنته، إلىٰ أنْ قَال[٢]: «وَفِيها أنَّ مَنْ قَدَّم شَيئًا عَلىٰ طَاعةِ اللهِ والإنْفَاقِ فِي سَبيلِهِ عُذِّبَ بِهِ، وَرُبَّما سُلِب مِنهُ مُعَاملَةً لَه بِنَقيضِ قَصدهِ. وَفِيهَا أنَّ النَّدَامة لَا تَنفعُ إذَا حَان القَدَر وَنَفَذَ الأمرُ الحَتْمُ»؛ انتهىٰ.

وَمِن قَصَص العُقُوباتِ التِي وَقعَت فِي الأُمَم المَاضِيةِ: قِصَّة أصْحابِ الجَنَّة الذِين اتَّفَقوا عَلىٰ مَنعِ المَساكِين مِن الدُّخُول عَليهِم فِي جَنَّتِهم يَوم صِرَامِها. وَقَد ذَكر اللهُ تَعالىٰ قِصَّتهم فِي سُورة (نُون).

قَالَ ابنُ كَثيرٍ فِي «تفسِيره»[٣]: «ذَكَر بَعضُ السَّلفِ أنَّ هَؤلاءِ كَانُوا مِن

---

(١) (٢/ ١١٨).

(٢) (٢/ ١٢٠).

(٣) (٨/ ١٩٧).

أَهْلِ اليَمَن. قَال سَعيدُ بن جُبَير: كَانُوا مِن قَريَة يُقَال لَها: ضِرْوَان عَلىٰ سِتَّة أَمْيَال مِن صَنْعَاء، وَقِيل: كَانُوا مِن أَهْلِ الحَبَشة، وكَان أبُوهُم قَد خَلَّف لَهم هَذِه الجَنَّةَ، وكَانُوا مِن أَهْلِ الكِتَاب، وَقد كَان أَبُوهم يَسير فِيهَا سِيرَة حَسَنة، فكَان مَا يَسْتَغل مِنهَا يَرُدُّ فِيها مَا تَحْتَاج إليهِ وَيَدَّخِر لِعِيالِه قُوتَ سَنَتِهم وَيَتَصدَّق بِالفَاضِل، فَلمَّا مَات وَوَرِثه بَنُوه، قَالُوا: لَقَد كَان أَبُونا أَحْمَقَ إِذْ كَان يَصْرِف مِن هَذه شَيئًا لِلفُقَراء، وَلو أَنَّا مَنَعْنَاهم لَتوفَّر ذَلك عليْنا. فلمَّا عَزَموا عَلىٰ ذَلِك عُوقِبوا بِنَقيضِ قَصدِهم، فأَذْهَب اللهُ مَا بِأيدِيهِم بِالكُلِّية، رَأسَ المَال والرِّبْح والصَّدَقة فَلم يَبق لَهم شَيء.

قَال اللهُ تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ [القلم: ٣٣]، أي: هَكذَا عذَابُ مَن خَالفَ أَمْرَ اللهِ وَبَخِلَ بِمَا آتَاهُ اللهُ وأنْعَم بِه علَيهِ، وَمنعَ حَقَّ المِسكِين والفَقيرِ وذَوي الحَاجات، وبَدَّل نِعمَةَ اللهِ كُفْرًا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٦].

وقَد ذَكر ابن جَرير(١) عَن عَكرِمَة وقَتَادة نَحْو مَا تَقَدَّم عَن سَعِيد بن جُبَير.

وَقوْلُه تَعالىٰ: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ٢٠]، قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أي: كَاللَّيلِ الأَسْوَد».

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٧٢).

وعَنْه أيْضًا أنَّه قَالَ: «كالرَّمَادِ الأسْوَد». وقَالَ الفرَّاء: «كاللَّيلِ المُسْوَدِّ»[١].

وَقَال ابن قُتَيبَة[٢]: «أصْبَحتْ سَوْدَاء كَاللَّيلِ مُحترَقَة».

ومِن قَصَص العُقوباتِ التِي وقَعت فِي الأمَم المَاضِية: قِصةُ الأبْرَص والأقْرَع مِن بَني إسْرَائيل، وقدْ رَواها البُخَاري وَمُسلم مِن حَدِيث أبِي هُريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه سَمِع النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**إنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إسْرَائِيلَ، أبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبعَثَ إلَيهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَص فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ وجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسْنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: الإبِلُ، أَوْ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شِيءٍ أَحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الذِي قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.**

قَالَ: فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إلَيهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إلَيكَ؟

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٣٣٦).

(٢) انظر: «غريب القرآن» (ص٤٠٩).

قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذا وَادٍ مِنَ البقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَم.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهِيئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيرًا أَتبَلَّغُ عَلَيهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقالَ لَهُ مِثلَ مَا قَالَ لِهذَا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَك إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالذِي رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَك شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَال: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ. فَقَالَ: أَمسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيكَ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قَالَ الحَافظُ ابن حَجَر فِي «فتْح البَارِي»[(١)]: «فِي الحَدِيث جَوازُ ذِكرِ مَا اتَّفَق لِمن مَضَىٰ لِيتَّعِظ بِهِ مَن سَمِعَه، وَلا يَكونُ ذَلكَ غِيبَة فِيهِم. وَلَعلَّ هَذا هُو السِّر فِي تَرك تَسمِيتِهم، وَلم يُفصِح بِمَا اتَّفق لَهم بَعد ذَلِك، والذِي يَظهَرُ أَنَّ الأَمْرَ فِيهِم وَقَع كَما قَال المَلَك».

قُلتُ: يَعنِي أَنَّ الأَبْرَص صَار إِلَىٰ مَا كانَ عَليهِ قَبلَ الابْتلاءِ مِن البَرَص والفَقْر، وأَنَّ الأَقْرَع صَار إِلَىٰ مَا كانَ عَليهِ قبلَ الابْتلاءِ مِن القَرَع والفَقرِ عُقُوبَةً لهُمَا عَلىٰ جَحدِ نِعمَة اللهِ عَليهِما، وَلا شكَّ أَنَّ دُعاءَ المَلَك مُستجَابٌ؛ لِأَنَّه لَم يَفعَل مَعهُما شَيئًا إِلَّا بِأَمرٍ مِن اللهِ».

وَمن قَصصِ العُقُوبات التِي وَقَعت فِي زَمنِ الجَاهلِيَّة: مَا روَاه عَبد الرَّزَّاق فِي «**مُصَنَّفه**»[(٢)]، عَن حُويْطِب بن عبد العُزَّىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ أَمَةً فِي الجَاهلِيَّة عَاذَت بِالبَيتِ، فَجاءَت سَيِّدَتُها فَجذبَتها فَشُلَّت يَدُها. قالَ: وَلَقد جَاء الإِسْلامُ وَإِن يَدَها لَشَلَّاء».

وَقَد رَوَاه الطَّبَرَانِيُّ فِي «**الكَبِير**»، عَن حُوَيطِب بن عَبد العُزَّىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا بِفِنَاء الكَعْبَة فِي الجَاهِلِيَّة، فَأَتتِ امْرَأَةٌ البَيْتَ تَعُوذُ بِهِ مِن زَوْجِها، فَمدَّ يَده إِلَيهَا فَيبِسَت يَدُهُ، فَلَقد رَأَيْتُه فِي الإِسْلام وَإِنَّه لَأَشل». [وَرَواهُ الحَاكِم فِي

---

(١) (٦/ ٥٠٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٦) (٨٨٦٦).

«المُسْتَدرَك»، والأَزْرَقِي فِي «أَخْبَار مَكَّة» بنحوه][1].

وَروىٰ الأزْرَقي أَيْضًا عَن حُويطِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه قَالَ: «كانَ فِي الجَاهِليةِ فِي الكَعبَة حِلَقٌ أَمْثَالُ لُجُمِ البَهْم، يُدخِل الخَائِف فِيهَا يَدَه فَلا يُريبُه أَحدٌ، فلمَّا كَانَ ذَات يَومٍ ذَهب خَائفٌ لِيدخِل يَدَه فِيها فَاجْتَبذَه رَجُل فَشلَّت فِيها يَمينُه، فَأدرَكَه الإسْلامُ وَإنَّه لأشَل»[2].

ومِنَ القَصص التِي وَقَعت فِي زَمنِ الجَاهِليَّة أيضًا: مَا رَواه الأزْرَقي فِي «**أَخْبَار مَكَّة**»، عَن مُجاهِد قَال: «جَاءت امْرأَةٌ تَطوفُ عُريَانةً وَكانَ لَها جَمَالٌ، فَرَآهَا رَجُلٌ فأعْجَبتْه، فَدخَل الطَّواف وَطافَ فِي جَنبِها لأنْ يَمسَّها، فأَدْنىٰ عَضُدَه مِن عَضُدِها فَالتَزَقَت عَضُدُه بِعَضدِها، فَخَرجا مِن المَسجِد مِن ناحِية بَني سَهمٍ هَاربَينِ علىٰ وُجُوهِهِما فَزِعين لِمَا أَصَابَهُمَا مِن العُقُوبة، فَلَقِيَهما شَيخٌ مِن قُريشٍ خَارجًا مِن المَسجِد فَسَألَهُما عَن شَأنِهما، فأَخْبَراهُ بِقضيَّتِهِما، فَأفْتَاهُما أنْ يَعودا فَيرجِعَا إلَىٰ المَكَان الذِي أَصَابَهمَا فِيه مَا أَصَابهمَا فَيدْعُوان وَيُخلِصان أنْ لَا يَعُودا، فَرَجَعا إلىٰ مَكانِهِما فَدَعَوا اللهَ سبْحَانه وأَخْلَصَا إلَيهِ أنْ لَا يَعُودا، فافْتَرَقت

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٨٥) (٣٠٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٦١) (٦٠٨٣)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥)، وغيرهم عن حويطب بن عبد العزىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٤).

أعضَادُهُما، فَذَهب كُلُّ وَاحد مِنهُما فِي نَاحِية»(١).

وَقَد رَوَاه عَبد الرَّزَّاق فِي «**مُصنَّفه**»، والفَاكِهِّي فِي «**أَخْبَار مَكَّة**» بأسَانِيد صَحيحَة عَن عبْدِ الرَّحمَن بن سَابطْ(٢) قَالَ: «بَرِقَ سَاعدُ امْرَأةٍ وَهِي تَطوفُ بالبَيتِ فِي الجَاهليَّةِ، فَوَضعَ رَجلٌ يَدَهُ عَلىٰ سَاعِدهَا فَألْزَقَت يَدُهُ بِيَدِها، فَأتىٰ رَجُلٌ فَقَال: ائتِ المَكَان الذِي صَنَعتَ فِيه هَذا فعاهِدْ رَبَّ هذَا البَيتِ أنْ لا تَعُود، قَال: فَفَعل فَأُطْلِق».

وَرَوَىٰ الفَاكِهي أيْضًا عَن عَطَاء بن السَّائِب، عَن عَامر -والظَّاهِر أنَّه يَعنِي بِه الشَّعْبي- قَالَ: «إِنَّ رجُلًا أَخذ بِيدِ امْرَأةٍ فِي الجَاهلِيةِ فِي الطَّوافِ، فَلزِمتْ يَدُه يَدَها، فَلَقِيهُ شَيخٌ مِن قُرِيشٍ فَقالَ: مَا شَأنُكُما؟ فَأخْبَراه الخَبَر، فقالَ: ارجِعَا إِلَىٰ المَكَان الذِي أصَابَكُما فِيهِ هَذا فَادْعُوَا اللهَ فِيه، فَدَعوَا فَفُرِّجَت أَيدِيَهُما»(٣).

قلتُ: فِي هذِهِ القِصَّة عبْرَة لِلمْعتَبرِينَ، وَمَوعِظَة للسُّفَهاء الذِين يتَعَرَّضُون للنِّسَاء فِي الطَّوافِ، فينَظرُون إِلَىٰ وُجوهِهِنَّ وَما ظَهر مِن أعْضَائِهِن، وَرُبَّما غازَل بَعضُهم بَعضَ النِّسَاء فِي الطَّوافِ، ورُبَّما لَمَسَ بعضُهم بَعضَهُنَّ.

وَرُبَّما تَعرَّض بَعضُهم إِلَىٰ مَا هُو أَشْنَع مِن ذلِكَ من الأفعَالِ القَبيحَة، كَما

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٧٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٦) (٨٨٦٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٦) (١٤٦٧) عن عبد الرحمن ابن سابط.

(٣) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٦) (١٤٦٦) عن الشعبي.

قَد ذَكَر لنَا بَعضُ الثِّقاتِ: «أنَّه رَأىٰ بَعضَ الفُجَّار يُتابع امْرَأة في الطَّوَاف، فَإذَا جَاء فِي مَوَاضِع الزِّحَام التزَق بِهَا مِن خَلفِهَا، فَلَمَّا رَأىٰ ذَلكَ مِنهُ أَمسَكَهُ، فَإذا مُقدَّم ثَوبِه قَد ابْتَلَّ بَالمَنِي وتَلوَّث بِه، فَذهبَ بِه إلَىٰ بَعضِ دَوائِرِ المَسئولِين لِيعاقِبُوه مُعاقَبَةً تَردَعه وَتَردَع أمْثَالَه مِن الفُجَّار الذِين لا يَخافُون اللهَ وَلا يُبالُون بانْتِهَاك حُرمَة البيْت الحَرَام».

وَذُكِر لنَا أيْضًا: «أنَّ بَعضَ الفُسَّاق قَد اتَّخَذوا الطَّوَاف بِالبيتِ مَوضِعًا لِمُراوَدَة النِّسَاء وتَحديدِ المَواعِيد مَعهُن للفُجُور».

ولا شَكَّ أنَّ هَؤلاءِ وَمَن ذُكِر مِن قَبلِهم مِن الفُسَّاق قَد تَعَرَّضوا لِلعُقوبَة العَاجِلة فِي الدُّنيَا مَع مَا هُو مُدَّخَرٌ لهمْ مِن العَذابِ الأليِمِ فِي الآخِرَة إنْ لمْ يَتوبُوا مِن أعْمَالِهم السَّيِّئة.

وَمِن العُقُوبات التِي وقَعتْ فِي زمَن الجَاهليَّة أيضًا: ما رَواهُ الأزْرَقي فِي **«أخْبَار مَكَّة»**، عَن أيُّوب بن مُوسىٰ: «أنَّ امْرأةً كَانتْ فِي الجاهِليَّة مَعها ابن عَمٍّ لَها صَغير، وَكَانتْ تَخرُج فَتكتَسبُ عَليهِ ثُم تَأتِي فَتطعمَه مِن كَسبِهَا، فقَالت لَه: يَا بُنيَّ، إنِّي أغِيبُ عَنكَ وَإنِّي أخَاف عَليكَ أنْ يَظْلَمَك ظَالمٌ، فإنْ جَاءك ظَالمٌ بَعدِي فَإن لله تَعالَىٰ بِمكَّة بَيتًا لا يُشبِهُه شَيء مِن البُيوتِ، ولا يُقَاربُه مُفسِد، وَعليهِ ثِيابٌ، فَإن ظَلَمك ظَالمٌ يومًا فَعُذْ بهِ فَإن لَه رَبًّا يَسمَعكَ.

قَال: فَجاءَه رَجلٌ فَذَهبَ بهِ فاسْتَرقَه. قَال: وَكانَ أهلُ الجَاهليَّة يَعمُرون

أنْعامَهم، فَأعمَر سَيدَه ظَهرَه، فلمَّا رَأىٰ الغُلامَ البَيتَ عَرف الصِّفةَ فَنَزل يَشتدُّ حَتَّىٰ تَعلق بِالبيتِ، وجَاء سَيدُّه فَمَدَّ يَده إلَيهِ ليأخُذَه فَيَبسَت يدُه، فَمَدَّ الأخرَىٰ فيَبسَت يَدُه الأخْرَىٰ، فاسْتَفتَىٰ فِي الجَاهليَّة فَأُفتِيَ لِينحَر عَن كُلِّ وَاحدَةٍ من يَديْهِ بَدنةً، ففَعَل فَأُطلِقَتْ لَه يَداهُ، وَترك الغُلامَ وخَلَّىٰ سَبيلَه»(١).

وَمِن قَصَص العُقُوباتِ أيْضًا: مَا رَواه الفَاكِهي فِي «أخْبَار مَكَّة»، عَن عَبد العَزِيز بن أبِي رواد قَال: «إنَّ قَومًا انْتَهوا إلَىٰ ذِي طوَىٰ فنَزلُوا بِها، فَإذا ظَبيٌ قَد دَنا مِنهم، فأخَذَ رَجلٌ بِقائمَةٍ مِن قَوائمِهِ، فقَالَ لَهُ أصحَابُه: وَيلَك أَرسِلْه، فَجَعل يَضحَك ويَأبَىٰ أنْ يُرسِلَه، فَبَعَّر الظَبي وبَال ثُمَّ أرْسَلَه. فَنامُوا فِي القَائِلَة، فَانتبَه بَعضُهم فَإذَا بِحيَّة مُتطَوِّقَة علَىٰ بَطنِ الرَّجُل الذِي أخَذ الظَّبْي فَقَال لهُ أصْحَابه: وَيحَك لا تَحرَّك وانْظُر مَا عَلىٰ بَطنِك، قَال: وَلَم تَزُل عَنه الحيَّة حتَّىٰ كَان مِنهُ مِن الحَدثِ مِثل مَا كَان مِن الظَّبي»(٢).

وَمِن قَصَص العُقُوبَات أيضًا: مَا رَواه الفَاكِهي أيْضًا، عنْ أَبِي زُرعَة قَال: سَمعْتُ مُحمَّد بن أَبِي عُمَر قَال: سَمِعتُ أَبِي يَقُول: «وقَعَ بَينَ رَجلٍ وبَين خَتنَهِ كَلامٌ، فَقال الفَتَىٰ لَختَنِه فِيما قَال لَه: أنْتَ الذِي بَعثْتَ لِي بِنتَك ولَم تَكُن عَذرَاء، فَقام غُلامٌ مِن الحَلقَة، فَمَضىٰ إلَىٰ امْرَأتِه فأخْبَرَها بِقولِه. فقَامت الجَاريةُ فانْتَقبتْ

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٧) عن أيوب بن موسىٰ.

(٢) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٧) (١٤٦٨) عن عبد العزيز بن أبي رواد.

ثُمَّ جاءَتْ حَتَّىٰ وقفَتْ علَيهِم وَهم يَتخاصَمُون في حَلَقتِهِم، فأسْفَرتْ عن وَجهِها ثُمَّ نَظرتْ إلَىٰ زوجِهَا وقَالتْ: يَا فلان بن فُلان، أتَعرِفني؟ قال: نِعم، أنتِ امرأتِي فُلانة، قالتْ لهُ: أنتَ القَائلُ لأبِي: إنِّي جِئتك غَير عَذرَاء، اللَّهم إنْ كَان كاذِبًا فَسلِّط عَليه بَرَصًا نقيًّا، قَال: فَتَسلَّخ الرَّجل مِن جِلدِه مَكَانه»[١].

وِمن قَصصِ العُقُوبات أيضًا: مَا رواهُ الأزْرَقي في «**أخبَار مَكَّة**»، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: «رَأيْتُ رَجلًا دَعا عَلىٰ ابن عَمٍّ لَهُ بِالعَمىٰ فَرأيتُه يُقادُ أَعْمَىٰ»[٢].

وَمِن قَصص العُقُوباتِ أيضًا: مَا رَوَاه ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقات**»[٣]، عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعَن عَاصم بن عُمر بن قَتَادة، وأبِي بَكر بن عبْد الرَّحمَن بن الحَارث بن هِشَام، وَعبْد اللهِ بن عُثْمَان بن أبِي سُليمَان بن جُبَير بن مُطْعم، عَن أَبيهِ: «أنَّ قُريشًا كَتبُوا كِتَابًا عَلىٰ بَني هاشِم أنْ لَا يُنَاكِحُوهم وَلا يُبايِعُوهم وَلا يُخَالِطُوهم، وَكانَ الذِي كَتَبَ الصَّحِيفَة مَنصُور بن عَكْرمَة العَبدَرِي، فَشُلَّت يَده».

وَقالَ ابنُ إسْحَاق: «دعَا عَليهِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُلَّ بَعضُ أصَابِعِه»[٤].

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٧) (١٤٧٠).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» (١/ ٣٥٠) لابن هشام.

قالَ ابن كَثيرٍ فِي «البِدايَة والنِّهَايَة»[١]: «وكَانتْ قُريشٌ تَقُول بيْنَها: انْظُروا إلَىٰ مَنصُور بن عَكْرِمَة».

ومِن قَصص العُقوبات: مَا رَواهُ الطَّبراني مِن حَديثِ عبد الرَّحمَن بن أَبِي بَكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: «كانَ الحَكَم بن أَبِي العَاص يَجلسُ عِندَ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَإذا تَكلَّم اخْتلَجَ، فَبصُرَ بِه النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقَال: «**كُنْ كَذَلِكَ**»، فَمَا زَال يَختَلِج حَتَّىٰ مَات».

ورَواه البَيهَقِي فِي «**دلائِل النُّبوَّة**» وَلفظُه قَالَ: «كانَ فُلانٌ يَجلسُ إِلىٰ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَإذا تَكلَّم النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِشيءٍ اخْتلَجَ بِوجهِهِ، فقَال لهُ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كُنْ كَذَلكَ**»، فلمْ يزلْ يَختَلِج حَتَّىٰ مَات»[٢].

ورَوَىٰ البيهَقِي أيْضًا عنْ هِند بن خَدِيجَة زَوجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالحَكَم، فَجعَل يَغمِزُ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَالتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَرَآه فَقَال: «**اللَّهُمَّ اجْعَل بِه وَزْغًا**» فَرَجفَ مَكَانَه، وَالوَزْغُ ارتعَاشٌ»[٣].

---

(١) (٣/ ٨٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢١٤) (٣١٦٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة (٦/ ٢٤٠)، وغيره عن هند بن خديجة.

قَال ابن الأثِير فِي «النِّهَايَة»[١] وَتبعَه ابن مَنظُور فِي **«لسَان العَرَب»**[٢]: «وفِيهِ: أنَّ الحكَم بن أبِي العَاص أبَا مَروَان حَاكَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن خَلفِهِ، فَعَلم بِذلِكَ فقَال: «**كَذَا فَلتكُنْ**»، فأصَابَه مَكانَه وَزْغٌ لَمْ يُفَارِقْه، أَي: رَعشَة، وَهِي ساكِنَة الزَّاي».

وفِي رِوايَة: «أنَّه قَال لَمَّا رَآهُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِهِ وَزْغًا**»، فَرَجَفَ مَكَانَهُ وارْتَعَشَ»؛ انتهىٰ.

وقَال ابن عَبدِ البَرِّ فِي «الاسْتِيعَاب»[٣]: «كان الحكَم بن أبِي العَاصِ يَحْكي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِشيَتِه وبَعْضِ حركَاتِه، فالتَفَت النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فرَآه يَفعلُ ذَلكَ، فَقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَكَذَلِكَ فَلْتكُنْ**» فكَانَ الحكَم مختلجًا يَرتَعشُ مِن يومِئذ».

ومِنَ العُقُوبَة علىٰ مُخالَفة أمْر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاء فِي حَديثِ سَلمَة بن الأكْوَع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رَجُلًا أكَل عِندَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشمَالِه فَقَال: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قَال: «**لا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ**»، قَالَ: فمَا رَفعَها إِلىٰ فِيه». [رَواهُ الإمَام أحْمَد وَمُسلِم وابْن حِبَّان فِي «**صَحيحِه**»، والبَيهَقِيُّ فِي «**دلائِل النُّبُوة**»].

(١) (٥/ ١٨١).

(٢) (٨/ ٤٥٩).

(٣) (١/ ٣٥٩).

وفِي رِوايَة لِأحمَد والدَّارِمي وابْن حِبَّان والبَيهَقِي، عَن سَلَمة بن الأكْوَع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ لِرَجلٍ -يُقَال لَه: بُسر بِن رَاعِي العِير- أبْصَرهُ يأكُلُ بِشمالِه، فقَال: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، قالَ: فَما وَصَلتْ يَمينُه إِلىٰ فَمِه بَعْدُ».

[هَذا لفظُ أحْمَد. وَزَاد، قالَ أبُو النَّضْرِ فِي حَديثِهِ: «ابنُ رَاعِي العِيرِ مِن أشْجَع»].

قَالَ النَّوَوِي فِي «شَرحِ صَحيح مُسْلِم»: «فِي هَذا الحَديثِ جَوازُ الدُّعَاء عَلىٰ مَن خَالفَ الحُكمَ الشَّرعِي بِلا عُذرٍ»؛ انتهىٰ[(١)].

قُلتُ: وفِي دُعاءِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَىٰ الرَّجُل الذِي خَالفَ أمْرَه وَمُعَاجَلة الرَّجُل بِالعُقوبَة أبْلَغ تَحذِير مِن الأكْل والشُّربِ بالشِّمَال مِن غَير عُذرٍ، فَليحْذرِ الذِين يَأكلونَ وَيشرَبونَ بِشمَائِلِهم مِن غَيرِ عُذرٍ أَن يُصَابوا بِمثلِ مَا أصِيبَ بِه بُسر بن رَاعي العِير. فمَا العُقوبَة بِبعيدٍ مِن الذِين يُخَالفُون أَمرَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهَدْيَه.

ومِن العُقوبَة عَلىٰ المُخالفَة أيضًا: مَا رَواهُ الإمَام أحمَد عَن أبِي يَحيَىٰ -

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٥- ٤٦) (١٦٥٤٠، ١٦٥٤٦)، ومسلم (٢٠٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٤٤٢-٤٤٣) (٦٥١٢، ٦٥١٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٨)، والدارمي في «السنن» (٢/ ١٢٩٣) (٢٠٧٥)، وغيرهم من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «شَرح صَحيح مُسْلِم» (١٣/ ١٩٢) للنووي.

رَجل مِن أَهلِ مَكَّة- عَن فَرُّوخ مَولَىٰ عُثمَان: «أنَّ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَهُو يومَئِذٍ أمير المُؤمِنِين، خَرَج إلَىٰ المَسجدِ فرَأىٰ طَعامًا مَنثُورًا فَقَال: مَا هَذا الطَّعَام؟ فقَالُوا: طَعَامٌ جُلِبَ إلينَا، قَال: بَاركَ اللهُ فِيهِ وفِيمنْ جَلبَه. قِيل: يَا أميرَ المُؤمِنينَ، فَإنَّه قَد احْتُكِر، قَال: وَمن احْتكَره؟ قَالُوا: فَرُّوخ مَولَىٰ عُثمان وفُلان مَولَىٰ عُمَر.

فَأرسَل إليهِمَا فَدَعاهمَا فقَال: مَا حَمَلكمَا عَلىٰ احتِكَار طَعامِ المُسلِمين؟ قَالا: يَا أميرَ المُؤمِنينَ، نَشتَري بأموالِنَا ونَبيعُ، فَقَالَ عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سَمِعتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**مَنِ احْتكَرَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُ بِالإِفْلَاسِ أَوْ بِجُذَامٍ**»، فَقَال فَرُّوخ عِندَ ذَلكَ: يَا أميرَ المُؤمِنينَ، أعَاهِد اللهَ وأُعَاهِدُكَ أَن لَا أَعودَ فِي طَعام أبَدًا.

وأمَّا مَولَىٰ عُمَر فَقَال: إنَّمَا نَشتَري بِأموَالِنا ونَبِيعُ. قَال أَبُو يحيىٰ: فلَقَد رأيْتُ مَولىٰ عُمَر مَجْذُومًا».

[ورَوَاه البَيهَقي فِي «**دَلائِل النُّبوة**»، وَروَىٰ ابن مَاجه المَرفُوعَ مِنهُ فَقط. قالَ فِي «الزَّوائِد»: إسْنَاده صَحيحٌ ورِجَالُه مُوَثَّقون، وصَحَّحَ الشَّيخُ أحْمَد مُحَمَّد شَاكِر إسْنَاد أحْمَد][(١)].

وَمِن عُقُوبَات المُستَهزئينَ بِالأحَادِيث الثَّابِتة عَن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: مَا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١) (١٣٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٤٦)، وابن ماجه (٢١٥٥) مختصرًا علىٰ المرفوع منه، وغيرهم.

رَواه الدَّارِمِي، عَن ابنِ عَجْلان، عَن العَجْلان، عَن أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتبَخْتَرُ فِي بُرْدَينِ خَسَفَ اللهَ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ**»، فَقَال لَه فَتَىً قَد سَمَّاه وَهُو فِي حُلَّة: يَا أَبَا هُرَيرَة، أَهَكذَا كَان يَمشِي ذَلكَ الفَتَىٰ الذِي خُسِفَ بِه؟ ثُمَّ ضَرب بِيَده فَعَثَر عَثرَة كَاد يَتكسَّر مِنهَا، فقَال أَبُو هُريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِلمِنخَرَينِ وَلِلفَم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحِجر: ٩٥].

[وَقَد بَوَّب الدَّارِمِي عَلَىٰ هَذا الحَديثِ بِقولِه: «بَاب تَعجِيلُ عُقوبَة مَن بَلَغه عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَديثًا فَلَم يُعظِّمه وَلَم يُوَقِّره»](١).

وَمن عُقوبَات المُستهزِئينَ بِالأَحَاديثِ الصَّحيحَةِ أيضًا: مَا ذَكرَه ابن القَيِّم فِي كِتابِه «**مِفْتَاح دَار السَّعَادة**»(٢)، عنْ أَحْمَد بن مَرْوَان المَالِكي أَنَّه قَالَ فِي «**كتَاب المُجَالَسَة**» لَه: حَدَّثنا زَكريَّا بن عَبد الرَّحمنِ البَصرِي قَال: سَمعتُ أَحمَدَ بن شُعَيب يَقُول: «كُنَّا عِندَ بَعضِ المُحدِّثينَ بِالبَصرَة فَحدَّثنا بِحديثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطَالِبِ العِلْمِ**»(٣).

وفِي المَجلِس مَعَنا رَجلٌ مِن المُعتزِلَة، فَجعَل يَستَهزِئ بِالحدِيث، فَقالَ:

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤٠٤) (٤٥١)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (١/ ٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وغيرهما من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٧٩) (٦٢٩٢).

واللهِ لَأطرُقَنَّ غَدًا نَعْليَّ بِمسَامِير فَأَطأ بِها أَجْنِحَة الملَائِكة. فَفَعل وَمَشىٰ فِي النَّعْلَين فَجفتْ رِجلَاه جَميعًا وَوقَعتْ فِيهِمَا الآكَلة».

وِمِن عُقُوباتِ المُستَهزِئينَ بالأحَادِيثِ الصَّحِيحةِ أيْضًا: مَا رَواه الطَّبَراني قَال: سَمعْتُ أبَا يَحيَىٰ زَكريَّا بن يَحْيىٰ السَّاجي قَال: «كُنَّا نَمشِي فِي بَعضِ أزِقَّة البَصرَة إلَىٰ بَاب بَعضِ المُحدِّثينَ، فأسْرَعنَا المَشي وَكان مَعنَا رَجلٌ مَاجنٌ متَّهمٌ فِي دِينِه فَقال: ارْفَعوا أرْجُلَكم عَن أجْنِحَة المَلائِكة لا تَكسِرُوها؛ كَالمُستَهزِئ، فَما زالَ مِن مَوضِعِه حَتَّىٰ جَفَّت رِجلاه وَسَقط».

[وَقَد رَوَاه الخَطيبُ البَغْدَادي فِي كِتَابه «**الرِّحْلَة فِي طَلَب الحَدِيث**»[١] مِن طَرِيقِ الطَّبَرانِي فَذَكره بِنَحوِه].

قُلتُ: مَا أكْثَر المُستَهْزِئينَ بِالأحَاديثِ الصَّحِيحَة مِن الأجْلَافِ المَغْمُوصين بالنِّفَاق والزَّنْدقَة فِي زمَانِنَا وقَبْلَه بِزمانٍ! وَقد رَأينَا ذَلكَ فِي كُتبٍ لَهم وَمَقالاتٍ كَثِيرة.

وبَعضُ الحَمقَىٰ مِن هَؤلاء لا يُقيمُونَ لِلأحَاديثِ الصَّحِيحةِ وَزنًا، وَلا يُبالُون بِردِّهَا واطِّرَاحِها ومُقَابلَتِها بأسْوَأ المُقابَلَة إذَا كَانتْ مُخالِفة لِما يَرونَه بِعقُولِهم القَاصرة وآرائِهم الفَاسدة.

ولا شكَّ أنَّ هذَا مِن المُحَادَّة للهِ ولِرسُولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع غَيرِ

(١) (ص٨٥).

سَبيلِ المُؤمِنينَ، وَقدْ وَرَد الوَعيدُ الشَّديدُ علىٰ ذَلكَ فِي عدَّة آياتٍ مِنَ القُرآنِ، فَلا يأمنُ المُستهْزِئونَ بِالأحَادِيث الصَّحِيحة والمُقَابِلون لهَا بِالرَّفْض والاطِّرَاح أنْ تُعجَّل لَهم العُقوبةُ فِي الدُّنْيا، مَع مَا هُو مُدَّخرٌ لَهم مِن العذَاب الأليمِ فِي الآخِرَة إنْ لَم يَتُوبوا ويُقَابِلوا أقوَالَ رَسولِ اللهِ ﷺ بالقَبُول والتَّسلِيمِ والتَّوقِيرِ والتَّعظِيم.

ومِنَ العُقوبَاتِ علىٰ مَعصِيةِ النَّبي ﷺ: مَا رَواه الإمَامُ أحْمَد والبزَّار والطَّبَراني، عَن عبد اللهِ بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ نَزلَ العَقِيق، فَنَهىٰ عَن طُروقِ النِّساءَ اللَّيلةَ التِي يَأتِي فِيهَا، فَعصاه فتيَان، فَكِلاهُمَا رَأىٰ مَا يَكْرَه». [قَال الهَيثَمِي: رِجَالُهم ثِقَات][1].

ورَوىٰ الدَّارِمي عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبي ﷺ قَال: «**لَا تَطرُقُوا النِّسَاءَ لَيلًا**». قَال: «وَأقبلَ رَسُول اللهِ ﷺ قافلًا، فاشْتَاقَ رَجُلانِ إِلَىٰ أهْلَيهِمَا، وكِلَاهُمَا وَجَد مَع امْرَأتِه رَجُلًا»[2].

ورَوَىٰ الدَّارِمي أيْضًا عَن سَعِيد بن المُسَيِّب قالَ: «كَان رَسُول اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٠٤) (٥٨١٤)، والبزار في «المسند» (١٢/ ١٥٤) (٥٧٥٠)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر: «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٨٥).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٤٠٩) (٤٥٨)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفي إسناده زمعة بن صالح، وهو ضعيف وقد وثق.

إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ نَزَل المعرَّس ثُمَّ قَال: «**لا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا**»، فَخَرجَ رجُلانِ مِمَّن سَمعَ مَقالَتَهُ فَطَرقَا أهْلَيهِمَا فَوَجد كُلُّ وَاحدٍ مِنهُما مَع امْرَأتِه رَجُلًا»(١).

ومنَ العُقوبَات علىٰ مَعصِية النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: مَا رَواهُ يُونُس بنُ بُكَير،

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤١٠) (٤٥٩)، عن سعيد بن المسيب به مرسلًا.

قال الصنعاني في «التنوير شرح الجامع الصغير» (١١/ ١٢٢) (٩٨٠٥): «(لا تطرقوا النساء) أي: تقدموا علىٰ الأزواج من الأسفار (ليلًا) لما علَّل به في غيره من أنه قد يوافق أهلَه علىٰ غير الحالة التي يريد وتريد، والطَّرْق لا يكون إلا في الليل، فذِكْرُه تجريد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، مع أن الإسراء لا يكون إلا في الليل، وفيه أنه لا يحسن أن يدخل علىٰ أهله في حالة يكرهون رؤيتهم له عليها لئلَّا ينفر طبعه عنهم» اهـ.

وقال صاحب «كوثر المعاني الدراري» (١٤/ ٥٥): «قال ابن أبي جمرة -نفع الله به-: فيه النهي عن طروق المسافر أهله علىٰ غِرَّة من غير تقدُّم إعلام منه لهم بقدومه، والسببُ في ذلك ما وقعت إليه الإشارة في الحديث، قال: وقد خالف بعضُهم فرأىٰ عند أهله رجلًا، فعُوقب بذلك علىٰ مخالفته» اهـ.

وقد سئل العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا السؤال:

من المعلوم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ أن يطرق الرجل أهله ليلًا، ونحن كثيرو السفر، بل السفر هو طبيعة عملنا، وكثيرًا ما تصادف الرجوع ليلًا من رحلاتنا، فكيف العمل؟

فأجاب قائلًا: النهي ليس واردًا علىٰ هذا، فالنهي علىٰ إنسان يطرق أهله بغير أن يُخبرهم، أما إذا أخبرهم فلا حرج في ذلك، وليس فيه نهي؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علَّل النهي فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حتىٰ تمشط الشعثة، وتستحد المغيبة**»، وهذا يدل علىٰ أن النهي إنما هو لمن لا يُعلِم أهله بذلك، أما من علموا وباتفاق بينه وبينهم ويقول: سآتي في الساعة الثانية عشر ليلًا، فلا شيء عليه. انظر: «مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين» (١٥/ ٤٤٨).

عِن ابن إسْحَاق، حَدثَنِي عَبد اللهِ بن أَبِي بَكر بن حَزم، عَن العَبَّاس بن سَهل بن سَعد السَّاعِدي -أو عَن العَبَّاس بن سَعد (الشَّكُّ مِنِّي)-: «أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ بِالحِجْرِ وَنـزَلَها قَال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَخرُجَنَّ أحَدٌ مِنكُم اللَّيْلَة إلَّا وَمَع صَاحبٍ له**»، فَفعَل النَّاسُ مَا أَمَرَهم بِه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا رَجُلَينِ مِن بَنِي سَاعِدة، خَرَج أَحَدُهما لِحَاجتِه وخَرَج الآخَرُ فِي طَلَب بَعيرٍ له، فَأَمَّا الذِي ذَهبَ لِحَاجتِهَ فإنَّه خُنِق علىٰ مَذهَبِهِ، وأَمَّا الذِي ذَهبَ فِي طلَبِ بَعيرِهِ فَاحتَمَلتْهُ الريحُ حَتَّىٰ أَلقَتْهُ بَجبلِ طَيِّءٍ، فَأُخبِرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلكَ فَقَال: «**أَلَمْ أَنْهكُمْ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ إلَّا وَمَعَ صَاحِبٍ لَهُ**»، ثُمَّ دَعَا لِلذِي أُصِيبَ عَلَىٰ مَذهَبِه فَشُفِي، وَأَمَّا الآخَر فَإِنَّه وَصَل إِلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا رَجَع مِن تَبُوك».

وفِي رِوَايَة زِياد عَن ابن إسْحَاق: «أَنَّ طَيئًا أَهْدَته إِلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَجعَ إِلَىٰ المَدِينة».

قَالَ ابن إسْحَاق: «وَقدْ حَدَّثني عَبدُ اللهِ بن أَبِي بَكر، أَنَّ العَبَّاس بن سَهْل سَمَّىٰ لَهُ الرَّجُلينِ، لَكِنَّه اسْتكتَمه إِيَّاهُما فَلم يُحَدِّثني بِهِما»(١).

ورَوىٰ الإمَامُ أحْمَد والبُخَاري وَمُسلم عَن أَبِي حُمَيد السَّاعِدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: «غَزونَا مَع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزوَة تبُوك -فَذكر الحَدِيث وَفِيه- فَلمَّا أَتينا تَبُوك قَال: «**أَمَا إِنَّهَا سَتهُبُّ اللَّيْلَة رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلا يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرُهُ**

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٥/ ١١).

فَلْيَعْقِلْهُ»، فَعقِلْنَاهَا وَهَبَّت رِيحٌ شَدِيدَة، فَقَامَ رجُلٌ فَألقَتْهُ بِجَبلِ طَيء»(١).

وَمِن العُقُوبَات عَلىٰ مَعصِيَة النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أيضًا**: مَا رَواه أبُو دَاودَ، عَن سَعيد بن غَزْوَان، عَن أَبِيه: «أنهُ نَزلَ بِتبُوك وَهُو حَاجٌّ، فَإذا هُو بِرَجُل مُقْعد فَسَألَه عَن أمْرِه، فقَال لَه: سَأحَدِّثك حَديثًا فَلا تُحَدِّث بِه مَا سَمعتَ أنِّي حيٌّ. إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزلَ بِتبوك إِلىٰ نَخلَة فَقال: «**هَذِهِ قِبْلَتُنَا**»، ثُمَّ صَلَّىٰ إِلَيهَا فَأقْبَلْتُ وَأنا غُلامٌ أَسعَىٰ حتَّىٰ مَررْتُ بَينَه وبَينَها، فَقَال: «**قَطَع صَلاتَنَا قَطعَ اللهُ أَثَرَهُ**»، فمَا قُمتُ عَليهَا إِلَىٰ يَومِي هَذا».

ورَوَاه الإمَامُ أحْمَد وأبُو دَاود أيْضًا، عَن يَزيدَ بن نِمْرَان قَال: «رَأَيتُ رَجُلًا بِتَبُوك مُقْعَدًا فَقَال: مَررْتُ بينَ يَدَي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلىٰ حِمَار وَهُوَ يُصَلي، فَقَال: «**اللَّهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ**»، فَمَا مَشَيتُ عَليها بَعْدُ».

[هَذا لَفظُ أَبِي دَاوُد. وَفِي رِوَاية لَه فَقَال: «**قَطَع صَلاتَنَا قَطعَ اللهُ أَثَرَهُ**»](٢).

وَمِنَ العُقُوبَات عَلَىٰ مَعْصِيَة النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا رَوَاه الدَّارِمي عَن عَبد الرَّحْمَن بن حَرمَلَة قَال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ سَعِيدِ بن المُسَيِّبِ يُوَدِّعُه بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَبْرحْ حتَّىٰ تُصلي، فإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**لَا يَخْرُجُ بَعْد**

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٤) (٢٣٦٥٢)، والبخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢)، وغيرهم، من حديث أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٦٤) (١٦٦٥٩)، (٥/ ٣٧٦) (٢٣٢٤٥)، وأبو داود (٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧)، وغيرهما. وضعفه الألباني انظر: «ضعيف أبي داود» (١/ ٢٥٨).

النِّدَاءِ مِنَ المَسْجِدِ إِلَّا مُنَافِقٌ، إِلَّا رَجُلٌ أَخْرَجَتْهُ حَاجَةٌ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّجْعَةَ إِلَىٰ المَسْجِدِ». فقَال: إنَّ أصْحَابي بِالحَرَّة، قَال: فَخَرج، قَال: فَلَمْ يَزِلْ سَعيد يُولَعُ بِذكرِه حَتَّىٰ أُخْبِر أنَّه وَقَع مِن راحِلَتِه فانْكَسرت فَخِذُه»[١].

ومن العقُوباتِ عَلىٰ الامْتِناعِ مِن الإسْلَام: مَا رَواهُ ابن سَعد فِي «الطَّبَقَات»، عَن عَمرو بن مُرَّة الجُهَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلىٰ قَومِه يدْعُوهم إِلَىٰ الإسْلامِ، فأجَابُوه إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا رَدَّ عليهِ قَولَه، فدَعَا عليهِ عَمرو بنُ مُرَّة فَسَقَط فُوهُ، فَما كَان يَقدِرُ عَلىٰ الكَلامِ، وَعَمِي واحْتاج»[٢].

ومِنَ العُقُوبَة عَلىٰ الإعْجَاب بِالنَّفسِ: ما ذَكرَه الحَافِظُ ابنُ كَثيرٍ فِي آخِر تَفسِير سُورَة القَصصِ[٣]، عَن الحَافظِ مُحمَّد بن المُنذِر أنَّه ذكَرَ فِي كِتَاب «العَجَائِب الغَرِيبَة» بِسَندِه، عَن نَوْفَل بِن مساحق قَال: «رَأيتُ شَابًّا فِي مَسجد نَجْرَان، فَجعَلتُ أَنْظُر إِلَيهِ وأَتَعجَّبُ مِن طُولِه وتَمَامِه وجَمَالِه، فَقالَ: مَا لكَ تَنظُرُ إِليَّ؟ فَقلت: أَعْجبُ مِن جَمالِكَ وكَمالِكَ، فقَالَ: إنَّ اللهَ ليَعَجبُ مِنِّي، قَال: فَما زَالَ يَنقُصُ وَينقُصُ حتَّىٰ صَار بِطولِ الشِّبرِ، فَأخَذَه بَعضُ قَرابَتِه فِي كُمِّه وَذهَب بِه».

وَمِن عُقُوبَات الذِين يَسُبُّونَ الصَّحَابَة وَيكذِبُون عَلَيهِم: مَا ذَكرَه ابن القَيِّم فِي

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤١٠) (٤٦٠)، وغيره عن سعيد بن المسيب به مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٥٦).

كِتاب «**الرُّوح**»[١] قَال: ذَكَرَ ابن أَبِي الدُّنْيا، عَن أَبِي حَاتم الرَّازِي، عَن مُحمَّد بن عَلِي قَال: «كُنَّا بِمَكَّة فِي المَسجِد الحَرَام قُعُودًا فقَامَ رَجُلٌ نِصفُ وَجهِهِ أَسْود وَنِصْفُه أَبْيَض، فقَال: يَا أَيُّهَا النَّاس، اعْتَبِروا بِي، فَإِنِّي كُنتُ أَتَناولُ الشَّيْخَينِ وأَشْتِمُهُمَا، فبَينَمَا أَنَا ذَاتَ لَيلَة نَائمٌ إذْ أَتَاني آتٍ، فَرفع يَدَه فَلَطم وَجهِي وقَالَ لِي: يَا عَدُوَّ اللهِ، يَا فَاسق، أَلَستَ تَسُبُّ أَبَا بَكر وَعُمر؟ فَأَصبَحتُ وَأَنَا عَلىٰ هَذه الحَالِ».

وَمِن **عُقُوبَاتِهم أيضًا**: مَا روَاه ابن سعْدٍ فِي «**الطَّبَقات**»، عَن عَلِي بن زَيد قَال: «قَال لِي سَعيدُ بن المُسيَّب: قُلْ لقَائدِك يَقُوم فَينظُر إِلىٰ وَجهِ هذَا الرَّجُل وَإِلَىٰ جَسَده، قَال: فانْطَلق فَنَظر فَإذا رَجلٌ أَسوَد الوَجهِ، فَجَاء فَقَال: رَأيتُ وَجهَ زِنجِي وَجَسدُه أَبْيَض، فَقَال: إنَّ هذَا سَبَّ هَؤلاءِ الرَّهْطِ طَلحَة والزُّبَير وعَليًّا، فنَهَيتُه فَأَبىٰ فَدَعوتُ عَلَيه، قَال: قُلتُ: إِنْ كُنتَ كَاذبًا فَسَوَّد اللهُ وجْهَك، فَخرجَت بِوجهِه قُرحَة فاسْوَدَّ وجْهُه»[٢].

ومِن عُقُوباتِهم أيْضًا: مَا ذَكره ابن القَيِّم[٣]، عن القَيرَوَاني قَال: أَخْبَرَني شيخٌ لَنا مِن أَهْلِ الفَضلِ قَال: أَخْبَرَني أَبُو الحَسن المُطَّلِبي إمَام مَسجِد النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رأَيْتُ بِالمدِينَة عَجَبًا، كَان رَجلٌ يَسبُّ أَبَا بَكر وعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فبَينَا نَحنُ يَومًا مِن الأَيَّام بَعد صَلاة الصُّبحِ؛ إذْ أَقْبَل رَجلٌ وَقد

---

(١) (ص١٩٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٣٦).

(٣) انظر: «الروح» (ص١٩١).

خَرَجتْ عيناه وسَالتَا علىٰ خدَّيه، فسَألنَاه مَا قِصَّتُك؟ فقَال: رأيتُ البَارِحَة رَسولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعليٌّ بَينَ يَديهِ ومَعَه أبُو بَكر وعُمَر فقَالا: يَا رَسولَ اللهِ، هذَا الذِي يُؤذِينا وَيَسُبُّنا، فقَال لِي رَسولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا أَبَا قَيْسٍ»؟ فَقُلتُ لَه: عَلِيٌّ، وأَشَرتُ إلَيهِ. فَأَقبَلَ علَيَّ عليٌّ بِوجهِهِ ويَدِه وقَد ضَمَّ أصَابِعه وَبسَطَ السَّبَّابة والوُسْطىٰ وَقصَد بِها إلَىٰ عَينِي، فقَال: إنْ كُنتَ كَذَبت فَفَقأَ اللهُ عَينَيكَ، وأدْخَل أُصبعَيه فِي عَينَيَّ فَانتبهتُ مِن نَومِي وَأَنا علىٰ هَذِه الحَال، فَكانَ يَبكِي وَيُخبِر النَّاس وأعْلَن التَّوبَة».

وَمِن أشْنَع العُقُوباتِ: مَا ذَكرهُ ابن الجَوزِي فِي «**سِيرَة عُمَر بن الخَطَّاب**»، عَن أَبِي المُحَياة التَّيْمِي قَال: حدَّثَني مُؤذِّن عَلي بن أبِي طَالِب قَال: «خَرجتُ أنَا وَعمِّي إلَىٰ مَكرَان، وكانَ مَعنَا رجُلٌ يَسبُّ أبَا بَكر وَعُمَر رَضِۡاَللَّهُعَنۡهُمَا، فنَهيناه فَلم يَنتَهِ، فَقلنَا: اعْتزلْنَا، فاعتَزَلَنا، فلمَّا دَنا خُروجُنَا تَذَمَّمْنَا فَقلْنَا: لَو صَحِبنا حتَّىٰ نَرجِعَ إلىٰ الكُوفَة، فَلَقِينَا غُلامًا لَه فَقُلنَا لَه: قُل لِمَولَاكَ يَعود إِلينَا، قَال: إنَّ مَولايَ قَد حَدَث بِهِ أمرٌ عَظيمٌ، قَد مُسخَت يَداهُ يَدي خِنزِير.

قَالَ: فأتَيناه فقُلنا: ارجِع إلَينَا، فقَال: إنَّه قَد حَدَث بِي أمرٌ عَظِيمٌ، وَأخرجَ ذِارعَيهِ فَإذَا هُما ذِرَاعا خِنزِير، قالَ: فَصَحِبنا حتَّىٰ انْتَهينَا إلَىٰ قَريَة مِن قُرىٰ السواد كَثيرة الخَنازِير، فلمَّا رَآها صَاح صَيحَة وَوثَب فَمُسِخ خِنزِيرًا وخَفِي علَينَا، فَجئنَا بِغُلامِه ومَتَاعه إلَىٰ الكُوفة».

[وقَد ذكَر هَذه القِصَّة اللالكائي فِي «شَرح السُّنَّة»، وَوقَع فِي المَطبُوع مِنهُ بَياضٌ فِي آخِر الإسْنَاد، وهُو اسْم أَبِي المُحَياة وَمُؤذِّن علي][١].

وَمِنَ **العُقُوبَات أَيْضًا**: عُقُوبَةُ الذِي تَرَكَ الإنْكَار عَلىٰ مَن سَبَّ أَبَا بَكر وعُمرَ مَع قُدرَته عَلىٰ الإنْكَار، وَقد ذَكر هَذِه القِصَّة ابن الجَوزي فِي «**سِيرَة عُمرَ بن الخَطَّاب**»، عَن أَبِي الحَسن أَحَمد بن عَبد اللهِ السَوسَجَرِدي قالَ: «كَانَ فِي جِوارِنَا رَجلٌ يَقرأُ القُرآنَ يُعرَفُ بِأَبِي الحَسنِ بن عَزَنَة، وكانَ يختَلِفُ إِلىٰ شَيخِنَا أَبِي الحَسَنِ بن أَبِي عُمَر المُقْرِي، فَبَات لَيلَةً فِي عَافِية، فَأَصْبَحَ وَقَد عَمِي، فَسُئِل عَن ذَلِك فَقَال: كُنتُ فِي مَجلِسٍ فِي شَارع بَاب الكُوفَة، فَذَكرَ رَجلٌ بِحضْرَة جَماعَة أَبَا بَكرٍ وَعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِسوءٍ، فَما أَنْكَرتُ وَكُنتُ قَادرًا علَىٰ الإنْكَار، فلمَّا كَان اللَّيلُ رَأيتُ عَليَّ بن أَبِي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّومِ، فقَال لِي: لِمَ لا تُنكِر عَلىٰ مَن ذَكَرهُما بِسُوء؟ وَضَرب رَأسِي بَمَرزَبَّة فَأَصبَحتُ أَعْمَىٰ»[٢].

وِمن **عُقُوبَاتِهم أيضًا**: مَا ذَكَره ابن القَيِّم فِي كِتاب «**الرُّوح**»[٣] قالَ: وَفي كتَاب «**المَنَامَات**» لابن أَبِي الدُّنْيا، عنْ شَيخٍ مِن قُرَيش قَال: «رَأيْتُ رَجُلًا بِالشَّامِ قَد اسْوَدَّ نِصفُ وَجهِه وَهُو يُغطِّيه، فَسَأَلتهُ عَن ذَلك، فَقال: قدْ جَعلت للهِ عليَّ أَنْ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤٠٢) لابن عساكر، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ٦٣) للالكائي.

(٢) انظر: «محض الصواب» (٣/ ٩٣٧) لابن عبد الهادي.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٢٠)، وانظر كتاب «الروح» (ض ١٨٩).

لَا يسألَنِي أحدٌ عَن ذَلكَ إِلَّا أخبَرتُه بِه، كُنتُ شَديدَ الوَقيعَة فِي عَلي بن أَبِي طَالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فبينَا أنَا ذَاتَ لَيلَة نَائِمٌ إِذ أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامي فَقال: أَنْت صَاحبُ الوَقيعَة فِيَّ، فَضَرب شِقَّ وَجهِي فَأَصبحْتُ وَشِقُّ وَجهي أَسود كَمَا ترىٰ».

ومِن عُقُوبَاتهم أَيْضًا: مَا جَاء فِي قصَّة العَبسِي الذِي كَذَب عَلىٰ سَعد بن أبِي وَقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَقَد روَىٰ قِصَّتَه البُخَاري فِي «**صَحِيحِهِ**»، مِن طَرِيقِ عَبد المَلِك بن عُمَير، عَن جَابِر بن سَمُرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: «شَكَا أهلُ الكُوفَة سَعدًا إِلَىٰ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، -فَذكرَ الحَديثَ وَفِيهِ- فَأَرسَل مَعهُ رَجُلًا أوْ رِجَالًا إِلَىٰ الكُوفة، فسَأَل عَنهُ أَهْلَ الكُوفَة ولَم يَدَعْ مَسجِدًّا إلا سَأَلَ عَنهُ وَيُثنُون مَعرُوفًا، حتَّىٰ دَخل مَسجِدًّا لِبَني عَبسٍ، فقَام رَجلٌ مِنهم -يُقالُ له: أُسَامَة بن قَتَادة يُكَنَّىٰ أبَا سُعْدَة- قَال: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنا فَإِنَّ سَعدًا كانَ لا يَسِير بِالسَّرِيَّة، ولا يَقْسِم بِالسَّوِيَّة، وَلا يَعدِلُ فِي القَضِيَة، قَال سَعد: أمَا واللهِ لأدْعُوَنَّ بِثلاث: اللَّهُم إِنْ كانَ عَبدُك هَذا كَاذبًا قَام رِياءً وسُمعَة فَأَطِل عُمُرَه وَأطِلْ فَقرَه وعَرِّضهُ بِالفِتَن. وكانَ بَعدُ إِذَا سُئِل يَقُول: شَيخٌ كَبيرٌ مَفتُونٌ أَصَابَتنِي دَعوةُ سَعْد.

قَال عَبد المَلِك: فأنَا رأيْتُه بَعْدُ قَد سَقَط حَاجِبَاه عَلىٰ عَيْنَيه مِن الكِبَر وَإِنَّه لَيتعَرَّض لِلجَوَاري فِي الطُّرُق يَغمِزْهُن».

وقَد رَوَاه الطَّبَرَاني فِي «**الكَبير**» بِنَحوه، وَقال فِيه: «قَال عَبدُ المَلِك: وأنَا

رَأيتُه يَتعرَّض لِلإمَاء فِي السِّكَك، فَإذا سَألُوه كَيفَ أنْتَ أبَا سُعْدَة؟ فيقُول: كَبيرٌ ضَريرٌ فَقيرٌ مَفتونٌ أصَابَتنِي دَعوَة سَعد»(١).

ومِن **عُقُوبَاتِهم أيْضًا**: مَا جَاء فِي قِصَّة الذِي هَجا سَعد بن أبِي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم القَادِسِيَّة.

وقَد رَوَىٰ قِصَّتَه الطَّبَرانِي فِي «**الكَبِير**»، مِن طَرِيق عَبدِ المَلك بن عُمَير، عَن قُبيصَة بن جَابر الأَسَدي قَال: «قَال ابن عَمٍّ لَنا يَوم القَادِسِيَّة:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَنْـزَل نَصْـرَه ... وَسَـعْدٌ بِبَـابِ القَادِسِـيَّةِ مُعْصَـمُ

فَأُبْنَـا وَقَـدْ آمَـتْ نِسَـاءٌ كَثِيـرَةٌ ... وَنِسْـوَةُ سَـعْدٍ لَـيسَ فِـيهِنَّ أَيِّـمُ

فَلَمَّا بَلغَ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُه قَال: اللَّهُم اقْطَع عِني لِسَانَه وَيَدَه، فَجَاءتْ نشَّابَة فَأصَابَت فَاه فَخَرِسَ، ثُمَّ قُطِعَت يَدُه فِي القِتَال. فَقَال سَعد: احمِلُوني عَلىٰ بَاب، فَخُرِج بِه مَحمُولًا ثُمَّ كَشَف عَن ظَهرِه وَبِه قُروحٌ فِي ظَهرِه، فأَخْبَر النَّاس بِعُذْرِه فَعذَرُوه، وكَان سَعدٌ لَا يَجبُن، وقَال: إنَّمَا فعَلتُ هَذا لما بَلَغَني مِن قَولِكم». [قَال الهَيثَمِي: رَوَاه الطَّبَرانِي بِإسنَادين رِجَالُ أَحدِهما ثِقَات](٢).

ومنْ **عُقُوباتِهم أيضًا**: مَا جاء فِي قِصَّة المَرأةِ التِي كَانتْ تَطَّلِع عَلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥)، والطبراني في «المعجم الكَبير» (١/ ١٤٠) (٣٠٨)، وغيرهما من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكَبير» (١/ ١٤١) (٣١١) عن قبيصة بن جابر الأسدي. وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤).

سَعد بن أَبِي وقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقدْ رَوىٰ هَذِه القِصَّة ابن أَبِي الدُّنْيا مِن طِريق عَبد الرَّزَّاق، عَن أَبِيه، عَن مِيناء، مَولىٰ عَبد الرَّحمَن بن عَوف: «أنَّ امْرأَةً كَانت تَطَّلِعُ عَلىٰ سَعدٍ فَنهَاها، فَلم تَنتَه، فاطَّلَعتْ يَومًا وَهُو يَتوضَّأ فَقَال: شَاهَ وَجهُك، فَعَاد وَجهُها فِي قَفَاها»[1].

وسَيأتِي -إنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ- فِي قَصَص تعْذِيب الأمْوَات عِدَّة قَصَص للذِين يَسُبُّون أبَا بَكر وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ويَتبَرَّءون مِنْهُما.

وِمن العُقُوبةِ عَلىٰ خِلافِ السُّنَّة: مَا ذَكَره ابنُ القَيِّم فِي كِتاب «**الرُّوح**»[2] عَن القَيرَوانِي قَال: أخْبَرني شَيخٌ مِن أهلِ الفَضلِ قَال: أخْبرنِي فَقيهٌ قَال: «كانَ عِندَنا رَجلٌ يُكثرُ الصَّوم ويَسْرُده وَلكنَّه كَان يُؤخِّر الفِطرَ، فَرأىٰ في المَنَام كَأنَّ أسْوَدينِ آخِذَين بَضَبْعَيه وثِيَابه إلَىٰ تَنُّور مُحمَّىً ليُلقِيَاه فِيه، قَال: فَقُلتُ لَهمَا: عَلىٰ مَاذا؟ فَقالا: عَلىٰ خِلَافِك لِسُنَّة رَسول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإنَّه أمَر بتعْجِيل الفِطرِ وأنْتَ تُؤخِّرُه، قَال: فأصْبَح وَجهُه قَد اسْوَدَّ مِن وَهَج النَّار، فَكان يَمشِي مُتبَرْقِعًا فِي النَّاس».

ومِنَ العُقُوبَة عَلىٰ الغِيبَة: مَا ذَكَره ابن القَيِّم أيضًا في كِتاب «**الرُّوح**»[3] عَن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (٣٤)، واللالكائي في «كرامات الأولياء» (٨٢) عن ميناء، مولىٰ عبد الرحمن بن عوف.

(٢) (ص١٩١).

(٣) (ص١٩٠).

مسعدة أنَّه ذَكر فِي كِتَابه فِي الرُّؤيا، عَن رَبيع الرَّقَاشي قَال: «أتَانِي رَجُلان فقَعَدا إلَيَّ فاغْتَابا رَجُلًا فَنَهيتُهُما، فأتَانِي أحدُهُمَا بَعْدُ فقَال: إنِّي رأيْتُ فِي المَنامِ كأنَّ زِنجيًّا أتَانِي بِطبقٍ علَيهِ جَنب خِنزِير لَم أَر لَحمًا قَطُّ أسْمَن مِنهُ، فَقالَ لِي: كُلْ، فقُلتُ: آكُل لَحمَ خِنزِير؟! فَتَهدَّدَني فَأكلتُ فَأصبحْتُ وَقد تَغيَّر فَمِي، فَلم يَزل يَجد الرِّيح فِي فَمهِ شَهرين».

وَمِن أَشْنَع العُقُوبَاتِ: مَا ذكَرهُ السُّيُوطِي فِي «**تارِيخ الخُلَفَاء**»[(١)]، أنَّه فِي سَنَة اثْنَتَينِ وثَمَانِين وسَبْعِمَائة وَرَد كِتَابٌ مِن حَلَب يَتَضمَّن أنَّ إمامًا قامَ يُصلِّي، وأنَّ شَخصًا عَبث بِهِ فِي صَلاتهِ، فَلمْ يَقطَع الإمَام حَتَّىٰ فَرَغ، وَحينَ سَلَّم انْقَلب وَجه العَابثِ وَجهَ خِنزِير وهَرب إلَىٰ غَابَة هُنَاك، فَعَجبَ النَّاس مِن هَذا الأمْرِ وَكُتِب بِذَلكَ مَحضَر».

ومِن العُقُوباتِ الشَّنِيعَة أيضًا: مَا حدَّثنا بِهِ الثِّقَة مِن جِيرَانِنا عَن الشَّيخِ عَبد الرَّحمَن بن مُحمَّد الدوسَري أنَّه حدَّثهم: «أنَّ رَجلًا مِن بَعضِ المُدُن الخَليجِيَّة سَافر هُوَ وزَوجَتُه إلىٰ لبنَان، فَلَما كَان ذَات يَومٍ اجْتَمع بِصدِيقٍ لَه مِن أَهلِ لبنَان وَمَع كُلٍّ مِنهُما زَوجَتُه، فَاتَّفَقا عَلىٰ أنْ يُجامِع كُل واحِدٍ مِنهما زَوجَة صَاحِبه، ولَمَّا جَامَع اللُّبْنَاني زَوجَة الخَلِيجِي نَشَب ذَكرُه فِي فَرجِها وَلم يَستَطِع إخْرَاجَه، فَصَبوا علَىٰ فرجَيهِما مَاءً حَارًّا فَلم يَخرُج، ثُمَّ صَبُّوا عليهِمَا مَاءً بَارِدًا فَلم يَخرُج،

---

(١) (ص٣٥٢).

ثُمَّ رَوَّعُوه وروَّعوا المَرأةَ فَلم يَخرُج، فَحملُوهُما علىٰ تِلك الحَال الشَّنِيعَة إلَىٰ أَحَدِ المُستَشْفَياتِ فعُولِجَا بِالجِراحَة حتَّىٰ فَكُّوا ذَكر الرَّجُل مِن فَرج المَرأَة ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [المائدة: ٣٣]. وإنْ لَم يَتُوبوا فَعَذابُ الآخِرَة أَشَدُّ وأبقىٰ.

قالَ جارُنا الذِي حدَّثنا بِهذِه القِصَّة: قَد حدَّثنا بِها رَجلٌ آخر وسَمَّاه ولَكِنِّي نَسيتُه، وقدْ تَقَدَّم فِي الفَصل الأَوَّل قِصَّة شَبيهَة بِهذِه القِصَّة ذَكرها الأدْفَوي فِي كِتابه المُسَمَّىٰ بـ«**الطالِع السَّعيد الجَامِع أَسْمَاء نُجَبَاء الصَّعِيد**»، وذَكر أنَّ الزَّانِيَين أُخْرِجَا مُلتَصِقين ومَاتَا وعُمِل بِذلِك محْضَر عِندَ الحاكم.

وفِي هَاتينِ القِصَّتينِ عِبرَة ومَوعِظةٌ لِمن أَرادَ اللهُ بِه الخَيرَ والسَّلامَة مِن الخِزي فِي الدُّنيَا والآخِرَة.

وَمِن العُقوباتِ: مَا ذَكرَه ابن أبي الدُّنيا في «**كتَاب القُبُور**»، عنْ حُصين الأسَدِي قالَ: سَمِعت مَرثَدَ بن حَوشَب قالَ: «كُنتُ جَالسًا عنْدَ يُوسُف بن عُمَر وإلَىٰ جَنبِهِ رَجلٌ كأنَّ شقَّة وجْهِه صَفحَة مِن حَديد، فقَال لَهُ يُوسف: حَدِّث مَرثدًا بمَا رَأيتَ، فقالَ: كنتُ شَابًّا قدْ أتيتُ هَذه الفَواحشَ فلمَّا وقَع الطَّاعون قُلت: أخْرُج إلَىٰ ثغْرٍ منْ هذهِ الثُّغُور، ثُمَّ رأيتُ أنْ أحفُرَ القُبورَ، فَإنِّي ليلَةً بينَ المَغربِ والعِشاءِ قدْ حفرْتُ قَبرًا وأنَا مُتَّكِئ علَىٰ تُراب قَبر آخَر؛ إذْ جيء بجِنَازة رَجلٍ حتَّىٰ دُفنَ في ذَلكَ القَبر وسَووا عَليه التُّراب، فأقبَل طَائران أبْيضانِ مِن المَغرب

مِثل البَعيرين حتَّىٰ سَقط أحَدهُما عِند رأسِه والآخر عندَ رجلَيهِ، ثمَّ أثَاراه ثُمَّ تدلَّىٰ أحدُهُما فِي القَبر والآخرُ عَلىٰ شَفيرِه، فَجئتُ حتَّىٰ جَلستُ عَلىٰ شَفيرِ القَبر وكُنت رَجلًا لا يَملأ جَوفِي شَيء.

قالَ: فَضَرب بيدِه إلَىٰ حِقْوه فَسَمِعتُه يقُول: ألَستَ الزَّائر لأصْهَارِك فِي ثَوبَين مُمَصَّرين تَسحبُهُما كِبرًا تَمشِي الخُيَلاء، فَقال: أنَا أضْعَف مِن ذَلك، قالَ: فضَربه ضَربَة امْتَلأ القَبرُ حتَّىٰ فاضَ مَاءً ودُهنًا، قالَ: ثُمَّ عادَ فأعَادَ علَيهِ القَولَ مِثل الأوَّل حتَّىٰ ضَربه ثَلاثَ ضَرَبات، كُلُّ ذَلك يَقول ذَلك، ويذْكُر أنَّ القَبر يَفيضُ مَاءً ودُهنًا، قَال: ثُمَّ رَفع رَأسَه فَنظرَ إليَّ فقالَ: انظُر أيْن هُو جَالسٌ بَلَّسَهُ اللهُ، قَال: ثُمَّ ضَرب جَانِبَ وجْهِي فَسَقَطتُ فَمَكثْتُ لِيلتي حتَّىٰ أصْبَحت، قالَ: ثُمَّ أخَذْت أنْظُر إلَىٰ القَبر فَإذَا هُو عَلىٰ حَالِه».

قَالَ ابن القَيِّم بَعدمَا ذكَرَ هذِهِ القِصَّة فِي كِتَاب «الرُّوح»: «فهَذا المَاء والدُّهن فِي رأي العَينِ لِهَذا الرَّائِي هُو نَارٌ تَأجَّج لِلمَيت كَما أخْبَر النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عنِ الدَّجَّال أنَّهُ يَأتِي مَعه بِمَاء وَنَار، فالنَّار مَاء بارِد والمَاءُ نَار تَأجَّج. انتهىٰ.»[١].

ومن العُقُوبات أيْضًا: قِصَّة النَّبَّاش الذِي ضُرِب فِي عَينَيهِ فكَان مَوضعُهُما عَجبًا مِن العَجَب.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» (٩٨)، وانظر كتاب «الروح» (ص٦٨).

وقد ذَكَر هَذِه القِصَّة مُحَمَّد بن أَحْمَد السَّفَّاريني الحَنْبلي فِي كِتابهِ المُسمَّىٰ بـ«**البُحُور الزَّاخِرة فِي عُلُوم الآخِرَة**»[1]، قَال: ومِن عَجيبِ مَا ذَكَر الحَافِظُ الدُّمياطِي فِي «مُعْجمِهِ» قال: سَمِعتُ مُحمَّد بن إسْمَاعيل بن عبد اللهِ الدُّمياطِي يقُول: سَمِعتُ أبَا إسْحاقَ إبْراهيمَ بن عبد اللهِ الثَّعلَبي صَاحب السِّلَفي يَقول: «كانَ عنْدَنا رَجلٌ نَبَّاش يَتكفف النَّاس أعْمَىٰ، وكَان يَقُول: مَن يُعطِيني شَيئًا فَأُخبِره بالعَجَب؟ ثُمَّ يَقول: مَن يَزيدُني فَأُريه العَجَب؟

قالَ: فَأُعطِي شَيئًا وَأنَا إلَىٰ جَنبهِ أنْظُر، فَكَشف عن عَينيهِ فَإذا بِهمَا قَد نَفذَتا إلَىٰ قَفاه كَالأنْبُوبتين النَّافِذَتين يُرَىٰ مِن قِبَل وجْهِه مَا وراء قَفَاه. ثُمَّ قَال: أخبِرُكُم أنِّي كُنتُ فِي بَلدِي نَبَّاشًا حتَّىٰ شَاع أمْري، فأخَفْت النَّاس حتَّىٰ مَا أبَالِيهم، وإنَّ قَاضي البَلد مَرِض مَرضًا خافَ مِنهُ المَوتَ، فأرْسَل إليَّ وقالَ: أنَا أشْتَري هِتكي فِي قَبرِي مِنكَ وَهذِه مائَة دِينَار، فأخذْتُها فَعُوفِي مِن ذَلكَ المَرض.

ثُمَ مَرِض بَعد ذَلك فَمَات، وتوَهَّمْت أنَّ العَطِية للمَرَض الأوَّل، فَجئْتُ فنبَشتُه، فَإذا فِي القَبر حِسٌّ عُقوبَة، والقَاضي جَالسٌ ثَائرُ الرَّأس مُحمَرَّة عيْنَاه كالسُّكْرُجَتين[2]، فَوجَدتُ زَمَعًا فِي رُكبَتي، وإذَا بِضَربةٍ فِي عَينيَّ مِن إصْبَعين وقَائلٌ يَقول: يَا عَدوَّ اللهِ، أتَطَّلعُ علَىٰ أسْرارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». [وقدْ ذَكر هَذهِ القِصَّة

---

(١) (١/ ٢٢٨).

(٢) سيأتي بيان معنىٰ السكرجة والزمع قريبًا إن شاء الله تعالىٰ.

الحَافظ ابن رَجَب فِي كِتابِه «**أهوال القبور**»(١)].

وَمِن العُقُوبات أيْضًا: عُقوبَة الجَاهِل العَاتِي الذِي أرَادَ أنْ يُنقِذ زَوجَته مِن عذَاب القَبر.

وقدْ ذَكر هذِه القِصَّة السَّفَّارِيني فِي كِتابِه «**البُحُور الزَّاخِرة**»(٢) قَال: «أخْبَرني بَعض إخْوانِي -وَهُو عنْدِي غَير مُتَّهم- أنَّ رَجلًا مِن بلَدِهم مَاتت زوْجَته، قَالَ: وكانَتْ تتعَاطىٰ الرِّبَا -بالبَاء المُوَحَّدة- فلَمَّا كَان وَقتُ العِشاء سَمِع زوجُها صَريخًا مِن داخِلِ القَبرِ، وكانَ جَالسًا فِي بَاب دَاره، فلمَّا سَمِعها أخَذَته الحُشُومة(٣) مِن أجْلِها، وكانَ ذَا شِدَّة وبأسٍ، فأخذَ سِلاحَه وذَهبَ إلىٰ قَبرهَا فَوَقف عَليْهَا وقالَ لهَا: لا تَخَافِي فَإنِّي عنْدَكِ، زَعمًا منْهُ أنهُ سيُنْقِذها ممَّا هِي فِيه لِشدَّة عُتُوِّه وَجَهْلِه، وتَناول حَجرًا مِن القَبرِ، قَال: فَما رَفَع رَأسَه حتَّىٰ ضُرِب ضَربَة أبْطلَت حَرَكتَه وأرْخَت مَفاصِلَه وأدلع لِسَانه، فَرَجع علَىٰ حَالٍ قَبيحَة وهَيئَة فَضِيحة.

قالَ: فَواللهِ لَقدْ رَأيتُه وَهوَ قَد رُضَّ حَنكُه وبُصَاقه يَنـزِل عَلىٰ صَدرِه. قالَ: وهَذا خَبرٌ اسْتَفاض عِندَ أهْلِ البَلدِ كُلِّها».

---

(١) (ص٧٠).

(٢) (١/ ١٥٩-١٦٠).

(٣) قال أهل اللغة: الحشمة الغضب، والاحتشام: التغضب، وحشمت فلانًا وأحشمته، أي: أغضبته. انظر: «المصباح المنير» (١/ ١٣٧).

وَمِن العُقُوبات العَاجِلة: مَا رَواه أَبُو العرب مُحَمَّد بن أَحْمَد بن تَمِيم التَّمِيمي فِي كِتاب «**المِحَن**»(١) بِإسنَاده عَن أَبِي قِلابَة، قَال: «دَخلتُ فُندُقًا بِالشَّام، فإذَا أَنَا بِرجُلٍ مَقطوعِ اليَدَين والرِّجْلَين أعْمَىٰ مُنكبًا لِوجْهِه يُنادِي: يَا وَيله، النَّار، فَقُلت لَه: مَا لك؟ فَقالَ: كُنتُ فِيمن دَخل عَلَىٰ عُثمانَ يَوم الدَّار، وكُنتُ فِي سُرعَان مَن وَصَل إلَيه، فلَمَّا دَنوتُ مِنهُ صرَخَت امْرَأتُه فَرَفَعت يَدِي فَلَطَمتُها، فَنَظر إليَّ عُثمانُ فتغَرغَرَت عَيناهُ فَقَال لِي: مَا لكَ؟ سَلبكَ اللهُ يَديكَ وَرجلَيكَ وأَعمَىٰ بَصَرك وأَصْلَاكَ نارَ جَهنَّم؟

قَال: خَرجْتُ هَاربًا مِن دُعَائه فَرَكِبتُ جَمَلي حتَّىٰ أَتيتُ مَكانِي هَذا، فأتَانِي آتٍ فَفَعل بِي مَا تَرىٰ، وواللهِ مَا أَدْرِي إنْسيًّا كانَ أَو جِنيًّا، فقد اسْتَجَاب اللهُ فِي يَديَّ ورِجليَّ وبَصَري، وواللهِ مَا بَقِي إلا النَّار. قال أَبُو قِلَابة: فَهمَمْت أَنْ أَطَأه، وقُلتُ لَه: بُعْدًا لك وسحقًا».

ومِنَ العُقُوبَات العَاجِلة: مَا ذَكَره الشَّيخ أَحْمَد بن مُحَمد المُقرِي التِّلمسَاني فِي كِتابهِ «**نَفح الطِّيب**»(٢): «أنَّ طَالُوت بن عبد الجَبَّار المُعَافِري الأَنْدَلُسي - وهُو مِن أَصْحَاب الإمَام مَالِك- خَرَج عَلىٰ الحَكَم بن هِشَام بن عبْد الرَّحْمن مَع الذِينَ يُرِيدونَ خَلعَه وإقَامة أَخِيه المُنذِر، وزَحَفوا إلَىٰ قَصرِه بِقرطُبَة، فَحَاربَهم

(١) (ص٨٥).

(٢) (٢/ ٦٣٩).

وقَتَلَهم وفرَّ مَن بَقِي مِنهم.

فاستَتَر الفَقِيه طَالوتُ عَامًا عِندَ يَهُودِي، ثُمَّ ترامَىٰ عَلىٰ صَديقِه أبِي البَسَّام الكَاتِب لِيَأْخُذَ لَه أمَانًا مِن الحَكَم، فَوَشىٰ بهِ إلَىٰ الحَكَم وَأحْضَره إلَيهِ فَعَنَّفَه ووَبَّخَه. فقَال له: كَيفَ يَحلُّ لِي أنْ أَخْرج إليكَ وَقدْ سَمعتُ مَالكَ بن أَنَس يَقُول: سُلطانٌ جَائِر مَدَّة خَيرٌ مِن فِتنَة سَاعة.

فقَال: اللهِ لَقَد سَمِعتَ هَذا مِن مَالك؟ فقَالَ طَالُوت: اللَّهُمَّ إنِّي قَد سَمِعتُه، فَقَال: انْصَرف إلَىٰ مَنزِلِك وأنْتَ آمِنٌ. ثُمَّ سَأله أيْن أسْتَتِر؟ فَقال: عنْدَ يَهودِي مُدَّة عَام، ثُمَّ إنِّي قَصدْتُ هَذا الوَزِير فَغَدر بِي فَغَضِب الحَكَم عَلىٰ أبِي البَسَّام وعَزَله عَن وَزَارَته وكَتَب عَهدًا أنْ لا يَخدُمَه أبدًا. فَرُؤي أبُو البَسَّام بَعد ذَلكَ فِي فَاقةٍ وذُلٍّ. فَقيلَ: اسْتُجِيبتْ فِيه دَعوَة الفَقِيه طَالُوت».

وَقَد ذَكَر هَذِه القِصَّة الذَّهبي فِي كِتَابه «سِيَر أعْلَام النُّبَلاء»[1] فِي تَرجَمَة الحَكَم بن هِشَام، وقَالَ: «كانَ طَالوتُ اخْتَفىٰ سَنَة عنْدَ يَهُودِي، ثُمَّ خَرج وَقَصد الوَزِير أبا البَّسام لِيخْتَفِي عِندَه فَأسْلَمه إلَىٰ الحَكَم، فقَال: مَا رَأي الأمِير فِي كَبشٍ سَمينٍ وَقَف عَلىٰ مِذْوَده عامًا؟ فَقَال الحَكَم: لَحمٌ ثَقيل، مَا الخَبَر؟ قَال: طَالوتُ عِندِي، فَأمرَه بإحْضَاره.

فأُحْضِر فَقَال: يَا طَالُوت، أخْبِرْني لَو أنَّ أبَاكَ أو ابنك مَلَك هَذِه الدَّار أكُنْت

---

(١) (٨/ ٢٥٨).

فِيها فِي الإكْرَام والبرِّ علَىٰ مَا كُنتُ أفْعَل مَعَك؟ ألَم أفْعل كَذا؟ ألَمْ أمْشِ فِي جِنَازة امْرَأتِك ورَجَعتُ مَعكَ إلَىٰ دَارِك؟ أفَمَا رَضِيت إلا بِسفْك دَمِي؟ فقَال الفَقِيه فِي نَفسِه: لا أَجِد أَنفَع مِن الصِّدْق، فَقَال: إنِّي كُنتُ أبْغِضُك للهِ، فَلمْ يَمنَعك مَا صَنَعتَ مَعِي لِغَير اللهِ وإنِّي لَمعتَرِف بِذَلك أصْلَحك الله.

فوَجِمَ الخَليفَة وقالَ: اعْلَم أنَّ الذِي أبْغَضْتَني لَه قَد صَرفَني عَنكَ، فانْصرِف فِي حِفظِ اللهِ، ولسْتُ بِتاركٍ بِرِّك، وليْتَ الذِي كَان لَم يَكُن، وَلكنْ أيْن ظَفَر بِك أبُو البَسَّام لا كان؟ فقَال: أنَا أظْفَرْتُه بِنَفسي وقَصَدْتُه، قَال: فَأين كُنتَ فِي عَامِك؟ قَال: فِي دَار يَهودِي حَفِظَني للهِ.

فأطْرَق الخَليفَة مَليًّا ورَفَع رَأسَه إلَىٰ أبِي البَسَّام وقالَ: حَفَظه يَهُودِي وسَتَر عَليهِ لِمَكَانه مِن العِلمِ والدِّينِ، وغَدَرتَ بِه إذْ قَصَدك وخَفَرتَ ذِمَّته، لا أرَانِي اللهُ فِي القِيامَة وَجْهَه إن رَأينَا لكَ وَجهًا. وطَردَه وكَتبَ لليَهودِي كِتابًا بِالجِزيةِ فِيما مَلك وزَادَ فِي إحْسَانه، فلمَّا رأىٰ اليَهودِي ذلِكَ أسْلم مَكَانه».

ومنَ العُقُوبات: مَا أُصِيب بِه الزَّمَخشرِي فِي رجْلِه بِسببِ دُعاءِ أمِّه عليه.

وقَد ذكَر قِصَّتَه ابن خلكَان فِي تَارِيخه «**وفَيَات الأعْيَان**»، وَذكَرَها أيضًا يَاقوتُ الحَمَوي فِي «**مُعْجَم الأُدَباء**»، وذكَرها الوِزير جَمَال الدِّين أبُو الحَسن عَلي بن يُوسُف القِفْطي فِي كِتابه «**إنْباه الرُّوَاة**».

قَال القِفْطي: «كانَ الزَّمَخشَرِي مَقطُوع الرِّجْل قَد جَعَل رِجْلًا مِن خَشَب

يسْتَعِين بها فِي المَشْي، ولمَّا دَخل بَغدَاد سَأله الدَّامغَاني الفَقِيه الحَنَفي عن سَببِ قطْعِها، فَقَال: دُعاءُ الوَالِدَة، وَذلكَ أَنِّي فِي صِباي أمْسَكتُ عُصفُورًا ورَبَطْته بِخيطٍ فِي رِجله، وانَفَلتَ مِن يَدي فأدْركَتهُ وَقد دَخَل فِي خِرقٍ، فَجَذبتُه فانْقَطَعتْ رِجلُه فِي الخَيطِ، فتألمت أمِي لِذَلك وقَالت: قَطَع اللهُ رِجْل الأبْعَد كَما قَطَع رِجْله. فلمَّا وَصلتُ إلَىٰ سِنِّ الطَّلَب رحَلتُ إلَىٰ بُخَارىٰ لِطَلَب العِلمِ فَسقَطتُ عَن الدَّابة فَانكسرَت الرِجْل وعَملتُ عَملًا أوْجَب قَطعَها».

وذَكَر يَاقوت الحَمَوي عَنهُ أنه قال: «انْكَسَرت رِجلي وأصَابَني مِن الألَمِ مَا أوْجَب قَطعَها»[١].

ومِنَ العُقُوباتِ عَلىٰ إيذَاءِ العُلَماء وطَلَبِ العُيوبِ لَهمْ: مَا أُصيبَ بِه الذِين قَلَبوا الأَسَانِيد عَلىٰ مُحمَّد بن عَجلَان، فدَعا عَليهِم واسْتُجِيب لَه فِيهم.

وقد ذَكَر قِصَّتهم الذَّهَبي فِي «مِيزَان الاعْتِدَال»[٢] نَقلًا عمَّا رَواه أبُو مُحمَّد الرَّامَهُرْمُزي، عَن يَحيَىٰ بن سَعيد القَطَّان قَالَ: «قَدِمتُ الكُوفَة وبِها ابن عَجْلان، وبِها ممَّن يَطلُب العِلمَ مَليح بن وَكِيع، وَحَفْص بن غَيَّاث، وابْن إدْرِيس، ويُوسُف السَّمْتي، فقُلنَا: نَأتِي ابن عَجلان، فَقَال يُوسُف: نَقلِب عَليهِ حَديثهُ حتَّىٰ نَنظُر فَهمَه.

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» (٥/ ١٦٩)، و«معجَم الأُدباء» (٦/ ٢٦٨٨)، و«إنباه الرواة» (٣/ ٢٦٨).

(٢) (٣/ ٦٤٥).

قال: فَفعلُوا، فمَا كَان عَن سَعيد، عَن أَبِيهِ، فَعن أَبِيه جَعَلوه، ومَا كَانَ عَن أَبِيهِ جَعلوه عَن سَعيد. فَقال يَحيَىٰ: لا أَسْتَحِل. فدَخلوا فَسَأَلُوه فَمَرَّ فيهَا، فَلَمَّا كَان عندَ آخِر الكِتابِ انتبَه الشَّيخُ، فقالَ: أَعِدْ، فعَرَض علَيهِ، فقَال: مَا سَأَلتُمونِي عَن أَبِيه فَقد حَدَّثَني سَعِيد، وَمَا سأَلْتُمُوني عَن سَعيد فقدْ حدَّثَني أَبِي بهِ.

ثُمَّ أقبلَ علىٰ يُوسُف بن خَالد فَقال: إنْ كُنتَ أَرَدْتَ شَينِي وعَيبِي فَسلَبكَ اللهُ الإِسْلامَ. وأَقْبَل علَىٰ حَفص فقَال: ابْتَلاكَ اللهُ فِي دِينِك ودُنيَاك. وأَقبَل علَىٰ مَلِيح فقَال: لا نَفعَكَ اللهُ بِعلمِك. قالَ يَحيىٰ: فَمات مَليح ولا يُنتَفَع بعِلْمه، وابْتُلِي حَفصٌ فِي بَدَنِه بالفَالج وفِي دينهِ بِالقَضاءِ، وَلم يَمتْ يُوسف حتَّىٰ اتُّهِم بالزَّنْدَقة».

ومِنَ العُقُوبَات عَلىٰ إيذَاء العُلَماء والسُّخْرِيَة مِنهُم والتَّسلُّط عَليهِم: ما ذَكَره ابن بشْكوال فِي تَرجَمة أَبِي مُحمَّد مَكِّي بن أَبِي طَالب المُقْرئ مِن كِتاب «**الصِّلَة**»(١) قال: حَكَىٰ أَبُو عَبد اللهِ الطَّبَري المُقْرئ قال: «كانَ عنْدَنا بِقرطُبَة رَجلٌ فِيهِ بَعضُ الحِدَّة، وكَان لَه عَلىٰ الشَّيخ أَبِي مُحمَّد مَكِّي المُقرئ تَسلُّط، كَان يَدنُو مِنه إذَا خَطب فيَغمِزه ويُحصِي عَليهِ سقَطَاتُه، وكانَ الشَّيخُ كَثيرًا مَا كَان يَتلعْثَم ويتَوَقَّف.

فجَاء ذَلك الرَّجُل فِي بَعض الجُمَع وجَعَل يَحُدُّ النَّظر إِلَىٰ الشَّيخِ ويَغمِزُه،

---

(١) (ص٥٩٨).

فَلمَّا خَرَج ونَزل مَعَنا فِي مَوضِعِه الذِي كانَ يُقرِئ فيهِ قَال لنَا: أَمِّنُوا عَلىٰ دُعائِي، ثُمَّ رَفع يَديهِ وقَال: اللَّهمَّ اكْفِنيهِ، اللَّهُمَّ اكْفِنيهِ، اللَّهُمَّ اكْفِنيهِ، فَأمَّنَّا، قَال: فأُقْعِدَ ذَلكَ الرَّجل، وَما دَخَل الجَامِع بعْد ذَلكَ اليَوم».

ومِنَ العُقُوبات عَلىٰ الظُّلمِ والعُدوانِ واسْتِعمَال الوَحشِيَّة مَع الصِّبيَان: ما أُصِيبَ بِه بُسر بن أرْطَأة العَامِري مِن ذَهَاب العَقْل بِسببَ دُعاء عَلي بن أَبِي طَالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عليهِ لَمَّا قَتل ابني عُبيدِ اللهِ بن عبَّاس بِحضْرَة أُمِّهِما وَهُما صَبيَّان صَغيران، ومَا أفْظَعها مِن كَارثة!

قَال المَسعُودِي فِي «مُرُوج الذَّهَب»[1] مَا مُلَخَّصه: «كانَ مُعَاوِيَة فِي سَنَة أرْبَعين بَعَث بُسْر بن أَرطَأة فِي ثَلاثَة آلافِ حتَّىٰ قَدِم المَدِينة، ثُمَّ سارَ إلَىٰ اليَمَن، وكَانَ عُبيدُ اللهِ بن العبَّاس بِها، فَخرج عَنهَا ولَحِق بِعَلي وخَلَّفَ ابنيه عبد الرَّحْمَن وَقثم عِندَ أمِّهِما جُويرِيَة بِنتُ قَارض الكِنَاني، فقَتَلَهما بُسر -ثُمَّ ذكرَ المَسعُودِي أبياتًا مُحزِنَة لأمِّهِما تَرثِيهِما بِها-.

قالَ: وَكانَ عَليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ حِين أَتَاه خَبرُ قَتلِ بُسر لابْنَي عُبيدِ اللهِ -قُثم وَعَبد الرَّحمن- دعَا علَىٰ بُسر فَقالَ: اللَّهمَّ اسْلُبهُ دِينَه وعَقْلَه، فَخَرِف الشَّيخُ حتَّىٰ ذَهلَ عقْلُه، واشْتُهِر بالسَّيفِ فكَانَ لا يُفارِقه فَجَعل لَهُ سيف مِن خَشب، وجَعلَ بَينَ يَديهِ زِقٌّ مَنفوخٌ يَضرِبه، وكُلَّما تَخرَّق أبدل، فلَم يَزلْ يَضرب ذَلكَ الزِّق

(١) (١/ ٣٥٧).

بِذلكَ السَّيف حتَّىٰ مَات ذَاهلَ العَقلِ يلْعَب بِخُرئِه، ورُبَّما كَان يَتناوَل مِنهُ ثُمَّ يُقبلُ عَلىٰ مَن يَراه فَيقُول: انْظُروا كَيفَ يُطعِمني هَذان الغُلامَان ابنا عُبيدِ اللهِ، وكانَ ربَّما شُدَّت يَداه إلَىٰ وَرَائه مَنعًا مِن ذَلكَ، فَأَنْجَىٰ ذاتَ يَوم فِي مَكانِه ثُمَّ أَهْوَىٰ بِفيهِ فتَنَاول مِنهُ فبادرُوا إلَىٰ مَنعِه، فقالَ: أَنْتم تَمنعُونَني وعَبد الرَّحمن وقَثم يُطعِمَاني، ومَات بُسرٌ فِي أَيَّام الوَليد بن عبدِ المَلك سَنة سِتَّة وثَمانين».

ومنَ العُقوباتِ علَىٰ الإفْحَاش فِي إنْكَار المُنكرِ وعدَمِ الرِّفقِ بالجَاهِل: ما ذكَره زَين الدِّين العِراقِي فِي كِتابهِ «**طَرْح التَّثْرِيب**»[1] قَال: حَكىٰ لِي صَاحِبُنا الشَّيخُ الإمَام القُدوةُ شَيخُ الدِّين مُحمَّد بن صِدِّيق الجِنَاني رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: «كُنتُ فِي المَسجد الحَرامِ فَرأيتُ رَجُلًا بالَ فِي المَسجِد، فَتغيَّظْتُ عَليهِ وزِدْتُ فِي تَعنيفِه، ثُمَّ أَلْزَمتُه أنْ حَمَل فِي ذَلكَ الحَصباء الذِي تَنجَّس بِبولِه ثُمَّ ثَوبه حتَّىٰ أَخْرَجه مِن المَسجد؛ لأَنَّه كانَ فِي زَحمة المَوسِم فَخشيتُ أنْ يَطأَه النَّاس ويَتنجَّسُوا بِه قَبل تَطهيرِهِ.

قالَ: ثُمَّ تَذَكَّرت قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُزْرِمُوهُ**»[2][3]، فَندمتُ علَىٰ إفْحَاشي علَيهِ وربَّما كانَ جَاهلًا أو سَبقه بِغير اخْتِياره.

---

(١) (٢/ ١٣٩).

(٢) قال الأصمعي: الإزرام القطع، أي: لا تقطعوا عليه بوله. انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٤)، وغيرهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: فابْتُليتُ فِي ذَلكَ اليَومِ بأنْ سَبقنِي البَولُ فِي إزَاري ورِدَائي وأنَا مُحرِمٌ -وكانَ عِندَه تَحرُّزٌ فِي الطَّهَارة، ورُبَّما جَاوَزها إلَىٰ الوَسوَسَة- قَال: فَخرجتُ مِن المَسجدِ وبَقيتُ حَائرًا أيْنَ أَتطَهَّر وأُطَهِّر إحْرَامي مَع اجْتمَاع النَّاس وكَثْرَتِهِم عَلىٰ المِياهِ بِمَكَّة.

فذَهَبت إلَىٰ مَسَاقي بَابِ المعَلَّىٰ والزِّحامُ عَليهَا، فاسْتَقبَلَني رَجلٌ مِن السَّقَّايِين الذِين فِي الرَّكبِ لا أعْرِفُه ولا أذْكُر أنِّي رأيْتُه قَبل ذَلكَ، فقالَ: أهْلًا وسَهلًا بِحِبِّنا المُوسْوِس، كأنَّك تريدُ تتَطهر؟ فقُلتُ لهُ: نَعم، فأعْطَاني شَيئًا اسْتترتُ بهِ، ثمَّ نَزع إزَاري ورِدائِي ودَعا صِبيانَه فأمْسَك بعضُهم الإزارَ والرِّداءَ، وأمرَ بعضَهم فَطهَّر بَدنه وأفَرَغ بِالدَّلو مِن ماءٍ كَثير عَليهِما حتَّىٰ طابَت نَفسي بِتطهِيرهِما.

ووَقفَ الصِّبيانُ بِهما فِي الهَواء حتَّىٰ جَفَّا، وأمَرهم فَصَبوا عَليَّ حتَّىٰ طابَت نَفسِي بِحصولِ الطَّهارة، ثمَّ ألبَسُوني إحْرامِي وقَالَ لِي: آنستَنا اليَومَ ورَحَّبَ بِي، فَصِرت مُتَعجبًا مِن وُقوعِ مِثلِ هَذا مِن هَذِه الطَّائِفة، وعَلمتُ أنَّ ذَلكَ بِندَمي عَلىٰ إفْحَاشي عَلىٰ الذِي سَبقهُ البَولُ فِي المَسجدِ الحَرام».

وَمِن عُقُوبات أهْلِ البِدَع: مَا وَقَع لِلقَاضِي أبِي بَكر بن الأصَمِّ، وكانَ قَاضيًا بِمِصرَ فِي زَمَن ابن أبِي دُؤاد، وكَان يَمتَحنُ العُلمَاء عَلىٰ القَولِ بِخَلق القُرآنِ، فمَن أجَابَه خَلَّاه، وَمن أبَىٰ عَليه أرْسلَه إلَىٰ أحْمَد بن أبِي دُؤاد بِالعِراق.

قال **أبُو العرب مُحَمَّد بن أحْمَد بن تَميم التَّمِيمي فِي كِتاب «المِحَن»**(١): قَال يَحيَىٰ بن عَمْرو: «كُنتُ بِمصرَ حِينَ نَـزل بِالأصمِّ مَا نَـزلَ، وكَانتْ نَازِلتُه أنَّه ضُربَ ظَهرُه بِالسِّياط وحُلِق رَأسُه ولِحيَتُه وحَاجبَاه، وأُركِب عَلىٰ حِمار، وجُعِل وَجهُه إلَىٰ ذَنَب الحِمَار، وطِيفَ بِه فِي مِصرَ، واسْتُصْفِي وكُتِبَ عَلىٰ دُورِه صَافِية».

ومنْ عُقُوبات المُعتَدينَ: مَا رَواه أبُو العرب مُحَمَّد بن أحْمَد بن تَميم التَّمِيمي فِي كِتابِ «**المِحن**»(٢)، عَن غَيلان بن جَرير: «أنَّ رجلًا مِن وُجُوه قَومِه قَمَع امْرَأة فَرَفعتْ رَأسَها إلَىٰ السَّماء وقَالَت: قَطَع اللهُ يَدك، فَقُطعِت يَدُه».

وَمِن عُقُوباتِ المُعتَدين أيضًا: مَا رَواه أبُو العرب فِي كِتاب «**المحن**»(٣)، عنْ إبْرَاهيم بن إسْماعِيل -قالَ: وكَانَ مِن أَهلِ العِلمِ- قَال: «كانَ بَينَ سُليمانَ التَّمِيمي ورَجلٍ شَيءٌ فَنازَعه فِيهِ، فَتناوَلَ الرَّجُل سُليمانَ فَغمزَ بَطنِه بِيدِه فَجَفَّت يَدُ الغَامزِ».

* * *

(١) (ص٤٥٦).

(٢) (ص٣٧٢).

(٣) (ص٣٧٢).

فصل

وأمَّا القِسمُ الثَّاني مِن أقْسَام العُقوبَات، وَهِي العُقوبَات بَعدَ المَوتِ؛ فَهِي عَلىٰ قِسمَين:

أحدُهُما: العُقوبَاتُ عَلىٰ الكَبَائر التِي تَقَع مِن كَثير مِن النَّاس ولا تَختَصُّ بِأفْرَاد مِنهُم.

والثَّانِي: عُقوبَة الأفرادِ مِن المَعرُوفين وَغير المَعرُوفِين مِمَّن كَانوا مُصرِّين عَلىٰ أفعَالِهم السَّيِّئَة إلَىٰ حِين المَوت.

فمنَ القِسمِ الأوَّل: مَا أخبَر بِهِ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا رَآه فِي ليلَة الإسْرَاء مِن تعذِيب أهْل الجَرائِم عَلىٰ جَرائِمِهم.

وَما رَآه أيضًا فِي مَنَامه الذِي رَوَاه الإمَام أحمَد والبُخَاري عَن سَمُرة بن جُندُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وما رآهُ أيْضًا فِي مَنَامه الآخَر الذِي رَوَاه الطَّبَراني فِي «**الكَبِير**»[2] عَن أبِي أُمَامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨) (٢٠١٠٦)، والبخاري (٧٠٤٧)، وغيرهما من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٥٥) (٧٦٦٦)، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، فيه مقال مشهور.

ورُؤيَا النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنام وَحيٌ، قَاله ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(١)، وعُبيد بن عُمير(٢). وقَالَ مُعاذ بن جَبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رُؤيَا النّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ(٣).

وإِذَا عُلِم هَذا فَمِن العُقُوباتِ التِي رَآهَا رَسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في لَيلَةِ الإِسْرَاء عُقُوبةُ الذِين يَأكُلونَ لُحومَ النَّاس وَيقَعُون فِي أعْرَاضِهم، وقَد جَاء ذَلكَ فِي الحَديثِ الذِي رَوَاه الإِمَام أحْمَد وأبُو دَاود عَن أَنَس بن مَالَك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَال: قَال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبرِيل؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»(٤).

وَروَى الإِمَامُ أَحْمَد أَيْضًا عَن ابن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَال: «**لَيلَة أُسْرِيَ بِالنَّبِي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَظَرَ فِي النَّارِ، فَإِذَا قَوْمٌ يَأكُلُونَ الجِيَفَ، فَقَال: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيل؟»، قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ**».

---

(١) أخرج الطبراني في «المعجم الكَبير» (١٢/ ٦) (١٢٣٠٢)، وغيره عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رؤيا الأنبياء وحي».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨)، وغيره عن عبيد بن عمير قوله.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣) (٢٢٠٨٨)، وغيره عن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤) (١٣٣٦٤)، وأبو داود (٤٨٧٨)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٢).

[قَالَ الحَافَظ ابن كَثير: إسنَادُه صَحِيحٌ وَلم يُخرِجُوه][١].

وَمنَ العُقُوبَاتِ التِي رَآهَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيلَة الإسْرَاء: عُقُوبَة الخُطَباء الذِين يَأمُرون النَّاس بِالبرِّ وَينْسَونُ أنفُسَهم.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي الحَديثِ الذِي رَواهُ الإمَامُ أحْمَد، وأبُو دَاود الطَّيَالِسي، وَعَبدُ بن حُميد، وابْنُ حِبَّان في «**صَحِيحه**»، وابْنُ أَبِي حَاتم، وابْنُ مَرْدَويه، والبَغَوي، عنْ أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَال رسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأيْتُ لَيلَة أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ فَقَالَ: الخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الذِين يَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُون**». وَفِي رِوَايَة لابْنِ مَردَوَيه: «**تُقرَضُ شِفَاهُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِن نَارٍ**».

وَرَوَاه أبُو نُعَيم فِي «**الحِلْيَة**» بِنَحوه. وَفِي رِوَايَة لَه: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَّتْ. قُلتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيل؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِك الذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٧) (٢٣٢٤)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٧)، وقد تعقب الألباني قول ابن كثير كما في «الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما» (ص٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠) (١٢٢٣٢)، وأبو داود الطيالسي في «المسند» (٣/ ٥٣٩) =

وَرَوىٰ ابن جَرِير وَالبَيْهَقِي فِي «**دَلَائِلِ النُّبُوَّة**»، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيثًا طَوِيلًا فِي الإِسْرَاء، وفِيهِ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَتَىٰ عَلَىٰ قَومٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لا يَفْتُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ، فَقَال: «مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟» فَقَال: هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ الفِتْنَةِ**»[١].

ومنَ العُقُوبَات التِي رُوِي أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَآها فِي لَيلَة الإِسرَاء**: مَا جَاء فِي الحَديثِ الطَّوِيل الذِي رَوَاه البَيْهَقِي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**» بِإِسنَاد ضَعِيف، عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَد جَاء فِيه أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأىٰ آدمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا تُعْرَضُ عَلَيهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِه، فَذَكَر الحَدِيثَ وَفِيه: «**ثُمَّ مَضَيتُ هُنَيَّةً**[٢] **فَإِذا أَنَا**

=

(٢١٧٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٢٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٤٩) (٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٠) (٤٧٢)، وابن مردويه كما عزاه له ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٨٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٦-٢٤٩)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٩١)، وفي «صحيح الجامع» (١/ ٨٨) (١٢٩).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: قليلًا من الزمان، ويقال: هُنيْهَة أيضًا. قاله ابن الأثير، وابن منظور في «لسان العرب» (١٥/ ٣٦٦).

بَأَخْوِنَة[(١)] عَلَيهَا لَحْمٌ مُشَرَّحٌ لَيْس يَقْرَبُهَا أَحَدٌ، وَإِذَا أَنَا بِأَخْوِنَةٍ أُخْرَىٰ عَلَيهَا لَحْمٌ قَدْ أَرْوَحَ وَنَتِنَ عِنْدَها أُنَاسٌ يَأكُلُونَ مِنْهَا. قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ مِنْ أُمَّتِك يَتْرُكُونَ الحَلَالَ وَيَأْتُونَ الحَرَامَ، فَقَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيَّة فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ بُطُونُهُم أَمْثَالُ البُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُم خَرَّ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تُقِم السَّاعَة، قَالَ: وَهُمْ عَلَىٰ سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، قَالَ: فَتَجِيءُ السَّابِلَةُ فَتَطَأُهُمْ، قَالَ: فَسَمِعَهُمْ يَضِجُّونَ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُه الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ.

قَالَ: ثُمَّ مَضيتُ هُنَيَّة فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ مَشَافِرُهُم[(٢)] كَمَشَافِرِ الإِبِلِ، قَال: فَتُفْتَحُ أَفْوَاهُهُم فَيُلْقَمُونَ مِنْ ذَلِكَ الجَمْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، فَسَمِعْتُهُم يَضِجُّونَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. فَقُلْتُ: يَا جِبرِيلُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ مِنْ أُمَّتِكَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

قَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ يَعَلَّقْنَ بَثُدِيِّهِنَّ فَسَمِعْتُهُنَّ يَضْجِجْنَ إِلَىٰ

---

(١) الأَخْوِنَة: جمع خِوان -بالكسر-: وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. قال الجوهري وغيره: معرَّب. انظر: «النهاية» (٢/ ٨٩)، و«لسان العرب» (١٣/ ١٤٦).

(٢) مشافرهم أي: شفاههم. قال في «لسان العرب» (٤/ ٤١٩): المشفر للبعير كالشفة للإنسان، وقد يقال للإنسان: مشافر، علىٰ الاستعارة. وقال اللحياني: إنه لعظيم المشافر، يقال ذلك في الناس والإبل.

اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزُّنَاةِ مِنْ أُمَّتِكَ. قَالَ: ثُمَّ مَضيتُ هُنَيَّةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُلْقَمُونَهُ فَيُقَالُ لَهُ: كُلْ كَمَا كُنْتَ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِ أَخِيكَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هُؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الهَمَّازُونَ مِنْ أُمَّتِكَ اللَّمَّازُونَ»(١).

ومِنَ العُقُوبَات التِي رُوِي أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا فِي لَيلَة الإسْرَاء: مَا جَاءَ فِي الحَديثِ الطَّوِيل الذِي رَوَاه ابن جَريرٍ فِي «تَفْسِيره»، والبَيْهقِي فِي «دَلَائِل النُّبُوَّة»، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

فَقَد جَاءَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ تُرْضَخُ رُءُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رَضَخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لا يُفتَّر عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيل، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ تَتَثَاقَلُ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَة. قَالَ: ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ عَلَىٰ أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الإِبِلُ وَالغَنَمُ، ويَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ وَالزَّقُّومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَها، فَقَالَ: مَا هؤلَاءِ يَا جِبْرِيل؟ قَال: هَؤُلَاءِ الذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُم اللهُ شَيْئًا وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ.

ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ بينَ أَيدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيجٌ فِي قِدْرٍ، وَلَحْمٌ آخر نَيِّءٌ قَذِرٌ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٠) وفيه عمارة بن جوين أبو هارون العبدي، متروك الحديث.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

خَبِيثٌ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ اللَّحْمِ النَّيِّءِ الخَبِيثِ وَيَدَعُونَ النَّضِيجِ الطَّيِّبِ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، مَن هَؤُلاء؟ فقَال: هَذَا الرَّجُل مِنْ أُمَّتِك تَكُون عِنْدَه المَرْأَة الحَلَال الطَّيِّبَة فيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً فَيَبِيتُ عِنْدَها حتَّىٰ يُصْبِح، والمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فتَأْتِي رَجُلًا خَبِيثًا فتَبِيتُ مَعَهُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ.

ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَت لا يَفْتُر عَنهُم مِن ذَلِك شَيءٌ. قَال: مَا هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيل؟ فَقَال: هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِك خُطَبَاءُ الفِتْنَةِ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ».

ومِنَ العُقُوباتِ التِي رُوِي أَنَّ النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا فِي ليلَة الإِسْرَاء: عُقوبَةُ أَكَلةِ الرِّبَا.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي الحَديثِ الذِي رَواه الإمَام أحْمَد، وابْنُ مَاجَه، وابْنُ أَبِي حَاتِم، عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَال رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَيْتُ لَيْلَة أُسْرِيَ بِي علىٰ قَومٍ بُطُونُهم كَالبُيُوت، فِيهَا الحَيَّات تُرَىٰ مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، فَقُلتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا»(١).

ومِن العُقُوبَات التِي رَآهَا رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِه: مَا جَاءَ فِي حَديثِ سَمُرَة بن جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٣) (٨٦٢٥)، وابن ماجه (٢٢٧٣)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٣٣).

وقَدْ رَواه الإمَام أحمْد، والبُخَارِي، وفِيهِ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «إِنَّه أَتَانِي اللَّيْلَة آتِيَان، وإِنَّهُمَا ابْتعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَر قَائِمٌ عَلَيهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذَهُ فَلا يَرْجِعُ إِلَيهِ حَتَّىٰ يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْل مَا فَعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأُولَىٰ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّي وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمِنْخَرَه إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَينهُ إِلَىٰ قَفَاه. قَال: ثُمَّ يَتَحَوَّل إِلَىٰ الجَانِب الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْل مَا فَعَل بِالجَانِبِ الأَوَلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّىٰ يَصَحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيهِ فَيَفْعَلُ مِثْل مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ. قَال: قُلتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فانْطَلَقْنَا فَأَتَينَا عَلَىٰ مِثْلِ التَّنُّورِ. قَالَ: وَأَحْسَبُ أَنَّه كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصوَاتٌ. قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسفَلَ مِنْهُم فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوُا[١]، قَالَ: قَلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

---

(١) قوله: «ضوضوا»؛ أي: ضجُّوا وصاحوا. انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٤٨٨).

قَالَ: فَانطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ نَهرٍ -حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَر مِثْل الدَّم-، وإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَىٰ شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَة، وإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الذِي قَدْ جَمَعَ عَنْدَهُ الحِجَارَةِ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمَهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيهِ كَمَا رَجَعَ إِلَيهِ فَغَر لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتَ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ - وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَفِيهِ- قَالَ: قُلتُ لَهُمَا: فإِنِّي قَدْ رَأَيتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الذِي رَأَيتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.

أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذِي أَتَيْتَ عَلَيهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ فَإِنَّه الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الذِي أَتيت عَلَيهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ وَمِنْخَرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ فَإِنَّه الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكَذِبَة تَبْلُغُ الآفَاقَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الذِي أَتيتَ عَلَيهِ يَسْبَحُ فِي النَّهر وَيُلْقَمُ الحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا».

[وَقَد رَوَاه ابن أَبِي شَيْبَة، وابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحه» بِنَحوه، وَرَواه الإِمَام أَحمَد والبُخَاري أَيْضًا مِن طَرِيقٍ آخر بِنحوِه، وفِيهِ أَنَّ اللَّذينِ أَتياه قَالا لَه: «أَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيل»(١).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨) (٢٠١٠٦)، والبخاري (٧٠٤٧)، وغيرهما من حديث سمرة بن

ومِنَ العُقُوباتِ التِي رَآهَا النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ أيضًا: مَا جَاء فِي حدِيثِ أَبِي أُمَامة البَاهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذِي رَوَاه الطَّبَرانِي فِي «الكبير»، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هِيَ حَقٌّ فَاعْقِلُوهَا، أَتَانِي رَجُلٌ فَأَخَذَ بِيَدِي فَاسْتَتْبَعَنِي حَتَّىٰ أَتَىٰ بِي جَبَلًا وَعْرًا طَوِيلًا، فَقَالَ لِي: ارْقَهْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: إِنِّي سَأُسَهِّلُهُ لَكَ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا رَقَيْتُ قَدَمِي وَضَعْتُها عَلَىٰ دَرَجَةٍ حَتَّىٰ اسْتَوَيْنَا عَلَىٰ سَوَاءِ الجَبَلِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُسَمَّرَةٍ أَعْيُنُهُمْ وَآذَانُهُمْ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يُرُونَ أَعْيَنَهُمْ مَا لَا يَرَوْنَ، ويُسْمِعُونَ آذَانَهُمْ مَا لَا يَسْمَعُونَ. ثُمَّ انطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِيبِهِنَّ مُصَوَّبَةٍ رُءُوسُهُنَّ تَنْهَشُ ثُدَيَّاتِهِنَّ الحَيَّاتُ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الذِينَ يَمْنَعُونَ أَوْلَادَهُنَّ مِنْ أَلبَانِهِنَّ.

ثُمَّ انطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِيبِهِنَّ مَصَوَّبَةٍ رُءُوسُهُنَّ، يَلَحَسْنَ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ وَحَمأٍ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَصُومُونَ وَيُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِم. ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ أَقْبَحُ شَيْءٍ مَنْظَرًا وَأَقْبَحُهُ لُبُوسًا وَأَنْتَنُهُ رِيحًا كَأَنَّمَا رِيحُهُمُ المَرَاحِيضُ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ:

=

جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزُّنَاةِ.

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحنُ بِمَوْتَىٰ أَشَدُّ شَيءٍ انْتِفَاخًا وَأَنْتَنُهُ رِيحًا، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ مَوْتَىٰ الكُفَّارِ. ثُمَّ انطَلَقْنَا وَإِذَا نَحْنُ نَرَىٰ دُخَانًا وَنَسْمَعُ عُوَاءً، قُلْتُ: مَا هَذا؟ قَالَ: هَذِهِ جَهَنَّمُ فَدَعْهَا...» وذَكَر تَمَام الحَدِيث.

[**قَالَ الهَيْثَمِي**: رِجَالُه رِجَال الصَّحِيح. وَقَال الحَافِظُ ابن حَجَر: سَنَدُه جَيِّدٌ. وَقَد رَوَىٰ ابن خُزَيمَةَ وَابْنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحَيْهما**»، وَالحَاكِم فِي«**مُستَدْرَكِه**» طَرفًا مِن أَوَّل الحَديثِ، وَقَال الحَاكِم: صَحِيحٌ عَلىٰ شَرطِ مُسلِم، ووَافقهُ الذَّهبي فِي «**تلخِيصِه**». وَرَواه البَيهَقِي فِي كِتابِ «**إِثْبَات عَذَاب القَبْر**» بِنحْو رِوَاية الطَّبَراني][(١)].

* * *

فصل

وَأَمَّا عُقُوبَة الأفْرَاد مِن المَعْروفِين وَغيرِ المَعرُوفينَ بَعد المَوتِ فَهِي عَلىٰ ثَلاثَة أقْسَام:

الأَوَّلُ مِنْها: مَا أَخْبر بِهِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنْ بَعْضِ المُعذَّبِين.

---

(١) سبق، وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ٢٣٧) (١٩٨٦)، وابن حبان في «صحيحه» أيضًا (١٦/ ٥٣٦) (٧٤٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢٨) (٢٨٣٧)، وغيرهم. وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ٤٥٠)، و«الفتح» (١٢/ ٤٤١).

وَالثَّانِي: مَا اطَّلَعَ عَليهِ بَعضُ النَّاس بِالمُشاهَدَة أو السَّمَاع.

والثَّالِث: مَا وَقَعت رُؤيَتُهم لَهُ فِي المَنَام.

فَمِن الأَوَّل: مَا رَآهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي صَلاةِ الكُسُوفِ مِن تَعذِيبِ صَاحِبَةِ الهِرَّة وَسارِقِ الحَاجِّ، وَعَمْرو بن لُحَي الخُزَاعِي، وغَيْرهم.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي عِدَّة أحَادِيث، مِنهَا حَديثُ أَسماءَ بنتَ أَبي بَكر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ صَلاةَ الكُسُوفِ -الحَدِيث وَفِيه-: ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَال: «قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ حَتَّىٰ لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيهَا لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّىٰ قُلْتُ: أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّه قَالَ- تَخدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ جُوعًا لا أَطْعَمَتْهَا وَلا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ». [رَوَاهُ الإمَامُ أَحمَد والبُخَارِيُّ وَابْنُ مَاجَه][(١)].

وَمِنْها: حَدِيثُ جَابِر بن عَبد اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: كَسَفَتِ الشَّمسُ عَلَىٰ عَهْد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -فَذَكَر الحَدِيث وَفِيه- أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّه لَيسَ مِن شَيءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ، وَلَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ فَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، حَتَّىٰ قُلْتُ: أَيْ رَبِّ

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٠) (٢٧٠٠٨)، والبخاري (٧٤)، وابن ماجه (١٢٦٥)، وغيرهم عن أسماء رَضِيَ اللهُ عَنهَا.

وَأَنَا فِيهِمْ، وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنِ يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ بِهِ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الهِرَّةِ التِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّىٰ مَاتَتْ جُوعًا». [رَوَاهُ الإِمَامُ أحمَد وَمُسلِم والبَيهقِي](١).

وَرَواه الإمَامُ أحْمَدُ ومُسْلِم أيضًا، وفِيهِ: أنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَجَعَلْتُ أَتَأَخَّرُ رَهْبَة أَنْ تَغْشَاكُمْ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً حِمْيَرِيَّةً سَوْدَاءَ طَوِيلَةً تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تُسْقِهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ». [هَذهِ رِوَاية أحْمَد](٢).

وفِي رِوَاية مُسلِم: «وَعُرِضَت عَلَيَّ النَّارُ فَرَأيتُ فِيها امْرَأَةً مِن بَنِي إِسْرَائيل(٣) تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَة عَمرو بن مَالِك يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٧، ٣٧٤) (١٤٤٥٧، ١٥٠٦٠)، ومسلم (٩٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٤٥٥) (٦٣٢١)، وغيرهم، من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٤) (١٥٠٦٠)، ومسلم (٩٠٤).

(٣) قوله: «امرأة من بني إسرائيل»: كذا جاء في رواية مسلم. وفي رواية أحمد أنها امرأة حميرية. وجاء مثل ذلك في حديثي عبد الله بن عمرو والمغيرة بن شعبة المذكورين بعد حديث جابر. ولعل هذا هو الصواب؛ لاتفاق الأحاديث الثلاثة عليه، والله أعلم.

وَمِنها: حَديثُ عَبد اللهِ بن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: كَسفت الشَّمْس علىٰ عَهْد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَذكر الحَديثَ وَفِيه-: أنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «فَوَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ عُرِضَتْ عَليَّ الجَنَّةُ حَتَّىٰ لَوْ أَشَاءُ لَتَعَاطَيْتُ بَعْضَ أَغْصَانِهَا، وَعُرِضَتْ عَليَّ النَّارُ حَتَّىٰ إِنِّي لَأُطْفِئُهَا خَشْيَةَ أَنْ تَغْشَاكُمْ، وَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِن حِمْيَر سَوْدَاء طَوَّالَة تُعَذَّبُ بِهِرَّةٍ لَهَا تَرْبِطُهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَا تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، كُلَّمَا أَقْبَلَتْ نَهَشَتْهَا وَكُلَّمَا أَدْبَرَتْ نَهَشَتْهَا. وَرَأَيْتُ فِيهَا أَخَا بَنِي دَعْدَع، وَرَأَيْتُ صَاحِبَ المِحْجَنِ مُتَّكِئًا فِي النَّارِ عَلَىٰ مِحْجَنِهِ، كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا عَلِمُوا بِهِ قَالَ: لَسْتُ أَنَا أَسْرِقُكُمْ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي».

[رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائي وابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ»، وَهَذا لَفْظ أَحْمَد].

وَفِي رِوَايَة النَّسَائِي: أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَلَقَدْ أُدْنِيَتِ النَّارُ مِنِّي حَتَّىٰ لَقَدْ جَعَلْتُ أَتَّقِيهَا خَشْيَةَ أَنْ تَغْشَاكُمْ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ حِمْيَر تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ سَقَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا تَنْهَشُهَا إِذَا أَقْبَلَتْ وَإِذَا وَلَّتْ تَنْهَشُ أَلْيَتَهَا، وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ أَخَا بَنِي الدَّعْدَاعِ يُدْفَعُ بِعَصًا ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فِي النَّارِ، وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنْ الذِي كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ مُتَّكِئًا عَلَىٰ مِحْجَنِهِ فِي النَّارِ يَقُولُ: أَنَا سَارِقُ المِحْجَنِ».

وَفِي رِوَايَة ابن حِبَّان: «**وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ بَدَنَتَي رَسُولِ اللهِ** ﷺ **أَخَا بَنِي دَعْدَع يُدْفَعُ فِي النَّارِ بِقَضِيبَةٍ ذِي شُعْبَتَينِ**»، [وَبَقيَّة رِوَايته بِنَحو رِوَاية أَحْمَد][1].

وَمِنْهَا: حَدِيث المُغِيرة بن شُعبَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ لَمَّا انْصَرف مِنْ صَلاة الكُسُوف قالَ: «**إِنَّ النَّارَ أُدْنِيَتْ مِنِّي حَتَّىٰ نَفَحْتُ حَرَّهَا عَنْ وَجْهِي، فَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنِ، وَالذِي بَحَّرَ البَحِيرَةَ، وَصَاحِبَةَ حِمْيَر صَاحِبَةَ الهِرَّةِ**». [رَواهُ الإمَامُ أَحْمَد][2].

وَرَوَىٰ الإِمَام أَحْمَد والبُخَارِي ومُسلِم وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِه**»، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**رَأيتُ عَمرو بنَ عَامِرٍ الخُزَاعِي يَجُرُّ قَصبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبِ**».

وَفِي رِوَايَة لأَحْمَد: «**وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّائِبَةَ وَبَحَّرَ البَحِيرَة**»[3].

وَرَوَىٰ البُخارِي وَمُسلِم أَيْضًا والنَّسَائي عَن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩) (٦٤٨٣)، والنسائي (١٤٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٩٧) (٢٨٣٨)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٢٤) (٣٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٥) (١٨١٦٧)، وغيره من حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٥، ٣٦٦) (٧٦٩٦، ٨٧٧٣)، والبخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَسفَت الشَّمْسُ -الحَدِيث وَفِيه-: أنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بنَ لُحَيٍّ وهُوَ الذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**».

وَفِي رِوَايَة لِلبُخَارِي: «**رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قَصَبَهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(١).

وَرَوَىٰ الإمَامُ أَحْمَد، عَن عبد اللهِ بن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَعَبَدَ الأَصْنَامَ أَبُو خُزَاعَةَ عَمْرُو بنُ عَامِر، وَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فِي النَّارِ**»(٢).

وَمِن العُقُوبَات التِي أَخبرَ بِها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُقُوبة النَّمام، والذِي لا يَسْتَنْزِهُ مِن بَوْله.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي حَديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقبرَين فقَال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٤)، ومسلم (٩٠١)، والنسائي (١٤٧٢)، وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٤٦) (٤٢٥٨)، وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

[رَوَاه الإمام أحْمَد والبخَارِيُّ ومُسلِم وَأهلُ السُّنَن، وقَالَ التِّرمِذِي: هَذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ. قَال: وَفِي البَاب عَن أَبِي هُرَيرَة، وَأبِي مُوسَىٰ، وَعبد الرَّحمَن بن حَسَنة، وَزَيد بن ثَابت، وَأَبي بَكرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. انتهىٰ].

وَفِي رِوَايَة لأحْمَد عنِ ابن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «مَرَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحَائِطٍ مِن حِيطانِ المَدينَةِ، فَسمِع صَوتَ إنْسَانَينِ يُعذَّبَان فِي قَبرهِما -فَذكره-».

وفِي رِوَايَة للبُخاري قَال: مرَّ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحائِطٍ مِن حِيطانِ المَدينَة -أو مَكَّة- فَسَمع صَوتَ إنْسَانينِ يُعذَّبَان فِي قُبورِهِما، فقَال النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُعذَّبَانِ وَمَا يُعذَّبَانِ فِي كَبيرٍ -ثُمَّ قَالَ-: بَلَىٰ**» وذكَر تَمامَ الحَديثِ. ورَوَاه النسائِي بِنحوِه.

وَجاءَ فِي رِوَايَة ابن مَاجه قَال: «مرَّ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقبرَينِ جَديدَينِ فقَال... -وَذكر الحَدِيث-»(١).

وَرَوىٰ ابن مَاجه أيْضًا عَن أَبِي بَكرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: مرَّ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرينِ فقَال: «**إِنَّهمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبيرٍ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيُعَذَّبُ فِي البَوْلِ،**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٥) (١٩٨٠)، والبخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجه (٣٤٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا الآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الغِيبَةِ»[١].

[ورواه الإمام أحمد بنحوِه. وروىٰ أيْضًا مِن حَدِيث أَبِي أُمامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحوَ حَديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورَواهُ الطَّبَراني فِي «**الكَبير**» بِنَحْوِه أيضًا][٢].

ورَوَىٰ ابن حِبَّان فِي «**صَحِيحه**»، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: كُنَّا نَمْشَي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَرْنَا عَلَىٰ قَبْرَينِ فقَامَ فَقُمْنَا مَعَهُ، فَجعَلَ لَوْنُهُ يَتغَيَّرُ حَتَىٰ رَعَدَ كُمُّ قَمِيصِهِ، فقُلْنَا: مَا لَكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ**»، فَقُلْنَا: وَمَا ذَاكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبٍ هَيِّنٍ**»، قُلْنَا: مِمَّ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَستَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ وَيَمْشِي بَينَهُم بِالنَّمِيمَةِ**»[٣].

وَمِن العُقُوباتِ التِي أَخبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُقُوبَة العَبْد الذِي غَلَّ الشَّمْلَةَ.

وَقَد جَاء ذلِكَ فِي حدِيثِ أَبِي هُريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «افْتَتَحْنَا خَيبَرَ وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهبًا وَلَا فِضَّةً إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩)، وغيره من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٤٧٩) (٢٤٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦) (٢٢٣٤٦)، والطبراني في (٨/ ٢١٦) (٧٨٦٩)، وغيرهما من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدًّا».

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٠٦) (٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ وَادِي القُرَىٰ وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ: مِدْعَم، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضَّبَّابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّىٰ أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَة، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلَّا وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَمْلَةَ التِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيبَرَ مِنَ المَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيهِ نَارًا**». [رَوَاه مَالك والبُخَاري ومُسْلِم وأبُو داود والنَّسَائي وابْنُ حِبَّان في «**صَحِيحه**»][1].

وَمِن العُقُوبات التِي أَخْبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُقُوبة السَّاعِي الذِي غَلَّ النَّمِرَة.

وَقَد جَاء ذَلِك فِي حدِيثِ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «كَانَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّىٰ العَصْرَ رُبَّمَا ذَهَبَ إِلَىٰ بَنِي عَبد الأَشْهَل فَيَتَحَدَّثُ حَتَىٰ يَنْحَدِر لِلمَغْرِبِ. قَالَ أَبُو رَافِع: فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا إِلَىٰ المَغْرِب إِذْ مَرَّ بِالبَقِيع فَقَالَ: «**أُفٍّ لَكَ، أُفٍّ لَك**» مَرَّتَينِ، فَكَبُرَ فِي ذَرْعِي وَتَأَخَّرْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي، فَقَالَ: «**مَالَكَ امْشِ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَحْدَثْتَ حَدَثًا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: أَفَّفْتَ بِي، قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ بَعَثْتُهُ سَاعِيًا عَلَىٰ بَنِي فُلَانٍ فَغَلَّ**

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٥)، والبخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥)، وأبو داود (٢٧١١)، والنسائي (٣٨٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١١/ ١٨٧) (٤٨٥١)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَمِرَةً فَدُرِّعَ الآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارٍ». [رَواهُ الإمَامُ أَحْمَد والنَّسَائي][(١)].

ومِنَ العُقُوباتِ التِي أخْبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عُقُوبَة الذِي غَلَّ بُرْدَةً أوْ عَباءَةً.**

وَقَد جَاء ذَلكَ فِيمَا رَواهُ الإمَامُ أحْمَد وَمُسلِم والدَّارِمي، مِن حَدِيث ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: حَدَّثَني عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لَمَّا كَانَ يَومُ خَيبَر أَقْبَل نَفَرٌ مِن أصْحَابِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالوا: فُلانٌ شَهيدٌ، فُلانٌ شَهيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ فقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُه فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**». [وَرواهُ ابنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِه**»][(٢)].

ومِنَ العُقُوبَات التِي أخْبَر بِهَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاء فِي الحَدِيث الذِي رَواه الإمَامُ أحْمَد عَن عَبد اللهِ بن شَقِيق، أنَّه أخْبَره مَنْ سَمِع النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُو بِوَادي القُرَىٰ وَهُو عَلَىٰ فَرَسٍ وَجَاءَهُ رَجلٌ فَقَال: اسْتُشْهِدَ مَولَاكَ، أَوْ قَال: غُلَامُك فُلانٌ. قَال: «**بَلْ يُجَرُّ إِلَىٰ النَّارِ فِي عَبَاءَةٍ غَلَّهَا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٢) (٢٧٢٣٦)، والنسائي (٨٦٢)، وغيرهما من حديث أبي رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٨٣)، والنَّمِرَة: بُردةٌ مِن صُوف تلبَسُها الأعراب. «فدُرِّع»: دُرِّع كذا وكذا، أي: أُلْبِسَ، يعني جعل له دِرْعًا.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠) (٢٠٣)، ومسلم (١١٤)، والدارمي (٣/ ١٦١٦) (٢٥٣٢)، وابن حبان (١١/ ١٨٥) (٤٨٤٩)، وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢) (٢٠٣٦٦).

وَرَوَىٰ الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا، عَن أَنَس بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَالُوا: يَا رَسُول اللهِ، اسْتُشْهِد مَولَاكَ فُلانٌ، قَال: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُ عَلَيه عَبَاءَةً غَلَّهَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**»(١).

وَرَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَد والبُخَارِيُّ وابْنُ ماجَه، عن عَبْد اللهِ بن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ عَلَىٰ ثقل النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: كَرْكَرَة، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيهِ فَوَجَدُوا عَلَيهِ كِسَاءً أَوْ عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا»(٢).

ومِنَ العُقُوباتِ التِي أَخْبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاء فِي الحَدِيث الذِي رَواهُ الإِمَامُ أَحْمَد، عَن أَمِّ مُبَشِّر امْرَأة زَيْد بن حَارِثَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهَا قَالتْ: «دخَل عَليَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَنَا فِي حَائِطٍ مِن حَوائِط بَنِي النَّجَّار، فِيهِ قُبورٌ مِنهُم قَد مَاتُوا فِي الجَاهلِيَّة، فَسِمَعَهُم وَهُم يُعَذَّبُون، فَخَرج وَهُو يَقُول: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»، قَالتْ: قُلتُ: يَا رَسولَ اللهِ، وَإِنَّهُم لَيُعذَّبُون فِي قُبورِهِم؟ قَال: «**نَعَمْ، عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ**». [رِجالُه رِجَال الصَّحِيح. وَقدْ رَواه ابن حِبَّان فِي «**صحِيحِه**»، والطَّبَرانِي فِي «**الكَبِير**»، والبَيهَقِي

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١) (١٢٥٥٠). من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠) (٦٤٩٣)، والبخاري (٣٠٧٤)، وابن ماجه (٢٨٤٩)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فِي كتَاب «**إِثْبَات عَذاب القَبْر**» بِنحوِه مُختصَرًا][(١)].

ورَوَىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا بإسْنَاد صَحيحٍ عَن أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: أخْبَرَني مَن لَا أتَّهِمُه مِن أصْحَاب النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «بينَما رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبِلالٌ يَمشِيانِ بِالبَقيعِ فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا بِلال، هَلْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَسْمَعُهُ، قَالَ: «**أَلَا تَسْمَعُ أَهْلَ هَذِهِ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ؟**» -يَعنِي قُبورَ أَهْلِ الجَاهِليَّة-». [وقَد رَواه البَيهَقِي فِي كِتَاب «**إِثْبَات عَذَاب القَبْر**» بِنحوِه وَقالَ: إِسْنَاده صَحيحٌ][(٢)].

وَرَوَىٰ الإمَام أحْمَد أيْضًا وَالنَّسَائِي وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحيحِه**»، عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «دَخَل النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائطًا مِن حِيطَانِ المَدِينة لِبَني النَّجار، فَسَمِع صَوتًا مِنْ قَبرٍ فَسأَل عَنهُ: «**مَتَىٰ دُفِنَ هَذَا؟**» فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، دُفِنَ هَذَا فِي الجَاهِليَّة، فَأعْجَبهُ ذَلكَ وَقالَ: «**لَولَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ**». [وَرَواه الإمَامُ أحْمَد أيْضًا وَمُسلِمٌ وَابنُ حِبَّان مُختَصَرًا

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٢) (٢٧٠٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٣٩٥) (٣١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٠٣)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٩٥)، وغيرهم من حديث أم مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٩) (١٣٧٤٥)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٩٦)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحح إسناده الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٣١٨).

لَيْسَ فيهِ قِصَّة دُخُول الحَائِط].

وَرَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا وَأَبُو دَاودَ مُطَوَّلًا. وأَوَّلُه: «أَنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَل نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ فَقَال: «**مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ القُبُورِ؟**» قَالوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّة، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» الحديث.

وفِي رِوَايَة لأَحْمَد، عَن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِربًا لَبَنِي النَّجَّار وَكَانَ يَقْضِي فِيهَا حَاجَةً، فَخرجَ إِلَينَا مَذعُورًا أَوْ فَزِعًا وَقَال: «**لَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ القُبُورِ مَا أَسْمَعَنِي**».

وَفِي رِوَاية لأَحْمَد أَيْضًا، عنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَىٰ بَغلَتِه الشَّهْبَاء بِحَائطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ فَسَمِع أَصْواتَ قَومٍ يُعذَّبُون فِي قُبورِهم، فَحَاصَتِ البَغْلَةُ، فقَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَولا أَنْ لا تَدافَنُوا لَسَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُم عَذَابَ القَبْرِ**». [وَرَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد أَيْضًا بِنحوهِ مِن عِدَّة طُرُق كُلُّها صِحَاح](١).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣، ١١١) (١٢٠٢٦، ١٢١١٧)، ومسلم (٢٨٦٨)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٢٠٥٨)، وابن حبان (٧/ ٣٩٦) (٣١٢٦)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى الإمامُ أحْمَد أيْضًا بإسْنَاد صَحِيحٍ، عَن جَابِر بن عبد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: دَخَل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا نخلًا لِبَنِي النَّجَّار فَسَمعَ أصْوَات رِجَال مِن بَنِي النَّجَّار مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّة يُعذَّبُون فِي قُبورِهم، فَخَرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِعًا، فَأَمر أصْحَابه «**أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**». [وَرَوَاه البَزَّار بِنَحوِه][(١)].

وَرَوَىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا وَمُسلِمٌ، عَن أَبِي سَعيدٍ الخُدْري، عَن زَيد بن ثَابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَن أَبِي سَعِيد قَال: «كُنَّا مَع رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِن حِيطانِ المَدينَة فِيه أَقْبُرٌ، وَهُو عَلَىٰ بَغْلَته فَحَادَت بِهِ وَكَادتْ أَن تُلْقِيَه، فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَومٌ هَلكوا فِي الجَاهِلِيَّة، فَقال: «**لَولا أَن لا تَدَافَنُوا لَدعَوْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُسمِعَكُمْ عَذَاب القَبْرِ**». الحديث. [وَهذَا لَفظُ أحْمد وإسْنَادُه صَحيحٌ][(٢)].

وَرَوَىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا بِإسنَاد صَحيحٍ، عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «بينما نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَخلٍ لَنا لِأَبِي طَلحَة يَتبرَّز لِحَاجتهِ قَال: وَبلالٌ يَمشِي وراءَه يُكرِمُ نَبِي اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَمْشِي إِلَىٰ جَنبِه، فَمَرَّ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقبرٍ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٥) (١٤١٨٥)، والبزار في «مسنده» (١/ ٤١٢) (٨٧١) كشف، وغيرهما من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٠) (٢١٧٠١)، ومسلم (٢٨٦٧)، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَام حتَّىٰ لَمَّ إِليهِ بِلالٌ فَقالَ: «**وَيْحَكَ يَا بِلَالُ! هَلْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**» قَال: مَا أَسْمَع شَيئًا، قَال: «**صَاحبُ القَبر يُعذَّبُ**»، قَال: فَسُئِل عَنهُ فَوُجِد يهوديًّا». [وقَد رَواه البَيهَقِي فِي كتَاب «**إثْبَات عَذاب القَبر**» بنحوه](١).

وَرَوىٰ الإمَام أحْمَد أيْضًا والبُخَاري ومُسلِم والنَّسَائي وابْنِ حِبَّان في «**صَحيحِه**» والطَّبَراني فِي «**الكَبير**»، عَنِ البرَاء بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن أَبِي أَيُّوب الأنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «خَرجَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعْدَما غَربتِ الشَّمْسُ فَسَمِع صَوْتًا فَقَال: «**يَهُودٌ تُعَذَّب فِي قُبُورِهَا**».

وفِي رِوَاية للطَّبَرانِي عَن البرَاء بن عَازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن أَبِي أَيُّوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خَرجتُ مَع رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ غَربتِ الشَّمْس أو اصْفَرَّت للمَغِيبِ، ومَعِي كُوزٌ مِن مَاءٍ، فانْطَلَق رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِه وقَعَدتُ أَنْتَظِرُه حتَّىٰ جَاءَ فَوضَّأتُه فقَال: «**يَا أَبَا أَيُّوب، أَتسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**»، قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَسْمَعُ أَصْوَاتَ اليَهُودِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ**». [فِي إسْنَاد هَذه الرِّوايَة ضَعفٌ، وَلكنَّ الرِّوايَة الصَّحِيحة قَبلَها تُؤيِّدها وَتَشهَدُ لَها](٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١) (١٢٥٥٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٩٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٧) (٢٣٥٨٦)، والبخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩)، والنسائي (٢٠٥٩)، وابن حبان (٧/ ٣٩٤) (٣١٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ١٢٠) (٣٨٥٧)، وغيرهم.

وروىٰ الطَّبَرانِي أيْضًا فِي «**الأَوْسَط**» عَن أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «كُنتُ مَع رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهُو يَسيرُ عَلَىٰ رَاحِلتهِ فَنفَرَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شَأنُ رَاحِلتِكَ نَفَرَتْ؟ قَال: «**إِنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ فَنفَرَتْ لِذَلِكَ**». [قَال الهَيْثَمِي: فِيه جَابِر الجُعْفِي وَفِيه كَلامٌ كَثيرٌ وَقَد وُثِّقَ][1].

وَروىٰ الطَّبَرانِي أيْضًا فِي «**الكَبِير**»، عَن عبدِ اللهِ بن مَسْعُود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّ المَوتَىٰ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ حَتَّىٰ إِنَّ البَهَائِمَ تَسْمَعُ أَصْوَاتَهُم**». [قالَ الهَيثَمِي: إسْنادُه حَسَن][2].

* * *

فصل

وأمَّا القِسْم الثَّانِي -وَهُو مَا اطَّلَع عَليهِ بَعضُ النَّاسِ مِن تَعذِيبِ الأمْوَاتِ- فهُوَ عَلىٰ قِسمَين:

الأوَّلُ: مَا رَأوهُ بالمُشَاهدَة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٤٨) (٣٣٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٠٠) (١٠٤٥٩) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٦).

والثَّانِي: مَا سَمِعُوه مِن القُبُورِ.

وقَد جَاء فِي كُلٍّ مِن القِسمينِ قَصَصٌ كَثِيرة، وَسَأذْكُر مِنها مَا تَيَّسر إنْ شاءَ اللهُ تَعَالىٰ.

فَمِن قَصَص المُشَاهدَة: قَصَص الذِينَ لَفِظَتْهُم الأَرْضُ بَعدَما دُفِنوا، وَهِي خَمْس قَصَص:

الأُولَىٰ: قِصَّة الذِي ارْتدَّ عِن الإِسْلَام.

وَقدْ رَوَىٰ هذِه القِصَّة الإِمَامُ أحْمَد والبُخَاري ومُسلِم والبَيهَقِي فِي «**دلائِل النُّبُوَّة**»، عَن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: «كانَ مِنَّا رَجلٌ مِن بَنِي النَّجَّار قَد قَرأَ البقَرة وَآلَ عِمرَان، وكَانَ يَكتُبُ لِرسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ هَاربًا حتَّىٰ لحِقَ بأهْلِ الكِتَاب، قالَ: فَرفعُوه وقَالوا: هَذا كَان يَكتُبُ لِمحمَّد وأُعْجِبوا بهِ، فمَا لَبث أنْ قَصَم اللهُ عُنقهُ فِيهم، فحَفَروا لَه فوارَوْهُ، فأصْبَحتِ الأرْضُ قَد نبَذَتْه علىٰ وَجهِها، ثُمَّ عَادوا فَحفَروا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأصبَحَتِ الأرْضُ قَد نبَذَتْه علىٰ وَجْهِها، ثُمَّ عَادُوا فَحفروا لَه فَوَارَوْهُ، فَأصْبَحَتِ الأرْض قَد نبَذَتهُ علىٰ وَجهِهَا، فَتركُوه مَنبُوذًا». [هذا لفْظُ أحْمَد ومُسْلم].

ولفْظ البُخَاري قالَ: «كَان رَجلٌ نَصْرَانِيًّا فَأسْلَم وَقَرأ البقَرة وَآلَ عِمرانَ، فَكانَ يكتُبُ للنَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَعَاد نَصرَانِيًّا، فَكان يَقُول: مَا يَدرِي مُحمد إلا مَا كَتَبتُ لَه، فَأماتَهُ اللهُ فَدفنُوهُ، فَأصبَحَ وَقدْ لَفظَتهُ الأرْضُ، فَقالوا: هَذا فِعلُ

مُحمَّد وأصحَابُه لمَّا هَرَب مِنهُم نبَشوا عَن صَاحِبنا، فألقَوا فحَفَروا له فأعمَقُوا فَأصْبح وقَد لَفِظَتْه الأَرضُ، فقالُوا: هَذا فِعلُ مُحمَّدٍ وَأصْحَابه نبَشوا عَن صَاحِبنَا لَمَّا هَرَب مِنهُم، فألقَوه خارِجَ القَبرِ فَحفروا له وأعْمَقُوا لَه فِي الأرْضِ مَا اسْتطاعُوا فَأصبَح قَد لَفِظَتْه الأرضُ، فَعلمُوا أنَّه لَيس مِن النَّاس فَألْقَوْه».

وفِي رِوَاية البَيهَقي: «فعَلِمُوا أنَّه لَيسَ مِنَ النَّاس، وأَنَّه مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ». ثم قال البيهقي: «ورواه حُمَيد الطَّوِيل، عن أَنَس بن مَالِك بِمعْنَاه يَزِيد وَيَنقُص. ومما زَادَ: فقال نَبِي اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَقْبَلُهُ الأَرْضُ**»، فَذَكر أَنَّ أَبَا طَلحَة أَتَىٰ الأَرْضَ التِي مَات فِيهَا فَوجَدَه مَنبُوذًا، فَقالَ: مَا بَالُ هَذا؟ قَالُوا: دفَنَّاه مِرارًا، فَلم تَقْبَلْهُ الأَرْض».

[وقَد أَخْرَج البَيهَقِي هَذِه الرِّوَاية فِي كِتَابِهِ «**إِثْبَات عَذابِ القَبْر**»، مِن حَديثِ حُميد الطَّوِيل، عنْ أَنَس بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكر الحَديث بِنحْو مَا فِي هَذهِ الرِّوَاية الأَخِيرَة](١).

القِصَّة الثَّانِيَة: قِصةُ الرَّجُل الذِي قَتَل رَجُلًا بَعدَما قَال: أشْهَد أَن لَا إِلهَ إلَّا اللهُ إِنِّي مُسلِم.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٢) (١٣٣٤٨)، والبخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٢٦)، وفي «إثبات عذاب القبر» (٥٣)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقَد رَوىٰ هَذه القِصَّةَ الإمَامُ أحْمَد وابْن مَاجَه والبيهَقِي فِي «**دَلائل النُّبُوَّة**»، عَن عِمرَان بن حُصَين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: شَهِدتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَد بَعَث جَيشًا مِنَ المُسلِمِين إلَىٰ المُشرِكِينَ، فلَمَّا لَقُوهُم قَاتَلُوهم قِتَالًا شَديدًا فَمَنَحُوهم أَكتَافَهم، فَحمل رَجلٌ مِن لُحمتي(١) علىٰ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكين بِالرُّمْح فلمَّا غَشِيه قَال: أَشهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إلا اللهُ، إِنِّي مُسلِم، فَطعَنه فقَتلَه، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقالَ: يَا رَسولَ اللهَ، هَلكتُ، قَال: «**وَمَا الذِي صَنعْتَ؟**» مرَّة أو مَرَّتَين.

فَأَخْبَره بِالذِي صَنَع، فَقالَ لَه رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَهلَّا شَقَقْتَ عَن بَطْنِه فَعَلِمتَ مَا فِي قَلبِه؟!**»، قَال: يَا رَسُول اللهِ، لَو شَقَقتُ بَطنَه لَكُنتُ أَعْلمُ مَا فِي قَلبهِ، قَال: «**فَلا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكلَّمَ بِهِ وَلا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ**»، قَالَ: فَسَكَت عَنهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَم يَلبَثْ إلَّا يَسيرًا حَتَّىٰ مَات فَدَفَنَّاه فَأَصْبَح عَلَىٰ ظَهر الأَرْض. فَقَالوا: لَعَلَّ عَدوًا نَبَشه، فَدفنَّاه، ثُمَّ أَمَرنَا غِلمَانًا لَنا يَحرُسُونَه، فأَصْبَح عَلَىٰ ظَهرِ الأَرْضِ، فَقلْنا: لَعَلَّ الغِلْمانَ نَعِسُوا، فَدَفَنَّاه ثُمَّ حَرَسْنَاه بِأَنْفُسِنا فَأَصْبَح عَلَىٰ ظَهرِ الأَرْضِ، فأَلقَينَاه فِي بَعضِ تِلكَ الشِّعَاب».

[هذا لفظ ابن ماجه. وَزَاد فِي رِوَاية لَهُ أَخْرَىٰ: «فَنَبذَتهُ الأَرْضُ فَأُخبِر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ الأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَحَبَّ أَنْ يُرِيكُم**

(١) قال الجوهري، وصاحب «لسان العرب»: اللُّحمة -بالضم-: القرابة. انظر: «اللسان» (١٢/ ٥٣٨).

تَعْظِيمَ حُرْمَةِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». قالَ في الزَّوَائِد: إسْناده حَسنٌ][(١)].

القِصَّة الثَّالِثَة: قِصَّة مُحلِّم بن جَثَّامة اللَّيْثِي مَع عَامر بن الأضْبَط.

وقدْ رَوىٰ هَذه القِصَّة ابن جَريرٍ فِي «**تفْسِيرِه**»، عَن ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: «بَعَث النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُحَلِّم بن جثامة مَبْعثًا، فَلَقِيَهم عامرُ بن الأضْبَط فَحَيَّاهُم بِتحِيَّة الإسْلامِ، وكَانتْ بَينَهُم إِحْنَة[(٢)] فِي الجَاهلِيَّة، فَرماه مُحَلِّم بِسَهْم فَقَتلَه، فَجاءَ الخَبَر إِلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فتكلَّم فِيه عُيينَة والأقْرَع، فَقالَ الأقْرعُ: يَا رسُولَ الله، سُنَّ اليوم وغَيِّر غدًا، فَقالَ عُيينَة: لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تَذُوق نِساؤُه مِن الثُّكْل مَا ذَاقَ نِسَائي. فجَاء مُحلِّم فِي بُردَين فَجَلس بَينَ يَدي رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِيستَغْفِر لَهُ، فقَال لَه النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا غَفَرَ اللهُ لَكَ**».

فَقَام هُو يَتلَقَّىٰ دُموعَه بِبُردَيهِ، فَما مَضتْ بِه سَابِعة حتَّىٰ مَاتَ وَدفَنُوه، فَلفِظَته الأرْضُ، فَجاءُوا إِلَىٰ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَذَكروا ذَلِك لَه فَقَال: «**إِنَّ الأَرْض تَقبَلُ مَن هُوَ شَرٌّ مِن صَاحِبِكم، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُمْ**»، ثُمَّ طَرَحُوه بينَ صَدَفَي جَبَل وَألقَوا عليهِ مِن الحِجَارة، وَنَزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] الآيَةَ».

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٨) (١٩٩٥١)، وابن ماجه (٣٩٣٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٢٧)، وغيرهم. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

(٢) قال أهل اللغة: الإحنة الحقد وإضمار العداوة. انظر: «اللسان» (١٣/ ٨).

وقال ابن إسْحَاق: حدَّثَني مَن لا أَتَّهِم عَن الحَسَن البَصرِي قَال: «قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلسَ بَينَ يَدَيهِ: «**أَمَّنْتَهُ بِاللهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ!**»، ثُمَّ قَال لَه المَقَالَة التِي قَال. قَالَ: فَواللهِ مَا مَكَثَ مُحلِّم بن جَثَّامة إِلَّا سَبْعًا حتَّىٰ مَاتَ فلَفِظَتْهُ -وَالذِي نَفسُ الحَسنِ بِيدِهِ- الأَرْضُ، ثُمَّ عَادُوا لَه فَلَفِظَتْه الأَرْضُ. ثُمَّ عَادوا لَه فَلَفِظتْهُ الأَرْضُ. فلَمَّا غُلِب قَومُه عَمَدُوا إِلَىٰ صُدَّين[1] فَسطَّحُوه بَينَهُما ثُمَّ رَضموا عَليه الحِجَارة حتَّىٰ وَارَوه.

قَال: فَبلَغ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأنُه فقَال: «**وَاللهِ إِنَّ الأَرْضَ لَتطَّابق عَلىٰ مَن هُوَ شَرٌّ مِنهُ، وَلكنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُم فِي حُرَم مَا بَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ مِنْهُ**»[2].

القِصَّة الرَّابعة: ذَكَرها البَيهَقِي فِي «**دَلائِل النُّبُوة**»، مِن حَديثِ أُسامَة بن زَيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، وَذَلِك أَنَّه بَعَث رَجُلًا فَكَذب عَليهِ فَدَعا عَليهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوُجِد مَيتًا قَد انْشَقَّ بَطنُه وَلمْ تَقبَلْهُ الأَرْضُ»[3].

---

(١) قال أهل اللغة: الصَّدُّ والصُّدُّ: الجبل، والصُّدَّان: الجبلان. انظر: «تاج العروس» (٨/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ٣٥٣) وإسناده ضعيف، فيه سفيان بن وكيع ضعيف، ومحمد بن إسحاق بن يسار صدوق يدلس، ولم يصرح بالتحديث.

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٤٥) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي

القِصَّة الخَامِسة: ذَكَرها ابن عذاري المَرَاكِشي فِي صفحة (٢٨٤ - ٢٨٥) مِنَ الجُزْء الأوَّل منْ كِتابهِ المُسمَّىٰ بـ«**البَيَان المُغرب فِي أخْبَار الأنْدَلُس والمَغْرب**»(١): «فَقَد ذَكر أنَّ الحَجَر الأسْوَد أرْسَله اللَّعِين الجِنَابي إلَىٰ عُبيدِ اللهِ الذِي تسَمَّىٰ بِالمَهدي. أرْسَله إليهِ بِالمَهدِيَّة، فَلم يَلبَث عُبيدُ اللهِ إلا أيَّامًا وَهَلك، فلمَّا دُفِن طَرحَتْه الأرْضُ، ثُمَّ دُفنَ فَطرحَتْه الأرْضُ -ثلاثًا- فَقِيل لابْنه أبِي القَاسِم: إنَّ هذا لأجل هَذا الحَجَر فَارْدُدْه حَيثُ كَان، فَأمرَ بإخْرَاجهِ وَردَّه إلَىٰ مَوضِعه فَعندَ ذلِك اسْتقرَّ عُبيد اللهِ فِي قبْره»؛ انتهىٰ.

وَمِن قَصَص المُشاهدة للمُعذَّبين: مَا ذكَره ابن أبِي الدُّنيا فِي «**كِتَاب القُبُور**»، عَن الشَّعْبي: أنَّ رَجُلًا قَال للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي مَررْتُ بِبَدرٍ فرَأيتُ رَجُلًا يَخْرج مِن الأرْضِ فيضرِبُه رَجُلٌ بِمقْمَعةٍ مَعهُ حتَّىٰ يَغيبَ فِي الأرْضِ، ثُم يَخرُج فَيُفعَلُ بهِ مثلُ ذَلك. قَال ذَلكَ مِرارًا. فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاكَ أَبُو جَهْلِ بن هِشَام يُعَذَّبُ إلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**».

[وقَد رَوَاه البَيهَقي في «**دَلائل النُّبُوة**» مِن طَريق ابن أبِي الدُّنْيا.

وَرَوىٰ الأُمَوي فِي «مَغَازيهِ» عَن أَبِيه قال: حدَّثَنا المُجَالد بن سَعِيد، عَن عَامِر -يَعنِي الشَّعْبي- قال: جَاءَ رَجُلٌ إلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَال: إنِّي

=

إسناده الوازع بن نافع متروك الحديث. انظر: «لسان الميزان» (٨/ ٣٦٧).

(١) (١/ ٢٨٤).

رأيْتُ رَجُلًا جَالسًا فِي بَدرٍ وَرَجلٌ يَضرِبُ رَأسهُ بِعَمودٍ مِن حَديدٍ حَتَّىٰ يَغيبَ فِي الأرْضِ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاكَ أَبُو جَهْل، وُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يَفْعَلُ بِهِ كُلَّمَا خَرَجَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»](١).

وَرَوىٰ الطَّبَرانِي فِي «**الأوسَط**»، عَن ابن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: بَينَا أَسيرُ بِجنبَاتِ بَدرٍ إذْ خَرَج رَجلٌ مِن حُفْرَةٍ فِي عُنُقِه سِلسِلَة فَنَادانِي: يَا عَبد اللهِ، اسْقِني، فَلا أَدْرِي أَعرَف اسْمِي أو دَعَاني بِدِعَايَة العَرَب، وخَرَج رَجُل فِي ذَلك الحَفِير فِي يَدِه سَوط فَنَادَاني: لَا تُسقِهِ فَإنَّه كَافرٌ، ثُمَّ ضَربهُ بِالسوْطِ حتَّىٰ عادَ إلَىٰ حُفرَته؛ فَأتيتُ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرعًا فَأخبَرتُه فقَال لِي: «**أَوَقَدْ رَأَيتَه؟**»، قُلتُ: نَعم، قَال: «**ذَاكَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهلِ بن هِشَام، وَذَاكَ عذَابُهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [وَقَدْ رَوَاهُ اللالكائي فِي «**شرْح السُّنَّة**» بِنَحوِه](٢).

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكَره البَيهَقي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**»، عن الوَاقِدِي قَال: كَان ابن عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُول: «مَاتَ أُبَي بن خَلف بِبِطنِ رَابغ،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٢)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩)، وغيرهما، وفي إسناده مجالد بن سعيد ضعيف. وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٠) لابن كثير.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٣٥) (٦٥٦٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٤) (٢١٤٨)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وفي إسناده عبد الله بن محمد بن المغيرة متروك.

فَإِنِّي لأَسِير بِبطْنِ رَابغٍ بَعْد هَوِيٍّ مِن الليلِ إذَا نَارٌ تَأَجَّجُ فَهِبْتُها، وإذَا رَجُلٌ يَخرُج مِنهَا فِي سِلسِلَة يجتَذِبُها يَصِيح: العَطَش، وَإِذا رَجلٌ يَقُول: لَا تُسْقِه، فَإِنَّ هَذا قَتِيل رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذا أُبَي بن خَلَف»(١).

وَمِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رواه ابن أَبِي الدُّنْيا فِي كِتابِ «**مَن عَاش بَعْد المَوْت**»، عَن الحُوَيْرِث بن الرِّئَاب قالَ: «بينَا أنَا بِالأثَايَة إذْ خَرجَ علينا إِنسانٌ مِن قَبرٍ يَلتهِبُ وَجهُه ورأسُهُ نَارًا وهُو فِي جَامعَةٍ مِن حَديدٍ، فقَالَ: اسْقِني اسْقِني مِن الإدَاوَة، وَخَرج إنْسانٌ فِي أَثَرِه فَقال: لا تُسقِ الكَافِرَ لا تُسْقِ الكَافِر، فَأَدْرَكه وأَخَذَ بِطرفِ السِّلسِلَة فَجَذبَه إلَيهِ فكبَّه، ثُمَّ جرَّه حتَّىٰ دَخلا القَبر جَميعًا.

قالَ الحُويرثُ: فَضَرَبتْ بِيَ النَّاقةُ لَا أَقْدِر مِنهَا عَلىٰ شِيءٍ حتَّىٰ التَوَتْ بِعرِق الظبية فَبَركَت، فَنَزَلْتُ فصلَّيتُ المَغربَ والعشَاءَ ثُمَّ رَكبتُ حَتَّىٰ أصبَحتُ بِالمدِينةِ، فأَتَيتُ عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأَخْبَرته فقال: يَا حُويرِثُ، واللهِ مَا أَتَّهِمكَ، ولَقد أَخبَرتنِي خَبرًا شَديدًا.

ثُمَّ أرسَل عُمرُ إلىٰ مَشيَخةٍ مِن كنفي الصَّفْراء قَد أدْركوا الجَاهِلِية، فَقَال: إنَّ هذا أَخْبَرَني حَديثًا وَلستُ أَتَّهمه. حدِّثهم يَا حويرث مَا حدَّثْتَنِي.

فَحدَّثهم فقَالوا: قَد عَرفنا هذا يَا أَمِيرَ المُؤمنين. هَذا رجُل مِن بَني غِفَار

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفيه الواقدي، تقدم بيان حاله.

مَات فِي الجَاهِلِيَّة، فَحَمَد اللهَ عُمرُ وسُرَّ بِذلكَ؛ حَيثُ أَخْبروه أَنَّه مَات فِي الجَاهليَّة، ثُمَّ سَألهُم عنْه فَقَالوا: كَان رَجُلًا مِن رِجَال الجَاهلية وَلَمْ يَكن يَرَىٰ للضَّيفِ حَقًّا». [قالَ الحَافظُ ابن حَجر فِي «**الإصَابة**»: الحُويْرِث بن الرِّئَاب لَه إدْراكٌ وجَرَت لَه قِصَّة مَع عُمر تَقتَضي أَنَّه كَان فِي زَمانِه رَجُلًا مَقْبولَ القَول. ثُمَّ ساقَ ابن حَجَر هَذهِ القِصَّة فِي تَرجمتِه][1].

وَمِن **القَصَص فِي هَذا البَابِ أيضًا**: مَا رَوَاه ابن أَبِي الدُّنيا، عَن هِشَام بن عُرْوة، عَن أَبيهِ قَال: «بَينَما رَاكبٌ يَسيرُ بَينَ مكَّة والمَدينَة إذْ مَرَّ بمَقبَرةٍ، فَإذا بِرجلٍ قَد خرَجَ مِن قَبر يَلتَهبُ نَارًا مُصفدًا فِي الحَديدِ فَقَال: يَا عبدَ اللهِ انْضَح، يَا عبدَ اللهِ انْضَح. قَال: وَخَرج آخرُ يَتلُوه فَقَال: يَا عبدَ اللهِ لا تَنضَح، يَا عبدَ اللهِ لا تَنْضَح.

قَال: وغُشِي عَلىٰ الرَّاكِب وَعَدَلتْ بِه رَاحلَتُه إِلىٰ العرج. قَال: وَأَصْبَح قَد ابيَضَّ شَعرُه، فَأخبر عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذلكَ، فنَهىٰ أَنْ يُسَافر الرَّجُل وحْدَه». [وَقد ذَكَر هذِه القِصَّة العَلامَة ابن القَيِّم فِي كِتابِ «**الرُّوح**» وَذَكر نَحوَها عَن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا][2].

وَمِن **القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا**: مَا رَواه هِشَام بن عَمَّار فِي كِتَاب «**البَعثِ**»، عَن يَحيَىٰ بن حَمْزة قالَ: حدَّثني النُّعمَان، عَن مكْحُول: «أَنَّ رَجُلًا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١١٤)، وانظر: «الإصابة» (٢/ ١٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٣)، وانظر كتاب «الروح» (ص٦٧).

أَتَىٰ عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وَقَد ابيَضَّ نِصفُ رَأسِه ونِصفُ لِحيَتِهِ، فقَال لَه عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: مَا بَالُك؟ فقَال: مَرَرتُ بِمقبَرة بَني فُلانٍ ليلًا فَإذا رَجلٌ يَطلبُ رَجلًا بِسوطٍ مِن نَارٍ، كُلمَا لَحِقه ضَربهُ فاشْتَعل مَا بَين قَرنِه إِلىٰ قَدمِه نَارًا، فَلاذَ بِي الرَّجلُ وَقال: يَا عبدَ اللهِ أغِثنِي، فَقال الطَّالِب: يَا عبدَ اللهِ لا تُغِثه فَبئس عبدُ اللهِ هُو. فقَال عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: لَذلِكَ كَرهَ لَكمْ نَبيُّكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنْ يُسافِر أحدُكمْ وحْدَه».

[ذَكَر هذِه القِصَّة ابن رَجب فِي كتابِ «**أهْوال القُبُور**»](١).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا روَاه ابن أَبِي الدُّنيَا فِي كِتاب «**مَن عَاش بَعْد المَوْت**»، عنْ مُجَاهد قَال: «أَرَدْتُ حَاجةً فَبينَما أنَا فِي الطَّرِيق إذْ فَجَأَني حِمارٌ، قَد أخْرجَ عُنقَهُ مِن الأرضِ فَنهَقَ فِي وَجهِي ثَلاثًا ثُم دَخلَ، فَأتيتُ القَومَ الذِينَ أرَدتُهم فَقالوا: مَا لنَا نَرىٰ لَونَك قَد حَال؟ فَأخْبَرتُهم الخَبَر، فَقالوا: ذَلكَ غُلامٌ مِن الحَي، وتِلكَ أمُّه فِي ذَلكَ الخِبَاء، وَكانتْ إذا أمَرتْه بِشيءٍ شَتَمها، وَقال: مَا أنْتِ إلا حِمار ثمَّ نَهَقَ فِي وَجهِهَا وقَال: هَا ها ها، فَماتَ يَوم مَات فَدفنَّاه فِي ذَلكَ الحَفيرِ، فَما مِن يَوم إلا وَهُو يُخرِج رَأسَه فِي الوَقت الذِي دفنَّاه فِيه فَينْهَق إلَىٰ نَاحِية الخِبَاء ثَلاث مَرَّات ثُم يدخُل»(٢).

---

(١) كذا عزاه صاحب «كنز العمال» (٦/ ٧٢٨) (١٧٥٩٩). وانظر: «أهوال القبور» (ص٨٨) لابن رجب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٢٧).

[وَرَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا أَيضًا قِصَّة تُشبِه هَذه القِصة. وسَيأتِي ذِكرُها مَع القَصصِ التِي سُمِعَت مِن الأمْواتِ الذِين يُعذَّبُون فِي قُبورِهم].

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكرَه الحَافظُ المُنذِري فِي كتَابه «**التَّرغيب والتَّرْهِيب**»(١)، فَقد ذَكر فِي «**التَّرهِيب مِن عُقوق الوَالِدَين**»، عَن العَوَّام بن حَوشَب قَال: «نَزلتُ مرَّة حَيًّا وَإلىٰ جَانبِ ذَلكَ الحَي مَقبرةٌ، فلمَّا كَان بَعدَ العَصرِ انْشقَّ مِنها قَبرٌ فَخرج رَجلٌ رأسُهُ رأسَ حِمارٍ وجَسدُه جَسدُ إنسَانٍ، فَنهَق ثَلاث نَهقَات ثُمَّ انطَبق عَليهِ القَبرُ، فَإذا عَجوز تَغزِل شَعرًا أو صُوفًا، فقَالت امْرأةٌ: تَرىٰ تِلك العَجُوز؟ قُلت: مَا لَها؟ قَالتْ: تِلك أُمُّ هَذا، قُلتُ: وَما كَان قِصَّتُه؟

قَالتْ: كَان يَشربُ الخَمرَ فَإذا رَاح تَقولُ لهُ أمُّه: يَا بُنَي اتقِ الله، إلَىٰ متَىٰ تَشرَبُ هَذه الخَمرَ، فيَقول لَها: إنَّما أَنتِ تَنهقِينَ كَما يَنهَق الحِمَار. قَالت: فَمَات بعدَ العَصرِ، قَالت: فَهُو يَنْشقُّ عَنهُ القَبرُ بَعد العَصرِ كُل يَومٍ فيَنهَقُ ثَلاثَ نَهقات ثُمَّ يَنطَبقُ عَليهِ القَبر». [قَال المُنْذِري: رَواه الأَصْبهَاني وغَيرُه. وقَالَ الأَصْبهَاني: حدَّث بِه أَبُو العبَّاس الأَصَمِّ إملاءً بِنيسَابور بِمشهَدٍ مِن الحُفَّاظ فَلم يُنكِرُوه].

قُلتُ: قَد رَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا هَذِه القِصَّة مُختَصَرة فِي كِتابِ «**مَن عَاش بَعدَ المَوْت**»، رَوَاها عَن العوَّام بن حَوشَب، عنْ عَبد اللهِ بِن أَبِي الهُذَيل.

---

(١) (٣/ ٣٣٢)، وحسنه الألباني موقوفًا، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥١٧).

وَسيأتِي -إنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ- فِي الفَصْل الذِي بَعد هَذا الفَصلِ، قِصَّة شَبيهةُ بِهذهِ القِصةِ والتِي قَبلَها، إلا أنَّ الاطِّلاعَ عَليهَا كَان مِن بابِ السَّماع لا مِن بَاب المُشاهدَة، فَلذَلكَ لَم أذْكُرها فِي هذا المَوضِع.

ومِن القَصصِ فِي هذَا البابِ أيضًا: مَا ذكَره ابن القَيم رَحِمه اللهُ تَعالىٰ فِي كِتاب «**الرُّوح**»[١] قَال: «حدَّثني صَاحبُنَا أبُو عبدِ اللهِ مُحمَّد بن الرَّزِيز الحَرَّاني، أنَّه خَرج مِن دَارهِ بَعدَ العَصرِ بِآمِد إلِىٰ بُستَانٍ، قَال: فَلمَّا كانَ قبلَ غُروبِ الشَّمسِ تَوسَّطتُّ القُبُور فَإذا بِقبرٍ مِنهَا وَهو جَمرَة نَارٍ مِثل كِير الحَدَّاد والمَيِّت فِي وَسَطهِ، فَجعَلتُ أمْسَح عَينِي وأقُول: أنَائمٌ أنَا أمْ يَقظَان؟ ثُمَّ التَفتُّ إلَىٰ سُور المَدينَة وقُلتُ: واللهِ مَا أنَا بنَائِم، ثُمَّ ذَهبتُ إلَىٰ أهْلي وأنَا مَدهُوش فَأتَونِي بِطعامٍ فلَم أسْتَطعْ أنْ آكُل، ثُمَّ دخلْتُ البَلدَ فَسألتُ عَن صَاحبِ القَبرِ فَإذا بِهِ مَكَّاس قَد تُوُفِّي ذَلكَ اليَوم».

قالَ ابنُ القَيم رَحِمه اللهُ تعالَىٰ: «رُؤيَة هَذهِ النَّار كَرؤيَةِ المَلائِكةِ وَالجِنِّ تقَعُ أحيانًا لِمَن شَاء اللهُ أنْ يُريَهُ ذلك»؛ انتهىٰ.

ومنَ القَصص فِي هَذا البَاب: مَا حدَّثَنا بِه الثِّقَة مِن إخْوَاننا فِي اللهِ -وَكان رَئيسًا لِديوَان الرَّسَائل عِند المَلكِ سُعود بن عبْدِ العَزيزِ آل سُعُود- قال: «أرْسَلَني المَلِكُ سُعود بِصدَقَات إلَىٰ بَعضِ قُرىٰ البَادِيَة فِي أعَالي نَجْد. قَال:

---

(١) (ص٦٦).

فبينَمَا نَحنُ فِي قَريَة الدَّاثِ وَقد قَرُبَ غُروبُ الشَّمسِ إذْ ارْتَفَعت نَارٌ مِن بَعيدٍ، فَسألتُ الحَاضرينَ عنْهَا فَقالوا: هذهِ النَّار تَرتَفعُ فَوقَ قَبر شَابٍّ مِن أهلِ الدَّاث. قال: وأخْبَروني أنَّ هَذه النَّار لا تَزالُ تُرىٰ كُل يَوم عَلىٰ قَبْره إِذَا اقْترَبَ غُروبُ الشَّمسِ».

وَقد سَألتُ الثقة المُشَار إِليهِ عَن طُولِ النَّار فَقال: مِثل قَامة الرَّجل أو أطَولَ. فَأمَّا أعْمالُ الشَّابِّ التِي قَد تَكُون سَببًا فِي تَعذيبِه وَظُهور النَّار فَوق قَبره كُل يَوم، فَلم نَقِف عَلىٰ شَيء مِنْها. ولَعلَّه كَان مُصِرًّا علَىٰ كَبيرَةٍ مِن الكَبَائر إِلَىٰ حِين مَوتِه، والله أعلم.

ومِنَ القَصصِ فِي هَذا البابِ أيضًا: مَا حدَّثني بِهِ الشَّيخ إسْمَاعيل بن مُحمَّد الأنْصَاري قالَ: «كانَتْ عِندَنَا فِي صَحراء مَالِي مِن إفْريقيا امْرَأة نَشَزَت علَىٰ زَوجِها وَمَاتتْ وهِي نَاشزٌ، فَكان يَظهرُ عَلىٰ قبْرِها نَارٌ عَظيمَةٌ فِي كُلِّ لَيلَة جُمُعَة، وكَانَت هذِه النَّار تُرىٰ مِن بَعيد، فَحَصل لأهْلِ تِلكَ النَّاحيةِ قَلقٌ عَظيمٌ مِن رُؤيَة تِلكَ النَّار، فَجاءَ أَحدُ المَشايخِ الكِبارِ مِنهُم إلَىٰ زَوجِ المَرأةِ وطَلبَ مِنهُ أنْ يَجعلَ زوجَتهُ فِي حِلٍّ مِن حَقِّه عَليهَا فَأبَىٰ، فأعَطاه سِتَّ بَقرات فَأبىٰ وقال: لا أفْعل إلا بِشرْط أنْ تُعطِيَني مَع البَقرَات مُصحَفًا مَكتوبًا بِاليدِ.

وحَدَّد لذَلكَ مُدة يَسيرَة -وإِنَّمَا قَال ذَلكَ عَلىٰ سَبيلِ التَّعجِيز- فَذَهب ذَلك الشَّيخُ إِلَىٰ أُناس مِن طَلَبة العِلمِ وأعْطَاهم أوْرَاقًا يَكتُبونَ فِيها المُصحَف

فكَتَبوه قَبل مُضِي المُدَّة التِي حدَّدَها زَوجُ المَرأة. فأعْطاهُ الشَّيخ المُصحفَ وَسِتَّ بَقرات، فَعفا عَن زَوجَته وجَعلها فِي حِلٍّ مِن حَقِّه عليها، وإنَّما فَعل ذَلكَ حَياءً مِن الشَّيخ وتَكْرُمَة لَه».

قَال الشَّيخ إسْمَاعيلُ: فَلم تُرَ تِلك النَّار بَعد ذَلكَ. وقَد أخْبَرني الشَّيخُ إسْماعيلُ أنَّه قَد رَأىٰ تِلك النَّار.

ومن القصَصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا حدَّثَني بِه الثِّقة صَالح بن مُحمَّد المُقَيطِيب: «أنَّه خَرج إلَىٰ المَقبَرة الكَبيرَة فِي مدِينةِ الرِّياض -وَهيَ التِي تُسمَّىٰ مَقبَرة العُود- وَذلكَ فِي يومِ الجُمُعة المُوافقِ لليَومِ السَّابع عشَرَ مِن شَهرِ المُحرَّم مِن سَنةِ اثْنَتَينِ وتِسعِين وثَلاثمِائة وَألفٍ مِن الهِجرة. خَرج إلَيها بَعد صَلاة الجُمُعة بِقليل لِيزورَ بَعض المَيِّتينَ مِن أقَارِبه وأصْحَابه.

قال: فَبينَما أنا فِي المَقبَرة إذْ جَاء أهْل سَيارة مَعَهم امْرَأة مَيِّتة، قَال: فأَعنْتُهم عَلىٰ دَفنِها، فلَمَّا أَهَلْنَا التُّرابَ فِي القَبرِ وَبقِيَ قَدرُ أربَعِ أصَابعَ عَن مُساواة تُراب القَبر بِالأرضِ قالَ أبُو المَرأة الميِّتة -وَكان شَيخًا كَبِيرًا-: لَقد سَقَطت مِنِّي مَفاتيحُ الصُّندُوقِ التَّجُوري[1] وَمَعها دَرَاهم كَثيرة، ثُمَّ جعَل يَنبِش تُرابَ القَبر قَال: وَكانَ الذينَ معَهُ لا خَيرَ فِيهم، فَقد تَنحَّوا عَنهُ ولَمْ يُعينُوه، فلَمَّا رأيْت ذَلكَ مِنهم جَعلتُ أعِينُه عَلىٰ نبْشِ التُّراب وإخْرَاجُه مِن القَبر، وكلما أخرجنا قليلًا مِنَ

---

(١) هو الصندوق المُعدُّ لحفظ الدراهم.

التُّرابِ فَتَّشناهُ حتَّىٰ فرَغْنا مِن تُرابِ القَبر ولمْ نَجد المَفاتِيحَ وَلا الدَّرَاهم، ولمَّا لَم يَبقَ سِوىٰ اللَّحد خَرَجتُ مِن القَبر لأذْهب إلَىٰ زِيارَة بَعضِ القُبور.

وكُنت قَد تَأَذيتُ من رَائِحة وَالِدِ المَرأةِ حِين عَرَقَ مِن التَّعب فِي نَبشِ التُّراب وإخْرَاجه مِن القَبر؛ لأنَّه كَان يَشربُ الدُّخَان الخَبيثَ المُسَمَّىٰ بالجَراك، ففَاحتْ رَائحَتُه الخَبيثَة مِن فَمهِ وتَأذَّيتُ مِنها فَخرجتُ عَنه.

ولمَّا ذَهبت عنْه بِقدر بَاعينِ أو نَحوهِما سَمعتُ صَوتًا يُشبهُ صَوت الحَجر إذَا رُمي بهِ فِي طِين لَيِّن. وتَلا هَذا الصَّوتَ صَرخةٌ عظِيمةٌ مِن الرَّجل، فَرجعتُ إليْه فَإذا هُو قَد سَقَط فِي القَبر مُستَلقيًا علَىٰ قَفاه، رَأسُه إلَىٰ جِهة الجَنوبِ ورِجلاهُ إلىٰ جِهة الشَّمَال، وَهُو يَفرُك رَقبتَه وَنحرَه بِيدَيه وَيصيحُ ويقولُ: أطفِئُوا عَنِّي النَّار.

قَال: فأَخذتُ سَطلًا فيهِ ماءٌ فَصببْتُه عليهِ فَشَهَق شَهقةً ثُمَّ خَمَد بَعدَها، فأَخْرَجنَاه مِن القَبرِ وهُو لا يَتَحرَّك مِنه شَيءٌ، فلا أدْري أهُو مَيِّتٌ أمْ لا، فحَمله أصْحابُه عَلىٰ النَّعش فِي السَّيارة التِي جاءُوا فِيها بابْنَته وذَهبوا بِهِ إلَىٰ بَيتهِ، ولَم يَبقَ مَعي فِي المَقبرَة سِوىٰ اثْنَين مِن الذينَ جَاءُوا مَع المَيِّتة، أحدُهما شيْخٌ والآخرُ شابٌّ حَدَثٌ، فَرجَعنا إلَىٰ القَبر فَإذا أَبُو المَرأةِ قَد أَخَّر اللَّبِنة التِي تَلي الرَّأس عَن مَوضِعها، فَنَزلت فِي القَبر لأرُدَّ اللَّبنةَ في مَوضعِها، فَإذا الكَفن الذِي فَوق رَأس المَرأةِ قَد اسودَّ حتَّىٰ صَار كالفَحم، وهذَا القَدرُ هو الذِي بَدا لِي مِن

الكَفن ولا أدْري عنْ حَال بَقية الكَفن لأنَّه مسْتور عنِّي باللبِن.

قال: وإذَا فِي اللَّحد مِمَّا يُقابل رَقبةَ المَرأةِ مِن جِهة القَفا خطَّان أزْرقانِ يَشوبُ زُرقتَهُما قَليلٌ منْ صُفرة، وعَرضُهما ومَا بَينَهما مِن الفَاصِل قَريبٌ مِن ثَلاث أصابعِ. قال: فأصَابني رُعبٌ شديدٌ مِن هوْل مَا رأيْتُ، وبُلْتُ فِي ثِيابِي ولم أشْعُر بِذلك حتَّىٰ أحسَسْت بالبَولِ يَجري علَىٰ فَخذيَّ وساقيَّ.

قالَ: فَسوَّينا التُّراب عَلىٰ القَبر، وسَألتُ الرَّجلَ الكَبير عَن المَرأة الميِّتة وعَن أهْلها فأبَىٰ أنْ يُخبِرَني، فأخَذتُ بِيد الشَّاب وذَهبت بهِ إلَىٰ نَاحيةٍ مِن المَقبَرة فَسألتُه فأخبرَني أنَّ المَيِّتة عمَّتُه، وَقال: إنَّها مُستَحقَّةٌ لِما أصَابَها مِن العذابِ، فَقُلت: مَا شأنُها؟ فَقال: إنَّها كَانت تَجلِس عِندَ التِلفزْيُون ولا تُصلِّي حتَّىٰ تَنتَهي بَرامجُ التِّلفِزيون، وكَانتْ أمُّها تَنهَاها عَن تَأخير الصَّلاة عَن وقْتها فلا تَنتَهي.

وَقد جَاءت أمُّها مرَّة وهِي قَد أخَّرت الصَّلاة عَن وقْتِها، فَضرَبت التلفزيون بِرجْلِها فَسَقط وانْكَسر مفْتَاحه، فَقامت إلىٰ أمِّها وهِي غَضبىٰ تخَاصمُهَا وتُؤنِّبُها علَىٰ مَا فعَلت، وأرَادت أنْ تَذهَبَ بِالتلفِزيُون إلَىٰ مَن يصْلِحه فَأخذَه أبُوها وذَهب بِهِ إلىٰ مَن أصْلَحه.

قال صَالح: فَسألته: هَل للمَيَّتة أوْلاد؟ فقَال: لا، إنَّها قَد تَزوَّجت وَطُلِّقت مُنذ أكْثر مِن سَنَة ولمْ تَتزوجْ بَعد ذلك. انتهىٰ ما حدثني به صالح.

وهَذِه المَرأة قَد جَمعت بين ثَلاثَة أمُور مُحرَّمة:

أحدُها: التَّهاون بِالصلاة وتَأخيرُها عَن وقْتِها، وإيثار الحُضور عنْد آلَة اللَّهو عَليها.

والثَّاني: مَعصِية أمِّها فيمَا تأمُرُها بِهِ مِن أداءِ الصَّلاةِ فِي وقتْها.

والثَّالِث: اسْتِحلالِ المَلاهِي وتَقديمِها علىٰ طاعَةِ اللهِ تعالىٰ.

وقَد أصَاب العَذابَ أبَاها لأنَّه قَد أقَرَّها علَىٰ أفْعَالهَا السَّيِّئة وسَعىٰ فِي إصْلاح مَا فَسَد من آلَة اللَّهو التِي قدْ صدَّت ابنتَه عَن ذكْر اللهِ وعن الصَّلاة.

وأيْضًا، فإنَّه كانَ يشْربُ الدُّخانَ الخَبيثَ المُسمَّىٰ بالجراك، وهُو مِن المُسكِرَات. ومَا أسْكر فَهو خَمر، وقَد رَوىٰ ابن حبَّان فِي «**صَحِيحه**» عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قَال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن لَقيَ اللهَ مُدمنَ خَمرٍ لَقيَه كَعَابِدِ وَثَن**»(١).

فلْيَعتَبر الذِين يَتَهاونونَ بِالصَّلاة ولا يُبالون بِتأخِيرِها عَن وَقتِها بِما حلَّ بِهَذِه المَرأة مِن العَذابِ فِي قبرِها. وليَعتَبِر بِذلك الذِين يَستحِلُّون سَمَاع المَلاهِي والعُكُوف عَلىٰ آلاتِ اللُّهو التِي تصدُّ عنْ ذِكر اللهِ وعن الصَّلاة، فَما العُقوبةُ من العَاصِينَ بِبعيد.

وِمن القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا حدَّثَني بهِ صَالح بن مُحمد

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٢/ ١٦٧) (٥٣٤٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٦٧٧).

المُقيطِيب قَال: «لمَّا شَاعت قِصَّة المَرأةِ التِي عُذِّبت فِي قَبرها -بِما تقَدَّم ذِكرُه آنفًا- جَاء إليَّ رَجلٌ مِن البَاكسْتَانيينَ الذِين يَعملُون فِي إحْدىٰ المُؤسَّسات التِّجَارية فِي الرِّياض، فسَألنِي عنْ قِصَّة المَرأة، فأخبرتُه بِها، فقَال: إنَّه قَد وقَع عِندنَا فِي البَاكسْتَان قِصَّة قَريبة مِن هذِه القِصَّة.

وهِي أنَّ أحَدَ التُّجَّار الكِبار مِن الشِّيعَة أوصَىٰ عنْد المَوت أنْ يُنقَل إلَىٰ النَّجف ويدُفْنَ فِيه، فَلمَّا مَات جَعلوه فِي تَابوت وَوضَعوا التَّابُوت فِي ظِلِّ شَجر فِي حَديقَة بَيتِه، ونَصَبوا حَولَه مُكيِّفَات الهَواء وَوَجَّهُوها إلَىٰ التَّابوتِ لِكَي يَبقَىٰ المَيِّت عَلىٰ حَالِه إلَىٰ حِين مَجيءِ الطَّائِرة التِي تَنقِلُه إلَىٰ النَّجفِ، فَتأخر مجيء الطائرة أيامًا، ولمَّا جَاءت وَأرَادوا نَقلَه إلَيهَا كَشَفوا غِطَاء التَّابُوت لِينْظُروا إلَىٰ المَيِّت هَل تَغيَّر أمْ لا، فَخَرج مِن التَّابوتِ شُعلَةٌ مِن نَارٍ فأحْرَقتْ مَا فوقَها مِن أغْصانِ الشَّجر. وأمَّا المَيِّت فَإنَّهم وَجدُوه عَلىٰ حَاله التِي وضَعُوه علَيها».

قُلتُ: لَا شكَّ أنَّ المَيتَّ كَان يُعذَّبُ بالنَّار التِي خَرجتْ مِن تَابوتهِ وَإنْ كَان الأحْيَاء لَم يَروا لَها أثَرًا فِيه، فَإنَّها مِن نَار الآخِرَة، ونَار الآخِرَة قَد لا يُحِس بِهَا أهْل الدُّنيا ولا يَرون لَها أثَرًا فِي الأمْوَات، وإنْ كَانتْ أشَدُّ حَرًّا مِن نَار الدُّنيا بأضعَافٍ مُضَاعفة.

وقَد قالَ ابن القَيِّم فِي كِتابِ «**الرُّوح**»[(١)]: «إنَّ النَّار التِي فِي القَبرِ

---

(١) (ص٦٦).

والخُضْرة لَيستْ مِن نَارِ الدُّنْيَا وَلا مِن زُروعِ الدُّنيا فَيُشاهِده مَن شَاهد نَار الدُّنيا وخُضرَها، وَهِي أَشَدُّ مِن نَار الدُّنيا فَلا يُحسُّ بِها أَهْل الدُّنيَا، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُحْمي علَيهِ ذَلكَ التُّرابُ والحِجارةُ التِي عَليهِ وتَحتَه حتَّىٰ يَكون أعْظَم حَرًّا مِن جَمْر الدُّنيا وَلو مَسَّها أهلُ الدُّنيا لَم يُحسُّوا بذلك.

بَل أعْجَب مِن هَذا أنَّ الرَّجلينِ يُدفَنانِ أحدُهما إلَىٰ جَنبِ الآخَر، وهَذا فِي حُفرَةٍ مِن حُفرِ النَّار لا يَصِل حَرُّها إلَىٰ جَاره، وَذَلك فِي رَوضَة مِن رِياض الجَنَّة لا يَصِل رَوْحُها وَنعِيمُها إلَىٰ جَاره، وقَدرة الرَّبِّ تَعالىٰ أوْسَع وأعْجَب مِن ذلك.

وقدْ أرَانا اللهُ منْ آيَات قُدرتِه فِي هَذه الدَّار مَا هُو أعْجَب مِن ذَلكَ بِكثيرٍ، ولكنَّ النُّفوس مُولَعة بِالتَّكذِيب بِما لَم تُحطْ بِه عِلمًا إلا مَن وَفَّقَه اللهُ وعَصَمه، فَيفرش الكَافر لَوحَان مِن نَار فَيشتَعِل عَليهِ قَبرُه بِهما كَما يَشتَعِلُ التَّنُّور، فَإذا شَاء اللهُ سُبحانه أنْ يُطلِع عَلىٰ ذَلك بَعض عَبيدِه أطْلَعه وَغَيَّبه عَن غَيرِه، إذْ لَو اطَّلعَ العِباد كُلُّهم لَزالتْ كَلمَة التَّكليفِ والإيمَان بِالغَيبِ، وَلَما تَدافنَ النَّاس كَما فِي «الصحيحين»[1] عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعُ**».

ولَمَا كَانَتْ هَذِه الحِكْمَة مَنْفِيَّة فِي حَقِّ البَهَائِم سَمِعت ذَلك وأدْرَكته، كَما

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري. وأخرجه مسلم (٢٨٦٨)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَادَت بِرَسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بَغۡلَتُه وَكادَت تُلقِيه لَمَّا مَرَّ بِمن يُعَذَّب فِي قَبره»؛ انتهىٰ كلامه.

ومِنَ القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا عَن عَمرو بن دِينار قَال: «كَان رَجلٌ مِن أهْل المَدينة لَه أُختٌ فَماتت فَجهَّزَها وحَمَلها إلَىٰ قَبرِها، فلمَّا دُفِنت ورَجع إلَىٰ أهْلِه ذَكر أنَّه نَسِي كِيسًا كَان معَه فِي القَبر، فاسْتَعان بِرَجل مِن أصحَابِه فأتَيا القَبرَ فنبشَاه فَوجد الكِيسَ، فقَال للرَّجلِ: تَنحَّ حتَّىٰ أنْظر عَلىٰ أي حَال أخْتِي، فَرَفع بَعض مَا علىٰ اللَّحد فَإذا القَبر يشْتَعل نَارًا، فَردَّه وسَوَّىٰ القَبر ورَجع إلىٰ أمِّه فسَألها عنْ حالِ أخْتِه فَقالت: كَانتْ تُؤخِّر الصَّلاة عنْ وقْتِها ولا تُصلِّي فيما أظنُّ بوضُوء، وتَأتي أبْوَاب الِجيران إذَا نَاموا فتَلقِم أذُنَها أبوَابَهم فتُخْرج حدِيثَهم»[1].

قلت: فِي هذه القِصَّة عِبرَة ومَوعِظَة للذِين يُؤخِّرون الصَّلاةَ عَن وقْتِها، ولِلذين لا يُبالُون بإسْبَاغ الوُضوء للصَلاة، وللذين يتجَسَّسُون علَىٰ النَّاس وَيَستَمِعون إلىٰ مَا يُخفُونه عنهُم مِن الأحَاديثِ التِي يكرَهون الاطِّلاع عليهَا. ومَا أكثَرَ هذِهِ الأصْنافِ الرَّديئةِ!

ومِن القَصص فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا ذكَره السَّفَّارِيني فِي كتَاب «**البُحُور**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٧).

الزَّاخِرة»[١] قَال: حَكىٰ الحَافِظ ابن رَجب وغَيرُه: «أنَّ جَماعَة منَ التَّابعينَ خَرجُوا لِزيارَةِ أَبِي سِنان، فَلمَّا دَخلُوا عليهِ وجَلسُوا عنْدَه قَال: قُومُوا بِنا نَزُور جَارًا لنا ماتَ أَخُوه ونُعزيه فِيهِ، قَال مُحمَّد بن يُوسُف الفِريَابي: فَقُمنا مَعهُ ودَخلنَا عَلىٰ ذلِكَ الرَّجلِ فَوجدنَاه كَثير البُكاءِ والجَزعِ عَلىٰ أَخِيهِ، فَجعلنَا نُعزِّيه ونُسلِّيه وَهو لا يَقبل التَّسْليَة وَلا عَزاء.

فَقُلنَا لَه: أمَا تَعلمُ أنَّ المَوتَ سَبيلٌ لابُدَّ مِنه؟ قَال: بَلىٰ، ولَكِن أبْكِي عَلىٰ مَا أَصْبَح وأمْسَىٰ فيهِ أخِي مِن العذابِ، فَقلنَا لَه: قَد أطْلَعَك اللهُ علَىٰ الغَيبِ؟ قَال: لا، ولكن لمَّا دفَنْته وسَوَّيت عَليهِ التُّرابَ وانْصرفَ النَّاس جَلستُ عنْد قَبرِه وإذَا صَوتٌ مِن قَبرِه يَقول: آه! أفْرَدُوني وَحِيدًا أقَاسِي العَذابَ، قَد كُنتُ أصَلِّي قَد كُنتُ أصُوم، فأبْكَاني كَلامه، وَقلتُ: صَوتُ أخِي واللهِ أعْرِفه، فَقُلت: لَعلَّه خُيِّل إليك.

قَال: ثُمَّ سَكت فَإذا أنَا بِصَوتٍ يَقولُ: آه! ولا أدْرِي فِي الثَّانِية أوْ في الثَالِثة، فنَبَشتُه حتَّىٰ بلَغتُ قَرِيبًا مِن اللَّبِن، فَإذا بِطوقٍ منْ نَار فِي عُنُقهِ وَفي وَسطِه، فأدْخلتُ يَدي رَجاء أنْ أقْطَع ذَلكَ الطَّوق فَاحتَرَقتْ أصَابعي فَبادرْت إخْراجَها، فإذَا يَدُه قدْ احتَرَقت أصَابِعُها، قَال: فَرددْتُ علَيهِ التُّراب وانْصَرفتُ، فكيفَ لا أبْكي عَلىٰ حَالِه وأحْزَن عَليهِ؟!

---

(١) (١/ ٢١٥).

فقُلنا: فَما كَان أخُوكَ يَعملُ فِي الدُّنيا؟ قال: كَان لا يُؤدِّي الزَّكاة مِن مالِه، فقُلنَا: هَذا تَصديقُ قَولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وأخُوكَ عُجِّل لهُ العَذابُ فِي قَبره، ثُمَّ خرجْنَا مِن عِندِه.

قال مُحمَّد بن يوسُف الفِريَابي: فَقلتُ للأوزَاعِي: هَؤلاء اليَهود والنَّصارىٰ يَموتُ المَيتُ مِنهم ولا نَرىٰ فِيهم ذَلك، أو لا نَسمعُ هَذا مِنهُم؟ فَقال: أولَئِك لا شَكَّ أنَّهم فِي النَّار، وإنَّما يُريكم اللهُ فِي أهْل الإيمَان لتَعتَبروا، أو نَحو هذا».

ومن القصص فِي هذَا البَابِ أيضًا: مَا ذَكره ابنُ حَجر الهِيتَمي فِي مُقدِّمة كِتاب «**الزَّوَاجِر عَن اقْتِرَاف الكَبَائر**»(١)، عنْ عَبد اللهِ بنِ زَيد قَال: «غَرَّني القَمرُ فَمررْتُ فِي المَقابر فَإذا أنَا بِرجُل قَد خَرج مِن قَبر يَجُرُّ سِلسلَة، فَإذا رَجلٌ آخِذٌ بالسِّلسلَةِ فَجذبهُ حَتَّىٰ رَدَّه إلَىٰ قَبرِه، قالَ: فَسمعْتُه يَضرِبُهُ وَهو يَقُول: ألَمْ أكُنْ أصَلِّي؟ ألَمْ أكُنْ أغْتَسِل مِن الجَنابَة؟ ألمْ أكنْ أصُوم؟ قَال: بَلىٰ، ولَكنَّك كُنتَ إذَا خَلوتَ بالمَعاصِي لَم تُراقِب اللهَ تَعالَىٰ».

ومنَ القَصصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا تَقَدَّم ذِكرُه فِي الفَصل الذِي ذُكِرتْ فيهِ العُقوباتُ بِما دُون المَوتِ.

وهَذهِ القِصَّة قَد ذكرَها ابنُ أبِي الدُّنيا فِي كتَابِ «**القُبُور**»، عَنْ حُصين

---

(١) (١/ ٢٤).

الأَسَدِي قَال: سَمعتُ مَرثَد بن حَوشَب قَال: «كُنتُ جَالِسًا عنْدَ يُوسف بن عُمَر وإلَىٰ جَنبه رَجلٌ كأنَّ شِقَّة وَجهِهِ صَفحَة مِن حَديد، فَقالَ له يُوسف: حَدِّث مرثدًا بِما رَأيتَ، فَقَال: كُنتُ شَابًّا قَد أَتَيتُ هَذه الفَواحِشَ، فَلمَّا وَقع الطَّاعُون قُلتُ: أَخْرُج إِلَىٰ ثَغْر مِن هَذهِ الثُّغُور، ثُمَّ رأيتُ أنْ أَحْفُر القُبورَ، فَإِنِّي لَيلَة بَينَ المَغربِ والعِشاء قَد حَفرتُ قَبرًا وَأَنَا مُتَّكِئ عَلَىٰ تُرابِ قَبرٍ آخَر؛ إذْ جِيء بِجِنَازة رَجلٍ حتَّىٰ دُفِن فِي ذَلِك القَبرِ وسَوَّوا عليهِ التُّراب.

فأَقْبلَ طَائرَان أَبْيَضانِ مِن المَغرِب مِثل البَعيرَينِ حَتَّىٰ سَقطَ أحدُهُما عنْدَ رَأسِه والآخر عِندَ رِجلَيهِ، ثُمَّ أَثَاراه ثُمَّ تَدَلىٰ أحدُهُما فِي القَبر والآخرُ عَلىٰ شَفيرِه، فَجئْتُ حتَّىٰ جَلستُ عَلىٰ شَفيرِ القَبرِ وكُنتُ رَجلًا لا يَملأ جَوفي شَيءٌ، قَال: فَضَرب بِيَده إلىٰ حِقْوه فَسَمِعتُه يَقولُ: أَلَستَ الزَّائرَ لأصْهَاركَ فِي ثَوبَين مُمَصَّرين تَسحَبْهُما كِبرًا تَمشي الخُيَلاء؟ فقَال: أَنَا أَضْعَف مِن ذَلكَ، قَال: فَضربَه ضَربَةً امْتلأَ القَبرُ حتَّىٰ فَاض مَاءً ودُهنًا.

قالَ: ثُمَّ عَاد فَأَعَاد عَليهِ القَولَ مِثل الأَوَّل حتَّىٰ ضَربَه ثَلاثَ ضَربَات، كُلُّ ذلكَ يَقُول ذَلكَ، ويَذكُر أَنَّ القَبرَ يَفيضُ ماءً ودهنًا. قالَ: ثُمَّ رَفع رأسَهُ فَنظرَ إليَّ فَقال: انْظُر أيْن هُو جَالسٌ بَلَّسَهُ اللهُ. قَال: ثُمَّ ضَرب جَانب وَجهِي فَسقَطْتُ فَمكثْتُ لَيلتِي حتَّىٰ أَصْبَحْت. قَال: ثُمَّ أَخذتُ أَنْظرُ إلىٰ القَبرِ فَإذا هُو عَلىٰ حَالِه».

وقَد ذَكر ابن القيمِ هذِه القِصَّة فِي كتابِ «**الرُّوح**»، ثُم قَال: «فَهذا المَاء

والدُّهن فِي رأي العَين لِهَذا الرَّائي هُو نَارٌ تَأججُ للمَيت، كَما أخبَر النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الدَّجَّال أنَّه يَأتي مَعه بِمَاء ونَارٍ، فالنَّار مَاءٌ بَاردٌ، والمَاء نَارٌ تأجَّجُ»؛ انتهىٰ(١).

وقَد أعَدْتُ ذِكر هَذه القِصَّة هَهُنا لِما فِيها مِن إخْبَار الحَفَّار بِما رَآه مِن تَعذيبِ المَيِّت.

ومِن القَصصِ فِي هذَا البَابِ أيضًا: مَا تقَدَّم ذِكرُه فِي الفَصل الذِي ذُكِرتْ فيهِ العُقُوباتُ بِما دُون المَوت. وهِي قِصَّة النَّبَّاش الذِي اشْترَىٰ منهُ قَاضي البَلَد هِتكَه فِي قَبرِه بِمائةِ دِينارٍ، فَعُوفِي القَاضي مِن ذَلك المَرض ثمَّ مَرِض بَعد ذَلكَ فَماتَ، فَتوهَّمَ النَّبَّاش أنَّ العَطِيَّة للمَرض الأوَّل فَجاءَ فنبَشَه، قَال: «فَإذا فِي القَبر حِسُّ عُقوبَة والقَاضِي جَالسٌ ثَائرُ الرَّأسِ مُحمرَّة عَيناه كالسُّكْرُجَتين(٢)، فوَجَدت زَمَعًا(٣) فِي رُكبَتي، وإذَا بِضرْبَة فِي عينيَّ مِن أصْبَعينِ وقَائلٌ يَقول: يا عَدو اللهِ، تَطَّلِع عَلىٰ أسْرارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

---

(١) سبق.

(٢) السُّكُرُّجَة بضم السين والكاف والراء المشددة وفتح الجيم، قال ابن الأثير في «النهاية»، وابن منظور في «لسان العرب»: هي إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية. وقال في «تاج العروس»: هي قصاع يؤكل فيها صغار، وليست بعربية. انظر: «تاج العروس» (٦/ ٤١).

(٣) قال في «لسان العرب» (٨/ ١٤٤): الزَّمَع رعدة تعتري الإنسان إذا هَمَّ بأمر.

وقَد ذَكر هَذه القِصَّة الحَافظُ ابنُ رَجب فِي كِتابهِ «**أهْوَال القُبُور**»[١]، وذَكرَها السَّفَّاريني فِي كتَابه «**البُحُور الزَّاخِرة**»[٢]، وقَد أعدتُ ذِكر بَعضِها هَهُنا لمَا فِيها مِن إخْبار النَّبَّاش بِما رَآه مِن تَعذيبِ المَيِّت فِي قبْره.

ومِن القَصصِ في هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكرَه السَّفَّاريني فِي كتَاب «**البُحور الزَّاخِرة**»[٣] قال: «ذكَر السُّيوطي عَن المَقريزي أنَّه قَدِم فِي سَنة سَبع وتِسْعين وسِتِّمَائة البَريدُ بِأنَّ رَجلًا مِن السَّاحِل مَاتتِ امْرَأته فَدفَنها، وعَاد فَذكرَ أنَّه نَسيَ فِي القَبر مِنديلًا فيهِ مَبلغ دَراهِم، فأخَذ فقيه القَريَة ونَبَش القبرَ ليأَخذَ المَال. والفَقيهُ عَلىٰ شَفيرِ القَبرِ.

فَإذا المَرأة جَالسَةٌ مَكتوفَةٌ بِشعرِها، ورِجْلاها قَد رُبطَتا بِشعْرِها، فَحاول حَلَّ كِتَافَها فلمْ يقدِر، فَأخذ يُجهِدُ نَفسَه فِي ذلِك، فَخُسفَ بِه وبِالمرأة حَيثُ لَم يُعلَم لَهما خَبرٌ، فَغُشيَ عَلىٰ فَقيهِ القَريَة مُدَّة يَوم ولَيلَة، فَبعث السُّلطان بِخَبر هَذه الحَادِثة إلَىٰ النَّاس ليَعتَبِروا بِذلك».

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا روَاه اللالكائي فِي كِتابِه «**شرح السُّنَّة**»، عَن صَدقة بن خَالد الدِّمَشقي عَن بَعضِ مَشايخ أهْل دِمشْق قَال: «حَجَجنَا فَهلَك صَاحبٌ لَنا فِي بَعضِ الطَّريق عَلىٰ مَاءٍ مِن تِلكَ المِياه، فأتَينا أهْل

---

(١) (ص٧٠) ط: دار الغد الجديد.

(٢) (١/ ٢٢٨).

(٣) (١/ ٢٢٩).

المَاء نَطلُب شَيئًا نَحفُر بِه، فَأخرَجوا لنَا فَأسًا ومَجرَفة، فلمَّا وارَيْنا صَاحبَنا نَسينا الفأسَ فِي القَبر، فَنبشنَاهُ فوَجدْنَاه قَد جُمِع عُنقَه ويَداه ورِجلاه فِي حَلقَة الفأسِ، فسَوَّينا علَيهِ التُّرابَ وأرْضَينا أصْحَاب الفَأس مِن الثَّمن، فلمَّا انْصرَفنَا جِئنا إلَىٰ امْرَأتِه فَسألناهاَ عنْه فقالت: صَحِبه رَجلٌ مَعه مَالٌ فَقتلَ الرَّجلَ وأخَذَ المَال، فَكان مِنه يَحُجُّ ويَغزو»(١).

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عنْ أَبِي إسْحاق قال: «دُعِيتُ إلَىٰ مَيِّت لِأُغسِّله فَلمَّا كَشفتُ الثَّوبَ عَن وَجهِه إذَا بِحيَّة قَد تَطوَّقَت عَلىٰ حَلقِه -فَذكرَ مِن غِلَظِها- قال: فَخرجْتُ فَلم أُغسِّله وَلم يَرها غَيري، فذَكروا أنَّه كَان يسُب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(٢).

ومِن القَصصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا رَواهُ ابن أَبِي الدُّنيا فِي كِتاب «**مَن عَاش بَعْد المَوت**»، عَن عَبد المَلِك بن عُمَير قَال: «كانَ بالكُوفَة رَجلٌ يُعطِي الأكْفَان، فَماتَ رَجلٌ فَقيلَ لَه، فَأخذَ كَفنًا وانْطَلق حتَّىٰ دَخل علَىٰ المَيِّت وَهو مُسَجَّىٰ، فَتنفَّسَ وألقَىٰ الثَّوب عَن وَجهِه وَقال: غَرُّوني، أهْلكُوني، النَّار، أهْلكُوني، النَّار. فقلْنا لَه: قُل: لَا إِلَه إلّا اللهُ، قالَ: لا أسْتَطِيع أنْ أقُولَها، قِيل:

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٦) (٢١٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٩).

ولِمَ؟ قَال: بِشتْمِي أبَا بَكر وعُمر»(١).

ورَوىٰ ابنُ أَبِي الدُّنيا أَيْضًا عَن خلفِ بن حَوشب قالَ: «ماتَ رجلٌ بِالمدَائِن، فلمَّا غَطُّوا علَيهِ ثَوبَه قَام بَعض القَومِ وبَقِي بَعضهم، فَحرَّك الثَّوب فَقالَ بِهِ فَكشَفه عَنهُ فَقالَ: قَومٌ مُخضَّبة لِحاهم فِي هَذا المَسجِد -يَعنِي مَسجِد المَدائِن- يلعَنون أبَا بَكر وعُمَر ويَتبرَّءونَ مِنهُما: الذين جَاءوني يَقبِضون رُوحي يَلعنُونَهم ويَتبرءون مِنهُم، فقُلنا: يَا فُلان، لَعلَّك بُليتَ مِن ذَلكَ بِشيءٍ؟ فَقال: أَسْتَغفِر اللهَ، أَستْغفرُ اللهَ، ثُمَّ كان كأَنَّمَا كَانتْ حَصاة فَرُمِي بها»(٢).

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا فِي كتَابِ «**مَن عَاش بعْد المَوْت**»، عَن عَبد الرَّحمن المُحَاربي قَال: ذَكر أَبُو الخَصِيب قَال: «كُنتُ بِخَازر وَكُنتُ لا أَسْمَع بِميِّت مَات إلَّا كَفَّنْته، قَال: فأَتَاني رَجلٌ فَقالَ: إنَّ هَهُنا مَيتًا قَد مَات ولَيسَ عَليهِ كَفنٌ، قَال: فقُلتُ لِصاحِبٍ لِي: انْطلِقْ بِنا، فانْطَلقْنا فَأَتيْناهم فإِذَا هُم جُلوسٌ وَبينَهم مَيِّت مُسَجَّىٰ وَعلىٰ بَطنِه لَبِنَة أَوْ طِينَة، فَقُلت: أَلا تَأخُذون فِي غُسلِه؟ فَقالوا: لَيس لَه كُفنٌ.

فقُلتُ لِصاحبي: انْطَلق فَجئْنَا بِكفنٍ، فَانطَلَق وَجلسْتُ مَع القَوم، فَبينَما نَحنُ جُلوسٌ إذْ وَثبت فألقَىٰ اللَّبِنة أو الطِّينَة عَن بطْنِه وجَلس وَهُو يَقول: النَّار،

---

(١) أخرجه ابن ابي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (١٦).

(٢) المصدر السابق (١٧).

النَّار، فقُلت: قُل: لا إلَه إلَّا اللهُ، فَقال: إنَّها لَيست بَنافِعِي، لَعَن اللهُ مشيَخَة الكُوفَة غَرُّوني حتَّىٰ سَببتُ أبَا بَكر وعُمر، ثُمَّ خَرَّ مَيتًا.

فقُلت: واللهِ لا كفَّنتُه، فقُمتُ وَلم أُكفِّنه، قَال: فأرْسَل إليَّ ابن هُبيرة الأكْبَر فَسألنِي أنْ أُحدِّثَه بِهذا الحَديثِ فَحدَّثته»(١).

ومنَ القَصصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: ما رَواهُ ابن أبِي الدُّنيا فِي كِتابِ «**مَن عَاش بَعد المَوت**»، عَن خَلف بن تَميم قال: حدَّثنا يسير أبُو الخَصِيب قَال: «كُنتُ رَجلًا مُؤسرًا تَاجرًا، وكُنت أسْكُن مَدائن كِسرىٰ، وذَلكَ فِي زَمان طَاعون ابن هُبَيرة، فأتَاني أجيرٌ لِي يُدعَىٰ أشْرف، فَقال: إنَّ هَهنا فِي بَعضِ خَاناتِ المَدائنِ رَجلًا مَيتًا ليسَ يُوجد لَه كَفن.

قال: فَمضيتُ عَلىٰ دابَّتِي حتَّىٰ دَخلتُ ذلكَ الخَان فدُفعتُ إلَىٰ رَجلٍ ميتٍ عَلىٰ بَطنِه لَبِنة وَحَوْلَه نَفرٌ مِن أصْحابِهِ، فَذكرُوا مِن عِبادتِه وفَضله.

قالَ: فَبعثْتُ إلَىٰ كَفنٍ يُشترَىٰ له وبَعثتُ إلَىٰ حَافرٍ يَحفرُ قَبرًا. قال: هَيأنا لَه لَبنًا وَجلسْنا نُسخِّن لَه المَاء لنُغَسِّله، فبَينَا نَحنُ كَذلكَ إذْ وَثب المَيِّت وثْبة أسْقَطت اللَّبِنة عَن بَطنِه وهُو يُنادِي بِالوَيل والثُّبُور، فلمَّا رَأىٰ ذَلك أصحَابُه تَصدَّع عنه بعضُهُم.

قال: فَدنوْتُ مِنه فَأخذتُ بِعَضُدِه فَهززْتُه فَقلتُ: مَا رأيتَ؟ وَما حَالُك؟

---

(١) المصدر السابق (١٨).

فَقال: صَحبْت مَشيخَة مِن أهلِ الكُوفَة فَأدخَلُوني فِي دِينِهم -أو قَال فِي رَأيِهم أوْ أهْوَائِهم- عَلىٰ سَبِّ أَبِي بَكر وعُمَر والبرَاءَة مِنهُما.

قَال: قُلت: فاسْتغْفِر اللهَ ولا تَعُد، فقالَ: ومَا ينْفَعُني وَقد انْطُلِق بِي إلَىٰ مُدْخَلي مِن النَّار فَرأيْتُه، ثمَّ قيلَ لِي: إنَّك سَترجِع إلَىٰ أصْحابِك فتُحدِّثُهم بِما رَأيتَ ثُمَّ تَعود إلَىٰ حَالتكَ الأولَىٰ، فمَا أدْري انقضت كَلمَتُه إذْ عَاد مَيتًا عَلىٰ حَالِه الأوْلىٰ. فانْتظَرت حتَّىٰ أُتيتُ بالكَفنِ فأخَذتُه ثُمَّ قُلتُ: لا كَفَّنته ولا غَسَّلْته ولا صَلَّيتُ عَليه، ثُمَّ انصَرَفت.

قال خَلف: قُلت: يَا أبَا الخَصيبِ، هَذا الحَديث الذِي حدَّثتني بِمشهَد مِنك؟ قَال: نَعم، بَصرُ عَينيَّ وسَمْعُ أذُنيَّ، قَال خَلف: فَسألْتُ عَنه فَذكروا عَنه خَيرًا»(١).

[ثُمَّ رَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا بإسْناده إلَىٰ خَلف بنِ تَميم قَالَ: رأيْتُ سفْيَان الثَّورِي يَسألُ هَذا الشَّيخ عَن هَذا الحَديثِ. وَقد رَوىٰ اللالكائي هَذِه القِصَّة فِي كِتابِه «**شرْح السُّنَّة**»(٢)].

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه التِّرمِذي والطَّبراني فِي

(١) المصدر السابق (١٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٠) (٢٣٦٧).

«**الكَبير**»، عَن عِمارة بن عُمير قَال: «لمَّا جِيء بِرأسِ عُبيد اللهِ بن زِيَاد وأصْحَابه نَضَدتُ فِي المَسجِد في الرَّحْبة فَانتَهَيتُ إليهم وهُم يَقُولون: قَد جَاءتْ قَد جَاءتْ، فَإذا حَيَّة قد جَاءَت تَخلَّل الرُّءوسَ حتَّىٰ دَخلتْ فِي مِنخَرَي عُبيد اللهِ بن زِياد، فَمكَثتْ هُنيهَة ثُمَّ خَرجتْ فَذهبَت حتَّىٰ تَغيَّبتْ، ثُم قَالوا: قَد جَاءَت قَد جَاءَت، فَفَعلَت ذَلكَ مَرَّتينِ أو ثلاثًا». [قالَ التِّرمِذي: هَذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ](١).

قُلت: لا يَبعُد أنْ يَكون دُخولُ الحيَّة فِي مِنخَرَي عُبيد اللهِ بن زِيَاد بَعد قَتله عُقوبةً لَه عَلىٰ مَا دَخل بِرأسِ الحُسينِ بن عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِين أُتِي بِه إلَيهِ.

فقدْ رَوىٰ البَزَّار وغَيرُه، عنْ أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عُبيد اللهِ بنِ زِياد لمَّا أُتِي بِرأسِ الحُسين جَعل يَنكُت بِالقَضيبِ ثَنَايَاه، فَقال لَه أَنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنِّي رَأيتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلثُمُ حيثُ يَقعُ قَضِيبُكَ»، قَالَ: «فانْقبَض»(٢).

ورَوَىٰ الطَّبراني عَن زَيد بن أرْقَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «أُتِي ابن زِيَاد بِرأسِ الحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجعلَ يَجعَلُ قَضيبًا فِي يَدِه فِي عَينِه وأنْفِه، فقَال زَيد بن أرْقَم: ارْفَع القَضِيب، فَقَالَ: لِمَ؟ فقَال: رَأيتُ فَم رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوضِعه»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٠)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ١١٢) (٢٨٣٢).

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (١٣/ ١٨٤) (٦٦٣٢) بحر، وفي إسناده مفرج بن شجاع مجهول، وغسان بن الربيع ضعيف، وشيخه يوسف بن عبدة لين الحديث.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٢١٠) (٥١٢١)، وفيه عبيد الله بن محمد العمري

ومِن القَصصِ فِي هَذا البابِ: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عَن يَزيد بن المُهَلب قَال: «اسْتَعمَلنِي سُليمانُ بن عَبد المَلك عَلىٰ العِراقِ وخُراسَان فودَّعَني عُمر بن عبد العَزيز وَقال: يَا يَزيد، اتَّقِ اللهَ، فَإِنِّي حِين وَضعتُ الوَليدَ فِي لَحده إذَا هُو يَركُض فِي أكْفانِه»(١).

ورَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا أيْضًا عن عَمرو بن مَيمُون بن مُهْران قَال: سَمعتُ عُمر بن عبد العَزيز يَقول: «كُنت فِيمن دَلَّىٰ الوَليد بنِ عبْد المَلك فِي قَبرِه، فَنظرْت إلَىٰ رُكبَتيه قَد جُمِعتا إلَىٰ عُنُقِه. فَقال ابنه: عَاش أَبِي وَربِّ الكَعبة، فقُلتُ: عُوجِل أبُوك ورَبِّ الكَعبة. قَال: فَاتَّعظ بِها عُمر بَعْدُ»(٢).

ومنَ القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أبي الدنيا، عنِ الفَضلِ بنِ يُونس: أنَّ عُمر بن عَبد العَزيزِ قَال لِمَسلَمة بن عَبد المَلك: «حدَّثني مَولاكَ عَن فُلان أنَّه لمَّا دَفَن أبَاك وَالولِيدَ فَوضَعهما فِي قَبرَيْهِما وَذَهب لِيَحلَّ العُقَد عنهمَا وَجد وُجوهَهُما قَد حُوِّلت فِي أقَفِيتِهما»(٣).

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا، ما ذكَره الحَافظُ ابن رَجب فِي كِتَابه

=

كذبه النسائي، وضعفه الدارقطني. وفي إسناده أيضًا حرام بن عثمان ترك الناس حديثه.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٢٧).

(٣) المصدر السابق (١٢٣).

«**أهْوَال القُبُور**»[١]، قال: أنبأنَا الحَافظُ أبُو مُحمَّد القَاسم بن مُحمَّد البِرْزالي فِيما ذَكره فِي «**تَاريخه**»، عَن عبد العزِيزِ بنِ عَبد المُنعِم بن الصَّيْقل الحرَّاني قَال: «حَكىٰ لِي عَبد الكَافي أنَّه شَهِد مَرَّة جِنازة فَإِذا عَبدٌ أَسودُ مَعنَا. فلمَّا صَلَّىٰ النَّاس لَم يُصلِّ، فَلما حَضَرنا الدفْن نَظَر إليَّ، ثُمَّ قَال: أنَا عَملُه، ثُمَّ ألقَىٰ نَفسَه فِي القبر، قال: فنَظرْتُ فَلم أرَ شَيئًا».

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا، عن عَبد الحَميد بن مَحمُود المِعْوَلي قَالَ: «كُنتُ جَالسًا عِندَ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فأتاه قَومٌ فَقالوا: إنَّا خَرجنا حُجَّاجًا وَمعنا صَاحبٌ لنَا حتَّىٰ أتينَا ذَات الصِّفَاح فمَات، فَهيأنَاه ثُمَّ انطَلَقْنَا فَحفرنَا لَه قَبرًا ولَحَّدْنا لَه لَحدًا، فلمَّا فَرغْنا مِن لَحدِه إذَا نَحن بَأسْوَد قَد مَلأ اللَّحدَ، فَحفرنا غَيره، فَلمَّا فَرغنا مِن لَحدِه إذَا نَحنُ بالأسْوَد قَد مَلأ اللَّحدَ، فتَركنَاه وحفَرنَا لَه مَكانًا آخر، فلمَّا فَرغنَا مِن لحدِه إذا نَحن بالأسْود قَد مَلأ اللَّحد فَتركنَاه وأتيناك.

فقَال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ذَلكَ عَملُه الذِي كَان يَعملُ بِه، انْطلقُوا فَادفِنُوه فِي بَعضِها، فوَالذِي نَفسِي بِيده، لَو حَفرْتُم الأرْضَ كُلَّها لَوجدْتُموه فِيه، فانْطَلقْنا فَدفَنَّاه فِي بَعضِها، فلمَّا رَجعنَا قُلنا لامْرَأتِه: مَا كَان عَملُه وَيحَكِ؟ قَالت: كَان يَبيعُ الطَّعامَ فيأخُذُ كُل يَوم مِنه قُوتَ أَهلِه ثُمَّ يُقرِض القَصبَ مِثله فُيلقِيه فِيهِ».

---

(١) (ص٦٩).

[وَقَد رَواه اللالكائي فِي «شَرْح السُّنَّة» بنحوه][1].

ومِنَ القَصصِ فِي هذا البَاب أيْضًا: مَا ذكَره الحافِظُ ابن رَجب فِي كِتَابه «**أهْوَال القُبُور**»[2]؛ حَيث قَال: رَوىٰ الهَيثَم بن عَدِي قال: حدَّثَنا أَبَان بن عَبد اللهِ البَجَلي قَال: «هَلك جَارٌ لَنا، فشَهِدنا غُسلَه وكَفَنه وحَملَه إلَىٰ قَبرِه، وإذَا فِي قَبره شَيءٌ شَبيه بِالهرِّ، فزجَرنَاه فَلم يَنزَجِر، فَضرب الحفَّار جَبهَته بَبيرمة[3] فَلم يَبرحَ، فتحَوَّلنا إلَىٰ قَبر آخَر، فلمَّا لَحَّدوا إذَا هُو فِيه، فَصنعوا بهِ مِثل مَا صَنعوا أوَّلًا فَلم يَلتفِت، فَرجعُوا إلَىٰ قَبر ثَالث فلمَّا لَحَّدوا إذَا ذَلك الهِرُّ فيهِ فَصنعُوا بهِ مثل مَا صَنعوا أوَّلًا فَلم يلتَفت.

فقَالَ بَعضُ القَومِ: يَا هؤلاءِ، إنَّ هَذا لأمرٌ مَا رأينَا مِثلَه، فَادفنوا صَاحِبكم، فدَفَنوه، فَلمَّا سُوِّي عليهِ اللَّبِن سمِعُوا قَعقَعةً عظِيمةً، فَذهبوا إلَىٰ امْرَأتهِ فقَالوا: يَا هذهِ، مَا كانَ يَعملُ زَوجُك؟ وَحدَّثوها بِما رَأوا، فقالَت: كَان لا يَغتَسِل مِن الجَنَابة».

ومِنَ القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: ثَلاثُ قَصَص ذكَرها ابن حَجر الهَيتَمي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٥) (٢١٥١).

(٢) (ص٦٦).

(٣) البيرمة: العتلة. قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٢/ ٤٥): البيرم العتلة، فارسي معرَّب، وخَصَّ بعضُهم به: «عتلة النجار».

فِي مُقَدِّمة كِتابه «**الزَّوَاجر عَن اقْتِرَاف الكبَائر**»[١]، فقدْ ذَكر فِي قِصَّة سيأتِي ذِكرُها -إنْ شَاء الله- فِي الفَصل الذِي بَعد هَذا الفَصل: «أنَّه سَمِع تَأوُّهًا عَظيمًا وأنينًا مِن بَعض القُبور، وأنَّه مرَّ بِه إنْسَانٌ فسَألهُ عَن صَاحبِ القَبر فأخبَره بِهِ، ولما قال ذلك لبَعضِ أهْلِ بَلدِه قَال لَه: أعَجبُ مِنهُ عَبد الباسِط رَسول القَاضِي فُلان.

قال الهَيتَمي: وهَذا الرَّجُل أعْرِفه، كَان رَسولًا للقُضاةِ أوَّلَ أمْرِه ثُمَّ صَار ذَا ثَروة. فَقلتُ: وما شَأنُه؟ قَال: لمَّا حَفرنَا قَبرَه لِنُنـزِل عَليه مَيتًا آخر رأيْنا فِي رقَبتِه سِلسِلةً عَظيمة، ورأيْنَا فِي تِلكَ السِّلسِلة كَلبًا أسْوَد عَظيمًا مَربُوطًا مَعه فِي تِلك السِّلسِلة، وهُو وَاقفٌ علىٰ رأسِه يُريدُ نَهشَه بِأنيابِه وأظْفارِه، فَخِفناه خَوفًا عَظيمًا وبَادرْنا بِردِّ التُّراب فِي القبر».

قالوا: «وحَفرنا عَن فُلان فَخرجَت لنَا حيَّة عَظيمَة مِن قَبره ورَأينَاها مُطوِّقةً بِه، فأرَدْنا دَفعَها عَنه، فَتنفَّست عَلينا حتَّىٰ كِدنا كُلُّنا نَهلِك عَن آخِرنا».

قالوا: «ورَأينَا فُلانًا لمَّا حَفرنا قَبرَه لَم يَبقَ مِنهُ إلا جُمجُمَة رَأسِه، فَإذا فِيها مَسامِير عَظيمَة القَدر عَريضَة الرُّءوسِ، مَدقُوقة فِيها كأنَّها بَاب عظِيمٌ، فَتعجَّبْنا مِنه وَرَددْنَا عَليه التُّرَاب».

ومن القَصص في هَذا البَاب أيضًا: ما ذَكره ابن أبِي الدُّنيا قَال: حدَّثنا عبد المؤمِن بن عَبد اللهِ القَيسي قال: «قِيل لنبَّاش قَد تَاب: مَا أعجَبُ مَا رأيْتَ؟ قَال:

---

(١) (١/ ٢٥).

نَبشتُ رَجلًا فَرأيتُه مَسَمَّرًا بِالمَسامِير فِي سَائرِ جَسدهِ ومِسمَار كَبير فِي رَأسهِ وآخَر فِي رِجلَيه. وَقيل لِنبَّاش آخَر: مَا أعجَبُ مَا رأيت؟ قَال: رَأيت جُمجُمةَ إِنسانٍ مَصبُوبٌ فِيها رَصَاصٌ»(١).

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره ابن رَجب فِي كِتابِه «**أهْوَال القُبُور**»(٢)، عَن ابن الفَارس اليَمَني صَاحب ابن الجَوْزِي، أنَّه ذَكر فِي «تاريخه»: «أنَّه فِي سَنة تِسعِين وخَمْسِمَائَة وُجِد مَيِّت بِبغدَاد بِظاهِرِ بَابِ البَصرَة وقَد بَلِي وَلم يَبْق غَيرُ عِظامِه، وَفي يَدَيهِ ورِجليهِ ضِبَاب مِن حَديد، وقَد ضُرب فِيها مَسامِير فِي قَصب يَديهِ ورِجلَيه.

وقَد وُضِعت ضِبَّة حديدٍ عَلىٰ بَطنِه، وضُرِب فِيها مِسْمَاران أحدُهما فِي سُرَّته والآخَر فِي جَبهَته. وَكان هَائلَ الخِلْقَة غَليظَ العِظام، وكَان سَببُ ظُهورِه زِيادَة المَاء، فَكشف جَانب تَلٍّ كَان يُعرف بالتَّلِّ الأحْمر عَلىٰ مِيلين مِن سُور بَاب البَصرة القديم».

ومن القَصص فِي هذا البَاب أيضًا: مَا ذكرَه ابن القَيم رَحِمه اللهُ تَعالىٰ فِي كِتاب «**الرُّوح**»(٣)، قَال: حدَّثني صَاحبُنا أبُو عبدِ اللهِ مُحمَّد بن مُثنَّىٰ السُّلامي التَّاجر -وكَان مِن خِيار عِباد الله، وكَان يَتحرَّىٰ الصِّدقَ- قَالَ: «جاءَ رَجلٌ إلَىٰ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٠).

(٢) (ص٦٨).

(٣) (ص٦٩).

سُوق الحَدَّادين بِبغدَاد فبَاع مَسامِير صِغارًا، المِسمَار بِرأسَين، فَأخَذها الحدَّاد وجَعل يَحمِي عَليها فَلا تَلينُ مَعه حتَّىٰ عَجزَ عَن ضَربِها.

فَطلبَ البَائعَ فوجَدَه، فَقال: مِن أينَ لَك هَذه المَسامِير؟ فَقال: لَقيتُها، فَلم يَزل بِه حتَّىٰ أخبَره أنَّه وجَد قَبرًا مَفتوحًا وفيهِ عِظام مَيت مَنظومَة بِهذه المَسامير، قَال: فعَالجْتُها علىٰ أنْ أخرِجها فَلم أقْدر، فأخَذتُ حَجرًا فكسرتُ عِظامَه وجَمعتُها.

قالَ أبُو مُحمَّد التَّاجر المَذكور: وأنَا رأيْت تلْكَ المَسامير، قَال ابنُ القَيم: فَقلت له: كيف صفتُها؟ قال: المِسمَار صَغيرٌ برأسين».

[وقَد نَقل ابنُ رَجب هَذه الحِكَاية فِي كِتابِهِ «أهْوَال القُبُور»(١)، عَن ابن القَيم، ثُمَّ قَال: هَذه الحِكَاية مَشهُورة بِبغدَاد، وَقد سَمِعتُها وَأنا صَبي بِبغداد، وَهي مُستَفيضَة بَين أهْلِها»].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا قَال: حدَّثني أبِي، عَن أبِي الحُرَيش، عَن أُمِّه قالت: «لمَّا حَفر أبُو جَعْفر خَندَق الكُوفَة حَوَّل النَّاسُ مَوتَاهم، فَرأيتُ شَابًّا مِمَّن حُوِّل عَاضًا علىٰ يَدِه»(٢).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البابِ أيضًا: مَا رَواه ابنُ أبِي الدُّنيَا قَال: حدَّثنا عبد

---

(١) (ص٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٢).

المُؤمِن بن عبْد اللهِ المَوصلي قال: حدَّثنِي رَجلٌ مِن أهْلِ الرَّمْلة قَال: «أصَابَتنا رِيحٌ شَديدة كَشفتْ عَن القُبور، قالَ: فَنظرتُ إلىٰ جَماعَة مِنهُم قَد حُوِّلوا عَن القِبلة»(١).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره ابن أَبِي الدُّنيا قَال: «حدَّثني رجُلٌ أنَّه ماتَتْ لهُ ابنَةٌ فَأنـزَلَها فِي القَبر، فَذهبَ لِيصْلِح لَبِنة فَإذا هِيَ قَد حُوِّلت عَن القِبلة. قال: فاغْتَمَمت لِذلكَ غَمًّا شَديدًا، قَال: فَرأيتُها فِي النَّوم، فقَالت: يَا أبتِ، اغْتَممتَ لِما رَأيتَ، فإنَّ عَامَّة مَن حَولي مِن أهْل القُبور مُحوَّلُون عَن القِبلة. قال: كأنَّها تُريد الذِين مَاتوا مُصرِّين عَلىٰ الكَبائرِ»(٢).

وَقَال الحَافظُ ابنُ رَجب فِي كِتابِهِ «أهْل القُبُور»(٣): «رَوينا مِن طَرِيق أَبِي إسْحَاق الفَزَّارِي أنه سَأل نبَّاشًا قَد تَاب فَقلتُ: أَخْبِرني عمَّن مَات عَلىٰ الإسْلام، أتُرِكَ وَجهُه عَلىٰ مَا كَان أمْ مَاذا؟ قَال: أَكثرُ ذَلك قَد حُوِّل وَجهُه عَن القِبلة. قال: فَكتَبتُ إلىٰ الأوزَاعِي فَكتب إليَّ: إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيهِ رَاجعُون ثلاثَ مرَّات، أمَّا مَن حُوِّل وجْهُه عَن القِبلَة فإنَّه مَات عَلىٰ غَير السُّنَّة».

وَذكرَ ابنُ أَبِي الدُّنيَا أنَّ رَجلًا سَأل أبَا إسْحَاق الفَزَاري عَن النَّبَّاش: هَل لَه تَوبةٌ؟ وقَال لَه الرَّجلُ: كُنت أَنبُشُ القُبورَ وكُنتُ أجِدُ قَومًا وُجوهُهم لِغَير

(١) المصدر السابق (١٢٤).

(٢) المصدر السابق (١٢٥).

(٣) (ص٦٨).

القِبلَة. فَلم يَكنْ عِندَ الفَزارِي فِي ذَلك شيءٌ، فَكَتبَ إلَىٰ الأوْزَاعي يُخبِرُه بِذلك فَكتبَ إليهِ الأوْزاعي: تُقبَل تَوبَتُه إذَا صَحَّت نيَّتُه وَعَلم اللهُ الصِّدقَ مِن قَلبِهِ، وأمَّا قَولُه: إنَّه كَان يَجدُ قَومًا وجُوهُهم لِغَير القِبلة فأولَئك قَومٌ مَاتوا عَلىٰ غَير السُّنَّة»(١).

قُلتُ: وَكثيرًا مَا يَقَع الصَّرف عَن القِبلَة للمُصرِّين عَلىٰ شُرب الدُّخانِ الخَبيثِ إذا مَاتوا مِن غَيرِ تَوبة. وسأذْكُر عَن ذَلكَ عِدَّة قَصَص إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ.

فمِن هَذه القَصَص: مَا أخبَرَني بهِ الثِّقةُ مِن إخْوَاننَا فِي الله تَعالىٰ. قَال: «مرَّ بنَا مُسافِرٌ مَريضٌ فأقَامَ عِندنَا أيَّامًا ثمَّ حَضره المَوتُ، فَجعلتُ أوَجِّههُ إلَىٰ القِبلةِ فيُصرَف عَنها، وكُلَّما وجَّهتُه إليْها صُرفَ عَنها في الحَال، وقَد فَعلتُ ذَلكَ مَعه مِرارًا، وَفي آخِر الأمْر صَعُب عليَّ توجيهُهُ إلَىٰ القِبلَة وجعَلتُ ألْوِي رَأسه بِجَهدِي لأوَجِّهُه إلَىٰ القِبلَة فَلا يتوجَّه إليهَا، فتَركتُه علىٰ حَاله وخَرجت رُوحُه وَوجُهه إلَىٰ غَير القِبلَة، فجعَلت أتَعجَّب مِن شَأنهِ، ثمَّ إنِّي فَتَّشتُ مَتاعَه فَوجدْتُ فِيه صُرَّةً مِن التتن والآلَة التي تُستعمَل فِي شُربهِ».

وَمِن قصَصِ أهْل الدُّخَان أيْضًا: مَا أخْبَرَني بهِ الثِّقة المُشارُ إليهِ فِي القصَّة الأولَىٰ، عنْ بعْض القُضاةِ فِي نَواحي القَصيمِ: «أنَّه حَضر عِندَ رَجلٍ قَد حَضره المَوتُ وكانَ مِمَّن يشرَبُ الدُّخَان، قال: فَجعلْتُ أوَجِّهُه إلَىٰ القِبلَة فَيُصرف عَنها

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٩).

حتَّىٰ خَرجَت رُوحه وهُو إلَىٰ غَير القِبلة».

ومِن قَصص أهْل الدُّخان أيضًا: مَا حدَّثني بهِ بَعضُ المَشايخ، عن الشَّيخ مُحمَّد بن عبد اللَّطِيف رَحِمه اللهُ تَعالىٰ أنَّه حدَّثَهم: «أنَّهم سَافَروا مِن مكَّةَ إلَىٰ المَدينَة ومَعهُم رَجلٌ مِن أهْل قَطر، كَان كَثيرَ الصَّلاة وأفْعَال الخَير إلا أنَّه كانَ يشربُ الدُّخَان، قَال: فمَاتَ فِي الطَّريق فَصُرِف عَن القِبلَة. قَال: وكُلَّما وَجَّهْناه إلَىٰ القِبلَة صُرِف عَنها».

وَمِنْ قَصصِ أَهلِ الدُّخَان أيضًا: مَا حدَّثني بِه بَعضُ المَشايخِ: «أنَّ رِجالًا مِن أهل البَادِية حدَّثوه، قَال: وَكانُوا أهلَ دِينٍ وَصلاحٍ، أنَّهم كَانوا فِي سَفَر ومَعهُم رَجلٌ يَشربُ الدُّخَان، فمَات فوَضعُوه فِي غارٍ وسَدُّوا بَاب الغَار، قَالوا: وكُنَّا نَسمع أنَّ شارِب الدُّخان يُصرَف عَن القِبلَة إذَا مَات. فلَمَّا رَجعنَا من سَفرِنا وَمررْنا بِالغارِ الذِي وضَعنا المَيتَ فِيه فَتحْنَا بابَه فَوجدْنا المَيتَ مَصروفًا عَن القِبلة».

ومِن قَصصِ أهْل الدُّخَان أيضًا: مَا حدَّثَني بهِ بَعضُ المَشايخِ، عنْ الشَّيخ عُثمان بن بِشر -وكَان قَاضيًا فِي بَعضِ نَواحِي القَصيم- أنَّه حدَّثه: «أنَّ رَجلًا ماتَ عندَهم وكانَ كثيرَ الصَّلاةِ ولا يُعابُ بشيءٍ إلا أنَّه كَان يَشرب الدُّخان. قَال الشَّيخ عُثمان: فَنزلتُ فِي قبْره ووضَعتُه في اللَّحدِ مُوجَّهًا إلىٰ القِبلة، فلَمَّا أخذت اللَّبنةَ لأضَعَها علَىٰ اللَّحد إذَا هُو قدْ صُرفَ عَن القِبلَة، فَجُعلَ ظَهرُه إلَىٰ القِبلة

وَوجْهُه إلىٰ الجِهةِ الأخْرىٰ، فوجَّهْته إلَىٰ القِبلَة مرَّةً أخرىٰ ثُمَّ ذَهبتُ لآخُذ اللَّبِن، فَإذا هُو قَد صُرف عَن القِبلَة، فوجَّهْته إلَىٰ القِبلة مرَّة ثالِثة فصُرف عنْها، فتَركتُه علَىٰ حَاله مصْرُوفًا عَن القِبلة».

ومِن قَصَص أهْلِ الدُّخَان أيضًا: مَا حدَّثَني بهِ غَيرُ وَاحدٍ مِن الثِّقات، عنِ الشَّيخ عُثمَان بن بِشر أيضًا: «أنَّ العَاملينَ عَلىٰ الزَّكاةِ مَرُّوا بِهم ومعَهُم رَجلٌ كَثيرُ الصَّلاةِ وأفْعالِ الخَير إلا أنَّه كَان يَشربُ الدُّخَان، فلمَّا انْتَهىٰ العامِلُون مِن عَملِهم وَمَروا بِهم فِي رُجُوعِهم إذَا الرَّجُل لَيس مَعهم، فَسألُوهم عَنه فَأخْبَرهم العَاملُون أنَّه ماتَ علَىٰ بَعضِ المِياه، وأنَّهم أخَذوا فَأسًا مِن بَعضِ الأعْراب فَحَفروا لَه قَبرًا وَدَفنُوه.

فلمَّا فَرغوا مِن دَفنهِ وجَدوا عُود الفَأسِ ولَم يَجِدوا الفَأس، فقَالوا للأَعْرابي: إنَّا قَد وجَدنا عُودَ الفَأسِ وَلم نَجدِ الفَأسَ وَلا شَكَّ أنَّه قَد سَقطَ فِي القَبر حِين وَضعنَا المَيتَ فِيه.

وطَلبوا مِن الأعْرابي أنْ يَأخُذ مِنهُم قِيمة الفَأسِ فَأبىٰ إلا أنْ يَنْبِشوا عَن المَيت ويَأخذوا الفَأسَ مِن القَبر، فَنبشوا القَبر فَوجَدوا المَيتَ قَد جُمِع رأسُه وَيَداه ورِجْلاه فِي حَلقَة الفَأس».

ومِن قَصصِ أهْل الدُّخَان أيضًا: مَا كَتب بهِ إليَّ أحَدُ أئِمَّة المَساجِدِ فِي مَدينةِ الرِّياض -وكُنتُ إذْ ذَاك فِي المُجمَّعة- قَال: «إنَّ رَجلًا مِن السُّكان فِي

مَدينةِ الرِّياض مَرِضَ وَطال بهِ المَرضُ، فخرجَ بهِ أصْحابُه إِلَىٰ البَرِّ رَجاء أنْ تَحصُل لَه رَاحةُ النَّفس، فَماتَ الرَّجل في البَر.

ولمَّا دَفنه أصحَابُه ذَكروا أنَّه كانَ عليه أسْنان مِن الذَّهب، فنبشُوا القبْر ليَنزِعوا عَنه الأسْنَان فَوجدوا حيَّة عَظيمَة تَمصُّ لسَانَه وقَد انْطَوت عَلىٰ رِجلَيه، فَفزعوا مِن ذَلك فَزعًا شَديدًا وَردُّوا التُّراب في القَبر.

ثُمَّ أتَوا إِلَىٰ إمَام المَسجدِ وَقد اسْتَولىٰ علَيهمُ الرُّعبُ، فأخْبَروه بِما كانَ منْ أمرِ الحيَّة مَع المَيت، فكَتبَ إمَام المَسجدِ إليَّ يَسألُني عَن هذِه القِصَّة.

فَذَكرْت لَه أنَّ الحَيَّة التِي رَأوهَا مَع المَيتِ هِي عَملُه السَّيء، وقُلت فِي كِتابي إلَيهِ: لَعلَّه يَسأل أصْحاب المَيتِ عَن أعْمَاله التِي يُخشىٰ عَليهِ العذَاب بِسببِها، فسَألهم فَذكر لهُ أحدُهم أنَّه كانَ يشربُ الدُّخان، قالَ: ومَا نعْرف عَنه شَيئًا غَير ذَلك مِن الأعْمال السَّيئة».

وَمِن قَصص أهْل الدُّخان أيضًا: مَا حدَّثني بهِ الثِّقة صَالح بن محمَّد المُقَيطيب قال: «كُنت جَالسًا فِي دُكَّاني ضُحىٰ يَوم الجُمُعة، فمرَّ عَليَّ فُلانٌ -وَقد سمَّاه وَلكنِّي نَسيتُ اسْمَه- قالَ: فَأغلقتُ الدُّكَّان وذَهبتُ بهِ إِلَىٰ بَيتِي وأصْلحتُ لهُ الشَّاي والقَهوة، فلمَّا أرَاد أنْ يَشرب الشَّاي أخْرَج الدُّخان مِن جَيبهِ لِيشرَب مِنه مَع الشَّاي، فَمنعتُه مِن شُرب الدُّخان فِي بَيتي وقُلت له: إذَا خَرجتَ مِن بَيتي فَشأنُك ومَا تُريد.

فلمَّا انْتهىٰ مِن شُرب الشَّاي والقَهوةِ خَرج مِن بَيتي، وَبَعد خُروجِه بِزمنٍ يَسيرٍ جَاء إليَّ أحدُ المُواطِنين وقالَ: إنَّ فُلانًا -يَعني الذِي خَرج مِن عنْدِي- قُد تُوفِي فَجأة.

قالَ صَالح: فذَهبتُ فَغسَّلتهُ وكَفنتُه وَصَلينا عليهِ بَعد صَلاة الجُمعَة وَخرجنا بِه إلَىٰ المَقبَرةِ، ونَزلتُ فِي قَبره، فلمَّا وضعتُه فِي اللَّحد صُرف عَن القِبلَة، وقَد رَأىٰ ذَلك بَعضُ الحَاضرين عنْدَ القَبر وأَخْبَرني أنَّه رَآه حِين صُرف عَن القِبلة».

ومِن قَصَص أهْل الدُّخان أيضًا: مَا ذكَره السَّفاريني فِي كِتابهِ «**البُحُور الزَّاخِرة**»(١) قال: «أخبَرنِي الشَّيخ التَّقي المُتعبِّد وهُو غَير متَّهم بَل ثِقة صَدوقٌ - أعْني الشَّيخ صَالح ابن الشَّيخِ محمَّد جراح، سَنة سَبع وثَلاثين بعَد المَائة والألْفِ فِي شهْر رَجب فِي خَلوتِي بدِمَشق الشَّام فِي مدْرَسة الشَّيخ مُراد فِي رحْلَتي في طَلبِ العِلم- وكَان الشَّيخ صَالح يَتردَّد عليَّ يقْرأ فِي علم العَروض.

قال: أخْبرني والدِي الشَّيخ محمَّد جراح العَجْلُوني قال: ذَكَر لِي جَماعَة مِن أهلِ بَلدةٍ -وسَمَّاها- قالوا: كَان عِندَنا رَجلٌ يُظن بهِ الخَيرُ غَير أنَّه يَشرب التَّتن، فتُوفِّي فِي يَوم شَديد الشّتاء والبَرد فَلم يستَطِيعوا أنْ يحفُروا لَه قَبرًا مِن شِدَّة الثَّلج.

---

(١) (١/ ١٦٠).

فَقالوا: نَضعُه فِي خَشْخَاشة، فَفعلوا فَنزلَ عَليه رَجلٌ فَسواه ثُمَّ خرَج، فلمَّا كانَ بعْد العِشاء الآخِرة وأرَاد أنْ ينام تَذكَّر أنَّه كانَ معهُ صُرة دراهِم، وَظنَّ أنَّها إنَّما وَقعت فِي الخَشخَاشة، فَقال لأولادهِ وَكانوا ثَلاثة -أو قَال اثْنينِ-: قُوموا بِنا إلَىٰ الخَشْخَاشة وَذكر لَهم الخبَرَ، فقَالوا: غَدًا نذْهبُ إليهَا، فقالَ: بَل اللَّيلةَ لِئلا تَكون الدَّراهم فِيها فَنفتَضح غدًا.

وأمَّا الآنَ فإنْ لقينَا الدَّراهم فَبها ونِعْمَت، وإلا فَلا أحَد يَعلم خَبرَنا، قَال: فأخَذُوا ضَوءًا وَذهبُوا إلَىٰ المَحل، فَفَتح الرَّجل عَلىٰ المَيت فَلَقي القَبر مَلآنًا نَارًا عَليه، وإذا بِالميتِ جَالسٌ، وإذَا بِذكَرِه مَمدود، وَإذَا هُو وَاضعٌ رَأسَ ذكره فِي فَمه ويُخرِج مِن فَمه دُخانٌ مُنتِن، والقَبر يَضطَرم عَليه نارًا.

قالَ: فَذُهل الرَّجلُ وَأولادُه وصَرخ بِأهل بَلدِه فَأتوا إلَيه ونَظروا حَالتَه، ولَم يقدِر الرَّجل أنْ يَهجم عَلىٰ القَبر لِينظُر الدَّراهِم لِشدَّة النَّار، قال: وهذِه قِصَّة مَعلومَة قَد أخْبرني والِدي أنَّه ذَكر هَذا جَماعَة مِن أهلِ تلكَ البَلدة، ومِن جمْلَتهم الرَّجل الذِي ضَاعت دَراهِمه، والله أعْلمُ بِحقيقة ذلك».

وَإذا عُلِم أنَّ المُصرِّين علَىٰ شُربِ الدُّخان يُعذَّبون فِي قُبورِهم ويُصرَفون عَن القِبلة إذَا مَاتوا مِن غيرِ تَوبة، فَليُعْلم أيْضًا أنَّ الإصْرار علَىٰ شُرب الدُّخان قَد يَكون سَببًا لِسوءِ الخَاتمة والعياذ باللهِ.

وقَد قَال مُحمَّد البرْزَنجي الشَّافِعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَأيتُ مَن يتعَاطاه عِندَ النَّزع

يَقُولون لَه: قُل: لَا إلَه إِلَّا اللهُ، فيَقُول: هَذا تَتَن حَارٌّ(١).

وذَكر بَعضُ المُؤلِّفين فِي تَحريم الدُّخان، عَن الشَّيخ مُحمَّد الفلَّاني المَغْربي -وكان من الصالحين- قالَ: «إنَّه أخْبَره أنَّ رَجلًا فِي المَدينَة المُنورَة أخبَره أنَّ أخَاه احْتُضِر، فَجَعل يُلقِّنه الشَّهادةَ، فَقال لَه المُحتضر: يَا أخِي، إن المَلَكَ قَد أمْسَك لِساني وَيقولُ لِي: لا أدعُك تَنطِق بِالشَّهادة لأنَّك كُنت تُؤذِيني بِالتَّتن».

ومِن مَضار الدُّخان أنَّه يَكون سَببًا لِمَوت الفجْأة، وَقد وَقع ذَلك لِغير واحِد مِمَّن أعْرِفُهم.

ومِن قَصص تعذِيب الأمْوات فِي القُبور: مَا ذكَرَه السَّفارِيني فِي كتابه «**البُحُور الزَّاخِرة**»(٢) قال: «ذَكَر لِي رَجلٌ مِن أهْل القُرىٰ أنَّه سَأل حَفَّارًا عَن أعْجَب مَا رَأىٰ مِن أهْوالِ القُبورِ، قَال: كَشفتُ يَومًا عَن قبرٍ فَرأيتُ فيهِ جُثة إنسانٍ وَفي وَسَط تِلكَ الجُثَّة عقْرَب عَظيمٌ، وإذَا زباناه مِثل المِرْود، وَإذا بهِ يَضربُ تِلكَ الجُثَّة فَتنضم وتَنطَوي، فإذَا قَلع زباناه عنْها امْتَدت كَما كانْت وهكذا.

قَالَ السَّفارِيني: والرَّجل الذِي أخْبرني اسْمُه محَمَّد، والحَفَّار عَطاء اللهِ. وهَذا سَمعته فِي سَنة اثْنَتين وثَلاثين عَلىٰ حَياتِه، ولمَّا رَجعتُ مِن رِحلتِي مِن

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (١٥/ ٦٤).

(٢) (١/ ١٦٢).

طَلب العِلم سَنة تِسع وَثلاثين سَألتُ وَلد عَطاء اللهِ عَن ذَلك فقال: وأنا واللهِ سَمعتُ ذَلك مِن وَالدي، وهذا عِندِي غير مُتَّهم، وهَذا شَيء قَد عَاينه النَّاس وتَواتر وكثُرت الحِكاياتُ فِيه، وَهو ممَّا يَجب الإيمَان بهِ ولا يُنكرُه إلَّا ضَالٌّ».

* * *

فصل

وأمَّا مَا سَمِعه بعضُ النَّاس مِن تَعذِيب الأمْوَات فِي القُبور، فقدْ جَاء فيهِ قَصصٌ كثيرة.

منْها: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا فِي كتَاب «**مَن عَاش بَعْد المَوت**»، عَن دَاود بن شَابور، عَن أَبِي قَزعة -رَجل مْن أهْلِ البَصْرة- عَنه أو عَن غيرِه، قَال: «مَررْنَا فِي بَعض المِياه التِي بَيننا وبينَ البَصرَة، فسَمعْنا نَهيقَ حِمَار فَقلنا لَهم: مَا هذا النَّهيق؟ قالُوا: هَذا رَجلٌ كَان عِندنَا كَانت أمُّه تُكلِّمه بِالشيءِ فيقول لَها: انْهقي نَهيقَك، وكَانتْ أمُّه تَقول: جَعلكَ اللهُ حِمارًا، فَلمَّا مَات كانَ يُسمَع هَذا النَّهيقُ عِند قَبرِه كُل ليلَة»(١).

ومِن القَصص في هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا فِي كتاب «**مَن عَاش بَعد المَوت**»، عَن يَحيىٰ المَدني، عَن سَالِم بن عَبد اللهِ، عَن أَبِيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٢٦).

قالَ: خَرَجتُ مَرة لِسفر -فَذكرَ القِصَّة وَفيها-: «ثمَّ أَضَافَني اللَّيل إِلَىٰ بيت عَجوزٍ إِلَىٰ جَانبِ بَيتِها قَبرٌ، فَسمعْت مِن القَبر صَوتًا يَقول: بَوْلٌ وما بَوْلٌ، شَنٌّ وما شَنٌّ؟ فَقلتُ للعَجُوز: مَا هَذا؟ قَالت: هَذا كَان زَوجًا لِي، وكَان إِذَا بَال لَم يُنَقِّ البَول، وكُنتُ أَقُول لَه: وَيحَكَ! إِنَّ الجَمَل إِذَا بَال تَفَاج، فَكان يَأبىٰ. فَهو يُنادِي مُنذُ يَوم مَات: بَول ومَا بَول؟

قلت: فما الشَّن؟ قَالت: جَاءه رَجلٌ عَطشان فَقال: اسْقِني، فَقال: دُونَك الشَّنَّ، فَإذا لَيس فِيه شَيءٌ، فَخرَّ الرَّجلُ مَيتًا، فَهو يُنادِي مُنذ يَوم مَات: شَنٌّ وما شَنٌّ؟ فَلمَّا قَدمتُ عَلىٰ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبَرتُه فَنهىٰ أَنْ يُسافِر الرَّجل وحْده»(١).

ومن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: ما ذكَره الحَافظُ ابنُ رَجب فِي كِتابِهِ «**أَهْوَال القُبُور**»(٢)، عَن أَبِي الحَسَن بن البَرَاء قَال: حدَّثني عَبد اللهِ بن مُحمَّد المَدني قال: «كانَ لِي صَديقٌ فَقال: خَرجتُ إِلَىٰ ضَيعَتي فأدْركَتْني صَلاة العَصر إِلَىٰ جَانب مَقبَرة، فَصلَّيتُ العَصر قَريبًا منْها، فبَينَما أَنَا جَالسٌ إذْ سَمعتُ مِن نَاحية القُبور صَوتًا وأنينًا، فدَنوتُ مِن القَبر الذِي سَمعت مِنهُ الأنِينَ فَإذا هُو يَقول: آهٍ! قَد كُنت أصُوم، قَد كُنت أصَلِّي، فأصَابتنِي قُشَعْريرَة، فدَعوتُ مَن

---

(١) المصدر السابق (٣٣)، وفي إسناده كلثوم بن جوشن ضعيف، وشيخه يحيىٰ المدني قال ابن رجب: «غير معروف»، انظر: «أهوال القبور» (ص٦٣).

(٢) (ص٦٧).

حَضَرني فَسمعَ مِثلَ مَا سَمِعت ومَضيتُ إلَىٰ ضَيعتِي.

ورَجعت في اليَوم الثَّاني فَصليتُ فِي مَوضِعي الأوَّل وصَبرتُ حتَّىٰ غابَت الشَّمس وصَليْت المَغرِب، ثُمَّ اسْتمعْت علَىٰ ذَلكَ القَبر فَإذا هُو يَئن ويَقول: آهٍ! قدْ كُنت أصُوم، قَد كُنت أصَلي. فرَجعت إلَىٰ أهْلي فَحُمِمتُ ومرِضْتُ شَهرين». [وَقد ذَكر هذِه القِصَّة السَّفَّاريني فِي كِتابِه «**البُحُور الزَّاخِرة**»(١) نَقلًا عَن ابن الجَوزي].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَوَاه اللالكائي فِي كِتابِه «**شُرْح السُّنَّة**»، عَن يَحيىٰ بن مَعين قَال: «قالَ لِي حفَّار مَقابر: أعْجَب مَا رَأيتُ فِي هَذه المَقابرِ أنِّي سَمعتُ مِن قَبر أنينًا كَأنين المَريضِ»(٢).

ورَوىٰ أيْضًا عَن الحَارث المُحاسبي قَال: «كنتُ فِي الجَبَّانة فِي البَصرَة عَلىٰ قَبر فَأسمَع مِن القَبر: أوَّاه مِن عَذاب الله». [وَقد ذَكر ابنُ رَجب هَذه القِصَّة فِي كِتابِه «**أهْوَال القُبُور**»](٣).

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره السَّفَارِيني فِي كِتابِه «**البُحور**

---

(١) (١/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٦) (٢١٥٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٧) (٢١٥٥)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٦٧) لابن رجب.

الزَّاخِرة»[١] قَال: «لقَدْ سَمعَت أُذُنَاي وَوَعىٰ قَلبِي -وَعُمرِي إذْ ذاكَ نَحو تِسع سِنينَ- صُراخَ مَيت مِن خَشْخَاشة.

وذَلك أنِّي كُنت مَع أجيرٍ لنَا -يُدعىٰ حَمَدًا- نَاحية الجَبَّانة، وكانَ قَد دُفن رَجلٌ يُقال لَه: شَحادة الهَمشَري، فِي خَشْخَاشة فِي طَرَف الجَبَّانة، فلمَّا دنَوت مِن الجَبَّانة سَمعتُه يَتضجَّر ويَصيحُ تَضجُّر الذِي يُضربُ بالسِّياط وأبْلغ.

وسَمِع ذلكَ أجِيرُنا، فَفزِعْت لِذلكَ فَزعًا شَديدًا. وسَمع ذَلك مِن تِلك الخَشْخَاشة جَماعةٌ فِي مرَّات مُتعدِّدة، ومضَىٰ عَليَّ مُدةٌ طَويلةٌ لا أسْتَطيعُ أنْ أهَجم عَلىٰ الجَبَّانة بِسببِ ذَلك، حتَّىٰ منَّ اللهُ عليَّ بِقراءَة القرآنِ، وذَلك سَنةَ إحْدىٰ وثَلاثينَ ومائَة وألْف، وعُمري إذْ ذاك نَحو سِت عَشَرة سَنة».

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره السَّفارِيني فِي كِتابِه «**البُحور الزَّاخِرة**» قال: «أخْبَرني بَعضُ إخْواني -وهُو عِنْدي غَير مُتَّهم- أنَّ رَجلًا مِن بَلدِهم مَاتتْ زَوجَته، قَال: وكانتْ تَتعاطَىٰ الرِّبا -بالباءِ المُوحَّدة- فَلمَّا كَان وَقت العِشاءِ سَمع زَوجُها صَريخًا مِن دَاخل القَبر، وكانَ جَالسًا فَي بَاب دَاره، فَلما سَمعهَا أخَذته الحُشُومة مِن أجْلِها، وكَان ذَا شِدَّة وبأس، فأخذَ سِلاحَه وذَهب إلَىٰ عِندِ قَبرهَا فَوقف عَليها وقَال لَها: لا تَخافِي فإنِّي عِندك، زَعمًا مِنه أنَّه سَينقِذُها ممَّا هِي فيه لشِدَّة عُتوِّه وجَهله، وتَناول حَجرًا مِن القبر. قال: فَما رَفع

---

(١) (١/ ١٦١-١٦٢).

رَأسَه حتَّىٰ ضُرب ضَربةً أبْطلت حَرَكته وأرْخَت مفَاصِله وأدلع لِسانَه، فَرجع إلَىٰ حَالٍ قَبيحة وهَيئة فَضيحة.

قال: فوالله لقَد رأيتُه وهُو قَد رُضَّ حَنكُه وبُصاقُه ينـزِل علىٰ صَدره. قال: وَهذا خَبر اسْتَفاض عندَ أهلِ البَلد كلها».

قلتُ: هَذه القِصَّة قَد تقدَّم ذِكرُها فِي الفَصل الذِي ذُكِرَتْ فيه العُقوباتُ فِي الدُّنيا بِما دُون المَوت، وإنَّما ذَكرتُها هُناك لمَا جَاء فيهَا مِن عُقوبة زَوج المَرأة عَلىٰ عُتوِّه وجَهله، وأعدْتُ ذِكرَها هنا لمَا جَاء فيهَا من سَماع صُراخ المَرأة فِي قبرها».

ومِن القَصص فِي هذا البَاب أيضًا: ما ذَكَره ابن حَجر الهَيتَمي في مُقدِّمة كتَابِه «**الزَّواجِر عَن اقْترَاف الكبَائر**»(١) قَال: «كُنتُ وَأنَا صَغيرٌ أتَعاهدُ قَبر وَالدي، فخَرجتُ يَومًا بَعد صَلاة الصُّبح بَغلَس فِي رَمضان، فلمَّا جَلستُ عنْدَ قَبره -ولَم يَكن بِالمقْبَرة أحدٌ غَيري- إذَا أنَا أسْمَع التَّأوُّه العَظيم والأنِين الفَظيع بِـ(آهٍ آه آه)، وهَكذا بِصوت أزْعَجني مِن قَبر مَبني بالنورة والجَص لَه بَياضٌ عَظيم.

فاسْتَمعت، فَسمعْتُ صَوت ذلكَ العَذاب مِن دَاخلِه، وذلكَ الرَّجل المُعذَّب يَتأوَّه تَأوُّهًا عَظيمًا بِحيثُ يُقلقُ سَماعُه القَلبَ ويُفزِعُه، فاستمَعْت إلَيه زَمنًا.

فلمَّا وَقع الإسْفار خَفِي حِسُّه عَني، فَمرَّ بِي إنسانٌ فَقلت: قَبرُ منْ هَذا؟ قَال:

---

(١) (١/ ٢٥).

هَذا قَبر فُلان، لِرجلٍ أَدركْتُه وأَنَا صَغير، وكَان عَلىٰ غايَة مِن مُلازمَة المَسجدِ والصَّلواتِ فِي أوْقَاتها والصَّمتِ عَن الكَلام، وهَذا كُلُّه شَاهدتُه وعَرفتُه منْه.

فكَبُر عليَّ الأمْرُ جِدًّا لِمَا أعْلَمُه مِن أحوَال الخَير التِي كَان ذَلك الرَّجل مُتلبِّسًا بهَا فِي الظَّاهر، فسَألتُ واسْتَقصَيتُ الذِين يَطَّلعُون عَلىٰ حَقيقَة أحْوالهِ فأخْبَروني أنَّه كَان يأكُل الرِّبا، فَأوقعه ذَلك فِي العَذاب الألِيم».

ومن القَصص فِي هَذا البَاب: مَا حدَّثني بهِ الشَّيخُ إسْماعِيل بن مُحمَّد الأنْصاري قالَ: «مَات عِندنَا فِي صَحراء مَالي مِن إفْريقِيًا شَابٌّ عَاقٌّ، فكَان يُسمَع الأنِينُ مِن قَبره، فنَبشوه يَحسبُون أنَّه حَيٌّ فَوجدوه عَلىٰ حَاله التِي وضَعُوه عَليها ميتًا.

قالَ: وَلا يَزال يُسمَع الأنِين مِن قَبره بعْدَما رَدُّوا عَليه التُّراب. قال: وَقد أخْبَرني بِذلكَ مَن سَمعَ الأنِين مِن قَبره».

* * *

فصل

وأمَّا القِسم الثَّالث: وهُو مَا وقَعَت الرُّؤية لَه فِي المَنام أو الإغمَاء مِن تَعذيب أهلِ البِدَع والمُصِرين عَلىٰ المَعاصي مِن الظَّلَمة وغَيرهم، فقدْ جَاء فيهِ قَصَص كَثيرةٌ.

منها: مَا رَواهُ ابنُ أبِي الدُّنيا قَال: حدَّثني أحْمد بن جَميل، حدَّثنا عَبد اللهِ بنِ المُباركِ، أخبَرنا عَبد الرَّحمن بن عبد اللهِ بن دِينار، عَن زَيد بن أسْلم قَال: «أغْمِي علىٰ المِسْور بن مَخرمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ثمَّ أفاقَ فقَال: أشْهَد أنْ لا إلَه إلا اللهُ وَأنَّ محَمَّدًا رَسولُ اللهِ، أحَبُّ إليَّ مِن الدُّنيا ومَا فِيها: عبد الرَّحمن بن عَوف فِي الرَّفيقِ الأعْلىٰ مَع الذينَ أنْعَم اللهُ عليهِم مِن النَّبيِّين والصِّدِّيقينَ والشُّهدَاء والصَّالِحين وحَسنَ أولَئكَ رَفيقًا، وَعبد المَلِك والحَجَّاج يَجُرَّان أمْعاءَهما فِي النَّار».

[وقَد ذَكر الحَافظ ابن حَجَر هَذه القِصَّة فِي تَرجَمة الحَجَّاج بن يُوسُف مِن «**تَهذيبِ التَّهْذِيب**»، ثمَّ قَال: هَذا إسْنَاد صَحيح، ولَم يَكن لِلحجَّاج حَينئذٍ ذِكر، ولا كَان عَبد المَلك وَلِي الخِلافة بَعْدُ، لأنَّ المِسْوَر مَات فِي اليَوم الذِي جَاء فيهِ نَعيُ يَزيد بنِ مُعاويَة مِن الشَّام، وذَلك فِي رَبيع الأوَّل سَنةَ أرْبع وسِتِّين مِن الهِجْرة. انتهىٰ][(١)].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب: ما رَواه أبُو نُعيم فِي «**الحِليَة**» فِي تَرجَمة عُمر بن عَبد العَزيز رحِمَه اللهُ تَعالىٰ، عَن أبِي حَازم الخناصِري الأسَدِي. فقَد ذَكر أبُو نُعيم لَه قِصَّة طوِيلة مَع عُمر رَحِمَهُ اللهُ، وفيها: «أنَّ عُمر أُغمِي عَليه وَرأىٰ أنَّ القِيامَة قَد قَامتْ، وأنَّه أُوقِفَ بَين يَدَي اللهِ، وأنَّ اللهَ رَحمهُ وأمَر بِه إلىٰ الجَنَّة.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣٥٧)، وانظر: «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢١١).

قال: فبيْنَا أَنَا مَارٌّ مَع المَلكَين المُوَكَّلينِ بِي إذْ مَررتُ بِجيفَة مُلقاةٍ عَلىٰ رَماد فَقلتُ: مَا هَذه الجِيفة؟ قَالوا: ادْنُ منهُ وسَلهُ يُخبِرك، فَدنوتُ منهُ فَوكزتُه بِرجْلي وقُلت لَه: مَن أنت؟ فَقال لِي: مَن أنْت؟ قُلت: أنَا عُمر بن عبد العَزيز، قَال لي: مَا فَعل اللهُ بِك وبِأصحابِك؟ قُلت: أمَّا أرْبعة فأُمِر بِهم ذَات اليَمين إلَىٰ الجَنَّة، ثُمَّ لا أدْري مَا فَعل اللهُ بِمن كَان بَعد عَلي.

فَقال لي: أنْتَ ما فَعل اللهُ بِك؟ قلتُ: تَفضلَ عَليَّ رَبي وتَدارَكني مِنه بِرحمَة، وقَد أمَر بِي ذَات اليَمين إلَىٰ الجَنَّة، فقَال: أنَا كَما صَرت، ثلاثًا، قُلت: أنْت من أنْت؟ قال: أنَا الحجَّاج بن يُوسُف، قُلت لَه: حَجَّاج، أرْدُدها عَليه ثلاثًا، قُلت: مَا فَعل اللهُ بِك؟ قَال: قَدمتُ عَلىٰ ربٍّ شَديد العِقَاب، ذِي بَطشَة مُنتَقمٍ مِمَّن عَصاه، قَتلنِي بِكلِّ قِتلة قَتلتُ بِها مِثلها، ثُمَّ هَأنَذَا مَوقوفٌ بين يَدي رَبِّي أنْتَظر مَا يَنتظِرُ المُوَحِّدون مِن رَبِّهم، إمَّا إلَىٰ جنَّة وإمَّا إلَىٰ نَار». [وقد ذكَرَ هذِه القِصَّة ابنُ الجَوزِي فِي «سِيرة عُمر بن عَبد العَزيز» وذَكرهَا غَيرُه][(١)].

ومن القصَصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره ابن كَثير في «**البِدايَة والنِّهَاية**»[(٢)]، عَن الأصْمَعي، عَن أَبِيه قَال: «رأيتُ الحَجَّاج فِي المَنام فَقلتُ: مَا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩٩)، وغيره، وفي إسناده بقية بن الوليد يدلس ويسوي وقد عنعنه، وفيه أيضًا من لم يسم، والخناصري هذا لم أقف علىٰ من تكلم فيه بجرح ولا تعديل.

(٢) (٩/ ١٣٩).

فَعل اللهُ بِك؟ فَقال: قتَلني بِكل قِتلَة قَتلتُ بِها إنْسَانًا، قَال: ثمَّ رأيتُه بعْد الحَول، فَقلتُ: يَا أبا مُحمَّد، مَا صَنع اللهُ بِك؟ فَقال: يَا مَاصَّ بَظْر أُمِّه! أمَا سَألتَ عَن هَذا عَامَ أول؟

وقالَ القَاضي أبُو يوسف: كُنتُ عِند الرَّشيد فَدخل علَيه رَجلٌ فقَال: يَا أميرَ المُؤمِنين، رَأيتُ الحجَّاج البَارحَة فِي النَّوم، قَال: فِي أي زِيٍّ رأيتَه؟ قالَ: فِي زي قَبيح، فَقلتُ: مَا فعلَ اللهُ بكَ؟ فَقال: مَا أنْتَ وَذاك يَا مَاصَّ بظرِ أُمِّه! فَقال هَارون: صَدق واللهِ، أنتَ رأيتَ الحجَّاج حقًّا. مَا كانَ أبو مُحمَّد ليَدعَ صَرامَته حيًّا وميتًا».

ورَوَىٰ حَنبلُ بن إسْحَاق بإسنَادِه عَن أشْعَث الحدَّاني قَال: «رأيْتُ الحجَّاج فِي المَنام فِي حالٍ سَيئة، فقلتُ: يَا أبَا مُحمَّد، مَا صَنع بِك ربُّك؟ قَال: مَا قَتلتُ أحَدًا قِتلةً إلا قَتلني بِها، قالَ: ثُمَّ أمَر بِي إلَىٰ النَّار، قُلت: ثُمَّ مَه؟ قَال: ثُمَّ أرْجُو مَا يَرجُو أهلُ لا إلَهَ إلا اللهُ». [وَقد رَواه عَبد اللهِ بنِ الإمَام أحْمَد فِي «**زوَائِد الزُّهد**» بِنحوه][1].

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه الخَطيب البَغدَادي في «**تَاريخِه**»[2]، عَن أحمد بن الدَّوْرَقي قَال: «ماتَ رجلٌ مِن جِيرانِنا شَابٌّ فرَأيتُه

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٠١) لابن عساكر، و«البداية والنهاية» (٩/ ١٣٩) لابن كثير.

(٢) (٧/ ٥٣١).

فِي اللَّيلِ وَقد شابَ فَقلت: مَا قصَّتُك؟ قَال: دُفن بِشْرٌ فِي مقْبَرتِنا فزفَرت جَهنَّم زَفرَةً شَابَ مِنها كُلُّ من فِي المَقبرة».

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا روَاه الخَطيبُ فِي «**تَاريخِه**»وابْن الجَوزِي فِي «**مَناقِب أحْمَد**»، عَن عبد اللهِ بنِ المُبارك الزَّمِن قَال: «رأيْتُ زُبيدَة فِي المَنام فقُلت: مَا فعل اللهُ بكِ؟ قالَت: غَفر لِي بِأوَّل مِعول ضُرب فِي طَريق مَكَّة، قُلت: فَما هذِه الصُّفرة فِي وَجهك؟ قَالت: دُفنَ بينَ ظَهرانِينا رَجلٌ -يقَال لَه: بِشر المَريسي- زَفرت علَيه جَهَنَّمُ زفْرَةً فاقْشَعرَّ لَها جْلدي، فَهذه الصُّفرَة مِن تِلكَ الزَّفرة»(١).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب: مَا رَواهُ الخَطيبُ أيضًا(٢)، عَن سُفيان بن وكِيع قَال: «رأيْتُ كَأنَّ جهنَّم زَفرَت فخرَجَ مِنها اللَّهبُ، فقلْت: مَا هذا؟ قَال: أُعدَّت لابن أَبِي دُؤاد».

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه الآجُرِّي فِي كتَاب «**الشَّرِيعة**»، عَن بَقيَّة بن الوَليد قَال: حدَّثني أبُو غِيَاث قَال: «بينَا أنَا أُغسِّل رَجلًا مِن أهْلِ القَدر. قَال: فَتفرقُوا عنِي، فَبقيتُ أنَا وَحدي، فقُلت: ويْل للمُكذِّبين بِأقْدار اللهِ، قَال: فانْتَفض حتَّىٰ سَقط عَن دفه.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦/ ٦١٩)، و«مناقب أحمد» (ص٦٢٧).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٣٣).

قَال: فلمَّا دفنَّاه عِند بَاب الشَّرقي رأيتُ فِي ليلَتِي تِلك فِي مَنامِي كأنِّي مُنصَرفٌ مِن المَسجدِ إذَا بِجنازَة فِي السُّوق يَحمِلها حَبشيَّان رِجلاهَا بَين يَديهِما، فَقلت: مَا هذا؟ قَالوا: فُلان، قُلت: سُبحانَ اللهِ! ألَيْس قَد دفنَّاه عِند بَاب الشَّرقي؟ قالَ: دَفنتمُوه فِي غيرِ موضِعه، فقلتُ: واللهِ لأتْبَعنه حتَّىٰ أنْظر مَا يصنع بِهِ. فلمَّا أن خَرجوا بِه مِن بَاب اليَهودِ مَالوا بِهِ عَلىٰ نَواوِيس النَّصارىٰ فَأتوا قَبرًا منْها فَدفنُوه فيه، فبدَت لِي رِجلاه، فَإذا هوَ أشدُّ سَوادًا مِن اللَّيل»[1].

ومنَ القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا، ما ذَكره ابن حَجر الهَيتَمي فِي مُقدِّمة كِتابه «الزَّواجر عَن اقْترافِ الكَبائر»[2]، عنْ إبْراهِيم التَّيمِي قَال: «كُنت كَثيرَ التَّردُّد إلَىٰ المَقابر أذكُر المَوتَ والبِلىٰ. فبَينما أنَا ذاتَ ليلَة بِها إذْ غَلبتْني عينَاي فنِمتُ فَرأيت قَبرًا قد انْشقَّ، وسَمِعتُ قائلًا يقول: خذوا هَذه السِّلسلةِ فَاسلُكوها فِي فيهِ وأخْرجُوها مِن دُبرهِ، وإذَا المَيِّت يقُول: يَا ربِّ، ألَمْ أكنْ أقرأ القُرآنَ؟ ألَمْ أحُج بَيتك الحَرام؟ وجَعل يُعدِّد أفعَال البِر شيئًا بعْد شَيء، وإذَا قائل يَقول: كُنتَ تفْعَل ذَلكَ ظَاهرًا، فَإذا خلَوت بَارزْتَني بالمَعاصي ولَم تُراقِبني».

ومن القَصص فِي هذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره اللالكائي فِي كِتابه «شَرح السُّنَّة»، عَن يُوسف بن الحَسن بن إبْراهيمَ الخَيَّاط، قَال: «كانَ فِي الجانِب

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٩٦٣) (٥٦٢).

(٢) (١/ ٢٤).

الشَّرقي فِي وَقت أَبِي الحَسن بن بُويه رَجلٌ دَيلمِي مِن قُوَّاده يُسمىٰ (جبنة) مَشهور وَجه مِن وجُوه عَسكَره.

ويذكُر جَماعة مِن الحَاضرين لِهذه الحِكاية أَنَّه كَان رَجلًا مَشهورًا لَه مَال ونَجدة وجَمَال، قَال: بَينَما هو وَاقفٌ يومًا فِي مَوسِم الحَاج بِبغدَاد، وَقد أَخذَ النَّاس فِي الخُروج إلَىٰ مكَّة، إذْ عَبر بِهِ رَجل يُعرف بِعلي الدَّقَّاق -معَافِري-.

قَال يُوسف: هُو حدَّثني بهذِه القِصَّة إذ هُو صَاحبُها والمُبتلىٰ بِها، وكُنت أَسْمع غَيره مِن النَّاس يذْكرُونها لشُهرتِها إلا أنِّي سَمعتُه يقُول: عَبرت عَلىٰ جبنة، فقَال لي: يَا عَلي، هُو ذا تَحُج هَذه السَّنة؟

قلتُ: لَم تتفِق لِي حَجَّة إلَىٰ الآنِ، وأنَا في طلَبِها، فَقال لِي جَوابًا عَن كَلامي: أنَا أُعطيك حَجَّة، فَقلت لَه: مِن غَير أنْ يَصح فِي نَفسي كَلامُه، هاتِها.

فقَال: يَا غُلام، مُرَّ إلىٰ عُثمانَ الصَّيرَفِي وقُل لَه: يزنُ لكَ عِشرين دِينارًا، فمَررْت مَع غُلامه فوزن لَه عُثمان عِشرين دِينارًا ورَجعتُ إليهِ، فقال لي: أصْلِح أمُورك، فإذَا عزَمتَ عَلىٰ الرَّحيلِ فأرِني وَجهَك لأوُصِيك بِوصيَّة.

فانْصرفتُ عَنه وهيَّأت أمُوري فَرجعت إلَيهِ فَقال لِي: أوَّلًا قَد وَهبت لكَ هَذه الحَجَّة وَلا حَاجة لِي فيهَا، ولَكن أحَمِّلك رِسالة إلَىٰ مُحمَّد، فَقلتُ: مَا هي؟ قالَ: قُل لَه: أنَا بَريء مِن صَاحبَيك أَبِي بكرٍ وعُمر اللذين هُما مَعك.

ثمَّ حَلَّفني بالطَّلَاق أنَّك لتَقولنَّها وَتُبلغنَّ هذِه الرِّسالة إلَيه. فَورد عَليَّ مَورد

عَظيم، وخَرجت مِن عِنده مَهمومًا حَزينًا، وحَججتُ وَدخلْت المَدينَة وزُرتُ قَبر رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصِرت مُتردِّدًا فِي الرِّسالة أبَلِّغها أمْ لا، وفكَّرْت فِي أنِّي إنْ لَم أبَلِّغها طَلَّقت امْرأتي، وإنْ بَلَّغتُها عَظمت عليَّ ممَّا أواجِه بِهِ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاستَخَرتُ اللهَ تَعالىٰ فِي القَول، وقُلت: إنَّ فَلان بن فُلان يَقُول كَذا وكَذا، وأدَّيت الرِّسالة بِعينِها، واغْتَممتُ غَمًّا شَديدًا، وتنَحَّيت ناحِية فغَلبَتنِي عَينَاي، فرأيتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَال: قَد سَمعت الرِّسالَة التِي أدَّيتَها، فإذا رَجعتَ إلَيهِ فَقل لَه: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُول لَك: «أبشِر يَا عَدُوَّ اللهِ يَومَ التَّاسِع وَالعِشرِين مِن قُدُومِك بَغدَادَ بِنارِ جهَنَّم».

وقُمت وخَرجتُ ورَجعتُ إلَىٰ بغْدادَ، فَلمَّا عَبرتُ إلَىٰ الجانبِ الشَّرقي فكَّرت وقلتُ: إنَّ هَذا رجلُ سُوء، بَلَّغت رِسالَته إلَىٰ رَسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبلِّغ رِسالَته إِليه، ومَا هُو إلا أنْ أُخبرُه بهَا حتَّىٰ يأمُر بِقتْلي أو يَقتُلني بِيده، وأخَذتُ أقَدِّم وأؤخِّر، فَقلت: لأَقولنَّها ولَو كانَ فِيها قَتلي، وَلا أكْتُم رِسالَته وأخَالِف أمرَه.

فدخَلتُ عَليه قَبل الدُّخول عَلىٰ أهْلي، فمَا هُو إلا أنْ وَقعت عَينُه عليَّ فَقال لي: يَا دقَّاق، مَا عِملتَ فِي الرَّسالَة؟ قُلتُ: أدَّيتُها إلَىٰ رَسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن قَد حَمَّلني جوابَها، قَال: مَا هي؟ فَقصصتُ عَليه رؤياي.

فَنظر إليَّ وقالَ: إنَّ قَتل مِثلِك عَليَّ هيِّن -وسَبَّ وشَتَم- وكَان بَيدِه زوبين يهزُّه فَهزَّه فِي وَجهي، ولكِن لَأتْرُكنَّك إلَىٰ اليَوم الذِي ذَكرتَه ولأقتلنَّك بِهذا الزَّوبينَ -وأشَار إلَىٰ الزَّوبين- ولامني الحاضِرُون، وقالَ لغُلامِه: احْبِسه فِي الإصطَبل وَقيِّده.

فَحُبستُ وقُيدتُ وجَاءني أهْلِي وبَكوا عليَّ ورثَوا لِي وَلامُوني، فَقلت: قُضِي الذي كَان، وَلا مَوت إلا بِأجَل، ولَم تَزل تَمر بِي الأيَّام والنَّاس يتَفقَّدُوني ويَرحمُوني ممَّا أنَا فيهِ.

حتَّىٰ مضت سبعة وعشرِين يَومًا، فلمَّا كَانت الليلَة الثَّامِنة والعِشرون اتَّخذ الدَّيلمِي دَعوة عَظيمةً أحْضَر فيهَا عامَّة وَجوه قُوَّاد العَسكر وجَلس مَعهم للشُّربِ، فلمَّا كانَ نِصف الليلِ جَاءني السَّايس فقَّال: يَا دقَّاق، القَائد أخَذتْه حُمَّىٰ عَظيمَة وقَد تَدثَّر بجَمِيع مَا في الدَّار وَوقع عليهِ الغِلمانُ فَوق الثِّياب وَهو يَنتفِضُ فِي الثِّياب نَفضًا عَظيمًا، وكانَ علَىٰ حاله اليَوم الثَّامن والعِشرين، وأتَت لَيلة التَّاسع والعِشرين، ودَخل السايس نصْف اللَّيلِ وَقال: يَا دقَّاق، مَات القَائد.

وحلَّ عَني القَيد، فَلمَّا أصبحْنا اجْتمَع النَّاس مِن كُل وَجه وجَلس القُوَّاد للعَزاء وأُخرِجْت أنا. وكَانت قِصَّتي مَشهورة واستَعادوني فَقصصْت علَيهم، ورَجع جَماعةٌ كثيرَةٌ عَن مذاهبِهم الرَّدِيئة وخُلِّيت أنا»(١).

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٢) (٢٣٧٢).

ومنَ القصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: ما ذَكَره ابنُ أَبِي الدُّنيا قَال: حدَّثني أبُو بَكر الصَّيرفي قال: «ماتَ رَجلٌ كَان يشتِمُ أبَا بَكر وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ويَرىٰ رَأي جَهم، فأُريه رَجلٌ فِي النَّوم كأنَّه عُريَان عَلىٰ رأسِه خِرقَة سَوداء وعَلىٰ عَورتِه أخْرىٰ، فقالَ: مَا فَعل اللهُ بِك؟ قَال: جَعلنِي مَع بَكر القَس وعَوْن بن الأعْسَر، وهذَان نصْرَانيان»[١].

[وقَد ذَكر هَذه القِصَّة ابنُ الجَوزِي فِي «**سيرَة عُمر بن الخَطَّاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»].

ومِن القَصص التِي تَدخُل فِي هَذا البَاب: مَا ذَكَره ابنُ أَبِي الدُّنيا، عَن سَعيد بن خالِد بن يَزيد الأنْصَاري، عَن رَجل مِن أهْل البَصرَة كَان يَحفُر القُبور قَال: «حفَرت قَبرًا ذاتَ يَوم وَوضعْتُ رَأسِي قَريبًا مِنه، فَأتتْني امْرَأتان فِي مَنامي فَقالت إحداهُما: يا عَبد اللهِ، نَشَدْتُك بِاللهِ إلا صَرفتَ عنَّا هَذه المَرأةِ ولَم تَجاوِرنَا بهَا، فاسْتَيقَظتُ فَزِعًا، فَإذا بِجنَازة امْرأةٍ قَد جِيء بِها، فقُلت: القَبر وَراءَكم، فَصرفْتُهم عَن ذَلك القَبر، فلمَّا كَان اللَّيل إذَا أنَا بِالمَرأتَين فِي منَامي تَقول إحدَاهما: جَزاكَ اللهُ عنَّا خيرًا، فلقَد صَرفتَ عنَّا شَرًّا طَويلًا»[٢].

ومنَ القَصص التِي تَدخل فِي هَذا البَاب أيضًا، ما رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عَن عَمرو بن مُسلم، عَن رَجل حَفَّار للقُبور قَال: «حفرْتُ قَبرَين وَكنتُ فِي الثَّالث،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٣٧).

فاشتدَّ عليَّ الحرُّ فألقيْتُ كِسائِي عَلىٰ مَا حَفرت واستَظلَلتُ فيهِ.

فبينا أنَا كَذلكَ إذْ رَأيتُ شَخصين عَلىٰ فَرسين أشْهبَيْن فوقَفَا عَلىٰ القَبر الأوَّل، فقَال أحدُهما لِصاحبِهِ: اكتُب. قَال: مَا أكتب؟ قال: فَرسَخ فِي فَرسَخ.

ثمَّ تَحوَّلا إلَىٰ الآخر فقَال: اكْتب، قَال: وَما أكْتُب؟ قَال: مَدَّ البصر. ثمَّ تحولَا إلَىٰ الآخَر الذِي أنَا فيهِ قال: اكْتُبْ، قَال: وَما أَكتُبُ؟ قَال: فِتْر فِي فِتْر.

فقعَدتُ أنْظُر الجَنائزَ فِجيء بِرجلٍ مَعه نَفرٌ يَسيرٌ فَوقفوا عَلىٰ القَبرِ الأوَّل، قُلتُ: مَا هَذا الرَّجل؟ قَالوا: إنْسانٌ قَرَّاب -يَعْنِي سَقَّاء- ذُو عِيَال ولَم يَكن لَه شَيء فَجَمعْنَا لَه، فَقلتُ: رُدُّوا الدَّراهِم عَلىٰ عِيالِه، وَدفنته مَعَهم.

ثُمَّ أُتي بِجنَازة لَيس مَعها إلا مِن يَحمِلُها، فَسألوه عَن القَبر الذِي قَال مَدَّ البصر، قُلت: مَن ذَا الرَّجل؟ قَالوا: إنْسانٌ غَريبٌ مَات عَلىٰ مَزبلَة وَلم يَكن مَعه شَيءٌ، فَلم آخُذ مِنهم شَيئًا، وصلَّيتُ عَليه مَعهم. وقَعدْت أنْتِظر الثَّالث فَلم أزل أنْتَظر إلَىٰ العِشاء، فَأُتِي بِجنَازة امْرأة لَبعضِ القُوَّاد فَسألتُهم الثَّمن فَضربُوا بِرأسِي ودَفنُوها فيهِ»(١).

ومنَ القَصَص التِي قَد اجْتَمع لِصاحِبها رُؤيَة عَمله الحَسن وعَملِه الخَبيثِ: مَا رَواه ابنُ أبِي الدُّنيا فِي كتابِ «**مَن عَاش بَعْد المَوْت**»، عَن أبِي مَسعود

(١) انظر: «أهوال القبور» (ص٢٠) لابن رجب، و«شرح الصدور» (ص١٥٦) للسيوطي، و«البحور الزاخرة» (١/ ١٥٩) للسفاريني.

الجُرَيرِي قَال: ذَكر شَيخٌ فِي مَسجدِ الأشْيَاخ كَان يُحدِّثُنا عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: «بينَما نَحنُ حَول مَريضٍ لَنا؛ إذْ هَدأ وسَكن حتَّىٰ مَا يَتحرَّك مِنه عِرق، فَسجَّيناه وأغْمضْنَاه وأرْسلنَا إِلَىٰ ثِيابه وسِدره وسَريرِهِ.

فلمَّا ذهَبنا نحمِلُه لِنُغَسِّله تَحرَّك، فَقلنا: سبْحَان اللهِ! مَا كُنَّا نراكَ إلا قَد مِتَّ، قال: فَإني قَد مِتُّ وذُهبِ بِي إِلَىٰ قَبري، فإذَا إنْسانٌ حَسن الوَجه طَيبُ الرِّيح قَد وضَعَني فِي لَحدي وطَواه بِالقَراطِيس، إذْ جَاءت إنْسانَة سَوداء مُنتِنة الرِيح فقَالت: هَذا صَاحب كَذا، وهَذا صَاحبُ كَذا، أشْياء واللهِ أستَحي مِنها، كأنَّما أقلَعتُ عنْها سَاعتئِذ.

قَال: قُلتُ: أنْشُدُك أنْ تَدَعني وَهذِه، قَالت: انْطلِق نُخاصِمك، قَال: فانْطَلقنا إِلَىٰ دَار فَيحاء وَاسِعة، فيهَا مَصطَبَة كأنَّها مِن فِضَّة، فِي نَاحية مِنها مَسجدٌ وَرجلٌ قَائمٌ يُصلي، فَقرأ سُورةَ النَّحل، فتَردَّد فِي مَكان مِنهَا فَفَتحْتُ عَليه.

فانْفَتل فَقال: السُّورة مَعك؟ قُلت: نَعم، قَال: أمَا إنَّها سُورة النِّعَم، قَال: ورَفع وِسَادة قَريبة مِنه فأخْرَج صَحيفة فَنظر فيهَا فَبدرته السَّودَاء فقالت: فَعل كَذا وفَعَل كَذا. قَال: وجَعل الحَسن الوَجْه يَقول: وَفعل كَذا وَفعل كَذا. يَذكُر مَحاسن.

قَال: فَقال الرجل: عبْدٌ ظَالم لِنفسِه، لَكن اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَجاوز عَنه، لَم يَجِئ أجْل هَذا بَعْدُ، أجْل هَذا يَوم الإثْنينِ، قَال: فَقال لَهم: انْظُروا، فَإنْ مِتُّ يَوم

الإثْنينِ فَارْجُوا لِي مَا رأيتُ، وإنْ لَم أمُت يَوم الإثْنينِ فَإنَّما هُو هَذيان الوَجَع.
قال: فلمَّا كَان يَوم الإثْنينِ صَحَّ حتَّىٰ بَعد العَصرِ، ثُمَّ أتَاه أجَله فَمات.

وفي هذا الحَديث: فلمَّا خَرجْنا مِن عنْد الرَّجل قُلتُ للرَّجل الحَسن الوَجه الطَّيب الرِّيح: مَا أنْت؟ قال: أنَا عَملك الصَّالح، قُلت: فَما الإنْسانة السَّوداء المُنتِنَة الرِّيح؟ قَال ذَاك عَملُك الخَبيثُ، أو كَلام يُشبِه هَذا»(١).

ومنَ القَصص عَن إمَام القَائلينَ بِوَحدَة الوُجودِ: مَا ذكَره شَيخ الإسْلام أبُو العبَّاس ابن تَيمِية رَحِمَه اللهُ تَعالىٰ قَال: حدَّثني الفَقيهُ الفَاضِل تَاجُ الدين الزنبَاري، أنَّه سَمع الشَّيخ إبْراهيم الجَعْبري يَقول: «رأيْت فِي منَامي ابنَ عرَبي وابْن الفَارض وهُما شيْخَان أعَميَان يَمشيَان ويتَعثَّران ويَقولان: كَيف الطَّريق؟ أيْن الطَّريق؟

قال: وحدَّثني شِهاب الدِّين المِزِّي، عن شرَف الدِّين ابن الشَّيخ نَجم الدِّين بن الحَكِيم، عَن أبِيه أنَّه قَال: «قدِمتُ دِمشْق فَصادَفتُ مَوت ابن عَربي، فرأيْتُ جِنازَته كأنَّما ذُرَّ عَليها الرَّمادُ، فرَأيتُها لا تُشبهُ جَنائزَ الأوْلياء»؛ انتهىٰ. [وهُوَ فِي صَفحَة (٢٤٦ - ٢٤٧) من المجلَّد الثَّاني مِن «مَجموع الفَتَاوىٰ»].

ومِن قَصَص طوَاغِيت البَاطنِيَّة العُبيدِيِّين: ما ذَكَره ابن عِذَارِي المَرَاكشي فِي كِتابه المُسمَّىٰ بـ«**البَيَان المُغرب فِي أخْبَار الأنْدلس والمَغْرب**»، نقلًا عَن أبِي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٦٤).

عَبد اللهِ مُحمد بن سَعدون بن عَلي فِي تَأليفه فِي «**تَعزِية أهْل القَيروان بِما جَرىٰ علَىٰ البُلدَان مَن هَيجَان الفِتن وتَقلُّب الأزْمَان**».

فقد ذَكر فِي صفحة (٢٨١) مِن الجُزء الأَوَّل: «أنَّ أوَّل مَن نَصب الدَّعوة للعُبيديين عَبد اللهِ بن مَيمون القَدَّاح الأهْوَازي لَعنه اللهُ، وَكان ادَّعىٰ النُّبُوَّة -ثُمَّ ذَكر دُعاتَهم- قَال: فَمنهُم رجُلان أحدُهما يُعرفُ بالنَّجار الكُوفي، فَخرجَا مِن الشَّام وتَغلَّبا عَلىٰ اليَمن، فأنْزَل اللهُ عَليه الآكلة فتقَطَّع قِطعًا حتَّىٰ مَات.

وأمَّا الكُوفي فَرماه اللهُ بِداء فِي جَوفه، فَكانت أمْعَاؤه تَخرج مِن دُبره حتَّىٰ مَات».

ثُمَّ قَال في صفحة (٢٨٤) منَ الجُزء المَذكُور: «وخرَج فِي دَولَة عُبيد اللهِ شَيخ للسَّفرِ وَمعهُ خَيل فَباتُوا فِي مَسجِد بِخيُولهم، فقِيل لَهم: كَيف تُدخِلون خُيولَكم المَسجِد؟ فَقال لَهم الشَّيخ وأصحَابُه: إنَّ أوْرَاثَها وأبْوَالها طَاهرة لأنَّها خَيل المَهدِي، فَقال لَهم القَيِّم بِالمسجِد: إنَّ الذِي يَخرُج مِن المَهدي نَجس، فَكيف الذِي يَخرج مِن خَيله، فقَالوا لَه: طَعنت عَلىٰ المَهدي، وأخَذُوه وذَهبوا بهِ إليهِ فَأخرجَه عَشيَّة جُمعَة فَقتَله.

فلمَّا قُرِّب للمَوت دَعا عَليه، فَأجابَ اللهُ دَعاءَه، فامْتَحنه بِعلَّة قَبيحَة يُقال لَها: حبُّ القَرع، وَهي دُود عَلىٰ صُورة حَب القَرع فِي آخِر مَخرجِه يَأكل أحشَاءه ومَا وَالاها، فَكان يُؤتىٰ بأذناب الكِباش العَظيمة فَيستدخلها في

نَفسه لَيشتَغل عَنه الدُّود بِها، فيجدُ لِذلكَ بَعض رَاحة لشَغلهَا بالأذْنَاب، ثُمَّ يُخرج الأذَناب وقَد هتَكها الدُّود فَيدخِل أخرىٰ في دُبرِه، ثُمَّ لَم يزل الدُّود يَأكل حتَّىٰ انقَطعت مَذَاكرُه وهَلك.

ولمَّا هَلك أتِي بابن أخْت الغسَّاني المُقْرئ ليقْرَأ عنْد رَأسِه، وكَان مِن أطيَب النَّاس قِراءة، وحَوْلَ عُبيد الله أبناؤه يَبكون عَليه، فقالَ البَغدَادي للغَسَّاني: اقرأ، قَال: فطلبْتُ مَا أقْرأ مِن القُرآن فَلم أتَذكَّر مِنه إلا قَوله تَعالىٰ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُـمُ ٱلنَّـارَ﴾ [هود: ٩٨] إلىٰ آخر الآية.

قال: فَطَلبتُ غَير هَذه الآيَة أقرأه فَلم أقدِر، فكُنتُ أرَدِّدها حتَّىٰ خَشيتُ عَلىٰ نَفسي أنْ يَفيقُوا مِن بُكائِهم، فيَتأمَّلُون قِراءَتي فَيقتُلوني فَتسلَّلتُ وخَرَجت».

وذَكَر: «أنَّ الحجَر الأسْوَد أرْسله اللَّعين الجنابِي إلَىٰ عُبيد اللهِ بِالمَهدِيَّة فَلم يَلبثْ إلا أيَّامًا وَهَلك، فلمَّا دُفنَ طَرحتْهُ الأرْضُ ثُمَّ دُفنَ فَطرَحَتهُ الأرْضُ، ثلاثًا، فقَيل لابْنهِ أبِي القَاسم: إنَّ هذا لأجل هَذا الحَجر فَاردُدْه حيثُ كَان، فَأمرَ بإخراجه وَردَّه إلَىٰ مَوضعِه، فعِند ذَلك استَقرَّ عُبيد الله في قَبرِه».

وذكر أيضًا: «أن إسْمَاعيل بن أبِي القَاسم لمَّا وَلِي بَعد أبيهِ أظْهَر للعَامَّة الجَميل، فَلمَّا استَفْحل أمْرُه وقَويَتْ شَوكتُه أرَاد أنْ يَنتقِمَ مِن المُسلِمينَ فِيمَا تقدَّم لهمْ مِن حَربهِ وحَرب أبِي القَاسم والِده، فحَال اللهُ عَزَّوَجَلَّ بينَه وبينَ مَا أرادَ، وأجَاب دُعاء المُؤمنينَ فيهِ، فأهْلَكه أهْلَه بالعَطشِ حتَّىٰ مَات».

ثمَّ ذكر: «أنَّ مَعد بن إسْماعيل بن أبِي القَاسم بن عُبيد اللهِ، ادَّعىٰ النُّبوة، وصَوَّت المُؤذِّن بذلِكَ فَوق صَومعة القَيرَوان بِأمْرِه.

فابْتَلاه اللهُ بِعلة الاسْتِسقَاء، فَكان الذِي يقْعُد عِندَ رَأسهِ لَا يَرىٰ رجْلَيه، وَسالت عَيناه وَسقَطت أسنَانه، وأرَاه اللهُ العِبرَةَ فِي نَفسهِ ثُمَّ مَات».

* * *

فصل

وإذَا عُلِم مَا تقَدَّم ذِكرُه مِن قصَص المُعذَّبين فِي القبورِ، وأنَّ اللهَ تعالىٰ قد أطْلع بَعضَ الأحياءِ علىٰ عذَاب بَعض الأمْوات، فليُعلَم أيْضًا أنَّه يجِب الإيمَان بِنعيمِ القَبر وعَذابه.

فالنَّعيم فيهِ للمُتقين، والعَذاب للكُفَّار والمُنافقين والمصِرِّين علىٰ الكَبائر إذا مَاتوا مِن غير توبة.

وقَد رَوىٰ التِّرمذي، عَن أبِي سَعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إنَّمَا القَبرُ رَوضَة مِن رِياضِ الجَنَّة، أو حُفرَة مِن حُفرِ النَّار**».

[**قَال التِّرمِذي**: هَذا حَديث حَسنٌ غَريب][(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢٣١).

ورَوىٰ التِّرمِذي أيضًا، وابنُ مَاجه، وعَبد الله ابنُ الإمَام أحمد، والحَاكم في «**المُستَدرك**»، عن عُثمانَ بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلَ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجا مِنْهُ فما بَعدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَما بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**».

[**قال التِّرمِذي**: هَذا حَديثٌ حَسنٌ غَريبٌ. وصَحَّحَه الشَّيخُ أحْمَد مُحَمَّد شَاكر فِي تَعلِيقِه علىٰ «مُسنَد الإمَامِ أحْمَد»](١).

وقدْ جَاء فِي تَنعِيم المُتَّقِين فِي القُبور، وتَعذيبِ المُجرِمِين فِيها أحَاديثُ كَثيرة، ولَيس هَذا مَوضعَ ذكرها.

وكما أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَد أطْلَع بَعضَ الأحْيَاء عَلىٰ تَعذيبِ بَعض الأمواتِ، فكَذَلِك قَد أَطلَع اللهُ تعالَىٰ بَعضَ الأحْيَاء عَلىٰ مَا حَصَل لبَعضِ الأمْوَاتِ مِن المَغفِرَة والكَرامَة، وذَلكَ مِن طَرِيقِ المُشَاهدَة لِبَعض الأمْوَات، وَمن طَرِيقِ الرُّؤيا الصَّالِحة لِبعضِهم، وقَد جَاء فِي ذَلك قَصَص كَثيرة. وَسَأذكُر مِنهَا مَا تيَسَّر إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ.

فَمنْ ذَلكَ: قِصَّة دَانْيَال. وقَد رَوىٰ قِصَّتَه يُونُس بن بُكير، عَن مُحمَّد بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وعبد الله في «الزوائد علىٰ المسند» (١/ ٦٣) (٤٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٦) (١٣٧٣)، وغيرهم من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٤٧) (١٦٨٤).

إسْحَاق، عن أَبِي خلدَة بن دِينار قال: حدَّثَنا أَبُو العَالية قَال: «لمَّا افْتَتَحنَا تُسْتَرَ وَجدنا فِي بَيتِ مَال الهرْمُزَان سَريرًا علَيهِ رَجلٌ مَيتٌ عِند رَأسهِ مُصحفٌ، فَأخذنَا المُصحفَ فحَمَلنَاه إلَىٰ عُمر بن الخَطَّاب فَدعا لَه كَعبًا فَنسخه بِالعَربِيَّة، فأنَا أوَّل رَجُل مِن العَرب قَرَأه.

قَرأتُه مِثل مَا أقْرَأ القُرآن. فقلْتُ لأَبِي العَالِية: مَا كَان فيهِ؟ قَال: سَيرُكم وأمُورُكم ولُحُون كَلامِكم وَما هُو كائنٌ بَعْدُ.

قلتُ: فَما صَنعْتُم بِالرَّجُل؟ قَال: حفَرْنا بِالنَّهار ثَلاثة عَشر قَبرًا مُتفرِّقَة فلمَّا كانَ بِالليلِ دَفنَّاه وَسوَّينا القُبر كُلَّه لنُعَمِّيه علَىٰ النَّاس فَلا يَنبِشُونه.

قُلت: فَما يَرجُون مِنه؟ **قَال:** كَانت السَّمَاء إِذَا حُبسَت عنْهُم بَرَزوا بسَرِيره فَيمُطَرُون، قَلت: مَن كُنتم تَظُنُّون الرَّجُل؟ قَال: رَجُلٌ يُقال لَه: دَانيال، قُلت: مُنذ كَم وَجدتُّموه قَد مَات؟ قَال: مُنذ ثَلاثِمِائة سنَة، قُلت: مَا تَغيَّر مِنهُ شَيء؟ قَال: لا، إلا شَعَرات مِن قَفَاه، إنَّ لُحوم الأنْبِياء لا تُبْلِيها الأرْضُ ولا تَأكلُها السِّباع»(١).

قالَ ابنُ كَثير(٢): «وَهَذا إسْناد صَحيحٌ إلَىٰ أَبِي العَالِية، ولَكن إنْ كَان تَاريخ وفَاته مَحفوظًا مِن ثَلاثمائة سنة فَلَيْس بِنَبي، بَل هُو رَجُل صَالحٌ؛ لأنَّ

---

(١) انظر: «السيرة» (ص١٧) لابن إسحاق.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠).

عِيسىٰ بن مَريم لَيس بَينَه وبَين رَسول اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَبي بِنصِّ الحَديث الذِي فِي البُّخَاري.

والفَترة التِي كَانت بَينهُمَا أرْبَعمِائة سَنَة، وَقيل: سِتُّمِائَه، وَقيل: سِتُّمِائة وعِشرُون سَنة. وَقد يكُونُ تَاريخُ وَفاتِه مِن ثَمَانِمائة سَنة وَهو قَريبٌ مِن وَقت دَانيَال، إن كَان كَونُه دَانيال هُو المُطَابق لِمَا فِي الأمْرِ نَفسه فإنَّه قد يَكون رَجلًا آخَر إمَّا مِن الأنْبياء أو مِن الصَّالِحين، ولَكن قَويت الظُّنون أنَّه دَانيال، لأنَّ دَانيال كَان قَد أخذَه مَلك الفُرْس فَأقامَ عِندَه مَسجونًا».

قُلتُ: قَد ذَكر ابن إسْحَاق وَابْن جَرير[١] وغَيرُهمَا أنَّ بُخْتنصَّر أخْرَج دَانْيَال مِن السِّجن بِسببِ رُؤيا رَآها وَعَبرَها لَه دَانيَال. وبعْدَ تَعبيرِهِ لِرؤيَا بُخْتنصَّر صَارت لَه مَنزِلَة عَالية عِندَه بِحيث إنَّه كَساه وسَوَّره وطَاف بِهِ فِي القَرية وأجَازَ خَاتَمه. وَقَد ذَكَرتُ قِصَّته مَعه فِي آخِر كِتابي فِي «الرُّؤيا»، فَلتُراجَع هُناك.

ومِن القَصَص أيْضًا: قِصَّة عَبد اللهِ بن الثَّامر -وهُو الغُلام الذِي جَاء ذِكرُه فِي الحَديثِ الطَّويلِ الذِي رَواه الإمَام أحْمَد ومُسلِم والتِّرمِذي، عنْ صُهيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عنِ النَّبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فَقد جَاء فِي هَذا الحَديثِ: «أنَّ المَلَك الذِي كَان الغُلَام فِي زَمانه قَتل الغُلام مِن أجْلِ مُفارَقَته لِدين المَلِك واتِّبَاع النَّاس لهُ عَلىٰ الإيمَانِ بِاللهِ ومخَالَفَة دِين

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٢٤).

المَلك، وَقد ذَكَر اللهُ هَذه القِصَّة فِي قَوله تَعَالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج: ٤، ٥]، إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨]».

وَقَد جَاء فِي آخِر الحَدِيث عِند التِّرمِذي قَال: «فأَمَّا الغُلامُ فإِنَّه دُفن، فيُذكَر أنَّه أخرِج فِي زَمن عُمر بن الخَطَّاب وأصْبَعه علىٰ صَدغِه كَما وضَعَها حِين قُتل»(١).

وقَال ابن إسْحَاق(٢): حدَّثني عبدُ اللهِ بن أَبِي بَكر بن مُحَمَّد بن عَمْرو بن حَزم أَنَّه حُدِّثَ: «أنَّ رَجلًا مِن أَهْلِ نَجرَان كانَ فِي زَمان عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفَر خَرِبَة مِن خِرَب نَجْران لِبَعض حَاجَته، فَوجَدوا عَبد اللهِ بن الثَّامر تَحت دَفن مِنها قَاعدًا وَاضعًا يَدَه عَلىٰ ضَربة فِي رَأسِه مُمسِكًا عَليها يدَه، فَإذا أُخِّرَت يَدُه عَنها تنبَعثُ دَمًا، وَإذَا أرْسِلَت يَده رَدَّها عَليهَا فَأمسَكَت دَمَها، وفِي يَده خَاتَم مَكتُوبٌ فِيه «رَبِّي اللهُ»، فكُتِب فيهِ إِلَىٰ عُمر بن الخَطَّاب يُخْبر بأمْرِه، فَكَتب إليهِم عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنْ أَقِرُّوه عَلىٰ حَالِه وَرُدُّوا عَليهِ الدَّفْن الذِي كَان عَليه، فَفعَلوا».

ومِنَ القَصَص أيْضًا: ظُهورُ قَدَم عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أرَادُوا تَوسِيع المَسْجد النَّبَوي فِي زَمَن الوَلِيد بن عَبد المَلك، وَهِي عَلىٰ حالِهَا لَم تَتغَيَّر،

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٦) (٢٣٩٧٦)، ومسلم (٣٠٠٥)، والترمذي (٣٣٤٠)، وغيرهم. من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «السيرة» (ص١٦).

وَكان ذَلكَ فِي سَنَة ثَمانٍ وَثَمانِين بَعد مَوتِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بَخَمس وسِتِّين سَنة.

وقدْ رَوىٰ ابنُ سَعدٍ فِي «**الطَّبَقات**»، عَن هِشَام بنِ عُروَة قَال: «لَمَّا سَقط الحَائِط عَنهُم فِي زَمن الوَليد بن عَبد المَلك أُخِذَ فِي بِنَائِه فَبدت لَهم قَدمٌ، فَفَزِعوا وظَنُّوا أنَّها قَدم النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، فمَا وَجدوا أحَدًا يَعلمُ ذَلكَ حتَّىٰ قَال لَهم عُروةُ: لا وَاللهِ مَا هِي قَدَم النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، مَا هِي إلا قَدم عُمَر»[(١)].

وَرَوىٰ عُمَر بن شَبة، عَن هِشَام بن عُروَة، عَن أَبيه قَال: «لمَّا سَقَط جِدَار بَيتِ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ وعُمَرُ بن عَبد العَزيزِ يومئذٍ عَلىٰ المَدينَة، انْكَشفَ قَدم مِن القُبورِ التِي فِي البيتِ، فأصَابهَا شَيءٌ فَدَمِيت، فَفَزع مِن ذَلكَ عُمر بن عَبد العزيز فَزعًا شديدًا، فَدَخل عُروةُ البَيتَ فَإذا القَدَم قَدَم عُمر بن الخَطَّاب، فَقال لِعُمر: لا تَفزَع، هِي قَدَم عُمر بن الخَطَّاب، فَأمَر بِالجِدار فَبُني وَرُدَّ عَلىٰ حَالِه».

وِمنَ **القَصَص أيْضًا**: مَا وَقَع لِحمزَة بن عَبد المُطَّلب، وَعبد اللهِ بن عَمرو بن حَرام، وعَمرو بن الجَمُوح، وغَيرِهم مِن الشُّهَداء الذِين قُتِلوا يَومَ أُحُد، فإنَّ أجَسادَهم قَد بَقيت طَريَّة عَلىٰ الحَال التِي كَانوا عَليهَا حِين قُتلوا ولَم يتَغير منْهَا شَيءٌ مَع مُرور السِّنِين الكَثيرة بَعد قَتلِهم.

وَقد رَوىٰ ابن سعْدٍ فِي «**الطَّبَقات**»[(٢)] بإسْنادٍ صَحيح، عَن جَابر بن

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٨)، والبخاري في «الصحيح» (٢/ ١٠٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٦٢) وإسناده منقطع.

عَبد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: «كُفِّن أَبِي فِي نَمِرة وَاحِدة، وَقَال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْفِنُوا عَبْدَ اللهِ بن عَمْرو وَعَمْرو بن الجَمُوح فِي قَبْرٍ وَاحِد؛ لِمَا كَان بَيْنَهُمَا مِنَ الصَّفَاءِ**».

قالَ: وَكانَ قَبرُهما مِمَّا يَلي المَسيلَ، فَدَخله السَّيلُ فَحفر عَنهُما وَعليهِمَا نَمِرَتان، وَعبد اللهِ قَد أصَابهُ جُرحٌ فِي وَجهِه، فَيدُه عَلىٰ جُرحِه فأُميطَت يَدُه عَن جُرحِه فانْبعثَ الدَّمُ، فرُدَّت يَدُه إلَىٰ مَكانِها فَسَكن الدَّم.

قال جَابر: فَرأيتُ أبِي فِي حُفرَتِه كأنَّه نَائمٌ وَما تَغيَّر مِن حَالهِ قَليلٌ وَلا كَثير. فَقيل لَه: فَرأيتَ أكفَانَه؟ قَال: إنَّما كُفِّنَ فِي نَمِرَة خُمِّر بِها وَجهُه وَجُعِل عَلىٰ رِجلَيه الحَرمَل، فَوجدنا النَّمِرة كَما هِي، والحَرمَل عَلىٰ رِجلَيهِ عَلىٰ هَيئَتِه، وبَين ذَلك سِتٌّ وَأربَعون سَنَة.

فَشاورهُم جَابر فِي أنْ يُطيَّب بِمِسك فَأبَىٰ ذَلكَ أصْحابُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقَالوا: لا تُحدِثوا فِيهِم شَيئًا، وَحُوِّلَا من ذَلك المَكان إلَىٰ مَكانٍ آخَر، وَذلِك أنَّ القَناة كَانت تَمرُّ عَليهِما، وأُخْرِجوا رِطَابًا يَتَثَنُّون».

وقد رَواه البَيهَقي فِي «**دَلائِل النُّبُوة**»(١) مِن طَريقِ الوَاقِدي عَن شُيوخِه فَذكره بِنَحوه، وَزاد: ويُقَال: «إنَّ مُعاوِيَة لمَّا أرَاد أنْ يُجري الكَظَامة نَادىٰ مُنادِيه بِالمَدينة: مَن كانَ لَه قَتيلٌ بِأُحد فَليَشهَد، فَخرج النَّاس إلَىٰ قَتلاهم

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩٤) وفي إسناده الواقدي، تقدم.

فَوجدُوهم رِطابًا يَتثنُّون، فَأصابَت المِسْحَاةُ رِجْلَ رَجُلٍ منْهم فانْبَعث دَمًا، فَقال أَبُو سَعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يُنكِر بَعد هَذا مُنكِر. ولقَد كَانوا يَحفُرون التُّراب، فَحَفروا نَثرَة مِن تُراب فَفَاح علَيهم رِيح المِسك». [ورَواه ابنُ قُتَيبة فِي كِتابِه «عيُون الأخْبَار» (٢/ ٣١٨) بِنحوِه، وَفِيه قَول أَبِي سَعيد ولَيس فيهِ مَا بعدَه، وإسنادُه صَحيح].

ورَوىٰ ابنُ سَعد أَيْضًا بإسْنَاد صَحيحٍ، عَن جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «صُرخ بِنا إلَىٰ قَتلانَا يَومَ أحُد حِين أجْرىٰ مُعاوِيَة العَين، فأخْرَجنَاهم بَعد أَرْبعينَ سَنة لَيِّنَةً أجْسَادُهم تَتَثَنَّىٰ أطْرَافُهم»(١).

وقَد رواه البَيهَقي فِي «دَلائِل النُّبُوة»، مِن طَرِيق حَمَّاد بنِ زَيد، عَن أَيُّوب، عَن أَبِي الزُّبير، عَن جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذكره بِنَحوه. قَال: وقَال حمَّاد: «وزَادني صَاحبٌ لي فِي الحَديثِ: فأصَاب قَدمَ حَمزَة فانْثَعَبَ دَمًا».

ورَوىٰ البَيهَقي أيضًا(٢)، عَن ابن إسْحَاق، عَن أَبِيهِ قَال: حدَّثني أشْياخ مِن الأنْصَار قَالوا: «لمَّا ضَرب مُعاوِيَة عينَه التِي مَرَّت علَىٰ قُبورِ الشُّهدَاء استَصْرَخنا عَليهِم وقَد انْفَجرت العَينُ عَليهِما فِي قُبورِهما، فَجئنَا فَأخرجْناهُما وعَليهِما بُردَتان قَد غُطِّي بِهما وُجوهُما وَعَلىٰ أقدَامِهما شَيءٌ مِن نبَات الأرْضِ،

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩١).

(٢) المصدر السابق، وفي إسناده محمد بن إسحاق بن يسار يدلس ولم يصرح، وفيه أيضًا من لم يسم.

فأخرَجْناهُما يَتثنَّيَان تَثَنِّيًا كأنَّما دُفِنَا بالأمس».

ورَوىٰ مَالك فِي «المُوطَّأ»[١]، عَن عبد الرَّحمن بن أَبِي صَعْصَعَة: «أنَّه بَلغَه أنَّ عَمرو بن الجَموحِ وَعبد اللهِ بن عَمرو الأنْصارِيَّين ثُمَّ السَّلَميَّيْن كانا قَد حَفر السَّيلُ قَبرَهما، وَكان قَبرُهما ممَّا يَلي السيل، وكانَا فِي قَبر واحِدٍ، وَهُما مِمَّن استُشهِد يَوم أُحُد، فَحفر عَنهُما لَيُغيرا مِن مَكانِهما فَوُجدا لَم يَتغيَّرا كأنَّهما مَاتا بِالأمس، وكانَ أحدُهما قدْ جُرِحَ فَوضعَ يدَه علَىٰ جُرحهِ فَدُفنَ وهُو كَذلك، فَأميطَت يدُه عَن جُرحهِ ثُمَّ أرسِلت فَرجعت كَما كَانت، وكَان بينَ أُحد وَبين يَوم حُفرَ عَنهما سِتٌّ وَأربعُونَ سَنة».

ورَوَىٰ الإمَام أحمَد والدَّارِمي عَن جَابر بن عَبد اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: بَينَما أنَا فِي خِلافة مُعَاوية بن أَبِي سُفيانَ إذْ جَاءني رَجلٌ فَقال: «يَا جابِر بن عَبد الله، واللهِ لَقدْ أَثَار أبَاكَ عُمَّالُ مُعاوِيَة فَبدا فَخرَج طَائِفة مِنه، فَأتيتُهُ فَوجَدْته علَىٰ النَّحو الذِي دَفنْتُه لَم يَتغَيَّر إلا مَا لَم يَدع القَتل أو القَتِيل، فَوَاريْتُه»[٢].

وَروىٰ أبُو القَاسِم البَغَوي بِإسْناده إلَىٰ أبِي الزُّبَير قَال: سَمِعتُ جَابر بن عَبد اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقُول: «كَتبَ مُعاوِيَة إلَىٰ عَامِله بِالمَدينَة أنْ يُجري عَينَه التِي بأُحُد، فَكتب إلَيه عَامِله: إنَّها لا تَجري إلا عَلىٰ قُبورِ الشُّهداء، فَكتب إليهِ أنْ أنْفِذها.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٨) (١٥٥١٤)، والدارمي (٤٦).

قَال: سَمعْت جَابرًا يَقول: رَأيتُهم يَخرُجون عَلىٰ رِقاب الرِّجال كَأَنَّهم رِجال نُوَّامٌ حتَّىٰ أَصَابت المِسَحات قَدَم حَمزَة فانْبَعثت دَمًا». [وقَد رَوَاه ابن سَعد فِي «**الطَّبَقات**»(١) بِنحوِه].

ومِنَ القَصَص أيضًا: مَا رَوَاه ابن أَبِي الدُّنيا بإسْنَاده إلَىٰ المُثَنَّىٰ بن سَعيد قَال: «لمَّا نَـزلت عَائشَة بنت طَلحَة البَصرَة أتَاها رَجل فَقال: إنِّي رأَيْتُ طَلحَة بن عُبيد اللهِ فِي المَنامِ فقَال: قُل لِعَائِشَة تَحُوِّلُني مِن هذَا المَكَان فَإنَّ البَردَ قَد آذَانِي.

فرَكِبَتْ فِي مَوالِيها وَحشَمِها فَضَربُوا عَليهِ بِناءً واسْتَثارُوه فَلم يَتغير مِنه إلا شَعَرات فِي إحْدىٰ شِقِّ لِحيتِه أو قَال: رَأسِه، حتَّىٰ حُوِّل إلىٰ موضعه. وكانَ بينهُما بِضعٌ وثلاثون سنة»(٢).

ورَوىٰ أيضًا بِإسنادِه إلَىٰ عَلي بن زَيد بن جُدْعَان، عَن أمه(٣) قَالت: «رأيْتُ طَلحَة بن عُبيدِ اللهِ لمَّا حُوِّل مِن مَكانِه، فَرأيتُ الكَافور فِي عَينيهِ وَلم يَتغَير مِنهُ شَيءٌ إلا عَقيصَة مَالت مِن مَكانِها»(٤).

---

(١) انظر: «أهوال القبور» (ص٧٣) لابن رجب، و«الطبقات» (٣/ ١١) لابن سعد.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٨٤).

(٣) هذا تصحيف، والذي في مصدر التخريج: «آمنة»، وهي أُمية بنت عبد الله، ويقال أُمَينة: أم محمد امرأة والد علي بن زيد بن جدعان وليست بأمه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٨٥)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

ومنَ القَصَص أيضًا: مَا أخبَرنا بهِ الشَّيخ عَبد الرَّحمن بن فَارس بن عَبد العزيزِ الفَارس -وَهُو مِن سُكَّان مدِينَة الرِّياض- قَال: «جَاء سَيلٌ عظِيمٌ فِي وَادي حَنيفَة فِي سَنة تِسع وخَمسِين وثَلاثِمائة وَألفْ مِن الهجِرة، فَجَرف النَّاحِية التِي تَلي قُبورَ الصَّحابة الذِين قُتلوا يومَ اليَمامَة في سَنة إحْدَىٰ عَشَرة مِن الهِجْرة، فَحصلتْ فُرجَةٌ فِي أحَد القُبورِ مِمَّا يَلي الوَادي وبَدا جَسدُ المَيتِ الذِي كانَ فِي ذَلك القَبر.

قالَ الشَّيخ عبْد الرَّحمن: فَبلغَني ذَلكَ وأنَا فِي نَاحيَة الجبيلة، فَجئتُ مُسرِعًا فَإذا مَوضِع القَبر مُرتَفع فِي جانِب الوَادي لا يُوصَل إلَيهِ إلا بَسُلَّم.

قال: فَجئتُ بأخْشاب وأسْندتُها إلَىٰ مَوضع القَبر وصَعدْتُ عَليها، فَرأيتُ المَيتَ فِي قَبرهِ لَم يَتغيَّر مِنه شَيءٌ وَكأنَّه نَائمٌ، وَقد كُفِّن فِي شَمْلَة بَيضَاء وَرُبطت الشَّمْلة عَليه بِخُوص النَّخل، وقَد بَدا وَجهُه وَعينَاه وأسْنَانه ورِجْلاه وخَرجَت عَقيصَة مِن عَقائِص رَأسِه طُولُها نَحو ذِراع فتدَلَّت خَارج القَبر.

قَال: فَرفَعتُها وَأدخَلْتُها فِي الكَفن وَوَضعْت يَدي عَلىٰ صَفحَة وَجهِه وكأنَّما وضَعتُها عَلىٰ رَجلٍ نائم. قَال: وَوجهُه أبْيضُ يَميل إلَىٰ السُّمرَة، وَما بَدا مِن شَعَر لِحيتِه فَهُو أشْمَط، وعَينَاه مَفتُوحَتان قَلِيلًا، وَقد بَقي الخُوصُ الذِي رُبطت بِه الشَّملة عَلىٰ لَونهِ أخضر إلا أنَّه يَابس.

قال: ولمَّا عَلِم بهِ أهْلُ الجَبيلَة وَمن حَولهُم جَعلوا يَأتونَ إلَيه وَينظُرون

إليه. فذهبَ إمَام أهْلِ الجَبيلَة وَرئيسُ هَيئة الأمْر بالمَعرُوف عِندَهم إلَىٰ الشَّيخ مُحمَّد بن إبْراهِيم آلِ الشَّيخ فأخْبراهُ بِذلك، فأمَرَهُما أنْ يَأخُذا مَعهما رِجالًا ونَعشًا يَحملُون المَيتَ عَليه، وأَمَرهم أنْ يحْفُروا لَه فِي الليل قبرًا فِي وَسط القُبور ويدفِنُوه ويُعَمُّوا مَوضِع قَبرِه لئلَّا يَفتَتِن به الناسُ، فَفَعلوا».

قلْتُ: لا شَكَّ أنَّ هَذا المَيتَ مِن الشُّهداءِ الذِين قُتلوا فِي المَعركَة التِي كَانت بَين الصَّحَابة وبَينَ أصْحَاب مُسيلِمَة الكَذاب.

فيُحتمل أنَّه مِن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، لأنَّه قَد اشْتُهر عندَ النَّاس أنَّ القُبور التي فِي ذَلكَ المَوضِع قُبور الصَّحابة. ويُحتَمل أنَّه مِن الذِين كَانوا يُقاتِلون مَع الصَّحابة ولَيس مِنهم. والاحْتِمال الأوَّل أقْرَب، واللهُ أعْلَم.

وقدْ كَان بَين مَعركة اليَمامَة وبَين ظُهُور هَذا المَيِّت أَلف وَثلاثمِائَة وثَمان وأرْبَعون سَنة.

ومَع هَذه المُدَّة الطَّويلة فَقد بَقي الشَّهيد عَلىٰ حَاله لَم يَتغيَّر مِنهُ شَيء ولَم يَتغيَّر كَفنُه وَلا الخُوص الذِي رُبطَ بِهِ الكَفنُ، وَفي هذا عِبرَة لأولِي الألْبابِ والعُقولِ السَّليمة.

ومنَ القَصَص أيضًا: مَا رَواه ابن سَعد في «**الطَّبقات**»(١)، عَن رَبِيح بن عَبد

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٣١)، وغيره من طريق محمد بن المنكدر، عن محمد بن شرحبيل ابن حسنة.

الرَّحمن بن أَبِي سَعيد الخُدْري، عَن أبِيهِ، عَن جَدِّه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «كُنتُ أنَا ممَّن حَفر لِسعْد -يَعنِي ابن مُعَاذ- قَبرَه بِالبَقيع، وَكان يَفوحُ عَلينَا المِسكُ كُلَّما حَفرنَا قَتَرَة مِن تُرَاب حَتَّىٰ انْتَهينا إِلَىٰ اللَّحد.

قَال رَبيح: وَلقد أَخْبَرني مُحمَّد بن المُنكَدر، عَن مُحمَّد بن شُرحْبيل بن حَسَنة قَال: أَخذ إنْسَان قَبضَة مِن تُراب قَبر سَعد فَذَهب بِها ثُمَّ نَظر إليهَا بَعد ذَلكَ فَإذا هِي مِسك».

وقالَ ابنُ سَعدٍ أيْضًا: أخبرنَا يَزيدُ بن هَارون قَال: أخْبَرنا مُحمَّد بن عَمرو، عَن مُحمَّد بن المُنكدر، عَن مُحمَّد بن شُرَحبيل بن حَسَنَة: «أنَّ رَجلًا أخذَ قَبضَةً مِن تُرابِ قَبر سَعد يَومَ دُفِن فَفَتحها بَعْدُ فَإذا هِي مِسكٌ».

ومنَ القَصَص أيضًا: مَا ذَكرَه ابن الجَوزِي فِي «**تاريخه**»[1]: «أنَّه فِي سَنة سِتٍّ وَسَبعين وَمائَتَين انْفَرج تلٌّ فِي أرْضِ البَصرَة عَن سَبعَة أقْبُر فِي مِثلِ الحَوض، وفِيها سَبعَة أنْفُس أبْدَانهم صَحيحَة وأكْفَانُهم يَفوح مِنها رَائِحة المِسك. أحدُهم شَابٌّ لَه جُمَّة وعَلَىٰ شَفَتيهِ بَللٌ كَأنَّه شَرب مَاء وَكأنَّ عَينيهِ مُكَحَّلَتان، وأرادَ بعضُ مَن حضَر أنْ يَأخذَ مِن شَعرِه شَيئًا فَإذا هُو قَوي كَشعرِ الحَي».

ومِن القَصصِ أيضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا بإسْناده، عَن يُونُس بن أَبِي الفُرات قال: «حفَر رَجل قَبرًا فَقعدَ يَستظِلُّ فيهِ مِن الشَّمس فَجاءت رِيحٌ بَاردَة فَأصابَت

---

(١) انظر: «المنتظم» (١٢/ ٢٧٣).

ظَهرَه، فَإذا نَقبٌ صَغير فوسَّعَه بإصبَعه فإذَا هُو يَنظُر مَدَّ البصَر، وإذَا شَيخٌ مَخضوبٌ كَأنَّما رَفعت المَواشط يَديهَا عَنه، وقَد بقِي مِن أكْفَانه عَلىٰ صَدره شَيءٌ». [وَقد ذَكر هَذه القِصَّة الحَافظ ابنُ رَجب فِي كِتابه «**أهْوَال القُبور**»](١).

ومن القصَصِ أيضًا: مَا ذَكره ابنُ أبِي الدُّنيا فِي كتابِ «**الأولِياء**» قَال: «كتَبَ أبُو عبد اللهِ مُحمَّد بن خَلف بن صَالح التَّيمِي: أنَّ إسْحاق بن أبِي نبَاتَة مَكث سِتين سَنة يُؤذِّن لِقومهِ فِي مَسجد عَمرو بن سَعيد -يَعنِي بِالكُوفَة- وَكان يَعلِّم الغِلمان الكِتاب ولا يَأخذُ الأجْرَ، فمَات قبل أنْ يُحفر الخَندَق بِثلاثين سنة.

فلمَّا حُفر الخَندق، وكانَ بَين المَقابر، ذَهب بَعض أصحابِه يَستخْرِجه وَوقع قَبره فِي الخَندق، فَاستخرَجوه كَما دُفن وَلم يتغَيَّر مِنه شَيءٌ إلا الكَفَن قدْ جَفَّ عَليه ويَبِس، والحَنوطُ محطوطٌ عليَه، وكانَ خَضيبًا، فرأىٰ وَجهه مكْشُوفًا وقَد اتَّصل الحِنَّاء فِي أطرَافِ الشَعر.

فمَضىٰ المُسيَّب بن زُهير إلَىٰ أبِي جَعفر المَنصور وهُو عَلىٰ شَاطئ الفُراتِ، فأخْبَره، فَركِب أبُو جعفر فِي اللَّيل حتَّىٰ رَآه، فأمَر بهِ فَدُفن باللَّيل لئلَّا يَفتتن النَّاس». [وَقد ذَكر هذِه القِصَّة الحَافظ ابن رَجب فِي كِتابه «**أهْوال القُبُور**»](٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٢٣)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٧٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٦٦)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٧٣).

ومِن القَصصِ أيضًا: مَا رَواه الخَطيب البَغدَادي فِي «**تَاريخ بغْدَاد**»[١]، عَن مُحمَّد بن مَخلَد الدُّوري العطَّار قال: «ماتَت وَالدَتي فأرَدتُ أنْ أدْفِنها فِي مقْبرة دَرب الرَّيحان، فنَزَلت أُلحِّدها فانْفَرجتْ لِي فُرجةٌ عَن قَبر بِلزْقِها، فَإذا رَجلٌ عَليهِ أكفانٌ جُددٌ عَلىٰ صَدرهِ طَاقة يَاسمين طَريَّة فأخذْتُها فشَمَمتُها فَإذا هِي أذْكىٰ مِن المِسك، وشَمَّها جَماعة كَانوا مَعي في الجِنَازة ثُمَّ رَددْتُها إلَىٰ موضِعِها وسَدَدتُ الفُرجة».

ومِن القَصَص أيضًا: مَا ذَكره ابن الجَوزي[٢] قال: «قَرأتُ بِخطِّ شَيخِنا أبِي الحَسن بن الزَّاغُوني قَال: كُشفَ عَن قَبر أبِي مُحمَّد البَربَهاري وهُو صَحيح لَم يَرِمْ، وظَهرت مِن قَبرِه رَوائحُ الطِّيب حتَّىٰ مَلأت مَدينة السَّلام -يَعنِي بَغدَاد-.

وقولُه: لَمْ يَرِمْ، مَعناه: لَم يَبرحْ عَلىٰ الحَالِ التِي دُفن عَليهَا. واسْم أبِي مُحمَّد الحَسن بن عَلي بن خَلَف، وَهُو مِن أكابِر أصْحَاب الإمَام أحْمَد بن حَنبل.

وقَد وَقعتْ لَه قِصَّة عَجيبَة بَعد مَوتِهِ وفيهَا كَرامةٌ عَظيمةٌ لَه. وذَلكَ أنَّه كانَ شَديدًا في الإنْكارِ عَلىٰ أهْلِ البِدَع والرَّد عَليهم، فَلم تَزل المُبتَدِعة يَغيظُون قلْبَ السُّلطَان علَيهِ، فَتقدَّم الخَليفةُ إلَىٰ صَاحبِ الشُّرطَة بالرُّكوبِ والنِّدَاء بِبغدَاد أن لا

---

(١) (٤/ ٤٩٩).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٤/ ١٥).

يَجتَمع مِن أصْحاب البَربَهَاري نَفسان، فاسْتَتر وتُوفِّي فِي الاسْتِتار فِي رَجب سَنة تِسع وعشْرِين وثَلاثمائة».

قالَ القَاضي أبُو الحُسين فِي «**طَبَقات الحَنَابِلة**»[١]: «حدَّثني مُحمَّد بن الحَسن المُقري قال: حَكىٰ لي جَدِّي وَجَدَّتي قَالا: كَان أبُو مُحَمَّد البَربَهاري قَد اخْتَبأ عِندَ أخْت تُوزون بِالجَانبِ الشَّرقِي فَي دَرب الحِمَام فِي شَارع دَرب السِّلسِلة، فبَقي نَحوًا مِن شَهر، فَلحِقَه قيامُ الدَّم[٢].

فقَالت أخْتُ تُوزون لِخادِمِها لَمَّا مَات البَربَهاري عندهَا مُستترًا: انْظر مَن يُغسِّله.

فَجاءَ بِالغَاسل فَغسلَه وَغلَّق البَاب حتَّىٰ لا يَعلمَ أحدٌ، وَوقفَ يُصلِّي عَليه وَحده، فَطالَعتْ صَاحبةُ المَنزلِ فَرأتْ الدَّار مَلأىٰ رِجالًا عَليهم ثِيابٌ بِيض وَخُضرٌ، فَلمَّا سَلَّم لم تَر أَحدًا، فاسْتَدعَت الخَادم وقَالت: يا حَجَّام أهْلكتَني مَع أخِي، فَقال: يَا سِتِّي، رَأيتِ مَا رأيتُ؟ فقَالت: نَعم، فَقال: هَذه مَفاتيحُ البَاب وهُو مُغْلق، فَقالت: ادفِنُوه فِي بَيتي، فَإذا مِتُّ فادْفِنُوني عنْده فِي بيتِ القُبَّة. فَدفنُوه فِي دَارها فَماتَت بَعده بِزمانٍ فدُفنَت فِي ذَلك المَكان».

ومن **القَصَص أيْضًا**: مَا أخْبرنا بِهِ غَير وَاحد مِن الثِّقات: «أنَّ بَلدية مَدينَة

(١) (٢/ ٤٥).

(٢) قيام الدم: هو الإسهال الذي يكون فيه الدم.

الرِّياض لمَّا أرَادوا تَوسيع الشَّارع المُسمَّىٰ بشَارع الوَزير مِن جِهته الشَّمَالية، كَانت التَّوسعة تَمُر عَلىٰ جُزء مِن مَقبرة قَديمة مِن مَقابر الرِّيَاض، فَنبَشوا مِن القُبور مَا تمسُّ الحَاجة إلَىٰ نبْشِه، فوجَدُوا عظَام المَوتىٰ قدْ صَارت رَميمًا إلا رَجلًا واحِدًا وَجدوه عَلىٰ حَالهِ لَم يتَغيَّر مِنه شَيءٌ، إلا أنَّه لَيس بِطري، وهُو شَيخ كَبير مَخضوب الشَّعر».

ومنَ القَصص أيْضًا: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا فِي كِتاب **«الرِّقة والبُكَاء»** بإسْناده، عَن مِسكِين بن بَكير: «أنَّ ورَّادًا العِجْلِي لمَّا مَات فَحمل إلَىٰ حُفرَته نَـزلوا ليُدْلوه فِي حفرتِه، فَإذا اللَّحد مَفروشٌ بِالرَّيحان، فَأخذَ بَعضهُم مِن ذلكَ الرَّيحان، فَمكث سَبعين يومًا طَريًّا لا يتَغَيَّر، يَغدو النَّاسُ ويَروحون يَنظرون إليهِ، فأكْثر النَّاس مِن ذلِك فَأخذَه الأمِير وفرَّق النَّاسَ خَشيةَ الفِتنةِ، فَفقدَه الأمِير مِن منزِله لا يَدري كَيف ذَهب». [وَقد ذَكر هَذه القِصَّة الحَافظ ابنُ رَجب فِي كِتابه **«أهْوال القبور»**](١).

ومِن القَصص أيضًا: مَا رَواه ابنُ الجَوزي مِن طَريق أبِي جَعفر السَّرَّاج، عَن بَعض شُيوخِه قال: «كُشِف قَبرٌ بِقرْبِ الإمَام أحْمد، وَإذَا عَلىٰ صَدر المَيت رَيحانةٌ تَهتز»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٧١)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٧١).

(٢) انظر: «أهوال القبور» (ص٧١).

ومن القَصص أيضًا: مَا رواه ابن أَبِي الدُّنيا بِإسنادِه، عَن المُغيرة بن حَبيبة: «أنَّ عَبد اللهِ بنَ غَالب الحُدَّاني لمَّا دُفِن أَصَابوا مِن قَبره رَائحةَ المِسك»(١).

وذكر البُخاري فِي «**التَّاريخ الصَّغير**»، عَن عَطاء السُّلَمي: «أنَّ عَبد اللهِ بن غَالب لمَّا قُتل جَعل يُوجد مِن تُراب قَبره رِيح المِسك»(٢).

وذكر ابنُ حبَّان في «الثقَّات»: «أنهم كانوا يَجِدون مِن قَبره ريح المسك».

وذَكر ذَلك أيضًا أبُو نعُيم فِي كِتاب «**الحلية**»(٣).

ورَوىٰ البُخاري فِي «**الصَّغير**»، عَن مَالك بنِ دِينار قال: «أَخَذْت مِن تُرابِ قَبرِهِ فَجعلْته فِي قَدح ثُمَّ غَسلتُ القَدح بِالماءِ فَوجدتُ مِنه رِيح المِسك»(٤).

ومن القصَص العَجيبَة فِي هذا البَاب: مَا حدَّثنا بِهِ غَير وَاحد مِن الثِّقات: «أنَّ رَجلًا مِن أهْل الرِّياض يُسَمَّىٰ «عبد العزِيز بن يُحيَّان» كَان إمامًا لبعْضِ المَساجدِ فِي الرِّياض فِي أثناءِ النِّصف الأوَّل مِن المائة الرَّابِعَة عَشَرة مِن الهِجرة، وكَان حَافظًا للقُرآن وحَسَنَ الصوت بالقِرَاءة. وكانتْ آثَار الصَّلاح ظَاهرةً عَليه.

---

(١) انظر: «أهوال القبور» (ص٧٢).

(٢) انظر: «التاريخ الأوسط» (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: «الثقات» (٥/ ٢٠) (٣٦٣٣)، و«الحلية» (٢/ ٢٥٧).

(٤) انظر: «التاريخ الأوسط» (١/ ١٨١).

فمَات فرَآه رَجلُ يُسمَّىٰ «حَمد السَّيف» فِي النَّوم، فسلَّم عَليهِ وَعانقه. وَكان حمد يأتِي إلَىٰ المَسجد فِي آخر اللَّيل ولا يَخرج منْه إلا بَعد طُلوع الشَّمس، فَإذا خَرج مِن المَسجد ذَهب إلَىٰ بَيته فتأتيهِ زَوجته بالتَّمر والقَهوة.

فلمَّا كَانت صَبيحَة اللَّيلةَ التِي رَأىٰ فِيها الرُّؤيا ذَهب إلَىٰ بَيته وكَانت عِندهم امْرَأة تَخدِمهم، فشَمَّت منهُ رَائحةَ الطِّيب، فذَهبت إلَىٰ زَوجَته فَقالت لهَا: إنَّ زوْجَك قَد تزَوَّج فِي هَذه اللَّيلةِ، وآيَة ذَلكَ أنَّ رَائحة الطِّيب تَفوحُ منه. فصدَّقَتها الزَّوجةُ، وصدَّت عَن زَوجها ولَم تَأتِه بالتَّمر والقَهوة كَما كانت تَفعل قَبل ذَلك.

فلمَّا أبْطأت عَليه ذَهب إلَيهَا لِيطْلُب مِنها أنْ تَأتيهِ بِهما، فانْتَهرتْه وَقالت لَه: اذْهب إلَىٰ زَوجَتك الجَديدَة فلتَأتك بِالذي أنتَ تَطلب. فأنْكر أنْ يَكون قَد تزَوَّج، وحَلف لَها عَلىٰ ذَلك فَلم تُصدِّقه وقَالت: إنَّ هذا الطِّيب الذِي قَد تَطيَّبت بهِ لا يَكون إلا مِن زَوجة جَديدة، فحَلف لَها عِدَّة أيمَان أنَّه لَم يتَزوَّج، وأخْبَرها بِما رآه فِي مَنامِه، وأنَّ هَذه الرَّائحَة الطَّيِّبة قَد عَلقتْ بِيدِه حِينَ صَافح بِها عَبد العَزيز بن يُحيَّان فِي النَّوم».

قَال الذِين حدَّثوا بهذِه القِصَّة: «إنَّ الذِين حَدَّثوهم بِها أخْبَروهم أنَّ رائِحة الطِّيب بَقيتْ فِي يد حَمَد السَّيفِ مدَّة أيَّام، مَع أنَّه كَان يَغْسلها للوُضوءِ ولِغيرِ ذَلك ممَّا يُسنُّ لَه غَسلُ الأيدِي ومَا يستَحَبُّ لَه».

وقدْ ذَكر بَعض الرَّاوين لَهذه القِصَّة: «أنَّ رَائحة الطِّيب بَقيتْ فِي يد حَمد السَّيف نِصف شَهر». وقَال بَعضُهم: «بل إنِّها بَقيت أكْثَر مِن ذَلك».

ومن القَصص التِي تَدُل عَلىٰ تَبشيرِ المَيِّت بِالكَرامَة: مَا ذَكره القَاضِي أبُو الحُسينِ فِي «**طَبقات الحَنابلة**»[1] فِي تَرجَمة يُوسف بن عُمر بن مَسْرور أبِي الفَتح القَوَّاس قال: «رأيْتُ بِخط أبِي عَلي البُرْدَاني، سَمِعتُ قَاسم الحَفار يَقول: سِمعْت جَدِّي يَقُول: لمَّا نَزلت فِي قَبر القَوَّاس حتَّىٰ ألَحِّده وأخَذتُه عَلىٰ يَدي حتَّىٰ أنْـزِلَه فِي اللَّحد سَمعتُه وَهو يَضحَك».

ومن القَصَصِ فِي تَبشير المَيتِ لأهْلِه: مَا رَواه ابنُ قُتيبَة فِي كِتابِه «**عُيون الأخْبَار**»[2]، عَن رِبعِي بن حِرَاش قَال: «أتيْتُ أهْلي فَقيلَ لِي: مَات أخُوك، فَوجَدْت أخِي مُسجَّىٰ عَليه بِثوب، فَأنا عِندَ رأسِه أتَرحَّم علَيه وأدْعُو لَه إذْ كُشفَ الثَّوب عَن وَجهه فَقال: السَّلام عَليكُم، فَقلنَا: وَعليك السَّلام، سبْحَان اللهِ! بَعد المَوتِ.

فقَال: إنِّي تُلقِّيت برَوْح ورَيْحان ورَبٍّ غَير غَضبان، وكَساني ثِيَابًا مِن سُندسٍ وإسْتَبرَق، وإنِّي وَجدتُ الأمْر أيْسر ممَّا تَظنُّون، وإنِّي استَأذَنتُ ربِّي أنْ أخبِرَكُم وأبَشرَكم، احمِلوني إلَىٰ رسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقد عُهِد إليَّ أنْ لا أبْرح حتَّىٰ ألقَاه، ثُمَّ طفِئ»؛ انتهىٰ. [وهُو في صفحة (٣١٧) من المُجلَّد الثَّاني].

---

(١) (٢/ ١٤٣).

(٢) (٢/ ٣٤١).

وهذا آخِر مَا تيَسَّر إيرَاده منْ قَصَص الكَرامَات التِي حَصلت لِبعضِ الأمْواتِ، واطَّلَع عليهَا بَعضُ الأحْيَاء مِن طريق المُشاهدة.

وأمَّا القَصص التِي جَاءت مِن طَريق الرُّؤيا فِي النَّوم لِبعضِ الأمْوات الذينَ أخْبَروا مَن رَآهم فِي المَنام بمَا حَصل لَهم مِن المَغفرة، وَما حَصل لِبعضِهم مِن الكَرامَة؛ فَهِي كَثيرةٌ جِدًّا، وَهِي مَذكورة فِي كُتب التَّاريخ والتَّراجِم، فَمَن أحَبَّ الوُقوفَ عليهَا فليطَالِع الكُتُب المُشار إليهَا.

«تَنبِيهٌ»:

لَيعلَم طَالبُ العِلم، أنَّ المَقصُود مِن إيرَاد قصَص العُقُوبات فِي هذا الكتاب هُو الحَثُّ عَلىٰ الاعْتِبار بمَا حَلَّ بِالعُصاة مِن النَّكَال علىٰ جَرائِمِهم، والتَّحْذِير مِن الإصْرارِ عَلىٰ المَعاصِي، فإنَّ الإصْرار عَليها سَببٌ للمَعاجَلة بالعُقُوبة، كمَا قَد وقَع ذَلك لِكثيرٍ مِن المَذكورين فِي القَصص التِي تقدَّم ذِكرُها.

وقد قِيل: السَّعيدُ مَن وُعِظ بِغيره، والشَّقي مَن كَان مَوعْظَةً لِغيره.

وقدْ قَال اللهُ تَعالىٰ مُذَكِّرًا لليَهود مَا حَلَّ بِأصحاب السَّبت مِنهم: ﴿**وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦**﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿**وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦**﴾ الذينَ مِن بَعدِهم إلَىٰ يَوم القِيامة».

وقَال السُّدِّي وَعَطية العُوفي: «﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾ أمَة مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ»(١).

وقال البَغوي: «﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾ للمُؤمِنين مِن أمَّة مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فَلا يفْعَلون مِثل فعلهم»(٢)؛ انتهىٰ.

وإنَّما قصَّ اللهُ تَعالىٰ فِي كِتابه قَصص المُخالِفين للرُّسُل وَما أصَابهم مِن العُقوباتِ لِيعتَبر المُسلِمون بِذلكَ ويَحذَروا بَأسَ اللهِ ونقمتَه.

فقَد قَال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠]، وقَال تَعالىٰ مُحَذرًا للظَّالمين مِن هذِه الأمَّة أنْ يُصابوا بِمثل مَا أُصيبَ بِهِ قَوم لُوط مِن الرَّمي بالحِجَارة: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

قال قَتَادة فِي قَوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ يقُول: «مَا أجَار اللهُ مِنها ظَالمًا بَعد قَوم لُوط». [رَواهُ ابنُ جَرِير](٣).

وعَن قَتَادَة أيْضًا قَال: «يَعني ظَالِمي هَذه الأمة، والله مَا أجَار مِنهَا ظَالمًا

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥).

(٣) (١٢/ ٥٣٢).

بَعْدُ». [روَاه ابنُ جَرير][(١)].

وعن أبِي بَكر الهُذَلي قَال: يقول: «﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ مِن ظَلَمة أُمَّتِك بِبعيدٍ، فَلا يأمَنها مَنهُم ظَالمٌ». [روَاه ابنُ جَرير][(٢)].

وذَكر ابنُ الجَوزِي فِي «تَفسيره» عن قَتادة أنَّه قَال: «واللهِ مَا أجَار اللهُ مِنهَا ظَالمًا بَعدَ قَومِ لُوط، فَاتَّقوا اللهَ وكُونوا مِنه عَلىٰ حَذر»[(٣)].

وذَكر البَغَوي أنَّه جَاء فِي بعضِ الآثَار: «مَا مِن ظَالمٍ إلا وَهوَ بَعرْض حَجَر يَسقُط عَليهِ مِن سَاعَة إلَىٰ سَاعَة»[(٤)].

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المُخالفون لأوامرِ اللهِ تَعالىٰ وَأوامِرِ رَسولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تَهاونوا بِمخالَفة الأوَامِر وارتِكابِ النَّواهي، ولا تُصرُّوا عَلىٰ المَعاصي فَيصيبَكُم مِن النَّكال مِثل مَا أصَاب غَيرَكم مِن المُصرِّين.

فَقد ثبتَ عنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال وهُوَ علَىٰ المِنبر: «**وَيْلٌ لِلمُصِرِّينَ الذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعلَمُون**». [رَوَاه الإمَام أحْمَد، وعَبد بن حُمَيد، والبُخَاري فِي «**الأدَب المُفرد**» بِأسَانيدَ جَيِّدة مِن حَديثِ عَبد الله بن

(١) (١٢/ ٥٣٣).

(٢) (١٢/ ٥٣٣).

(٣) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٣٩٤).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٩٤).

عَمرو بِن العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا][(١)].

واللهُ المَسئول أنْ يوَفِّقني وَجميعَ المُسلمين للعَمل بِما يُرضِيه، وأنْ يَعصمَنا مِن التَّعرُّض لسَخطِه وعُقوبَته، إنَّه وَليُّ ذَلكَ والقَادر عَليه.

وصَلَّىٰ اللهُ وَسلَّم عَلَىٰ نبيِّنا مُحمَّد وَعلىٰ آلِه وأصْحَابِهِ وَمن تَبعَهم بإحْسَانٍ إلَىٰ يَوم الدِّين.

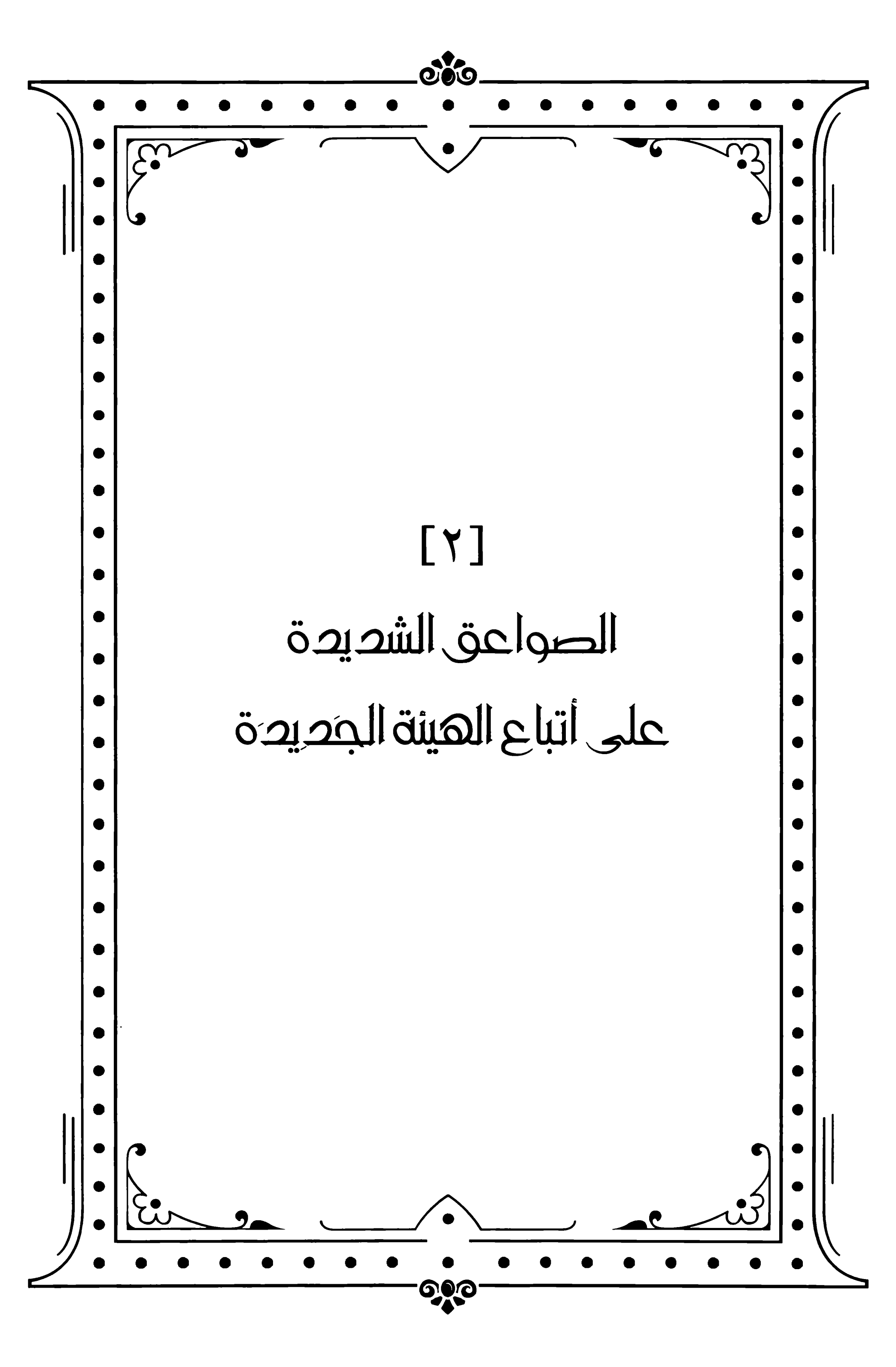
وقَد وَقع الفَراغُ مِن كِتابَة هَذه النُّبْذة فِي يَوم الخَميسِ المُوافِقِ لليَومِ الحَادي عَشر مِن شَهر المُحرَّم سَنة إحْدىٰ عَشرة وأرْبَعمَائة وألف مِن الهِجرة، عَلىٰ يَد الفَقير إلَىٰ اللهِ تعَالَىٰ حِمُود بن عَبد اللهِ بن حِمُود التويجري، غَفر اللهُ لهُ ولِوَالدَيه وللمُؤمِنينَ والمُؤمِنات.

والحَمدُ للهِ الذِي بنِعمَته تَتمُّ الصَّالِحاتُ

١١/ ١/ ١٤١١هـ

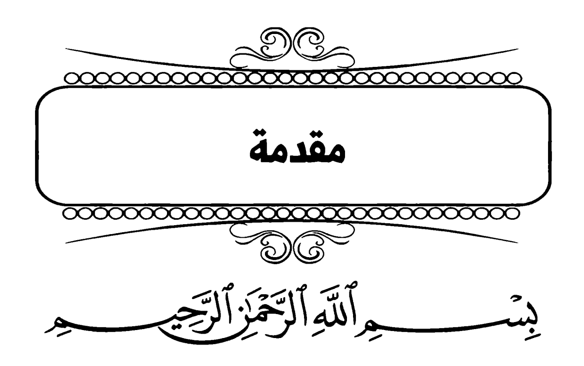
---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥) (٦٥٤١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٨٢).



[٢]

الصواعق الشديدة
على أتباع الهيئة الجَدِيدَة



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده..

قُرِئ عليَّ هذا الكتاب الموسوم بـ«الصواعق الشديدة علىٰ أتباع الهيئة الجَدِيدَة»، فوجدت ما أبداه مؤلفه فضيلة الشيخ/ حِمُود بن عبد الله التويجري، من الرد علىٰ من زعم أن الأرض تدور، وأن الشَّمس لا تجري؛ هو عين الصواب.

قاله الفقير إلىٰ عفو الله

محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف

مفتي الديار السعودية، ورئيس القضاة

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

في ٢٠/ ٨ سنة ١٣٨٧هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين؛ صلَّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد رأيت مقالًا لمحمد محمود الصواف[1]، نُشر في ثلاثة أعداد من جريدة «الدعوة»، عدد (٥٤ و٥٥ و٥٦) - العدد (الأول) في (١٠صفر سنة ١٣٨٦هـ)، والثاني في (١٧) منه، والثالث في (٢٤) منه.

---

(١) هو أحد دعاة العراق، وعضو المجلس التأسيسي لـ«رابطة العالم الإسلامي»، وعضو «المجلس الأعلىٰ للمساجد»، وعضو «المجمع الفقهي» بالرابطة، ولد في مدينة «الموصل» بالعراق سنة (١٣٣٣هـ)، ودرس بالمدرسة الفيصلية، وحصل علىٰ إجازتها العلمية عام (١٣٥٥هـ)، والتحق بالأزهر عام (١٣٥٨هـ). اشتغل بالعمل الشعبي، والتوجيه الإسلامي في المساجد والجمعيات، فانتسب إلىٰ جمعية «الشبان المسلمين» بـ«الموصل»، وأنشأ جمعية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فيها، كما أَسَّسَ مع شيخ علماء العراق أمجد الزهاوي جمعية «الأخوة الإسلامية» التي قامت بدور رئيسٍ في مقاومة المحتل، والدعوة إلىٰ الله، توفي سنة (١٤١٣هـ). المصدر: «تكملة معجم المؤلفين» لمحمد خير بن رمضان (ص٥٤٦).

وقد عارض الصوافُ بمقاله هذا ما قرره الشيخ الفاضل عبد العزيز بن عبد الله بن باز من جريان الشَّمس، وسكون الأرض وثباتها، وما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز هو الحق والصواب، وما قالَهُ الصوافُ هو الباطل والضلال البعيد.

وليس تعقب الصواف مقصورًا علىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز فحسب، بل هو -والعياذ بالله- معارضة للآيات المُحْكَمات، والأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ جريان الشَّمس وعدم استقرارها، كما سأذكره -إن شاء الله تعالىٰ-، وقد رأيت أن أكتب علىٰ كلامه ما تيسر؛ تحقيقًا للحق، ونصحًا للخلق.

سائلًا من المولىٰ جَلَّجَلَالُهُ أن ينصر دينه، ويُعلي كلمته، ويُحِق الحق، ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

* * *

فصل

وأول من قال: «إن الشَّمس هي المركز الثابت الذي تدور عليه السيارات من الكواكب، وإن الأرض من جملة الكواكب السيارة التي تدور علىٰ الشَّمس»، هو: فيثاغورس، الفيلسوف اليوناني، وكان زمانه قبل زمان المسيح بنحوٍ من خمس مئة سنة. وقيل: ست مئة.

وذهب كبير الفلاسفة ومُقدَّمهم بطليموس -وكان زمانه قبل المسيح بنحو مئة وخمسين سنة- إلىٰ أن الأرض هي المركز الثابت، وإن الشَّمس والقمر، وسائر الكواكب تدور علىٰ الأرض.

وأهْل الهَيْئةِ القديمة يقولون بهذا القول، وهو الحق الذي تدل عليه الآيات، والأحاديث الصحيحة، وأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

وأما قول فيثاغورس؛ فكان مهجورًا نحوًا من ألف وثمان مئة سنة، حتىٰ ظهر الفلَكِيُّ البولوني[1] «**كوبرنيك**» في القرن العاشر من الهجرة، فقرَّرَ رأي فيثاغورس، وأيده بالأدلة الرياضية.

ولمَّا كان في أثناء القرن الثاني عشر من الهجرة، ظهر هِرشل الإنكليزي، وأتباعُه من فلاسفة الإفرنج، أصحاب الرصد والزِّيج[2] الجديد؛ فنصروا قول فيثاغورس، وردوا ما خالفه، وشاع قولهم منذ زمانهم إلىٰ زماننا هذا، وتلقاه كثيرٌ من المسلمين بالقبول؛ تقليدًا لأعداء الله تعالىٰ، وذلك بسبب سيطرة الإنجليز، وبعض الدول الأوربية علىٰ كثيرٍ مِن بلاد الإسلام في آخر القرن الثالث عشر من الهجرة، وأكثر القرن الرابع عشر؛ فامتزج أهل تلك البلاد

(١) نسبة إلىٰ دولة بولندا.

(٢) «الزِّيج»: هو جدول عند الفلكيِّين يُعرَف به سير الكواكب، ومنه يعرفون التقويم الفلكي.

بأعداء الله تعالىٰ امتزاجًا تامًّا، وظهر النَّشْؤُ منهم متثقِّفين بالثقافة الإفرنجية، يحذُونَ حَذْوَ أعداء الله تعالىٰ في هيئاتهم، وأنظمتهم، وقوانينهم، ويسارعون إلىٰ قبول آرائهم وظنونهم وتخرُّصَاتهم، ويتمسكون بها أعظم مما يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة.

وكثير منهم كانوا يسافرون إلىٰ الجامعات الأوربية، ويرتَوُونَ مِن تعاليمها الآجنة[١] المسمومة عِللًا بعد نهل[٢]، حتىٰ فشت فيهم الزندقة والإلحاد، والاستخفاف بشأن القرآن العظيم؛ فكان كثير منهم يحملونه علىٰ ما يوافق آراء الإفرنج وأقوالهم الباطلة، كما هو موجود في كثير من مصنفاتهم، فأدخلوا بذلك علىٰ المسلمين شرًّا كثيرًا؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهؤلاء الذين ذكرنا مِن فلاسفة الإفرنج، وهم: «كوبرنيك، وهرشل» وأتباعهما، يقال لهم: أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة.

قال محمود شكري الآلوسي[٣] في مقدمة كتابه الذي سماه **«ما دل عليه**

---

(١) «الآجن»: هو الماء المتغير لونًا وطعمًا؛ فليس صافيًا، والمعنىٰ: أن العلوم الأوروبية مَشُوبة بالأفكار والعقائد الفاسدة.

(٢) النَّهَل: الشُّرب الأول بعد شدة ظمإ.

(٣) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحُسَيْنِي، أبو المعالي، مؤرخ، عالم بالأدب والدِّين، مِن الدُّعاة إلىٰ الإصلاح.

وُلِد في «رصافة» - بغداد سنة (١٢٧٣هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمِّه وغيرهما، وتصدر =

القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»: «قد شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير، في هيئة الأفلاك، ونصره الفلاسفة المتأخرون بعد أن كان عاطلًا مهجورًا، وهو القول بحركة الأرض اليومية والسنوية علىٰ الشَّمس، وأنها هي مركز نظامها، وأن الأرض إحدىٰ الكواكب السيارة، وأنها سابحة في الجو، معلَّقَة بسلاسل الجاذبية، وقائمة بها كسائر الكواكب، لا أنها كما ذهب إليه بطليموس في الأفلاك كالمسامير في الباب».

قال: «وقد سماها الفلاسفة المتأخرون «الهيئة الجَدِيدَة»؛ لكونها شاعت في العصر المتأخر، وإلا فالقول بها متقدم جدًّا».

وذكر **الآلوسي -أيضًا- في (صفحة ٢٣)**: أن المتأخرين ممن انتظم في سلك الفلاسفة كهرشل وأتباعه أصحاب الرصد والزيج الجديد، تخيلوا خلاف ما ذهب إليه الأولون في أمر الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مركز، والأرض، وكذا النجوم دائرة حولها.

وذكر **الآلوسي -أيضًا- في (صفحة ٢٩)**: ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجديد من أن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالم، وأن الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها.

=

للتدريس في داره، وفي بعض المساجد، وتوفي سنة (١٣٤٢هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٧٢).

وقال -أيضًا- في (صفحة ٣٣): «والمُنَجِّمُون يقسمون النجوم إلىٰ: ثوابت، وسيارات، والسيارات عند المتقدمين سبع بإجماعهم.

وعند المنجمين اليوم، وهم أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة: أن الشَّمس في وسط الكواكب التي تدور حولها، وأنها أعظم من الأرض بألف ألف مرة، وثلاث مئة وثمانية وعشرين ألف مرة، وأن لها حركة علىٰ نفسها.

وقد استنبط بعض علمائهم مَن تحول، كلفها الذي يظهر علىٰ ظهرها، ورجوعه في أزمنة مخصوصة، أنها تدور علىٰ نفسها في خمسة وعشرين يومًا واثنتي عشرة ساعة، وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض، بل للأرض حركة حولها، وأن الأرض إحدىٰ السيارات، وهي عندهم: «عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، ووسنة -وقد كشفَها رجل منهم يقال له: «**أولبوس**» في حدود سنة (ثلاث وعشرين ومئتين وألف للهجرة)-، ونبتون -وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**هاردنق**» في حدود سنة (عشرين ومئتين وألف للهجرة)-، وسيرس -وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**بياظي**» في حدود سنة (ست عشرة ومئتين وألف للهجرة)- وبلاس -وقد كشفها «**أولبوس**» أيضًا في حدود سنة (سبع عشرة ومئتين وألف)-، والمشتري، وزحل، وأورانوس -وقد كشفها رجل منهم يقال: له «**هرشل**» في حدود سنة (سبع وتسعين ومئة وألف للهجرة).

ولم يعدوا القمر من السيارات، بل من سيارات السيارات؛ لأنه يدور

حول الأرض، ودورانها حول الشَّمس، وهو عندهم دون عظم الأرض بتسع وأربعين مرة.

وزعموا أنَّ بُعد الشَّمس عن الأرض (أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنسي)، وهو المقدر بمسافة (ساعة وخمس مئة ألف فرسخ)، ومع هذا يصل نورها إلينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية.

وأن البُعد الأبعَد للقمر عنها (أحد وتسعون ألفًا، وأربع مئة وخمسون فرسخًا).

والبعد الأقرب له (ثمانون ألفًا ومئة وخمسة فراسخ)؛ فيكون البعد الأوسط نحو (ستة وثمانين ألف فرسخ).

وكانوا يزعمون مِن قبلُ أنْ ليس للشمس حركة علىٰ كوكب آخر، وإنما لها حركة علىٰ نفسها فقط، ثم أدركوا أن لها حركةً علىٰ كوكب من كواكب الثريا، وجوَّزُوا أن يكون لذلك الكوكب حركة علىٰ كوكب آخر أبعد منه، وهكذا إلىٰ ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ؛ فإن سَعة الجو غير متناهية عندهم، وفيه مِن الكواكب ما لا يتناهىٰ أيضًا».

إلىٰ أن قال: «ولهم تقسيمات أُخَر؛ باعتبارات أُخر، بنوا عليها ما بنوا، ولا يكاد يسلم لهم إلا ما لم يلزم منه محذور في الدين». انتهىٰ.

وإذَا عُلِم ما ذكرنا هَهُنا عن أهْل الهَيْئِةِ الجَدِيدَة، الذين من أولهم

«كوبرنيك» البولوني في القرن العاشر، و«هرشل» الإنكليزي، وأتباعه في القرن الثاني عشر، والقرن الثالث عشر من الهجرة، وأن أصله مأخوذ عن فيثاغورس اليوناني؛ فليعلم -أيضًا- أن قولهم في سكون الشَّمس ودوران الأرض عليها قول باطل، معلوم البطلان عند كل مَن نوَّرَ الله قلبه بنور العلم والإيمان.

والأدلة علىٰ بطلانه كثيرة جدًّا، وأنا أذكر ههنا ما تيسر من ذلك، وبالله المستعان.

فأما الأدلة من القرآن، ففي اثنين وعشرين موضعًا منه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]. قال قتادة(١): «يعني نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»(٢):

الدليل الأول:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨].

---

(١) هو الحافظ، قدوة المُفسِّرين والمُحدِّثين، أبو الخطَّاب قَتادَة بن دِعَامة السَّدُوسِي، الضَّرير الأكْمَه، وُلِد (٦٠هـ)، روىٰ عن: أنس بن مالك، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسعيد بن المسيب، وعكرمة مولىٰ ابن عباس، مات بـ«واسِط» في الطَّاعُون» (سنة ١١٧هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٢٩)، «تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ١٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ٤١٧).

قال الراغب الأصفهاني(١): «الجري المَرُّ السَّريع»(٢).

وقال الجوهري(٣): «الجارية الشَّمس والجارية السفينة»(٤).

وقال ابن منظور(٥) في «**لسان العرب**»: «جرت الشَّمس وسائر النجوم سارت من المشرق إلىٰ المغرب، والجارية الشَّمس سميت بذلك لجريها من

---

(١) هو أبو القَاسِم الحُسَين بن محمد بن المفضل، المعروف بالرَّاغب الأصفهاني -أو الأصبهاني-، اختُلف فيه؛ فعَدَّه رَهطٌ مِن الشِّيعة بأنَّه مِن أعلَامِهم، وعدَّه آخرون بأنَّه معتزلي؛ حتَّىٰ قال الزركلي: «اشتُهِر، حتَّىٰ كان يُقْرَن بالإمَام الغَزالي»، توفي (٥٠٢هـ)، انظر: «الأعلام» (٢/ ٢٢٥)، و«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين العامِلي الشيعي (ص٢٢٠).

(٢) «مفردات غريب القرآن» (ص٩٢).

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام اللغة، وأول من حاول الطيران، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، أخذ العربية عن: أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي، وخاله صاحب «ديوان الأدب» أبو إبراهيم الفارابي، توفي (٣٩٣هـ) وقيل: (٤٠٠هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٨٢).

(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٣٠٢).

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبقة الأنصاري، الإفريقي، كان ينسب إلىٰ رويفع بن ثابت الأنصاري، من صحابة رسول الله، وهو صاحب «لسان العرب» في اللغة، وُلِد ابن منظور في القاهرة، وقيل: في طرابلس سنة (٦٣٠هـ)، وتوفي في مصر سنة (٧١١هـ)، انظر: مقدمة كتابه «لسان العرب»، دار «صادر» - بيروت، ط. الثالثة (١٤١٤هـ).

القُطْر إلىٰ القُطر»[١].

ثم ذكر عن صاحب «التهذيب»[٢] أنه قال: «الجارية عين الشَّمس في السماء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾»[٣].

والجارية الريح، قال الشاعر:

فَيَوْمًا تَرَانِي فِي الفَرِيقِ معْقَّلًا وَيَوْمًا أُبَارِي فِي الرِّيَاحِ الجَوَارِيَا

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]، يعني النجوم.

وجرت السفينة جريًا كذلك.

والجارية السفينة صفة غالبة.

وفي التنزيل: ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١]، وفيه: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]».

ثم ذكر عن الليث أنه قال: «الخيل تجري، والرياح تجري، والشَّمس تجري جريًا إلا الماء فإنه يجري جريه؛ أي: بكسر الجيم، والجراء للخيل

---

(١) «لسان العرب» (١٤/ ١٤٠-١٤١).

(٢) هو الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي، المتوفىٰ سنة (٣٧٠هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣١٦).

(٣) «تهذيب اللغة» (٤/ ٤١).

خاصة، وأنشد:

غمـر الجـراء إذا قصـرت عنانـه

وفرس ذو أجاري؛ أي: ذو فنون في الجري». انتهىٰ.

وقد ذكر الله تعالىٰ عن السفن والرياح نظير ما ذكره عن الشَّمس من المَر السريع، فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود:٤١، ٤٢] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣، ١٤] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ [الذاريات: ٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنىٰ.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «والشَّمس تجري لا مستقر لها»(١).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٧)، و«تفسير البغوي» (٧/ ١٨)، وغيرهما.

قال البغوي: «أي: لا قرار لها ولا وقوف، فهي جارية أبدًا»[(١)].

وقال القرطبي: «أي: أنها تجري في الليل والنهار، لا وقوف لها ولا قرار، إلىٰ أن يكورها الله يوم القيامة»[(٢)].

وقال ابن كثير: «أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلًا ونهارًا لا تفتر ولا تقف، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]؛ أي: لا يفتران ولا يقفان إلىٰ يوم القيامة». انتهىٰ[(٣)].

وكفىٰ بهذه الآية حجة علىٰ إبطال ما يزعمه كوبرنيك، وهرشل، وأتباعهما من أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم ويأخذ بأقوالهم من المسلمين.

الدليل الثاني:

قوله تعالىٰ في سورة «الرعد»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الرعد: ٢] الآية.

الدليل الثالث:

قوله تعالىٰ في سورة «لقمان»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ١٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٧).

﴿ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾ [لقمان: ٢٩].

الدليل الرابع:

قوله تعالىٰ في سورة «فاطر»: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [فاطر: ١٣] الآية.

الدليل الخامس:

قوله تعالىٰ في سورة «الزمر»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ [الزُّمَر: ٥].

ففي هذه الآيات كلها النص علىٰ جريان الشَّمس والقمر والرد علىٰ من قال أن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا وأنها مركز العالم.

قال الراغب الأصفهاني: «قوله يكور الليل إشارة إلىٰ جريان الشَّمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما». انتهىٰ[١].

---

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص٤٤٣).

الدليل السادس:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

الدليل السابع:

قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

قال الراغب الأصفهاني: «السبح: المَر السريع في الماء وفي الهواء، يقال: سبح سبحًا، وسباحة، واستعير لمر النجوم في الفلك، نحو: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾، ولجَرْيِ الفرس، نحو: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾﴾ [النازعات: ٣]، ولسرعة الذهاب في العمل، نحو: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ [المزَّمل: ٧]». انتهىٰ[١].

وقال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾، يعني الليل، والنهار، والشَّمس، والقمر، كلهم يَسْبَحُون؛ أيْ: يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك[٢]،

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص٢٢١).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، من الطبقة الخامسة، من صغار التابعين، وكان صدوقًا كثير الإرسال، أخذ عن أنس، وابن عباس، وعطاء بن رباح، له باع كبير في التفسير والقصص، توفي بعد المئة هجرية، قيل: خمسًا، وقيل: ستًّا، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٩٨).

والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **وغير واحد من السلف:** «في فلكة كفلكةِ المِغْزَل».

وقال مجاهد: الفلَك كحديدة الرَّحَىٰ، أو كفلكة المِغزل لا يدور المغزل إلا بها، ولا تدور إلا به». انتهىٰ[1].

وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في قوله:** ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ **قال:** «في فلكة مثل فلكة المغزل»[2].

وروىٰ -أيضًا- من طريق عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في قوله:** ﴿يَسْبَحُونَ﴾، **قال:** «يَدُورُونَ في أبوابِ السماء كما يدور المِغْزَل في الفلَكَة»[3].

وروىٰ -أيضًا- من طريق علي بن أبي طلحة[4] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٩).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٤٥١٣).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٤٥١٤).

(٤) علي بن أبي طلحة، هو علي سالم بن المخارق الهاشمي، مولىٰ بني هاشم، فأعتقه العباس وسكن الشام، يروي عن مجاهد، وأبي الوداك، وأخذ التفسير عن ابن عباس عن مجاهد، وكان يرىٰ السيف، واعتمده البخاري وابن أبي حاتم في التفسير، توفي (١٤٣هـ)، انظر: «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٨٨-٢٨٩)، و«ميزان الاعتدال» (٥/ ١٦٣).

قوله: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ يقول دوران، وقوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يعني يجرون»[(١)].

وروىٰ -أيضًا- من طريق عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: «﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ قال: النجوم، والشَّمس، والقمر فلكٌ كفلكة المغزل.

وقال: مثل ذلك الحُسْبَان يعني حسبان الرَّحَىٰ، وهو سَفُّودهَا القائم الذي تدور عليه، وكان مجاهد يفسر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥] بهذا.

قال مجاهد: ولا يدور المغزل إلا بالفلكة، ولا تدور الفلكة إلا بالمغزل، ولا يدور الحسبان إلا بالرحىٰ، ولا تدور الرحىٰ إلا بالحسبان.

قال: فكذلك النجوم، والشَّمس، والقمر هي في فلك لا يَدُمْنَ إلا به، ولا يدوم إلا بهن. قال: فنقر لي بإصبعه. قال: فقال مجاهد: يَدُمْن كذلك كما نقر. قال: فالحسبان والفلك يصيران إلىٰ شيءٍ واحد، غير أن الحسبان في الرَّحَىٰ والفلك في المغزل»[(٢)].

قال شَيخُ الإسْلامِ، أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «قوله: لا تدوم إلا به؛ أي: لا تدور إلا به، ومنه الدوامة بالضم والتشديد، وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم علىٰ الأرض؛ أي: تدور ومنه، تدويم الطير وهو

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٤٥١٣).

(٢) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/ ١٢١١).

تحليقه ودورانه في طيرانه ليرتفع إلىٰ السماء.

وقوله: نقر بإصبعه. يعني نقر بها في الأرض، وأدارها ليشبه بذلك دوران الفلك». انتهىٰ[1].

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الحسن البصري في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] **قال:** «يعني استدارتهم».

وروىٰ -أيضًا- عن الضحاك في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾، **قال:** «يدور ويذهب».

وروىٰ -أيضًا- عنه، قال: «الفُلك السرعة، والجري في الاستدارة، ويسبحون: يعملون».

وقال البغوي في «تفسيره»: «﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وإنما قال يسبحون، ولم يقل تسبح علىٰ ما يقال؛ لما لا يعقل؛ لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر علىٰ ما يعقل.

والفَلَك: مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير. وجمعه: أفلاك. ومنه: فلكة المغزل.

وقال الحسن: الفلَك: طاحونة كهيئة فلكة المغزل.

---

(١) «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٢).

يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة.

قال الضحاك: فلكها: مجراها وسرعة سيرها.

قال مجاهد: كهيئة حديد الرحىٰ.

وقال بعضهم: الفلَك: السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وهو معنىٰ قول قتادة.

وقال الكلبي: الفلك: استدارة السماء». انتهىٰ(١).

وفي الآيتين اللَّتَيْنِ ذكَرْنَا من سورة «الأنبياء» وسورة «يس» رد علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة الذين ينكرون جريان الشَّمس، ويزعمون أنها ثابتة لا تتحرك.

الدليل الثامن:

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣].

قال الراغب الأصفهاني: «**الدأب:** إدامة السير، دأب في السير دأبًا»، قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «الدُّؤُوب المبالغة في السير، وأدْأَبَ

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٣١٧).

(٢) «مفردات غريب القرآن» (ص١٧٤).

الرجلُ الدابةَ إدْآبًا إذا أتعبها»(١).

وقال ابن كثير في «تفسيره»: «﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾؛ أي: يسيران لا يفتران ليلًا ولا نهارًا»(٢).

وقال في موضع آخر: «**أي:** لا يفتران ولا يقفان إلىٰ يوم القيامة». انتهىٰ(٣).

وقال القرطبي: «الدؤوب مرور الشيء في العمل علىٰ عادة جارية.

وقيل: دائبين في السير امتثالًا لأمر الله، والمعنىٰ: يجريان إلىٰ يوم القيامة لا يفتران». انتهىٰ(٤).

وكفىٰ بهذه الآية حُجة علىٰ من أنكر جريان الشَّمس من فلاسفة الإفرنج، ومَن يقلدهم مِن جُهَّال المسلمين.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ﴾ دليل علىٰ أن الشَّمس والقمر يجريان ويدوران علىٰ الأرض؛ لقيام معايش العباد ومصالحهم، ولهذا امتن الله عليهم بذلك في هذه الآية، وفي غيرها من الآيات التي سيأتي ذكرها.

---

(١) «لسان العرب» (١/ ٣٦٩).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٦٧).

وكذلك امتن عليهم بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

الدليل التاسع:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

ووجه الاستدلال بهذه الآية علىٰ سَيْرِ الشَّمس: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أن الليل يطلب النهار طلبًا حثيثًا؛ أي: سريعًا.

والنهار هو ضوء الشَّمس، وهو تابع لها، يسير بسيرها؛ فدَلَّ علىٰ أنها تسير دائمًا ولا تستقر.

وفي الآية دليلٌ آخر علىٰ سير الشَّمس، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]، فإن التسخير المذكور ههنا هو تسخيرها تجري لمصالح العباد، كما نص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ ذلك في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾، وقوله تعالىٰ في الآيات الأربع التي

تقدم ذكرها: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

الدليل العاشر:

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾ [النحل: ١٢].

الدليل الحادي عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت: ٦١].

والمعنىٰ في هذه الآيات الثلاث واحد، وهو: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سخَّرَ الشَّمس والقمر، والنجوم، والليل والنهار، وجعلها تجري دائمًا علىٰ الأرض؛ لقيام معايش العباد ومصالحهم، فتبارك الله رب العالمين، الذي سخر لعباده ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه.

الدليل الثاني عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وهذه الآية من أوضح الأدلة علىٰ سَيْرِ الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض، وأن الله تعالىٰ سخَّرَها تأتي من المشرق كل يوم وتذهب نحو المغرب، ولو

كانت قارَّةً لا تزول عن مكانها كما يزعمه أهل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لكان الإخبار عن الإتيان بها من المشرق لغوًا لا معنىٰ له، ولا فائدة في ذكره؛ ولكان ينبغي أن يقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِخَصْمِه (إن الله يأتي بالأرض من المغرب فأت بها من المشرق)؛ فقاتل الله أهل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، الذين قلبوا الحقيقة، وعكسوا القضية بلا برهان، بل بمجرد الظن والحُسْبَان.

وإنه لينطبق عليهم قول الله تعالىٰ في أشباههم مِن المتخرِّصين: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨ - ٣٠].

الدليل الثالث عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨].

والبزوغ: الطلوع. والأفول: الغيبوبة.

وهذه الآية مِن أوضح الأدلة علىٰ سير الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض.

وقد ذكر الله تعالىٰ عن القمر مِن البزوغ والأفول نظير ما ذكر عن الشَّمس.

وذكر -أيضًا- عن الكوكب من الأفول نظير ما ذكره عن الشَّمس والقمر؛ فأثبت المسلمون ما أثبته الله للكل، مِن السير والدوران حول الأرض، وأثبت

ذلك -أيضًا- أهْل الهَيْئةِ القديمة.

وخالَفَ في بعض ذلك كوبرنيك، وهرشل، وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج، ومَن يقلدهم ويَحْذُو حذْوَهُم من المسلمين؛ فأثبتوا للقمر السير والدوران على الأرض، وأثبتوا للكواكب السيارة السير والدوران على الشَّمس، ونفوا عن الشَّمس السَّيْرَ بالكُلِّيَة.

ولازِمُ ذلك: نفي ما أثبته الله تعالىٰ لها من البزوغ والأفول؛ وذلك كُفْر لا شك فيه، لما فيه من تكذيب ما أخبر الله به في كتابه.

ومَن أثبت السير والبزوغ والأفول للقمر؛ لزِمَهُ أن يثبت ذلك للشمس، وإن لم يفعل؛ فقد فرَّق بين متماثلين، وآمن ببعض الكتاب وكَفَر ببعض.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٨٥) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ (٨٦)﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

الدليل الرابع عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] الآية.

وقد فسَّر الدلوك بزوال الشَّمس عن وسط السماء، وفسر بغروبها، وكلاهما يدل على سير الشَّمس.

قال البغوي: «أصل الدلوك الميل، والشَّمس تميل إذا زالت وغربت». انتهىٰ[١].

الدليل الخامس عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧] الآية.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وسعيد بن جبير، وقتادة، وزيد بن أسلم[٢]: «تزاور، أي: تميل»[٣].

الدليل السادس عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] الآية.

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ١١٤).

(٢) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم العُمَري المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، ومفسر من أتباع التابعين، روىٰ عن أبيه المفسِّر زيد بن أسلم، وروىٰ عنه: عبد الرزاق الصنعاني صاحب التفسير، وابن وَهْب، توفي (١٨٢هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٤٩)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٦/ ١٧٧)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٦٥).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧/ ٦٢٠).

الدليل السابع عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾ [الكهف: ٩٠].

الدليل الثامن عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] الآية.

الدليل التاسع عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ [ق: ٣٩].

ووجه الاستدلال بهذه الآية، والآيات الست قبلها: أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أضاف الطلوع، والغروب، والدلوك، والتزاور إلىٰ الشَّمس؛ فدل علىٰ أنها هي التي تسير وتدور علىٰ الأرض، فتطلع عليها من ناحية المشرق، وتزول إذا توسطت السماء، وتغرب من الناحية الأخرىٰ.

ولو كانت الشَّمس قارَّة ساكنة كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم ويحذو حذوهم؛ لكانت إضافة هذه الأشياء إليها لغوًا لا معنىٰ له، ولا فائدة فِي ذِكْرِه.

ولا يخفىٰ، أن هذا من لوازم القول باستقرار الشَّمس وثَباتها، وهو قولٌ وخِيمٌ لا يصدر مِن أحدٍ يُؤمِن بالله وكتابه.

الدليل العشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١، ٢]، وفي هذه الآية دليل علىٰ أن الشَّمس تسِير، والقمر يتلوها تابعًا لها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**تلاها: تبعها**»، رواه ابن أبي حاتم، والحاكم(١) في «مستدركه»، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وكذا قال مجاهد: «**تلاها: تبعها**»(٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال:** «يتلو النهار»(٤).

---

(١) هو الإمام، الحافظ، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن حمدون أو (حمدويه) ابن نعيم، المعروف بابن البيع، ولُقِّبَ بالحَاكِمِ؛ لتَولِّيه القضَاء مرَّةً بعد مرَّة، ثُم اعتزَل منصبه ليتفرَّغ للعِلْم والتَّصْنِيف، وُلِدَ (٣٢١هـ)، طافَ الآفاق، وصنَّفَ الكتب الكِبَار والصِّغار، وأَخَذَ عن نحو أَلْفَيْ شخص، ومِن مشايخه: الدارقطني، وابن أبي الفوارس، وغيرهما، توفي (٤٠٥هـ)، انظر: «السير» (١٣/ ١٠٤)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٠٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٨).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٥٢).

(٤) المصدر السابق.

وقال قتادة: «إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشَّمس رُؤِيَ الهلال»(١).

وقال ابن زيد: «هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه، وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر»(٢).

الدليل الحادي والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥﴾ [الرحمن: ٥].

الدليل الثاني والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقد تقدم قريبًا قول مجاهد: «إن ذلك كحسبان الرحىٰ، وهو سفُّودها القائم الذي تدور عليه»(٣).

قال: «ولا يدور الحسبان إلا بالرحىٰ، ولا تدور الرحىٰ إلا بالحسبان»(٤).

قال: «فكذلك النجوم والشَّمس والقمر هي في فلك، لا يَدُمْنَ إلا به، ولا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٠).

(٣) تقدَّم.

(٤) تقدم.

يدوم إلا بهن»(١).

قال: «والحسبان والفلك يصيران إلىٰ شيءٍ واحد، غير أن الحسبان في الرَّحَىٰ، والفلك في المغزل»، رواه ابن أبي حاتم.

وذكره البخاري في «صحيحه» مختصرًا، فقال: «وقال مجاهد: بحسبان كحسبان الرحىٰ»(٢).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «مراده أنهما يجريان علىٰ حسب الحركة الرحوية الدورية، وعلىٰ وضعها»(٣).

وقيل: الحسبان مصدر كالحساب؛ أي: جعل الشَّمس والقمر يجريان بحساب مقدر معلوم لا يجاوزانه في منازل لا يعدوانها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥]، **قال**: «بحساب ومنازل»، رواه الحاكم في «مستدركه»، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٤).

ولا منافاة بين القولين، فإن الشَّمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، وفي

---

(١) تقدَّم.

(٢) «صحيح البخاري» (٨/ ١٤٤).

(٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٨).

فلك مستدير كاستدارة الرحىٰ، والله أعلم.

وقد قرن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو العليم الخبير بين الشَّمس والقمر في أكثر هذه المواضع التي ذكرنا، وأخبر أنَّ كُلًّا منهما يجري ويسبح في الفلك؛ فاعترف أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة بذلك في القمر، وأنكروه في الشَّمس؛ فكان مثلهم في ذلك مثل اليهود، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وليس لهم علىٰ التفريق دليل أبدًا إلا أن يكون من التخرُّصَات الكاذبة، والتَّوَهُّمات الفاسدة.

ونقول لهم: ما أمر الله نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوله لسلفهم: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

* * *

فصل

وأمَّا دلالة السُّنة علىٰ جريان الشَّمس، ففي أحاديث كثيرة، نذكر منها ما تيسر إن شاء الله تعالىٰ:

الحديث الأول:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر حين غربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ**

يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]»، متفق عليه واللفظ للبخاري، ورواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي(١)، والترمذي بنحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

قال: «وفي الباب عن صفوان بن عَسَّال(٣)، وحذيفة بن أسيد(٤)، وأنس، وأبي موسىٰ». انتهىٰ(٥).

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ**

---

(١) هو الإمام الحافظ سليمان بن داود بن الجارود، الفارسي الأصل، المعروف بـ«أبي داود الطيالسي»، صاحب «المسند»، توفي (٢٠٣) وقيل: (٢٠٤). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٧٨)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٣) هو الصحابي الجليل، صفوان بن عسال بن عامر المرادي، غزا مع رسول الله اثنتي عشرة غزوة، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حدود (٤٠هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٢٧)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٤).

(٤) هو الصحابي الجليل، حذيفة بن أسيد بن خالد، يكنىٰ أبا سريحة الغفاري، بايع تحت الشجرة، نزل الكوفة وتوفي بها وصلىٰ عليه زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٩٩).

(٥) «سنن الترمذي» (٤/ ٤٩).

إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارجعي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(١).

وفي هذا الحديث الصحيح أوضح دليل علىٰ أن الشَّمس تجري وتدور علىٰ الأرض، وفيه ردٌّ علىٰ أهل الهَيْئةِ الجَدِيدَة الذين يزعمون أن الشَّمس ثابتة لا تجري ولا تتحرك.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلا أَحَدٌ قَدْ بَنَىٰ بُيُوتًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلا أَحَدٌ قَدِ اشْتَرَىٰ غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَهَا»، قَالَ: «فَغَزَا فَأَدْنَىٰ لِلْقَرْيَةِ

(١) أخرجها مسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ، احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، الحديث رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم(١).

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ لَيَالِيَ سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»**، رواه الإمام أحمد، وإسناده صحيح علىٰ شرط البخاري(٢).

وهذا الحديث والذي قبله مِن أقوىٰ الأدلة علىٰ سير الشَّمس؛ ولهذا قال لها يُوشَع بنُ نُونٍ: **«إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ»**، ثم دعا الله تعالىٰ أن يحبسها عليه؛ فحُبِسَت؛ فهذا نصٌّ صريح في أن الشَّمس هي التي تسير وتدور علىٰ الأرض.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكان ينبغي ليوشع بن نون أن يخاطب الأرض، ويدعو الله تعالىٰ أن يحبسها عليه.

وعلىٰ قولهم؛ يكون خطاب يوشع للشمس خطأ، ودعاؤه بأن تُحبس عليه لغوًا، وإخبار النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك مقرَّرًا له خلاف الصواب.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٢).

هذا مقتضىٰ قولهم الباطل، وهو مما يُنَزَّه عنه آحاد العُقَلاء فضلًا عن أنبياء الله المعصومين؛ فقاتَلَ اللهُ أهْلَ الهَيْئَةِ الجَدِيدَة أنَّىٰ يؤفكون.

الحديث الرابع:

عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَمَرَ الشَّمْسَ فتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»، رواه الطبراني[١] في «الأوسط»، قال الهيثمي[٢]: «وإسناده حسن»[٣].

وفيه دليل علىٰ جريان الشَّمس، وفيه -أيضًا- الرد علىٰ أهْل الهَيْئةِ

---

(١) هو الإمام الحافظ، الرحال، صاحب المعاجم الثلاثة، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي الطبراني، ولد (٢٦٠هـ)، كان مِن فرسان العلم، بَقِيَ في ارتحال، ولقِيَ الرِّجال ستة عشر عامًا، وكتب عمَّن أقبل وأدبر، وجمع وصنَّف، وعمِّر طويلًا، وازدحم عليه المحدِّثون مِن الأقطار، من شيوخه: عبد الله بن أحمد بن حنبل، والنسائي، وغيرهما، ومِمَّن أخذ عنه: ابن مردويه، وأبو نعيم، وابن منده، وغيرهم، توفي (٣٦٠هـ)، انظر: «السير» (١٦/ ١١٩)، و«طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٩)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢٧٠).

(٢) هو الحافظ، نور الدين، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، القاهري، الشافعي، وُلِدَ (٧٣٥هـ)، صَحِبَ الشَّيخ زَيْن الدِّين العِرَاقي وهو صغير، ورَحَل معه جميع رَحلَاته، وحَجَّ معه جميع حجَّاته، ولم يَكُن يفارقه حضَرًا ولا سفَرًا، ورافَقَهُ في جَمِيع مَسْمُوعِه بمصر، والحرمين، وبيت المقدس، توفي (٨٠٧هـ)، انظر: «إنباء الغمر» (٥/ ٢٥٦)، و«شذرات الذهب» (٧/ ٧٠)، و«طبقات المحدثين» (ص١١٥).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٢٤).

الجَدِيدَة الذين يزعمون أن الشَّمس لا تجري، ولا تتحرك.

الحديث الخامس:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صدَّق أُميَّة(١) في شيء من شعره، فقال:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ … وَالنَّسْرُ لِلأُخْرَىٰ وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**صَدَقَ**»، وقال:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ … حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

تَأبَىٰ فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا … إِلَّا مُعَذَّبَةً وإِلَّا تُجْلَدُ

فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**صَدَقَ**»، رواه الإمام أحمد، وابنه عبد الله في «زوائد المسند»، وفي كتاب «السنة»، وابن خزيمة(٢) في كتاب «التوحيد»، وأبو

---

(١) هو أُمَيَّة بن أبي الصَّلت الثقفي، ويقال له: أبو الحكم، شاعر جاهلي، ومِن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد، وكان من الدعاة إلىٰ نبذ الأصنام وتوحيد الإله، توفي في السنة الخامسة من الهجرة و(٦٢٦م). انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨٠).

(٢) هو الحافظ الحُجة الفقيه، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري الشافعي، ولد (٢٢٣هـ)، عُرِف بشُفوف نظَرِه في باب التَّعارُض والتَّرجيح في أصول الفقه، حيث كان بارعًا في إيجاد أَوْجُه الجَمْع بين النُّصوص الصَّحِيحَة المُتعَارضة في الظَّاهر، سَمِع مِن البخاري، ومسلم، والذُّهْلِي، وغيرهم، كما هو روَىٰ عنه مجموعة من مشايخه أيضًا، توفي (٣١١هـ)، انظر: «تذكرة الحفاظ» (ص٧٢٢)، و«طبقات الشافعية» (١٣/ ١١١)، و«السير» (٩/ ٢٣٦).

يعلىٰ[١]، والطبراني، ورواته ثقات[٢].

وفي بعض طرقه عند ابن خزيمة تصريح محمد بن إسحاق أن شيخه حدَّثه بذلك؛ فزَالَ ما يُخْشَىٰ مِن تدليسه.

قال ابن خزيمة: «**قوله:** وإلا تجلد. معناه اطلعي، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا».

قلت: قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذي أشار إليه ابن خزيمة هو ما رواه أبو بكر ابن الأنباري[٣] في كتاب «المصاحف» بإسناده عن عكرمة، قال: قلت لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أرأيت ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُمَية بن أبي الصَّلت

---

(١) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو يعلىٰ، أحمد بن علي بن المُثَنَّىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن هلال التميمي المَوْصِلِي، مُحَدِّث الموصل، وصاحب «المسند» و«المعجم»، وُلد (٢١٠هـ)، فهو أبر مِن النَّسائي بخمس سنين، وأعلىٰ إسنادًا منه، انتهىٰ إليه علو الإسناد، وازدحم عليه أصحاب الحديث، وعاش سبعًا وتسعين سنة، حتىٰ توفي (٣٠٧هـ)، انظر: «طبقات الحفاظ» (٣٠٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٧٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥٦) (٢٣١٤)، وأبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٢٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١١٦١٧).

(٣) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، المعروف بابن الأنباري، أو أبو بكر الأنباري، الإمام، الحافظ، النحوي، اللغوي، كان يحفظ ٣٠٠ ألف بيت شاهد في القرآن، ومئة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها، توفي (٣٢٨هـ). انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ٤٢).

آمَنَ شِعرُه وكفَر قلبُه. فقال: هو حق، فما أنكرتم من ذلك؟

قلت: قوله في الشَّمس: إلَّا مُعذبة وإلا تُجْلَدُ.

فقال: والذي نفسي بيده، ما طلعت الشَّمس قط حتىٰ ينخسها سبعون ألف ملك، فيقولون لها: اطلعي. فتقول: لا أطلع علىٰ قومٍ يعبدونني من دون الله. فيأتيها ملَكٌ عن الله عَزَّوَجَلَّ يأمرها بالطلوع، فتشتعل لضياء بني آدم، فيأتيها شيطانٌ يُريد أن يصدها عن الطُّلوع، فتطلع بين قرنيه؛ فيُحرِقه الله تحتها»(١).

وروىٰ أبو نعيم(٢) في «الحلية» من طريق الأوزاعي(٣) عن عبدة -يعني

---

(١) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٩)، وإسناده ضعيف، انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٥٧)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ١٩).

(٢) هو الإمام الثِّقة، المؤرِّخ، أبو نُعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ المهراني الأصبهاني، وُلِد (٣٣٦هـ)، مِن شيوخه: الطبراني، وقد أخذ عنه: الخطيب البغدادي، وكانَ أبوه مِن عُلمَاء المحدِّثين والرَّحالِين؛ فاسْتجَاز له جماعة مِن كِبَار المسندين، توفي (٤٣٠هـ)، انظر: «معجم البلدان» (١/ ٢١٠)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٥٣).

(٣) هو شيخ الإسلام، المُحدِّث، الفقيه، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأَوْزَاعِي، واسمه: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، كان مولده في حياة الصحابة (٨٨هـ)، وحدَّثَ عن: عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن شعيب، ومكحول، وقتادة، والزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير، ومحمد بن سيرين، وابن المنكدر، روَىٰ عنه: ابن شهاب الزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير -وهما من شيوخه-، وشُعبة، وسفيان الثَّوري، وتوفي (١٥٧هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤٨٨)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٨)، =

ابن أبي لبابة(١)-، قال: «مَا ظَهرَت الشَّمْسُ قَطُّ حَتَّىٰ تَضْرِبَ مَرَّة أَوْ مَرَّتَيْنِ، حَتَّىٰ تَجْذِبَ جَذْبًا، تقُولُ: إنِّي أُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ»(٢).

الحديث السادس:

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَغِيبَ»**، متفق عليه(٣).

الحديث السابع:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **قال:** سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّىٰ تَغِيبَ الشَّمْسُ»**، متفق عليه(٤).

=

و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٠٧).

(١) الإمام عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي ثم الغاضري، مولاهم التاجر، نزل دمشق، وحدَّث عن ابن عمر، وعلقمة، وسويد بن غفلة، وروىٰ عنه: الأوزاعي، وشعبة، وسفيان، مات في حدود (١٢٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٩)، و«التاريخ الكبير» (٨/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٦).

الحديث الثامن:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ»**، رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»، وإسناده صحيح(١).

الحديث التاسع:

عن عبد الله الصنابحي(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا، ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا، فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا»**، رواه مالك، والشافعي، وأحمد، والنسائي، بأسانيد صحيحة علىٰ شرط الشيخين(٣).

الحديث العاشر:

عن عمرو بن عبسة السُّلَمي(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قلت: يا رسول الله، أيُّ

---

(١) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٥٨٥).

(٢) عبد الله الصنابحي، اختُلف في صحبته، وذكره ابن سعد (٧/ ٤٢٦)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٤/ ١٨٥)، وجزم بصحبته ابن معين كما في «سؤالات ابن محرز» (٢/ ١٥٣).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٤)، والشافعي في «مسنده» (٨٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٥٤٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٤٨).

(٤) هو الصحابي الجليل، عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة، وهو أبو نجيح البجلي، أحد =

الليل أسمع؟ قال: «**جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَتَرْتَفِعَ قِيسَ رُمْحٍ، أَوْ رُمْحَيْنِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ يَعْدِلَ الرُّمْحُ ظِلَّهُ، ثُمَّ أَقْصِرْ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ تُسْجَرُ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا، فَإِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ، حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ**»، الحديث رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، وهذا لفظه والنسائي، والترمذي مختصرًا، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب[١].

وفي إضافة الطلوع، والارتفاع، والزَّوال، والدُّنُو، والغروب إلىٰ الشَّمس دليل علىٰ أنها تجري وتدور علىٰ الأرض، ولو كانت ثابتة في موضعها كما يزعمه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لكان ينبغي أن تجعل هذه الأفعال للأرض، وهذا لا يقوله عاقل.

والأحاديث التي فيها ذكر طلوع الشَّمس، وزوالها، وغروبها، وطلوعها في

=

السابقين، ويقال له: ربع الإسلام، قال الذهبي: لعله مات بعد سنة ستين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٠).

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأبو داود (١٢٧٧).

آخر الزمان من مغربها كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته ههنا كفاية لمن أراد الله هدايته، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم بإسناد صحيح، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «الشَّمس بمنزلة الساقية، تجري بالنهار في السماء في فلَكِها، فإذا غربت جرت بالليل في فلَكِها تحت الأرض، حتىٰ تطلع من مشرقها، قال: وكذلك القمر»(١).

* * *

فصل

وإذا علم أن جريان الشَّمس ثابت بالدلائل القطعية من نصوص الكتاب والسنة؛ فليعلم -أيضًا- أنه ثابت بالمشاهدة مِن سيرها في البروج والمنازل، كما يسير القمر وسائر الكواكب السيارة فيها.

ففي أوَّل بُرج الحَمَل تكون الشَّمس سائرة في خط الاستواء؛ وحينئذ يكون بينها وبين كلٍّ مِن القُطبَين تِسْعُون درجة، ثم تميل بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلىٰ جهة القطب الشمالي، وينتهي بعدها عن خط الاستواء في أول بُرج السَّرَطان، وذلك نحو من ثلاث وعشرين درجة؛ وحينئذ يكون بينها وبين القطب الشمالي سبع وستون درجة، وبينها وبين القطب الجنوبي مئة وثلاث عشرة درجة، ثم ترجع

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣١٣٦).

شيئًا فشيئًا، حتىٰ تصل إلىٰ خط الاستواء في أول بُرج المِيزَان؛ وحينئذ يكون بينها وبين كلٍّ مِن القُطبين تسعون درجة، ثم تميل بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلىٰ جهة القطب الجنوبي.

وينتهي بعدها عن خط الاستواء في أول بُرج الجَدْي، وذلك نحو من ثلاث وعشرين درجة؛ وحينئذ يكون بينها وبين القطب الجنوبي سبع وستون درجة، وبينها وبين القطب الشمالي مئة وثلاث عشرة درجة.

ثم ترجع شيئًا فشيئًا حتىٰ تصل إلىٰ خط الاستواء في أول برج الحمَل، وهكذا هي سائرة علىٰ الدوام.

ولها في كل ثلاثة عشر يومًا منزلة من المنازل الثمان والعشرين تقارنها في مسيرها، ثم تتخلف عنها، وتقارن التي تليها، وهكذا هي علىٰ الدوام.

وأمَّا القمر؛ فله في كل يوم وليلة منزلة من المنازل يقارنها في مسيره.

ولو كانت الشَّمس ساكنة ثابتة كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لما كانت تدور علىٰ البروج والمنازل، وتكون في خط الاستواء تارة، وتميل نحو الشمال تارة، ونحو الجنوب تارة، وتقرب من القطب الشمالي في الصيف، وتبعد عنه في الشتاء، وتقرب من القطب الجنوبي في الشتاء، وتبعد عنه في الصيف، وتتوسط بين القطبين في فصلي الربيع والخريف.

وسيرها في البروج والمنازل، وميلها نحو الجنوب في الشتاء، ونحو

الشمال في الصيف، ورجوعها إلىٰ خط الاستواء في فصلي الربيع والخريف معلوم عند كل عاقل، ولا ينكره إلَّا مَن هو ذاهب العقل، أو معاند يكابر في المحسوسات، ويباهت في الضروريات.

وقد تقدم قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ قال: «بحساب ومنازل»، رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

* * *

فصل
في ذكر الأدلة على ثبات الأرض واستقرارها

فأما الأدلة من القرآن ففي عدة آيات:

الآية الأولىٰ:

قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ [فاطر: ٤١].

وهذه الآية من أوضح الأدلة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، ولو كانت تجري وتدور علىٰ الشَّمس كما زعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكانت تزول من مكان إلىٰ مكان، وهذا خلاف نص الآية الكريمة.

الآية الثانية:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

قال البغوي: «قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قامَتَا علىٰ غير عمد بأمره»(١).

وقال ابن كثير علىٰ قوله تعالىٰ: «﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا اجتهد في اليمين، قال: «والذي تقوم السماء والأرض بأمره»، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «ويجيء القيام بمعنىٰ الوقوف والثبات، يقال: للماشي: قِفْ لِي؛ أي: تحبس مكانك حتىٰ آتيك، وكذلك: قُمْ لي، بمعنىٰ قِفْ لي؛ وعليه فسَّروا قوله سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ [البقرة: ٢٠]، قال أهل اللغة والتفسير: قاموا هنا بمعنىٰ وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين. ومنه التوقف في الأمر، وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له»(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٦/ ٢٦٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣١٠).

(٣) «لسان العرب» (١٢/ ٤٩٧).

قال: «ومنه قامت الدابة، إذا وقفت عن السير، وقام عندهم الحق؛ أي: ثبت ولم يبرح، ومنه قولهم: أقام بالمكان هو بمعنىٰ الثبات، ويقال: قام الماء، إذا ثبت متحيرًا لا يجد منفذًا، وإذا جمد أيضًا»(١).

قلت: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، فمعناه الوقوف والثبات وعدم الحركة والدوران، والله أعلم.

الآية الثالثة:

قوله تعالىٰ في سورة «المؤمن»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤] الآية.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: جَعَلَهُما لكم مُستقَرًّا بساطًا مهادًا، تعيشون عليها، وتتصرَّفُون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال؛ لئلَّا تميد بكم: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ أي: سقفًا للعالم محفوظًا»(٢).

الآية الرابعة:

قوله تعالىٰ في سورة «النمل»: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١] الآية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٥٦).

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «يقول: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾؛ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد، ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك؛ لَمَا طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا، ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤]»(١).

وقال البغوي: «قرارًا لا تميد بأهلها»(٢).

قلت: والقرار معناه في لغة العرب الثبات والسكون.

قال في القاموس وشرحه: «قَرَّ بالمكان يَقِرُّ بالكسر والفتح، قرارًا وقُرورًا وقَرًّا وتَقِرَّة، ثبت وسكن؛ فهو قارٌّ كاستقَرَّ، وتقَارَّ، وهو مستقِرٌّ». انتهىٰ(٣).

ثم قال ابن كثير علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ﴾ [النمل: ٦١]: «أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلَّا تَمِيد بِكُم»(٤).

وقال القرطبي علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ﴾: «يعني جبالًا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة»(٥).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ١٧١).

(٣) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٥٩٢) بتصرف.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣).

(٥) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٢٢).

الآية الخامسة:

قوله تعالىٰ في سورة «النحل»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل: ١٥].

الآية السادسة:

قوله تعالىٰ في سورة «الأنبياء»: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١] **الآية.**

الآية السابعة:

قوله تعالىٰ في سورة «لقمان»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠] الآية.

وفي كلٍّ مِن هذه الآيات دليلٌ علىٰ استقرار الأرض وسُكونِهَا.

قال الراغب الأصفهاني: «**المَيد**: اضطراب الشيء العظيم، كاضطراب الأرض، قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾»(١).

وقال ابن الجوزي في تفسير سورة «النحل»: «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: نصَبَ فيها جبالًا ثوابت: ﴿أَن تَمِيدَ﴾؛ أي: لئلَّا تميد، وقال

---

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص٤٧٧).

الزَّجَّاج(١): كراهة أن تميد، يقال: مَادَ الرجل يميد ميدًا إذا أدير به. وقال ابن قُتَيبة(٢): الميد الحركة والميل، يقال: فلان يميد في مشيته؛ أي: يتكفأ»(٣).

وقال البغوي: «**قوله تعالىٰ:** ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ أي: لئلَّا تميد بكم؛ أي: تتحرك وتميل، والميد هو الاضطراب والتكفؤ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: مَيد.

قال وَهْب: لَمَّا خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة أحدًا علىٰ ظهرها، فأصبحت وقد أُرْسِيَت بالجبال؛ فلم تدر الملائكة

---

(١) هو الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري، الزَّجَّاج، البغدادي، مصنف كتاب «معاني القرآن»، وله تآليف جمة، لَزِمَ المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهمًا، فنصحه وعلَّمه، مات سنة (إحدىٰ عشرة وثلاث مئة)، وقيل: مات في تاسع عشر جمادىٰ الآخرة سنة عشرة. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» (١١٢-١١١)، و«تاريخ بغداد» (٦/ ٩٣ ٨٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٦٠).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ويقال له: القُتَبِي، الإمام، الأديب الشهير، حدث عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد بن عبيد الله الزيادي، ولي قضاء الدينور، وكان رأسًا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس، توفي سنة (٢٧٦هـ). انظر: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (١١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٩٦).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٤٣٥).

مِمَّ خلقت الجبال»(١).

قلت: وقد روىٰ عبد الرزاق عن معمر(٢) عن قتادة عن الحسن نحوه.

وروىٰ سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد نحو ذلك أيضًا.

وروىٰ ابن جرير عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لما خلق الله الأرض قمصت، وقالت: تخلق علَيَّ آدمَ وذُريَّته يُلْقُونَ علَيَّ نَتنَهم، ويعملون علَيَّ بالخطايا؟ فأرساها الله بالجبال، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور، إذا نحر يختلج لحمه»(٣).

ويشهد لهذه الآثار ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ**»، الحديث(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ١٣).

(٢) هو معمر بن المثنَّىٰ التيمي البصري، النحوي اللغوي، وُلِدَ (١١٠هـ) في ليلة وفاة الحسن البصري، حدَّثَ عن: هِشَام بن عُرْوَة، ورُؤْبَة بن العجَّاج، وأبي عمرو بن العَلاء، وحدَّث عنه: ابن المديني، والقاسم بن سلام، والمازني، كان إباضِيًّا، قال ابن المَدِيني: «كان لَا يَحْكِي عن العرَب إلَّا الشَّيء الصَّحِيح»، انظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٥٢، ٢٥٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٤٦).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧/ ١٨٣) بتصرف.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

وقال ابن كثير في تفسير سورة «النحل»: «ذكَرَ تعالىٰ الأرض وما ألقىٰ فيها من الرواسي الشامخات، والجبال الراسيات؛ لتقر الأرض ولا تميد؛ أي: تضطرب بما عليها من الحَيوانات، فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك»(١).

وقال -أيضًا- في تفسير سورة «الأنبياء»: «قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالًا، أرسىٰ الأرض بها، وقرَّرَها، وثقَّلها؛ لئلَّا تميد بالناس؛ أي: تضطرب وتتحرك؛ فلا يحصل لهم قرار عليها»(٢).

وقال -أيضًا- في تفسير سورة «لقمان» علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: «يعني الجبال أرست الأرض، وثقَّلَتها؛ لئلَّا تضطرب بأهلها علىٰ وجه الماء، ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ أي: لئلَّا تميد بكم»(٣).

وقال القرطبي في تفسير سورة «الأنبياء»: «وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابت: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]؛ أي: لئلَّا تميد بهم، ولا تتحرك؛ ليتم القرار عليها. قاله الكوفِيُّون.

وقال البصريون: المعني كراهية أن تميد، والميد التحرك والدوران، يقال: مَادَ رأسه؛ أي: دَارَ»(٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٦٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٤٠).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣٢).

(٤) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٨٥).

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾: «الميد التحرك والدوران؛ أي: لئلَّا تتحرك وتدور بهم»(١).

الآية الثامنة:

قوله تعالىٰ في سورة «الرعد»: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: ٣] الآية.

قال ابن كثير: «أي: جعَلَهَا مُتَّسعَة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبالٍ راسياتٍ شامخات»(٢).

وقال البغوي عند قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [فُصِّلَت: ١٠]: «جبالًا ثابتة واحدتها راسية»(٣).

وقال القرطبي عند قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: «أي: جبالًا ثوابت، واحدها راسية؛ لأن الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت، والإرساء: الثبوت»(٤).

---

(١) «فتح القدير» (٣/ ٥٨٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣١).

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٣).

(٤) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٠).

الآية التاسعة:

قوله تعالىٰ في سورة «الحجر»: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الحِجر: ١٩] الآية.

قال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: «بسطناها علىٰ وجه الماء: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾، جبالًا ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلىٰ أن أرساها الله بالجبال»[١].

الآية العاشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «فصلت»: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فُصِّلَت: ١٠] الآية.

قال البغوي: «﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض: ﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت»[٢].

قال القرطبي: «واحدها راسية؛ لأنَّ الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت، والإرساء: الثبوت»[٣].

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٤) بتصرف.

(٢) «تفسير البغوي» (٧/ ١٦٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٠).

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «ق»: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [ق: ٧] الآية.

قال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾: بسَطْناهَا علىٰ وجه الماء: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا شوامخ[(١)]»[(٢)].

وقال ابن كثير علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾: «أي: وسعناها وفرشناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾، وهي الجبال؛ لئلَّا تَمِيدَ بأهلها، وتضطرب، فإنَّها مقرة علىٰ تيار الماء المحيط بها مِن جَمِيع جوَانبِها»[(٣)].

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «المرسلات»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٧].

قال ابن كثير علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ﴾: «يعني الجبال رسَّىٰ بها الأرض؛ لئلَّا تميد وتضطرب»[(٤)].

---

(١) في «تفسير البغوي» قال: «جبالًا ثوابت».

(٢) «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٩٦).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩٩).

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «النازعات»: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٣٠ - ٣٣].

قال ابن كثير علىٰ قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾: «أي: قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم»(١).

«**وقوله:** ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾؛ **أي:** دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرىٰ أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبَّتَ جبالها؛ لتستقر بأهلها، ويقر قرارها كل ذلك متاعًا لخلقه، ولِمَا يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلىٰ أن ينتهي الأمد، وينقضِي الأجَل»(٢).

الآية الرابعة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «النبأ»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾

[النبأ: ٦، ٧].

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ- علىٰ قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٧).

«أي: مُمهَّدة للخلائق، ذَلولًا لهم، قارة ساكنة ثابتة: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾؛ أي: جعلها لها أوتادًا أرساها بها، وثبَّتها، وقرَّرها حتىٰ سكنَتْ، ولم تضطرب بمن عليها»(١).

وقال القرطبي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾: «أي: لتسكن ولا تتكفأ بأهلها»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «وأوتاد الأرض: الجبال؛ لأنها تُثَبِّتُها»(٣).

الآية الخامسة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «الزخرف»: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ [الزُّخرُف: ١٠].

قال ابن كثير علىٰ قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: «أي: فراشًا قرارًا، ثابتة تسيرون عليها، وتقومون وتنامون وتتصرفون، مع أنها مخلوقة علىٰ تيَّار الماء، لكنه أرساها بالجبال؛ لئلَّا تمِيد هكذا ولا هكذا»(٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٧١).

(٣) «لسان العرب» (٣/ ٤٤٥).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢١٩).

الآية السادسة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «الذاريات»: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ [الذاريات: ٤٨].

قال ابن كثير: «أي: جعلناها فراشًا للمخلوقات: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾؛ أي: وجعلناها مهدًا لأهلها»(١).

وقال في «البداية والنهاية»: «وقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾؛ أي: بسَطْناهَا، وجعلناها مهدًا؛ أي: قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم»(٢).

وقال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾: «بسطناها ومهدناها لكم، ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ الباسطون نحن.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نِعْمَ ما وَطَّأْتُ لعِبادي»(٣).

الآية السابعة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] الآية.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ١٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٧٩).

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ-: «شرَعَ تبَارَكَ وتَعَالَىٰ في بيان وَحْدَانيَّة أُلوهِيَّته، بأنه تعالىٰ هو المنعم علىٰ عبيده بإخراجهم من العدم إلىٰ الوجود، وإسباغه عليهم النِّعَم الظَّاهرة والباطنة؛ بأنْ جَعل لهم الأرض فراشًا؛ أي: مهدًا كالفِرَاش، مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾، وهو السقف»[1].

قال: «**ومِن أشبه آية بهذه الآية:** قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. الآية، **قال:** «ومَضْمُونُه أنه الخَالِق الرَّازق، مالِكُ الدارِ وساكنيها ورازِقُهم؛ فبهذا يستحق أن يُعبَد وحده، ولا يُشرَك به غيره، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]»[2].

قلت: وقد استدَلَّ الرَّازي[3] بهذه الآية علىٰ سكون الأرض وثباتها،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي المعروف بالفخر الرازي، كان أشعريًّا، عالمًا بالتفسير، والفلك، والرياضيات، والفلسفة والكلام، وله ردود علىٰ الفلاسفة والمتكلمين نصر بها مذهب أهل السنة والجماعة، وقد اعترف في آخر عمره، حيث قال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن»، توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: «الكامل في التاريخ» (١٢/ ١٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٥٠٠).

وسيأتي كلَامُه مع الأدلة العقلية علىٰ ثبات الأرض إن شاء الله تعالىٰ.

الآية الثامنة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «نوح»: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

قال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾: «فرَشَها وبسَطها لكم»(١).

وقال ابن كثير: «أي: بسَطهَا ومهَّدها، وقرَّرها وثبَّتها بالجبال الرَّاسيات الشُّم الشامخات، ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: خلقها لكم لتستقروا عليها، وتسلكوا فيها أين شئتم مِن نوَاحيها وأرجائها وأقطارها»(٢).

الآية التاسعة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «الملك»: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك: ١٥].

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «ذكر نعمته علىٰ خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتَذْلِيله إيَّاها لهم، بأنْ جعَلها قارَّة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب؛ بما

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٤).

جعل فيها من الجبال»(١).

وقال القرطبي في «تفسيره»: «**وقيل:** أيْ ثبَّتها بالجبال؛ لئلَّا تزول بأهلها ولو كانت تتكفأ مُتمَايِلَة لِمَا كانت منقادة لنا»(٢).

قلت: قد زَعم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة ومَن يقلِّدهم ويَحْذُو حَذْوَهم من المسلمين أنَّ الأرض تَسِير في الثَّانية أكثر مِن ثلَاثين كيلومترًا، وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمس مئة ألف فَرْسَخ.

ولو كان الأمر علىٰ ما زعموه مِن سَيْر الأرض بهذه السرعة الهائلة؛ لَمَا كانت ذلولًا للخلائق، ولا فراشًا، ولا مهدًا، ولَمَا استقر علىٰ ظهرها شيء من البِنَاء والشَّجر، فضْلًا عن الحيوانات، وذلك لشدة مَخْرِهَا(٣) للهواء، وشدة صدم الهواء لوجهها.

واعتبر ذلك بالطائرة النفَّاثة التي لا تبلغ في سرعة سيرها عُشْرَ عُشرِ العُشْر مِمَّا زعَمُوه في سرعة سير الأرض.

هل يقول عاقل: إنه يمكن أن يستقر حيوان علىٰ ظهر الطائرة النفاثة وهي سائرة؟ كلَّا، لا يقول ذلك عاقل أبدًا.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢١٥).

(٣) «**المَخْر**»: الجريَان.

وإذا كان استقرار الحيوانات علىٰ ظهر الطائرة في حال سيرها مستحِيلًا؛ فكذلك الاستقرار علىٰ ظهر الأرض لو كانت تسير بالسُّرعة الهائلة التي زعموها بطريقِ الأَوْلَىٰ، ولَما كانت الأرض ذلولًا للخلائق، وفراشًا ومهدًا لهم، دل ذلك علىٰ أنها ثابت ساكنة.

فهذه الآية والآيات الخمس قبلها من أوضح الأدلة علىٰ سكون الأرض وثباتها.

الآية العشرون:

قوله تعالىٰ في سورة «الملك»: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [المُلك: ١٦].

قال ابن كثير: «أي: تذهب وتَجِيء وتضطرب»[(١)].

وقال البغوي: «**قال الحسَن:** تتحرَّك بأهلها. وقيل: تهوِي بهم»[(٢)].

وقال الراغب الأصفهاني: «المَوْر الجرَيان السريع، يقال: مارَ يَمُور مَوْرًا»، قال: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطور: ٩]، ومار الدم علىٰ وجهه. والمَوْر: التراب المتردد بالرِّيح، وناقة تمور في سيرها؛ فهِيَ موارة»[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٠).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ١٧٨).

(٣) «مفردات غريب القرآن» (ص٤٧٨).

وقال الجوهريُّ، والهرَوِيُّ[(١)] **وغيرُهمَا من أئمة اللُّغة:** «مار الشيء يمور مورًا إذا جاء وذهب»[(٢)].

وقال ابن الأثير[(٣)]: «وفي حديث: قُسٍّ، ونجُوم تَمُور؛ أي: تذهب وتجيء»[(٤)].

قلت: والمعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦﴾، كالمعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ٩﴾.

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: «تدور دورًا»[(٥)].

---

(١) هو أبو منصور، المعروف بالأزهري صاحب «تهذيب اللغة»، وقد تقدمت ترجمته، وليس أبا إسماعيل الهروي الحافظ المعروف.

(٢) «الصحاح» (٢/ ٢٨٠)، و«تهذيب اللغة» للأزهري الهروي (٥/ ١٦٠).

(٣) هو الإمام، العلامة، المحدث، الأديب، النسَّابة، عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، المعروف بابن الأثير، مصنف «التاريخ الكبير» الملقب بـ«الكامل»، ومصنف «معرفة الصحابة» الملقب بـ«أسد الغابة»، توفي (٦٣٠هـ). انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٧٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٩٩-١٤٠٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٥٣).

(٤) «النهاية في غريب الأثر» (٤/ ٨١١).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٢).

وقال الضحاك: «استدارتها وتحركها لأمر الله، وموج بعضها في بعض»[(١)].

قال ابن كثير: «وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة.

قال: «وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ بيت الأعشىٰ، فقال:

كَأنَّ مشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ[(٢)]

قلت: ومثل ذلك قول كعب بن زهير[(٣)] في الرِّيح.

عَفته رياحُ الصيف بعدي بمَورها وأبرته الجوزاء بالوَبل والديم

وقال البغويُّ في «تفسيره»: «﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾؛ أي: تدور كدَوَران الرَّحَىٰ، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السَّفينة. قال قتادة: تتحرك. وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض. وقيل: تضطرب.

والمور يجمع هذه المعاني، فهو في اللغة: الذَّهاب والمَجِيء والتَّردُّد والدَّوَران والاضطِرَاب». انتهىٰ[(٤)].

إذا علم هذا فآية سورة الملك دالَّة علىٰ أنَّ الأرض قارَّة ساكنة، لا تدور،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣١)، والبيت أورده الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٣١).

(٣) الشاعر المخضرم، كعب بن زهير بن أبي سُلمىٰ المزني، أبو المضرّب صاحب قصيدة «بانت سعاد»، عاش الجاهلية ثم أسلم ومدح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي (٣٨هـ). انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١٢٣).

(٤) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٧).

فتذهب وتجيء؛ ولهذا امتن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ عباده بتذليلها لهم، وحذَّرَهُم مِن عقوبته بأنْ يَخْسِفَ بهم الأرض، ويجعلها تمور بهم.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم مِن العَصْرِيِّين؛ لكانت الأرض تمور دائمًا كما تمور النجوم، والسحاب، والرِّيح، ولم يبق للتَّخويف بمَوْرِهَا فائدة.

الآية الحادية والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

الآية الثانية والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سبأ: ٩] الكِسْف القِطْع.

الآية الثالثة والعشرون:

قوله تعالىٰ إخبارًا عن مُشْرِكِي قريش أَنَّهم قالوا: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢].

الآية الرابعة والعشرون:

قوله تعالىٰ إخبارًا عن قومِ شُعَيب أنَّهم قالوا: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

الآية الخامسة والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الخمس علىٰ استِقْرَار الأرض وسُكونها أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعَل الأرض مرْكَزًا للأثقال، ومستقرًّا لِمَا ينزل من السماء، فلو سقطت السماء؛ لوقعت علىٰ الأرض، ولو سقط منها شيء؛ لم يستقر إلَّا في الأرض.

ولو كانت الأرض تجري وتدور علىٰ الشَّمس، كما زعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لكانت الشَّمس هي المركز والمستقر للأثقال، وهذا تكذيب للقرآن.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ١، ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ١، ٢].

قال البغوي وغيره في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢]:

«أي: تناثرت من السماء وتساقطت علىٰ الأرض»[١]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾».

ورَوَىٰ ابنُ أبي حاتم بإسنادٍ ضعيف، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «**يُكور الله الشَّمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحًا دبورا فيضرمها نارًا**»[٢].

وكذا ذكر البغويُّ في «تفسيره» عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قال ابن كثير: «وكذا قال عامر الشَّعبي[٣]»[٤].

قلت: ويَشْهَد لهذا الأثر ما رواه البخارِيُّ في «صحيحه»: حدثنا مُسَدَّد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج، قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الشَّمْسُ**

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٥٧).

(٣) هو الإمام الحافظ عامر بن شراحيل الشعبي، أدْرَكَ خَلْقًا مِن الصَّحابة والتابعين، فروَىٰ عن: سعد بن أبي وقاص، وأبي موسىٰ، وأبي هريرة، وعائشة، وعلقمة، وشُرَيح القاضي، وغيرهم مِن الصَّحابة والتَّابِعِين، وُلِد بعد خلافة عُمر بست سنين، وتوفي (١٠٤هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٩٤)، و«تاريخ البخاري» (٦/ ٤٥٠)، و«السير» (٤/ ٢٩٤).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩).

وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

ورواه البزار[(٢)] عن إبراهيم بن زياد البغدادي عن يونس بن محمد عن عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلَمة بن عبد الرحمن زَمَن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد -مسجد الكوفة-، وجاء الحسَن فجلس إليه فحدَّث، قال حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الشَّمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة**»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدِّثُك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: وما ذنبهما؟!

إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**»، قال الهيثمي: «فيه ضعفاء قد وُثِّقُوا»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

(٢) هو الشيخ الإمام، الحافظ الكبير، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري، البزار، صاحب «المسند» الكبير، ولد سنة نيف عشرة ومئتين، أخذ عن: عبد الأعلىٰ بن حماد، وعبد الله بن شبيب، وأحمد بن المقدام العجلي، وغيرهم، وأخذ عنه: ابن قانع، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، توفي (٢٩٢هـ)، انظر: «السير» (١٣/ ٥٥٤)، «الأعلام» (١/ ١٨٩)، «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٤١١٦).

قلت: وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد له ويُقَوِّيه.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الشَّعبي أنه سمع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩﴾ [التوبة: ٤٩]: وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه الشَّمس والقمر، ثم يوقد؛ فيكون هو جهنم)»[١].

وروىٰ الإمام أحمد، وابن جرير، والحاكم في «مستدركه» عن يعلي بن أمية[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّم**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[٣].

وفي الآيات من سورتي «التكوير»، و«الانفطار» مع هذه الأحاديث دليل علىٰ أنَّ الأرض هي المركز والمستقر للأثقال، وذلك يدلُّ علىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٩٤).

(٢) هو الصحابي الجليل، يَعْلَىٰ بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكِّي، حليف قريش، وهو يعلىٰ بن منية بنت غزوان، أخت عتبة بن غزوان، أسلم يوم الفتح وحَسُن إسلامه، وشهد الطائف وتَبُوك، وله عدة أحاديث، وكان يفتي بمكة، ووليَ اليمَن لعثمان، وكان مِمَّن خرج مع عائشة، وطلحة، والزبير نوبة الجمل في الطَّلَب بدم عثمان الشَّهيد، وتوفي في آخر خلافة معاوية. انظر: «أسد الغابة» (٥/ ١٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٣) (١٧٩٨٩)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٢).

سكونها وثَباتها كما تقدم تقرِيرُه.

وفيها ردٌّ علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة القائلين بحرَكةِ الأرض ودوَرانِهَا، وعلىٰ مَن يقلدهم ويحذو حذْوَهُم مِن المسلمين.

* * *

فصل

وأما الأحاديث الدالة علىٰ استقرار الأرض وسكونها:

فالأول منها:

حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ»**، الحديث رواه الإمام أحمد، والترمذي(١).

وهذا الحديث نصٌّ في استقرار الأرض وسكونها.

الحديث الثاني:

عن صفوان بن عسَّال المُرادي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ذكر بابًا من قِبَل المغرب، مسِيرَةُ عَرضِه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

عامًا، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحًا يعني للتوبة، لا يُغلق حتىٰ تطلع الشَّمس منه»، رواه الإمام أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

وفي رواية لهما: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ جَعَلَ بِالمَغْرِبِ بَابًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾** [الأنعام: ١٥٨] **الآية**»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

وقد رواه ابن ماجه في «سننه» بإسناد صحيح، ولفظه: «**إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلاَ يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**»(٣).

وهذا الحديث الصحيح من أقوىٰ الأدلة علىٰ أن الأرض قارة ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبدًا.

وهذا مستفاد مِن النَّصِّ علَىٰ أن باب التوبة ثابت في ناحية المغرب، لا

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣٩) (١٨١١٨)، والترمذي (٣٥٣٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٧٧).

(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٤٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٨٩).

يُزايِلُه ولا يغلق حتىٰ تطلع الشَّمس مِن قِبَلِه.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بحسب دوران الأرض، فتكون من ناحية المغرب تارة، ومن ناحية المشرق أخرىٰ، وعلىٰ مسَامتة[١] الرأس تارة، وفي الجهة المقابلة لذلك أخرىٰ، وفيما بين هذه الجهات تارات؛ بحسب دوران الأرض وسَيْرِهَا علىٰ حد زعمهم الكاذب، وهذا إبطالٌ للنص بغير دليل شرعي، بل بمجرد الظنون الكاذبة، والتَّوهُّمات الخاطئة.

الحديث الثالث:

قال أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي[٢] في «أخبار مكة»: «حدثني جَدِّي عن سعيد بن سالم، قال: أخبرني ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب مولىٰ ابن عباس[٣] عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) أي: مقابلة أو مواجهة الرأس.

(٢) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، الغساني، المكي، صاحب «أخبار مكة»، كان مؤرخًا، وهو أول من حاول كتابة تاريخ مكة، وقد أثنىٰ عليه كثير من أكابر العلماء والمُحدِّثين، توفي (٢٥٠هـ). انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص٢٩٤-٢٩٥).

(٣) هو مولىٰ ابن عباس، كريب بن أبي مسلم، الإمام، الحُجة، أبو رشدين، الهاشمي، العباسي، الحجازي، أدرك عثمان، وأرسل عن الفضل بن عباس، وحدَّثَ عن مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمه، وأختها ميمونة، وأسامة وطائفة، كان ثقةً حسن الحديث، توفي (٩٨هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ٢٩٣)، و«تاريخ ابن عساكر» (١٤/ ٢٧٢)، =

قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البَيْتُ الَّذِي فِي السَّماءِ يُقالُ: لَهُ الضُّرَاح، وَهُوَ مِثْل بِنَاء هَذَا البَيْتِ الْحَرَام، وَلَوْ سَقَطَ لسَقَطَ عَلَيْهِ، يَدْخُلُهُ كُل يَوْمٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ فِيه أَبَدًا**»(١).

ورواه الطبراني، فقال: أنبأنا الحسَن بن علوية القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسىٰ العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن صفوان بن سليم، عن كريب عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**البَيْتُ المَعْمُورُ فِي السَّماءِ يُقَال: له الضُّرَاح، وَهُو علَىٰ مِثْلِ البَيْتِ الحَرَام بحِيَالِه، لَو سَقَط لسقَطَ عليْهِ، يَدْخُلهُ كُل يومٍ سَبعُونَ أَلْفَ ملَكٍ، ثُمَّ لا يرَوْنَهُ قَطُّ، وإنَّ لَهُ فِي السَّمَاءِ حُرْمَةٌ علَىٰ قَدْرِ حُرْمَةِ مَكَّة. يَعنِي فِي الأَرْضِ**»(٢).

قال ابن كثير: «وهكذا قال العوفي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، وغير واحد.

وقال قتادة: «ذُكِرَ لنا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا لأصحابه: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْبَيْتُ المَعْمُور؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ بحِيَالِ الكَعْبَةِ، لَو خَرَّ لخَرَّ عليْهَا يُصَلِّي فِيه كُل يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ملَكٍ، إذَا**

=

و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٧٩).

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٢١٤).

خرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِر مَا علَيْهِم»[١].

وروىٰ ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**في السماء السابعة بيت يقال: له المعمور بحيال الكعبة**»[٢].

وقال ابن جرير: «حدَّثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عُرْعُرَة أنَّ رجلًا قال لعَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضراح، وهو بحيال الكعبة مِن فوقها، حُرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدًا»[٣].

ثم رواه ابن جرير من حديث علي بن ربيعة، وأبي الطُّفَيل أن ابن الكواء[٤] سأل عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن البيت المعمور؟ قال: مسجد في السماء يقال: له الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدًا[٥].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٦٧٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥).

(٤) هو عبد الله بن الكواء اليشكري، من بني يشكر، من رؤوس الخوارج. قال البخاري: لا يصح حديثه. وقال ابن حجر: وله أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعنته في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علِي. انظر: «لسان الميزان» (٤٣٨٥).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥).

ورواه أبو الوليد الأزرقي في «أخبار مكة» فقال: «حدثني جدي، قال حدثني سفيان بن عيينة(١) عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل قال: سأل ابن الكواء عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا البَيْتُ المَعمُور؟ قال: هو الضُّرَاح، وهُوَ حِذَاء هَذا البَيْت، وهُو في السَّمَاء السَّادِسَة، يَدخُله كُل يَوْمٍ سَبعُونَ أَلْفَ ملَكٍ لَا يَعُودُون فِيه أبدًا»(٢).

وقال -أيضًا-: حَدَّثني أبو محمد قال حدثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا سفيان بن عيينة بنحوه، إلَّا أنه قال: «في السَّماء السَّابعة»، وقال: «لا يعودون إليه أبدًا إلىٰ يوم القيامة»(٣).

---

(١) هو الإمام الكبير أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولىٰ محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم، ولد في الكوفة (١٠٧هـ)، وطلب الحديث، وهو حَدَث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جَمًّا، وأتقن، وجوَّد وجمَع وصنَّف، وعَمَّر دهرًا، سمع من: ابن شهاب الزهري، وعاصم بن أبي النجود، وأبي إسحاق السبيعي وطائفة، وحدَّث عنه: الأعمش، وابن جريج، وشُعبة وهؤلاء من شيوخه، وحدَّث عنه من تلامذته: حماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيىٰ القطان، والشافعي، وعبد الرزاق، والحُمَيدي، وسعيد بن منصور، ويحيىٰ بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، توفي (١٩٨هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٩٧)، و«التاريخ الكبير» (٤/ ٩٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٥).

(٣) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٦).

وقال -أيضًا-: «حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه[(١)] أنه وَجَد في التوراة بيتًا في السماء بحيال الكعبة فوق قبتها اسمه الضراح، وهو البيت المعمور، يَرِدُه كل يوم سبعون ألف ملَك، لا يعودون إليه أبدًا»[(٢)].

قال الجوهري: «**الضُّراح بالضم**: بيت في السماء، وهو البيت المعمور عن ابن عباس»[(٣)].

وقال ابن الأثير: «الضُّراح بيت في السماء حيال الكعبة، ويروىٰ الضريح، وهو: البيت المعمور، من المضارحة، وهي المقابلة، والمضارعة، وقد جاء ذكره في حديث عليٍّ، ومجاهد، ومَن رواه بالصاد فقد صحَّف»[(٤)].

---

(١) هو الأسوار، الإمام، العلَّامة، القصصي، وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني الذِّماري الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه، ولد في زمن عثمان عام (٣٤هـ)، وأخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة -إن صح-، وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص علىٰ خلاف فيه، وطاووس.. حتىٰ إنه ينزل ويَروِي عن عمرو بن دينار، وأخيه هَمَّام، وعمرو بن شُعَيب، وحدَّث عنه ولداه: عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وغيرهم، وتوفي (١١٤هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ٥٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٥).

(٣) «الصحاح» (١/ ٣٨٦).

(٤) «النهاية في غريب الأثر» (٣/ ١٧١).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «الضُّراح بالضم بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض، قيل هو البيت المعمور عن ابن عباس، وفي الحديث: «الضراح بيت في السماء حيال الكعبة».

ويُروىٰ: الضريح وهو البيت المعمور، من المضارحة، وهي: المقابلة والمضارعة، وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد»(١).

وقال صاحب «القاموس»: «الضُّراح كغُرَاب، البيت المعمور في السماء الرابعة». انتهىٰ(٢).

وقوله: «في السماء الرابعة» غلط، إما منه أو مِمَّن دُونَه؛ مِن النُّسَّاخ أو الطَّابعين؛ لأنه قد ثبت في «الصَّحِيحَيْن» وغيرهما أن البيت المعمور في السماء السابعة، والله أعلم.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وما ذكرنا معه من الآثار المتعاضدة دليل علىٰ استقرار الأرض وسكونها.

وهذا مستفاد من النص علىٰ أن الكعبة بحيال البيت المعمور في السماء، وإن البيت المعمور لو سقط؛ لسقط علىٰ الكعبة.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لما كان البيت المعمور

---

(١) «لسان العرب» (٢/ ٥٢٧).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٢٩٥).

بحيال الكعبة، ولو خر لم يخر عليها، بل يَخِرُّ علىٰ الشَّمس؛ لأنها هي المستقرَّة والمركز الذي تدور عليه الأفلاك علىٰ حد زعمهم الكاذب، ويلزم علىٰ هذا تكذيب الحديث والآثار المذكورة ههنا بغير مستنَدٍ صَحِيح.

الحديث الرابع:

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَرَّمَ هَذَا الْبَلَدَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَصَاغَهُ يَوْمَ صَاغَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَمَا حِيَالُهُ مِنَ السَّمَاءِ حَرَامٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ»**، رواه الطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» من طريقه، ولبعضه شواهد في «الصَّحِيحَيْن» وغيرهما من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأبي شريح الخزاعي[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[2].

وفيه دليل علىٰ استقرار الأرض وسكونها، وهذا مستفاد من النص علىٰ تحريم ما حيال حرم مكة من السماء.

ولو كانت الأرض تدور كما يزعمه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا كان حرَم السماء بحيال حَرَم الأرض في كل وقت، بل يكون بحياله تارة، وبحيال غيره

---

(١) هو الصحابي الجليل، أبو شريح الخزاعي، خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزىٰ، وقيل: عمرو بن خويلد، أسلم قبل الفتح، ونزل المدينة، ومات بها سنة (٦٨هـ). انظر: «أسد الغابة» (١/ ٣٣٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٧/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، وأبو نعيم «الحلية» (٤/ ١٩).

تارات، وهذا تكذيب للحديث بلا برهان.

الحديث الخامس:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ -وأشار إلىٰ مِثْلِ الجُمْجُمة- أُرْسِلَتْ مِن السَّماء إلىٰ الأرْض، وَهي مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، لَبَلَغَتِ الأرْضَ قَبْلَ اللَّيْل**»، الحديث رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبيهقي[١]، وقال الترمذي: هذا حديث إسناده حسن صحيح[٢].

ووجه الاستدلال بهذا الحديث علىٰ استقرار الأرض وثباتها: أن الله تعالىٰ جعل الأرض مركزًا للأثقال، ومستقرًّا لما ينزل من السماء، ولو كانت الأرض تجري وتدور علىٰ الشَّمس كما زعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكانت الشَّمس هي المركز والمستقر للأثقال، وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح.

---

(١) هو الحافظ الفقيه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علِي بن عبد الله بن موسىٰ البيهقي، بَيْهَق بنيسابور، وُلِد (٣٨٤هـ)، مِن أبرز شيوخه: الحاكم صاحب «المستدرك»، والمَرْوَزِي، وغيرهما، وقد اشتهر بالتصانيف الكثيرة النافعة في الفقه والحديث، وغير ذلك، وكان مُحَدِّث زمانه، وشيخ السُّنة في وقته، وأوْحَد زمانه في الحِفْظ والإتقان. وقد عمَّر طويلًا، مِمَّا مَكَّن عددًا كبيرًا للاستفادة منه، توفي (٤٥٨هـ)، انظر: «طبقات الشافعية» (٣/ ٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٧) (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٩).

وفي الحديث دليل آخر علىٰ استقرار الأرض وثباتها، وذلك مستفاد من النص علىٰ أن بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة.

والنص شامل لوجه الأرض من جميع الجهات؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلق ولم يخص جهة منها دون الجهة الأخرىٰ؛ فدل عموم النص علىٰ أن المسافة بين السماء والأرض خمس مئة سنة من كل جهة.

وقد قرَّر الإمام أبو الحسين ابن المنادي[١] أن بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، ووافقه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ وغيره علىٰ ذلك.

وفي حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرنا دليل لما قالوه.

وكذلك ما سيأتي من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، والعباس، وأبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في تقدير المسافة بين السماء والأرض.

وقد قرَّرُوا -أيضًا- أن السماء مستديرة، وأنها علىٰ مثال الكرة، وأنها محيطة بالأرض من جميع جهاتها، وأن الأرض كُرَوِيَّة الشكل، وهي في وسط كرة السماء، وحكَىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك، كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا مع النص علىٰ أن المسافة بين السماء والأرض خمس مئة سنة يدل

---

(١) سيأتي ذكره قريبًا، ويُعرِّفه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

علىٰ أن الأرض ثابتة لا تفارق موضعها.

قال شَيخُ الإسْلامِ أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «اعلم أن الأرض قد اتفقوا علىٰ أنها كروية الشكل، وهي في الماء بأكثرها؛ إذ اليابس السُّدُس وزيادة بقليل، والماء -أيضًا- مقبب من كل جانب للأرض.

والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا.

وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها، ونهاية التحت المركز؛ فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل، وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان.

فعلو الأرض وجهها من كل جانب، وأسفلها ما تحت وجهها، ونهاية المركز هو الذي يسمىٰ: محط الأثقال.

فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلىٰ المركز يكون هبوطًا، ومنه إلىٰ وجهها صعودًا.

وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها، فالثانية كروية، وكذا الباقي.

والكرسي فوق الأفلاك كلها، والعرش فوق الكرسي.

ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلىٰ الكرسي كحلقة في فلاة، والجملة بالنسبة إلىٰ العرش كحلقة في فلاة.

والأفلاك مستديرة؛ بالكتاب، والسُّنة، والإجماع، فإن لفظ الفلك يدل علىٰ الاستدارة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، قال ابن عباس: «في فلكة كفلكة المغزل»(١).

ومنه قولهم: تفلَّك ثدي الجارية إذا استدار»(٢).

وأهْل الهَيْئةِ والحساب متفقون علىٰ ذلك.

وقال الشيخ أيضًا: «السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكىٰ إجماعَ المسلمين علىٰ ذلك غيرُ واحدٍ من العلماء أئمة الإسلام، مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربع مئة مصنَّف.

وحكَىٰ الإجماع علىٰ ذلك الإمام أبو محمد ابن حزم، وأبو الفرج ابن الجوزي.

وروىٰ العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله، وسُنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السَّمعية، وإن كان قد أقيم علىٰ ذلك -أيضًا- دلائل حسابية.

ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين مَن أنكر ذلك إلَّا فرقة يسيرة من

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٩).

(٢) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٥/ ١٥٠).

أهل الجدَل لمَّا ناظروا المُنَجِّمِين؛ فأفسدوا عليهم فاسد مذهبهم في الأحوال والتأثير، خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب، وقالوا علىٰ سبيل التجويز: يجوز أن تكون مربَّعة، أو مُسَدَّسة، أو غير ذلك، ولم ينفوا أن تكون مستديرة، لكن جوَّزوا ضد ذلك، وما علمت من قال إنها غير مستديرة، وجزَمَ بذلك إلا مَن لا يُؤْبَهُ له مِن الجُهَّال.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **وغيره من السلف:**«في فلكة مثل فلكة المغزل»[(١)]، وهذا صريح بالاستدارة والدوران.

وأصل ذلك: أن الفلك في اللغة هو الشيء المستدير، يقال: تفلك ثدي الجارية، إذا استدار، ويقال لفلكة المغزل المستديرة: فلكة؛ لاستدارتها.

فقد اتفق أهل التفسير واللغة علىٰ أن الفلك هو المستدير.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٥١٣).

والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين:

* من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف.

* ومن اللغة التي نـزل القرآن بها، وهي لغة العرب.

وقال تعالىٰ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزُّمَر: ٥]، قالوا: والتكوير التدوير، يقال: كورت العمامة، إذا دورتها.

ويقال للمستدير: كارة، وأصله كوَرة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا.

ويقال -أيضًا-: كرة، وأصله كورة، وإنما حذفت عين الكلمة كما قيل في ثبة وقلة.

والليل والنهار وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة، فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفًا بالاستدارة؛ كان الجسم أولىٰ بالاستِدَارة»(١).

ثم ذكر الشيخ ما يدل علىٰ استدارة الأفلاك، إلىٰ أن قال: «والحِسُّ مع العقل يدل علىٰ ذلك، فإنه مع تأمُّل دوران الكواكب القريبة من القطب في مدارٍ ضيق حول القطب الشمالي، ثم دوران الكواكب المتوسطة في السماء في مدار

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيح الإسلام» (٦/ ٥٨٧-٥٨٨).

واسع، وكيف يكون في أول الليل وفي آخره؛ يُعْلَم ذلك.

وكذلك من رأىٰ حال الشَّمس وقت طلوعها، واستوائها، وغروبها في الأوقات الثلاثة علىٰ بُعدٍ واحد، وشكل واحدٍ مِمَّن يكون علىٰ ظهر الأرض؛ عَلِمَ أنها تجري في فلك مستدير، وأنه لو كان مربعًا لكانت وقت الاستواء أقرب إلىٰ من تحاذيه منها وقت الطلوع والغروب.

وأمَّا مَن ادَّعىٰ ما يخالف الكتاب والسنة؛ فهو مبطل في ذلك -وإن زعم أن معه دليلًا حسابيًّا»[١].

وقال الشيخ أيضًا: «قد ثبت بالكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمة: أن الأفلاك مستديرة»[٢].

ثم ذكر الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة، وقد تقدم ذكر بعضها في كلامه الذي ذكرنا قبل هذا.

إلىٰ أن قال: «وأما إجماع العلماء، فقال إياس بن معاوية[٣] الإمام

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٦/ ٥٨٩).

(٢) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢٥/ ١٩٣).

(٣) هو التابعي، الإمام العلامة، قاضي البصرة، أبو واثلة، إياس بن معاوية، يروي عن: أبيه، وأنس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، ويروي عنه: خالد الحَذَّاء، وشُعبة، وحَمَّاد بن سلمة، وكان يُضرَب به المَثل في الذكاء والدَّهاء، والسُّؤْدُد والعقل، مات كهلًا سنة (١٢١هـ). انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٣٣٤)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٦٠)، و«سير

المشهور، قاضي البصرة من التابعين: السماء علىٰ الأرض مثل القبة.

وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار، في فنون العلوم الدينية، من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد: «لا خلاف بين العلماء أن السماء علىٰ مثال الكرة. قال: وكذلك أجمعوا علىٰ أن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر مثل الكرة.

قال: ويدل عليه أن الشَّمس، والقمر، والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها علىٰ جميع مَن في نواحي الأرض في وقت واحد، بل علىٰ المشرق قبل المغرب.

قال: فكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة.

يدل علىٰ ذلك أنَّ جرم كل كوكب يرىٰ في جميع نواحي السماء علىٰ قدر واحد؛ فيدل ذلك علىٰ بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد؛ فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء». انتهىٰ[1].

وقال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «البداية والنهاية»: «حكىٰ ابن حزم، وابن المنادي، وأبو الفرج ابن الجوزي، وغير واحد من العلماء الإجماعَ عَلَىٰ

=

أعلام النبلاء» (٥/ ١٥٥).

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢٥/ ١٩٤-١٩٦).

أنَّ السَّموات كُرَة مُسْتَدِيرَة»[١].

وقال -أيضًا- في تفسير سورة «الرعد» عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، **الآية:** «يُخبِر تعالىٰ عن كمال قدرته، وعظيم سلطانه، أنه الذي بإذنه وأمره رفَعَ السموات بغير عمد، بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بُعْدًا، لا تُنال ولا يُدرَك مداها.

فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض، وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب علىٰ السواء.

وبَعْدَ ما بيَّنها، وبيَّن الأرض من كل ناحية مسيرة خمس مئة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمس مئة عام.

ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوَتْ، وبينهما مِن بُعد المَسِير خمس مئة عام، وسمكها خمس مئة عام.

وهكذا الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة». انتهىٰ[٢].

والمقصود ههنا: ذِكْر الإجماع علَىٰ أنَّ السموات مستديرة، وذكر الإجماع علىٰ أن الأرض مثل الكرة، وبيان أنها مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة.

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢٨-٤٢٩).

وقد تقدم النص علىٰ أنَّ بَيْنَ السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، وهذا يدل علىٰ أن الأرض قارَّةٌ ثابتة.

ولو كانت الشَّمس هي القارة الثابتة، وكانت الأرض تدور عليها كما زعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا كان بين الأرض وبين السماء مسيرة خمس مئة سنة من جميع الجهات، بل تكون جهة منها أقرب إلىٰ السماء من الجهة الأخرىٰ، بمسافةٍ بعيدةٍ علَىٰ قدر سعَةِ الفلك الذي تدور فيه علىٰ حَدِّ زعمهم؛ وهذا باطل قطعًا.

ونص حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مع نصوص الأحاديث التي تأتي ترد هذا الزعم الكاذب.

وأيضًا، فلو كانت الشَّمس قارة ساكنة، والأرض تدور عليها؛ لكانت الشَّمس هي المركز، وكانت الأرض أقرب إلىٰ السماء من الشَّمس؛ وهذا باطل قطعًا، لأنَّ الشَّمس في السماء بنص القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال تعالىٰ مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥، ١٦].

وأما الأرض فبعيدةٌ مِن السماء، كما يدلُّ علىٰ ذلك حديث عبد الله بن

عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذي ذكرنا، وما يأتي من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، والعباس بن عبد المطلب، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في تقدير المسافة بين السماء والأرض بخمس مئة سنة.

وإذا كانت الشَّمس في السماء؛ فمُحَالٌ أن تدور الأرض عليها، لأنها لو كانت تدور عليها؛ لكانت تخترق السموات، وهذا لا يقوله عاقل.

الحديث السادس:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** بينما نبيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ وأصحابُه، إذْ أتَىٰ عليهم سحاب، فقال نبيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا العَنَانُ هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ يَسُوقُهُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَىٰ قَوْمٍ لا يَشْكُرُونَهُ وَلا يَدْعُونَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ**». ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ، مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ**» حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ**»، الحديث رواه الإمام أحمد،

والترمذي، وابن أبي حاتم، والبزار، وقال الترمذي: هذا حديث غريب[١].

الرقيع: السماء.

قال ابن الأثير: «فيه أنه قال لسعد بن معاذ، حين حكم في بَنِي قريظة: «**لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أَرْقِعَة**»[٢]، يعني سبع سموات، وكل سماء يقال لها: رقيع، والجمع أرقعة.

وقيل: الرَّقيع اسم سماء الدنيا، فأعطىٰ كل سماء اسمها». انتهىٰ[٣].

الحديث السابع:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ما بين كل سماء إلىٰ الأخرىٰ مسيرة خمس مئة عام، وما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام، وما بين السماء السابعة إلىٰ الكرسي مسيرة خمس مئة عام، وما بين الكرسي إلىٰ الماء مسيرة خمس مئة عام، والعرش علىٰ الماء، والله علىٰ العرش، ويعلم أعمالكم»،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٠) (٨٨١٤)، والترمذي (٣٢٩٨).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٥٩) قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَة**»، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٢٤٤): «هذا إسناد جيد، والأرقعة: جمع رقيع، وهو من أسماء السماء».

(٣) «النهاية في غريب الأثر» (٢/ ٦١٥).

رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» بإسنادٍ صحيح علىٰ شرط مسلم(١).

ورواه -أيضًا- مِن وجهٍ آخَر، ولفظه: «ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام، وبصر كل سماء خمس مئة -يعني غلظها-»، وذكر بقيته بنحوه(٢).

وقد رواه الطبراني في «الكبير»(٣) بنحو الرواية الأولىٰ، قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

وهذا الحديث له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال مِن قِبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف.

الحديث الثامن:

عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كنا جلوسًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبطحاء، فمرَّتْ سحابة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: «**وَالْمُزْنُ**»، قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «**وَالْعَنَانُ**»، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ**

(١) «التوحيد» (١/ ٢٤٢).

(٢) «التوحيد» (٢/ ٨٨٥).

(٣) (٩/ ٢٠٢) (٨٩٨٧).

سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ[١]**، بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلَافِهِنَّ**[٢] **كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ»**، رواه الإمام أحمد، والبغوي بهذا اللفظ[٣]. وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد»[٤].

والحاكم في «مستدركه» عن العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: «**مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟**» قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: «**وَالْمُزْنَ**»، قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «**وَالْعَنَانَ**»، قَالُوا: وَالْعَنَانَ. قَالَ أَبُو دَاوُد: لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا. قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «**إِنَّ بُعْدَ مَا**

---

(١) «**أَوْعَال**»: جمع وَعل، وهو العَنْزُ الوحْشِيُّ، ويقال له: تَيس شَاة الجبَل، والمراد: ملائكة علىٰ صورة الأوعال.

(٢) «**أَظْلَافهنَّ**»: جمع ظِلْف، وهو حافِر البقر والشاة والظبي، وهو كالخُفِّ للبَعِير.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وضعفه الأرناؤوط في تحقيقه علىٰ «المسند».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣).

بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَو اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِم الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»، هذا لفظ أبي داود(١)، ونحوه رواية الترمذي، وابن ماجه. ورواية ابن خزيمة، والحاكم مختصرة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وهذه الرواية مخالفة لرواية الإمام أحمد، والبغوي، وما قبلها من حديث عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما سيأتي من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقدار المسافة بين السماء والأرض.

وقد جمع بين الروايتين غير واحد من العلماء، منهم: ابن خزيمة في كتاب «التوحيد»، وابن القيم في «تهذيب السنن»، والذهبي.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَىٰ-: «وأما اختلاف مقدار المسافة في حديثي العباس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهو مما يشهد بتصديق كل منهما للآخر، فإن المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها.

فسير البريد مثلًا يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات، وهذا معلوم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (١٠١٤).

بالواقع، فما تَسِيرُه الإبِل سيرًا قاصدًا في عشرين يومًا يقطعه البريد في ثلاثة، فحيث قدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسبعين؛ أراد به السَّيْر السَّريع -سير البريد-، وحيث قدر بالخمس مئة؛ أراد به السير الذي يعرفونه سير الإبل والركاب؛ فكل منهما يصدق الآخر، ويشهد بصحته، ولو كان من عند غير الله؛ لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا»[1].

وقال الذهبي: «لا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمس مئة عام هو على سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا؛ باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد». انتهى[2].

الحديث التاسع:

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال: «**ارْتِفَاعهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَسِيرَة مَا بيْنَهُما خَمْس مِئَة عَام**»، رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[3].

---

(١) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١٣/ ٨).

(٢) ذكره صاحب كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ٥١٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٥) (١١٧٣٧)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٧٨٦).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والأحاديث الثلاثة قبله دليلٌ علىٰ استقرار الأرض وثباتها، وقد تقدم إيضاح ذلك في الكلام علىٰ حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو الحديث الخامس؛ فليراجع.

الحديث العاشر:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ**»، الحديث رواه البخاري[١].

الحديث الحادي عشر:

عن المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢] **قال:** سمِعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٤).

(٢) هو الصحابي الجليل، وأحد السابقين الأوَّلين، المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكِنْدِي، ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه رُبِّيَ في حِجر الأسود بن عبد يغوث، وقيل: بل كان عبدًا له أَسْوَد اللون فتبنَّاه، ويقال: بل أصاب دمًا في كِنْدَة، فهرب إلىٰ مكة، وحالف الأسود، شهد بدرًا والمشاهد، وثبَتَ أنه كان يوم بدر فارِسًا، واختلف يومئذ في الزبير، حدَّث عنه: علِيٌّ، وابن مسعود، وابن عبَّاسٍ وجماعة، وقيل: كان آدمَ طوالًا، ذا بطن، أشعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، مَهِيبًا، عاش نحوًا مِن سبعين سنة، مات في سنة (٣٣هـ)، وصلىٰ عليه عثمان بن عفان، وقبره بالبقيع، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: «التاريخ الكبير» (٨/ ٥٤)، و«أسد الغابة» (٥/ ٢٥١)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٨٥).

يقول: «**تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، الحديث رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح(١).

الحديث الثاني عشر:

عن أبي أُمَامة(٢) رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مِيلٍ وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا**»، الحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني(٣). قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، غير القاسم بن عبد الرحمن، وقد وثقه غير واحد.

الحديث الثالث عشر:

عن عقبة بن عامر(٤) رَضِيَٱللَّهُعَنهُ **قال:** سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

(٢) الصحابي الجليل، أبو أُمَامة البَاهِلِيُّ، روَىٰ عِلمًا كثيرًا، وحدَّث عن عُمَر، ومعاذ، وأبي عبيدة، ورُوي أنه بايع تحت الشجرة، توفي سنة (٨١هـ)، وقيل: (٨٦هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤١١)، «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٤) (٢٢٢٤٠).

(٤) هو الصحابي الجليل، المقرئ، عقبة بن عامر الجُهَنِي، كان عالمًا مقرئًا، فقيهًا، فصيحًا، فرضيًّا، كان من الصُّفة، ومِن الرُّماة، وكان البَريد إلىٰ عُمَر بفتح دمشق، شهد صفِّين مع معاوية، وشهد فتح مصر، حدَّث عنه: جُبَير بن نُفَير، وسعيد بن المُسَيب، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم كثير، مات (٥٨هـ) وقبره بالمقطم بالقاهرة في مصر.

يقول: «**تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ**»، الحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني، وابن حبان[١] في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، وقال: صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه، ووافقه الذَّهبي في «تلخيصه».

وقال الهيثمي: إسناد الطبراني جيد[٢].

الحديث الرابع عشر:

عن المِقْدَام رَضِيَٱللَّهُعَنهُ[٣] أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**تَدْنُو الشَّمْسُ**

=

انظر: «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٤٣-٣٤٤)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٠٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٧).

(١) هو العلَّامة، الحافظ، أبو حاتم محمد بن حِبَّان بن أحمد بن معاذ بن معبد بن سَهِيد، أحَد الأئمَّة الرَّحَّالين والمُصَنفين، وُلد (٢٧٠هـ)، روَىٰ عن: أبي يَعْلَىٰ الموصلي، ووَلِيَ القضَاء بسمرقند وغيرها من المدن بخُراسَان ثُم ورَد نَيْسَابُور، وروَىٰ عنه: الحاكِم، والهروي وغيرهما، وتوفي (٣٥٤هـ)، انظر: «معجم البلدان» (١/ ٤١٥)، و«الكامل» لابن الأثير (٨/ ٥٦٦)، و«السير» (١٦/ ٩٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٧٥) (٤/ ١٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٤).

(٣) هو الصحابي الجليل، المقدام بن مَعْدِ يَكْرِب بن عمر بن يزيد، أبو كريمة، وقيل: أبو يزيد، حدث عنه: جبير بن نفير، والشعبي، وابنه يحيىٰ بن المقدام، وحفيده صالح بن يحيىٰ، وآخرون، مات سنة (٨٨هـ) وهو ابن إحدىٰ وتسعين سنة، وقبره بحِمص. انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤١٥)، و«التاريخ الكبير» (٧/ ٤٢٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٧).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنَ النَّاسِ قَدْر مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا»، الحديث رواه الطبراني(١).

الحديث الخامس عشر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُم النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُم الدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ»، الحديث رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي(٢).

الحديث السادس عشر:

عن سلمان(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**تُعْطَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَرَّ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ تُدْنَىٰ مِنْ جَمَاجِمِ النَّاس**»، الحديث رواه الطبراني(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) الصحابي الجليل، سلمان الفارسي، قال ابن عساكر: «سلمان ابن الإسلام»، واسمه عندما كان ببلاد فارس «روزبه»، وقيل: «مابه بن يوذخشان»، كان مجوسيًّا، دخل الإسلام بعد بحثٍ وتقصٍّ عن الحقيقة، وهُوَ الَّذِي أشار علىٰ النَّبي في غزوة الخندق أنْ يَحْفُروا حول المدينة خندقًا يحميهم مِن قريش، وذلك لِمَا له مِن خبرةٍ ومعرفةٍ بفنون الحرب والقِتَال لدَىٰ الفُرس، توفي (٣٦هـ)، انظر: «تاريخ بغداد» (١/ ١٦٣)، و«طبقات ابن سعد» (٤/ ٥٤)، و«السير» (١/ ٥٠٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٣٨).

قال المنذري: وإسناده صحيح. **وقال الهيثمي**: رجاله رجال الصحيح[(١)].

قلت: وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال مِن قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف، وهذه الأحاديث السبعة وإن كانت من أخبار يوم القيامة؛ ففيها دليل علىٰ أن الأرض قارَّة ثابتة لا تفارق موضِعَها.

ولو كانت الشَّمس هي القارة الثابتة لكانت الأرض هي التي تدنىٰ منها، وهذا خلاف نصوص هذه الأحاديث، والله أعلم.

فهذا ما يسره الله تعالىٰ من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أن الشَّمس تسير وتدور علىٰ الأرض، وإنَّ الأرض قارَّة ثابتة، بخلاف ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن أنَّ الشَّمس قارة ثابتة، وأنَّ الأرض تَدُور عليها.

وحقيقة قولهم: تكذيب الآيات والأحاديث التي ذكرنا، وإطراحها بالكلية، وذلك هو الضَّلال البَعِيد.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في الشَّمس والأرض دائر بين افتراء الكذب، والتكذيب بالحق.

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧١).

ومِن أعجب العجَب أنه قد جعل في زماننا من الفنون المهمة التي تُدرس في كثير من المدارس، ويُعتنىٰ بها في كثير من الأقطار الإسلامية أكثر مما يعتنىٰ بالعلوم الشرعية.

وهذا مصداق ما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ**»، الحديث متفق عليه[(١)].

وفي رواية: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ»[(٢)].

ولهما عن عبد الله بن مسعود، وأبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالا: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ**»، الحديث[(٣)].

وقال الشعبي: «لا تَقُوم الساعة حتىٰ يصير العلم جهلًا والجهل علمًا»، رواه ابن أبي شيبة[(٤)]، وله حكم المرفوع؛ لأنه إخبار عن أمرٍ غيبيٍّ، ومثله لا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٦٢)، ومسلم (٢٦٧٢).

(٤) هو أبو جعفر، محمد بن عثمان بن أبي شيبة العَبْسِي، الكوفي، وُلد (٢١٠هـ) أخذ العلم عن كثير مِن العلماء، منهم: والده عثمان بن أبي شيبة، وعَمَّيْهِ أبو بكر والقاسم ابنا أبي شيبة، وعلي بن المَدِيني، ويحيي بن معين، قال عنه الذهبي: كان عالمًا بصيرًا بالحديث =

يقال من قبل الرأي، وإنما يقال: عن توقيف.

ومن أقبح الجهل، وأظلم الظلم: تكذيب الله تعالىٰ، وتكذيب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعارضة الآيات والأحاديث الصحيحة بأقوال أعداء الله تعالىٰ، وتخَرُّصَاتهم الكاذبة، وآرائهم الفاسدة، وتوَهُّماتهم الخاطئة، وتعَلُّم ذلك وتَعْلِيمه.

وقد أخبَرني غير واحد من الطلبة في بعض المعاهد: أنَّ بعض مُعَلِّمِيهم مِن ذوي الجهل المركَّب صرَّح عنده بما يعتقده مِن استِقْرَار الشَّمس ودوَرَان الأرض حولها.

فقال له الطلبة: ما تقول في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٥]، وأمثال هذه الآيات؟

فقال: القرآن حق.

فقالوا له: يلزمك علىٰ هذا أنْ تعتقد جريان الشَّمس.

فأبَىٰ؛ فطالبوه بالدليل علىٰ قوله؟ فقال: هكذا تلقَّينا مِن عُلمَائنا.

=

والرِّجَال، له تآليف مفيدة، توفي (٢٩٧هـ)، انظر: «الكامل» لابن عَدِي (٤/ ٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١).

فانظر يا مَن نوَّر اللهُ قلبَهُ بنور العلم والإيمان، إلىٰ جواب هذا المخدوع، المغرور بزخارف أعداء الله وشُبهاتهم.

وَاحْمَدِ اللهَ الذي عافاك مِمَّا ابتلىٰ به المنحرفين المُكذِّبين لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة؛ تقليدًا منهم لأعداء الله تعالىٰ مِن الكُفَّار والمُنافِقِين، الذين أَسَّسُوا بُنيانَهُم علىٰ شَفا جرُفٍ هارٍ؛ ينهار بمن تمسك به في نار جهنم.

وما أشبه هذا الذي ذكرنا جوابه، ومَن جرَىٰ مجراه بالذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١، ٥٢]!

فاحذَرُوا -أيها المسلمون- مِن الإصغَاءِ إلىٰ دسَائس أعداء الله تعالىٰ، والاغترار بزخارفهم وشُبهاتهم؛ فإنهم لا يألُونكُم خبالًا، وودُّوا لو تكفرون بما جاء به نبيُّكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والحكمة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾

[البقرة: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

ففي هذه الآيات أبلغ تحذيرٍ للمُسلِمين من طاعة الكفار والمنافقين، وقَبُول آرائهم وظنُونهم، وتخرُّصاتهم؛ فإنهم لا يَألُون المسلمين خَبالًا، ووَدُّوا ما عنتهم، وأضلهم عن الصراط السَّوِيِّ والهُدَىٰ.

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمسلمين في كتابه، وسُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفايةً وغُنيةً عمَّا سِوَاهُما من أقوال الناس، وآرائهم، وتخرُّصَاتهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

أَعۡمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «مَن تعلَّم كتابَ الله، ثُم اتَّبع ما فيه هَدَاه اللهُ مِن الضَّلالة في الدُّنيا، ووَقاهُ يوم القِيامَةِ سُوء الحِسَاب»، رواه رَزين[١][٢].

وفي روايةٍ قال: «من اقتدىٰ بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]»، وقد ذكره البغوي في «تفسيره» بنحوه[٣].

وروىٰ الإمام أحمد، ومسلم عن زيد بن أرقم[٤] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام

---

(١) هو المُحدِّث الشهير، الإمام، رزين بن معاوية بن عمار، أبو الحسن العبدري، الأندلسي، السرقسطي، صاحب كتاب «تجريد الصحاح»، جاوَر بمكة دهرًا، وسمع بها «صحيح البخاري» من عيسىٰ بن أبي ذر، و«صحيح مسلم»، حدَّثَ عنه: قاضي الحرَم أبو المظفر محمد بن علي الطبري، والحافظ أبو موسىٰ المديني، والحافظ ابن عساكر، وكان إمام المالكِيِّين بالحرَم، توفي بمكة (٥٣٥هـ).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤).

(٣) «تفسير البغوي» (٥/ ٣٠٠).

(٤) هو الصحابي الجليل، المُصدَّق مِن قِبَل الله تعالىٰ، زَيْد بن أرْقَم بن زيد بن قيس بن النعمان، كان يتيمًا في حِجْر عبد الله بن روَاحة، نزل الكوفة وابتَنَىٰ دارًا بالكوفة في كِنْدة. غزَا مع النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبع عشرة غزوة، وهو الذي رفع إلىٰ الرَّسُول =

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فِينَا خطِيبًا بماء يُدْعَىٰ خُمًّا، بين مكة والمدينة، فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[(١)].

وفي روايةٍ لمُسلِم أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، مَن اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ**»[(٢)].

وفي روايةٍ له أخرىٰ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَن اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**»[(٣)].

=

قول ابنِ أبيٍّ بن سلول قوله: «لئن رجَعْنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»؛ فأكْذبَه عبد الله بن أُبَيٍّ وحلَفَ أنَّ زيد بن أرقم كاذب!؛ فأنزل اللهُ تصديق زيد بن أرقم، توفي (٦٨)، وقيل: (٦٦هـ)، انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٢١٩)، و«تهذيب الكمال» (ص٤٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٦).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٦) (١٩٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤٤٢٥).

وَرواه الترمذي مختصرًا، ولفظه: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِن الْآخَرِ: كِتَابُ اللهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي**»، الحديث. قال الترمذي: حديث حسن غريب(١).

وروىٰ مسلم -أيضًا-، وأبو داود، وابن ماجه، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في حديثه الطويل في صفة حج النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته يوم عرفة: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ**»، ورواه الترمذي بنحوه مختصرًا(٢).

وروىٰ مالكٌ في «الموطأ» بلاغًا، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِه**»(٣).

وروىٰ الحاكم في «مستدركه»، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطَبَ النَّاسَ في حجة الوداع - فذكر الحديث، وفيه أنه قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧١)، وأبو داود (١٩٠٥).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٨٦).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٨).

وروى الحاكم -أيضًا- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي قَدْ تركْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَنْ يَتفرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**»(١).

وروى الطبراني في «الكبير»، وابن حِبَّان في «صحيحه»، عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرفُهُ بِيَدِ اللهِ وطَرفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فتَمَسَّكُوا بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تضلُّوا وَلَنْ تَهلِكُوا بَعْدَهُ أبدًا**». قال المنذري: إسناد الطبراني جيد. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح(٢).

وروى الطبراني -أيضًا- في «الكبير» و«الصغير»، والبزَّار من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣) عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٦٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢٢)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (١٢٢).

(٣) هو الصحابي الجليل، جُبَير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصِي، مِن الطُّلَقَاء الذين حَسُنَ إسلَامهم، وقد قَدِمَ المدينة في فِدَاء الأسَارَىٰ مِن قومه، وكان موصوفًا بالحِلْم، ونُبْل الرَّأي كأبيه الَّذِي قام في نقض صحيفة القطيعة، توفي (٥٩هـ)، انظر: «أسد الغابة» (١/ ٣٢٣)، «البداية والنهاية» (٨/ ٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٩٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٤٠).

وروىٰ أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن مردويه(١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ «**إِنَّ هَذَا القُرآن هُو حَبْلُ اللهِ المَتِين، وَهُو النُّور المُبِين، وَهُو الشِّفاء النَّافِع، عِصْمَة لِمَن تمَسَّكَ به، ونجَاة لِمَن اتَّبعَه**»، ورواه الطبراني، والبغوي بنحوه موقوفًا(٢).

وروىٰ الترمذي عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ **قال:** سمِعتُ رسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يقول: «**أَلَا إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ**». فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَن ابْتَغَىٰ الهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ**»، الحديث، قال الترمذي: غريب(٣).

وقد رواه الإمام أحمد بإسنادٍ ضعيف، ولفظه: «قال سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يقول: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ** عَلَيهِٱلسَّلَامُ **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أُمَّتَكَ مُخْتَلِفَةٌ**

---

(١) هو الحافظ الكبير أحمد بن موسىٰ ابن مردويه بن فورك بن موسىٰ بن جعفر، الأصبهاني، ولد (٣٢٣هـ)، وكان ثبتًا، متقنًا واسع الصيت، وكان يُملي من حفظه بعدما عمِي، حدَّث عن أبيه، وأبي عمرو عبد الوهاب، وأبي القاسم عبد الرحمن ابنا الحافظ ابن منده، توفي (٤١٠هـ)، انظر: «تاريخ أصبهان» (١/ ١٦٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (١/ ٣٤٩).

بَعْدَكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ، بِهِ يَقْصِمُ اللهُ كُلَّ جَبَّارٍ، مَن اعْتَصَمَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ -مَرَّتَيْنِ-، قَوْلٌ فَصْلٌ وَلَيْسَ بِالْهَزْلِ، لَا تَخْتَلِقُهُ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَفْنَىٰ أَعَاجِيبُهُ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَفَصْلُ مَا بَيْنَكُمْ، وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ»(١).

وروىٰ الطبراني من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو رواية الترمذي، وإسناده ضعيف.

وروىٰ ابن ماجه عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»، قال أبو الدرداء: صدق واللهِ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تركنا واللهِ علىٰ مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء(٢).

وروىٰ الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم في «مستدركه» عن العرباض بن سارية(٣) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٩١) (٧٠٤)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٧٧٦): ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٥).

(٣) هو الصحابي الجليل، العِرْبَاض بن سارية السُّلَمِي، مِن أعيان أهل الصُّفَّة، سكَن حِمْص، وهو أحد البكَّائين الذين ورد فيهم قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا
=

لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»، ورواه ابن أبي عاصم[1] في كتاب «السنة» بنحوه، قال المنذري: وإسناده حسن[2].

وإذا عُلِم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث، في الحث على الاعتصام بكتاب الله تعالى، وسُنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما فيها من النص على أنَّ مَن تمسَّكَ بهما كان على الهدى، ومَن تركهما كان على الضَّلالة.

فماذا يقال في الذين يُعرِضُونَ عن أدلة الكتاب والسنة على جريان الشَّمس وثبات الأرض واستقرارها، ويتمسَّكون بأقوال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج، ومَن يُقَلِّدهُم، ويَحذُو حذوَهم من ضعفاء البصيرة، ويقدمونها على نصوص الكتاب والسنة؟

الجواب أن يقال: لا شك أن هذا ضلال عن الصراط المستقيم، وقد نَهى

=

يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾»، توفي (٧٥هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٢).

(١) ابن أبي عاصم، الحافظ الكبير، الإمام البارع، المتبع للآثار، قَدِمَ أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه، وكان من الصيانة والعفة بمحل عجيب، ونُسبت إليه الظاهرية وفي هذا نظر، وُلد (٢٠٦هـ)، وكان من شيوخه: أبو الوليد الطيالسي، وهشام بن عمار، وأبو بكر بن أبي شيبة، وولي القضاء بأصبهان ثلاث عشرة سنة، بعد صالح بن أحمد، ثم توفي فصلى عليه ابنه الحكم. انظر: «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ١٠٠-١٠١)، و«تاريخ ابن عساكر» (٢/ ٢٥-٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤١).

النبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن سؤال أهل الكتاب، كما سيأتي إيراده إن شاء الله تعالىٰ.

وغضب -صلوَاتُ اللهِ وسلَامُه عليه- علىٰ عُمَر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ غضبًا شديدًا لمَّا رأىٰ معَهُ كِتَابًا استَنْسَخه من بعض أهل الكتاب، وكان فيه جوامع من التوراة.

وكان عُمَر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ في خِلَافته يعاقب مَن يَكتب مما عند أهل الكتاب أشد العقوبة.

قال الإمام أحمد -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: حدَّثنا سُرَيج بن النعمان أخبرنا هُشَيم أنبأنا مُجَالِد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا أن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أتىٰ النبِيَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بكِتَابٍ أصابَهُ مِن بعض أهل الكتاب، فقرَأهُ علَىٰ النبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: فغضِبَ، وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُونَهُ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ** صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**». فيه مجالد، ضعَّفه ابن معين(١)،

---

(١) هو الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المُحَدِّثين، أبو زكريا، يحيىٰ بن معين بن عون بن زياد بن بسطام، ولد سنة (١٥٨هـ)، وسمع من: ابن المبارك، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وخلق كثير بالعراق والحجاز والجزيرة والشام ومصر، وروىٰ عنه من أقرانه: أحمد بن حنبل، وهناد بن السري، ومن تلامذته: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والدارمي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وتوفي سنة (٢٣٣هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٥٤)، و«التاريخ الكبير» (٨/ ٣٠٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٧١).

ويحيىٰ بن سعيد[(١)]، والدارقطني[(٢)]، وغيرهم، ووثَّقه النسائي وغيره، وروىٰ له مسلم مقرونًا بغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح[(٣)].

وروىٰ البزار عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** نسخ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتابًا مِن التوراة بالعربية، فجاء به إلىٰ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل يقرأ ووجْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغيَّر، فقال رجُلٌ مِن الأنصار: ويْحكَ يا ابن الخطاب! ألا ترىٰ وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَسْأَلُوا أَهْلَ**

---

(١) هو الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول، القَطَّان، يحيىٰ بن سعيد بن فروخ، وُلِد في أول سنة (١٢٠هـ)، وسمع هشام بن عروة، وعطاء بن السائب، والأعمش، وابن عون، وشعبة، والثوري وخَلقًا، ورَوَىٰ عنه: سفيان، وشعبة، وابن مهدي، ومسدد، وعبيد الله القواريري، وابن أبي شيبة، ويحيىٰ، وأحمد، وإسحاق وغيرهم، قال يحيىٰ بن معين: أقام يحيىٰ بن سعيد عشرين سنة، يختم القرآن كل ليلة، مات (١٩٨هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٣٥)، و«التاريخ الكبير» (٨/ ٢٧٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٧٥).

(٢) هو الإمام، الحافظ، المُجوِّد، علَم الجهابذة، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد، المعروف بالدارقطني، نسبةً إلىٰ «دار القطن» ببغداد، وُلِد (٣٠٦هـ)، حدَّثَ عنه: الحاكم، والفقيه أبو حامد الإسفراييني، وأبو نعيم الأصبهاني، انتهىٰ إليه علو الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، مع الصِّدْق والثِّقَة، توفي (٣٨٥هـ)، انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٩١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨٧) (١٥١٩٥)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٥٠).

الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ أو تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، وَاللهِ لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي». فيه جابر الجُعْفِي، تركه يحيىٰ القطان، وقال النسائي: متروك. ووثقه شعبة(١) وسفيان الثوري(٢)، وقال وكيع(٣): ما شككتم في شيء فلا

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو بسطام شعبة بن الحَجَّاج بن الورد، ولد (٨٠) أو (٨٢هـ)، كان مِن أوْعِيَة العلم، لا يَتقَدَّمه أحَدٌ في الحديث في زمانه، وهو مِن نُظَراء الأوْزَاعِي، والثوري في الكَثْرة، رأىٰ الحسَن البصري وأَخَذ عنه، وحدَّث عن: قتادة بن دعامة، ويحيىٰ بن أبي كثير، وأيوب السختياني، روىٰ عنه: أيوب السختياني، والأعمش، وروح بن عبادة، وغيرهم، توفي (١٦٠هـ)، انظر: «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٥٥)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٤٦٩)، و«السير» (٧/ ٢٠٢).

(٢) هو الإمام الزاهد العابد، المحدِّث، المفسر، الفقيه، من تابعي التابعين، سفيان الثوري، واسمه: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، ولد سنة (٩٧هـ)، وتوفي (١٦١هـ). انظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٨)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ١٥١-١٧٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٢٩).

(٣) الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة، سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، سمع من: هشام بن عروة، والأعمش، وابن عون، وابن جريج، والأوزاعي، وحدَّث عنه: سفيان الثوري أحد شيوخه، وعبد الله بن المبارك، وابن مهدي، والحُمَيدي، ومُسَدَّد، وأحمد، وابن معين، وإسحاق، ولما مات الثوريُّ جلس وكيع موضعه، وكان صوَّامًا قوَّامًا، توفي (١٩٧هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٩٤)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٦٦-٤٨١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٤٠).

تشكوا أن جابر الجعفي ثقة(١).

وروىٰ الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء عمر بجوامع مِن التوراة إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، جوامع من التوراة أخذتها مِن أخٍ لي من بني زريق. فتغير وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عبد الله بن زيد(٢) الذي أُرِيَ الأذان: أمسَخَ اللهُ عقلك، ألا ترىٰ الذي بوجْهِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فقال عمر: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا. فسُرِّي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَىٰ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا، أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»**، قال الهيثمي: فيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي، ولم أر مَن ترجمَهُ، وبقية رجاله موثقون(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٣٨) (١٤٦٧٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢١٣٥)، وضعفه الأرناؤوط في تعليقه علىٰ «مسند أحمد».

(٢) هو الصحابي الجليل، عبد الله بن زيد الأنصاري، واسمه: عبد الله بن زيد بن عبد ربه ثعلبة، الأنصاري الخزرجي المدني البدري، من سادة الصحابة، شهد العقبة وبدرًا، وهو الذي أُرِيَ الأذان في السنة الأولىٰ من الهجرة، حدَّث عنه: سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ولم يلقه، ومحمد بن عبد الله ولده، وتوفي (٣٢هـ). انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٢٤٧)، و«الإصابة» (٦/ ٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٧٥).

(٣) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٤) وعزاه إلىٰ الطبراني في «الكبير».

وروى الإمام أحمد، والطبراني عن عبد الله بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله، إنِّي مرَرْتُ بأخٍ لي مِن بني قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيَّر وجهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال عبد الله -يعني ابن ثابت: فقلت: ألَا ترى ما بِوَجْهِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عمر: رضِينَا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا. قال: فسُري عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَىٰ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِن الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِن النَّبِيِّينَ**».

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، إلَّا أن فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف[1].

قلت: قد تقدم عن شعبة، والثوري، ووكيع أنهم وثقوه.

وروى البزار عن عبد الله بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نسَخَ صحيفةً مِن التوراة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ**». قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا جابر الجعفي[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٠) (١٥٩٠٣)، وضعفه الأرناؤوط في تعليقه على «المسند».

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٠٧)، وعزاه إلى «مسند البزار».

وروى الحافظ أبو يعلىٰ المَوْصِلي عن خالد بن عرفطة قال: «كنت جالسًا عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذْ أُتِيَ برَجُلٍ مِن عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عُمَر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقناة معه. قال: فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس؛ فقرأ عليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ١ - ٣]، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا.

فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مُرْنِي بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامْحُه بالحميم والصُّوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس، فلئن بلغَنِي عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدًا من الناس؛ لأنْهكَنَّكَ عقوبة. ثم قال: اجلس. فجلس بين يديه، فقال: انطلقت، فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَر؟**» قلت: يا رسول الله، كتاب نسخته؛ لنزداد به علمًا إلىٰ علمنا. فغضب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضِبَ نبيُّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلاحَ السلاح. فجاءوا حتىٰ أحدقوا بمنبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جوَامِعَ الكَلِم وخَواتِيمَهُ، وَاخْتُصرَ لِي اختِصَارًا، ولقَد**

أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلَا تَهَوَّكُوا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ».

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فقمت، فقلت**: رَضِيتُ بالله ربًّا، وبالإِسْلَام دِينًا، وبِكَ رسُولًا، ثم نزل رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

قال الهيثمي: فيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، ضعفه أحمد وجماعة.

قلت: وقد روَىٰ له شاهد من وجهٍ آخَر عن سليم بن عامر: «أن جبير بن نفير(٢) حدَّثَهُم أنَّ رَجُلين تحَابَّا في الله بحِمْص في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانا قد اكتتبا من اليهود ملء صُفْنَيْنِ، فأخذاهما معهما يستفتيان فيهما أمير المؤمنين، وكان أرسل إليهما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمن أرسل إليه من أهل حمص، فقالا يا أمير المؤمنين، إنَّا بأرض أهل الكتابين، وإنا نسمع منهم كلَامًا تقشعر منه جلودنا، أفنأخذ منهم، أم نترك؟ قال: لعلَّكُما اكتتبتما منه

---

(١) أخرجه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١/ ٢٤-٢٥) من طريق أبي يعلىٰ الموصلي.

(٢) هو التابعي الكبير، الإمام جُبَير بن نُفَير بن مالك بن عامر، أبو عبد الرحمن الحضرمي الحِمْصِي، أدرك حياة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحدَّث عن أبي بكر -فيحتمل أنه لقِيَه- وعن عُمَر والمِقْداد، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وعائشة، وأبي هريرة، وعِدَّة، رَوَىٰ عنه: ولده عبد الرحمن، ومكحول، وشرحبيل بن مسلم، وآخرون، مات سنة (٧٥هـ)، وقيل: (٨٠هـ). انظر: «تاريخ البخاري» (٢/ ٢٢٣)، و«أسد الغابة» (١/ ٢٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٧٦).

شيئًا، فقالَا: لا. قال: سأحدثكما إنِّي انطلقت في حياة النبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّىٰ أتيت خيبر، فوجدت يهوديًّا يقول قولًا أعجبني. فقلت: هل أنتَ مُكْتِبِي مِمَّا تقول؟ قال: نعم. قال: فأتيته بأدِيم ثنية أو جذعة، فأخذ يملي علَيَّ حتىٰ كتبت في الأكْرُع(١)؛ رغبةً في قوله.

فلما رجعتُ قلت: يا رسول الله، إني لقيت يهوديًّا يقول قولًا لم أسمع مثله بعدك. قال: لعلك كتبت منه. قلت: نعم. قال: ائتني به. فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون جئت نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعض ما يحبه، فلمَّا أتيت به، قال: اجلس فاقرأ علَيَّ. فقرأت ساعة، ثم نظرت إلىٰ وجهه، فإذا هو يتلوَّن، فتحيَّرت مِن الفَرَق، فما استطعت أجيز منه حرفًا.

فلما رأىٰ الذي بي؛ رفعه، ثم جعل يتتبعه رسمًا رسمًا، فيمحوه بريقه، وهو يقول: «**لا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَوَّكُوا وَتَهَوَّكُوا**»، حتىٰ محا آخره حرفًا.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلو أعلم أنكما اكتتبتما منهم شيئًا جعلتكما نكالًا لهذه الأمة.

قالَا: واللهِ لا نكتب منهم شيئًا أبدًا، فخرجَا بصُفْنَيهما، فحفرَا لهما من الأرض، فلم يألُوَا أن يُعَمِّقا ودفنَاهما؛ فكان آخر العهد منهما»، رواه

---

(١) «**الأكرُع**»: جَمْع، وهي مقدَّم الساق من البقر أو الغنم.

الإسماعيلي، والطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» من طريقه[١].

قال الجوهري: «**الصُّفْن:** خريطة الراعي، فيها طعامه وزناده»[٢].

وكذا ذكر ابن منظور في «لسان العرب» عن أبي عمرو أنه قال: «الصُّفْن، بالضم: خريطة تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج إليه».

قال ابن منظور: «**وقيل:** هي السُّفْرَة التي تُجْمَع بالخيط، وتضم صادها وتفتح. ونُقِل عن أبي عبيد أنه قال: سمعت مَن يقول الصَّفْن بفتح الصاد، والصَّفْنة -أيضًا- بالتأنيث.

وعن ابن الأعرابي: الصَّفنة، بفتح الصاد: هي السفرة التي تجمع بالخيط، ومنه يقال: صَفَن ثيابه في سرجه إذا جمعها. وقال أبو عبيد: الصفنة كالعيبة، يكون فيها متاع الرجل وأداته، فإذا طرحت الهاء، ضممت الصاد وقلت: صُفن»[٣].

وأما التهوُّك، فقال الجوهري: هو التحير.

قال: «والتهوك -أيضًا- مثل التهور، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٨٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٥).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢١٥٢).

(٣) «لسان العرب» (١٣/ ٢٤٧) بتصرف.

(٤) «الصحاح» (٤/ ١٦١٧).

وقال ابن الأثير: «التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير رَوِيَّة، والمتهوِّك الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحيُّر»(١).

وقال ابن منظور: «**التهوُّك**: السقوط في هُوَّة الرَّدَىٰ، وإنه لمتهوِّك لِمَا هو فيه؛ أي: يركب الذُّنوب والخطايا، والمتهوك الذي يقع في كل أمر»(٢).

وروىٰ الإسماعيلي، وابن مردويه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان ناسٌ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكتبون من التوراة، فذكروا ذلك لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**إِنَّ أَحْمَقَ الْحَمَقِ وَأَضَلَّ الضَّلَالَةِ قَوْمٌ رَغِبُوا عمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُم إِلَيْهِمْ إِلَىٰ نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ وَإِلَىٰ أُمَّةٍ غَيْرِ أُمَّتِهِمْ**»، ثم أنزل الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: ٥١](٣).

وإذا كان هذا قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للذين كتبوا جوامع من التوراة، مع ما ذكرنا عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الغضب علىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لَمَّا رأىٰ معه الكتاب الذي استنسخه من بعض أهل الكتاب ليزداد به علمًا؛ فكيف لو رأىٰ الذين يرغبون عن نصوص الكتاب والسُّنة فيما يتعلق بجرَيَان الشَّمس، وفيما يتعلق

---

(١) «النهاية في غريب الأثر» (٥/ ٦٦٠).

(٢) «لسان العرب» (١٠/ ٥٠٨) بتصرف.

(٣) أخرجه الإسماعيلي في «المعجم» (١/ ١٢٨)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٥٢-٢٥٣)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٨٦٥): ضعيف جدًّا.

بغيرها مِن الأجرام العلوية، وبالسموات والأرض، ويُقدِّمُون عليها أقوال الفلَاسفة الدَّهرِيِّين، مثل: كوبرنيك البولوني: وهرشل الإنكليزي: وأتباعهما من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، الذين لا يعتمدون في أقوالهم علىٰ كتابٍ مِن الكتب المنزَّلة من السماء، وإنما يعتمدون علىٰ أرصادهم، وآرائهم، وتخرصاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وما أكثرَ الذين يميلون إلىٰ أقوالهم الباطلة في زماننا، ويتلقونها بالقبول والتسليم، ويرَوْنَ أنها هي العلم الصَّحيح، وما خالفها فهو عندهم مردود، ولو كان من نصوص الكتاب والسُّنة، وكأنهم يرَوْنَ أنَّ القرآن إنَّما أُنزِل لمجرَّد التِّلاوة، لا للعمل به واعتقاد ما جاء فيه.

ولو أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأىٰ أمثال هؤلاء؛ لَمَا كان يكتفي في عقوبتهم بالضرب فقط، بل كان يقتلهم، كما قتل الذي لم يرض بالتحاكم إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومِن أين لنا الآن مثل عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم.

وخُلاصة القول: أنه يَجِب علىٰ المُسلِم أن يتمسَّك بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة نبِيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعض عليهما بالنَّواجذ، ويقدِّمهما علىٰ ما سِوَاهُما ولا يقدم عليهما شيئًا البتة.

وأن يكتفي بهما وبما عند المسلمين من العلوم النافعة المستفادة

منهما، ومن لم يكتف بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وما عند المسلمين من العلوم المستفادة منهما، بل ذهب يطلب غير ذلك من أقوال الكفار والمنافقين، وآرائهم، وتخرُّصَاتهم التي ما أنزل الله بها مِن سلطان؛ فأبعده الله وأسْحقَه.

* * *

فصل
في ذكر الإجماع على وقوف الأرض وسكونها

ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني التميمي(١) -وكان في آخر القرن الرابع من الهجرة وأول القرن الخامس- في آخِر كتابه «الفرق بين الفِرق» جُملة مما أجمع عليه أهل السنة، قال فيها:

«وأجمعوا علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها، مِن زلزلة ونحوها؛ خلاف قول مَن زعم مِن الدَّهرِيَّة أن الأرض

---

(١) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، صاحب «الفرق بين الفرق»، الفقيه الأصولي، متكلم، ومن أعيان الشافعية، من شيوخه: أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر الإسماعيلي، وغيرهما، أخذ عنه: البيهقي، والفارمذي شيخ الصوفية، والقشيري النيسابوري، مات سنة (٤٢٩هـ) بإسفرايين. انظر: «طبقات الشافعية» (٥/ ١٣٧-١٣٨).

تَهوِي أبدًا، لأنَّ الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحِدَاره.

وأجمَعُوا علىٰ أن الأرض متناهيةِ الأطراف من الجهات كلها، وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات السِّت؛ خِلَاف قول مَن زعم مِن الدهرية أنه لا نهاية للأرض من أسفل، ولا من اليمين واليسار، ولا مِن خلف ولا مِن أمام، وإنما نهايتها مِن الجهة التي تلاقي الهَواء مِن فوقها.

وزعَمُوا أنَّ السَّماء -أيضًا- مُتناهية مِن تحتها، ولا نهاية لها مِن خمس جهات سوىٰ جهة السِّفَل.

وبطلان قولهم ظاهر مِن جهة عَوْدِ الشَّمس إلىٰ مشرقها كل يوم، وقطعها جرم السماء، وما فوق الأرض في يوم وليلة.

ولا يصح قطع ما لا نهاية لها من المسافة في الأمكنة في زمان متناه». انتهىٰ(١).

وقال القرطبي في «تفسيره» عند قول الله تعالىٰ في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا﴾ [الرعد: ٣]، **الآية ما نصه:**

«والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها». انتهىٰ(٢).

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٣١٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٠).

وهذا صريح في حكاية الإجماع من المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ثبات الأرض واستقرارها.

وقد قرَّر ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في كتابه «**مفتاح دار السعادة**» أن الأرض واقفة ساكنة، وقرَّر ذلك غيره من أكابر العلماء.

ولا أعلم عن أحد مِن سلف الأمة وأئمتها خلافًا في ذلك، وإنما خالف في ذلك أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج مثل: كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهم، ومَن نحا نحوهم مِن العَصْرِيِّين.

فهؤلاء هم المُخالفون في ثبوت الأرض واستقرارها مِن المتأخِّرين.

وأما المخالفون في ذلك مِن المُتقدِّمين فهُم الدَّهرية، وفيثاغورس وأتباعه مِن اليونان.

ولا عبرة بخلاف هؤلاء الذين أشرنا إليهم من المتقدمين والمتأخرين.

ولا ينبغي للمسلم أن يغتر بأقوال أعداء الله، ولا يصغي إلىٰ تخرُّصَاتهم وظنُونهم الكاذبة، ولا يعتَدُّ بأقوالهم الفاسدة، وتوهُّمَاتهم الخاطئة.

ولا ينبغي -أيضًا- أن يصغي إلىٰ أقوال الذين يقلدونهم، ويحذون حذوهم من المسلمين.

* * *

فصل
في ذكر أدلة عقلية على ثبات الأرض واستقرارها

فمن ذلك: ما هو مُشاهَد مِن سَيْر السَّحاب المسخَّر بين السماء والأرض، فإنا نراه عندنا في البلاد النجدية في فصلي الشتاء والربيع، وأكثر فصل الخريف يأتي في الغالب من المغرب، ويذهب نحو المشرق.

وفي بعض الأحيان يأتي من جهة الشمال، ويذهب نحو الجنوب، ويأتي -أيضًا- من جهة الجنوب، ويذهب نحو الشمال، وربما أتىٰ من ناحية المشرق وذهب نحو المغرب.

وفي فصل الصيف، وهو الذي تسميه العامة «القيظ» ليس له اتجاه معتاد، بل يأتي من المشرق، ومن المغرب، ومن الجنوب، ومن الشمال.

وفي نواحي الحجاز يأتي في الغالب من جهة القطب الجنوبي، ويذهب نحو القطب الشمالي، وربما أتىٰ من جهة المشرق، وذهب نحو المغرب وبالعكس، وربما أتىٰ من جهة الجنوب وذهب نحو الشمال، وبالعكس.

وسَيْره مِن جميع الجهات متقارب لا يختلف بعضه عن بعض بالسرعة، إلا بسبب ريح شديدة تَسُوقه، ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة لَاخْتَلَفَ سير السحاب بسبب سير الأرض، ولكان اتجاهه دائمًا إلىٰ

جهة المغرب؛ بعكس سير الأرض، ولم يذهب إلىٰ جهة المشرق أبدًا؛ لأن الأرض تفوته بسرعة سيرها.

فقد زعم المتأخرون من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنها تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلومترًا، وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمس مئة ألف فَرْسَخ.

ولما كان سير السحاب من جميع الجهات مقاربًا بعضه بعضًا؛ دلَّ ذلك علىٰ أن الأرض قارَّة ساكنة.

ومن ذلك: ما يسره الله تعالىٰ في زماننا من وجود المراكب الجوية التي تخترق الهواء في جميع أرجاء الأرض، فإنَّ سيرها مِن المشرق إلىٰ المغرب مثل سيرها من المغرب إلىٰ المشرق، وكذلك سيرها من الجنوب إلىٰ الشمال مثل سيرها من الشمال إلىٰ الجنوب، كل ذلك لا يختلف.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكان مِن في المشرق إذا أراد المغرب رفع طائرته في الهواء ثم أمسكها وقتًا يسيرًا حتىٰ تصل إليه أقطار المغرب فينزل فيها.

وأمَّا مَن في المغرب فلا يمكنه أن يسير إلىٰ المشرق في مركب جوِّيٍّ أبدًا لأنه إذا رفع طائرته عن الأرض فاتته الأرض بسرعة سيرها.

هذا علىٰ حد زعمهم.

وكذلك الذين في الجنوب والشمال، لابد أن تفوتهم الأرض بسرعة

سيرها؛ فلا يهتدون إلىٰ موضع قصدوه في مراكبهم الجوية.

ولمَّا كانت هذه التقديرات مُنْتَفِيَة، وكان السَّير في الجو مِن الأقطار المُتبايِنَة مقاربًا بعضه بعضًا؛ دلَّ ذلك علىٰ أنَّ الأرض قارَّة ساكنة.

ومن ذلك: ما هو مُشاهَد مِن نهوض الطيور مِن أوكارها أو غيرها مِمَّا هي واقعة عليه وطيرانها في الهواء وذهابها يمينًا وشمالًا، ورجوعها إلىٰ أوكارها، أو غيرها من الأشجار والمواضع التي تقع عليها كثيرًا؛ وهذا يدلُّ علىٰ ثبات الأرض واستقرارها.

ولو كانت تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا رجعت الطيور إلىٰ أماكنها من الأرض؛ لأنَّ الأرض تفوتها بسرعة سيرها.

ومثل ذلك: الطائرات؛ فإنها تطير مِن المطارات وتذهب نحو المشرق، والمغرب، والجنوب، والشمال، وربما عرض لها عارض يمنعها من مواصلة السير إلىٰ المواضع التي يقصدها أهلها؛ فترجع إلىٰ المواضع التي طارت منها، بعدما تنأىٰ عنها بمسافةٍ بعيدة؛ وهذا يدلُّ علَىٰ ثَبات الأرض واستقرارها، ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا رجعَت الطائرات إلىٰ مطاراتها أبدًا؛ لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها.

ومن ذلك: ما هو مُشاهَد مِن رمي الصيد والأهداف وإصابتها، ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا أصاب الرَّامي صيدًا

ولا هدفًا، ولاسيما إذا كان الصَّيد أو الهدف بعيدًا عنه؛ لأنه إذا أطلق السهم أو الرصاص فاتته الأرض بسرعة سيرها، فلا يصيب السهم والرصاص ما وجهه الرامي نحوه.

ولما كانت إصابة الصيد والأهداف تقع مِن كثيرٍ مِن الرُّماة؛ دَلَّ ذلك علىٰ أن الأرض قارَّة ساكنة.

فإن قيل: إن الهواء تابع للأرض، يسير بسيرها، فلا تفوت الأرض إذا شيئًا مما يكون في الهواء فوقها.

فالجواب أن يقال: هذا مِن أبطل الباطل؛ لأن الهواء مستقل بنفسه، وليس تابعًا للأرض، قال الله تعالىٰ في سورة «ألم تنزيل السجدة»: ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ**﴾ [السجدة: ٤] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «ق»: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ [ق: ٣٨] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «الدخان»: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾**﴾ [الدخان: ٣٨].

وقال تعالىٰ في سورة «الأنبياء»: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾**﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقال تعالىٰ في سورة «ص»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «الحجر»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر: ٨٥] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «الأحقاف»: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «ص»: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [ص: ١٠] الآية.

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن الهواء مستقل بنفسه، وليس تابعًا للأرض.

وكما أنَّ كُلًّا من السماء والأرض مستقلة بنفسها، وليست تابعة للأخرىٰ؛ فكذلك الهواء مستقلٌّ بنفسه، وليس تابعًا للسماء ولا للأرض، ولا يتصور أن يكون الهواء تابعًا لغيره؛ إلَّا فيما يكون محجوزًا بالسقوف والجُدُر ونحوها، كالهواء الذي يكون في داخل الطائرات، والسيارات، والمراكب، ونحوها فإنه يسير بسيرها بخِلَاف ما يكون فوق سطوحها؛ فإنه لا يكون تابعًا لها، ولا يسير بسيرها، كما هو معلوم عند كل عاقل.

ومَا علىٰ وجه الأرض من الهواء شبيه بما علىٰ ظهور الطائرات من

الهواء، فكما أن ما علىٰ ظهور الطائرات من الهواء لا يتبعها ولا يسير بسيرها؛ فكذلك ما علىٰ ظهر الأرض من الهواء لا يكون تابعًا لها، والله أعلم.

وأيضًا، فلو كان الهواء تابعًا للأرض وسائرًا بالسرعة الهائلة التي زعموها في سير الأرض كما ذكرنا قولهم في ذلك قريبًا؛ فإنه لا يستطيع الطير، ولا الطائرات أن تسبح فيه، وتذهب شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، ثم ترجع إلىٰ مواضعها من الأرض.

ولمَّا كان الطير يطير إلىٰ حيث شاء مِن الجهات، ثم يرجع إلىٰ موضعه الذي طار منه، وكانت الطائرات تسير علىٰ خطوط مستقيمة شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، ثم ترجع إلىٰ المواضع التي طارت منها؛ دلَّ ذلك علىٰ أن الهواء ساكنٌ لا يسير، ولا يتحرك إلَّا أن تحركه رِيحٌ تهبُّ فيه.

* * *

فصل

قال الرازي في «تفسيره» عند قول الله تعالىٰ في سورة «البقرة»: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، **الآية ما نصه:**

«اعلم أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذَكَر هَهُنا أنه جعل الأرض فراشًا.

ونظيره قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل: ٦١]،

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزُّخرُف: ١٠].

واعلم أنَّ كون الأرض فراشًا مشروط بأمور:

الشرط الأول: كونها ساكنة؛ وذلك لأنها لو كانت متحرِّكَة لكانت حركتها إما بالاستقامة، أو بالاستِدَارة.

فإن كانت بالاستقامة؛ لَما كانت فِرَاشًا لنَا علىٰ الإطلاق؛ لأنَّ مَن طفر مِن موضع عالٍ؛ كان يجب أن لا يَصِلَ إلىٰ الأرض؛ لأنَّ الأرض هاوية، وذلك الإنسان هاوٍ، والأرض أثقل من الإنسان، والثقيلان إذا نزَلَا كان أثقلهما أسرعهما، والأبطأ لا يلحق الأسرع؛ فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلىٰ الأرض، فثبت أنها لو كانت هاوية؛ لَمَا كانت فِرَاشًا.

أمَّا لو كانت حركتها بالاستِدَارة؛ لم يَكْمُل انتفاعنا بها؛ لأنَّ حركة الأرض مثلًا إذا كانت إلىٰ المشرق، والإنسان يريد أن يتحرك إلىٰ جانب المغرب، ولا شك أن حركة الأرض أسرع؛ فكان يجب أن يبقىٰ الإنسان علىٰ مكانه، وأنه لا يمكنه الوصول إلىٰ حيث يريد.

فلمَّا أمْكنَهُ ذلك؛ عَلِمْنَا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة، ولا بالاستقامة؛ فهي ساكنة». انتهىٰ[1].

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (ص٢٥٨).

فصل

وقد ذكر الآلوسي، عن فيثاغورس وأتباعه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، أنهم قالوا: إن الأرض سابحة في الجو، معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها.

ونقول: أما قولهم: إن الأرض سابحة في الجو؛ فهذا باطل، تردُّه الآيات والأحاديث الدالة علىٰ سكون الأرض وثباتها.

ويردُّه -أيضًا- إجماع المسلمين علىٰ ثبات الأرض وسكونها، وقد تقدَّم كلُّ ذلك؛ فليراجع.

وأما قولهم: إنها معلقة بسلاسل الجاذبية؛ فهذا باطل يردُّه قول الله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، فالسماء قائمةٌ بأمر الله تعالىٰ، وإمساكه لها من غير عمد، والأرض قائمة بأمر الله تعالىٰ، وإمساكه لها من غير سلاسل.

وقد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأرض مركزًا ومستقرًّا للأثقال من جميع جهاتها، فلو سقط من السماء شيءٌ ثقيل من أيِّ جهة؛ كانت لِمَا استقر، إلَّا في الأرض، وكذلك ما يسقط من الأثقال مما بين السماء والأرض فمقرُّه الأرض، وقانون الجاذبية للأثقال ينتهي إلىٰ المركز في جوف الأرض، وهو

وسط الأرض السابعة السفلىٰ.

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-، بعد أن ساق عدة أحاديث في إثبات سبع أرضين، قال: «فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين، والمراد بذلك أنَّ كل واحدة فوق الأخرىٰ، والتي تحتها في وسطها عند أهْل الهَيْئةِ حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ السابعة، وهي صمَّاء لا جوف لها، وفي وسطها المركز، وهي نقطة مقدَّرة متوَهَّمة، وهو محط الأثقال، إليه ينتهي ما يهبط من كل جانبٍ إذَا لم يُعَاوِقْهُ مانع»(١).

وقال شَيخُ الإِسْلامِ أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «إذا أهبط شيءٌ إلىٰ جهة الأرض؛ وقف في المركز، ولم يصعد إلىٰ الجهة الأخرىٰ»(٢).

وقال -أيضًا-: «ما يهبط من أعلىٰ الأرض إلىٰ أسفلها وهو المركز لا يصعد من هناك إلىٰ ذلك الوجه إلا برافع يرفعه، يدافع به ما في قوته من الهبوط إلىٰ المركز»(٣).

وقال الشيخ -أيضًا-: «أهْل الهَيْئةِ يقولون: لو أنَّ الأرض مخروقة إلىٰ ناحيةِ أرْجُلِنَا، وأُلْقِيَ في الخرق شيء ثقيل كالحجَر ونحوه؛ لكان ينتهي إلىٰ

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٢١).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٧١).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٧٢).

المركز، حتىٰ لو أُلقِي من تلك الناحية حجر آخر لَالْتقَيا جميعًا في المركز، ولو قُدِّر أنَّ إنسانَيْنِ التقَيا في المركز بدَل الحجرَيْن؛ لَالْتقَتْ رِجلَاهُما، ولم يكن أحدهما تحت صاحبه، بل كلاهما فوق المركز». انتهىٰ(١).

والدليل علىٰ أن الأرض هي المركز الذي ينتهي إليه ما يهبط من السماء:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩].

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن مشركي قريش، أنهم قالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن قوم شُعَيب، أنهم قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧]، والكسف: القطع.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

ورویٰ الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ** –

---

(١) «مجموع الفتاویٰ» (٦/ ٥٦٨).

وَأَشَارَ إِلَىٰ مِثْلِ جُمْجُمَةٍ- أُرْسِلَتْ مِن السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَت الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ»، الحديث.

قال الترمذيُّ: هذا حديث إسناده حسن صحيح[1].

وروىٰ الطبراني، والأزرقي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ: لَهُ الضُّرَاح، وَهُو عَلَىٰ مِثْلِ البَيْتِ الحَرَامِ بحِيَالِه، لَوْ سَقَطَ سقَطَ عَلَيْهِ**»[2].

وإذا كانت الأرض مركزًا ومستقرًّا للأثقال من جميع جهاتها؛ فَمُفارَقتها لموضعها ممتنع، فضلًا عن دوَرانِهَا علىٰ الشَّمس؛ لأنها لو كانت تدور علىٰ الشَّمس، لكانت تصعد في الجو، مع عِظَمِ ثقلها، وانتفىٰ كونها مركزًا ومستقرًّا للأثقال.

وهذا باطلٌ تردُّه الآيات التي تقدَّمَ ذِكرُها مع حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وتردُّه -أيضًا- المشاهدة والمَحْسُوس الذي يَعرِفُه كلُّ عاقلٍ مِن كون

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٧) (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢١٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني (١٢١٨٥). قال الهيثمي (٧/ ١١٤): «فيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة، وهو متروك».

الأرض مستقرًّا للأثقال من جميع نواحيها.

وهذا يدل علىٰ أنها قارَّة ثابتة، لا تفارق موضعها، والله أعلم.

* * *

فصل

وإذا عُلِمَ ما ذكرنا مِن الآيات والأحاديث الدالة علىٰ جريان الشَّمس، وسكون الأرض واستقرارها، وما ذكرنا -أيضًا- من الإجماع علىٰ وقوف الأرض وسكونها؛ فإنا نتحَدَّىٰ الصوَّاف، وأشباهه من العصرِيِّين المَفتُونِين بأقوال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن يأتوا بنصٍّ واحدٍ مِن كتاب الله تعالىٰ، أو مِن سُنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعارض ما ذكرنا من الأدلة.

ولن يجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا البتة.

وغاية ما يعتمدون عليه ما روَّجَهُ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن تخَرُّصَاتهم وظنونهم الكاذبة، وأقوالهم الباطلة، التي تخالف مدلول الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين.

ومَن نبَذَ الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وإجماع المسلمين وراء ظهره، واعتمَدَ علىٰ ما خالَفَهَا مِن زخارف أعداء الله تعالىٰ، وظنونهم؛ فهو مُصابٌ في دينه وعقله.

العِلْـمُ قَـالَ اللهُ قَـالَ رَسُـولُه قَـالَ الصَّحابَةُ هُـم أولُـوا العِرفَـانِ
مَـا العِلـمُ نَصْبُكَ للخِلَافِ سَفاهَةً بَـينَ الرَّسُـولِ وبَـين رَأيِ فُـلانِ

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ [المجادلة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١].

* * *

فصل

وقد صرَّح بعض المحقِّقين بتكفير من يقول بحركة الأرض وسَيْرِهَا.

قال الشَّيخ محمَّد بن يُوسف الكافي التونسي[1] في كتابه «المسائل الكافية

---

(١) هو علم من أعلام المالكية بالشام، واسمه: محمد بن يوسف الكافي التونسي، ولد سنة (١٢٧٨هـ) بتونس، وتوفي بدمشق سنة (١٣٨٠هـ) عن عُمر (١٠٢) من السنين، حفظ القرآن صغيرًا، وأخذ الطريقة الخلوتية على محمد بن محمود الجبيناتي الذي نصحه بطلب العلم. انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٩).

في بيان وجوب صدق خبر رب البرية» بعد الخطبة ما مُلخَّصه:

«أما بعد، فيقول أسير ذنبه، المفتقر لعفو ربه، محمد بن يوسف، المعروف بالكافي: إنه ضمنا مجلس في منزل الفاضل شيخ القراء الشيخ محمد سليم الحلواني(١) يوم الأضحىٰ من سنة (١٣٥١) المنصرمة، فسألَني بعض الحاضرين عن حكم من يقول بحركة الأرض وسيرها، فأجبته بأنه كافر، فقال لي: وبماذا تكفره؟ فقلت له: لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أخبر في عدَّة آيات بعدم تحركها، والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يستحيل عليه الكذب، وما في معناه.

فاستعظم الحاضرون مني ذلك، وقالوا: التكفير بعيد؛ لأنه يلزم عليه تكفير كثير من الناس.

وكان من جملة الحاضرين شيخ كبير، فقال: التكفير دونه خرط القتاد.

والذي يظهر لي أنه تلفظ بهذه الجملة، ولم يفقه معناها، فخطر ببالي بعد

---

(١) هو الشيخ المقرئ، محمد سليم بن أحمد بن محمد بن علي بن علي الحلواني، الرفاعي، الحسني، الشافعي، ولد في دمشق، سنة (١٢٨٥هـ)، وأتم حفظ القرآن في العاشرة من عمره، وجمع القراءات العشر في الرابعة عشرة من عمره، وتلقىٰ الحديث عن الشيخ سليم العطار، والشيخ بكري العطار، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدمشق عن ثمانية وسبعين عامًا، سنة (١٣٦٣هـ). انظر: «تاريخ علماء دمشق» (٢/ ٦٠٣-٦٠٤)، ومقدمة كتاب «المنظومات الثلاث للشيخ الحلواني» لحسين خطاب.

انصرام المجلس أن أجمع مسائل رأيت بعضها منصوصًا، وسمعت البعض الآخر، وكلها علىٰ خلاف عقائد المسلمين من حيث إن فيها تكذيب خبر رب العالمين، تعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأن أبيِّن الحق فيها الذي يجب اعتقاده، وذكرت قبل المسائل تتمات يحتاج إليها الناظر في المسائل».

ثم قال:

«التتمة الأولىٰ:

مُتعلقة بالقرآن العظيم من حيث إنه قرآن عربي، غير ذي عوج، فلا يعدل في بيان مفرداته وجُمَله عمَّا يقتضيه لسان العرب، فمن عدَل به عن ذلك؛ فقد ألْحَد في آيات ربه.

التتمة الثانية:

أنَّ ما أكتبه هو نقلٌ صَريحٌ بحت، لا دخل للعقل فيه، ولا للتخمين -أيضًا-، فمَنْ كان له ساعدٌ قوِيٌّ وأراد معارضتي في شيءٍ مما أكتبه؛ فليُعارِضني بنقلٍ صريح من مادة ما أنقله.

أعني: إذا ذكرت آية أو حديثًا أو قولَ بعضِ العلماء؛ فليعارضني بآيةٍ أو حديثٍ أو قولِ بعض العلماء علىٰ سبيل اللف والنشر المرتَّب.

وأمَّا إذا ذكرتُ آيةً أو حديثًا وعارضَنِي بقول أحد العلماء مجرَّدًا عما يعضده من آيةٍ أو حديث؛ فمعارضته مردودة عليه، لا يصغىٰ إليها ولا ينظر فيها.

التتمة الثالثة: أنَّ مُرادِيَ بما أكتبه هو تنبيه وإيقاظ مَن يكون في اعتقاده شكٌّ أو ريبٌ فيما يعتقده المسلمون.

والحال: أنَّ أصوله مسلمون، ولكن لتربيته علىٰ يد غير المسلمين، أو لمطالعته كتب غير المسلمين؛ اكتسب هذا الاعتقاد المُخرِج له عن دائرة الإسلام، فلعلَّه إذا اطلع علىٰ ما أنقله وأسطره يرجع إلىٰ حوزة الإسلام، ويكون فردًا من أفراد المسلمين، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

التتمة الرابعة: اتَّفَقَ العلماء علىٰ أنَّ مَن قال قولًا، أو اعتقد اعتقادًا يُوجِب تكذيب الله تعالىٰ في خبَرِه كحركة الأرض وسَيْرِهَا المخبر الله تعالىٰ بعدم حركتها، أو قال أو اعتقد أن السماء جو وفضاء لا بناء، المخبر الله تعالىٰ بأنها بناء شديد، وسقف محفوظ، لا يحكم عليه بالكفر بمجرد ذلك، بل يحكم عليه إذا وقف علىٰ عقيدة المسلمين في تلك العقيدة أو العقائد، وعاند ولم يرجع إلىٰ معتقد المسلمين».

ثُم شرع الشيخ الكافي في ذكر المسائل إلىٰ أن قال:

المسألة الموفية عشرين: الأرض من حيث حركتها وسكونها؛ عقيدة المسلمين الذين لم تَشْرَب قلوبهم حُبَّ أهل الكفر أنها ساكنةٌ، وثابتةٌ، ومرْسَاة

بالجبال كإرساء البيت بالأوتاد، وكإرساء السفن في مرساها؛ لربطها بالحبال في الأوتاد، أو إنزال المخاطيف الهائلة من الحديد؛ فتنزل في الأرض، فتكون لها كالأوتاد للبيت، أو يجعل فيها الأجرام الثقيلة؛ لتثقل بها حتىٰ لا تميد في مرساها؛ أي: لا تتحرك يمينًا ولا شمالًا، ولا أمامًا ولا خلفًا، وهذا هو الذي أراد الله تعالىٰ في إرساء الأرض بالجبال، بحيث لا تتحرك أصلًا؛ أي: لا حركة منتظمة ولا غير منتظمة.

قال الله تعالىٰ مُمْتَنًّا علىٰ عباده: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، ومعلومٌ أنَّ القرآن نـزَلَ بلسان العرَب.

وتقدَّم في التَّتِمَّات أنَّ مَن أخرَجَ مفرداته وجُمَله عما يقتضيه لسانهم؛ فقد ألحد في آيات ربه تعالىٰ.

في «**مُختَار الصَّحَاح**»: «مادَ تحرَّك، ومادَت الأغصان تمايلت، ومادَ الرجل تحرك»(١).

وفي «**القاموس**»: «مَادَ يَمِيدُ مَيْدًا، ومَيْدَانًا: تحرَّك، وزاغ، وزكَا، والسراب اضطرب، والرجل تبَخْتَر». اهـ. محل الحاجة منه(٢).

في «**المختار**»: «مارَ مِن باب قال تحرك، وجاء، وذهب، ومنه قوله تعالىٰ:

---

(١) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤٠٩).

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩]. قال الضحاك: تموج موجًا. وقال أبو عبيدة والأخفش: تكفأ»[(١)].

في «**القاموس**»: «**والمَوْر**: الموج، والاضطراب، والجريان علىٰ وجه الأرض والتحرك»[(٢)].

في «**المختار**»: «ماج البحر من باب قال، اضطربت أمواجه»[(٣)].

في «**القاموس**»: «**المَوْج**: اضطِرَاب أمواج البحر»[(٤)].

في «**القاموس**»: «**واضطرب**: تحرَّكَ ومَاج»[(٥)].

في «**المختار**»: «**رسَا الشيء**: ثبَتَ، وبابه عدا ومرسىٰ -أيضًا- بفتح الميم، ورست السفينة: وقفت علىٰ الأنجر: وبابه عدا وسَما»[(٦)].

قلت:

قال الأزهري: «في نجر الأنجر مرساة السفينة، وهو اسم عراقي، وقوله

---

(١) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٦١٤).

(٣) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٤) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٢٦٣).

(٥) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٣٨).

(٦) «مختار الصحاح» (ص٢٦٧).

تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] سبق في جرىٰ. والمرساة التي ترسي بها السفينة تسميه الفُرس لنكر. والرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ، واحدتها: راسية».

«**في القاموس**»: «رَسَا رَسْوًا ورُسُوًّا: ثبت كأرْسَىٰ، والسفينة وقفَتْ علىٰ الأنْجَر وأرْسَيْتُه».

وقال: والمِرْسَاة أنْجَر السفينة.

وقال: وألقَتِ السَّحابُ مَراسِيهَا: استقَرَّتْ.

وقال: وقدور راسية لا تبرح مكانها لعِظَمها». اهـ[1].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٦، ٧].

في «**القاموس**»: «الوتْد، وبالتحريك، وكَكَتِف: مَا رُزَّ في الأرض، أو الحائط من الخشب».

وقال: «وأوتاد الأرض الجبال». اهـ[2].

فالسفينة إما جارية، وإما راسية، ولا واسطة بين الحالتين لها.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٦٦٢) بتصرف.

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤١٣) بتصرف.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] الآية.

قال: «**كان إذا أراد أن ترسىٰ، قال:** بسم الله؛ فأرست، وإذا أراد أن تجري قال: بسم الله؛ فجرت»(١).

في «الدر المنثور» في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩]: «أخرج ابن جرير، وابن المنذر(٢)، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ قال: تحرك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد في قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ قال: تدور دورًا». اهـ(٣).

وفي «الدر المنثور» علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ أخرج عبد بن حميد(٤)، وابن جرير، وابن المنذر، من طريق قتادة عن الحسن عن

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٣٠).

(٢) هو الحافظ، أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النَّيْسَابُورِي، نزيل مكة، المعروف بـ«ابن المنذر» ولد في حدود سنة (٢٤١هـ)، رحَل ابن المنذر إلىٰ مصر طلبًا للحديث والفِقْه، والْتقَىٰ بالربيع بن سليمان صاحب الشافعي وتلميذه، فوقف علىٰ كتُب الشَّافعي الَّتِي صنَّفها في مصر، توفي (٣١٨هـ)، انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٩٧)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ١٢٦).

(٣) «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٣١).

(٤) عبد بن حميد، هو الإمام، الحافظ، الحُجَّة، الجوَّال، أبو محمد، عبد بن حميد بن نصر، الكسي، ويقال له: الكَشِّي، بالفتح والإعجام، يقال: اسمه عبد الحميد، وُلد بعد =

قيس بن عباد، قال: إنَّ الله لمَّا خلق الأرض، جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هذه بمقرة أحدًا علىٰ ظهرها، فأصبحت صبحًا، وفيها رواسيها؛ فلم يدروا من أين خلقت». اهـ محل الحاجة[١].

وفيه -أيضًا-: «وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله تعالىٰ في سورة «لقمان»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]، قال: حتىٰ لا تميد بكم، كانوا علىٰ الأرض تمور بهم لا يستقر بها، فأصبحوا صبحًا، وقد جعل الله الجبال، وهي الرواسي أوتادًا في الأرض». اهـ[٢].

في تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في سورة «والنازعات»: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ [النازعات: ٣٢] أوتدها.

وفيه -أيضًا- في تفسير سورة «النبأ»: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٧] لها لكي لا تميد بهم.

وفيه -أيضًا- في تفسير سورة «النحل» علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي

=

السبعين ومئة، وحدَّث عن: يزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وجعفر ابن عون، وأبي داود الطيالسي، والواقدي، وخلقٌ كثير، حدَّث عنه: مسلم، والتِّرمذي، والبخاري تعليقًا، توفي سنة (٢٤٩هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٢/ ١٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٥٣).

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١١٨).

(٢) المصدر السابق.

﴿ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [النحل: ١٥] الجبال الثوابت: ﴿أَن تَمِيدَ﴾ لكي لا تميد: ﴿بِكُمْ﴾ الأرض. اهـ.

والعرب لا تفهم من الأوتاد إلا ثبوت ما ربط بها، ولا من الإرساء إلا ثبوت المُرسَىٰ بها.

وسأذكر عقيدة داروين(١) في الأرض، وفي آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال أبو السعود(٢) علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: «أي: جبالًا ثوابت في أحيازها من الرسو، وهو ثبات الأجسام الثقيلة»(٣).

وقال في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: «أي: جبالًا ثوابت، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميد بكم وتضطرب، أو لئلَّا تميد بكم، فإنَّ الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة الطبع، وكان من حقها أن

---

(١) تشارلز روبرت دارون، عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في إنجلترا (١٢ فبراير سنة ١٠٨٩م)، وتوفي (١٩ أبريل سنة ١٨٨٢م).

(٢) هو العلامة المجتهد، المفسر، محمد بن محمد بن مصطفىٰ العمادي، وقيل: اسمه أحمد، والأول المشهور، المعروف بأبي السعود، صاحب التفسير، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه، وكان علىٰ السُّنة، ذابًّا عنها ضد المعتزلة، وكان يقربه السلطان سليمان القانوني تقديرًا لعلمه ومكانته، توفي بالقسطنطينية سنة (٩٨٢هـ). انظر: «شذرات الذهب» (١٠/ ٤٨٥)، و«تراجم الأعيان» (١/ ٢٣٩)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص٨١).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٣).

تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو تتحرك بأدنىٰ سبب محرك، فلمَّا خلقت الجبال تفاوتت حافاتها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز؛ فصارت كالأوتاد، وقيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرة أحدًا علىٰ ظهرها؛ فأصبحت وقد أرسيت بالجبال». اهـ(١).

قال الرازي علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: «أي: جبالًا راسية أن تميد بكم؛ أي: كراهة أن تميد بكم.

وقيل: المعنىٰ أن لا تميد بكم.

واعلم أن الأرض ثباتها بسبب ثقلها، وإلا كانت تزول عن موضعها بسبب الماء والرياح، ولو خلقها مثل الرمل؛ لَمَا كانت تثبت للزراعة، كما ترىٰ الأرض الرملية ينتقل الرمل الذي فيها من موضع إلىٰ موضع.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠]؛ أي: فلكون الأرض فيها مصلحة حركة الدواب أسكنا الأرض، وحركنا الدواب، ولو كانت الأرض متزلزلة وبعض الأراضي لا يناسب بعض الحيوانات؛ لكانت الدابة لا تعيش في موضع تقع في ذلك الموضع؛ فيكون فيه هلاك الدواب.

أما إذا كانت الأرض ساكنة، والحيوانات متحركة تتحرك في المواضع

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ١٠٣-١٠٤).

التي تناسبها، وترعىٰ فيها وتعيش فيها؛ فلا». اهـ[(١)].

وقال في سورة «**الأنبياء**»: «(المسألة الثانية): الرواسي الجبال، والراسي هو الداخل في الأرض.

«**المسألة الثالثة**»: **قال ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إن الأرض بسطت علىٰ الماء، فكانت تتكفأ بأهلها كما تتكفأ السفينة؛ لأنها بسطت علىٰ الماء؛ فأرساها الله بالجبال الثقال». اهـ[(٢)].

قال مفتي الثَّقَلَيْنِ[(٣)] **في سورة** «**النبأ**»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٦، ٧]: «لها أرساها بها، كما يُرسَىٰ البيت بالأوتاد». اهـ[(٤)].

وقال في سورة «**والنازعات**»: «والجبال منصوب بمضمر، يفسره أرساها؛ أي: أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها.

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (٢٥/ ١١٩).

(٢) «تفسير الفخر الرازي» (٢٢/ ١٤١).

(٣) هو الإمام، المحدث، أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان، النسفي الحنفي، من أهل سمرقند، المعروف بالإمام النسفي، أو مفتي الثقلين، كان صاحب فنون، ألف في الحديث، والتفسير، والشروط، وله نحو من مئة مصنف، ولد (٤٦١هـ)، وتوفي بسمرقند سنة (٥٣٧هـ). انظر: «معجم الأدباء» (١٦/ ٧٠- ٧١)، و«العبر» (٤/ ١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٢٦).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٩/ ٨٦).

وهذا تحقيقٌ للحق، وتنبيهٌ علىٰ أنَّ الرُّسُوَّ المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها، بل هو بإرسائه عَزَّوَجَلَّ ولولاه ما ثبتت في أنفسها، فضلًا عن إثباتها الأرض». اهـ(١).

قال البيضاوي(٢) في سورة «الرعد»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرعد: ٣]: «بسَطهَا طولًا وعرضًا، تثبت فيها الإقدام، ويتقلب عليها الحيوان: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت، مِن رسَا الشيء إذا ثبت، جمع راسية»(٣).

وقال في سورة «النحل» ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: «جبالًا رواسي: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ كراهة أن تميد بكم وتضطرب، وذلك لأن الأرض قبل أن تُخلَق فيها الجبال، كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنىٰ سبب للتحريك، فلما خلقت الجبال علىٰ وجهها تفاوتت جوانبها، وتوجَّهَت الجبال بثقلها نحو المركز؛ فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٩/ ١٠٢).

(٢) هو المفسر المشهور، البيضاوي، الإمام القاضي، أبو الفتح، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي، ثم البغدادي، الحنفي، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، أخذ عنه: السمعاني، وابن عساكر، وابن الجوزي، وآخرون، توفي سنة (٥٣٧هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٤/ ١١٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٨٢).

(٣) «تفسير البيضاوي» (ص٣١٦).

وقيل: لمَّا خلق الله الأرض، جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرة أحدًا علىٰ ظهرها؟ فأصبحت وقد أرسيت بالجبال». اهـ[١].

فمن قال واعتقد أنها متحرِّكَة وسائرة بانتظام؛ تقليدًا لداروين، ولمن كان علىٰ مذهبه، وتاركًا لعقيدة المسلمين، واستمر مصممًا علىٰ ذلك؛ يَكفُر لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢]، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٧]».

ثم قال الشيخ الكافي:

«**المسألة الحادية والعشرون:**

أذكر فيها ما كتبته في «**الأجوبة الكافية علىٰ الأسئلة الشامية**» ورددت به مقالة في «منار رشيد رضا»[٢]، وأدرج فيها ما قاله داروين في شأن الأرض، وفي شأن آدم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال صاحب «المنار» في (صفحة ٥٧٧) من الجزء (الرابع عشر): «علم الفلك والقرآن، نظرة في السموات والأرض».

وفي (صفحة ٥٥٨): «ما هي هذه الأرض التي نعيش عليها؟ هي كوكب من الكواكب التي تدور بمركز الشَّمس، وتسمىٰ بالسيارات».

---

(١) «تفسير البيضاوي» (ص٣٩٠).

(٢) أيْ: مجلة «المنار» للشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أقول: يعتقد صاحب هذا الكلام أن الأرض متحركة، طائفة بمركز الشَّمس وليست راسية، ومائدة وليست بثابتة، وسابحة وليست موثقة بالجبال، وهذا مذهب داروين الطبيعي، ومَن تبعه، كأصحاب هذه المجلة.

قال داروين في كتاب «النشو والارتقاء» في (صفحة٢٣٨): «أن الأوْهَام التي تقاضت الإنسان حياته زمنًا طويلًا، وكانت أعظم أسباب شقائه، ودواعي عنائه اثنان عظيمان وهما:

أولًا: اعتقاده القديم في الأرض أنها مركز تدور حوله الأفلاك.

وثانيًا: اعتقاده في نفسه أنه مِن أصلٍ سَماوِيٍّ، فأهبطه الخالق مِن فَسِيح جنانه، ولم ذا! وأسكنه ضيق أرضه...».

إلىٰ أن قال: «ومنها أرضنا المتحركة حول مركز الشَّمس؛ خلافًا لمن يظن أن الأرض ثابتة، والشَّمس تدور حولها؛ خدمة لها». اهـ.

واعتقاد المسلمين كافة بأن الأرض ثابتة؛ تبعًا لِمَا امتَنَّ اللهُ به علينا بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة «لقمان»: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾ [لقمان: ١٠]؛ أي: لئلَّا تميد بكم.

وفي «عم يتساءلون»: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [النبأ: ٦، ٧].

وفي «**النازعات**»: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢﴾ [النازعات: ٣٠ - ٣٢]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الأرض وعدم تحركها.

في «**مختار الصحاح**»: «ماد الشيء تحرك»(١).

وفي «**القاموس**»: «مادَ يميد ميدًا وميدانًا، تحرَّكَ وزاغ»(٢).

وفيه: «رسَا رَسْوًا ثبتَ كأرْسَىٰ»(٣).

فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أخبر بثبوتها، وعدم تحركها، وطوافها حول مركز الشَّمس.

وداروين ومَن تبعه أخبروا بحركتها، وطوافها حول مركز الشَّمس.

فمَنْ هو العالم بوصفها الحقيقي؟!

الجواب: الله! ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [المُلك: ١٤].

فمَن الصادق في خبره؟!

الجواب: الله الصادق، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

---

(١) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤٠٩).

(٣) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٦٦٢) بتصرف.

فإذا ثبت هذا، فمن الواجب اتباعه في خبره؟!

الجواب: اتباع خبر الله تعالىٰ؛ لأن خبَره صِدْق، يستحيل عليه الكذب، وما في معناه، وطرح خبر الغير وراء الظهر، ومعتقد خلاف دين المسلمين كافر بلا ريب.

ثم اتل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

ثم قال الشيخ الكافي:

«المسألة الثانية والعشرون:

«في تحقيق أنَّ مَن قال بحركة الأرض يُعَدُّ مكذِّبًا اللهَ تعالىٰ في خبره عقلًا -أيضًا-، وذلك أنَّ الوصفين إمَّا أن يكون بينهما التماثل، كالبياض وبياض آخر. وإما أن يكون بينهما مطلق المغايرة، كالقيام والضحك، وإما أن يكون بينهما التضاد، وإما أن يكون بينهما التناقض؛ فالمثلان لا يحتاجان إلىٰ تعريف.

وأما الخلافان، فحقيقتهما هما اللذان يجتمعان، كأنْ يَكون الشخص قائمًا يضحك، ويرتفعان كأن يكون جالسًا يبكي.

وأما الضدان، فهما الأمران الوجوديان، كالبياض والسواد لا يجتمعان، كأن يكون الشيء أبيض أسود في آنٍ واحد، وقد يرتفعان كأن

يكون الشيء أصفر أو أخضر مثلًا.

وأما النقيضان، فهما الأمران الوجوديان، اللذان بينهما غاية الخلاف، لا يجتمعان ولا يرتفعان، بل أحدهما ثابت ولا بد، وذلك كزيد قائم، زيد ليس بقائم، أو الأرض ساكنة، الأرض ليست بساكنة، أو الأرض متحركة، الأرض ليست بمتحركة؛ فإذا صدَقَ أحد المتناقضين كذب الآخر، ولا يمكن صدقهما معًا ولا كذبهما معًا؛ فإذا تقرر هذا فنقول: إذا ثبت للأرض السكون؛ انتفىٰ عنها عدم السكون، وهو مُسَاوٍ للحركة، وهو خبر الله تعالىٰ.

وإن ثبت للأرض الحركة؛ انتفىٰ عنها عدم الحركة، وهو مساوٍ للسكون؛ لأنه يلزم لزومًا بيِّنًا مِن انتفاء النقيض انتفاء المساوي له، وهذا الشِّق الأخير باطل قطعًا، ومعتقده كافر كما تقدَّم». انتهىٰ كلام الكافي.

* * *

فصل

وقد استدل بعض العصريين علىٰ ما زعموه مِن حركة الأرض ودورانها علىٰ الشَّمس بقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] الآية.

وهذا من الإلحاد في آيات الله تعالىٰ، وتحريف الكَلِم عن مواضعه؛ لأن

الآية إنَّما سيقت في ذكر ما يكون يوم القيامة، وقد بيَّنَ الله ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧]، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٨ - ٩٠]؛ فدلت هذه الآيات علىٰ أن مرور الجبال مثل مر السحاب، إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا.

وقد أوضح الله ذلك في آيات كثيرة مِن القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: ٧ - ١١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ١ - ٣]، الآيات، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ

ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ٨ - ١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ١ - ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾﴾ [الواقعة: ١ - ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ١٧ - ٢٠].

فدلَّتْ هذه الآيات، مع الآيات من سورة «النمل» علىٰ أن زوال الجبال مِن أماكنها، ومرورها مثل مر السحاب، وذَهَابها بعد ذلك بالكلية، إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا.

وبعد تحرير هذا الموضع، رأيت فيه كلامًا حسنًا لعَالِمَيْنِ فاضِلَيْن، أحدهما الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي، والآخر الشيخ محمد الحامد

خطيب جامع السلطان بـ«حماة»[١]، ردَّ كل منهما علىٰ من قال إنَّ الآية من سورة «النمل» تدلُّ علىٰ دوران الأرض وحركتها، وقد رأيت أن أسوق كلامهما ههنا؛ لِمَا فيه من بيان الحق ورد الباطل.

فأما الشيخ محمد بن يوسف الكافي، فقال في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»[٢] ما نصه:

«المسألة الثالثة والعشرون:

أقول: رأيت في كلام بعضهم الاستدلال علىٰ حركة الأرض بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، واغتر بكلامه كثيرٌ مِمَّن لا اطِّلاع لهم، وهو جهل منه بزمن مرورها مرَّ السَّحَاب.

وذلك أن زمن مرورها مر السحاب، وبسِّها حتىٰ تكون كالهباء، وتسييرها حتىٰ تكون كالسراب، هو زمن خراب العالَم، وزمن قيام الساعة.

ولكن مَن لم يخش ربَّه يفسِّرُ القرآنَ بغير علم؛ فليتبوأ مقعده من النار.

قال حَبْرُ هذه الأمة في تفسيره: «قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يا محمد في النفخة الأولىٰ ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ساكنة مستقرة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ في الهواء».

---

(١) «حَمَاة»: مدينة في سورية.

(٢) طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة، سنة ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م.

وقال في تفسيره: «**قوله تعالىٰ:** ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ [الواقعة: ٤] إذا زلزلت الأرض زلزلةً حتىٰ ينطمس كل بنيان وجبلٍ عليها؛ فيعود فيها: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ [الواقعة: ٥]، سيرت الجبال علىٰ وجه الأرض كسير السحاب».

ويقال: قلعت قلعًا. ويقال: جثت جثًا. ويقال: فتت فتًّا، تبس كما يبس السويق أو علف البعير.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ قال: زلزلت، ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ قال: فُتِّتْ، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ قال: كشعاع الشَّمس»(١). انتهىٰ.

وأما الشيخ محمد الحامد، فقال في كتابه المسمىٰ «ردود علىٰ أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية»(٢)، بعد كلام سبق، ما نصه:

«إننا حين ننظر في الآيات الكريمة التي ذكر الله فيها الأرض، والشَّمس، والقمر، والنجوم؛ نخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبيُّ الكريم وأصحابُه -صلوات الله تعالىٰ وتسليماته عليه وعليهم أجمعين-، ومَعاذ الله أن يفهموا خطأً ويفهم غيرهم صوابًا.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٩٣) بتصرف.

(٢) وهو كتاب يقرر فيه مؤلفه القول بثبات الأرض، طبع في ثلاثة مجلدات، مؤلفه محمد بن محمود الحامد الحموي، توفي سنة (١٣٨٩هـ).

لكن قد اقتحم بعضُ الجُرَآءِ علىٰ الله هذه اللُّجَّة، فزعَمَ أن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] يدلُّ علىٰ دوران الأرض، وحركتها، وهو استدلالٌ غير صحيح، وتفسير غير مقبول.

وإليك البيان:

أنَّ الاستدلال بهذه الآية الكريمة علىٰ حركة الأرض متوقِّف علىٰ ألَّا يكون سباق وسياق يفيدان غير ما يفهم المستدل.

ومتوقف -أيضًا- علىٰ ألَّا يوجد نصٌّ آخر يعترض.

وكِلَا الأمرَيْنِ موجود ههنا، فالاستدلال إذًا غير سليم، والنَّظَر ليس بسديد.

أما الأول: فإنَّ السِّباق -وهو أول الكلام- والسياق -وهو آخره- يفيدان أن مرور الجبال مرَّ السحاب إنَّما يكون يوم القيامة، إذْ إنَّ الآية وارِدَة في وَصْفِه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٧ - ٩٠].

فالآيات في القيامة كما هو ظاهر لا في هذه الدنيا، وكم في الآي مِن سباق

وسياق يتعيَّن بهما معنًىٰ لا يمكن المَحِيدَ عنه، علىٰ أن الله تعالىٰ ذَكَر سَيْر الجبال يوم القيامة في غير موضعٍ من كتابه الكريم:

فقال سبحانه في سورة «الكهف» الشريفة: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالىٰ في سورة «التكوير»: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير: ١ - ٤] الآيات الكريمات.

وبهذا البيان يبطل الاستشهاد بالآية علىٰ حركة الأرض.

وأما الثاني: وهو أن لا يوجد نص معترض.

فإنَّا لو نظرنا إلىٰ الفكرة مِن حيث هي نظرًا شرعيًّا صِرْفًا؛ لَمَا استطعنا إلَّا المَصِير إلىٰ ما تُقَرِّره النصوص القرآنية المانعة منها.

إنَّ القرآن قائلٌ بثَبات الأرض.

وما أصرح قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، وقوله في مكان آخر: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، والميد: هو التحرك، كما تدل عليه نصوص اللغة.

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٦، ٧]،

هؤلاء الآيات يدللن دلالة واضحة علىٰ تثبيت الله الأرض بالجبال؛ لئلَّا تتحرك.

والقول بأنَّ تثبيتها بالجبال لا ينافي حركتها، كالسفينة المثقلة بما يحفظ عليها توازنها، مع سيرها في اللُّجة فيه مِن التكلُّف البارد ما يأباه الذوق الإسلامي، وترفضه البلاغة القرآنية، إذْ هو دخول في مأزِقٍ مِن التأويل؛ يصرف النص عن المتبادَرِ منه مِن غير حاجةٍ تدعو إليه؛ فهو في الحقيقة تلاعُبٌ لا تأويل يقوم علىٰ أسُسٍ صحيحة.

هذا، وكما قرر القرآن ثبات الأرض، قرر حركة الشَّمس والقمَر وجريانهما حولها:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ تنوين عِوَض؛ أي: كل منهما الشَّمس والقمر، ولا ذِكْرَ للأرض.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

فقد أثبت للشمس جريانًا، وهو الحركة الانتقالية.

أما الحركة الرَّحوية -أي: المِحْوَرِيَّة علىٰ حد تعبير الفلكِيِّين- فلَا تُسَمَّىٰ

جرَيانًا في لغة العرَب، بل دورانًا، والنص ناطق بالجرَيان».

ثم قال الشيخ محمد الحامد:

«ويتَّضح مِن مجموع ما ذكرنا في هذا الفصل أنَّ البرهان العِلمي لا يساعد علىٰ القول بحركة الأرض، بل هو معين لثباتها، وأنَّ الحركة للشَّمس والقمر.

وأنَّ حمل بعض الآيات الشَّريفة علىٰ غير ما تدل مجموعة النصوص عليه مِمَّا هو يُعدُّ موضع أخذٍ وردٍّ عند الفلكِيِّين أنفسهم فيه من الجراءة علىٰ القول في القرآن بغير علم ما لا يخفىٰ، وقد قال سيدنا رسول الله -صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليه وعلىٰ آله: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

ولمَّا سُئل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن معنىٰ الأَبِّ في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] لم يَرُد، وجعل يقول: «**أيُّ سماءٍ تظلني، وأي أرض تُقلُّني إن قلتُ في كتاب الله برأيي؟!**»(٢)، وكذلك يجب أن يكون المسلم هيَّابًا لله تعالىٰ، وقَّافًا عند حدوده سبحانه.

واللهُ يهدي مَن يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

* * *

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١١٨)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٨).

فصل

ومن أغرب الاستدلال علىٰ حركة الأرض وسَيْرِهَا، بل من أقبح التهوُّر والجَراءة علىٰ القول في كتاب الله بغير علم، ما نقله الشيخ محمد بن يوسف الكافي عن محمد بخيت المطيعي(١) الذي كان مفتيًا لمصر فيما سبق، وقد تعقبه الشيخ الكافي، وردَّ عليه ردًّا وافيًا كافيًا.

وأنا أذكر ههنا كلام المُطِيعي والرَّد عليه، وقد زدت في بعض المواضع منه زيادات، صدرتها بكلمة «**قلت**»؛ ليعلم أنها ليست من كلام الكافي، والله الموفق.

قال الشيخ الكافي في كتابه «المسائل الكافيَّة في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»:

«**المسألة الخامسة والسبعون:**

اتَّصَل بيدي منذ خمسة أيام رسالة تُسَمَّىٰ «تنبيه العقول الإنسانية لِمَا في

---

(١) محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي: مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها، ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط، (١٢٧١هـ) الموافق (١٨٥٤م)، وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلىٰ القضاء الشرعي سنة (١٢٩٧) واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني. ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده. وعين مفتيا للديار المصرية سنة (١٣٣٣ - ١٣٣٩هـ) (١٩١٤ - ١٩٢١م) ولزم بيته يفتي ويفيد إلىٰ أن توفي بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ) الموافق (١٩٣٥م). «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٠).

آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية»، تأليف: محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية سابقًا.

اخترع فيها علومًا لم يُسبَق بمثلها، وادَّعىٰ أنَّ القرآن العظيم يدل علىٰ ما اخترعه، ولمَزَ مَن تقدَّمَهُ مِن عصر النبوة إلىٰ قبل عصره بالقصور والجهل، وتقليد علماء اليونان في سكون الأرض.

فأردتُ تتَبُّع بعض ما اخترعه، فإنْ وجدت القرآن العظيم يدل عليه تصريحًا أو تلويحًا؛ قبِلْتهُ وكرَامة، وإنْ وجدته أخذه مِن علوم الغربِيِّين والقرآن بريء منه ردَدتُه ولا ندَامة؛ ويوم القيامة يفصل بينه وبَيْنَ مَن لمزَهُم، وهُمْ بُرآء.

وفي صحيح الأخبار: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَلْيتَبوَّأْ مَقْعدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

ثُم إني أذكر المبحث الذي يتكلم فيه بتمامه، ثم أكرُّ عليه نقضًا، والله المعين لي علىٰ ذلك».

ثم قال الشيخ الكافي:

المسألة السادسة والسبعون:

قال المفتي: دوَران الأرض وأخذه من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٣٤).

لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل: ٦١]، وقال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزُّخرُف: ١٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [المُلك: ١٥]، وقال في سورة الأنبياء: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وفي سورة يس: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وكل هذه الآيات تدلُّ بظاهرها علىٰ أن الأرض متحركة ودائرة، كما هو قول فيثاغورس قديمًا، وقول عُلماء الهيئة اليوم.

وذلك أنه ثبت بالمُشاهَدات الصحيحة أنَّ الأرض علىٰ شكل كرة مفرطحة نحو قطبيها، منتفخة عند خط الاستواء.

وقد أطبق المحققون مِن المفسرين وجميع علماء الكلَام وفلاسفة الإسلام علىٰ أنَّ الأرض كُرة، وعَدَّوْا إنكار ذلك مكابرَة، فمَن أقامَ الدَّليلَ علىٰ خلاف ذلك؛ فقد أراد التَّشكيك في اليَقينِيَّات، وكابَر نفسه، وأنكر حِسَّه؛ فلَا يُعَوَّل عليه، ولا يُلتفت إليه.

فكان انتفاخها نحو خط الاستواء، وتفرطحها نحو القطبين دليلًا حِسِّيًّا يدل علىٰ أن الأرض كانت سائلة في مبدإ خلقها، وأنها متحركة بحركة رَحوية، ودائرة علىٰ محورها؛ وذلك لأن الكُرَة إذا كانت صلبة كالتي مِن العاج مثلًا لا

يتغير شكلها، ولو دارت علىٰ محورها قرونًا كثيرة.

وأمَّا إذا كانت سائلة، أو عجينة انتفخت نحو وسطها، وتفرطحت نحو قطبيها، وبذلك جمدت قشرتها أيضًا وبردَتْ، ولو كانت ساكنة لبقيت جِرْمًا غازيًا سائلًا؛ فلا تصلح لأنْ تكون فراشًا ولا مهدًا ولا ذلولًا، فثبت بذلك حركتها علىٰ محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار.

وأما حركتها حول الشَّمس: فسببَها أنَّ الشَّمس أكبر جرمًا مِن الأرض أضعافًا مضاعفة، وكلما كان الجرم أكبر؛ كان أكثر وأقوىٰ جاذبية مِن الأصغر.

فالشَّمس هي التي تجذب الأرض إليها مِن كل الجوانب؛ لِمَا تقرَّر علىٰ وجه ما ذكر في علم رفع الأثقال بالتجربة العَملية الصحيحة؛ وبذلك تبيَّن أنَّ هذه الآيات بظاهرها تدلُّ علىٰ أنَّ الأرض ليست منقادةً إلىٰ حركة رحوية بها تدور علىٰ محورها، ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط، بل تتحرك أيضًا حركةً أخرىٰ حول الشَّمس، تتكون منها السَّنَة وفصُولها.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فوجه دلالته أنَّ القاعدة العربية في الضَّمير الذي يعود علىٰ المُضاف إليه الذي ناب عنه التنوين في لفظ «كُلٌّ» أنه يجوز فيه الإفراد والتثنية، إن كان مرجع الحقيقي مُثَنىٰ، فالتثنية لمراعاة المعنىٰ، والإفراد لمراعاة اللفظ، وقد جاء الضمير في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعًا؛ فكان مرجعه جمعًا.

وعلىٰ هذا اتفق المفسرون، غير أنهم أوَّلُوا ذلك بتَآوِيل شتَّىٰ؛ مَا دعَاهُم لارتكابها، إلَّا اعتقاد ما قاله البطليموسية مِن اليونان مِن «أنَّ الأرض ساكنة» مع أنه لم يقم دليل علىٰ سكون الأرض، بل الدليل قائم علىٰ دورانها؛ فلا داعي للتأويل، بل يجب أن تبقىٰ الآيتان علىٰ ظاهرهما، ويعود الضمير علىٰ الأجرام الثَّلاثة التي هي الأرض والشَّمس والقمر.

ومِمَّن استدلَّ علىٰ دوران الأرض في «تفسيره» بهاتين الآيتين وبقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢] ونظائرها من الآيات صاحب «كشف الأسرار النورانية القرآنية»(١).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] الآية.

فوجه دلالتها علىٰ دوران الأرض: أنَّ معناها أنَّا نَرَىٰ الجبال نظنها بحسب ما يتراءىٰ لنا ساكنة، وهي في الواقع ونفس الأمر تمرُّ مَرَّ السحاب، وتسير سيرًا حثيثًا، وما ذلك إلَّا لأنَّ الأرض متحرِّكة بحركةٍ سريعةٍ جدًّا، والجبال تسير وتتحرك تبعًا لها؛ لأنه لا جائز أن تكون الجبال متحركة هذه الحركة وحدها والأرض ساكنة؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لانفصلت الجبال عن الأرض، وهو خلاف المُشَاهَد؛ فتبيَّن أنَّ حركتها إذًا هي بالتَّبعِيَّة لحركة الأرض.

---

(١) هو كتابٌ للطبيب الإسكندري المتوفَّىٰ (١٢٩٩)، وهو كتابٌ في الحيوانات والنباتات والأجرام الأرضية والسماوية.

ولا جائز أنْ يكون ما نراه علىٰ الوجه الذي جاءت به الآية وقت النفخة الأولىٰ أو النفخة الثانية كما قيل بذلك؛ لأنه في كلِّ الوقتَيْن لا يكون هناك بقاء ولا وجود للجبال علىٰ الأرض علىٰ الوجه الذي يلائمه قوله تعالىٰ في الآية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ لأنَّ يوم النفختين هو اليوم الذي ترجف فيه الجبال، وتكون كثيبًا مهيلًا، وهو اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفًا، فيذرها قاعًا صفصفًا، لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا.

وهو اليوم الذي تكون فيه الجبال كالعهن المنفوش، والناس كالفراش المبثوث.

إلىٰ غير ذلك من الأحوال والأهوال التي لا تناسب أن يقال: ويخاطب كل من يصح منه الرؤية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ لأنَّ مثل هذا القول إنما يقال؛ لِحَضِّ الناس المخاطَبين علىٰ النظر في ذلك الصُّنع المُتقَن، والتفكير فيما اشتمل عليه مِن الحكم؛ ليزدادوا إيمانًا ويقينًا، وليس يوم النفختين صالحًا لمثل هذا.

إذا علِمْتَ كلَّ ما قُلناه في خلق السموات والأرض؛ تَعْلَم أن العاقل المُنصِف إذا نظر في هذه اللطائف التي اشتملَتْ عليها تلك الآيات القرآنية، وما دلَّت عليه مِن تدبير الصَّانع الحكيم، نظر منصفٍ مجرَّدًا عن التعصب؛ علِمَ علمًا يقِينًا، واعتقد اعتقادًا جازمًا أن القرآن قد اشتمل علىٰ كثير من مباحث

العلوم العمرانية والكونية، وأنَّ كُل ما قيل غير ذلك فِرْيَة بِلَا مِرْيَة، كيف وقد دلت علىٰ أن الله تعالىٰ حكيم مقتدر عليم، حيث جعل الأرض كرة دائرة؛ لتكون فراشًا ومهدًا وذلولًا». اهـ.

قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

المسألة السابعة والسبعون:

«**قوله:** «دوران الأرض وأخذه من القرآن»».

لا يصح، كما تقف عليه إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: «**قال الله تعالىٰ:** ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢] إلىٰ قوله، وكل هذه الآيات تدل بظاهرها علىٰ أن الأرض متحركة ودائرة».

لا يصح؛ لأن الآيات تدل دلالة صريحة علىٰ أن الأرض ثابتة، غير دائرة؛ ليتم الاستقرار عليها، وتثبت عليها أرْجُل الحيوانات، وتكون مهدًا وفراشًا وبساطًا وذَلولًا وقرارًا إذا كانت ثابتة غير متحركة، وأما إذا كانت متحركة وحركتها في السُّرعة كحركة السحاب الذي تذْرُوه الرياح؛ فلا عاقل يقول: إنها بهذه الصفة تكون مهدًا وقرارًا، إلىٰ آخر ما ذَكَر.

ثم ذكر الكافي كلام الرَّازي علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، وقد تقدَّم ذِكره قريبًا في أول ما نقلنا من كلام الكافي؛ فليراجع.

وتقدم أيضًا الاستدلال بالآيات من سورة «البقرة»، وسورة «النمل»، وسورة «الزخرف»، وسورة «الملك» علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، والاستِدلَال بالآيتَيْنِ من سورة «الأنبياء»، وسورة «يس» علىٰ جريان الشَّمس في الفلك، وكلام المفسرين في ذلك؛ فليراجع، فالعمدة عليه لا علىٰ كلام الملحدين في آيات الله تعالىٰ، المُحَرِّفين للكلم عن مواضعه، كالمطيعي وأشباهه من تلامذة الإفرنج ومقلديهم».

ثم قال الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

«**قوله**: «كما هو رأي فيثاغورس قديمًا، وقول علماء الهيئة اليوم».

لا يكون حُجة في الموضوع؛ لأن الموضوع الذي التزَمهُ أن القرآن يُؤخَذ منه حركة الأرض، وقول فيثاغورس ومَن معَهُ ليس بقرآن.

قوله: «وذلك أنه ثبت بالمشاهدات الصَّحِيحَة»، إلىٰ قوله: «عند خط الاستواء».

لا ينجح في الموضوع؛ لأنه لم يُؤخَذ ذلك من القرآن.

قوله: «وقد أطبق المُحَقِّقون»، إلىٰ قوله: «ولا يُلتفت إليه».

خارج عن موضوع البحث، وهو دوران الأرض، وأخذه من القرآن؛ فلا فائدة فيه.

قوله: «فكان انتفاخها نحو خط الاستواء وتفرطحها نحو القطبين، دليلًا حِسِّيًّا علىٰ أن الأرض كانت سائلة في مبدإ خلقها».

لا يؤخذ ذلك من القرآن، وهو غيب عنا، فيحتاج إلىٰ وَحْيٍ يُسْفِر علىٰ ما ادَّعاه، ولا وحي.

والذي تدل عليه الآيات والآثار أنَّ اللهَ تعالىٰ خلَقَ الأرض علىٰ الوصف الذي نشاهده، لا أنها انتقلت «من طور إلىٰ طور كأطوار الجنين في بطن أمه».

قوله: «**وأنها متحركة**»، **إلىٰ قوله:** «وتفرطحت نحو قُطْبَيْهَا».

لا يؤخذ من القرآن؛ فلا يُعوَّل عليه كما تقدم.

قوله: «وبذلك جمدت قشرتها أيضًا وبردت».

لا يؤخذ من القرآن أيضًا، كما هو موضوع كلَامه؛ فلا ينظر إليه.

قوله: «ولو كانت ساكنة؛ لبقِيَت جرْمًا غازيًا سائلًا».

غير صحيح، بل هي ساكنة.

ودعوَىٰ كَوْن جرمها غازيًا سائلًا، دون إثباته خرط القتاد؛ لأنَّ ذلك مِن الأمور الغيبية التي لا تُعلَم إلَّا مِن طريق الوحي، ولا وَحْيَ.

قوله: «فلا تصلح لِأَنْ تكون فراشًا ولا مهدًا ولا ذلولًا».

غير صحيح، بل لا تصلح لأنْ تكون مهدًا وذلولًا وفراشًا إلا إذا كانت

ساكنة، كما هو المعقول والمنقول.

قوله: «فثبت بذلك حركتها علىٰ محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار».

لا يثبت إلَّا عنده، وعند مَن يتخيَّل تخيُّلاته.

قوله: «وأما حركتها حول الشَّمس»، إلىٰ قوله: «العملية الصحيحة».

لا يصح؛ لأن أصل الحركة لها غير ثابت، فضلًا عن حركتها حول الشَّمس؛ لأنه لا دليل علىٰ ما ذكره من القرآن المُدَّعىٰ أنه يثبت دوران الأرض من القرآن، فلم يثبته لنا ثبوتًا مسلَّمًا، ولن يستطيع أن يثبته.

قلت: وزَعَم المطيعي تقليدًا لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن فلاسفة الإفرنج أنَّ جِرْمَ الشَّمس أكبر من الأرض بأضعافٍ مُضاعفة لا دليل عليه من كتابٍ ولا سُنة، وإنما يعتمد أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في ذلك علىٰ نظاراتهم وآرائهم وتخرُّصاتهم وظنونهم التي لا تغني مِن الحق شيئًا.

والظاهر من أدلة الكتاب والسُّنة أنَّ جرم الأرض أكبر من الشَّمس والقمر والنجوم، وسيأتي إيراد الأدلة علىٰ ذلك مع الكلام علىٰ بطلان الهيئة الجَدِيدَة إن شاء الله تعالىٰ.

وأما زعمه أنَّ الشَّمس تجذب الأرض إليها مِن كل الجوانب؛ فهو قولٌ لَا دليلَ عليه مِن كتابٍ ولا سُنة ولا معقول صحيح، وما ليس عليه دليل؛ فليس عليه تعويل.

وقد جاء في عِدَّة أحاديث صحيحة أنَّ الشَّمس تُدنَىٰ مِن الأرض يوم القيامة، وفي بعضها أنها تكون من الناس بقدر مِيل.

وقد تقدم ذكر هذه الأحاديث مع الأدلة علىٰ ثبات الأرض؛ فلتراجع، ففيها إبطال لِمَا زعمَهُ المطيعي وسلَفُه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن جاذبية الشَّمس للأرض.

ولو فرضنا أنَّ بين الأرض والشَّمس جاذبية؛ لكانت للأرض لا للشمس؛ لأن الشَّمس هي التي تجري وتَدور علىٰ الأرض.

وإذا كان يوم القيامة أدنيت من الأرض حتىٰ تكون مِن النَّاس بقدر ميل، ثُم تكوَّر هي والقمر، ويُرمَىٰ بهما في البحر كما تقدم ذلك في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والله أعلم.

ثم قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

قوله: «وبذلك تبيَّن أن هذه الآيات بظاهرها تدل علىٰ أن الأرض ليست منقادة إلىٰ حركة رحوية بها، تدور علىٰ محورها، ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط؛ بل تتحرك أيضًا حركة أخرىٰ حول الشَّمس تتكون منها السَّنَة وفصُولها».

غير صحيح؛ لأن الآيات التي ذكرَهَا لم تدل بظاهرها ولا بباطنها، ولم تشعر مطلق إشعار بأنَّ الأرض تتحرك علىٰ محورها، ويتعاقب الليل والنهار

بسبب تلك الحركة.

ومن باب أولىٰ في عدم دلالتها علىٰ حركة الأرض حول الشَّمس، وإنما هي دعوىٰ ادَّعاهَا علىٰ الآيات، وهي بريئة من دعواه.

قلت: وذلك من الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه.

وقد قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «مَن فسَّرَ القرآن والحديث، وتأوَّله علىٰ غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مُفترٍ علَىٰ الله، ملحدٌ في آيات الله، مُحَرِّفٌ للكلم عن مواضعه»(١).

قوله: «وقد جاء الضمير في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ **جمعًا؛ فكان مرجعه جمعًا».**

غير صحيح، بل المرجع مثنىٰ لا غير، وهو الشَّمس والقمر، وإطلاق الجمع علىٰ المثنىٰ، والمثنىٰ علىٰ الجمع، والمفرد عليهما، وهما علىٰ المفرد؛ سائغ في لغة العرب.

وبعضهم اعتبر المرجع جمعًا بزيادة النجوم علىٰ الشَّمس والقمر، ولا قائل برجوعه إلىٰ الأرض.

قلت: وقد اعتبر بعضهم المرجع جمعًا بزيادة الليل والنهار مع الشَّمس والقمر.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

قال ابن جرير في تفسير سورة «يس»: «وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] يقول: وكل ما ذكرنا من الشَّمس، والقمر، والليل، والنهار في فلَكٍ يَجْرُون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(١).

ثُمَّ روىٰ بإسناده عن مجاهد أنه قال: «يجري كل واحدٍ منهما»، يعني الليل والنهار: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ يجرون(٢).

وقال ابن كثير في تفسير سورة «يس»: «وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ يعني الليل والنهار، والشَّمس والقمر؛ كلهم يسبحون؛ أي: يدورون في فلَكِ السَّماء، قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسَن، وقتادة، وعطاء الخراساني». انتهىٰ(٣).

وهذا هو الظاهر من سياق الآيات من سورة «الأنبياء»، وسورة «يس» حيث ذكَر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الليل والنهار، والشَّمس والقمر، ثم قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٢٠).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٢١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٩).

وقد قرر هذا شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- فقال في جوابه له:

«وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣] يتناول الليل والنهار، والشَّمس والقمر، كما بيَّنَ ذلك في سورة «الأنبياء»، وكذلك في سورة «يس»: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠]، فتناول قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ ما تقدم الليل والنهار، والشَّمس والقمر كما ذكر في سورة «الأنبياء»(١).

وقال الشيخ أيضًا في جوابٍ آخَر: «والله سبحانه قد أخبَر بأنَّ الشَّمس والقمر، والليل والنهار؛ كل ذلك يَسْبَح في الفُلك، فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠].

والفُلك هو المستدير، كما ذكر ذلك مَن ذكرَهُ مِن الصَّحابة والتَّابعِين، وغيرهم مِن علماء المسلمين.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٩٣-٥٩٤).

والمستدير يظهر شيئًا بعد شيء، فيراه القريب منه قبل البعيد عنه». انتهىٰ[١].

وأمَّا إعادة الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠] إلىٰ الأرض مع الشَّمس والقمر فهو من الإلحاد في آيات الله تعالىٰ، وتحريف الكلم عن مواضعه، ولا يقول بذلك إلا المفتونون بزخارف الإفرنج، وتخرُّصَاتهم وظنونهم الكاذبة، كالمُطِيعي وأشباهه مِن العصريين، الذين يتمسَّكون بأقوال أعداء الله تعالىٰ، ويُقدِّمونها علىٰ نصوص الكتاب والسُّنة، ويتأوَّلون القرآن علىٰ غير تأويله».

ثم قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

«**قوله:** «وعلىٰ هذا اتفق المفسِّرون، غير أنهم أوَّلوا ذلك بتآويل شتَّىٰ».

صحيح، غير أنَّهم لم يخرجوا بتأويلهم عمَّا يقتضيه لسان العرب، والقرآن العظيم الذي نـزل بلغتهم فهم سادة يمدحون.

قوله: «ما دعاهم لارتكابها إلا اعتقاد ما قاله البَطْلَيْمُوسِيَّة مِن اليونان من أن الأرض ساكنة».

غير صحيح، ودعواه عليهم تقليد البطليموسية فِرْيَة بلَا مِرْيَة، بل إنما

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٦٠٠-٦٠١).

اتبعوا القرآن، وما ثبت من الأقوال عن السَّلف الصَّالح، حسب ما تقدم، وحسب ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: «مع أنه لم يقم دليل علىٰ سكون الأرض».

غير صحيح، بل الدليل علىٰ سكونها قائم من القرآن، وغيره كما تقدم في المسألة الموفية عشرين، وكما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

قلت: قد تقدم ذكر المسألة العشرين في أول ما نقلته من كلام الكافي؛ فلتراجع.

قوله: «بل الدليل قائم علىٰ دوَرانِهَا».

غير صحيح؛ لأنه لم يقم لنا دليلًا من القرآن مسلَّمًا علىٰ دوَران الأرض.

وأما أنه ثابت عند فيثاغورس التابع له، هو فذاك خارج عمَّا ادَّعاه مِن إثبات دوران الأرض من القرآن، والمسلمون لم يسلموا دعوىٰ فيثاغورس ومَن كان علىٰ شاكِلَتِه.

قوله: «فلا داعي للتأويل».

غير صحيح، بل التَّأويل واقع في محلِّه.

قوله: «بل الواجب أن تبقىٰ الآيتان علىٰ ظاهرهما، ويعود الضَّمِير علَىٰ الأجرام الثلاثة، التي هي الأرض، والشَّمس، والقمر».

غير صحيح، بل يجب عوده علىٰ الشَّمس والقمر لا غير؛ لأنَّ عوده علىٰ الأرض بديه البطلان؛ لأنه لا فلك لها تسبح فيه -علىٰ فرض سبحها الباطل-؛ لأنَّ الأفلاك مِن العلويات والأرض مِن العالَم السفلي.

قلت: الصحيح أن الضَّمير عائد علىٰ الليل والنهار، والشَّمس والقمر، وقد تقدَّمَ تقرير هذا قريبًا في كلام ابن جرير، وأبي العباس ابن تَيمِيَّةَ، والعماد ابن كثير -رحمهم الله تعالىٰ.

وقد حكاه ابن جرير عن أهل التأويل.

قلت: يعني المفسرين.

وحكاه ابن كثير عن ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني؛ وبذلك تبقىٰ الآيتان علىٰ ظاهرهما، ولا يحتاج مع ذلك إلىٰ التأويل.

وأمَّا الزيادة علىٰ ما أخبر الله به في كتابه، كما فعل المُطِيعِي في إدخاله الأرض مع الشَّمس والقمر فيما أخبر الله به من السبح في الفلك، وإعراضه عما أخبر الله به من سبح الليل والنهار فيه؛ فذلك إلحادٌ فِي آيات الله تعالىٰ، وتحريف للكَلِم عن مواضعه، وليس ذلك مِن التَّأويل الجائز في شيء».

ثم قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

«**قوله:** «ومِمَّن استدلَّ علىٰ دوَران الأرض»، إلىٰ قوله: «النورانية القرآنية».

لا يفيد شيئًا؛ لأنه يقال: في استدلاله ما قيل في استدلال مفتي مصر سابقًا بلا فرق.

قوله: «وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، الآية فوجه دلالتها علىٰ دوران الأرض أن معناها، أنَّا نرىٰ الجبال نظنها بحسب ما يتراءىٰ لنا ساكنة»، إلىٰ قوله: «والجبال تسير وتتحرك تبعًا لها».

غير صحيح، ما أراده من الآية، بل المعنىٰ الصحيح للجبال، هو: أن لها وصفين:

أحدهما: في حال وجود الدنيا، وهو ثبوتها في نفسها، وثبوت الأرض بها، كما هو صريح القرآن العظيم.

وثانيهما: بعد أيَّام الدُّنيا، وهو مرورها مر السحاب في الواقع ونفس الأمر، وجامدة ساكنة بحسب ما يتراءىٰ للناظر إليها.

وقوله: «لأنه لا جائز أن تكون الجبال متحركة، هذه الحركة وحْدَها والأرض ساكنة؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لانفصلت الجبال عن الأرض، وهو خلاف المشاهد».

كلام قليل الجدوىٰ؛ لأن الجبال في حال الدنيا لا تتحرك هذه الحركة لا بنفسها، ولا تبعًا للأرض، وإنَّما تتحرَّك هذه الحركة وحدها يوم القيامة، وتنفصل عن الأرض، وتبقىٰ الأرض بارزة.

قوله: «فتبيَّنَ أنَّ حركتها إنما هي بالتبعية لحركة الأرض».

غير صحيح؛ لأنه لم يتبيَّن شيء، بل المتبين في نظر الناظر، وفي الواقع، ونفس الأمر: سكونهما معًا في هذه الدار.

قوله: «ولا جائز أن يكون ما نراه علىٰ الوجه الذي جاءت به الآية وقت النفخة الأولىٰ، أو النفخة الثانية كما قيل بذلك».

يقال للمفتي: هو الجائز والواقع، والقول بوقوع ذلك بعد النفخة الثانية أرجح في النظر، وما تستند إليه مما يقوي قولك التابع فيه لفيثاغورس، ويضعف قول من يقول بسيرها بعد وقوع النفخة الأولىٰ أو النفخة الثانية؛ سنرده -إن شاء الله تعالىٰ- ردًّا يفقهه مَن له أدنىٰ إلمام بالعلم.

قوله: «لأنه في كلٍّ مِن الوَقْتَيْنِ لا يكون هناك بقاءٌ ولا وجودٌ للجبال علىٰ الأرض، علىٰ الوجه الذي يلائمه قوله تعالىٰ في الآية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]».

حقٌّ وصِدْق، بالنسبة لعدم بقاء ووجود الجبال علىٰ وجه الأرض.

وغير حقٍّ وصِدْقٍ، بالنسبة لعدم ملائمة ذلك للآية، بل هو مُلائِم للآية تمام المُلاءمَة.

وذلك أن تسْيِير الجبال الراسيات الشامخات تسييرًا في الجو حثيثًا، ويظن الناظر إليها أنها جامدة؛ أي: ثابتة في مكانها، والحال أنها تمر مر السحاب هو

صنع الله المتقَن، وكل أفعال الله متقنة؛ فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أرسىٰ بها الأرض في الدار الأولىٰ؛ فأتقَنَ إرساءها وسيرها في الدار الآخرة فأتقن تسييرها.

قوله: «لأن يوم النفختين هو اليوم الذي ترجف فيه الجبال وتكون كثيبًا مهيلًا، وهو اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفًا»، إلىٰ قوله: «من الأحوال والأهوال».

صحيح، غير أنه ترك مِن أوصافها أنَّ النَّاظر إليها يخيل له أنها جامدة؛ أي: ثابتة في أماكنها، والواقع أنها تمر مر السحاب.

قوله: «**التي لا تناسب أن يقال:** ويُخاطب كل من يصح منه الرؤية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]».

غير صحيح، بل لا يناسب إلَّا هو؛ لأنَّ أصل الخِطَاب لبَيان هَوْل وشِدَّة ذلك اليوم لا غير، ومَن ادَّعَىٰ خلاف هذا؛ فلم يُمْعِن النَّظَر في سابق: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾، وهو: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ [النمل: ٨٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [النمل: ٨٧] ولو أمعن لَمَا تفوَّه بما قال، إلا إذا رسخ في ذهنه مذهب فيثاغورس وأهْل الهَيْئةِ الحديثة.

قوله: «**لأن مثل هذا القول إنما يقال:** لحَضِّ الناس المُخاطَبين علىٰ النظر في ذلك الصنع المتقَن، والتفكر فيما اشتمل عليه من الحكم؛ ليزدَادُوا إيمانًا ويقينًا».

غير صحيح؛ لأنَّ الخِطَاب هنا ليس لحظ المخاطبين، إلىٰ آخر ما قال، بل هو لبيان هَوْلِ ذلك اليوم، كما تقدم، وكما يأتي في كلام الراسخين في العلم.

وإنَّما جاء الخِطَاب للناس؛ ليتفكَّروا في نصب الجبال علىٰ الأرض المشاهَد لهم في قوله تعالىٰ في سورة «الغاشية»: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

وأما أنهم يتذكَّرون، ويزدادون إيمانًا ويقينًا بشيءٍ لم يشاهدوه، ولم يخطر ببالهم؛ فهذا مما لا يساعده عقلٌ ولا نقل.

قوله: وليس يوم النفختين صالحًا لمثل هذا.

صحيح في حد ذاته؛ لأنه لبيان هول ذلك اليوم، لا للتذكير والوعظ.

قوله: «إذا علِمْتَ ما قلنا في خلق السماوات والأرض؛ تعلم أنَّ العاقل المُنصِف إذا نظر في هذه اللطائف التي اشتملَتْ عليها تلك الآيات القرآنية»، إلىٰ قوله: «العمرانية والكونية».

غير صحيح، بالنسبة لِمَا قرَّره في دوَران الأرض، وإنه لم يأت بلطيفةٍ واحدةٍ تُذكر، إلا بلطيفةٍ وهي مخالفته لصريح نص القرآن، وهجرانه لِمَا قرره علماء المسلمين من الصدر الأول إلىٰ وقتنا هذا، واعتناقه مذهب فيثاغورس، ومَن كان علىٰ شاكلته، والقرآن تُنَزَّه ساحَتُه عن مثل هذا اللغو.

قوله: «وأن كل ما قيل غير ذلك فِرْيَة بلا مِرْيَة».

معكوس! أعْنِي ما قرَّره هو فريةٌ بلَا مرية.

قوله: «كيف، وقد دلَّت علىٰ أن الله تعالىٰ حكيم عليم، حيث جعل الأرض كُرَةً دائرة؛ لتكون فراشًا ومهدًا وذَلُولًا.

غير صحيح، بالنسبة لكَوْنِ الله تعالىٰ جعل الأرض كرة دائرة؛ لأنه لا شيء من القرآن يدلُّ علىٰ ذلك البتة، كما تقدَّم.

وأما كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيمًا مقتدرًا عليمًا؛ فهذا ثابتٌ له بنص الكتاب، بقطع النظر عن كون الأرض كرة دائرة، أو غير كرة وغير دائرة.

ذكر أقوال بعض علماء المسلمين الذين لمَزهُم مفتي مصر سابقًا بكونهم: ما دعاهم لقولهم بسكون الأرض إلَّا تقليد البَطْلَيْمُوسِيَّة من اليونان؛ وسيحاكمونه يوم القيامة عند الله تعالىٰ.

قال الشربيني(١): «﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾؛ **أي**: تبصرها وقت النفخة، والخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكونه أنفذ الناس بصرًا، وأنورهم بصيرةً، أو لكل أحد:

---

(١) هو الخطيب الشربيني، الشافعي، القاهري، الفقيه، المفسر، المتكلم، النحوي، وُلد في شربين بالدقهلية إحدىٰ محافظات مصر، ثم انتقل إلىٰ القاهرة واستوطنها حتىٰ توفي سنة (٩٧٧هـ)، كان من شيوخه زكريا الأنصاري، وشهاب الدين الرملي. انظر: «شذرات الذهب» (١٠/ ٥٦١).

﴿تَحْسَبُهَا﴾؛ أي: تظنها: ﴿جَامِدَةً﴾؛ أي: قائمة ثابتة في مكانها لا تتحرك؛ لأن الأجرام الكبار إذا تحرَّكَتْ في سمت واحدٍ لا تكاد تتبيَّن حركتها: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾؛ أي: تسير حتىٰ تقع علىٰ الأرض، فتستوي بها مبثوثة، ثم تصير كالعِهْن، ثم تصير هباء منثورًا، وأشار تعالىٰ إلىٰ أن سيرها خفي، وإن كان حثيثًا، بقوله تعالىٰ: ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: مرًّا سريعًا لا يدرك علىٰ ما هو عليه». اهـ باختصار(١).

الرازي: «**قوله تعالىٰ:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

اعلم أنَّ هذا هو العلَامة الثالثة لقيام الساعة، وهي تسيير الجبال والوجه في حسبانهم أنها جامدة؛ فلأنَّ الأجسَام الكبار إذا تحرَّكت حركة سريعة علىٰ نهج واحد في السَّمت والكيفِيَّة؛ ظنَّ النَّاظر إليها أنها واقفة، مع أنها تمر مرًّا حثيثًا.

أما قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ فهو من المصادر المؤكدة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾، و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ إلا أن مؤكده محذوف، وهو الناصب ليوم ينفخ.

والمعنىٰ: أنه لمَّا قدَّمَ ذكَر هذه الأمور التي لا يقدر عليها سواه؛ جعل هذَا الصُّنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتىٰ بها علىٰ الحكمة والصَّواب». اهـ باختصار(٢).

---

(١) «السراج المنير» للخطيب الشربيني (٣/ ٧٧).

(٢) «تفسير الفخر الرازي» (٢٤/ ٥٧٤-٥٧٥).

ثم قال الشيخ الكافي:

«**قال أبو السعود علىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾، عطف علىٰ يُنفخ داخل في حكم التذكير، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾؛ أي: ثابتة في أماكنها، ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تراها رأيَ العين ساكنة، والحال أنَّها تمرُّ مرَّ السحاب التي تسيرها الرِّياح سيرًا حثيثًا».

إلىٰ أن قال: «وهذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق، يبدل الله عَزَّوَجَلَّ الأرض غير الأرض، ويغير هيئتها، ويسير الجبال عن مَقارِّها علىٰ ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر.

وهي وإن اندكت وتصدَّعَت عند النفخة الأولىٰ، لكن تسييرها، وتسوية الأرض، إنما يكونان بعد النفخة الثانية». اهـ باختصار(١).

الرازي، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ٢٠] **قال:** «اعلَمْ أن اللهَ تعالىٰ ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال علىٰ وجوهٍ مُختلفة، ويمكن الجَمْع بينها علىٰ الوجه الذي نقوله، وهو أن أوَّل أحوالها الاندِكَاك، وهو قوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤].

والحالة الثانية: لها أن تصير كالعهن المنفوش.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٠٤).

وذكر الله ذلك في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥)﴾ [القارعة: ٤، ٥]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)﴾ [المعارج: ٨، ٩].

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطَّع وتتبدَّد بعد أن كانت كالعهن، وهو قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦)﴾ [الواقعة: ٤ - ٦].

والحالة الرابعة: أن تُنسَف؛ لأنَّها مع الأحوال المتقدِّمة، قارة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة، فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها، وهو المراد مِن قوله: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥)﴾ [طه: ١٠٥].

والحالة الخامسة: أنَّ الرِّياح ترفعها عن وجه الأرض، فتطيرها شعاعًا في الهواء، كأنها غبار، فمن نظر إليها مِن بعدُ حَسِبهَا أجسامًا جامدة؛ لتكاثفها، وهي في الحقيقة مارَّة، إلَّا أن مرورها بسبب مرور الرِّياح بها مندكة متفتتة، وهي قوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.

ثُم بيَّن أنَّ تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره، فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

والحالة السادسة: أن تصير سَرابًا، بمعنىٰ لا شيء، فمن نظر إلىٰ مواضعها؛ لم يجد فيها شيئًا، كما أنَّ مَن يرىٰ السراب مِن بعد إذا أتىٰ الموضع

الذي كان يراه فيه لم يجده شيئًا، والله أعلم.

واعلم أن الأحوال المذكورة إلىٰ ههنا هي أحوال عامة القيامة». اهـ المراد منه(١).

أبو السعود، قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾: «أي: في الجو علىٰ هيئاتها بعد قلعها من مقارها، كما يعرب عنه قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تراها رأي العين ساكنة في أماكنها، والحال أنها تمر مرَّ السحاب الذي تسيره الرِّياح سيرًا حثيثًا، وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحوًا من الأنحاء؛ لا تكاد تتبيَّن حركتها، وإن كانت في غاية السرعة، لاسيما من بعيد.

وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب، في تخلخل الأجزاء، وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]، يبدل الله تعالىٰ الأرض، ويغير هيئتها، ويسير الجبال علىٰ تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية؛ ليشاهدوها، ثم يفرقها في الهواء، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ: ٢٠]؛ أي: فصارت بعد تسييرها مثل السراب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾؛ أي: غبارًا منتشرًا.

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (٣١/ ١٨).

وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولىٰ، لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية، كما نطق به قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ فإن اتِّباع الداعي الذي هو إسرافيل، وبروز الخلق لله تعالىٰ لا يكون إلا بعد الثانية». اهـ[(١)].

قلت: وقال ابن جرير في تفسير سورة «النمل»: «يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يا محمد: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ﴾، كالذي حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، يقول قائمة، وإنما قيل: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ لأنها تُجمع، ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرًا حثيثًا، كما قال النابغة الجعدي[(٢)]:

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٢٦).

(٢) النابغة الجعدي، أبو ليلىٰ، عبد الله بن قيس بن عدس بن جعدة شاعر زمانه، له صُحبة، ووفادة، ورواية، وهو مِن بَنِي عامر بن صعصعة، يقال: عاش مئة وعشرين سنة، وكان ينتقل في البلاد، ويمتدح الأمراء. انظر: «طبقات فحول الشعراء» (١/ ١٢٣- ١٣١)، و«أسد الغابة» (٤/ ٢٢٣) و(٥/ ٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٧٧).

بِأَرْعَنَ[(١)] مِثْلِ الطَّوْدِ[(٢)] تَحْسِبُ وُقُوفٌ لِحَاجٍ[(٣)] وَالرِّكَابُ

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في «تفسيره»:

«قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نفخ في الصور، تجمع الجبال وتسير؛ فهي لكثرتها تحسب: ﴿جَامِدَةً﴾؛ أي: واقفة: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ﴾؛ أي: تسير سير السحاب.

وكذلك كل جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفًا، وهو يسير لكثرته».

ثم ذكر قول النابغة الجعدي في وصف الجيش، وقد تقدَّمَ ذِكْرُه في كلام ابن جرير.

ثم قال: «وقوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾، قال الزَّجَّاج: هو منصوب علىٰ

---

(١) «الأرْعَن»: يريد به الجيش العظيم، شبَّهَهُ بالجبل الضخم ذي الرعان، وهي الفضول، كرعان الجبال. والرَّعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدمًا. وقيل: الأرعن، هو المضطرب لكثرته.

(٢) «الطود»: الجبل العظيم.

(٣) جمْع حاجة.

(٤) «تُهَمْلِج»: تمشِي الرِّكابُ الهملجة، أي: تَسِير بِحُسْنٍ في سُرعَة.

(٥) «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٠٦)، والبيت شاهدٌ علىٰ أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرَّك، فتحسبه ساكنًا، مع أنه مسرع في سيره جدًّا، وذلك كسير الجيش، وكسير السفينة في البحر، يحسبها الناظر إليها كأنها واقفة؛ وذلك هو شأن الجبال عند القيامة: تراها كأنها جامدة، وهي تسير مسرعة كالسحاب.

المصدر؛ لأن قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دليل على الصنعة، فكأنه قال (صنع الله ذلك صنعًا).

ويجوز الرفع على معنى ذلك صنع الله، فأما الإتقان فهو في اللغة إحكام الشيء». انتهى[١].

وقال البغوي في «تفسيره»:

«قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، قائمة واقفة: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تسير سير السحاب؛ حتى تقع على الأرض فتسوى بها، وذلك أن كلَّ شيء عظيم، وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته، وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف، وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة؛ لعِظَمها، كما أن سَيْر السحاب لا يُرى لعظمه، وهو سائر». انتهى[٢].

وقال القرطبي في «تفسيره»: «قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيرًا حثيثًا.

قال القُتَبِي[٣]: «وذلك أن الجبال تُجمع وتَسِير، فهي في رؤية العين كالقائمة، وهي تسير، وكذلك كل شيء عظيم، وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته، وبعد ما

---

(١) «زاد المسير» (٦/ ١٩٦).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ١٨٣).

(٣) هو ابن قتيبة الدينوري، وقد تقدمت ترجمته.

بين أطرافه، وهو في حسبان الناظر كالواقف، وهو يسير»[١].

ثم ذكر قول النابغة الجعدي في وصف الجيش العظيم، وتقدم ذِكْرُه.

ثم قال: «**قال القُشَيري:** وهذا يوم القيامة. أي: هي لكثرتها كأنها جامدة؛ أي: واقفة في مرأىٰ العين، وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب، والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير»؛ أي: تمر مر السحاب حتىٰ لا يبقىٰ منها شيء.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ: ٢٠].

ويقال: إن الله تعالىٰ وصف الجبال بصفات مختلفة، ترجع كلها إلىٰ تفريغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه.

فأول الصفات الاندكاك، وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعهن المنفوش، وذلك إذا صارت السماء كالمهل، وقد جمع الله بينهما، فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [المعارج: ٨، ٩]»[٢].

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطَّع بعد أن كانت كالعهن.

والحالة الرابعة: أن تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة، قارة في مواضعها

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٢).

والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز.

فإذا نسفت فبإرسال الرياح عليها.

والحالة الخامسة: أنَّ الرِّياح ترفعها علىٰ وجه الأرض، فتطيرها شُعاعًا في الهواء؛ كأنها غبار، فمن نظر إليها مِن بعد حسبها؛ لتكاثفها أجسامًا جامدة، وهي في الحقيقة مارَّة إلَّا أن مرورها مِن وراء الرِّياح كأنها مندكَّة مُتفتَّتة.

والحالة السادسة: أن تكون سرابًا فمن نظر إلىٰ مواضعها؛ لم يجد فيها شيئًا منها كالسراب، قال مقاتل[1]: تقع علىٰ الأرض فتسوىٰ بها». انتهىٰ[2].

وقال ابن كثير في «تفسيره»: «وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تراها كأنها ثابتة باقية علىٰ ما كانت عليه، وهي تمر مرَّ السَّحاب؛ أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [الطور: ٩، ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

---

(١) هو الإمام، المفسر، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، روىٰ عن: نافع مولىٰ ابن عمر، والزهري، والضحَّاك، ومجاهد، وابن سيرين، وثابت البناني، وزيد بن أسلم، وعطاء بن أبي رباح، وروَىٰ عنه: بقية بن الوليد، وسعد بن الصَّلْت، توفي (١٥٠هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٧).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨]؛ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة: ﴿ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾؛ أي: أتقن كل ما خلق، وأَوْدَعَ فيه مِن الحِكْمَةِ ما أودع». انتهىٰ(١).

وكلَام المفسرين بنحو ما ذكرنا كثير جدًّا، وكلهم علىٰ خِلَاف ما ذهب إليه المطيعي وأشباهُه من تلامذة الإفرنج، ومقلديهم مِن العصريين.

ثم قال الشيخ الكافي:

«**المسألة الثامنة والسبعون:** في بيَانِ أنَّ صُنع الله تعالىٰ كيف ما وقع لا يكون إلَّا متقنًا، سواء كان قبل النفختين أو بعدهما.

وقَصْرُ مفتي مصر سابقًا ذلك علىٰ ما قبل النفختين، وأن ما بعد النفختين لا ينبغي أن يخاطب به الناس، لا ينظر إليه ولا يعوَّل عليه.

الجلال المَحلِّي(٢)، قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾: «مصدر

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٧).

(٢) هو الإمام المفسر، جلال الدين، أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم العباسي الأنصاري، المحلي الأصل، نسبة إلىٰ المحلة الكبرىٰ بمحافظة الغربية بمصر، الشافعي، وُلد (٧٩١هـ) أخذ عن الفقيه إبراهيم البيجوري، والجلال البلقيني، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم، وكان من تلامذته: جلال الدين السيوطي، وزكريا الأنصاري، وغيرهما، مات في مستهل سنة (٨٦٤هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٩/ ٤٤٧)، و«الأعلام» (٥/ ٣٣٣).

مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلىٰ فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ﴾ أحكم: ﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾ صنعه»(١).

العلامة زاده(٢): قوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ مؤكد لمضمون الجملة قبله، فإنَّ ما تقدَّم من نفخ الصور المؤدي إلىٰ الفزع العام، وحضور الكل الموقف، وما فعل بالجبال إنما هو من صنع الله، لا يحتمل غيره.

قال أبو السعود علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾: «مصدر مؤكد لمضمون ما قبله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا علَىٰ أنه عبارة عمَّا ذكر من النفخ في الصور، وما ترتَّب عليه جميعًا قصد به التنبيه علىٰ عظم شأن تلك الأفاعيل، وتهويل أمرها، والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم، وإفساد أحوال الكائنات بالكلية، من غير أن يدعو إليها داعية، أو يكون لها عاقبة، بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالىٰ، المبنية علىٰ أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لأجلها رتَّب مقدمات الخلق، ومبادئ الإبداع علىٰ الوجه المَتِين، والنهج الرصين، كما يعرب عنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾؛ أي: أحكم خلقه

---

(١) «تفسير الجلالين» (ص٥٠٥).

(٢) شيخ زاده، محمد (محيي الدين) بن مصطفىٰ (مصلح الدين) القوجوي: مفسر، من فقهاء الحنفية. كان مدرسًا في إستانبول. له (حاشية علىٰ أنوار التنزيل للبيضاوي - ط) أربعة مجلدات، قال الحاج خليفة: وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة. توفي سنة (٩٥١هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٩٩).

وسواه على ما تقتضيه الحكمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ۝٨٨﴾ تعليل لكون ما ذكر صنعًا محكمًا له تعالىٰ، ببيان أن علمه تعالىٰ بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو إلىٰ إظهارها، وبيان كيفيتها علىٰ ما هي عليه من الحسن والسوء، وترتيب جزائها عليها، بعد بعثهم وحشرهم، وجعل السموات والأرض والجبال علىٰ وفق ما نطق به التنزيل؛ ليتحققوا بمشاهدة ذلك، أن وعد الله حق لا ريب فيه». اهـ[1].

كتب الزمخشري[2] علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾: «من المصادر المؤكدة، كقوله ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ إلا أن مؤكده محذوف، وهو الناصب ليوم ينفخ.

والمعنىٰ: ويوم ينفخ في الصور، وكان كيْتَ وكَيْت؛ أثاب الله المحسنين، وعاقب المجرمين.

ثم قال ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ يريد به الإثابة والمعاقبة، وجعل هذا الصنع من جملة

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٠٥).

(٢) الزمخشري، العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، صاحب «الكشاف»، رحل، وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره، وحَجَّ، وجَاوَرَ، وتخرَّجَ به أئمة، وُلد (٤٦٧هـ)، وكان رأسًا في البلاغة والعربية والمعاني والبيَان، وله نَظمٌ جَيِّد، توفي (٥٣٨هـ). انظر: «معجم الأدباء» (١٩/ ١٢٦-١٣٥)، «الكامل» (١١/ ٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٥١).

الأشياء التي أتقنها، وأتىٰ بها علىٰ الحكمة والصواب، حيث قال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، يعني أن مقابلة الحَسَنة بالثواب، والسَّيئة بالعِقَاب مِن جُملة إحكامه للأشياء، وإتقانه لها، وإجرائه لها علىٰ قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد، وبما يستوجبون فيكافيهم علىٰ حسب ذلك، ثم لخص ذلك بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ إلىٰ آخر الآيتين.

فانظر إلىٰ بلاغة هذا الكلام، وحُسْن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده -أي: جمعه- ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغًا واحدًا.

ولا مر ما أعجز القُوَىٰ، وأخرس الشقاشق -يعني الخطباء-، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلَام، جاء كالشَّاهد بصِحَّته، والمنادي علىٰ سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلَّا كما قد كان.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ بعد ما وسمه بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٠]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. اهـ محل الحاجة منه(١).

* * *

(١) «الكشاف» (٣/ ٣٨٧).

فصل

قال الصواف في تعقيبه علىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز، ما نصُّه:

«**لقد قرأت بإمعان مقالك القيِّم**: «الشَّمس جارية والأرض ثابتة»، ولمَسْتُ الضَّجة الكبرىٰ التي أحدثَها في الأوساط العلمية، والمَجامع الثَّقافية، وقد كان حديث المجالس، وحديث الغادِينَ والرَّائحِين، وكانوا ما بين مُوافقٍ ومُخالِف، ولم تكن الغرابة مِن موضوع المقال، فالخِلَاف في هذا الأمر قديمٌ وحديث، ولكن الضَّجة مما جاء في المقال مِن التَّكفير والتَّضليل، والحُكم بالرِّدة، حيث قلتَ بعد أنْ سُقْتَ بعض الأدلة:

«وهكذا علماء الإسلام المعروفون، المُعتمَد عليهم في هذا الباب وغيره، قد صرَّحوا بما دل عليه القرآن الكريم، مِن كون الشَّمس والقمر جارِيَيْن في فلَكِهما، علىٰ التنظيم الذي نظمه الله لهما، وأنَّ الأرض قارَّة ساكنة، قد أرساها الله بالجبال، وجعلها أوتادًا لها، فمن زعم خلاف ذلك، وقال: إن الشَّمس ثابتة لا جارية؛ فقد كذَّبَ الله، وكذَّب كتابَه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خَلْفهِ تنزيل من حكيم حميد».

ثم قلتَ -حفظك الله-: «وكل مَن قال هذا القول؛ فقد قال كفرًا وضلالًا؛ لأنه تكذيب لله، وتكذيب للقرآن، وتكذيب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلخ».

مِن هُنا -يا أخي- انطلقَت الضَّجة حتىٰ أحدثت لها عجاجة في الأفق العلمي، ما كان أغنانَا عنها خاصة، وقد صدَمَتْ هذه الفتوىٰ الملَايِين من شباب ورجال يدينون بالإسلام في هذا العصر، والذين أصبحوا يعتقدون أن مثل هذه الأمور أصبحت عندهم مِن المُسَلَّمات العلمية، التي لا يجادل فيها اثنان، فكيف تُنفَىٰ نفيًا قاطعًا، ويَكفُر القائل بها، ويُحكَم عليه بالردة، ويستباح دمه وماله؟

نعم، إنَّ مَن كذَّبَ اللهَ ورسُولَه، وكذب كتابه؛ فهو كافرٌ مُرتَدٌّ، ومجرم أثيم، كما قلتم في مقالكم.

وأنا أقول: وعليه غضب الله ولعنتُه إلىٰ يوم الدين.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن بيان الحق واجب علىٰ العلماء، وكتمانه حرام عليهم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ فدلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ أنه لا يجوز للعلماء كتمان ما يعلمونه من الحق، بل يجب عليهم بيانه للناس سواء قبلوه منهم أو ردوه.

وإذا حدث بسبب بيان الحق ضجة مِن الجُهَّال؛ لم يكن ذلك مانعًا من بيان الحق، والدعاء إليه، وإنكار الباطل، والتحذير منه.

وقد أحدثت دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضجة عظيمة عند المشركين، ولم

تكن ضجتهم مانعة له من بيان الحق، والدعاء إليه، وإنكار المنكر والتحذير منه.

وكذلك أهل الردة قد أحدثوا ضجة عظيمة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتىٰ قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا خليفة رسول الله، تألَّف الناس، وارْفُق بهم»، فقال: أجبَّار في الجاهلية، وخوَّارٌ في الإسلام؟!

ولم تمنعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضجتهم من قتالهم وردهم إلىٰ الحق.

وكذلك أمير المؤمنين علِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد أحدث عليه الخوارج ضجة عظيمة، ولم تكن ضجَّتهم مانعة له من دعوتهم إلىٰ الحق وقتالهم عليه.

وكذلك الإمام أحمد وغيره من أهل السنة قد أحدث عليهم الجهمية وغيرهم من أهل البدع ضجة عظيمة، ولم تكن ضجتهم مانعة لأحمد وغيره من بيان الحق والدعوة إليه وتكفير الجهمية وغيرهم، ممن يستحق التكفير من أهل البدع.

وكذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ وأصحابه قد أحدث عليهم القبوريون وأصناف أهل البدع ضجة عظيمة، ولم تكن ضجتهم مانعة للشيخ وأصحابه من بيان الحق، والدعوة إليه، وإنكار الباطل والتحذير منه وتكفير من يستحق التكفير من القبوريين وأهل البدع.

وكذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأنصاره، وأولاده، وأحفاده، ومَن سار علىٰ منهاجهم في بيان الحق، والدعوة إليه قد أحدث عليهم

القبوريون وأصناف أهل البدع ضجة عظيمة، ولم تكن ضجتهم مانعة للشيخ وأتباعه من بيان الحق، والدعوة إليه، وإنكار الباطل والتحذير منه، وتكفير من يستحق التكفير من القبوريين وأهل البدع.

وهكذا نقول فيما ذكره الصوَّاف من ضجة أتباع أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومقلديهم مِن ضعفاء البصيرة أنَّ ضجَّتهم ليست مانعة من بيان الحق وإنكار الباطل، وتكفير من كذب الله وكتابه ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الثاني: أن يقال: ما هذا اللَّوْم يا صوَّاف علىٰ بيان الحق وإنكار الباطل؟!

أترضىٰ لنفسك أن تكون من الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

ولو أنك وجَّهْتَ لَوْمَكَ إلىٰ الذين ينشرون المقالات في تأييد الباطل وأهله؛ لكان خيرًا لك من الجدال بالباطل لإدحاض الحق.

الوجه الثالث: أن يقال: ما يدريك أن الملايين من المسلمين يعتقدون صحة ما روجه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها؟

هل أخبروك بذلك عن أنفسهم، أو أخبرك الثقاة عنهم؟

وإذا لم يخبروك، فهل أنت مطلع علىٰ الغيب، وعالم بما يعتقده الناس؟

وإذا لم يكن عندك علم الغيب، فلا بد لك من الأمر الثالث وهو: اتباع الظن! وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الظَّن أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

الوجه الرابع: أن يقال: علىٰ سبيل الفرض والتقدير، إذا كان الملايين من ضعفاء البصيرة قد انخدعوا لِمَا روَّجَهُ أعداء الله تعالىٰ مما هو مخالف لكتاب الله تعالىٰ وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولِمَا كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة العلم والهدىٰ مِن بَعْدِهم، فهل يكون قبولهم لزَخارف أعداء الله تعالىٰ، وتأثُّرهم مِن بيان الحق، ونشره موجبًا لكتمانه، ومانعًا من بيانه ونشره؛ كلا، بل الواجب بيان الحق ونشره، ولو صدم الملايين الكثيرة، وقد قال الله تعالىٰ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورىٰ: ٤٨].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

وفي «الصَّحِيحَيْن» وغيرهما عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: **«بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْر، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَه، وَعلَىٰ أَثَرةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَه، إِلَّا أَنْ ترَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِندَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَان، وعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أَيْنمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِم»**(١).

فالواجب علىٰ ورثة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يبلغوا عنه، ويفرقوا بين الحق والباطل، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ سواء رضِيَ الناس بذلك أو سخطوا.

الوجه الخامس: أن يقال: إذا كان الملايين من الناس يعتقدون صحة ما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها، فهل يكون اعتقادهم ذلك دليلًا علىٰ صحته في نفس الأمر؛ حتىٰ يتعين الأخذ به، وتُلْغَىٰ لأجل ذلك النصوص الدالة علىٰ خلاف ما يعتقدون، ويلغي -أيضًا- إجماع المسلمين علىٰ خلاف قولهم.

كلا، بل الأخذ بالنصوص وإجماع المسلمين هو المُتَعين، وما خالف ذلك فمضروب به عرض الحائط:

لَا عِبْـرةً بِمُخَـالِفٍ لهـمُ وَلَـوْ ... كَـانُوا عَدِيـد الشَّـاءِ وَالبعْـرَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

وقد كان الجهمية وغيرهم من أهل البدع يعتقدون صحة ما ذهبوا إليه من البدع، ولم يكن اعتقادهم ذلك دليلًا علىٰ صحة مذاهبهم في نفس الأمر.

وهكذا أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة وأتباعهم فإن قولهم في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها قولٌ باطل، واعتقاد مخالف لاعتقاد أهل السنة والجماعة؛ فلا يُعَوَّل عليه، بل يرد علىٰ قائليه.

الوجه السادس: أن يقال: ما أكثر المعارضين لأَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم، ويَحْذُو حذوهم من العصريين!

وعلىٰ هذا، فقول الصوَّاف إن مثل هذه الأمور أصبحت عندهم من المُسَلَّمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان، إنْ أراد أنه لا يجادل فيها أحد مِن علماء المسلمين؛ فهو كذب واضح، لأن كل متمسك بالكتاب والسنة يخالفهم فيما زعموه مِن استقرار الشَّمس ودوَران الأرض عليها.

وقد ذكرنا إجماع المسلمين علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وإجماع أهل الكتاب علىٰ ذلك أيضًا.

وإن أراد أنه لا يجادل فيها أحد من المقلدين لأَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة والمتمسكين بآرائهم وتخرصاتهم فهو محتمل، ولكن لا عبرة بهؤلاء، ولا يعتد بأقوالهم في شيء من المسائل العلمية.

وأيضًا، فهؤلاء المخدوعون بزخارف أعداء الله تعالىٰ مَحْجُوجُون

بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين علىٰ خلاف ما ذهبوا إليه، كما تقدم إيضاحه.

وكل قول خالف نصًّا أو إجماعًا فمضروب به عرض الحائط، ومردود علىٰ قائله كائنًا من كان، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وإن أراد أنه لا يجادل فيها أحد من الفلكيين؛ فهو كذب، لأن الخلاف بين الفلكيين في هذه المسألة مشهور قديمًا وحديثًا.

فأما الخلاف القديم: فهو ما كان بين فيثاغورس وأتباعه، وبين بطليموس وأتباعه، وقد ذكرت ذلك في أول الكتاب.

وأما الخلاف الحديث: فهو ما كان بين أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وبين من يعارضهم ويقول بخلاف قولهم مِن متأخري الفلكيِّين.

وقد قال محمد فريد وجدي(١) **في كتابه «كنز العلوم واللغة»**: «أما دوران

---

(١) محمد فريد بن مصطفىٰ وجدي: مؤلف (دائرة المعارف)، من الكتاب الفضلاء الباحثين، ولد ونشأ بالإسكندرية، وأقام زمنًا في (دمياط)، وكان أبوه وكيل محافظ فيها، وانتقل معه إلىٰ السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة)... وسكن القاهرة، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الأوقاف، توفي سنة (١٣٧٣هـ) (١٩٥٤م). انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٢٩).

الأرض فهذا موضع الخلاف، -أقول: الخلاف-؛ لأنه رغمًا عن شيوع فكرة دورانها وتغلُّبها علىٰ النظرية المضادَّة لها؛ لم تزل بين الأعلام الرياضيين موضع الشك».

وقال -أيضًا- في كتابه الذي سماه «الإسلام في عصر العلم»، الأدلة علىٰ دوران الأرض حول الشَّمس غير حاصلة علىٰ صفة الأدلة المحسوسة، حتىٰ لا يمكن الخوض فيها، كمسألة كرويتها؛ ولذلك نرىٰ نفرًا من العلماء والرياضيين لا يزالون يتشكَّكون في ذلك، ويُشكِّكون غيرهم.

كتب المسيو درومون في جريدة «ليبرارول» الباريسية، يقول: «لم يقم الدليل إلىٰ الآن علىٰ صحة دوران الأرض، كما كان يزعم غاليليه -وغاليليه هو ناشر تعاليم كوبرنيك-، ولا علىٰ أنها مركز العالم الشَّمسي».

وهذا المسيو «بوانكاريه» أكبر علماء الهندسة والطبيعة الفرنساويين، لم يجزم إلىٰ الآن بدوران الأرض؛ لأنه يقول: «يقولون: إن الأرض تدور، وأنا لا أرىٰ مانعًا من دورانها، فإن فرض دورانها؛ سَهُل القبول، ويمكن به فهم كيفية تكوُّن ونُمو الدنياوات، ولكنه فرض لا يمكن إثباته ولا نفيه بالأدلة المحسوسة، وهذا الفضاء المطلق»، أي: الحيِّز الذي يلزم نسبة الأرض إليه للتحقُّق مِن دوَرانها أو عدَم دوَرانها ليس له وجود في ذاته.

قال: «ومن هنا ترىٰ أن قولهم الأرض دائرة لا معنىٰ له البتة؛ لأنه ليس في وسع أيِّ تجربة إثباته لنا بالحس».

وجاء في جريدة «اكلبر» الفرنساوية، تحت إمضاء بعض الكاتبين، قوله: «ليس من المحقق الثابت أن الأرض دائرة».

ونقل محمد فريد وجدي -أيضًا- عن الأستاذ الفلَكِي الطائر الصيت، الذي يُعَد أوَّل رِيَاضِيٍّ الآن في البلاد الفرنساوية، كلامًا طويلًا في الرد علىٰ القول بدوران الأرض، وقال في آخره:

«ومن هنا ترىٰ تأكيدهم أن الأرض تدور لا معنىٰ له؛ لأنه لا يوجد ما يثبته بالتجربة».

ثم قال محمد فريد وجدي بعد هذا: «وإنَّنا نرَىٰ مِن تضارب هذه الأفكار بين أكبر علماء الأرض أنَّ أمْرَ دوران الأرض غير حاصل علىٰ ما يجعله من العلوم البديهية، فإن مثل العلَّامة «بوانكاريه» لم يَكُن يتجَاسَر علىٰ مثل هذا القول، وهو أكبر رياضيٍّ فرنسي اليوم، إن لم نقل: أكبر رياضي فلكي في العالم، إذ لم يكن علىٰ ثقة تامة مما يقول، وعلىٰ بينة مما يرمي إليه.

ولو كان المعلمون في أثناء تدريسهم للعلوم الطبيعية يسلكون مسلك العلماء في الإقرار بالجهل، فيورون تلامذتهم وجه الضعف في المعلومات الطبيعية؛ لأدَّوا لتلامذتهم أكبر خدمة، لأنهم بهذا يعودونهم علىٰ الأدب النفسي ؛ فتنشأ نفوسهم معتادة علىٰ التواضع أمام فخامة الكون وجلالته، والسجود أمام مُبدِعه ومُصَوِّره.

ولكن أكثرهم يدرسون لهم العلوم المشكوك فيها، والفروض الطبيعية الظنية، بصفة حقائق ثابتة؛ فيتذرَّع بها أولئك التلامذة الأغرار، متىٰ كبروا إلىٰ الإلحاد، ونفي الرُّوح والخُلود، ولا يدرون أنهم يتمسَّكون بالظنون، وأنَّ الظَّن لا يُغنِي من الحق شيئًا». انتهىٰ.

وقال الشيخ محمد الحامد، خطيب جامع السُّلطان بـ«حَماة» في كتابه المُسَمَّىٰ «ردود علىٰ أباطيل، وتمحيصات لحقائق دينية» تحت عنوان: «موقف المسلمين من النظريات العلمية»، ما نصه:

«كان الفلكيون القُدماء قائلين بثبات الأرض واستقرارها، وجريان الشَّمس حولها، ثم طلع بعض الفلكيين بنظرية «دوران الأرض وثبات الشَّمس»، وقد راجت هذه الفكرة رواجًا عظيمًا، واعتقدها كثيرٌ مِن النَّاس حقيقةً لا ريب فيها، ثم تسرب الشك فيها إلىٰ بعض العقول، بل تجددت فكرة الرجوع إلىٰ القول الأول، قطعًا عند بعض الفلكيين الجُدد».

ثم نقل ما ذكر محمد فريد وجدي عن المسيو «درومون»، وعن المسيو «بو انكاريه»، وتقدم ذكره قريبًا، ثم قال:

«وقد صدر سنة (١٩٢٦) ميلادية كتاب بالفرنسية، اسمه: «الأرض لا تدور» تأليف «ب رايوفيتش»، ذكر فيه براهين علمية علىٰ ثبات الأرض، وختمه بقوله: فيبرهن ذلك علىٰ أن الشَّمس تدور حول الأرض، وكذا القمر يدور

حولها، وعلىٰ عدم حركة الأرض». انتهىٰ.

ثم قال محمد الحامد: «مِن هذا كله يتَّضح أن فكرة دوران الأرض ليست متفقًا عليها؛ فمِن الجراءة علىٰ الله تعالىٰ محاولة تثبيت ما ليس بثابت بآياته الكريمة الحقَّة التي لا يتطرَّق إليها بُطْلَان».

وقال الشيخ محمد الحامد -أيضًا- في الكتاب المذكور: «قرأت في العدد (السادس) من أعداد مجلة «الأخوة الإسلامية» مقالة بعنوان: «عدد السموات السبع ورجوم الشياطين بمصابيحها»، وقد رأيت الكاتب نحا في كلمته نحو من يقول بحركة الأرض، مُدَّعِيًا أنَّ القرآن الكريم لم يصدم معتقدات الناس وتصوراتهم وقت نزوله، وكان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أنَّ الأرض مركز لحركة الكون، وأن الشَّمس والقمَر والنجوم تجري حولها؛ أي: علىٰ خلاف ما رآه المُتأخِّرون مِن الفلكِيِّين، وادَّعىٰ -أيضًا- أنَّ القرآن الكريم أشار إلىٰ حركتها وأومأ إليها تاركًا تفسيره للزَّمَن.

ثُم نقل عن بعض الكاتبين تفسير السموات السبع بالطبقات الغازية التي تحيط بالأرض وتعلوها، بل لقد عدَّ المجرَّات المختلفة التي هي نجوم مِن السموات السبع بلا ريب، وفي هذا مخالفة واضحة لنصوص الشرع والقرآن.

وقد كان من الخير أن لا يتعرَّض لهذا، فإن التوفيق بين نصوص الدِّين التي لا ريب فيها، والتي لا تتبدَّل، وبين النظريات الفلكية التي تتبدل في الأحيان

المتتالية ضربٌ مِن المُحال، ومَن رامَهُ اصطدم بعقبات، وتورَّط في مشكلات، ثم لا يجد خَلاصًا منها بوجهٍ مقبول.

والفلكِيُّون مُختلِفُون في تحرُّك الأرض قديمًا وحديثًا، وإلىٰ الآن لم يتَّفِقُوا علىٰ القول بأنها متحرِّكة، وكل يؤيد ما ذهب إليه بما يلوح له من دليل، ولندعهم جانبًا، ولنقرأ آيات القرآن قراءةً لا تكلُّف فيها ولا تعسف، مؤمنين بأنها الحق لا ريب فيه، وأنَّ اللهَ تعالىٰ لا يخبر بخلاف الحقيقة، وأن أولئك المختلفين لم يشهدوا خلق المكونات حتىٰ تكون أقوالهم حججًا يحتج بها، وبراهين يسار علىٰ ضوئها.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف: ٥١].

إننا حين ننظر في الآيات التي ذكر الله فيها الأرض، والشَّمس، والقمر، والنجوم؛ نخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبيُّ الكريم، وأصحابه -صلوات الله تعالىٰ عليه وعليهم وسلامه-، ومعاذ الله أن يفهموا خطأ، وأن يفهم غيرهم من بعدهم صوابًا.

قال الله تعالىٰ في سورة «النحل»: ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل: ١٥].

وقال في سورة «الأنبياء»: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا

فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقال في سورة «لقمان»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠].

وقال في سورة «النبأ»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٦، ٧].

وقال في سورة «النازعات»: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢].

آياتٌ كلهن نصٌّ علىٰ أن الله ثبَّتَ الأرض بالجِبَال، فلا تتحرك، والميدان لغة هو التحرك؛ إذًا فلا حركة للأرض كما يزعم الزاعمون.

ولئن قالوا: إن تثبيتها بالجبال كتثبيت السفينة بما يثقلها؛ ليحفظ عليها توازنها مع أنها سائرة.

قلنا لهم: هذا تكلُّف ينبو عنه الذوق، ولسْنَا مضطرين إليه، فلا ندخل مأزقه الحَرِج، ولا نسير في طريقه اللجج.

وإذا قِستُموها بالسفينة السائرة، فأين أنتم من قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾؟ ورُسُوِّ السفينة وقوفها وسكونها، فلا يتم لكم ما تريدون من هذا القياس.

وما أصرح قول الله تعالىٰ، في حركة الشَّمس: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وإنْ لَاحَ لهم أن يتعلَّقوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

قلنا لهم: لا متعلق لكم في هذه الآية؛ لأنها في وصف يوم القيامة، كما تدل عليه الآيات سباقًا وسياقًا، ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٧ - ٩٠].

وقد أخبرنا ربنا بسَيْرِ الجبال يوم القيامة في غير آية: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣]، ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] الآية، ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ٩، ١٠]». انتهىٰ المقصود من كلامه.

الوجه السابع: أن يقال: كيف لا ينفي قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها نفيًا قاطعًا؟ وما المانع مِن نفيه، وقد نفاه القرآن والأحاديث الصحيحة، وإجماع المسلمين كما تقدم بيانه.

بل إنَّ النَّفْيَ لِمَا قالوه واجب علىٰ كل مسلم علم بفساد قولهم، ومعارضته

لنصوص القرآن والسنة وإجماع المسلمين.

الوجه الثامن: أنه لا مانع مِن تكفير مَن قال باستقرار الشَّمس؛ لتكذيبه لنصوص القرآن، والأحاديث الصحيحة الدالة على جريانها ودؤبها في ذلك كما تقدَّم بيانه.

وتكذيب النصوص تكذيبٌ لله تعالى، ولكتابه، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما لا يخفى على مَن له أدنى علم ومعرفة.

والدليل على كفر مَن كذَّب النصوص، قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٥٩]...، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.

وفي الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»، رواه مسلم، والدارقطني من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١).

فدل هذا الحديث الصحيح علىٰ أن من ترك الإيمان بشيء مما جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مباح الدم والمال.

وقد تظافرت الأحاديث عن النبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**»[١].

ومن أعظم حقوق «لا إله إلا الله»: تصديق ما أخبر الله به في كتابه، واعتقاد أن ذلك هو الحق، وما خالفه فهو باطل.

ومن حقوق الشهادة بأن «محمدًا رسول الله»: تصديق ما أخبر به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتقاد أن ذلك هو الحق، وما خالفه من أقوال الناس؛ فهو باطل.

ومَن ردَّ شيئًا مِمَّا أخبَر الله به في كتابه، وما صح عن النبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو كافر، لأنه لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ فيجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلَّا قُتِل.

وإن كانوا طائفة ممتنعة؛ وجب قتالهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ الحق.

قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «كل طائفة

---

(١) أخرج مثل هذا الحديث عدة من الأئمة بألفاظ متقاربة، كما عند البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومسلم أيضًا (٢٤٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خرجت عن شريعةٍ مِن شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة؛ فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين، وإنْ تكلَّمت بالشهادتين»(١).

ثُم ذكَر -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- أن التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين علىٰ عهد الخلفاء الراشدين مما يجب القتال عليه.

ولا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم ومعرفة أنَّ القول بجريان الشَّمس في الفلك، وإتيانها مِن المشرق، وذَهابها نحو المغرب هو الذي كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ زماننا، ولا يُعرف عن أحد من المسلمين المتمسكين بالكتاب والسُّنة خلاف في ذلك.

وقد تقدَّمَت الأحاديث في ذلك، وكذا أقوال المفسرين من الصحابة، والتابعين، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم.

ولمَّا ظهر أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في آخر القرن العاشر من الهجرة وما بعده، وهُم: كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج، أصحاب الرصد والزيج الجديد، أظهروا خلاف ما كان عليه المسلمون، فقالوا: إن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وإنها مركز العالم، وإن الأرض والنجوم تدور عليها. وقد قلدهم في ذلك كثير من ضعفاء البصيرة من العصريِّين؛ فخالفوا ما كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ زمانِنَا.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥١٠).

وهؤلاء ينبغي أن يوضَّح لهم الحق الذي جاء به القرآن والسُّنة، فمن أصرَّ منهم بعد ذلك علىٰ المخالفة؛ فهو كافرٌ حلال الدم والمال؛ لأنه قد عاند الحق علىٰ بصيرة، وأصرَّ علَىٰ تكذيب الله تعالىٰ، وتكذيب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

قال الفضل بن زياد القطان[١]: «سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من رد حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو علىٰ شفا هلكة»[٢].

وقال الفضل -أيضًا-: «عن أحمد بن حنبل، قال: بلغ ابن أبي ذئب[٣] أنَّ

---

(١) الفضل بن زياد القطان، أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وممن أكثر الرواية عنه، وكان أحمد بن حنبل يعرف قدره ويكرمه، وكان الفضل يصلي بالإمام أحمد. انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٦٣).

(٢) «الإبانة» لابن بطة (١/ ٢٠٦).

(٣) الإمام، الفقيه، ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، واسم أبي ذئب هشام بن شعبة، سمع: عكرمة، وشرحبيل بن سعد، ونافعًا العمري، وصالحًا مولىٰ التوأمة، وشعبة مولىٰ ابن عباس، وخاله الحارث بن عبد الرحمن القرشي، والزهري، وخلقًا سواهم، وكان مِن أوْعِيَة العلم، ثقةً، فاضلًا، قوَّالًا بالحق، مَهِيبًا، حدَّث عنه: ابن المبارك، ويحيىٰ بن سعيد القطان، ووكيع، وابن وهب، توفي (١٥٩هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٩٦-٣٠٥)، و«شذرات الذهب» (١/ ٢٤٥-٢٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٣٩).

مالكًا لم يأخذ بحديث «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ**»(١)، فقال: يُستَتاب في الخيار، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه».

قال: «مالك لم يَرُدَّ الحديثَ، ولكن تأوَّلَهُ علىٰ غير ذلك»(٢).

وكذا قال إبراهيم بن هانئ النيسابوري(٣): «سمعت أبا عبد الله يقول: بلغ ابن أبي ذئب أنَّ مالك بن أنس قال: ليس البيعان بالخيار. فقال ابن أبي ذئب: يُستتابُ مالك، فإن تابَ وإلَّا ضُرِبَت عنقه».

وإذا كان هذا قول ابن أبي ذئب في الإمام مالك مِن أجْلِ حديثٍ واحدٍ تأوَّلَهُ علىٰ غير تأويله، فكيف بالَّذِين يردُّون النصوص الكثيرة مِن الكتاب والسُّنة، ويعارضونها بأقوال أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة مِن فلاسفة الإفرنج، وأتباعهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حِزَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أورد قصة ابن أبي ذئبٍ الذهبيُّ في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٤٢).

(٣) الإمام، الحافظ، القدوة، العابد، إبراهيم بن هانئ النيسابوري، وُلد بعد الثمانين ومئة، وارتحل فسمع من: محمد ويعلىٰ ابْنَيْ عُبَيد، وعبيد الله بن موسىٰ، وعلي بن عياش، ومحمد بن بكار بن بلال، وخلاد بن يحيىٰ، حدَّثَ عنه: أبو القاسم البغَوِي، وابن صاعد، وابن أبي حاتم، وآخرون، كان من كبار تلامذة أحمد بن حنبل، وكان أحمد بن حنبل يغشاه، ويحترمه ويُجِلُّه، قال أبو بكر بن زياد: حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته، فقال: أنا عطشان. فجاءه ابنه بماء، فقال: أغابت الشمس؟ قال: لا. فردَّه، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]، ثم مات؛ وذلك سنة (٢٦٥هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٤-٢٠٦)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٩٧-٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٧).

من الأغبياء؛ فهؤلاء أولىٰ أن يُستتابُوا، فإن تابوا وإلَّا ضُربت أعناقُهم.

الوجه التاسع: أنَّ الصوَّاف قد اعترف أنَّ مَن كذَّب اللهَ وكتابَهُ ورسولَه، فهو كافرٌ مرتد، ومُجرم أَثِيم.

قال: «وعليه غضب اللهِ ولعنتُه إلىٰ يوم الدِّين».

فيقال له: التكذيب يكون تارةً بالمقال، وتارة بالفِعل ولسان الحال.

ومِن التكذيب بالفعلِ ولسان الحال: ردُّ النصوص الدالَّة علىٰ جرَيَان الشَّمس ودؤبها في ذلك، واعتقاد أنَّ الحق ما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن ثَباتها واستِقرَارها.

فمَن فعَلَ ذلك؛ فقد كذَّبَ الله تعالىٰ، وكتابَه، ورسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبَىٰ؛ وحينئذٍ فما يؤمن الصواف أن تكون لعنَتُه ودعاؤه بالغضب راجعًا عليه وهو لا يشعر.

الوجه العاشر: ما ذكَره الصوَّاف في أول كلامه مِن الخلاف القديم والحديث في جريان الشَّمس وثبات الأرض، فيه إيهامٌ وتمويهٌ علىٰ الجُهَّال.

فإنْ أراد أنَّ الخلاف القديم كان بين المُسلمين، وهو الظاهر من كلامه؛ فليس ذلك بصحيح، فإنه لا خلافَ بين المسلمين في جرَيان الشَّمس وثبات الأرض.

وقد تقدَّم ما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي مِن إجماع أهل

السُّنة علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأنَّ حركتها إنما تَكُون بعارضٍ يعرض لها من زلزلةٍ ونحوها.

وتقدَّمَ -أيضًا- ما حكاه القُرطبي من إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك.

وإنْ أراد بالخلاف القديم ما كان بين بطْلَيْموس وفيثاغورس؛ فهو صحيح، ولكن لا ينبغي ذكر مثل هذا الخلاف بدون ذكر الطَّرَفين المختلفين؛ لأن ذكر الخلاف مع الإطلاق يُوهِم أنه بين المسلمين وليس الأمر كذلك.

وأمَّا الخلاف الحديث، فهو ما كان بين المُتمَسِّكين بالكتاب والسُّنة، وبين أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ومُقَلِّديهم مِن العصرِيِّين.

ولا ينبغي أن يلتفت إلىٰ خِلَاف أعداء الله ومقلديهم؛ لأنه خلاف في مقابلة النصوص والإجماع فلا يعتد به.

* * *

فصل

قال الصواف:

«ولكن هل مَن قال بحركة الأرض ودورانها حول الشَّمس بقدرة الله، وبثبوت الشَّمس حول محورها، وحركتها حول نفسها بأمر الله، هل يعتبر هذا

مكذِّبًا لله ولرسوله، ومكذبًا لكتاب الله؛ حتىٰ يحكم عليه بالرِّدة والكُفر؟

إنَّنِي هنا أتوقف، ولا أَوَدُّ أنْ أتعجَّل بمثل هذا الحُكم في أمور أقل ما يقال فيها: إنها ظَنِّية، وليست قطعية الدلالة.

والتوقُّف فيها أو تفويض الأمر فيها إلىٰ الله العَلِيِّ القَدِير أسْلَم وأحْكَم، وأراكم قد تعجَّلتم في أمرٍ كانت لكُم فيه أَناة، وفي التأويل مندوحة».

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: مَن قال بحركة الأرض ودوَرانها علىٰ الشَّمس؛ فقد خالف الأدلة الكثيرة، الدالة علىٰ سكونها وثباتها، وخالف أيضًا إجماع المسلمين علىٰ ذلك.

وقد تقدَّم ذِكر الآيات والأحاديث الدَّالة علىٰ سكون الأرض وثباتها؛ فلتراجع.

وتقدم أيضًا ذكر الإجماع علىٰ ذلك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ومَن قال بثبات الشَّمس؛ فهو مُكَذِّب لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، شاء أم أبىٰ، ولو قال مع ذلك إنَّ لها حركة علىٰ نفسها؛ فإن ذلك لا يفيده شيئًا، لأن الله تعالىٰ أثبت لهَا الجرَيان في عدة آياتٍ مِن كتابه، وقد تقدَّمَ

ذكرها في أول الكتاب؛ فلتراجع.

والجرَيَان، ضد الثبات والاستقرار، كما قال تعالىٰ عن سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] الآية، ففرَّق تعالىٰ بين جري السفينة في الماء، وبين رُسُوِّهَا، وهو ثباتها واستقرارها علىٰ جبل الجُودِيِّ.

وعلىٰ هذا، فمن نفىٰ عن الشَّمس الجريان في الفُلك، وأثبت لها السكون والاستقرار؛ فقد قلب الحقيقة التي أخبر الله بها في كتابه، وأخبر بها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيكون مكذِّبًا لله تعالىٰ، ولكتابه ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

والقول بأنَّ الشَّمس ثابتة حول مِحْوَرها، وأنَّ لها حركة حول نفسها، ينافي جريانها في الفلك كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم ومعرفة، وأيضًا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

وقد تقدَّم تفسير السَّبح في لغة العرب، وأنه المَر السَّريع في الماء وفي الهواء.

وعلىٰ هذا، فمَنْ زعَمَ أن الشَّمس ثابتة؛ فقد نفَىٰ عنها السَّبح الذي أثبته الله لها؛ فيكون مكذبًا لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] الآية، والدأب في لغة العرب: إدامة السَّير والمُبالغَة فيه.

وعلىٰ هذا، فمَنْ زعمَ أنَّ الشَّمس ثابتةٌ لا تسير علىٰ الدوام؛ فقد نفىٰ عنها ما أثبته الله لها مِن الدأب في السير؛ فيكون مكذبًا لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] الآية.

وهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ الشَّمس تسير فتأتي من المشرق وتذهب نحو المغرب، فمن زعم أنها ثابتة لا تفارق موضعها؛ فهو مكذِّب لِمَا أخبر الله به في هذه الآية الكريمة، ومكذِّب لكتاب الله تعالىٰ، ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا، فإنَّ الله تعالىٰ قد أثبت للشَّمس البزُوغ في آيةٍ من كتابه، والطُّلوع في آياتٍ أخر، وأثبت لها الأفول في آيةٍ، والغروب في آيات أُخَر.

وأثبت لها أيضًا الدلوك والتَّزاوُر، وفي كلٍّ مِن هذه الأمور دليل علىٰ سَيْرِهَا؛ فمن زعم أنها ثابتة، فقد نفىٰ عنها ما أثبته الله لها من هذه الأمور؛ فيكون مكذِّبًا لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا، فإنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال في الحديث الصَّحيح عن أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**إِنَّ**

هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]»، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم(١).

وقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال للشَّمس: «**إِنَّكِ مَأمُورةٌ، وأنا مَأمورٌ، اللَّهمَّ احبِسْهَا عَلَينا، فحُبِسَت حتىٰ فتَح اللهُ عَليه**»، رواه الإمام أحمد، والشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ لَيَالِيَ سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ**»، رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٤)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٨).

وعن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ «أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمَرَ الشَّمسَ فتأخرت ساعةً مِن نهار»، رواه الطبراني في «الأوسط»، قال الهيثمي: وإسناده حسن(١).

وروىٰ الإمام أحمد، وابنه عبد الله، وابن خزيمة، وأبو يعلىٰ، والطبراني بأسانيد جيدة، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صدَّق أُمِيَّة بنَ أبي الصَّلت في قوله:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

تَأْبَىٰ فمَا تَطْلُعُ لنَا فِي رِسْلِهَا ... إِلَّا مُعَذَّبَةً وَإِلَّا تُجْلَدُ

فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**صَدَقَ**»(٢).

وفي «الصَّحِيحَيْن» عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَغِيبَ**»(٣).

وفي «الصَّحِيحَيْن» أيضًا عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلَا**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥٦) (٢٣١٤)، وأبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٢٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١١٦١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣)، ومسلم (٨٢٩).

صَلاَةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّىٰ تَغِيبَ الشَّمْسُ»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه، رواه أبو داود الطيالسي بإسناد صحيح(٢).

وروىٰ مالكٌ، والشافعيُّ، وأحمدُ، والنَّسائيُّ بأسانيد صحيحة، عن عبد الله الصنابحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا ارْتَفَعتْ فَارَقَهَا، ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا، فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا»**(٣).

وروىٰ الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن عمرو بن عبسة السُّلَمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله؛ أي الليل أسمع؟ قال: **جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الصُّبحَ، ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَتَرْتَفِعَ قِيسَ رُمْحٍ، أَوْ رُمْحَيْنِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ يَعْدِلَ الرُّمْحُ ظِلَّهُ، ثُمَّ أَقْصِرْ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ تُسْجَرُ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا، فَإِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ، مَكْتُوبة حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧).

(٢) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٤)، والشافعي في «مسنده» (٨٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٥٤٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٤٨).

أَقْصِرْ، حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ»، وقد رواه الترمذي مختصرًا، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب(١).

وفي هذه الأحاديث الصحيحة أوضح دليل علىٰ جريان الشَّمس في الفلك ودورانها علىٰ الأرض.

فمن نفىٰ ذلك عنها وزعم أنها ثابتة لا تفارق موضعها؛ فهو مكذب لما أخبر به رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأحاديث شاء أم أبىٰ.

ومن كذَّب الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مكذِّب لله تعالىٰ، ولكتابه؛ لأن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان مبلغًا عن الله تعالىٰ.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤**﴾ [النجم:٣، ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤**﴾ [النحل: ٤٤].

وإذا علم ما ذكرنا فلا مانع من إطلاق الرِّدة علَىٰ مَن عَلِمَ بهذه الأدلَّة، أو بشيءٍ منها ثُم نبَذهَا وراء ظهره، وتمسَّك بما خالفها مِن أقوال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة التي ما أنزل الله بها مِن سلطان، وإنما هي مِن وحي الشيطان وتضليله.

الوجه الثاني: أن القول بثبات الشَّمس وحركتها علىٰ نفسها هو مما تخيله

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأبو داود (١٢٧٧).

أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وتخرَّصُوه؛ ذكرَهُ الآلُوسِي عنهم.

وهؤلاء كما قال الله تعالىٰ في أشباههم: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨ - ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦، ١١٧].

وقد تقدم أن هذا القول ينافي ما أخبر الله به من جريان الشَّمس في الفلك ودؤبها في السير فيه.

وأَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة هم سلف الصواف وأشباهه من العصريين، وعلىٰ أقوالهم الباطلة بنَىٰ الصواف تعقيبه علىٰ الشيخ ابن باز، وبها يجادل ليدحض الحق.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

وروىٰ الإمام أحمد، وأبو داود، والطبراني، والحاكم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُه لَمْ يزَلْ فِي سخَطِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْزِعَ**»(١).

الوجه الثالث: أنَّ الحق في هذا هو ما دلَّ عليه الكتاب، والسُّنة، وإجماع المسلمين مِن جريان الشَّمس في الفُلَك بقدرة الله تعالىٰ، وثبات الأرض واستقرارها بأمر الله تعالىٰ.

لا ما زعمه الصَّوَّاف مِمَّا هو قلب للحقيقة.

الوجه الرابع: مِن أوابد الصَّواف، وعظيم جراءته زعمه أنَّ النصوص الدالة علىٰ جريان الشَّمس ظنية، وليست قطعية الدلالة.

والجواب عن هذا الإفك المبين أن نقول:

سبحانك هذا بهتان عظيم، وفي هذا القول الوخيم دليل علىٰ فساد تصور قائله؛ وكيف لا يكون كذلك وهو يرىٰ أن نصوص الكتاب والسنة علىٰ إثبات جريان الشَّمس ظنية، وليست قطعية الدلالة، وأنَّ الحق فيما تخيَّلَهُ كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما من أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، وما تخرَّصُوه مِن ثبات الشَّمس واستقرارها، وأن هذا مِن المُسَلَّمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٢٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٦).

يا سبحان الله العظيم! أيكون وحي الرحمن إلىٰ رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظنيًّا وليس قطعي الدلالة، ويكون وحي الشيطان إلىٰ أوليائه من المُسَلَّمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان؟!

هذا قول باطل، ورُعونَةٌ وسفَه، لا يقوله إلا مَن هو مصاب في دينه وعقله، وقد قيل:

يُقضي علىٰ المرء في أيام محنته ... حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

وأبلغ من هذا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «بدائع الفوائد»: «حذارِ حذارِ مِن أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك، فإنك تُعاقَب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك مِن الحق رأسًا، ولا تقبله إلَّا إذا برز في قالب هواك، قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فعاقبهم علىٰ رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

والثَّاني: التَّهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إنْ تَهاونت به ثبَّطك الله، وأقعدك عن مَراضيه وأوَامِره عقوبة لك.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة: ٨٣]، فمن سَلِمَ مِن هاتين الآفتَيْنِ والبَلِيَّتين العظِيمَتَيْن فلتَهْنه السلامة». انتهىٰ(١).

الوجه الخامس: أن الله تعالىٰ قرن بين الشَّمس والقمر في مواضع كثيرة من القرآن، وذكر عن القمر مِن الجري والسَّبْح في الفُلك والبزوغ والأفول، نظير ما ذكره عن الشَّمس، فهل يقول الصَّوَّاف بثبات القمر حول محوره، وحركته حول نفسه، وأن الأدلة علىٰ جريه ظنية وليست قطعية الدلالة، كما قد قال بذلك في الشَّمس أم لا.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٦٩٩).

وإن لم يقل بذلك فإنَّا نطالبه بإبراز نصٍّ عن الله تعالىٰ أو عن رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يثبت للقمر الجري والسَّبْح في الفلك، والبزوغ، والأفول دون الشَّمس، ولن يجد إلىٰ ذلك سبيلًا البتَّة.

ومَن أثبت الجري والسبح في الفلك، والبزوغ، والأفول للقمر؛ لزِمَهُ أنْ يثبت ذلك للشمس، وإنْ يفعل فقد فرَّق بين متماثلين، وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.

الوجه السادس: أنَّ التوقُّف إنما يكون في الأمور التي لم يتبيَّن وجهها.

وكذلك التفويض إنَّما يكون في الأمور التي لا تعلم كيفيتها، وجريان الشَّمس في الفلك ودؤبها في السير ليس مِن هذا الباب؛ لأن الله تعالىٰ قد نصَّ علىٰ جريانها في عدة آيات من كتابه.

ونص -أيضًا- علىٰ أنها تسبح في الفلك.

ونص -أيضًا- علىٰ أنها بحسبان.

ونص -أيضًا- علىٰ دؤبها في السير.

ونص -أيضًا- علىٰ أنه يأتي بها من المشرق.

ونص -أيضًا- علىٰ طلوعها ودلوكها وغروبها.

ونص علىٰ ذلك رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عدة أحاديث صحيحة؛

فيجب علىٰ المسلم أن يعتقد ما جاء في كتاب الله تعالىٰ، وما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، ولا يتوقف فيه.

ويجب علىٰ العلماء أن يبيِّنوا للناس ما خفي عليهم من ذلك، ويبينوا حكم مَن رد النصوص الثَّابتة في كتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتوقَّفوا عن البيان؛ فيلحقهم الوعيد علَىٰ الكِتْمَان.

والمبادرة إلىٰ البيان أسلم للعلماء وأحكم؛ وتأخير البيان إنما يكون من تثبيط الشيطان وصده عن إظهار الحق.

الوجه السابع: أنَّ الصوَّاف قد عاب علىٰ الشيخ ابن باز لمَّا بادر إلىٰ بيان الحق الذي يجب عليه وعلىٰ أمثاله أن يبينوه ولا يَكتُموه.

ولم ير هو عيب نفسه في مبادرته إلىٰ نشر الباطل، والذب عنه، والمجادلة به؛ لإدحاض الحق، ولو أنه اشتغل بإصلاح عيبه، ولم يشتغل بلوم علماء المسلمين؛ لكان خيرًا له.

أقِلُّوا عليهم لا أَبَا لأَبيكمُ … من اللَّوم أو سدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

الوجه الثامن: أن قول الصواف: «ولكن هل من قال بحركة الأرض»، إلىٰ آخره، وتوقفه فيما توقف فيه، وزعمه أن الأدلة علىٰ حركة الشَّمس وسيرها ظنية وليست قطعية الدلالة؛ كل ذلك يدل دلالة واضحة علىٰ كثافة جهله بما أخبر الله به في كتابه، وما أخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع عليه المسلمون فيما

يتعلق بجريان الشَّمس وثبات الأرض، وإذا كان الصواف بهذه المثابة من الجهل؛ فالأولىٰ له السكوت وعدم الخوض فيما لا علم له به، وترك الاعتراض علىٰ علماء المسلمين.

ولكن حب الشهرة حَمَل الرجل علىٰ أن يهرف بما لا يعرف، وأن يخالف من هو أعلم منه؛ فكان الأمر فيه كما قيل.

كما قيل قبل اليوم خالف لتُذكَرا خلافًا لقولي من فيالة رأيه

* * *

فصل

قال الصواف: «ومع هذا فإني أودُّ أن أقول لسماحتكم: إن هذا القول «حركة الأرض وثبوت الشَّمس» لم يقل به كفار الغرب من الأمريكان، وملحدو الشرق من الروس فقط، بل الذي سبق إليه علماء مسلمون، لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الإسلامية، فهل نحكم بكفرهم ورِدَّتهم، ونجَرِّدُهم من الإسلام وهم قد أفضَوا إلىٰ ما قدَّموا، وقالوا في السماء والأفلاك ما لم يصل إليه حتىٰ الآن علماء الغرب ولا الشرق، وقالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه قبل مئات السنين ما لم تَقُلْه لُونَا (٩) التي قيل: إنها حطت علىٰ سطح القمر وأرسلت صورًا تلفزيونية إلىٰ الكوكب الأرضي.

ولقد دهشت حقًّا وأنا أنظر إلىٰ هذه الصور في الصحف وأقرأ ما قاله

علماؤنا الأجِلَّاء قبل ما يقارب الألف عام، كيف وصل علماؤنا إلىٰ ذلك كله، مع قلة الوسائل، وحداثة العلم الذي اشتغلوا فيه، ونبغوا فيه نبوغًا حيَّر الألباب، واستخرج حتىٰ من أعدائهم الإعجاب.

إنَّ العلماء المسلمين أوَّل مَن اشتغل بعلم الفَلَك بعد اليونانيين الأقدمين، وأول مَن أَلَّفَ فيه الكتُب والمصنفات، وأوَّل مَن أنشأ المراصد الفلكية في العالم، وخصَّص لها المخصَّصات الطائلة من بيت مال المسلمين.

ولقد أدت مراصد بغداد الفلكية في عهد هارون الرشيد وعهد المأمون في العصر العباسي الأول خدمات لعلم الفلك، ذكرها وشكرها كثير من العلماء الفلكيين في القديم والحديث.

وكذلك فعلت مراصد دمشق، والقاهرة، والرَّقَّة، وسنجار، ومراغة، وسمرقند، وطليطلة، وقرطبة.

بل إن هذه المراصد أضافت إلىٰ علم الفلك إضافات مهمة، بعد أن أدمجت فيها مجموعة ما رصد في هذه المراصد إذ عينت انحراف سمت الشَّمس بثلاث وعشرين دقيقة واثنتين وخمسين ثانية، وهو ما يعادل الرقم الحاضر اليوم، ثم رصد الاعتدال الشَّمسي؛ فمكَّنهم مِن تعيين مدة السَّنة بالضبط.

قال ابن قتيبة عن علماء الفلك المسلمين الأقدمين: «إنهم أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها».

وفي عصر المأمون العباسي وضع أبناء شاكر قياسًا للدرجة علىٰ الأرض، ووضعوا التقاويم للأمكنة، وقاسوا عرض بغداد، وكان مقداره ثلاثًا وثلاثين درجة، وعشرين دقيقة.

لقد مكث العالِم المسلم محمد بن جابر بن سنان(١) واحدًا وأربعين سنة يرصد النجوم والكواكب في مرصد الرقة في أرض الشام؛ حتىٰ تمكَّن مِن تصحيح بعض نتائج بطليموس اليوناني، وجاءت نتائج أرصاد هذا العالِم المسلم غاية في الدقة والضبط والإحكام والإتقان.

وأبو الحسن المَرَّاكُشي(٢)، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، قام بجهود كبيرة في خدمة علم الفلك، ولقد عني بضبط خطوط الطول والعرض لإحدىٰ وأربعين مدينة إفريقية، واقعة ما بين مراكش والقاهرة.

وسجَّل العالِم البتاني وهو أحد عشرين عالمًا فلكيًّا عالَميًّا سبْقًا لم يتقدمه

---

(١) البتَّاني، صاحب الزِّيج المشهور، أبو عبد الله، محمد بن جابر بن سِنَان الحَرَّاني البتَّاني، نسبةً إلىٰ قرية «بتان» مِن نوَاحِي حرَّان، كان حاسبًا مُنَجمًا، له أعمال وأرصاد وبراعة في فنه، وكان صابئًا ضالًّا، فكأنَّه أسلَمَ وتسَمَّىٰ بمحمد، وله تصانيف في علم الهيئة، مات (٣١٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥١٨)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٢٧٦).

(٢) المراكشي: الحسن بن علي بن عمر، أَبُو علي المراكشي، الرياضي، كَانَ حَيًّا سنة (٧٥٠هـ) خمسين وَسَبْعمائة. صنف «آلَات التَّقْوِيم»، «جَامع المبادئ والغايات فِي علم الْمِيقَات». «هدية العارفين» (١/ ٢٨٦).

أحد إليه، حتىٰ قال المسعودي عنه: «إنه أول من كشف السمت والنظير، وحدَّد نقطتيهما من السماء».

لا أريد أن أتوسع في بيان ما صنعه علماء الإسلام من عجائب وغرائب في علم الفلك، وهي كثيرةٌ لا تُحصىٰ، إذْ أنَّنِي أريد أن أنتقل إلىٰ صُلب الموضوع وهو حركة الأرض والشَّمس.

والجواب أن يقال: لو توسع الصوَّاف فيما ذكره عن الفلكيين، وأطال الكلام بما لا فائدة فيه، وما هو خارج عن الموضوع الذي قرره الشيخ ابن باز؛ فكلامه هَهُنا في وادٍ وكلام الشيخ في وادٍ آخَر.

والكلام علىٰ ما تضمَّنه كلام الصوَّاف من الأخطاء مِن وجوه:

أحدها: أن ما زعمه من سبق العلماء إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس ليس بصحيح.

وإنَّما كان السابق إلىٰ ذلك فيثاغورس اليوناني، فهو أول من قال بحركة الأرض وثبات الشَّمس، وكان زمانه قبل زمان المسيح بنحو خمس مئة سنة، وقيل: ست مئة سنة، وقد خالفه أهْل الهَيْئةِ القديمة، وكان قوله مهجورًا عندهم، إلىٰ أن جاء فلاسفة الإفرنج المُتأخِّرون، ومنهم كوبرنيك البولوني في القرن العاشر من الهجرة.

ومنهم -أيضًا- هرشل الإنكليزي وأتباعه أصحاب الرصد والزيج

الجديد، وكانوا في القرن الثاني عشر، والقرن الثالث عشر من الهجرة، فنصروا قول فيثاغورس، وردوا ما خالفه، وسمَّوْا ما ذهبوا إليه «الهيئة الجَدِيدَة».

وكان ابتداء هذه الهيئة الجَدِيدَة من نحو أربع مئة سنة، وإنما شاعت بين الناس منذ زمن قريب.

قال محمود شكري الآلوسي في (صفحة٣) من كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»: «قد شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير في هيئة الأفلاك، ونصره الفلاسفة المتأخرون، بعد أن كان عاطلًا مهجورًا، وهو القول بحركة الأرض اليومية والسنوية على الشَّمس، وأنَّها مركز نظامها، وأن الأرض إحدىٰ الكواكب السيارة، وأنها سابحة في الجو، معلقة بسلاسل الجاذبية، وقائمة بها كسائر الكواكب، لا أنها كما ذهب إليه بطليموس في الأفلاك كالمسامير في الباب».

قال: «وقد سماها الفلاسفة المتأخرون «الهيئة الجَدِيدَة»؛ لكونها شاعت في العصر المتأخر، وإلا فالقول بها متقدم جدًّا.

وذكَر الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٤٣) أنَّ المتأخِّرين مِمَّن انتظَم في سلك الفلاسفة كهرشل وأتباعه، أصحاب الرصد والزيج الجديد تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأوَّلون في أمر الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مركز الأرض، وكذا النجوم دائرة حولها.

وذكر الآلُوسِي -أيضًا- في (صفحة٢٩) ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجُدد مِن أنَّ الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالَم، وأنَّ الأرض وكذا سائر السيارات والثَّوابِت تتحرَّك عليها.

وقال -أيضًا- في (صفحة٣٣) ما ملخصه: «والمنجمون يقسمون النجوم إلىٰ: ثوابت، وسيارات، والسيارات عند المتقدمين سبع بإجماعهم، وعند المنجمين اليوم، وهم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن الشَّمس في وسط الكواكب التي تَدُور حولها، وأنَّ لهَا حركة علىٰ نفسها، وجزَمُوا بأن ليس لها حركة حول الأرض، بل للأرض حركة حولها، وأن الأرض إحدىٰ السيارات، وهي عندهم: عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، ووسنة، وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**أولبوس**»، في حدود سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف للهجرة، ونبتون قد كشفها رجل منهم يقال له «**هاردنق**»، في حدود سنة عشرين ومئتين وألف للهجرة، وسيرس قد كشفها رجل منهم يقال: له «**بياظي**»، في حدود سنة ست عشرة ومئتين وألف للهجرة، وبلاس قد كشفها «**أولبوس**» -أيضًا- في حدود سنة سبع عشرة ومئتين وألف.

والمشتري، وزُحَل، وأورانوس، وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**هرشل**»، في حدود سنة سبع وتسعين ومئة وألف للهجرة.

وذكر الآلوسي -أيضًا- في هامش (صفحة٤٦) أن المتأخرين من

الفلاسفة الإفرنج ذهبوا إلىٰ أن الكواكب تتحرك بأنفسها، من غير أن تكون مركوزة في جسم آخر.

وقال -أيضًا- في (صفحة٥٩) ما نصه: «ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [يونس: ٦] في هذه الآية تنبيه إجمالي علىٰ قدرة الله تعالىٰ».

أي: في تعاقب الليل والنهار، وكَوْن كل منها خِلْفَة للآخر بحسب طلوع الشَّمس وغروبها التابعين عند أكثر الفلاسفة لحركة الفلك الأعظم حول مركزه، علىٰ خلاف التوالي؛ فإنه يلزمها حركة سائر الأفلاك، وما فيها من الكواكب مع سكون الأرض علىٰ ما زعموا.

وهذا في أكثر المواضع، وأما في عرض تسعين فلا يطلع شيء ولا يغرب بتلك الحركة أصلًا، بل بحركات أخرىٰ، وكذا فيما يقرب منه قد يقع طلوع وغروب بغير ذلك، وتُسمَّىٰ تلك الحركة: «**الحركة اليومية**»، وجعلها بعضهم وهُم فلاسفة الإفرنج بتمامها للأرض، وجَعل آخرون بعضها للأرض وبعضها للفلك الأعظم.

والقرآن العظيم ساكت عن المذهبَيْن، وذلك من براهين إعجازه.

قلت: ليس الأمر كما زعمه الآلوسي، فإنَّ الله تعالىٰ قد نصَّ علَىٰ جريان الشَّمس في عدة آيات من القرآن.

ونصَّ -أيضًا- علىٰ أنَّها تسبح في الفلك، والسَّبح: المر السريع، ونصَّ -أيضًا- علىٰ أنَّها بحسبان، ونصَّ -أيضًا- علىٰ دؤبها في السَّير، ونص -أيضًا- علىٰ إتيانها من المشرق، وعلىٰ طلوعها وغروبها ودلوكها؛ أي: زوالها، وجاء في القرآن عدة آيات تدل علىٰ سكون الأرض واستقرارها.

فكيف يقال: إن القرآن ساكت عن المذهبين، وهو قد أيد قول من قال بجريان الشَّمس، وسكون الأرض، ورَدَّ قول من قال بخلاف ذلك؟!

وقال الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٦٧ و٦٨) ما ملخصه: قال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة: الأرض جرم من الأجرام السماوية.

يعني أنها جِرْمٌ مِن الأجرام التابعة للشمس، وهي السيارات الدائرة حولها علىٰ أبعاد متفاوتة، وسُمِّيَت: «النظام الشَّمسي»، وشكلوا لذلك شكلًا في وسطه الشَّمس، ثم عطارد وهو أقرب إلىٰ الشَّمس مِن سائر السيارات المعروفة، وبعده الزهرة ثُم الأرض، ثم قمرها، ثم المريخ، ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرمًا صغيرًا، تُسمىٰ النجميات، أو الشبيهة بالسيارات، ثم المشتري، ثم زحل، ثم أورانوس، ثم نبتون.

إلىٰ أن قال: «وقالوا في شأن الأرض وحركتها: السَّيار التابع للنظام الشَّمسي، الذي نحن ساكنون عليه، هو الأرض، وأنها كروية الشكل».

إلىٰ أن قال: «وذهبوا إلىٰ أن حركتها، وكذا سائر الأجرام السماوية من

الغرب إلىٰ الشرق، وذهبوا إلىٰ أن لها حركة أخرىٰ غير الحركة اليومية، وهي الحركة السنوية؛ فللأرض عندهم حركتان: حركة يومية وهي دورانها علىٰ محورها، مرة من الغرب إلىٰ الشرق، ومنها: اختلاف الليل والنهار، وحركة من الغرب إلىٰ الشرق حول الشَّمس مرة واحدة كل سنة».

هذا ما ذكره علماء الهيئة الجَدِيدَة في شأن الأرض.

وقد تصفحت القرآن العظيم الشأن؛ فوجدتُ عِدَّة آيات نطقَتْ بِمَا يتعلَّق بالأرض من جهة الاستدلال بها علىٰ وجود خالقها، وعظمة باريها، ولم يذكر فيها شيء مما يخالف ما عليه أهْل الهَيْئةِ اليوم.

قلت: ليس الأمر علىٰ ما قاله الآلوسي، بل في القرآن آيات كثيرة تدل علىٰ سكون الأرض واستقرارها.

وفيه نصوص كثيرة تدل علىٰ جريان الشَّمس، ودؤبها في السير، وقد ذكرت ذلك مستقصًىٰ في أول الكتاب؛ فليراجع.

وقال الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٩٥): «وأما قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]، فالفلك في الأصل كل شيء دائر، ومنه فلكة المغزل، والمراد به هنا علىٰ قول كثير هو موج مكفوف تحت السماء، تجري فيه الشَّمس والقمر».

وعن الضحاك: «هو ليس بجسم، وإنما هو مدار هذه النجوم».

وفيه: القول باستدارة السماء.

قال: «وغاية ما نقول أنَّ الفلَاسِفَة اليوم من الإفرنج وأهل الأرصاد القلبية، والمعارج المعنوية؛ خالَفُوا قول بعض الفلَاسفة المتقدِّمين المخالف لقولهم».

انتهىٰ. المقصود مما ذكره الآلوسي.

وفيه ردٌّ لِمَا زعمه الصوَّاف مِن سبق العلماء المسلمين إلىٰ القول بحركة الأرض وسكون الشَّمس.

وبيان أنَّ أوَّل مَن تخيَّل حركة الأرض وثبات الشَّمس بعد فيثاغورس وأصحابه هم فلاسفة الإفرنج المتأخرون، مثل: كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما أصحاب الرصد والزيج الجديد، وقد تلقَّىٰ ذلك عنهم كثيرٌ مِن ضُعفاء البصيرة مِن المسلمين ولاسيما في هذا القرن، وهو القرن الرابع عشر من الهجرة.

وقبل ظهور أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن الإفرنج، لا نعلم عن أحد من المسلمين خلافًا في سكون الأرض، وجريان الشَّمس.

وقد تقدَّم ما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي مِن إجمَاع أهل السُّنة علىٰ وقوف الأرض وسُكونها، وأنَّ حرَكتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها.

وتقدَّم -أيضًا- ما حكاه القرطبي مِن إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك.

وتقدَّم -أيضًا- ذكر النصوص من الكتاب والسُّنة علىٰ جريان الشَّمس، ودؤبها في السير، وذلك ما لا خلاف فيه بين المسلمين، منذ زمن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أن ظهر المقلدون لكوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي وأتباعهما من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، منذ زمن قريب؛ فأحدَثُوا بين المسلمين خلافًا لم يكن معروفًا بينهم من قبل.

ولا عبرة بخلاف هؤلاء المخدوعين بزخارف أعداء الله تعالىٰ، وتخرُّصَاتهم الكاذبة، وقد ذكَرْنَا فيما تقدَّم أنهم محجوجون بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين علىٰ خلاف ما ذهبوا إليه.

الوجه الثاني: أن يقال: من هم العلماء المسلمون الذين لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد قالوا بحركة الأرض وثبات الشَّمس، وقالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه ما لم يقله أهل هذه الأزمان.

إنَّنا نتحدَّىٰ الصوَّاف أن يُسَمِّيَ علماء المسلمين الأجِلَّاء الذين قالوا هذه الأقوال قبل ما يقارب الألف عام، وأن يذكر كتبهم التي أثبتوا فيها ذلك، إن كان صادقًا، وما أبعده مِن الصِّدق!

الوجه الثالث: أن يقال: إنَّ أعظم هذه الأمة قدرًا، وأرجحهم وَزْنًا في تاريخ

الحضارة الإسلامية، هم الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، ولم يقل أحد منهم بحركة الأرض وثبات الشَّمس، بل المأثور عنهم خلاف ذلك.

وكذلك لم يتهجموا علىٰ الغيب، ويرجموا بالظن عن سطح القمر وما فيه، ثم التابعون، وتابعوهم بإحسان، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، ولاسيما الأئمة الأربعة، وأقرانهم من أكابر العلماء، وكذلك مَن كان بعدهم مِن الأئمَّة الأعلام، فكل هؤلاء لم يقل أحد منهم بحركة الأرض، وثبات الشَّمس، ولم يتهجموا علىٰ الغيب، ويرجموا بالظن عن سطح القمر وما فيه.

فمن حَادَ عن منهاج الصحابة والتابعين، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، وقال بخلاف قولهم؛ فقوله مردود عليه.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥].

الوجه الرابع: أن يقال: إن كوبرنيك البولوني وأتباعه في آخر القرن العاشر من الهجرة، والقرن الحادي عشر، وكذلك هرشل الإنكليزي، وأتباعه من الإفرنج مثل أولبوس، وهاردنق، وبياظي، وغيرهم من فلاسفة الإفرنج في آخر القرن الثاني عشر من الهجرة، وأول القرن الثالث عشر، هُم الذين سبقوا إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس، وقد كان القول به مهجورًا منذ ذهب فيثاغورس اليوناني وأصحابه، إلىٰ أن جاء هؤلاء الإفرنج أصحاب الهيئة

الجَدِيدَة؛ فنصَرُوه وردُّوا ما خالفه.

فهل يقول الصوَّاف: إن هؤلاء علماء مسلمون، لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الإسلامية؟!

الوجه الخامس: لو فرَضْنَا صحَّة ما زعمه الصواف من سبق بعض علماء المسلمين، إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس؛ فهو قول باطلٌ مردودٌ، لمخالفته للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة، ومخالفته -أيضًا- لأقوال الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، ومخالفته -أيضًا- لإجماع المسلمين علىٰ ثبات الأرض ووقوفها.

وكل قول خالف نصًّا مِن كتاب الله تعالىٰ، أو مِن سُنة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو خالف إجماع المسلمين؛ فمضروب به عرض الحائط، ومردود علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

وقد ذكرت آنفًا أنَّ الَّذِين سبقوا إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس هُم: فيثاغورس اليوناني، وأصحابه، وبعدهم أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج، وكان ابتداء الهيئة الجَدِيدَة من نحو أربع مئة سنة.

ولا يُعرف عن أحدٍ مِن علماء المسلمين قبل ظهور الهيئة الجَدِيدَة أنه قال بحركة الأرض وثبات الشَّمس... بعد ظهور الهيئة الجَدِيدَة، فقد كان بعض المنتسبين إلىٰ العلم يقلدون أهلها، ويحسنون الظن بهم.

وكما أنه لا يعتد بأقوال أعداء الله تعالىٰ في شيءٍ مِن المسَائل العلمِيَّة؛ فكذلك لا يعتد بأقوال مقلديهم بطريق الأولىٰ، والله أعلم.

الوجه السادس: أنَّ ما زعمَهُ أعداء الله تعالىٰ من وصول لُونَا (٩) إلىٰ القمر ورسوها علىٰ سطحه، وإرسالها الصور التلفزيونية إلىٰ الأرض كله كذب وتمويه علىٰ الأغبياء، والأمر في هؤلاء الكذَّابين كما قيل في أسلافهم:

سلاحهم في وجوه الخصم مكرهمُ ... وخير جندهمُ التدليس والكذبُ

ومِن أين لأعداء الله تعالىٰ أن يصلوا إلىٰ القمر، أو تصل مصنوعاتهم إليه، وهو في السماء بنص القرآن.

وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام، كما دلت علىٰ ذلك النصوص الثابتة عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقدرة البشر تعجز عن الوصول إلىٰ السماء، والصعود في الجو مسيرة خمس مئة سنة.

ولعل أعداء الله تعالىٰ إذا سقطت لهم سفينة فضائية في البحر، أو في مكان مجهول من البر، ولم يدروا أين ذهبت، قالوا: إنها ذهبت إلىٰ القمر، ورست علىٰ سطحه، وقد وجد لهم غير ما سفينة فضائية ساقطة.

والصور التي يزعمون أنها أرسلت إليهم من القمر، لا شك أنها من مخرقتهم، وصنع أيديهم؛ فإنهم معروفون بالمخرقة، والتدجيل قديمًا وحديثًا،

وقد ذكر العلماء عنهم من ذلك شيئًا كثيرًا، ولا يغتر بأباطيل أعداء الله تعالىٰ ويصدق بها، ويندهش لمخرقتهم وتدجيلهم، إلَّا مَن هو ناقص العقل.

ومِن أين للصُّوَر التلفزيونية أن تصل إلىٰ الأرض مِن مسيرة خمس مئة سنة، وهي لا تتجاوز في الأرض مسيرة عشرة أيام، أو نحوها إذا كانت قوية.

فوصولها من القمر محال، ومَن زعم وصولها منه؛ فهو من أكذب الكاذبين.

ومِن مخرقة أعداء الله تعالىٰ، وتدجيلهم فيما يتعلق بالقمر: زعمهم أن فيه أرضًا صالحة للنبات والسُّكنىٰ؛ فَهُم لذلك يرومون الانتقال إليه، والبناء فيه والسكنىٰ، وكثير مِن الجهال يصدقونهم في هذه المزاعم الكاذبة.

وليس لأعداء الله تعالىٰ ذَهاب ولا محيص عن هذه الأرض التي خُلِقُوا منها، ولو بلغوا في قوة الصناعة ما بلغوا؛ فمَرَدُّهم إلىٰ الأرض لا محالة.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

وقال تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وفي هذه الآيات ردٌّ علىٰ مَن زعم أنَّ السُّكنىٰ في القمر أو في غيره من الأجرام العلوية ممكنة لبني آدم.

وأيضًا، فإنَّ الله تعالىٰ قد حرس السَّماء مِن الشياطين، كما جاء ذلك في آيات كثيرة من القرآن.

والقمر في السماء بنص القرآن؛ فهو محروس مِن وصول الشياطين إليه، والاستقرار علىٰ سطحه، وسواء في ذلك شياطين الجن وشياطين الإنس، بل إن شياطين الإنس شرٌّ مِن شياطين الجن، كما جاء ذلك فيما رواه ابن جرير عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تعوَّذْتَ بِاللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ لِلْإِنْسِ مِنْ شَيَاطِينِ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُمْ شَرٌّ مِنْ شَياطِين الجِنِّ**»(١).

فإنْ قِيلَ: إنَّ الشَّياطين إنما مُنِعوا مِن استراق السَّمع، وليس ذلك مراد الذين يَرُومُون الوصول إلىٰ القمر.

فالجواب أن يقال: إن المنع مِن استراق السَّمع يدلُّ علىٰ المنع مما هو أعظم منه، كالبناء، والسكنىٰ، والمجاورة لأهل الملإ الأعلىٰ.

فالذين يرومون هذه الأمور من شياطين الإنس أولىٰ بالطرد، والإبعاد من

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٣)، وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٧٩): وقال محققه العلامة حمدي بن عبد المجيد السلفي: في إسناده ضعف.

الذين يسترقون السمع فقط.

وقد نشرت جريدة «المدينة» في عددها (٥٨٧) الصادر بتاريخ (٢١ - ١١ - ١٣٨٥هـ) كلامًا لبعض علماء الأمريكان، وهو «برنارد لوفيل، مدير مرصد جدويل بانك»، يندد فيه بالأمريكان والروس علىٰ السواء لتنافسهم في السباق إلىٰ القمر.

وقال: إنَّ التنافس نابع من صميم غباوة الإنسان.

ومضَىٰ يقول: إنَّ الطبيعة الإنسانية تواجه فشلًا كبيرًا إذْ تعالج هذه المهمة ليس فقط بصورة منفصلة بنفقات باهظة، بل وبإخفاق الشعبين اللَّذَيْنِ يقومان بها في تبادل المعلومات، وعلىٰ الأخص في وجه المشكلات الفنية الهندسية، والعلمية، والإنسانية التي تجابهها حضارة العالم.

هذه خُلَاصة كلامه الذي توخَّىٰ فيه بيان الأمر علىٰ الحقيقة، وهذا الكاتب وإن كان غير مسلم؛ فهو في الحقيقة أعقل من أغبياء المسلمين، الذين يصدقون أعداء الله في كل ما قالوه، ويندهشون لمخرقتهم وتدجيلهم.

الوجه السابع: أنَّ إطلاق اسم الكوكب علىٰ الأرض خطأ وضلَال.

والذين أطلقوا عليها اسم الكوكب هم الذين زعموا أنها تسير كما تسير الكواكب، وتَدُور علىٰ الشَّمس، وهم أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن الإفرنج ومَن يقلدهم، ويَحذُو حذْوَهُم مِن جُهَّال المسلمين.

وهذا خلاف ما سمَّاها الله بها في كتابه، وما سماها به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجميع المسلمين، سوى الأغبياء المقلِّدين لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة.

ولازم هذا القول أن تكون الأرض مِن جُملة الزِّينة التي زيَّن الله بها السماء الدُّنيا، وجعلهَا رجُومًا للشَّياطين؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦، ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فُصِّلَت: ١٢].

وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال: «بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَة خَمْس مِئَة سَنَة»**(١)، وقد تقدم ذكر هذه الأحاديث.

وإذا كان بين السماء والأرض هذا البعد الشَّاسع، فكيف يقال: إن الأرض كوكب من جملة الكواكب التي جعلها الله زينة للسماء الدنيا؟! هذا مِن أبْطَل الباطل، ولا يقوله مَن له أدنىٰ مُسكة من العقل، وأيضًا فقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه العزيز أنه جعل الأرض فراشًا، والسماء بناء.

---

(١) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣).

وأخبر في آية أخرىٰ أنه جعل السماء سقفًا محفوظًا.

وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ [الطور: ٥]؛ فدل القرآن علىٰ أن الأرض هي أسفل البناء، والسماء سقفه.

وما كان أساس البناء وأسفله كيف يقال: إنه كوكب من جملة زينة سقفه المرفوع؟! هذا تخبيط لا يقوله مَن يعلم ما يقول.

وقد قال الراغب الأصفهاني: «الأرض الجرم المقابل للسماء، ويعبر بها عن أسفل الشيء، كما يعبر بالسماء عن أعلاه»(١).

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في «تفسيره»: «إنما سُمِّيَت الأرض أرضًا لِسَعتها.

وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما سفل فهو أرض، وسميت السماء سماء لعلوها»(٢).

وقال القرطبي في «تفسيره»: «السماء للأرض كالسقف للبناء، ولهذا قال تعالىٰ وقوله الحق: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وكل ما علا وأظل قيل: سماء»(٣).

---

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص١٦).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٤٨).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٩).

وقيل -أيضًا-: والسماء ما عَلَا، والأرض ما سَفل.

وقال الجوهريُّ وغيره من أئمة اللُّغة: كل ما سفل؛ فهو أرض.

وروىٰ ابن جرير في «تفسيره»، من طريق السُّدِّيِّ عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناسٍ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤]، فبِنَاء السماء علىٰ الأرض كهيئة القبة، وهي سقف علىٰ الأرض»[١]، وإذا كانت الأرض سافلة، والسماء عالية عليها، وسقفًا فوقها، فلا يقول: إن الأرض كوكب من جملة الكواكب التي قد جعلت زينة للسماء، إلَّا مَن هو مِن أجهل الناس.

وبعد تحرير هذا الموضع، وقفت علىٰ كلام للشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي، رد به علىٰ مَن زعم أنَّ الأرض كوكب مِن جملة الكواكب التي تدور حول الشَّمس، وقد رأيت أنْ أَسُوقَه هَهُنا؛ لِمَا فيه مِن تحقيق الحق وإبطال الباطل.

قال في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية» ما نصه:

«**المسألة التاسعة والتسعون**: في الجزء المذكور، يعني الجزء الرابع عشر من مجموعة مجلة «المنار» (صفحة٥٧٨): قال بعض أشياع محمد عبده مع مشاركة الشيخ رشيد رضا في بعض كلامه: «ما هذه الأرض التي نعيش عليها.

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٧).

هي كوكب من الكواكب التي تدور بمركز الشَّمس، وتُسَمَّىٰ بالسيارات».

قال الشيخ الكافي في الرد عليه:

«**قوله**: هي كوكب».

كذَبَ وافتَرىٰ علىٰ الله تعالىٰ مَن سمَّاها كوكبًا؛ لأن الله تعالىٰ الذي خلقها سماها أرضًا، والكوكب هو النجم ومحله العلو، والكوكب من وصفه الإضاءة، والإشراق، والطلوع، والأفول، والأرض بخلاف ذلك.

وقوله: «من الكواكب التي تدور بمركز الشَّمس ممنوع؛ لأنه تقدم أن الأرض ساكنة لا متحركة، فارجع إليه إن شئت». انتهىٰ.

وكلامه الذي أشار إليه هنا، وأنه قد تقدم قد ذكرته مستوفًى مع الكلام علىٰ تكفير من يقول بحركة الأرض وسيرها؛ فليراجع هناك.

الوجه الثامن: أن علماء المسلمين الذين هُم ورَثة النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالخلفاء الرَّاشدين، وسائر عُلماء الصحابة، والتَّابعين، وتابعيهم، وأئمة العِلْم والهُدىٰ مِن بعدهم، لم يَكُن أحدٌ منهم يشتغل بعلمِ الفلك، ولم يؤلفوا فيه شيئًا، ولم ينشئوا شيئًا مِن المراصد الفلَكِيَّة، كما قد يُوهِمه قول الصوَّاف: إنَّ العُلماء المسلمين أوَّل مَن اشتغل بعلم الفَلَك إلىٰ آخره.

وإنما الذين كانوا يشتغلون بعلم الفلك والتأليف فيه، وإنشاء المراصد الفلكية صنفان من الناس، وهم الفلاسفة والمُنَجِّمُون، وكثير مِن المُنتَسِبين

منهم إلىٰ الإسلام كانوا متهمين في دينهم.

بل منهم مَن هو شرٌّ علىٰ الإسلام والمسلمين مِن اليهود والنَّصارىٰ وسائر المشركين، مثل نصير الكفر الطُّوسِي، وابن سينا القرمطي الباطني، وغيرهم مِن الفلَاسِفَة الذين كانوا يَنتسِبُون إلىٰ الإسلام، وهم في غاية البُعد منه، بل هم الأعداء الألِدَّاء للإسلام وأهله علىٰ الحقيقة.

ثم لو سلَّمنا تسليمًا جدَلِيًّا أنَّ أحدًا مِن علماء المسلمين اشتغل بعلم الفلَك، وألَّف فيه شيئًا مِن المُؤلَّفات؛ فَهُم لم يقولوا بثَبات الشَّمس وحركة الأرض ودورانها علىٰ الشَّمس.

الوجه التاسع: أنَّ إنشاء المَراصد الفلَكِيَّة عند المسلمين إنما كان في زمن المأمون حين عربت كتب الأوائل ومنطق اليونان.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في «تذكرة الحفاظ» في ترجمة (شجاع بن الوليد بن قيس): «لمَّا قُتِل الأمين واستُخلِف المأمون علىٰ رأس المئتين نجم التشيع، وأبدَىٰ صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعُرِّبت كتب الأوائل، ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الأمة منه في عافية».

إلىٰ أن قال: «إنَّ مِن البلَاء أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويماري في القرآن، ويتبرَّم

بالسُّنن والآثار، وتقع في الحيرة؛ فالقرار قبل حلول الدمار، وإيَّاكَ ومضِلَّات الأهواء، ومحارات العقول، ومَن يعتصم بالله؛ فقَد هُدِيَ إلىٰ صراط مستقيم».
انتهىٰ كلامه رحمه الله تعالىٰ(١).

فذكر أنه بسبب تعريب كتب الأوائل، ومنطق اليونان، وإنشاء المراصد الفلكية؛ نشأ للناس علم جديدٌ، مرد مهلك، لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين، وهذا العلم المردي المهلك هو الذي نَجمَ عنه القول بسكون الشَّمس ودوران الأرض، والكلام في السموات والأجرام العلوية؛ بمجرد الآراء والظنون الكاذبة.

وقد كان الصحابة، والتابعون، وتابعوهم بإحسانٍ في عافيةٍ مِن هذا العِلم المردي المهلك، وإنما شغف به المتأخرون في زماننا؛ لبُعدِهم عن منهاج الصحابة والتابعين، وشدة مَيْلِهم إلىٰ أقوال الإفرنج، وتمسكهم بآرائهم وتخرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه العاشر: أنَّ الظَّاهر مِن صَنيع الصوَّاف، حيث ذكر الفلكيين ههنا، وأطنب في ذِكْرِهِم، وذكر مراصدهم، والثناء عليهم، مع أن ذلك خارج عن موضوع البحث الذي هو بصدده، أنه أراد إيهام مَن لا علم عنده، أنهم كانوا يقولون بحركة الأرض وثبات الشَّمس.

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٤٠).

وليس الأمر كذلك؛ فإنَّ الفلَكِيِّين الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام من قبل ظهور أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة كانوا علىٰ مذهب أهْل الهَيْئةِ القديمة، في القول بجريان الشَّمس وثبات الأرض، وإذًا فأيُّ فائدةٍ في ذكرهم ههنا، وذكر مراصدهم لولا قصد الإيهام الذي أشرنا إليه.

الوجه الحادي عشر: أن الصواف صرَّحَ أنَّ محمد بن جابر مسلم، ثم ذكر بعده البتاني، وجعله من جملة علماء المسلمين الذين أثنىٰ عليهم.

ويظهر من كلامه أنه يرىٰ أن البتاني غير محمد بن جابر، وهذا بخلاف ما ذكره محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة المعارف» فإنه ذكر أن محمد بن جابر هو البتاني، وأنه ليس بمسلم، وإنما هو من الصابئين، وذكر عنه أنه رصد النجوم نحوًا من إحدىٰ وأربعين سنة.

وأنه كان يرصد في الرقة، وفي أنطاكية، ومحمد فريد وجدي أعلم بالفلكيين من الصواف؛ فكلامه ههنا هو المعتمد، لا ما توهمه الصواف.

* * *

فصل

قال الصواف: «حركة الأرض، يؤسفني أنه ليس لدي الآن من المصادر الإسلامية الكثيرة لعلم الفلك سوىٰ كتاب واحد، وفيه البركة -بإذن الله-، وفيه

ما يغني ويسد في موضوعنا هذا.

والكتاب لمؤلفه السيد: محمود شكري الآلوسي، العالم العراقي، السلفي المعروف، وقد فرغ من تأليفه في (٢٤) شوال، سنة (١٣٣٩)؛ أي: قبل سبعة وأربعين سنة، واسم الكتاب «ما دل عليه القرآن الكريم مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة القويمة البرهان»، وأود هنا أن أنقل ما قاله هذا العالم السلفي، قبل ما يقرب من خمسين سنة حول حركة الأرض وجريانها، وما نقله هو عن علماء الهيئة، وهم مسلمون، عُرِفَ أكثَرُهُم بالتقوىٰ والصَّلَاح.

ورأيه هو فيما سأنقله الكفاية فيما أحسب، في رد الأمر إلىٰ نصابه، وبيان الحق الصراح، وصوابه الذي نطق به علماء الإسلام قبل أن يكون للكفار والمشركين علم فلك، ولا نظر في النجوم.

فقد قال رحمه الله **في صفحة (٦٧ و ٦٨ و ٦٩) من كتابه:**

«ومن آيات سورة «الرعد» قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣]، هذه الآية متصلة بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] الآية؛ فإنه سبحانه لمَّا ذكر من الشواهد العلوية ما ذكر، أرْدفَها بذكر الدلائل السفلية، فقال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، قال علماء الهيئة الجَدِيدَة: الأرض جرم من الأجرام السماوية، يعني أنها جرم من الأجرام التابعة للشمس، وهي السيارات الدائرة حولها علىٰ أبعاد متفاوتة، وسُمِّيَت: (النظام الشَّمسي)، وشكَّلوا لذلك شكلًا في وسطه الشَّمس، ثم عطارد وهو أقرب إلىٰ الشَّمس من سائر السيارات المعروفة، وبعده الزهرة، ثم الأرض ثم قمرها، ثم المريخ، ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرمًا صغيرًا، تسمىٰ «النجيمات»، أو «الشبيهة بالسيارات»، ثم المشتري، ثم زحل، ثم أورانوس، ثم نبتون، ثم بُعْدٌ مهول، وخلاءٌ مجهول؛ حتىٰ ينتهي إلىٰ أقرب النجوم الثوابت، التي يعد كل واحد منها شمسًا لا يرىٰ توابعها؛ للبعد الشاسع، والنظام الشَّمسي ينتهي عند نبتون؛ أعني لا يعرف سيار أبعد من نبتون.

بل إنه إلىٰ الآن لم يكشف عن وجود جرم تابع للنظام الشَّمسي أبعد من المذكور، والنجوم الثوابت ليست من النظام الشَّمسي، بل هي أنظمة مستقلة ترىٰ منها شمسنا كما ترىٰ هي من عندنا؛ أي: نقطًا لامعةً نَيِّرَة في الطبقة الزَّرقاء».

ثم قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقالوا** -أي: علماء الهيئة في شأن الأرض أيضًا وحركتها-: السيَّار التَّابع للنِّظَام الشَّمسي الذي نحن ساكنون عليه هو الأرض، وإنها كُرَوِيَّة الشكل، وأقاموا علىٰ ذلك دلائلهم المعلومة في كتبهم: «وممن قال بكرويتها شيخ الإسلام ابن تَيمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، وأنها؛ أي: الأرض علىٰ عظمها سابحة

في الفضاء، وليست لها حافَّة ينتهي إليها مَن يَجُوب سطحها، كما إذا مشت ذبابة علىٰ بِطِّيخَة معلقة؛ فهِيَ لا تنتهي إلىٰ حافَّة كذلك الأرض الكروية الشكل، السابحة في الفضاء ليس لها حافَّة ينتهي إليها مَن يَجُوب سطحها، وهي عائمة في الفضاء، وذهبوا إلىٰ أن حركتها وكذا سائر الأجرام السماوية مِن الغرب إلىٰ الشرق، لا كما يتراءىٰ أن حركة هذه الأجرام من الشرق إلىٰ الغرب: «وهذا ما يقوله علماء الفلك اليوم»، وذهبوا إلىٰ أنَّ لها -أي: الأرض- حركة أخرىٰ غير الحركة اليومية وهي الحركة السنوية، فللأرض عندهم حركتان: حركة يومية، وهي دورانها علىٰ محورها، مرَّة مِن الغرب إلىٰ الشرق، ومنها اختلاف الليل والنهار، وحركة من الغرب إلىٰ الشرق حول الشَّمس مرة واحدة كل سنة.

ثم قال الآلوسي العالم السلفي المنصف رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا ما ذكره علماء الهيئة الجَدِيدَة في شأن الأرض.

وقد تصفَّحْتُ القرآن العظيم الشَّأن؛ فوجدت عدة آياتٍ نطقت بما يتعلق بالأرض من جهة الاستدلال بها علىٰ وجود خالقها وعظمة باريها، ولم يذكر فيها شيء مِمَّا يخالف ما عليه علماء أهْل الهَيْئَةِ اليوم، ولا ينافي كُرَوِيَّتها؛ ما يدل ظاهرها علىٰ المد والبسط والفرش، فإن هذا كله لا ينافي الكروية؛ لأن المراد مِن بَسْطِهَا وتوسعتها ومدها ما يحصل به الانتفاع لمن حولها، ولا يلزم من ذلك نفي كرويتها، كما أن الكرة العظيمة لعظمها ترىٰ كالسطح المستوي، وكان كل قطعة منها سطح مفروش يصح القعود والنوم عليه، والكرة كلما عظمت قربت

أقواس سطحها إلىٰ الخط المستقيم.

وفي الشريعة دلائل كثيرة تدل علىٰ كروية الأرض والسماء، منها اعتراف الأئمة باختلاف المطالع، فإن الصبح في بعض البلاد يوافق المساء في بلاد أخرىٰ، وطلوع الهلال في بعض الآفاق يوافق غيبوبته في بلاد أخرىٰ، وهكذا الشَّمس وسائر الكواكب، ففي بعض الآفاق يرىٰ القطب الشمالي فوق رؤوس أهله، والقطب الجنوبي لا يُرىٰ أصلًا، وسَكَنة خط الاستواء يرون القطبين علىٰ الأفق.

وفي بعض البلاد تكون الحركة فيه دولابية، وفي البعض حمائلية، وفي البعض رحوية، كل ذلك مبنيٌّ علىٰ كروية الأرض، ولولاها لَمَا كان شيء من ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ**﴾ لا ينافي الكروية، وما علىٰ الأرض من الجبال والأودية والبحار لا يخرج الأرض عن الكروية، فإن أعظم جبل بالنسبة إليها كنسبة سبع عرض شعيرة إلىٰ كرة قطرها ذراع.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ**﴾ معناه جعل فيها جبالًا ثوابت في أحيازها من الرُّسُوِّ، وهو ثبات الأجسام الثقيلة.

وفي الخبر: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ تعالىٰ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ اللهُ الجِبَالَ عَلَيْهَا فَاسْتقَرَّتْ، فَقَالَت المَلَائِكَةُ: رَبَّنَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ:

نَعَمْ، الْحَدِيدُ. فقَالُوا: رَبَّنَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ. فقَالُوا: رَبَّنَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، المَاءُ. فقَالُوا: رَبَّنَا خَلَقْتَ أَعْظَمَ مِن المَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الهَوَاءُ. فقَالُوا: رَبَّنَا، خَلَقْتَ خَلْقًا أعْظَمَ مِنَ الهَوَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ فَيُخْفِيهَا عَنْ شِمَالِه»(١).

فقال الآلوسي رحمه الله بعد هذا:

وهذا -أيضًا- لا ينافي حركة الأرض اليومية والسنوية التي قال بها أَهْل الهَيْئةِ، فإن الله تعالىٰ لو لم يخلق في الأرض الجبال لمَادتْ؛ أي: اضطربت، والميد: اضطراب الشيء العظيم.

فلمَّا ألقىٰ فيها الرَّواسي، وهي الجبال الثوابت؛ انتفىٰ ذلك، ووجه كون الإلقاء مانعًا من اضطراب الأرض أنها كسفينة علىٰ وجه الماء، والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانبٍ إلىٰ جانب بأدنىٰ حركة شيء، وإن وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر، فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال؛ لاضطربت، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة إليها، والمقصود أن جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه، كما أن السفينة إذا كان فيها أجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

جانب إلىٰ جانب لا ينافي حركتها.

وسنزيد ذلك بيانًا فيما يناسب من الآيات الآتية إن شاء الله تعالىٰ». انتهىٰ كلام الآلوسي.

فهل رأيتم كلامًا أصرح من هذا الكلام في كروية الأرض وحركتها؟! أليس هذا من مفاخر علمائنا، وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية؟! إن هذا الكتاب «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة القويمة البرهان» انتهىٰ صاحبه من تأليفه كما قلتُ منذ قرابة خمسين عامًا، ومع هذا ففيه من الكلام الواضح الذي يدل علىٰ ما بلغوه من الدرجات العليا في العلوم الكونية، وحركات الأفلاك؛ رحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

والجواب عما في هذا الفصل يتلخص في عشرة أمور:

الأول منها: مدحه لكتاب الآلوسي المسمىٰ «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، وزعمه أن فيه البركة.

والجواب أن نقول: إن البركة في كتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله ﷺ، وما خالفَهُما، أو لم يَكُن له مستند منهما؛ فهو قليل البركة، أو عديمها، وكتاب الآلوسي فيه أشياء كثيرة ليس لها مستند صحيح، وفيها ما هو مخالف للكتاب والسنة؛ فلهذا لا خير فيه، ولا يستحق المدح؛ والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة.

وأقول قبل ذكر الأمثلة: إن في نفسي شكًّا مِن صِحَّة نسبة الكتاب إلىٰ

محمود الآلوسي لأمرين:

أحدهما: ما عُرِفَ عنه مِن حسن العقيدة، والرد علىٰ عُبَّاد القبور وأهل البدع، ولاسيما في كتابه: «غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني»، ومن كان هكذا فبعيد أن يصدر منه الكتاب المسمىٰ «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة».

والثاني: أن الذي أبرز هذا الكتاب من أهل العراق، قد قيل عنه ما قيل مِمَّا يقدح في عقيدته.

وعلىٰ هذا، فلا يؤمَن أن يكون قد نسب الكتاب إلىٰ الآلوسي، وهو لم يتحقق نسبته إليه، والله أعلم، وقد نسبت النقل من الكتاب إلىٰ الآلوسي جريًا علىٰ نسبة الكتاب إليه، والمقصود من ذلك رد الكلام الباطل، سواء كان للآلوسي أو مفترىٰ عليه.

فمن الأمثلة علىٰ نقصان الكتاب المشار إليه، وقلة بركته: أن المصنف قرر في صفحة (١٥و ١٦) أن خلق السماء مقدَّم علىٰ خلق الأرض، وتعسف في توجيه ذلك بما لا حاصل تحته، وأجاب عن قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: ٩] بأن الخلق في الآية الكريمة بمعنىٰ التقدير لا الإيجاد.

أو علىٰ تقدير: الإرادة والمعنىٰ؛ أراد خلق الأرض، وكذا قوله تعالىٰ:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، الآية معناه أراد أن يجعل.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] معناه قدره أو أراد إيجاده أو أوجد مواده، وكل هذا تخبيطٌ مخالف لنص الآية من سورة «البقرة»، ولنصوص الآيات من سورة «حم السجدة»، وهو مردود لأنه من تحريف الكَلِم عن مواضعه.

وقد تقدَّم قول شيخ الإسلام أبي العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «من فسَّر القرآن والحديث، وتأوَّله علىٰ غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مُفترٍ علىٰ الله، ملحد في آيات الله، مُحَرِّف للكَلِم عن مواضعه»(١).

وقد قرَّر ابن كثير وغيرُه مِن المفسرين أن الأرض خُلِقَت قبل السَّماء.

وذكر ابنُ كثير أقوال السلف في ذلك، واستدلَّ علىٰ ذلك بالآية من سورة «البقرة»، وبالآيات من سورة «حم السجدة».

ثم قال: فهذه وهذه دالتان علىٰ أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء، إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة، أنه زعم أن السماء خُلِقَت قبل الأرض.

وقد توقف في ذلك القرطبي في «تفسيره»؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

ﭐلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٢].

قال: «فذكر خلق السماء قبل الأرض»(١).

وفي «صحيح البخاري» أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دُحِيَت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا». انتهىٰ(٢).

ومنها: قوله في (صفحة١٩) عن هذا الفضاء إنه ليس له مبدأ ولا انتهاء.

وهذا خطأ ظاهر، وفيه موافقة لِمَا ذكره في (صفحة٣٤) عن أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة أن سعة الجو غير متناهية عندهم.

ومعنىٰ هذا: نَفْي وجود السموات السبع وما فوقهن مِن الكُرسِيِّ والعرش العظيم.

وقد رد عليه المصنف في نفيهم وجود السموات، ثم وافقهم مِن حيث لا يشعر.

والحق الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة أن هذا الفضاء الذي نحن فيه

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ١٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٥).

يبتدئ من الأرض، وينتهي إلىٰ السماء الدنيا، ومسافته من كل جانب خمس مئة سنة، ثم بين كل سمائين فضاء مسافته من كل جانب خمس مئة سنة، وبين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمس مئة سنة، وبين الكرسي والماء مسيرة خمس مئة سنة، والعرش فوق ذلك، والله تعالىٰ فوق العرش.

والأدلة علىٰ هذا قد تقدم ذكرها مع الأدلة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها؛ فلتراجع، وحسبنا أن نعتمد علىٰ ما صحت به الأحاديث، ولا نتعداه ففي ذلك الكفاية والعصمة من الخطإ والزلل.

ومنها: أنه ذكر في (صفحة٢١) أن الحكمة الباطنة في اختلاف تشكلات القمر النورية أن ذلك لاختلاف أحوال المواليد العنصرية؛ وهذا تخرُّص لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

وقد بيَّن الله تعالىٰ الحِكمَة في تقدير القمر منازل فقال تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

واختلاف تشكلات القمر النورية تابع لتنقله في المنازل؛ فلا يُقال: في ذلك بشيء لم يخبر الله به ولا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: أنه أتىٰ في صفحة (٢٥ و٢٦) بجملة من أقوال أهل البدع وهذيان الصوفية في الكرسي، وقد تعقَّب ذلك بكلام بارد لا يشفي في ردها، وهذا خلاف

ما كان عليه أهل السنة؛ فإنهم كانوا لا يعبؤون بأقوال أهل البدع، ولا يذكرونها مع أقوال أهل السنة، ولا يعدون خلافهم خلافًا في الحقيقة، وإذا ذكروا شيئًا من أقوالهم ذكروه مقرونًا بالرد البليغ، والإنكار الشديد، والتحذير من الاغترار به، لا بالتمليس والرد الضَّعيف كما فعله الآلوسي.

ومنها: أنه ذكر في (صفحة٢٩) ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجديد مِن أنَّ الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالم، وأن الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها، وأقاموا علىٰ ذلك الأدلة والبراهين بزعمهم، وبنَوْا عليه الكسوف والخسوف ونحوهما، ولم يتخلف شيء من ذلك.

قلت: هذا القول معارض بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والإجماع علىٰ جريان الشَّمس وسكون الأرض، وقد تقدم ذكرها في أول الكتاب؛ فلتراجع.

وليس من أهل الزيج الجَدِيدَة برهان علىٰ ما زعموه سوىٰ التخرصات والظنون الكاذبة.

ومنها: ما ذكره في (صفحة٣٣) عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن الشَّمس في وسط الكواكب التي تدور حولها، وأن لها حركة علىٰ نفسها، وأن ليس لها حركة حول الأرض، بل للأرض حركة حولها، وأن الأرض إحدىٰ السيارات.

وكل هذا تخرص لا دليل عليه، وقد تقدم رَدُّه وبيان بطلانه بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والإجماع.

ومنها قوله في (صفحة ٤٢) في الخبر أن الأرض بالنسبة إلىٰ السماء الدنيا كحلقة في فلاة، وهو بالنسبة إلىٰ العرش كذلك.

قلت: هذا غلط.

ولفظُ الحديث عن أبي ذَرٍّ الغِفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سأل النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكرسي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاة، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ علَىٰ الكُرسِيِّ كفَضْلِ الفَلَاةِ علَىٰ تِلْكَ الحَلْقَة**»، رواه ابن مردويه(١).

ومنها: أنه قال في (صفحة٦١): «الكثير علىٰ أن الأرض كرة واحدة، منقسمة إلىٰ سبعة أقاليم، وحملوا الآية علىٰ ذلك - يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]»، وهذا خطأ ينبغي للآلوسي أن ينبه عليه لئلَّا يغتر به.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

وقد قال ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: «أي: سبعًا -أيضًا- كما في «الصَّحِيحَيْن»: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**[(١)]، وفي «صحيح البخاري»: **«خسف به إلىٰ سبع أرضين»**[(٢)]، ومن حمل ذلك علىٰ سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند». انتهىٰ[(٣)].

ومنها: أنه في (صفحة٦٣) قال في الله تعالىٰ: «إنه ليس بجسم ولا جسماني»، وهذا من أقوال أهل البدع، وأما السلف الصالح فإنهم لم يتكلموا في الجسم بنفي ولا إثبات.

قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «لفظ الجسم في أسماء الله تعالىٰ وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتابٌ ولا سُنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، فلم يقل أحد منهم: إنَّ الله تعالىٰ جسم، ولا أنَّ الله تعالىٰ ليس بجسم»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٤) من حديث سالم عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٥٦).

(٤) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١١٧) بتصرف.

وقال الشيخ -أيضًا- في موضع آخر: «لم يُنقَل عن أحد من الأنبياء، ولا الصحابة، ولا التابعين، ولا سلف الأمة أنَّ الله جسم، أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع». انتهىٰ[١].

وإذا علم هذا فليس بسلفي علىٰ الحقيقة، مَن لم يسَعْهُ ما وَسِعَ السَّلَف الصَّالح من السكوت عن الكلام في الجسم، وعدم التَّعرُّض له بالنفي أو الإثبات.

ومنها: أنه ذكر في (صفحة٦٦) قول الفلاسفة المتأخرين أنَّ للشَّمس حرَكَة مركزها.

قال: «وهو معنىٰ: ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]».

وهذا خطأ مردود من وجهين:

أحدهما: أنَّ الذي يجري لا يستقر في موضعه، بل يفارقه بالانتقال إلىٰ غيره.

ومعنىٰ قولهم: «حركة مركزها» أنها تتحرك علىٰ نفسها كما صرح به الآلوسي عنهم في عدة مواضع من كتابه، وتطبيق الآية علىٰ هذا القول من تحريف الكلم عن مواضعه، ودؤبها في السير، وأنها تأتي من المشرق وتذهب نحو المغرب، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين غربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ**

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٤٣٤).

حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس: ٣٨]»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والشيخان، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أخرجها مسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الحديث الصحيح صريح في رد ما زعمه الفلاسفة المتأخرون من حركة الشَّمس علىٰ مركزها أو علىٰ نفسها.

وصريح -أيضًا- في رَدِّ ما حاوله الآلوسي من تطبيق الآية علىٰ زعمهم الباطل.

ومنها: أنه في صفحة (٦٧و ٦٨) ذكر قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في سكون الشَّمس ودوران الأرض عليها.

ثم قال: «وقد تصفَّحت القرآن العظيم الشأن؛ فوجدت عِدَّة آياتٍ نطقَتْ بما يتعَلَّق بالأرض من جهة الاستدلال بها علىٰ وجود خالقها، وعظمة باريها، ولم يُذكر فيها شيءٌ مما يخالف ما عليه أهْل الهَيْئةِ اليوم».

قلت: هذا مردود، وقد تقدَّم التنبيه عليه.

ومنها: أنه في (صفحة٨٥) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿**وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت**﴾ [الكهف: ١٧] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ**﴾ [الكهف: ٨٦].

ثم قال: «فقد أثبت للشمس حركة الطلوع والغروب، ولعلَّ ذلك باعتبار نظر الناظر، كما في راكب السفينة، فإنه يرىٰ ما علىٰ الساحل متحرِّكًا، وليس بمتحرك».

قلت: هذا الكلام من تحريف الكَلِم عن مواضعه، وفيه موافقة لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، فيما زعموه من سكون الشَّمس واستقرارها؛ وذلك مردود بالنصوص الكثيرة الدالة علىٰ جريان الشَّمس، وسبحها في الفلك، ودؤبها في السير، وأنَّ الله يأتي بها من المشرق؛ فتطلع من مطلعها وتدلك؛ أي: تزول إذا كان نصف النهار وتغرب من مغربها.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يخبر بخلاف الحقيقة، وكذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تقدم إيراد الأدلة علىٰ جريان الشَّمس في أول الكتاب؛ فلتراجع ففيها إبطال تأويل المتأولين، وتحريف المحرفين.

ومنها: أنه في (صفحة٩٩) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

قال: والطرائق جمع طريقة، بمعنىٰ مطرقة، وهي: السموات السَّبع.

قال: «وسُميت السموات بذلك؛ لأنها طرائق الكواكب في مَسِيرهَا. وهذا عين مذهب الفلَاسفة المتأخرين، القائلين بالجاذبية ودوران الكواكب علىٰ الشَّمس».

إلىٰ أن قال: «ففي هذه الآية دليل، وأيُّ دليل لأهل فن الهيئة الجَدِيدَة».

قلت: ليس الأمر كما زعمه الآلوسي، فليس في هذه الآية دليل لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة بوجهٍ مِن الوجوه، وإنَّما فيها الرد عليهم في نفيهم وجود السموات السبع.

وفيها -أيضًا- الرد على الآلوسي فيما زعمه في (صفحة١٩) أن هذا الفضاء ليس لها مبدأ ولا انتهاء.

وفيها -أيضًا- الرد عليه فيما زعمه في (صفحة١٣٠) أنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع.

وقد قال مجاهد في قوله: ﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾: «يعني السموات السبع»[(١)].

وقال البغوي: «أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطارقها، وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض»[(٢)].

وكذا قال الخليل[(٣)]، والفراء[(٤)]، والزَّجَّاج وغيرهم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٦٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٥/ ٤١٣).

(٣) الخليل، الإمام، صاحب العربية، ومُنشِئ علم العَروض، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، حدَّثَ عن: أيوب السختياني، وعاصم الأحول، وغيرهما، أخذ عنه: سيبويه النحو، والنضر بن شميل، وهارون بن موسىٰ النحوي، والأصمعي، وآخرون، وكان رأسًا في لسان العرب، دَيِّنًا، ورِعًا، قانعًا، مُتوَاضعًا، كبير الشَّأن، يقال: إنه دَعَا اللهَ أن يرزقه عِلمًا لا يُسبق إليه، فَفُتِح له بالعَرُوض، وله كتاب: «العين» في اللغة، وُلِد سنة مئة، ومات سنة بضع وستِّين ومئة، وقيل: بقِيَ إلىٰ سنة سبعين ومئة. انظر: «طبقات النحويين» للزبيدي (٤٧-٥١)، «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٩).

(٤) هو إمامٌ في التفسير، وأمير المؤمنين في النحو، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن

وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» عن ابن قُتَيْبَة نحو ذلك(١).

وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [المُلك: ٣] الآية.

وقوله تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ١٥].

والقول بأن السموات إنَّما سُميت طرائق؛ لأنها طرائق الكواكب في مسيرها قول ضعيف، لم يُذكر عن أحد من الصحابة ولا التابعين، وإنما ذكره بعض المتأخرين بصيغة التمريض، ولم يذكر قائله، وليس في الآية علىٰ هذا القول دليل علىٰ ما يزعمونه من الجاذبية ودوران الكواكب علىٰ الشَّمس بوجه من الوجوه.

والاستدلال بها علىٰ هذا القول الباطل إلحاد في آيات الله تعالىٰ.

=

منظور، المُلقَّب بالفرَّاء، صاحب الكسائي، وُلد (١٤٤هـ)، كُوفِيٌّ مِن العِراق، عاش فِي عصرٍ اشتهرت فيه الخصُومَات بين المعتزلة وأهل السنة، فنسبه البعض للمُعتَزِلَة، وأقرَّ البعض بأنَّه كان من أهل السنة؛ فقالوا عنه: «كانَ الفرَّاءُ مِن أهل السُّنة، ومذَاهِبُه في التَّفسِير حسَنة»، توفي (٢٠٧هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ١١٨)، «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ١٤٩).

(١) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٤٦٥).

وقد تقدم قول شيخ الإسلام أبي العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «مَن فسَّرَ القرآن والحديث وتأوَّله علىٰ غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفتر علىٰ الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه»(١).

وأيضًا، فإن الله تعالىٰ قد جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا، ورُجومًا للشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦، ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فُصِّلَت: ١٢]، وإذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا ورجومًا للشياطين، فكيف يقال: إن السموات السبع طرائق للكواكب في مسيرها؟ لا شك أن هذا قول باطل، مردود بالآيات التي ذكرنا، والله أعلم.

ومنها: أنه في صفحة (١٠١ و١٠٢) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، ثم ذكر أنَّ أهل الأرصاد اليوم كشَفُوا في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشَّمس وسائر السيارات، وظنُّوا أنَّ فيها

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

مخلوقات نحو سَكَنة الأرض، وزعموا أنَّ فيها بحارًا وأنهارًا.

قال: «فلعلَّ جبال البرد المذكورة في الآية من تلك الجبال التي في هاتيك الأجرام، فيوصله الله إلىٰ الأرض بكيفية لا ندركها، وهو علىٰ كل شيء قدير».

قلت: هذا كله تخرُّص وهذَيان.

ومن أين لهم اكتشاف الشَّمس والقمر هما في السماء بنص القرآن. والكواكب من زينة السماء الدنيا بنص القرآن، وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام بنص الأحاديث الثابتة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن أين لبَنِي آدمَ أن يكتشفوا الأجرام العلوية من هذا البعد المفرط؟!

والبرد إنما ينزل من السحاب كما هو مشاهد، والسحاب إذا تراكم كان أمثال الجبال الشاهقة.

وقد قال بعض المفسرين: إن الجبال ههنا كناية عن السحاب.

وهذا هو الصحيح؛ لأن الله تعالىٰ ذكر نزول المطر من السماء في آيات كثيرة من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق: ٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: ٤٨، ٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

[النحل: ١٠، ١١].

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها نزول الماء من السماء، والمراد بذلك السحاب، كما هو منصوص عليه في مواضع من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣] الآية.

والودق: هو المَطَر.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ

ﭐلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ [فاطر: ٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ٧٠﴾ [الواقعة: ٦٨- ٧٠].

وقد قال ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾ [القمر: ١١]: «كثير، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم؛ فالتقىٰ الماءان علىٰ أمر قد قُدِر».

وإذا عُلِم هذا، فالبرد مطر منعقد من شدة البرد الذي يكون في السحاب، ولفظ السماء يُطلَق ويراد به السموات السبع ويطلق ويراد به الدنيا فقط.

ويطلق ويراد به ما عَلَا علىٰ الأرض من سحاب وسقوف كما في الآيات التي تقدم ذكرها، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥] يعني سماء بيته وهو السقف.

وأيضًا فإن الله تعالىٰ ختم الآية بقوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ [النور: ٤٣] وهذا أوضح دليل علىٰ أن المراد بالجبال المذكورة في الآية ما تراكم من السحاب وصار أمثال الجبال الشاهقة، والضمير في «برقه» عائد إلىٰ السماء الذي هو السحاب المتراكم؛ فإن «سَنا برقه» يكاد يذهب بأبصار الناظرين إليه من شدة ضوئه في الغالب.

فأما الأجرام العلوية فليس يرىٰ أهل الأرض منها شيئًا من البرق لا ضعيفًا ولا قويًّا يكاد سناه يذهب بالأبصار.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إنما خاطب الناس بما يعرفونه، وأخبرهم بما يشاهدونه بأبصارهم في كثير من الأوقات.

وأيضًا، فلو كان البرد ينزل إلىٰ الأرض من جبال في الأجرام العلوية؛ لكان ينزل في الصحو وعدم السحاب كما ينزل في حال الغيم وتراكم السحاب، وهذا لا يقوله عاقل.

ومنها: أنه في (صفحة١٠٦) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

ثم قال: «ربما استدل علماء الهيئة المتأخرون علىٰ ما ادَّعَوْهُ مِن حركة الأرض اليومية والسنوية، فإنهم يقولون: إن الرائي يرىٰ الجبال ساكنة، وهي متحركة أشد الحركة».

ثم ذكر عن المفسرين أنهم يرَوْنَ غير هذا الرأي، وأن ذلك إنَّما يكون يوم القيامة، وخراب العالم؛ لأنها تمر مرَّ السحاب اليوم.

قلت: والحق ما ذهب إليه المفسرون.

وقد بين الله تعالىٰ ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ

مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٧ - ٩٠].

وأما حمل الآية علىٰ ما ذهب إليه أهْل الهَيْئةِ المتأخرون؛ فهو مِن الإلحاد في آيات الله تعالىٰ، وتحريف الكلم عن مواضعه.

والعجب من الآلوسي! كيف ذكر هذا القول الباطل، ولم ينبه علىٰ بطلانه!! وهذا مما يعاب عليه.

ومنها: أنه في صفحة (١٠٩و ١١٠) ذكر عن أهْل الهَيْئةِ المتأخرين أن قيام العالم العلوي والسفلي بالجاذبيَّة.

وهذا لا دليل عليه من كتابٍ ولا سُنة، فلا ينبغي أن يثبت أو ينفىٰ إلَّا بدليل يدل علىٰ ذلك.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

فالسماء والأرض قائمتان بأمر الله تعالىٰ، وهو الذي يمسكهما أن تزولا،

ويمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه؛ وحسب المسلم أن يعتقد ما أخبر الله به في كتابه ولا يتعداه.

ومنها ما في (صفحة ١١٦) نقلًا عن صاحب «روح المعاني» أنه قال في الشَّمس لا يبعد أن تكون لها نفس ناطقة كنفس الإنسان، بل صرح بعض الصوفية بكونها ذات نفس ناطقة كاملة جدًّا.

قال: «والحكماء المتقدمون أثبتوا النفس للفلك، وصرح بعضهم بإثباتها للكواكب أيضًا، وقالوا: كل ما في العالم العلوي من الكواكب والأفلاك الكلية والجزئية والتداوير حي ناطق».

ثم ذكر هَذَيانًا كثيرًا إلىٰ أن قال في (صفحة١١٧): «فيمكن أن يقال: للشمس نفسًا مثل تلك الأنفس القدسية»، إلىٰ آخر ما قاله من الهذيان.

قلت: أمَّا وصفه للفلاسفة بالحكماء؛ فهو خطأ ظاهر.

والصواب أن يقال: إنهم هم السفهاء الأغبياء الجاهلون؛ لأنهم قد أشركوا بالله، وخالفوا ما جاءت به الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وزعموا أنَّ النبوة مكتسَبة، وأنها فَيْضٌ يَفِيض علىٰ روح النبيِّ إذا استعدَّت نفسه لذلك، فمن راضَ نفسَه حتىٰ استعدت؛ فاض ذلك عليه، والنبيُّ عندهم مِن جنس غيره من الأذكياء الزُّهاد، لكنه قد يكون أفضل.

والملائكة عندهم هي ما يتخيَّل في نفسه من الخيالات النورانية، وكلام

الله هو ما يسمع في نفسه من الأصوات بمنزلة ما يراه النائم في منامه.

ويَجُوزون علىٰ الأنبياء الكذب في خطاب الجمهور للمصلحة والفيلسوف عند بعضهم أعظم من النبي، وعند بعضهم أنَّ الرسالة إنما هي للعامة دون الخاصة، والعبادات كلها عندهم مقصودها تهذيب الأخلاق، والشريعة عندهم سياسة مدنية. إلىٰ غير ذلك من أقاويلهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وقد كان معلمهم الأول أرسطو وزيرًا للأسكندر بن فيلبس المقدوني، ملك اليونان.

وكان هو والملك وأصحابهما مشركين، يعبدون الكواكب والأصنام ويعانون السحر، ومَن كانت هذه حالهم؛ فَهُم السفهاء الجهلة، الأغبياء علىٰ كل حال، وأمَّا ما ذكرَهُ عنهم من إثبات النفس للفلك وإثباتها للكواكب والأفلاك الكلية والجزئية والتداوير؛ فكله باطلٌ وضَلَال.

وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في مواضع كثيرة مِن كُتبه، ولا يتَّسِع هذا الموضع لذكر شيءٍ من الرد عليهم، وإنما المقصود ههنا التنبيه علىٰ بطلان ما نقله عنهم صاحب «روح المعاني».

والتنبيه -أيضًا- علىٰ بطلان ما زعمه مِن إمكان أن يكون للشَّمس نفس ناطقة كنفس الإنسان، فإنَّ هذا لم يدل عليه كتابٌ ولا سُنة، ولا قاله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا تابعيهم بإحسان، وإنَّما هو مأخوذ عن الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويُعَظِّمونها غاية التعظيم، ويتقرَّبون إليها بأنواع التقرُّبات.

ومنها أنه في صفحة (١١٨و١١٩) ذكر عن الفلاسفة المتأخِّرين أن الشَّمس تدور علىٰ مركز آخَر؛ قالوا: «وهذا هو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] فإنه يدل علىٰ دوران الشَّمس علىٰ مركز آخر، ويقال: إنه كوكب من كواكب الثريا، أو يقال: معنىٰ جريانها لمستقر أنها تجري علىٰ مركزها ومحورها».

قلت: وحمل الآية علىٰ ما ذكر ههنا من الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه؛ فأما القول بدوران الشَّمس علىٰ الثريا؛ فهو ظاهر البطلان؛ لأن الثريا مِن جملة الكواكب التي قد جعلها الله تعالىٰ زينة للسماء الدنيا، وما كان كذلك فإنه لا يكون مركزًا تدور عليه الأفلاك، وأما القول بأنها تدور علىٰ محورها؛ فإنه ينافي ما أخبر الله به من جريانها وسبحها في الفلك ودؤبها في ذلك.

وما أخبر به مِن طلوعها وغروبها ودلوكها، وأنه يأتي بها مِن المَشْرِق.

وما أخبر به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جريانها، وذهابها إلىٰ مستقرها تحت العرش إذا غربت، ورجوعها إلىٰ مطلعها، وطلوعها وارتفاعها، واستوائها وزوالها، ودنُوِّها للغروب، وغروبها وحبسها ليوشع بن نون حين حاصر القرية حتىٰ فتحها الله عليه، وقد ذكرت الآيات والأحاديث الدالة علىٰ جريان الشَّمس في أول الكتاب؛ فلتراجع.

وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين غربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي**

أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والشيخان، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢).

وهذا الحديث صحيح في بيان المراد من قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أخرجها مسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾، وفيه: الرد علىٰ مَن تأوَّل الآية علىٰ غير تأويلها.

وأما قول الآلوسي: «**أو يقال:** معنىٰ جريانها لمستقر أنها تجري علىٰ مركزها ومحورها»؛ فهو خطأ مردود من وجهين:

أحدهما: أن الذي يجري لا يثبت في موضعه، بل يفارقه بالانتقال إلىٰ غيره، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورىٰ: ٣٣]؛ ففرَّق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بين جري السفن في الماء، وبين ركودها علىٰ ظهر البحر، وهو وقوفها وسكونها عليه.

وقال تعالىٰ عن سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤١، ٤٢]، الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤]؛ ففرَّق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بين جري السفينة في الماء وبين رسُوِّها واستوائها علىٰ جبل الجودي.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١] الآية، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، وابن ماجه، والدارمي(١) عن

---

(١) هو الإمام الحافظ، الحُجَّة، المُحَدِّث، عبد الله بن عبد الرَّحمن بن الفَضْل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي، وُلد سنة مات ابن المبارك عام (١٨١هـ)، روىٰ عن: يزيد بن هارون، وأبي عاصم، وأبي نعيم، وأمَّا تلاميذه: فمسلم، وأبو داود، والترمذي،=

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «... فلمَّا دفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني من مزدلفة- مرَّت به ظعن يجرين...» الحديث(١).

الوجه الثاني: أن الذي يدور علىٰ محوره مع ثباته في موضعه لا يوصف بالجريان، وإنما يوصف بالدوران، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد وصف الشَّمس بالجريان، ولم يصفها بالدوران، وكذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وصفها بالجريان ولم يصفها بالدوران؛ فتبين بطلان ما حاوله المقلدون لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من حمل الآية الكريمة علىٰ زعمهم الباطل.

ومنها أنه في (صفحة١١٩) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

ثم قال في (صفحة١٢٠)، وهذه الآية من أعظم ما يتمسك به المتشرعون من علماء الهيئة الجَدِيدَة.

قلت: ليس كذلك، بل في هذه الآيات ردٌّ عليهم؛ لأنَّ فيها النَّص علىٰ جريان

=

وغيرهم، توفي (٢٥٥هـ)، انظر: «تهذيب الكمال» (١٥/ ٢١٠)، و«تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٥٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٢٤).

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، والدارمي (٢/ ١١٦٧) (١٨٩٢).

الشَّمس، وهم قد أنكروه، وليس فيها ما يدلُّ علىٰ جريان الأرض كما زعموه.

ومنها: ما ذكره في (صفحة١٢٢) عن الفلاسفة أنَّ أصغر الثوابت عندهم أعظم من الأرض؛ وهذا مِن التَّخرُّص، والقول بغير علم.

وقد ذكرت في آخر الأدلة القرآنية علىٰ ثبات الأرض ما يدل علىٰ انتشار الكواكب في البحر يوم القيامة، وتكوير الشَّمس والقمر فيه؛ فليراجع، ففيه دليل علىٰ أن الأرض أعظم من الكواكب كلها، والله أعلم.

ومنها: أنه قال في (صفحة١٢٩): «وقد غلب علىٰ ظن أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمر عالَم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال وبحار، ويزعمون أنهم يحسُّون بها بواسطة أرصادهم، وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه.

قلت: هذا تخرُّصٌ ورَجمٌ بالغَيْب، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم: ٢٨].

ومن أين لهم الوصول إلىٰ القمر، وتحقيق الأمر فيه، وهو في السماء بنص القرآن، وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، فقدرتهم عاجزة عن اكتشاف القمر وتحقيق الأمر فيه.

وقد أخطأ الآلوسي في إطلاقه وصف الحكمة علىٰ الهيئة الجَدِيدَة ههنا وفي (صفحة١٣٠).

والصواب: أنها الجهل الكثيف، وعين المحادَّة لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اختلف العلماء في تفسير الحكمة:

فقال السُّدي: «هي النبوة»(١).

وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، **وقتادة**: «هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»(٢).

وقال الضَّحاك: «القرآن والفهم فيه»(٣).

وقال مجاهد: «هي القرآن والعلم والفقه»(٤).

وعنه -أيضًا- أنه قال: «هي الإصابة في القول والفعل»(٥).

وقال أبو العالية: «الحكمة خشية الله»(٦).

وعنه -أيضًا-: «**الحكمة**: الكتاب والفهم»(٧).

وقال إبراهيم النخعي: «الحكمة الفهم»(٨).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٠).

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٣٣٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري «تفسيره» (٥/ ٥٧٧).

(٥) المصدر السابق.

(٦) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٠).

(٧) أخرجه الطبري «تفسيره» (٥/ ٥٧٧).

(٨) أخرجه الطبري «تفسيره» (٥/ ٥٧٨) ولم يروه عن النخعي، بل قال: «وقال آخرون...» =

وقال أبو مالك: «**الحكمة**: السُّنة»[(١)].

وقال مالك: «الحكمة الفقه في دين الله»[(٢)].

قال ابن كثير: «والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير علىٰ سبيل التَّبَع، كما جاء في بعض الأحاديث: «**من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يُوحىٰ إليه**»، رواه وكيع بن الجراح في «تفسيره»[(٣)].

وقال النووي[(٤)] **في تفسير الحكمة**: «أقوال كثيرة مضطربة، صفَا لنا منها: أنَّ الحكمةَ العلمُ المُشتَمِل علىٰ المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك»[(٥)].

=

فذكره، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٧٠٠) عن النخعي.

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠١)، وفي إسناده إسماعيل بن رافع المدني ضعفه أحمد وابن معين والنسائي، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر.

(٤) هو الحافظ، شيخ المذاهب، وكبير الفقهاء في زمانه، محيي الدين، أبو زكريا يحيىٰ بن شرف بن مُرِّي النووي ثم الدمشقي الشافعي، وُلِدَ (٦٣١هـ)، كان رأسًا في الزُّهد، وقدوة في الورع، وعديم النظير في مناصحة الحُكَّام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي (٦٧٦هـ)، انظر: «المَنْهل العَذْب الرَّوِي» للسخاوي.

(٥) «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢/ ٣٣) بتصرف.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بعد ما ذكر كلَام النووي: «وقد تُطلَق الحكمة علىٰ القرآن، وهو مشتمِل علىٰ ذلك كله، وعلىٰ النبوة كذلك، وقد تُطلق علىٰ العلم فقط، وعلىٰ المعرفة فقط، ونحو ذلك»(١).

وقال -أيضًا-: «وأصح ما قيل في الحكمة: أنها وضع الشيء في محلِّه، أو الفهم في كتاب الله؛ فعلَىٰ التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان، وقد لا توجد؛ وعلىٰ الأوَّل فقد يتلَازمان، لأنَّ الإيمان يدل علىٰ الحكمة». انتهىٰ(٢).

ومِمَّا ذكرنا من أقوال العلماء في الحكمة يتَّضِح لطالب العلم أنه لا حَظَّ لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في الحكمة، وأنهم بعيدون منها غاية البُعد؛ فَهُم منها كما قيل:

سارت مشرِّقةَ وسرتُ مغرِّبًا ... شتان بين مُشرِّق ومُغرِّب

وقد كان مشركو قريش يُكنون أبا جهل بأبي الحكَم؛ فغيَّر النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذلك، وكنَّاه بأبي جهل.

وهكذا يقال: في أعداء الله تعالىٰ من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة وأشباههم من الفلاسفة المشركين، أنهم أهل الجهل لا أهل الحكمة؛ لأنَّ صفة الجهل هي المطابقة لحالهم علىٰ الحقيقة، فوصفهم بذلك هو الذي يليق بهم كأبي جهل.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٤٦١).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٠٥).

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة هي ما أنزله الله على أنبيائه الكرام من العلم النافع.

قال الله تعالى مخاطبًا لنبيِّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال تعالى بعد ذكر الأوامر والنَّواهِي في أول سورة الإسراء: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

قال البغَوِيُّ: «وكل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمة»(١).

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤] وآل إبراهيم هم الأنبياء بعده.

وقال تعالى في ذكر عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨].

وإذا كانت الحكمة مُنَزَّلة على الأنبياء فلورثتهم، وهُم العلماء العاملون حظ منها كل بحسبه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٩٤).

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والشيخان، والنسائي، وابن ماجه[١].

فأما الفلَاسفة المشركون؛ فَهُم أعداء الأنبياء، وليس لهم من الحكمة الموروثة عن الأنبياء حظٌّ ولا نصيب البتة، وبسبب كفرهم وعنادهم فقد أوتوا شرًّا كثيرًا، وجهلًا عظيمًا، ومع هذا يزعمون ويزعم المقلدون لهم أنهم من أهل الحكمة، ويحسبون أنهم علىٰ شيءٍ ألَا إنهم هم الكاذبون.

ومنها: أنه قرَّر في (صفحة١٢٩) أن كل أرض من الأرضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سماءين، وهناك ما يستضيء به أهلها؛ سابحًا في فلك بحر قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ونسبة كل أرض إلىٰ سمائها نسبة الحلقة إلىٰ الفلاة، وكذا نسبة السماء إلىٰ السماء التي فوقها.

قلت: هذا كله تخبيطٌ وهَذَيانٌ لا دليل عليه، وسيأتي بيان بطلانه إن شاء الله تعالىٰ.

ومن هذا القبيل ما ذكره في (صفحة٣٠) عن ابن عربي[٢]، أنه قال: «إن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٢) هو النَّكِرة، واسمه: محيي الدِّين محمد بن علي بن محمد بن عربي، الحاتمي،=

الله تعالىٰ خلق الأرض سبع طبقات، وجعل كل أرضٍ أصغَر مِن الأخرىٰ؛ ليكون علىٰ كل أرض قبة سماء، وأن السموات علىٰ الأرضين كالقباب علىٰ كل أرض، سماء أطرافها عليها نصف كرة، وكرة الأرض لها كالبساط؛ فهي مدحية، دحاها من أجل السماء أن تكون عليها». انتهىٰ تخبيطه وهذيانه.

ومنها: **قوله في (صفحة١٣٠)**: «ويمكن أن تكون الأرضون وكذا السموات أكثر من سبع، والاقتصار علىٰ العدد المذكور الذي هو عدد تام لا يستدعي نفي الزائد».

قلت: «هذا باطلٌ مردود؛ لمخالفته لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة، الدَّالَّة علىٰ أن السموات سبع فقط، وأن الأرضين سبع فقط».

ومخالفته -أيضًا- لإجماع أهل السنة والحديث، فقد ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه «**الفرق بين الفرق**» إجماع أهل السنة علىٰ أن

=

الطائي، الأندلُسِي، أشهر غُلاة المُتصَوِّفين، صاحب الطريقة الأكبرية، وُلِد في (٥٥٨هـ)، كان كثير الاطِّلاع علي جميع الدرجات التَّنسُّكِيَّة في كل الأديان والمذاهب كالإغريق، وأفكار فيثاغورس، وأفلاطون؛ مما أدَّىٰ به للشطح، وزعَم أنه رأىٰ العرش الإلهي المحمول علىٰ أعمدةٍ مِن لهَب متفجِّر، ورأىٰ طائرًا بديع الصُّنع يُحَلِّق حول العرش، ويصدر إليه الأمر بأنْ يَرْتَحِلَ إلىٰ الشَّرق! وله خرافات أخرىٰ، توفي (٦٣٨هـ)، انظر: «الوافي بالوفيات» (١/ ٨٣)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٥٣)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص٤٧٣).

السموات سبع طباق، خِلَاف قول مَن زعم مِن الفلاسفة والمُنَجِّمِين أنها تِسْع.

وذكَرَ شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عن أبي بكر الأنباري أنه ذكر إجماع أهل الحديث والسنة علىٰ أن الأرضين سبع، بعضهن فوق بعض.

وقال الشيخ محمد بن يوسف الكافي في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»:

«**المسألة التاسعة عشرة:** الأرضُ عقيدة المسلمين فيها أنها سبع أرضين، واحدة تحت واحدة، كما أن السماء سبع، واحدة فوق واحدة؛ فمن قال واعتقد أنها واحدة لا تعدد فيها؛ يكفر لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

ولتكذيبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبره أيضًا».

ثم ذكر ما رواه الإمام أحمد، والشيخان عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(١).

وما رواه الإمام أحمد، والبخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ»(١).

ومنها أنه في (صفحة ١٣٠) أشار إلىٰ ما قرره في (صفحة ١٢٩) مِن «أن كل أرض من الأرضين السبع محمولة بيد القدرة، بين كل سماءين» إلىٰ آخر كلامه.

ثم قال: «وليس ذلك مما يصادم ضروريًّا مِن الدِّين، أو يخالف قطعيًّا مِن أدلة المسلمين».

قلت: هذا قولٌ باطلٌ، مردودٌ بالنص والإجماع.

أما النص: فقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢)، والأحاديث بنحوه كثيرة، وليس هذا موضع ذكرها.

والخَسْف إنَّما يكون من تحت، ولا يكون من جهة العلو؛ فإنَّ ذلك يُسَمَّىٰ عُروجًا وصُعودًا ورُقِيًّا، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ** ١٤ ﴾ [الحجر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿**أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُسِفَ بِهِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**» دليل علىٰ أن الأرضين بعضهن فوق بعض، وأعْلَاهُنَّ ما نحن عليه.

قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»، بعد أن ساق عِدَّة أحاديث في إثبات سبع أرضين: قال: «فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين، والمراد بذلك: أن كل واحدةٍ فوق الأخرىٰ، والتي تحتها في وسطها عند أهْل الهَيْئةِ حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ السابعة، وهي صَمَّاء لا جوف لها، وفي وسطها المركز، وهي نقطة مقدرة متوهمة، وهو محط الأثقال؛ إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع». انتهىٰ[1].

وأما الإجماع:

فقال شَيخُ الإسْلامِ أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ رحمه الله تعالىٰ: «قد خلق الله سبع أرضين بعضهن فوق بعض، كما ثبت في الصحاح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِن الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٢١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٥٩) (٢٦٢٦٧) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، =

وقد ذكر أبو بكر الأنباري الإجماع علىٰ ذلك، وأراد به أهل الحديث والسنة». انتهىٰ[(١)].

ولو كان الأمر علىٰ ما ذهب إليه الآلوسي من كون الأرضين بين السموات، وكل أرض منها بين سماءين؛ لكَانَ المخسوف به إلىٰ سبع أرضين يخسف به علىٰ هذه الأرض التي نحن عليها، ثم يرفع فوق السماء الدنيا؛ فيخسف به في الأرض الثانية، ثم يرفع فوق السماء الثانية؛ فيخسف به في الأرض الثالثة، وهكذا إلىٰ الأرض السابعة التي هي -علىٰ قول الآلوسي- بين السماء السادسة والسماء السابعة؛ وهذا لا يقوله مَن له أدْنَىٰ مسكة من عقل.

ومجرد تصوره يكفي في معرفة فساده ومصادمته لِمَا هو معلوم بالضَّرورة من الدين، ومُخَالفَته لِمَا هو قطعي من أدلة المسلمين، وهو ما ذكرناه آنفًا من النص والإجماع، وستأتي بقِيَّة الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي، وقلة بركته مع الأمثلة علىٰ بطلان الهيئة الجَدِيدَة إن شاء الله تعالىٰ.

ومما ذكرته من هذه الأمثلة التي تقدم ذكرها، والأمثلة التي ستأتي يتَّضِح أن كتاب الآلوسي لا خَيْرَ فيه، وأنه لا يستحق المدح.

وأيضًا، فقد اشتمل علىٰ تعظيم ابن عربي الطَّائي، إمام القائلين بوَحْدَة

=

والطبراني في «الكبير» (٧١٨٦) من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٩٥).

الوُجود، وتلقيبه بمُحيي الدين، والترحم عليه، والنقل من هذيانه، وما كان كذلك، فليس فيه بركة، ولا يستحق المدح، وإنما يستحق الذَّم والتَّحذِير منه.

وقد ثبت عند المُحَقِّقِين أنَّ ابن عربي مِن أكفر أهل الأرض، ومِمَّن سعَىٰ في إماتة دين الإسلام، وإبداله بنِحْلَتِه الخبيثة التي هي شر مِمَّا كان عليه اليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل.

وقد قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ فيه وفي أشباهه أنهم أكفر من اليهود والنصارىٰ، وكلَام العلماء في تكفير ابن عربي كثيرٌ جدًّا.

وقد صنَّف العلَّامة برهان الدين البقَاعِي[1] كتابًا في تكفيره، وتكفير أشباهه من الاتِّحَادية، سمَّاه: «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي»، قال في أوله: «وينبغي أن يعلم أولًا أن كلامه دائر علىٰ الوحدة المطلقة، وهي أنه لا شيء سوىٰ هذا العالم، وأنَّ الله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته.

ثم إنه يسعىٰ في إبطال الدين من أصله، بما يحل به عقائد أهله بأن كل أحد علىٰ صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شيء، وعلىٰ تقدير وقوعه فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم ونحو ذلك».

---

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخٌ وأديب ومفسر، توفي (٨٨٥هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٦).

ثم ذكر البقاعي شيئًا كثيرًا من شطحات ابن عربي وأقواله الباطلة، وذكر أقوال العلماء في تكفيره وتكفير أشباهه؛ فأجاد وأفاد، وصنف -أيضًا- كتابًا آخر في تكفيره، وتكفير ابن الفارض(١)، ومن كان علىٰ طريقتهما سماه: «تحذير العباد من أهل العناد»، وقد طبع الكتابان معًا في مطبعة «السنة المحمدية» بالقاهرة في سنة (١٣٧٢هـ)، وسمَّاهما الناشر: «مصرع التصوف»؛ فليراجعهما مَن لا يعرف حال ابن عربي؛ ليرَىٰ كلام العلماء فيه.

وإذا كان الأمر في ابن عربي ما ذكرنا؛ فليس بسلفيٍّ مَن يعظمه ويترحم عليه، ويعتمد علىٰ هذيانه، ولا خير في كتاب يشتمل علىٰ تعظيمه وتعظيم أشباهه، والله المستعان.

الأمر الثاني من الأخطاء: زعم الآلوسي أن الهيئة الجَدِيدَة قويمة البرهان، وأن القرآن الكريم يعضدها.

---

(١) ابن الفارض، شاعر الوقت، شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المِصْرِي، صاحب الاتحاد، أي وحدة الوجود، صرح بذلك في التائية التي مطلعها:

نعَـمْ بِالصِّـبَا قَلْبِـي صَـبَا لِأَحِبَّتِـي ... فَيَـا حَبَّـذَا ذَاكَ الشَّـذَا حِـينَ هَبَّـتِ

وقد أَوْرَدَ الذهبي منها جملة في «تاريخ الإسلام»، ودلَّل بها علىٰ اتِّحَاده، روىٰ عن القاسم بن عساكر، وحَدَّثَ عنه المُنذري، توفي (٦٣٢هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (ص١٢٣-١٢٤)، و«شذرات الذهب» (٥/ ١٤٩-١٥٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٨).

والجواب أن يقال: ليس الأمر كذلك، بل الهيئة الجَدِيدَة عديمة البرهان، والقرآن العظيم يعارضها ويشهد ببطلانها، وكذلك السنة وإجماع المسلمين، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، نذكر منها ما تيسر، وبالله المستعان:

المثال الأول: قولهم: إن الشَّمس ثابتة، وأنها مركز العالم، وأن الأرض وسائر السيارات والثوابت تتحرك عليها.

وهذا قول باطل، تَرُدُّه نصوص القرآن والسنة، وقد تقدَّم ذكرها في أول الكتاب؛ فلتراجع.

المثال الثاني: قولهم: إن الأرض تدور علىٰ الشَّمس.

وهذا قول باطل، ترده الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنة.

ويرُدُّه -أيضًا- إجماع المسلمين علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنَّما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها، وقد تقدَّم ذلك؛ فليراجع.

وقد اضطرب قول الآلوسي في هذه المسألة والتي قبلها، فمَرَّة يوافق أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة علىٰ قولهم ويحتج لهم، ومَرَّة يذكر قولهم ويسكت، ومرَّة يخالفهم، ويقول: إنه يجب الرجوع في هذا إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسنة؛ وهذا القول هو الحق، لو كان الآلوسي يثبت عليه.

المثال الثالث: إنكارهم وجود السموات السبع. وذلك هو الكفر الصَّريح، والضلال البعيد؛ لمخالفته لنصوص الكتاب والسنة وإجماع

المسلمين، وكثير من جهال المسلمين يوافقونهم علىٰ هذا المذهب الباطل، وذلك ردة وخروج من دين الإسلام.

قال الآلوسي في (صفحة١٩) من كتابه الذي سماه: «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»: «وأما ما ذهب إليه متأخرو الفلاسفة، فلا سماء عندهم، بل الأجرام العلوية قائمة بالجاذبية، فإن الشَّمس وسائر الكواكب السيارات عليها، بل وجميع الثوابت ليست مركوزة في جسم من الأجسام».

إلىٰ أن قال: «غير أن المتأخرين لم يثبتوا من السموات سبعًا، ولا أكثر من ذلك ولا أنقص، والمتشرعون منهم قالوا: المراد من السموات السبع أصناف أجرام الكواكب، فإنهم جعلوها علىٰ سبعة أصناف في المقدار»؛ وذلك هو الضلال البعيد.

فلا يلزم أن يكون كل ما لم تصل إليه أيدي أفكارهم هو في حيز العدم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

فإن الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- كلهم أخبروا بوجود السموات في هذا الفضاء الذي ليس له مبدأ ولا انتهاء.

وهذا خاتمهم -صلوات الله عليه- قد ذكر ما ذكر مِمَّا رأىٰ في مِعْرَاجِه في السموات، واستفتاحه لها بواسطة جبريل؛ كل ذلك يبطل تأويل من أوَّل.

قلت: قد أجاد الآلوسي في رده علىٰ أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة في زعمهم عدم

السموات السبع، ولكنه أخطأ في قوله في الفضاء: إنه ليس له مبدأ ولا انتهاء، وقد تقدم رد ذلك مع الأمثلة التي تقدم ذكرها.

وذكر الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٣٤) عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن سعة الجو غير متناهية عندهم، ومعنىٰ هذا إنكار وجود السموات السبع.

وذكر -أيضًا- في (صفحة٣٨) عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنهم لا يعترفون بوجود السموات السبع علىٰ الوجه الذي نطقت به النصوص، وذكر -أيضًا- في (صفحة٨٦) أن أهل الفن اليوم لا يعترفون بأجرام علوية غير الكواكب.

قلت: وهذا من مزيد كفرهم وعنادهم. وقد اعترف فرعون بوجود السموات مع شدة كفره بالله، واعترف بذلك قوم شعيب ومشركو قريش؛ فَهُم إذًا أخفُّ كفرًا مِن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة.

قال الله تعالىٰ مخبرًا عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] الآية.

وقال تعالىٰ عن قوم شعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، والكسف القطع، وقال تعالىٰ عن مشركي قريش: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

والقول بنفي وجود السموات السبع معلوم البطلان بالضرورة من الدين.

والأدلة على إثبات السموات السبع من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشق استقصاؤها لكثرتها، وحسبنا أن نذكر ههنا طرفًا منها:

فمن ذلك: قول الله تعالى مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ [الملك: ٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ [فصلت: ١١-١٢].

وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧)﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

ففي هذه الآيات كلها النص علىٰ وجود السموات، والنص علىٰ أنهن سبع، ففي هذا رد علىٰ أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة الذين أنكروا وجود السموات.

وفيها -أيضًا- رد علىٰ الآلوسي، حيث زعم أنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع، وفي الآية من سورة «الطلاق» رد عليه -أيضًا- في زعمه أنه يمكن أن تكون الأرضون أكثر من سبع، وقد تقدم كلامه في ذلك قريبًا.

وفي الآية من سورة «عمَّ» النص علىٰ أن السموات مبنية، وأنها شداد؛ أي: في غاية الإحكام والشدة والكثافة.

وقد جاء في الأخبار عن بنائها عدة آيات من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨)﴾

[النازعات: ٢٧-٢٨].

وقد أخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه جعل السماء سقفًا لِمَا تحتها مِن المخلوقات، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥].

وأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -أيضًا- عن ارتفاعها بقوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥].

وأخبر تعالىٰ أن للسَّماء أبوابًا، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤-١٥].

وأخبر تعالىٰ أن في السموات سُكَّانًا، فقال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [الروم: ٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل: ٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورىٰ: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وأخبر تعالىٰ عن السموات أنهن يكَدْنَ يتفطرن من سماع دعْوَىٰ الولد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إعظامًا للرب، وإجلالًا له، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٢]، وقال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٥].

وأخبر تعالىٰ أنها تنشق يوم القيامة، وأنه يطويها ويجعلها في يمينه، فقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ [الانشقاق: ١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]؛ أي: انشقت.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]؛ **أي:** شقت.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]؛ **أي:** نزعت فطويت.

وقال الزَّجَّاج: «قلعت كما يقلع السقف»(١).

قال البغوي: «**ومعنىٰ الكشط**: رفعك شيئًا عن شيء قد غطاه، كما يكشط الجلد عن السنام»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[الزمر: ٦٧].

وأخبر تعالىٰ أن السماء والأرض قائمتان بأمره، وأنه يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه، وأنه يمسك السموات والأرض أنْ تزولَا.

والآيات الدَّالة علىٰ وجود السموات كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته كفاية لطالب الحق.

أما الأدلة علىٰ ذلك من السُّنة فكثيرة أيضًا، ونذكر ههنا طرفًا من ذلك:

فمنها: ما رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُتيتُ بِالبُرَاقِ -فذكر الحديث وفيه قال- ثُمَّ عُرِجَ بِي**

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٨).

إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ له: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ له: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ.

فَفُتِحَ لَنَا الْبَابُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ

إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ.

فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، الحديث، وقد رواه البخاري، والنسائي، وابن أبي حاتم بنحوه[1].

وفي رواية ابن أبي حاتم: «قَالَ: ثُمَّ أَخذَ بِيَدي جِبْرِيل، فصَعِدَ بِي إِلَىٰ السَّمَاء، فَلَمَّا انْتهَيْنَا إِلَىٰ البَاب، اسْتَفْتَح، فقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا جِبْرِيل. قَالُوا: ومَنْ معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّد. قَالُوا: وقَدْ بُعِثَ إِلَيْه؟ قَالَ: نعَمْ. قالَ: ففتَحُوا لَهُ، وقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ وَبمَنْ معَك. قَالَ: فَلمَّا اسْتوَىٰ عَلَىٰ ظَهرِهَا إذَا فِيهَا آدَمُ»، فذكر الحديث بنحو ما تقدم[2].

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن مالك بن صَعصَعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] حدَّثه أن نبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٨) (١٢٥٢٧).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم نحوها في «تفسيره» (١٣٥٥٧)، وأوردها السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٨٢) وعزاها لابن أبي شيبة.

(٣) هو الصحابي الجليل، مالك بن صعصعة بن وهب بن مالك بن عدي، من بني

حدَّثَهُم عن ليلة أُسري به، فذكر الحديث بنحو ما تقدَّم[(١)].

ومنها: ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُحَدِّث أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال...، فذكر الحديث بنحو ما تقدم[(٢)].

ومنها: ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحدِّث أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال...، فذكر الحديث بنحو ما تقدم.

ومنها: ما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «**دلائل النبوة**» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال له أصحابه: يا رسول الله، أخبِرنَا عن ليلة أُسْرِيَ بك؟ قال: فأخبرهم. فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه زيادات كثيرة[(٣)].

=

النجار، المشهور براوي حديث المعراج، سكن المدينة ومات فيها، لم يروِ سوىٰ حديثين. انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٠٠)، و«أسد الغابة» (٤/ ٤٠٩).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٨) (١٧٨٦٩)، والبخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٣٠١).

ومنها: ما رواه ابن جرير، والبيهقي عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنحو ما تقدم.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والبغوي عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كُنا جلوسًا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالبطحاء، فمرَّتْ سَحابة، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: «**وَالْمُزْنُ**»، قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «**وَالْعَنَانُ**»، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلَافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ**»»، وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد»، والحاكم في «مستدركه»[(١)].

وفي روايتهم، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ بَيْنَ السَّمَاءِ

---

(١) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠) شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدًّا»، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣).

وَالأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «**إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ العَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فَوْقَ ذَلِكَ**»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن أبي حاتم، والبزَّار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالِسٌ وأصحابُه، إذْ أتَىٰ عليهم سحاب، فقال نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا العَنَانُ، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ يَسُوقُهُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَىٰ قَوْمٍ لا يَشْكُرُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ**». ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ، مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ**» **حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ**

السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ»[١].

ومنها: مَا رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ما بين كل سماء إلىٰ الأخرىٰ مسيرة خمس مئة عام وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام وما بين السماء السابعة إلىٰ الكرسي مسيرة خمس مئة عام وما بين الكرسي إلىٰ الماء مسيرة خمس مئة عام والعرش علىٰ الماء والله علىٰ العرش ويعلم أعمالكم**»، إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم[٢].

ورواه من وجه آخر، ولفظه: «**ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام وبصر كل سماء خمس مئة -يعني غلظها-**»، وذكر بقيته بنحو ما تقدم[٣].

وهذا الحديث له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال مِن قِبَل الرَّأي، وإنما يقال عن توقيف.

ومنها: ما رواه ابنُ حِبَّان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ مُوسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَىٰ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: إِنَّمَا**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٠) (٨٨١٤)، والترمذي (٣٢٩٨)، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه ابن خريمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه ابن خريمة في «التوحيد» (٢/ ٨٨٥).

أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[(١)].

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وذكر تمام الحديث»[(٢)].

ومنها: ما رواه ابن مردويه عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكرسي، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ،

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٩٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩) (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٤).

وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ علَىٰ الكُرسِيِّ كفَضْلِ الفَلَاةِ علَىٰ تِلْكَ الحَلْقَةِ»(١).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو عند النوم: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ**»، الحديث، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين(٢).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ نبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهذه الدَّعوات عند الكرب: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ**

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر – في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٠٤) (٩٢٣٦)، والترمذي (٣٤٨١)، وابن ماجه (٣٨٣١).

السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(١).

ورواه ابن ماجه بإسناد صحيح، وعنده في آخره: «**سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم**»(٢).

ومنها: ما رواه النسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ير قرية يريد دخولها إلَّا قال حين يراها: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرِ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٣).

وقد رواه الطبراني بنحوه، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عطاء بن أبي مروان وأبيه، وكلاهما ثقة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٣٣).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٨٧٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٠٩)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٢٦٩٨).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٣١٥)، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧١١٨).

وروىٰ الطبراني -أيضًا- في «الأوسط» من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوه. قال الهيثمي: وإسناده حسن[١].

وروىٰ الطبراني -أيضًا- من حديث أبي معتب بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوه. قال الهيثمي: «وفيه راوٍ لم يُسَم، وبقية رجاله ثقات»[٢].

ومنها: ما رواه الترمذي عن بُريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: شكىٰ خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلَىٰ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق! فقال النبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَقُل: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، قال الترمذي: ليس إسناده بالقوي[٣].

ومنها: ما رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا تَخَوَّفَ أحدُكُمُ السُّلْطانَ فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمواتِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظيم، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلانِ بنِ فُلانٍ**»، الحديث[٤].

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير جنادة بن سلم، وقد وثّقه ابن

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥١٦)، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧١١٦).

(٢) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧١١٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٣)، قال الألباني في «الضعيفة» (٢٤٠٣): ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٨١٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٤٠٠).

حبان، وضعفه غيره[١].

والأحاديث الدالة علىٰ وجود السموات كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته كفاية، إن شاء الله تعالىٰ، ولو لم يكن منها إلَّا حديث واحد من أحاديث الإسراء؛ لكان كافيًا في الرد علىٰ أَهْل الهَيْئِةِ الجَدِيدَة الذين ينكرون وجود السموات، وقد اشتملت هذه الأحاديث علىٰ إثبات السموات، وأن لهن أبوابًا، وأن للأبواب حجابًا وخزنة، وأنه لا يدخل أحد من أبوابها إلَّا مِن بعد أن يؤذن له، ويفتح له الباب، وأن فيهن سُكَّانًا.

وفيها النص علىٰ أن السموات سبع.

ودل حديث العباس، وحديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ أن كِثَف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة.

وفيهما أيضًا، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن «بُعْدَ ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، وأن كل سَماءَيْنِ مسيرة خمس مئة سنة».

وفي الأحاديث عن أبي سعيد، وعبد الله بن عمرو، وأبي ذر، وصهيب، وأبي لُبابة، وأبي معتب بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ النص علىٰ أن الأرضين سبع كالسموات؛ فَفِي ذلك ردٌّ علىٰ الآلوسي في زعمه أنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع، وأن تكون الأرضون أكثر من سبع.

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٧١٣٥).

وإذا علم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ إثبات السموات السبع؛ فليعلم أيضًا أن الشَّيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ذكر في آخر كتابه «الفَرق بين الفِرق» عن أهل السنة، أنهم أجمَعُوا علىٰ أنَّ السَّموات سبع طِبَاق؛ خِلَاف قول مَن زعم من الفلاسفة والمُنَجِّمين أنها تِسْع؛ وفي هذا ردٌّ علىٰ مَن أنكر وجود السموات، وردٌّ علىٰ الآلوسي -أيضًا- في قوله: إنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع.

وقد قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»:

«**المسألة الخامسة عشر**: السماء عقيدة المسلمين فيها أنها بناء عظيم، وسقف لِمَا تحتها بلَا عَمد تُرىٰ، ووصفها الله تعالىٰ في كتابه العزيز بما ينطق بأنها بناء بالغ الغاية في الإتقان، مثل قوله تعالىٰ: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ**﴾ [الملك: ٣-٥].

فمن قال واعتقد أنها جوٌّ وفَضاء لا بناء، واستمر مُصَمِّمًا علىٰ ذلك؛ يكفر لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره: ﴿**وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ**﴾ [البقرة: ٢٢]، وفي خبره: ﴿**وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ**﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وفي خبره: ﴿**وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا**﴾ [الشمس: ٥]، وفي

قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، وغير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أنها بناء محكم». انتهىٰ.

المثال الرابع: زعمهم أن سَعة الجو غير متناهية، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة ٣٤)، وهذا قول باطل.

والحق: أن هذا الجو الذي نحن فيه ينتهي إلىٰ السماء الدنيا، ومسافته من كل جانب من جوانب الأرض خمس مئة سنة.

ثم بَيْنَ كل سمَاءَيْنِ فضَاء مسيرته مِن كل جانب خمس مئة سنة، وقد تقدَّم التَّنبِيه علىٰ ذلك، مع الأمثلة علىٰ نُقصَان كتاب الآلوسي، وقلة بركته، وخطأ الصواف في مدحه.

المثال الخامس: زعمهم أنَّ الشَّمس أعْظَم مِن الأرض بألفِ ألْفِ مرة، وثلاث مئة وثمانية وعشرين ألف مرة، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٣).

والجواب أن يقال: قد ذكر ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عن أهْل الهَيْئةِ القديمة أنهم اتفقوا علىٰ أن الشَّمس بقدر الأرض مئة مرة ونَيِّفًا وستين مرة.

وكل من الطرفين لا دليل لهم علىٰ ما قالوه سِوَىٰ الظنون الكاذبة، والرَّجم بالغيب، وإثبات مثل هذه الأمور يحتاج إلىٰ دليلٍ قاطع من كتاب الله تعالىٰ، أو مِن سُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وما لم يكن عليه دليل؛ فليس عليه تَعْوِيل.

ولو قال قائل: إنَّ الأرض أعظم مِن الشَّمس بكثير؛ لكان قوله أقرب إلىٰ

الصواب من قول أَهْل الهَيْئةِ القديمة، ومِن قول أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ١-٢].

قال البغوي وغيره في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]: «أي: تناثرت من السماء، وتساقطَتْ علَىٰ الأرض»(١)، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال: «يكور الله الشَّمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث ريحًا دبورًا فيضرمها نارًا»**، رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف، وكذا ذكر البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

قال ابن كثير: «وكذا قال عامر الشعبي»(٣).

قلت: ويَشْهَد لِهَذا الأثر ما رواه البخاري في «صحيحه» عن عبد الله الداناج، قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَة»**(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في (١٩١٤٢)، وانظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦)، وقد عزاهُ السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٦) لابن أبي الدنيا في «الأهوال».

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

ورواه البزَّار من حديث عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسَن، فجلس إليه فحدَّث، قال: حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثَوْرَانِ فِي النَّارِ عَقِيرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فقال الحسَن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: وما ذنبهما؟!»، إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم(١).

وروَىٰ أبو يَعْلَىٰ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**»، قال الهيثمي: فيه ضعفاء قد وُثِّقُوا(٢).

قلت: وما تقدَّم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد له ويقويه.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الشَّعبي أنه سَمِعَ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وجهنم هو هذا البحر الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه الشَّمس والقمر، ثم يوقد فيكون هو جهنم»(٣).

وروَىٰ الإمام أحمد، وابن جرير، والحاكم عن يعلىٰ بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٨٦٩٦).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٤١١٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٩٤).

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقهُ الذهبي في «تلخيصه»(١).

وفِيمَا ذكرنَا دليل علَىٰ أنَّ الأرض أعْظَم مِن الشَّمس والقمَر، والكَواكب؛ لأنَّ الجَمِيع ينتثر يوم القيامة في البحر فيسعها كلها، ولو كانت الشَّمس بقدر الأرض، أو أعظم منها لملأت الأرض كلها، وزادت عليها بكثير.

وعلىٰ قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة تكون الشَّمس أعظم مما بين السماء والأرض، وهذا لا يشبه كلَام العُقَلاء، وإنَّما هو هذَيان يشبه كلام المَجانِين.

ونقول -أيضًا- مَن الذي ذهب مِن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أو غيرهم إلىٰ الشَّمس، وقاسَها، وعلم مقدارها، وما بينها وبين الأرض مِن التَّفاوت العظيم في الكبر، وإذا كان هذا ممتنعًا في حق البشَر، فمِنْ أين لهم العلم بقدرها علىٰ الوجه الذي حددوه تحديد من ذهب إليها وقاسها، أو من كان معه نصٌّ عن الله تعالىٰ أو عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطابق ما قاله.

وأيضًا، فهذه الأرض التي خُلِقُوا منها، وعاشُوا عليها لم يَطَّلِعُوا عليها كلها مع كثرة طوافهم فيها، وكثرة ما لديهم من وسائل الاكتشاف، وقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه العزيز عن يأجوج ومأجوج.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٣) (١٧٩٨٩)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٢).

وعن سد ذي القرنين الذي بناه دونهم، وأخبَر أنَّهم يخرجون في آخر الزَّمان، وكذلك أخبَر رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم في عِدَّة أحاديث، وأخبر أنهم يخرجون في آخر الزَّمان؛ فيحصُرون المُسلِمين، فيدعو عليهم نبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه؛ فيهلكهم الله تعالىٰ وهم من بني آدم بلَا خِلَاف.

ومع هذا لم يطلع عليهم، ولا علىٰ سَدِّ ذي القرنين أحد من هؤلاء الكذَّابين الذين يزعمون مقدار الشَّمس والقمر، وغيرهما من الأجرام العلوية، ويعلمون ما فيها من المواد.

وكذلك قد جاء في حديث تميم الدَّاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ الدَّجال موثَّق بالحَدِيد في بعض جزائر البحر.

وقد حدَّث تميم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديثه، فصَدَّقه رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبَر النَّاس بذلك، ومع هذا لم يطلع علَىٰ الدَّجال أحد بعد أهل السفينة الذين كانوا في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيقال للذين يزعمون أنهم اكتشَفُوا علىٰ الأجرام العلوية، وعلِمُوا مَوادَّها ومقاديرها: إنكم قد عجزتم عن اكتشاف جميع الأرض التي خُلِقتُم منها، وعِشْتُم فيها، فأنتم عن اكتشاف الأجرام العلوية أعجز وأعجز، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

أَطُـلَّاب النُّجُـومِ أحْلتمُونَـا ... عَلَـىٰ خَبَـرٍ أدَقَّ مِـنَ الهَبَـاءِ

عُلُـومَ الأَرْضِ لَـمْ تَصِـلُوا إِلَيْهَـا فكَيْـفَ وصَـلْتُمُ خبَـرَ السَّـماءِ

والكلام في مقادير الأجرام العلوية وأبعادها وموادها، وما جعل الله فيها يحتاج إلىٰ نصٍّ قاطعٍ عن الله تعالىٰ، أو عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ ذلك من أمور الغيب التي لا تعلم إلَّا من طريق الوحي، ولا نص في ذلك البتة.

وما لم يخبر الله به ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمور الغيب فالواجب الإعراض عنه، وعدم الخوض فيه لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فأما الاعتماد علىٰ الأرصاد في معرفة مقادير الأجرام العلوية وأبعادها وموادها، وما جعل الله فيها كما هو شأن أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، وأتباعهم فذلك من التخرُّص، واتِّباع الظن، والرَّجم بالغيب، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وأيضًا، فإنَّ الله تعالىٰ قد عظَّمَ شأن الأرض في كتابه، ونوَّه بذكرها أكثر مِمَّا عظَّم مِن شأن الشَّمس والقمر والكواكب، وقرن خلقها مع خلق السموات في عدة آيات من القرآن.

وأخبَر أنه خلقها، وما فيها في أربعة أيَّام، وأنه خلق السموات وما فيهن في يومين، وذلك يدلُّ علىٰ عِظَم الأرض، وأنها أكبر من الشَّمس والقمر وسائر الكواكب.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ ﴾ [الشورىٰ: ٢٩] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية، وقال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة الدَّالة علىٰ عِظَم الأرض وسعتها.

وقد جاء في تعظيم خلق الأرض أحاديث كثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

منها: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تقدَّم ذكره، وفيه أن الله تعالىٰ قال: **«لَوْ أَنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**(١)، ونحوه ما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذكر وصية نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابنه، وقد تقدم أيضًا.

وكذلك حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ»**، الحديث، وقد تقدَّمَ ذِكره(٢).

وروىٰ الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي عن عبد الله بن

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]»، الآية(١).

وروىٰ الإمام أحمد، والترمذي -أيضًا- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُوَ جَالِسٌ، قَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَىٰ ذِهْ -وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ-، وَالْأَرْضَ عَلَىٰ ذِهْ، وَالْمَاءَ عَلَىٰ ذِهْ، وَالْجِبَالَ عَلَىٰ ذِهْ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ ذِهْ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ. قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح(٢).

والأحاديث الدالة علىٰ عِظَم الأرض كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته ههنا كفاية إن شاء الله تعالىٰ.

المثال السادس: زعمهم أنَّ القمَر دون عظم الأرض بتسع وأربعين مرة.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥١) (٢٢٦٧)، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٥٤٥).

ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤)، وهذا من نمط ما قبله من التخرص والرجم بالغيب.

المثال السابع: زعمهم أن بُعد الشَّمس عن الأرض أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنسي، وهو المُقَدَّر بمسافة ساعة وخمس مئة ألف فرسخ، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤).

وهذا مِن نمَط ما قبله من الهذيان، فإن هذه المسافة التي ذكروها تطابق اثني عشر ألف سنة أو قريبًا من ذلك، وهذا يقتضي أن تكون الشَّمس فوق السماء السابعة بمقدار خمسة آلاف، وأن تكون فوق الكرسي أيضًا، وهذا باطل قطعًا، فإنَّ الشَّمس في السماء بنص القرآن، وليست فوق السموات السبع.

والصواب في هذا أن يقال: الله أعلم بمقدار بعد الشَّمس عن الأرض، ولم يخبرنَا الله ولا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بُعدها بشيء نعتمد عليه، ولو كان في ذلك فائدة تعود على المكلَّفين في أمر دينهم أو دنياهم لَبيَّنه الله تعالىٰ لهم، ولم يهمله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

فالواجب علىٰ المسلم أن يتمسك بما جاء عن الله تعالىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسكت عمَّا سكت الله ورسوله عنه، ولا يتكلف ما لا علم له

به، فإنَّ ذلك مِمَّا نَهىٰ الله عنه قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: ٣٦].

المثال الثامن: زعمهم أنَّ القمر من سيارات السيارات؛ لأنه يدور حول الأرض ودورانها حول الشَّمس. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة ٣٤).

والجواب أن يقال: أمَّا قولهم بدوران القمر علىٰ الأرض فهو صحيح، يجري في الفلك ويدور علىٰ الأرض، وكذلك الشَّمس وسائر الكواكب؛ فكلها تجري وتدور علىٰ الأرض، هي المركز للجميع كما تقدم في أوَّل الكتاب.

وأما قولهم: إنَّ القمَر من سيارات السيارات، وإنَّ الأرض تدور حول الشَّمس فهو مِن نمَط ما قبله مِن التخرُّص، والقول بغير علم، وقد تقدم رده في أول الكتاب.

وقد تناقض قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في مدَار القمر، وذلك أنهم زعموا أن الشَّمس هي المركز الثَّابت، وأن الأرض وجميع السيارات تدور عليها، وأقربها إلىٰ الشَّمس عطارد، ثم الزُّهرة، ثم الأرض، ثم القمر، ثم المريخ.

وعلىٰ هذا القول ينتفي الكسوف عن الشَّمس؛ لأن القمر إنَّما يدور عليها من وراء مدار الأرض، فلا يتوسط بين الأرض وبين الشَّمس.

وكسوف الشَّمس إنما يكون بسبب حيلولة القمر بينها وبين الأرض.

ولما عَلِم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة بما في هذا القول من الفساد قالوا: إن القمر من سيارات السيارات، وإنه يدور علىٰ الأرض، والأرض تدور هي وقمرها علىٰ الشَّمس.

وهذا باطل قطعًا؛ لأنها لو كانت تدور علىٰ الشَّمس، مع ما زعموه من البُعد المُفرِط بينها وبين الأرض؛ لكان مدار الأرض وقمرها من فوق الكرسي بمسافة بعيدة جدًّا، وكانا يخترقان السموات السبع في حال دورانهما، وهذا من أبطل الباطل، وأيضًا فالدوران إنما يكون علىٰ مركز ثابت، وما ليس بثابت كالسيارات فليس بمركز يدار عليه.

المثال التاسع: زعمهم أن البُعد الأبْعَد للقمر عنها -أي: عن الأرض- أحد وتسعون ألفًا وأربع مئة وخمسون فرسخًا، والبُعد الأقرب له ثمانون ألفًا ومئة وخمسة فراسخ؛ فيكون البُعد الأوْسَط نحو ستة وثمانين ألف فرسخ. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤).

وهذا من نمط ما قبله مِن الهذَيان والتَّخَرُّص، وذلك أن مسافة البعد الأبعد تُطابِق إحدىٰ وثلاثين سنة وتسعة أشهر تقريبًا.

ومسافة البعد الأوسط تطابق تسعًا وعشرين سنة وعشرة أشهر تقريبًا.

ومسافة البعد الأقرب تطابق سبعًا وعشرين سنة وعشرة أشهر تقريبًا.

والقرآن العظيم يرد هذا القول ويُبطِله، قال الله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ

فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

ففي هذه الآيات النَّص علىٰ أن القمر في السماء.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال: «بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام»**، وقد تقدَّمت الأحاديث بذلك في أول الكتاب.

وفيها مع الآيات التي ذكرنا ردٌّ لِمَا تخَرَّصَهُ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في بُعد القمر عن الأرض.

المثال العاشر: تسميتهم الأرض كوكبًا. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣)؛ وهذا خطأ وضلَال.

وإنَّما أطلقوا عليها اسم الكوكب؛ لأنَّهُم زعَمُوا أنها تسير كما تسير الكواكب وتدور علىٰ الشَّمس، وقد تقدَّم رد هذا وبيان بُطلَانِه في أثناء الكتاب؛ فليراجع.

المثال الحادي عشر: زعمهم أن في النجوم الثَّوابت شموسًا، مثل هذه الشَّمس أو أكبر منها.

وذكر الآلوسي عنهم في (صفحة٦٨) أن النجوم الثَّوابت يُعَد كل واحد منها شمسًا لا يرىٰ توابعها للبُعد الشاسع.

وقال محمد رشيد رضا في (صفحة٦٣٧) من الجزء السابع من «تفسيره»: «وإنَّنا نقتبس مما نقل عن علماء الهيئة كلمة في أبعاد بعض النجوم الثوابت التي هي شموس من جنس شمسنا».

وقال -أيضًا- في (صفحة٦٣٨): «ومِن الاعتِبَار قول صاحب «المقتطف» لَمَّا انتهىٰ من الكلَام علىٰ النظام الشَّمسي، ورجَّح أنه لا يصلح شيء من سياراته لحياة البشر غير الأرض، وأنه يحتمل أن تكون سيارات سائر الشموس كذلك، وكلها أكبر من هذه الشَّمس».

والجواب أن يقال: هذا كله تخرُّصٌ ورَجْمٌ بالغيب، والقرآن يرد هذا الزَّعم الكاذب، وكذلك السُّنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، والحسن، وقَتادة: «البروج هي الكواكب العِظَام»(١).

وقال البغوي: «هي النُّجوم الكبار، مأخوذة مِن الظُّهور، يقال: تبرجت

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٢٠).

المرأة؛ أي: ظهرت»(١).

وقال أيضًا: «وسُمِّيَت بروجًا لظهورها»(٢).

وقال تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذه الآيات النص علىٰ أن الشَّمس والقمر في السماء، وفيها النص علىٰ أن الله تعالىٰ جعل الكواكب زينة للسماء الدُّنيا ورجُومًا للشياطين.

وإذا كان كل مِن الشَّمس، والقمر، والنجوم في السماء، فلِمَ ظهرت هذه

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧١).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ٩٢).

الشَّمس وحدها، واختفت شموس أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، مع أنهم يزعمون أن كُلًّا منها أكبر من هذه الشَّمس؛ فهذا مما يدل علىٰ بطلان قولهم.

وروىٰ الإمام أحمد، والشيخان، والدارمي، وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً»**، الحديث، وقد رواه الترمذي مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح(١).

وروىٰ مسلم -أيضًا- من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه موقوفًا.

ورواه الإمام أحمد مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسناده إسناد مسلم.

وروىٰ الإمام أحمد -أيضًا-، والترمذي، والطبراني عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه أيضًا، وقال: الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وروىٰ الطبراني -أيضًا- في «الأوسط» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه. قال الهيثمي: وإسناده صحيح.

وفي هذه الأحاديث دليل علىٰ أن أعظم كوكب في السماء لا يبلغ نوره مثل نور القمر، فضلًا عن ضوء الشَّمس؛ ولهذا تكون الزمرة الأولىٰ من أهل الجنة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

علىٰ صورة القمر، وتكون الزُّمرة الثَّانية علىٰ أشد كوكب في السماء إضاءة.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن كَوْنِ النجوم الثوابت شموسًا مثل هذه الشَّمس، أو أكبر منها؛ لكانت الزمرة الثانية من أهل الجنة أفضل من الزمرة الأولىٰ، وأعظم نورًا منهم بكثير، وهذا باطل قطعًا، والأحاديث الصحيحة تَرُدُّه.

وروىٰ الطَّبَراني عن أبي أُمَامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا كان يوم القيامة قامت ثلة من الناس يسدون الأفق نورهم كالشَّمس، فيقال: النبي الأمي، فيتحشحش**[1] **لها كل نبي، فيقال: محمد وأمته، ثم تقوم ثلة أخرىٰ تسد ما بين الأفق نورهم مثل كل كوكب في السماء فيقال: النبي الأمي، فيتحشحش لها كل نبي**»، الحديث، قال الهيثمي: رجاله وُثِّقوا[2].

وفي روايةٍ له أُخرَىٰ عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**تخرج يوم القيامة ثلة غر محجلون فتسد الأفق، نورهم مثل نور الشَّمس، فينادي مناد: النبي الأمي، فيتحشحش لها كل نبي أمي، فيقال: محمد وأمته، فيدخلون الجنة ليس عليهم حساب ولا عذاب، ثم تخرج ثلة أخرىٰ غرًّا محجلين، نورهم مثل نور القمر ليلة البدر، فتسد الأفق، فينادي مناد: النبي الأمي،**

---

(١) عند الطبراني: «**فيَتحَسَّس**».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٩٦).

فيتحشحش[١] **لها كل نبي أمي، فيقال: محمد وأمته، فيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم تخرج ثلة أخرىٰ نورهم مثل أعظم كوكب في السماء، يسد الأفق نورهم، فينادي مناد: النبي الأمي، فيتحشحش لها كل نبي أمي، فيقال: محمد وأمته، فيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، الحديث، قال الهيثمي: رجاله وثقوا علىٰ ضعف فيهم[٢].

وهذا الحديث كالأحاديث قبله، يدلُّ علَىٰ أنَّ أعظم الكواكب لا يبلغ نوره مثل نور القمر؛ فضلًا عن نور ضوء الشَّمس.

وروىٰ الإمام أحمد، والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ**»[٣]، وهذا الحديث يدلُّ علىٰ أن ضوء الكواكب كلها لا تقاوم ضوء الشَّمس، فضلًا عن أن يكون فيها ما هو أكبر من الشَّمس وأعظم منها ضوءًا بكثير.

وفي هذا الحديث والأحاديث قبله رد علىٰ الذين يتخرَّصُون في الكواكب، ويدعون فيها بأشياء لا مستنَد لها سِوَىٰ الظنون الكاذبة.

---

(١) عند الطبراني: «فيتحسَّس».

(٢) أخرجها الطبراني في «الكبير» (٧٧٣٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٦٩) (١٤٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٦٥).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، ثم قال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [الفاتحة: ١-٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وأيضًا، فإن الله تعالىٰ لم يذكر في كتابه سوىٰ شمس واحدة، وكذلك الرسول ﷺ لم يذكر سِوَىٰ شمس واحدة، ولو كان هناك شموس غيرها؛ لبيَّنها الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقَدْ تركنا رَسُولُ اللهِ ﷺ ومَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ جَناحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَر لنَا مِنْهُ عِلْمًا»، رواه ابن جرير(١).

ومِن هذا القبيل من التخرص والرجم بالغيب: زَعْمهم أنَّ الأقمار عشرون قمرًا، واحد منها للأرض، واثنان للمريخ، وأربعة للمُشتري، وثمانية لزحل،

---

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (٥٢٢)، والطيالسي في «مسنده» (٤٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٣) (١٦٢)، والبزار في «مسنده» (٣٨٩٧)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤٨)، والأثر قويٌّ بطرقه.

وأربعة لأورانوس، وواحد لنبتون.

ذكر ذلك محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة المعارف».

وهذا قول باطل مردود بقول الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

فذكر تعالىٰ أنه جعل في السماء بروجًا، وهي الكواكب الكبار من السيارات وغير السيارات، وأنه جعل فيها سراجًا، وهو الشَّمس، وقمرًا منيرًا، وهو القمر المعروف.

وفي هذه الآية دليل علىٰ أنه ليس في السماء سوىٰ شمس واحدة، وقمر واحد، ولو كان فيها شموس وأقمار سوىٰ هذه الشَّمس وهذا القمر؛ لذكرَهَا الله تعالىٰ في كتابه، قال الله تعالىٰ: **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ٣٨].

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال لقومه: **﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾** [نوح: ١٥-١٦].

وفي هاتين الآيتين أوْضَح دليل علىٰ أنه ليس في السموات السبع سوىٰ شمس واحدة، وقمر واحد؛ وفيهما أبلغ رد علىٰ ما يهذو به طواغيت الإفرنج من الشموس والأقمار التي لا وجود لها.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية.

فذكر تعالىٰ أنه خلق الشَّمس، والقمر، والنجوم، وسخَّرها بأمره؛ وفي هذا أوضح دليل علىٰ أنه ليس في السماء سوىٰ شمس واحدة، وقمر واحد، وما سواهما من اللَّامعات فكلها نجوم.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فذكر تعالىٰ أن الليل والنهار، والشَّمس والقمر آيات من آياته الدالة علىٰ كمال قدرته، وعظيم شأنه، وأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له دون مَن سواه.

وفي هذه الآية دليلٌ علَىٰ أنه ليس في الوجود سِوَىٰ شمس واحدة وقمر واحد، ولو كان فيه شموس وأقمار سوىٰ هذه الشموس وهذا القمر؛ لذكرها الله تعالىٰ مع هذه الآيات العِظَام.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧].

فذكر تعالىٰ في الآية الأولىٰ الليل والنهار، والشَّمس والقمر، وذكر في الآية الثَّانية النجوم، وهي ما عدا الشَّمس والقمر مِن الأجرام السماوية.

وهذه النجوم التي نصَّ الله عليها في كتابه، وذكر أنه جعلها لعباده ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، هي التي يزعم طواغيت الإفرنج أن منها شموسًا أكبر من هذه الشَّمس بكثير، وأن منها أقمارًا سوىٰ هذا القمر، وفي هذه الآية الكريمة أبلغ رد عليهم.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ٧-١٠].

فذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّ القَمر يُخسَف يوم القيامة، وأنه يجمع بينه وبين الشَّمس.

وفي الحديث الصحيح أنهما يكوران يوم القيامة، وأنهما ثوران في النار عقيران، رواه البخاري، والبزار من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتقدم ذكره قريبًا(١).

وفي هذا دليل علىٰ أنه ليس في السماء سوىٰ شمس واحدة وقمر واحد، ولو كان في السَّماء شموس وأقمار متعدِّدة كما يزعمه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لقال: (وجمعت الشموس والأقمار).

---

(١) سبق تخريجه.

ولقال النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (الشموس والأقمار مكورات يوم القيامة، وإنها ثيران عقيرة في النار).

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]. فذكر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الشَّمس بلفظ المفرد؛ لأنها واحدة، وذكر النجوم بلفظ الجمع؛ لأنها متعددة، ولو كان في السماء شموس متعددة لذكرها بلفظ الجمع كما ذكر النجوم بلفظ الجمع في الآية التي ذكرنا، وفي آيات كثيرة سواها.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١-٢]، فذكر كُلًّا مِن الشَّمس والقمر بلفظ المُفرَد، لأنَّ كلًّا منهما مفرد لا نظير له، ولو كان في السماء شموس وأقمار متعددة لذكرها بلفظ الجمع.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، الآية فذكر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كُلًّا من الشَّمس والقمر بلفظ المفرد؛ لِاتِّحاد كلٍّ منهما، ولو كان في الوجود شموس وأقمار متعددة؛ لذكرها بلفظ الجمع.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] الآية، فذكر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الشَّمس والقمر بلفظ المفرد؛ لأن كُلًّا منهما لا نظير له، وذكر ما سواها بلفظ الجمع؛ لأن كل جنسٍ منها متعدد.

والآيات الدالة علىٰ بطلان قول أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في تعدد الشموس والأقمار أكثر مما ذكرنا، وفيما ذكرنا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وقد جاء عن النبي ﷺ في عدة أحاديث صحيحة أنه قال: «**إن الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته**»، فذكر كُلًّا مِن الشَّمس والقمر بلفظ المفرد؛ لأنه لا نظير لواحد منهما، ولو كان هناك شموس وأقمار متعددة لعبَّر عنها بلفظ الجمع.

والأحاديث التي ذكرت فيها الشَّمس أو القمر بلفظ المفرد كثيرة جدًّا، وفيما ذكرنا كفاية لمن أراد الله هدايته.

المثال الثاني عشر: زعمهم أنَّ صِغَار الكواكب الثوابت أعظم من الأرض، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة١٢٢).

وهذا من جنس ما قبله مِن التخرُّص والرَّجم بالغيب، وقد قدَّمنا ذكر الآيات والآثار الدالة علىٰ تكوير الشَّمس والقمر والنجوم في البحر يوم القيامة؛ وهذا يدل علىٰ أن الأرض أعظم من الشَّمس والقمر، وسائر الكواكب، وقد تقدَّم إيراد ذلك قريبًا بما أغنَىٰ عن إعادته.

المثال الثالث عشر: هذَيانهم في بُعْدِ النجوم الثوابت عن الأرض.

قال الآلوسي في (صفحة٦٨): «والنجوم الثوابت ليست من النظام الشَّمسي، بل هي أنظمة مستقلة، تُرَىٰ منها شمسُنا كما تُرَىٰ هي من عندنا؛ أي:

نقطًا لامعةً نيِّرةً في القبة الزرقاء».

وذكر محمد رشيد رضا في تفسيره سورة «الأنعام» عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة: «أن النسر الطائر يبعد عن الأرض سبعة وثمانين ألف ألف ألف ميل، يعني قريبًا من أحد عشر ألف ألف سنة.

وأن النسر الواقع يبعد عن الأرض مئة وثمانين ألف ألف ألف ميل، يعني قريبًا من إحدىٰ وعشرين ألف ألف ألف سنة.

وأن السماك الرَّامح يبعد عن الأرض ثلاث مئة ألف ألف ألف ميل، يعني قريبًا من خمسة وثلاثين ألف ألف ألف سنة».

قال: «وأول مَن قاس أبعاد النجوم بالضبط الفلكي «ستروف»، فإنه قاس بُعد النسر الواقع سنة (١٨٣٥) إلىٰ سنة (١٨٣٨) ميلادية، فجاءت نتيجة قياسه مطابقة لنتيجة القياسات الحديثة، مع أنَّ الفلكِيِّين يستخدمون الآن من الوسائل ما لم يكن معروفًا في عصره». انتهىٰ[1].

قلت: وهذا كله باطلٌ وضلَالٌ، وهذَيانٌ يشبه هذيان المجانين، والدليل علىٰ بطلانه، قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] الآية.

---

(١) «تفسير المنار» (٧/ ٣٥٠-٣٥١).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾

[الحجر: ١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، والبروج هي الكواكب العظام.

فدلت هذه الآيات بالنص علىٰ أن الكواكب كلها قد جعلت زينة للسماء، ودلت الآيات الثَّلاث الأُوَل علىٰ أنها قد جُعلت زينة للسماء الدنيا.

والنسر الطائر، والنسر الواقع، والسماك الرامح، والسماك الأعزل من جملة الكواكب التي قد جعلت زينة للسماء الدنيا.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة»، رواه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة من الصحابة، وهُم:

عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، والعباس، وأبو سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ(١).

وروي -أيضًا- عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ موقوفًا، وله حكم الرفع كنظائره، وقد تقدَّمَت هذه الأحاديث مع الأدلة علىٰ سكون الأرض وثباتها؛ فلتراجع.

وروىٰ الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، وأبو يعلىٰ، والبزار، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ، وَيْلٌ لِلْأُمَنَاءِ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلًا**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وفي روايةٍ لأحمد، والحاكم أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَيُوشِكَنَّ رَجلٌ أَنْ يتمَنَّىٰ أَنَّه خَرَّ مِن الثُّرَيَّا ولَم يَلِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٣).

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن النجوم الثوابت في السماء الدنيا، فإن الثريا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا، والطبراني في «الكبير» (٩٠٠٥) موقوفًا علىٰ ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٥٢١) (١٠٧٦٩)، والطيالسي (٢٦٤٦)، وأبي يعلىٰ (٦٢١٧)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٣٦٩٨).

(٣) أخرجها أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٧) (٨٨٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠١٥).

من جملة الثوابت، ولو عُلِّقَ فيها شيء كان متدليًا بين السماء والأرض، ولو خَرَّ منها شيءٌ خرَّ علىٰ الأرض.

وفي هذا الحديث مع ما تقدم من الآيات والأحاديث أبلغ رد علىٰ ما يهذو به طواغيت الإفرنج في أبعاد النجوم الثوابت، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: ٣-٤].

ومِمَّا ذكَرْنَا من الآيات والأحاديث يعلم أنه ليس بيننا وبين النجوم الثَّوابت إلَّا مسيرة خمس مئة سنة.

وأين هذه المسافة مما يهذو به طواغيت الإفرنج من ملايين الملايين من السنين.

وقد قال بعض السلف: «إن ارتفاع العرش عن الأرض السابعة خمسون

ألف سنة»، ورواه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، ولو كان الأمر في النجوم الثوابت على ما يزعمه طواغيت الإفرنج ومَن يصدقهم ويحذو حذوهم مِن جهال المسلمين؛ لكانت الثوابت فوق العرش؛ وهذا مِن أبطل الباطل، فإنه ليس فوق العرش شيء سوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما قولهم: إن هذه الشَّمس تُرىٰ من الثوابت نقطة لامعة كما تُرىٰ الثوابت من عندنا نقطًا لامعة»؛ فهو مِن جنس ما قبله مِن الهذَيان والتخرُّص، ومَن هو الذي ذهب إلىٰ النجوم الثوابت فرأىٰ الشَّمس منها نقطة لامعة؟! وإذا كان الذهاب إليها ليس في مقدرة أحد من البشر، فهل كان عندهم خبرٌ ثابتٌ عن الله تعالىٰ، أو عن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك؟ وإذا كان ذلك معدومًا فليس لهم دليل سوىٰ آرائهم الفاسدة، وظنونهم الكاذبة، وتوهماتهم الخاطئة، وقد قدَّمنا مِن الآيات والأحاديث ما يكفي في رَدِّها، والنداء علىٰ بطلانها.

المثال الرابع عشر: هذَيانهم في وصول نور الشَّمس والكواكب إلينا.

فأما الشَّمس، فزعَمُوا أن نورها يصل إلينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة ٣٤).

وأما الكواكب الثوابت فزعموا أن منها ما لا يصل نوره إلىٰ الأرض في مئة سنة، بل أكثر مع شدة سرعة الضوء. ذكره الآلوسي -أيضًا- في (صفحة ٣٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٩٨٧).

وقال محمد رشيد رضا في (صفحة٦٣٧) من الجزء (السابع) من «تفسيره»: «وقد وجد بالرصد أن أقرب النجوم منا لا يصل نوره إلينا إلا في أربع سنوات ونحو نصف سنة، ومن النجوم ما لا يصل النور منه إلينا إلَّا في ألف سنة أو أكثر، فالنجم المسمىٰ بـ«النسر الطائر» يصل النور منه إلينا في أربع عشرة سنة ونصف سنة، والنجم المُسمَّىٰ بـ«النسر الواقع» يصل النور منه إلينا في نحو ثلاثين سنة، والنجم المسمىٰ بـ«السماك الرامح» يصل النور منه إلينا في نحو خمسين سنة».

قلت: هذه الأقوال كلها تخرُّصات وظنون كاذبة، وقد رأَيْنَا نور الشَّمس ينتشر علىٰ ما قابلَهُ مِن حين يبدو طرف قرصها علينا، إذا لم يكن هناك حائل من غيم أو قتر، وكذلك النسر الطائر، والنسر الواقع، والسماك الرامح، وغيرها من الكواكب النيرة كلها يرىٰ نورها مِن حين تبدو مِن الأُفُق، إذا لم يكن هناك حائل يمنع من رؤيتها، وهذه الكواكب من زينة السماء الدنيا كما نصَّ الله علىٰ ذلك في كتابه؛ فالتَّفرِيق بين أبعادها ووصول نورها إلىٰ الأرض تفريق بين أشياء متماثلة، وذلك باطل مردود.

المثال الخامس عشر:

قال الآلوسي في (صفحة٩٤): «وذهَب المتأخِّرون مِن الفلَاسفة إلىٰ أن العالم كله كان قطعة واحدة فأصابته صدمة فتفرق إلىٰ ما يرىٰ من الأجرام وكثر

منهم في ذلك القيل والقال».

قلت: وهذا من نمط ما قبله من الهذيان الذي يشبه هذيان المجانين، وهل يكون في إمكان الصَّدمة أن تضع الأرض والسموات، والشَّمس والقمر والنجوم علىٰ هذا الوضع العجيب، وأن تنسقها هذا التنسيق المُحكَم الذي لا يقدر عليه إلَّا الله الذي يقول للشَّيء: كُن فيكون؛ فهو الذي خلقها ورتَّبها علىٰ هذا الترتيب الباهر الذي هو الغاية في الإتقان.

قال الله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

فالأجرام السُّفلِيَّة، والأجرام العُلوِيَّة لم تصب بصدمة أبدًا كما يزعمه أعداء الله تعالىٰ، وإنَّما قيل لها: كوني؛ فكانت، كما أراد فاطِرُهَا ومُوجِدُها من العدم، لا إله إلا هو ولا رب سواه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن اليهود أتت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فسألَتْهُ عن خَلْق السموات والأرض؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلَقَ اللهُ الأرْضَ يَوْمَ الأحَد وَالإثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبَالَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ وَما فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأرْبعاء الشَّجَرَ وَالمَاءَ وَالمَدَائِنَ وَالعُمْرَانَ والخَرَابَ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ، ثُمَّ قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠﴾** [فصلت: ٩-١٠] **لِمَنْ سأله. قالَ: وَخَلَقَ يَوْمَ الخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الجُمْعَةِ النُّجُومَ والشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالمَلائِكَةَ إِلَىٰ ثَلاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ فَخَلَقَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلاثَةِ الآجَالِ حِينَ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ، وفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَىٰ الآفَةَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّالِثَةِ آدمَ وَأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بالسُّجُودِ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ**»(١).

وروىٰ ابن جرير -أيضًا- عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢) أنه قال: «**إِنَّ اللهَ بَدَأَ الخَلْقَ يَوْمَ الأحَد، فَخَلَقَ الأرَضِينَ فِي الأحَدِ والإثْنَيْنِ، وخلَقَ الأقْواتَ والرَّواسِيَ فِي الثُّلاثَاءِ والأرْبعَاء، وخلَقَ السَّموات في الخَمِيس والجمُعَة، وفرغ**

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) هو الصحابي الجليل، الإمام الحَبْر، المشهود له بالجنَّة، عبد الله بن سلام بن الحارث، من ذرية يوسف، وكان من خواصِّ أصحاب النبيِّ، وكان يهوديًّا من يهود بني قينقاع، لَزِمَ المدينة المنورة يَعِظ ويُفْتِي، ويَشْرح أُمور الدِّين حتَّىٰ تقدَّم به العمُر، وتوفي (٤٣هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٥٣)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤١٣).

في آخِر سَاعةٍ من يَوم الجمُعَة؛ فخَلقَ فِيهَا آدَم علَىٰ عَجَل، فتلك السَّاعة التي تَقُوم فيها السَّاعة»(١).

وروىٰ ابن جرير -أيضًا- من طريق السُّدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناسٍ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ**﴾ [البقرة: ٢٩].

قال: إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كان عرشه علَىٰ الماء، ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء، فلمَّا أراد أن يخلق الخَلْق أخرج من الماء دُخَانًا، فارتفع فوق الماء، فسَمَا عليه، فسمَّاه سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿**۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا**﴾ [فصلت: ٩-١٠]، يقول: أنبت شجرها ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا**﴾، يقول: أقواتها لأهلها ﴿**فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ**﴾

يقول: قل لمن يسألك: هكذا الأمر، ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: ١١]، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماءً

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٣٧).

واحدة، ثم فتقها؛ فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سُمِّيَ يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار، وجبال البَرد، وما لا يعلمه غيره، ثم زيَّن السماء الدنيا بالكواكب؛ فجعلها زينة وحِفظًا تحفظ من الشياطين، فلمَّا فرغ من خلق ما أحب استوىٰ علىٰ العرش؛ فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]»(١).

وقال البغوي في «تفسيره»، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادة والسُّدي: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحىٰ إلىٰ كل سماءٍ ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة». انتهىٰ(٢).

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وما ذكر بعده من الآثار عن الصحابة والتابعين دليلٌ علىٰ أنَّ كل شيء من العالم قد خُلِق علىٰ حِدَتِه، وأن الأرض خُلِقَت قبل السماء وما فيها من الشَّمس والقمر والنجوم.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٣٥-٤٣٦) بتصرف.

(٢) «تفسير البغوي» (٧/ ١٦٦).

بل في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ الشَّمس والقمر والنجوم خُلِقت يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة التي خلق الله فيها الخليقة؛ وفي هذا أبلغ رد علىٰ ما زعمه أعداء الله من أن العالم كله كان قطعة واحدة، فأصابته صدمة فتفرق إلىٰ ما يرىٰ مِن الأجرام.

المثال السادس عشر: زعمهم أنَّ الأجرام العلوية ممسكة بالجاذبية. ذكره الآلوسي عنهم في مواضع كثيرة من كتابه، وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، وما لم يكن عليه دليل؛ فليس عليه تعويل.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦**﴾[الإسراء: ٣٦].

المثال السابع عشر: زعمهم أنَّ في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشَّمس وسائر السيارات، وظنوا أنَّ فيها مخلوقات، نحو سكنة الأرض، وزعموا أنَّ فيها بحارًا وأنهارًا. ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (١٠١ و١٠٢ و١٢٩)، وهذا من التخرُّص، والرَّجم بالغيب.

وقد تقدم التنبيه علىٰ ذلك، مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي؛ فليراجع.

المثال الثامن عشر: ما في تخرُّصاتهم في الشَّمس والقمر مِن التناقض والتخبيط.

فمن ذلك: أنهم قالوا: إن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالَم، وأنَّ الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرَّك عليها، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة (٢٣، ٢٩)، ثم نقضوا قولهم هذا؛ فزعموا أن للشمس حركة علىٰ نفسها.

ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (٣٣ و٦٦)، ثم نقضوا ذلك؛ فزعموا أن للشمس حركة علىٰ كوكب من كواكب الثريا.

وجوَّزوا أن يكون لذلك الكوكب حركة علىٰ كوكب آخر أبعد منه، وهكذا إلىٰ ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ. ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (٣٤ و١١٩ و١٢٩).

ثم نقضوا ذلك فزعموا أن النجوم الثوابت أنظمة مستقلة. ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (٦٨).

قلت: أما قولهم: إنَّ الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالم؛ فهو مردود بما تقدَّم في أول الكتاب من النصوص الدالة علىٰ جريَانها ودورانها علىٰ الأرض.

وأما قولهم: إنَّ الأرض تتحرَّك علىٰ الشَّمس؛ فهو مردود بما تقدَّم في أول الكتاب من الأدلة الكثيرة علىٰ سكون الأرض وثباتها.

وأما قولهم: إنَّ للشمس حركة علىٰ نفسها، أو علىٰ كوكب من كواكب

الثريا؛ فقد تقدم التنبيه علىٰ بطلانه، مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي.

وأما قولهم: إن النجوم الثوابت أنظمة مستقلة؛ فمعناه أن كل واحد منها يُعَد مركزًا ثابتًا كالأرض، وله توابع من النجوم تدور عليه كما تدور الشَّمس والقمر والنجوم علىٰ الأرض.

وقد ذكر الآلوسي في (صفحة٦٨) عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنهم قالوا في النجوم الثوابت إن كل واحد منها يعد شمسًا، لا يرىٰ توابعها للبعد الشاسع.

قلت: وإنَّما قالوا: يعد شمسًا؛ لأن عندهم أنَّ الشَّمس هي المركز الثَّابت الذي تدور عليه الأرض والسيارات من النجوم، بخِلَاف ما عليه المسلمون من القول بثبات الأرض، وأنها هي المَركز الذي تدور عليه الشَّمس والقمر والنجوم.

وقد ذكرت في «المثال الثالث عشر» نموذجًا مِن هذَيان أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في بُعدِ النُّجوم الثوابت عن الأرض، واختِلَاف بعضها عن بعض في البُعد، وذكرت الأدِلَّة علَىٰ بُطلان قولهم، وفيها النَّص علىٰ أنَّ الكواكب كلها مِن زينة السَّماء الدُّنيا.

وإذا كانت النجوم الثَّوابت مِن زينة السماء الدنيا، فليس لشيءٍ منها نظام يتبعه، ويدور عليه؛ لأنها لو كانت لها توَابع تدور عليها لكانت توابعها تخترق السماء في حال دورانها، وهذا باطل.

وإنَّما قالوا بدوران الشَّمس علىٰ الثُّريا، وأنَّ النجوم الثَّوابت لكلِّ واحدٍ منها نظام يتبعه، ويدور عليه؛ لأنهم يرون أن سَعة الجو غير متناهية، وأنه ليس فوقنا سماوات مَبْنِيَّة شِدَاد، وقد تقدَّم رد هذا في «المثال الثالث»، و«المثال الرابع».

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وفي هاتين الآيتين إشارة إلىٰ أنَّ الشَّمس والقمر والنجوم كلها تجري وتَدُور علىٰ الأرض؛ لقيام مصالح العباد ومعايشهم، ولهذا امتن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم بذلك في هذه الآية الأخيرة، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧].

قال قتادة: «**خلق الله النجوم لثلاث:** جعلها زينة للسماء، ورُجومًا للشَّياطين، وعلامات يُهتدَىٰ بها، فمَن تأوَّل فيها غير ذلك فقد أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به»، ذكره البخاري في «صحيحه»؛ تعليقًا مجزومًا

به، ووصله عبد بن حميد، وابن أبي حاتم وغيرهما[١].

وإذا عُلِم هذا، فالنجوم الثوابت كلها في فلَكٍ واحدٍ تدور فيه جميعًا علَىٰ ترتيبٍ واحدٍ لا يتقدم شيء منها عن موضعه، ولا يتأخَّر عنه كما هو مشاهد.

وقد قرَّرَ ذلك الإمام أبو الحُسَين أحمد بن جعفر بن المنادي، وذكر أنه لا خِلَاف بين العلماء في ذلك، ونقله عنه شيخ الإسلَام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ، رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-.

ومِن تنَاقُضِهم أيضًا أنهم شكَّلوا للنِّظام الشَّمسي شكلًا في وسطه الشَّمس، ثم عطارد، وبعده الزهرة، ثم الأرض، ثم القمر، ثم المريخ، إلىٰ آخر ما زعموه من السيارات، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٦٧).

ثم نقضوا ذلك، فزعموا أن القمر مِن سيَّارات السيارات، وليس من السيارات. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤)، وقد تقدَّم الكلَام علىٰ هذا التَّناقض في المثال الثَّامن؛ فليُرَاجع.

المثال التاسع عشر: زعمهم أنَّ الأرض جِرم مِن الأَجْرَام السَّماوية ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٦٧).

وعلىٰ هذا الزَّعم الكاذب، والرَّأي الفاسد اعتمَد كثيرٌ مِن جُهَّال

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا (٦/ ٢١١) في بدء الخلق، باب في النجوم، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٥٧).

المسلمين؛ فكانُوا لذلِكَ يُسَمُّون الأرض الكوكب الأرضي؛ ولَازِمُ هذا القول أن تكون الأرض مِن جملة الزِّينة التي زيَّن الله بها السماء الدُّنيا وجعلها رجومًا للشَّياطين؛ وهذا من أبطل الباطل.

وكيف تكون الأرض جِرْمًا مِن الأجرام السَّماوية، وبينها وبين السَّماء مسيرة خمس مئة عام، هذا لَا يقوله مِن له أدْنَىٰ مسكة من عقل، وقد تقدَّم التَّنبيه علىٰ هذا الخطإ الكبير، عند قول الصوَّاف أن لونا (٩) أرسلت صورًا تلفزيونية إلىٰ الكوكب الأرضي؛ فليراجع.

وإذَا كان حاصل الهيئة الجَدِيدَة ما ذكرنا مِن هذه الأمثلة، فكيف يقال: إنها قويمة البرهان، وإن القرآن يُعضِّدها؛ هذا قول باطل مردود، والصواب أنها عديمة البرهان، والقرآن شاهد ببطلانها.

الأمر الثالث من أخطاء الصواف: زعمه أنَّ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مُسلِمُون عرف أكثرهم بالتقوىٰ والصلاح.

والجواب أن يقال: هذا تَمْوِيهٌ وتَلْبِيس علىٰ الجهَلة الأغبياء، وليس الأمر كما زعمه الصواف.

فإنَّ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة ليْسُوا من المسلمين، وإنَّما هم من فلاسفة الإفرنج.

وقد صرَّح الآلوسي في (صفحة٢٣) من كتابه الذي سماه «ما دل عليه

القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، أنهم هرشل الإنكليزي وأتباعه أصحاب الرصد والزيج الجديد، وأنهم هم الذين تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأوَّلون في أمر الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مركز، وأنَّ الأرض والنُّجوم دائرة حولها.

وذكرهم -أيضًا- في صفحة (٣٣ و٤٦ و٥٩ و٩٥)، وأشار إليهم في مواضع كثيرة سوىٰ هذا الموضع، وسمَّىٰ منهم هرشل في صفحة (٢٣ و٣٤ و٤٥)، وسمىٰ منهم أيضًا في صفحة (٣٣ و٣٤) أولبوس، وهاردنق، وبياظي، وسمىٰ منهم محمد رشيد رضا، وستروف.

وقد ذكر محمد فريد وجدي في «دائرة المعارف» منهم كوبرنيك البولوني، وتيخو براهي الدانماركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتين الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، ومنهم أيضًا داروين الإنجليزي؛ فهؤلاء الفلاسفة كلهم من الإفرنج، وهُم أسَاطِين الهيئة الجَدِيدَة.

وأقوالهم هي التي أوْدعَها الآلوسي في كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، فهل يقول الصَّواف: إنهم مسلمون معروفون بالتقوىٰ والصلاح؟

أمَّاذا يجيب به عن قوله الذي لم يتبين فيه، وفيما يترَتَّب عليه مِن الحُكم لأعداء الله تعالىٰ، بالإسلام والتَّقوىٰ والصَّلاح.

فإن ادَّعىٰ أنَّهم غير هؤلاء الذين سمَّاهم الآلوسي وغيره.

فالجواب أن يقال: أنت إنَّما اعتمدت علىٰ كتاب الآلوسي، وما نقله عن علماء الهيئة الجَدِيدَة.

والآلوسي لم ينقل عن أحدٍ مِن عُلماء المسلمين في أمر الهيئة الجَدِيدَة شيئًا، ولا ادَّعىٰ أنَّ علماء الهيئة الجَدِيدَة مسلمون.

وقد صرَّح في (صفحة٢٣) أن هرشل الفيلسوف وأتباعه هم أصحاب الرَّصد والزيج الجَدِيدَة، وأنهم هُم الذين تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأولون في أمر الهيئة، وقالوا بأنَّ الشَّمس مركز، وأن الأرض والنجوم دائرة حولها.

وهذا صريح في تعيين أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وأنهم من الإفرنج لا من المسلمين.

وفيه إبطال لِمَا يدَّعي به الصواف في غيرهم إن ادَّعَىٰ ذلك.

ولو فرضنا أن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مسلمون، ومعروفون بالتقوىٰ والصَّلاح كما زعمه الصوَّاف؛ لمَا كانت ظنونهم وتخرُّصَاتهم في السموات والأرض، والشَّمس والقمر والنجوم مقبولة مِن أجْلِ إسلَامهم وتقواهم وصلاحهم، وإنَّما هي مردودة عليهم لمُخالفتها لمَدلُولِ الكتاب والسُّنة، وإجماع المسلمين.

وقد ذكرت تسعة عشر مثالًا مِمَّا نقله الآلوسي مِن الأقوال الباطلة، ونبهت علىٰ بطلانها؛ فليراجع.

الأمر الرابع: **قوله**: إن رأي الآلوسي هو الكفاية في ردِّ الأمر إلىٰ نِصَابه،

وبيان الحق الصُّراح وصوابه.

والجواب أن يقال: ليست الكفاية في أقوال الرِّجال وآرائهم، وإنَّما الكافية في كتاب الله تعالىٰ وسُنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فهما المِيزَان العدل الذي تُوزَن به أقوال الرِّجال وآرائهم، فمَا وافقَهُما فهو حق مقبول، وما خالفَهُما؛ فهُوَ باطل مردود، وقد اضطرب قول الآلُوسِي فيما نقله عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ففي بعض المواضع يوافقهم، ويتعسَّف في تطبيق الآيات علىٰ ما يوافق أقوالهم.

وفي بعض المواضع يذكر أقوالهم، ويسكت وفي بعض المواضع يخالفهم، ويقول: إنه يجب الرُّجوع في هذا إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسُّنة، وأنه لا يسلم لهم إلَّا ما لم يلزم منه محذور في الدين.

وهذه المواضع التي خالفهم فيها، وقال: إنه يجب الرُّجوع إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسنة هي التي رد الأمر فيها إلىٰ نِصَابه، وأتىٰ بِبَيان الحق وصوَابه، وما سواها فهو باطِل مردود؛ لمخالفته لمدلول الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين.

وقد ذكرت كثيرًا مِن أخطائه في أوَّل هذا الفصل، ونبَّهت علىٰ بُطلَانها؛ فلتراجع.

الأمر الخامس: **قوله**: إنَّ علماء الإسلام قد نطقوا بما نقله الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة قبل أن يكون للكفار والمشركين علم فلك، ولا نظر في النجوم.

والجواب أن يقال: ليس هذا بصحيح، وإنَّما هو في الحقيقة مكابرَة وتمويه

علىٰ ضعفاء البصيرة.

إذْ مِن المعلوم أنَّ أول مَن تكلَّم في علم الهيئة والنجوم هم فلاسفة اليونان، وكانوا قبل زمان المسيح بدهرٍ طويل، وكانوا مشركين يعبدون الكواكب والأصنام، ولم ينقل عن أحد مِن سلَف الأمة، وأئمَّتها مِن الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم بإحسانٍ أنهم تكلَّموا في علم الهيئة بشيءٍ؛ حتَّىٰ عُرِّبَت كتُب اليونان في زمَنِ المأمون، فظهر الكلَام في علم الفلك والنُّجوم منذ ذلك الزمان، ولم يكن يعاينه ويشتغل به إلَّا الفلَاسفة والمنجمون الذين هم من أقل الناس حظًّا في الإسلام، وكثير منهم يُظهِرون الإسلَام نفاقًا وتَقِيَّةً.

ومنهم مَن هو أضر الإسلام والمسلمين مِن اليهود والنَّصارىٰ كنَصِير الشِّرك الطوسي(١)، وابن سينا(٢)، وأمثالهما مِن رؤساء الفلَاسفة الذين

---

(١) أبو جعفر، المسمىٰ بنصير الدين الطوسي، شيخ الشيعة، وصاحب التصانيف، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، قَدِمَ بغداد، وتفقَّه أوَّلًا للشافعي، ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية، ولزمه وبرع، وعمل التفسير، أعرض عنه الحُفَّاظ لبدعته، وقد أُحرِقَت كتبه عدَّة نوب في رحبة جامع القصر، واستتر لمَّا ظهر عنه مِن التنقص بالسلف، وكان يسكن بالكرخ محلة الرافضة، ثم تحول إلىٰ الكوفة، وأقام بالمشهد يفقههم، ومات سنة (٤٦٠هـ). انظر: «طبقات السبكي» (٤/ ١٢٦-١٢٧)، و«الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة» (٢/ ١٤) و(٢٦٩)، و(٤٨٦) و(٣/ ٣٢٨) و(٥/ ١٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٣٤).

(٢) ابن سينا، العلامة الشهير الفيلسوف، أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن

ينتسبون إلىٰ الإسلام، وهم في غاية البُعد عنه.

ولم يذكر عن أحدٍ مِن عُلماء المسلمين، ولا الفلاسفة المنتسبين إلىٰ الإسلام أنهم قالوا بشيءٍ مِن أقوال أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة سِوَىٰ القول بكروية الأرض، وليس أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أوَّل مَن قال بذلك؛ حتَّىٰ ينسب القَوْل به إليهم، وإنَّما هو مأثور عن علماء المسلمين.

وقد تقدم كلَام شيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تَيمِيَّة -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في ذلك، وما ذكَرَهُ مِن الاتِّفاق علىٰ ذلك في أوَّل الكتاب مع الأدِلَّة علَىٰ سكون الأرض واستقرارها، وكذلك ما نقلَهُ عن أبي الحُسَين بن المنادي أنه حكَىٰ الإجماع علىٰ ذلك؛ فليُرَاجع.

وقد كان القول بسكون الأرض واستقرارها، وجريان الشَّمس والقمر والنجوم هو المَعروف عند المسلمين، وقد حكَىٰ القُرطبِيُّ إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك، وأوَّل مَن قال بخِلَاف هذا هو كوبرنيك البولوني وأتباعه من الإفرنج؛ ذكره عنهم محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة المعارف».

ثُمَّ قال به هرشل الإنكليزي وأتباعه من الإفرنج، كما صرَّح بذلك

=

علي بن سينا، البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب، والفلسفة، والمنطق، كان شيعيًّا إسماعيليًّا. انظر: «تاريخ حكماء الإسلام» للبيهقي (ص٥٢-٧٢)، و«تاريخ الحكماء» للشهرستاني (ص٤١٣-٤٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٣١).

الآلوسي في (صفحة٢٣) من كتابه الذي كان الصوَّاف ينقل منه ويعتمد عليه.

وكان كوبرنيك في آخر القرن العاشِر من الهجرة، وكان مولد هرشل في سنة (١٧٣٨) ميلادية، ومات في سنة (١٨٢٢)، وهرشل وأتباعه هم الَّذِين كان الآلوسي ينقل عنهم، ويتعسف في تطبيق الآيات علىٰ ما يوافق أقوالهم.

وليْسُوا مِن عُلماء الإسلام كما قد زعمه الصواف، وإنَّما هم مِن أعداء الإسلام، ولا يخلو الصوَّاف في زعمه فيهم من أحد أمرين:

إما إرادة التَّمويه والتَّلبيس علىٰ الجهَلة الأغبياء بما لا حقيقة له في نفس الأمر.

وإما شدة الغباوة فيه، حيث نبَا فهمه عمَّا صرح به الآلوسي في صفحة (٢٣ و٣٣ و٣٤ و٣٦ و٥٩ و٩٥) من كون أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من الإفرنج.

الأمر السادس: ما نقله الصوَّاف عن الآلوسي بما ذكره عن أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، أنَّهم قالوا: إنَّ الأرض جرم مِن الأجرام السماوية، وأنها تابعة للشمس ودائرة حولها، وأنَّ النجوم الثَّوابت أنظمة مستقلة تُرىٰ منها شمسنا كما تُرَىٰ هي من عندنا؛ أي: نُقَطًا لامعةً نيِّرة في القبة الزَّرقاء.

وأن الأرض كروية الشكل، وأنها سابحة في الفضاء، وأنَّ لها حركة يومية علىٰ محورها، وحركة سنوية علىٰ الشَّمس، وأن القرآن لم يُذكر فيه شيء مِمَّا يخالف ما عليه أَهْل الهَيْئةِ اليوم.

والجواب أن يقال: كل ما ذكره هَهُنا باطل سِوَىٰ القول بكُروِيَّة الأرض، وقد تقدَّم الرَّد عليه في مواضع كثيرة؛ فأغنىٰ عن إعادته هَهُنا.

الأمر السابع: ما نقَلُه الصَّوَّاف عن الآلُوسِي أنه قال: «وفي الخبر «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ**»، الحديث[1].

قال الآلوسي: «وهَذَا لا يُنافِي حركة الأرض اليومية والسَّنوية التي قال بها أهْل الهَيْئةِ، فإنَّ الله تعالىٰ لو لم يَخلُق في الأرض الجبال؛ لمَادَتْ فلما ألقىٰ فيها الرواسي، وهي الجبال انتفىٰ ذلك».

ووجه كون الإلقاء مانعًا مِن اضطِرَاب الأرض، أنها كسَفِينة علىٰ وجه الماء، والسَّفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلىٰ جانب، وإن وضعت فيها أجرَام ثِقيلَة تستقر؛ فكذا الأرض لو لم يَكُن عليها هذه الجبال؛ لاضطربت، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثَّقيلة المَوضُوعة في السَّفينة بالنسبة إليها، والمقصود أنَّ جعل الرَّواسي فيها لا يعارض حرَكَتها بوجهٍ مِن الوُجوه، كما أنَّ السَّفينة إذا كان فيها أجرَام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلىٰ جانب لا ينافي حركتها.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

والجواب أن يقال: إنَّ الخبَر الذي ذكره الآلُوسِي حُجة عليه، فإن فيه أنَّ الأرض كانت تَمِيد، فلمَّا ألقيت الجبال عليها استقرَّت، وهذا نصٌّ في سُكون الأرض وثَباتها، والاستقرار ينافي السير والحركة كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ علم ومعرفة.

وأما تشبيه الأرض بالسفينة علىٰ وجه الماء، وأنها إذا وضعت فيها أجرام ثقيلة لم تمنع حركتها وسيرها؛ فهو تشبيه غير مطابق، لأن الأرض قد أرسيت بالجبال من جميع نواحيها، والجبال متوجهة بثقلها نحو المركز الذي هو وسط الأرض؛ فصارت للأرض كالأوتاد التي تمنعها من الحركة، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)﴾ [النبأ: ٦-٧].

قال ابن منظور في «لسان العرب»: «وأوتاد الأرض الجبال لأنها تثبتها». انتهىٰ[(١)].

وإذا كانت الجبال أوتادًا للأرض فالتشبيه المطابق هو تشبيهها بالسفينة التي قد وضع فيها ما يثقلها، وأوتدت بالأوتاد في مرساها؛ فوقفت فيه ولم تتحرك.

وأما قول الآلوسي: «إنَّ السَّفينة إذا وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر، فكَذا الأرض لو لم يَكُن عليها هذه الجِبَال لاضطربت».

(١) «لسان العرب» (٣/ ٤٤٥).

إلىٰ أن قال: «إنَّ جعل الرَّواسي فيها لا يُعارض حرَكتها بوجهٍ مِن الوُجوه.

فجوابه أن يقال: إنَّ الاستِقرَار ينافِي السَّير والحرَكة، كما هو معروف في لغة العرب.

قال في «القاموس»: «وشرحه قرَّ بالمكان، يَقَرُّ بالكسر والفتح، قَرارًا وقُرورًا، وقَرًّا، وتَقِرَّةً: ثبت وسكن، فهو قارٌّ، كاستقرَّ وتقَارَّ، وهو مستقر». انتهىٰ[1].

وإذا كان الاستقرار معناه الثبات والسكون، فاستقرار الأرض المذكور في الخبر المتقدم معناه سكونها وثباتها، وذلك ينافي حركتها وسيرها.

وكذلك استقرار السفينة معناه وقوفها وثباتها في مرساها، وذلك ينافي حركتها وسيرها.

وأما أن يقال في السفينة السائرة إذا وضعت فيها الأجرام الثقيلة التي تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلىٰ جانب: إنها مستقرة في حال سيرها وجريانها في الماء؛ فهذا لا يُعرف في لغة العرب.

وقد حاول الآلوسي الجمع بين استقرار الأرض وحركتها، واستقرار السفينة وحركتها؛ وذلك خطأ مردود من وجهين:

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٥٩٢) بتصرف.

أحدهما: مخالفته لغة العرب.

والثاني: جمعه بين النقيضين.

الأمر الثامن: **قوله**: «فهل رأيتم كلامًا أصرح من هذا الكلام في كروية الأرض وحركتها؟».

والجواب أن يقال: أمَّا كروية الأرض، فقد تقدَّم ما هو أصرح منه في كلام شيخ الإسلام أبي العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- وما نقله عن أبي الحسين ابن المنادي في ذلك.

وأما حركتها فقد تقدَّم رده وبيان بطلانه، وذكرت هناك الأدلة من الكتاب والسُّنة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها.

وما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي من إجماع أهل السُّنة علىٰ ذلك، وكذلك ما حكاه القرطبي من إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك.

فهذا أصرح وأوضح مما ذهب إليه الصوَّاف، وجادل به من القول الباطل ليدحض به الحق.

الأمر التاسع: **قوله**: أليس هذا مِن مَفاخر علمائنا، وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية.

والجواب أن يقال: كل ما نقله الصوَّاف عن الآلوسي؛ فهو مِمَّا نقلَهُ

الآلوسي عن أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وهم كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما مِن فلَاسفة الإفرنج.

فهَؤُلَاء هم علماء الصوَّاف الذين يفتخر بهم، ويثني عليهم، وبئس العلماء هؤلاء، وهُم في الحقيقة مخذولون، وليسوا موفَّقِين.

ويقال -أيضًا-: ليس ما قاله أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في العلوم الكونية صوابًا، وقولًا سديدًا حتىٰ يفتخر بهم الصوَّاف ويثني عليهم.

وإنما هي تخرُّصات وظنون كاذبة، أَوْحَاها الشَّيطان إليهم، وخدعَهُم بها، وخدع بها علىٰ أيديهم وأيدي أتباعهم بشرًا كثيرًا، فخالفوا لأجلها نصوص الكتاب والسنة علىٰ جريان الشَّمس ووجود السموات السبع.

وخالفوا -أيضًا- الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، إلىٰ غير ذلك من أقوالهم المخالفة، لِمَا دل عليه الكتاب والسُّنة والإجمَاع، وقد تقدَّم التَّنبيه علىٰ ذلك في مواضعه.

ولو فرضنا أنَّ أحدًا من علماء المُسلِمِين سبق أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة إلىٰ ما قالوه مِن التَّخرُّصات في الأرض والسموات، والشَّمس والقمر والنجوم؛ لكان ذلك عيبًا ونقصًا علىٰ مَن قاله، واستحق بذلك الذم والتجدير من قوله.

ولم يَكُن ذلك مَنْقَبة وفضيلة يفتخر بها، ويثني علىٰ صاحبها كما ذهب إليه الصواف.

الأمر العاشر: قوله: إنَّ في كتاب الآلوسي من الكلام الواضح الذي يدل علىٰ ما بلغوه مِن الدَّرجات العليا في العلوم الكونية وحركات الأفلاك؛ رحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

والجواب أن يقال: إنَّ غالب ما ينقله الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مخالفٌ للكتاب والسُّنة وإجماع المُسلِمين.

وقد تقدَّم إيضاح ذلك في مواضع كثيرة، وما كان مخالفًا للكتاب والسنة وإجماع المسلمين؛ فهو بعيد مِن الوضوح غاية البُعد، وقد بلَغ الدَّركات السُّفلىٰ في السقوط والتَّخبِيط.

فأبعد الله أعداءه من أهْل الهَيْئةِ الجديدة، وجزَاهم عمَّا أدخلوه علىٰ أهل الإسلام مِن التَّخرُّصات والظنون الكاذبة شر الجزاء، فلقد كانوا كما قال الله تعالىٰ في أسلافهم: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وبعدُ، فهل تدري أيها الصوَّاف علىٰ مَن تترَحَّم، وتسأل الله أن يجزيهم عن الإسلام خير الجزاء؟ إنهم أعداء الله من فلاسفة الفرنج.

وأوَّلهم كوبرنيك البولوني، ثم أتباعه من الإفرنج، ومِن أعيانهم: تيخو براهي الدانمركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتن الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، وداروين الإنجليزي، وأولبوس الإنجليزي، وهارذنق، وبياظي، وستروف، فهؤلاء كلهم من

الإفرنج، وهم أساطين الهيئة الجَدِيدَة، وأقوالهم هي التي أودعها الآلوسي في كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، وقد تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك قريبًا في «الأمر الثالث»، و«الأمر الخامس».

فإن كنتَ لا تدري فتلك مُصيبةٌ ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

* * *

فصل

قال الصواف: إحاطة السماء بالأرض والقول بالجاذبية.

ثم نقل عن الآلوسي ما ذكره في (صفحة١٠٩) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]: «وما ذهب إليه أهْل الهَيْئةِ المُتأخِّرون مِن أنَّ قيام العالَم العُلوي والسُّفلي بالجاذبية لا يخالف الآية الكريمة، فالله سبحانه هو الذي أودع تلك الجاذبية، وبأمره كانت.

وفي الخبر: إنَّ الأرض بالنسبة إلىٰ السماء الدنيا كحلقة في فَلاة، وهما بالنسبة إلىٰ العرش كذلك».

ثم قال الصواف: «فسبحان مَن لا يُحِيط بشيءٍ مِن علمه أحد».

والجواب أن يقال: أما ما ذكره الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ المتأخرين مِن أنَّ قيام العالَم العلوي والسُّفلي بالجاذبية، فهذا لا دليل عليه مِن كتابٍ ولا سُنة،

وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل، وقد تقدَّم التنبيه علىٰ ذلك قريبًا.

وأما ما ذكره مِن الخبَر في عظم السَّماء الدُّنيا بالنسبة إلىٰ الأرض؛ فهو غلط.

ولفظ الحديث عن أبي ذر الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سأل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الكرسي؟ فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاة، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ علَىٰ الكُرسِيِّ كفَضْلِ الفَلَاةِ علَىٰ تِلْكَ الحَلْقَة**»، رواه ابن مردويه[1]، وقد تقدَّم التنبيه علىٰ ذلك في أول الفصل الذي قبل هذا الفصل.

وأما قوله: «فسبحان مَن لا يحيط بشيءٍ مِن علمه أحد؛ فهو خطأٌ ظاهر، ويلزم علىٰ هذا الإطلاق أن يكون بنو آدم كلهم جهَّالًا، الأنبياء فمَنْ دُونَهُم،

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

وكذلك الملائكة ومؤمنو الجن».

والصواب: إثبات ما أثبته الله تعالىٰ، مِن إحاطتهم مِن علمه بما شاء أن يعلموه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكل ما يعلمه العباد من العلم الصحيح؛ فهو مما أطلعهم الله تعالىٰ عليه مِن علمه، وشاء أن يعلموه.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ [النساء: ١٦٦].

قال ابن كثير: «أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدىٰ والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه، ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالىٰ المقدسة التي لا يعلمها نبيٌّ مُرسَل ولا ملَكٌ مُقرَّب، إلا أن يعلمه الله به». انتهىٰ(١).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٦).

وروى الإمام أحمد، والبزار، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: يَا عِيسَىٰ، إِنِّي بَاعِثٌ بَعْدَكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا وَشَكَرُوا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ هَذَا لَهُمْ وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ؟ قَالَ: أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي**»(١).

قال الهيثمي: «رجال أحمد رجال «الصحيح»، غير الحسن بن شوار، وأبي حلبس يزيد بن ميسرة، وهما ثقتان».

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة موسىٰ والخضر -عليهما السلام- قال: «**وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ**»(٢).

* * *

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥٠) (٢٧٥٨٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٥٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٠٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

فصل

ونقل الصواف عن الآلوسي أنه قال: «وأما الأرَضُون السبع، فقد حارت فيها عقول المفسرين، وذكروا فيها أقوالًا كثيرة، وقد جعلها الله تعالىٰ مثل السموات، والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الأوصاف.

فقال الجمهور: المثلية هنا في كونها سبعًا، وكونها طباقًا بعضها فوق بعض، بين كل أرضٍ وأرضٍ مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سُكان مِن خَلْقِ الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعلم حقيقتهم إلَّا الله تعالىٰ.

ووَرَدَ في بعض الأخبار: «في كل أرضٍ نبِيٍّ كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسىٰ كعيسىٰ».

والمراد: أن في كل أرض خلقًا، يرجعون إلىٰ أصلٍ واحدٍ رجوع بني آدم في أرضنا إلىٰ آدم، وفيهم أفراد ممتازون علىٰ سائرهم، كنوح وإبراهيم وغيرهما فينا.

وقول الجمهور هذا أصح سائر الأقوال، وهو أن بين كل أرضٍ وأرضٍ مِن السبع مسافة عظيمة، وفي كل أرض خَلْقٌ لا يعلم حقيقتهم إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، ولهم ضياء يستضيئون به.

ويجوز أن يكون عندهم ليلٌ ونهار، ولا يتعيَّن أن يكون ضياؤهم مِن هذه

الشَّمس، ولا من هذا القمر.

والجواب أن يقال: أمَّا كون الأرضين سبعًا مثل السموات؛ فقد دلَّ عليه قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

ودلت علىٰ ذلك -أيضًا- الأحاديث الكثيرة، التي فيها إثبات سبع أرضين.

ودل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**»[١]، علىٰ أن الأرضين بعضهن فوق بعض، وذكر أبو بكر الأنباري الإجماع علىٰ ذلك.

وأما تقدير المسافة بين كل أرضين؛ فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث قتادة، عن الحَسَن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْن سَبْعَ مِئَةِ عَامٍ**»، ورواه الترمذي، وعنده: «**أَنَّ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْن خَمْس مِئَة سَنَة**»، وقال الترمذي: حديث غريب[٢].

قال: ويُروىٰ عن أيوب، ويونس بن عبيد، وعلي بن زايد، أنهم قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٨)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٥٧٣٥).

(٣) «سنن الترمذي» (٥/ ٤٠٣).

ورواه ابن جرير من حديث سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلًا(١).

قال ابن كثير: «ولعل هذا هو المحفوظ»(٢).

قلت: وهذا الخبر لم يصح إسناده، فلا يعتمد عليه في تقدير المسافة بين كل أرضين.

وأمَّا ما فيه مِن تقدير المسافة بين السماء والأرض بخمس مئة عام؛ فهو ثابتٌ مِن حديث عبد الله بن عمرو، وابن مسعود، والعباس، وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تقدمت أحاديثهم في أول الكتاب.

وأما قوله: «وفي كل أرض سكان من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعلم حقيقتهم إلَّا الله تعالىٰ».

فجوابه أن يقال: إثبات السُّكان في كل أرض غير الأرض العُليا يحتاج إلىٰ دليلٍ مِن كتاب الله أو مِن سُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا دليل علىٰ ذلك.

وأما الأثر المَرْوِيُّ في ذلك من طريق أبي الضُّحَىٰ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال**: «فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُم»، إلىٰ آخره، فهو أثر منكر جدًّا(٣).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٢٢)، وقال: هذا صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في «التلخيص».

قال البيهقي: «هو شاذٌّ بمَرَّة، لا أعلم لأبي الضحىٰ عليه متابعًا»[١].

وقد ذكره ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «البداية والنهاية»: «وقال: إنه محمولٌ إنْ صحَّ نقْلُه عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ أنه أخذَهُ مِن الإسرائيليات»[٢].

قلت: ومثله لا يثبت به شيء، والله أعلم.

وأمَّا قوله: «ولهم ضِيَاء يستَضِيئون به، ويَجُوز أن يَكُون عندهم ليل ونهار، ولا يتعيَّن أن يكون ضياؤهم مِن هذه الشَّمس، ولا مِن هذَا القمَر».

فجوابه أن يقال: كل هذه تخرُّصات لا دليل عليها مِن كتابٍ ولا سُنة، وما لم يَكُن عليه دليل، فليس عليه تعويل.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

* * *

فصل

قال الصواف: «لقد رصد أسلافُنا القمَر قبل أهل الشَّرق والغرب، واهتمُّوا اهتمامًا عجيبًا بتحقيق الأمر فيه».

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٦٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٢٢).

ويظهر لي أنه لو كانت لهم مِن الوسائل ما لعلماء الفلَك في هذا العصر؛ لحاوَلُوا الصُّعود إليه لِكَشْفِ أمره وتحقيق الحكم فيه.

وقد جاء في كتاب «ما دل عليه القرآن» (صفحة١٢٩): «وقد غلب علىٰ ظن أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمَر عالَمٌ كعَالَمِ أرضنا هذه، وفيه جبال وبحار، ويزعمون أنهم يحسُّون بها بواسطة أرصادهم، وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

هذا ما قاله مؤلف الكتاب قبل ما يَقرُب من خَمسِين سنة، ونقله عن علماء مُسلِمِين قالوه قبل مئات السِّنين، وأرجو أن يلفت القارئ إلىٰ عبارتين وردتا في هذه الفقرة التي نقلتها من الكتاب:

الأولىٰ: أن القمر عالَم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال، وبحار، وأنهم أحسُّوا بها في مرَاصِدهم.

والثانية: قوله «وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

ألَا تدل هاتان العبارتان علىٰ العجب العجاب الذي وصل إليه علماء المسلمين منذ قرون؟! أمَا كان الواجب علينا أن نُتَمِّمَ ما بدؤوه مِن بحوثهم العلمية المستفيضة في علوم الكون والفلك وغيرهما؟!

وهل سار علماؤنا في هذا الطريق إلا بأمر من الله، ووحي من فهم كتاب الله، وسُنة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما يقول، وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١]، فهل المراد مجرَّد النَّظَر للتفرج والتفكه والتَّسَلِّي، أَمْ هو النظر للبحث، والعلم، والتحقيق، والاعتبار، والادِّكَار؟!

والجواب أن يقال: لم يَكُن أحدٌ مِن الصَّحابة ولا التَّابعين ولا تَابعِيهم بإحسان، ولا أئمَّة العِلْم والهُدَىٰ مِن بَعْدِهِم يرصُدونَ القمر، ويرجمون بالغيب عمَّا فيه، وحاشَاهُم مِن التَّخَرُّصات واتباع الظُّنون الكاذبة.

ولو كان رصد القمر والبحث عمَّا فيه خيرًا؛ لكان الصَّحابة -رضوان الله عليهم- أسبَق إلىٰ ذلك من غيرهم، وكذلك التَّابعون وأئمة العلم والهدي مِن بَعْدِهِم، وقد غلب علىٰ ظنِّ أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة، إلىٰ آخر كلامه.

وذكر الآلوسي أيضًا في صفحة (١٠١ و١٠٢) أنَّ أهل الأرصاد اليوم كشَفُوا في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشَّمس وسائر السيارات، وظنوا أنَّ فيها مخلوقات نحو سكنة الأرض، وزعموا أنَّ فيها بحارًا وأنهارًا.

وصرَّح الآلُوسِي -أيضًا- في عِدَّة مواضع من كتابه أنَّ أَهْل الهَيْئِةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج.

وصرح في (صفحة٢٣) أنهم هرشل وأتباعه.

وذكر محمد فريد وجدي في «دائرة المعارف» أن غاليليه هو الذي اخترع المنظار الفلكي؛ فرصَدَ به القمر، فرأىٰ فيه الجبال، والأودية، والظِّلال الكثيفة

الممتدة علىٰ سهوله.

قلت: وكان غاليليه في القرن الحادي عشر من الهجرة، وهو الذي نشر أقوال كوبرنيك البولوني؛ فهؤلآء هُم أسلَاف الصوَّاف الذين رصَدُوا القمر، واهتموا بتحقيق الأمر فيه.

وبِئْسَ ما رضِيَ الصواف لنفسه، حيث جعل كوبرنيك، وغاليليه، وهرشل وأتباعهم من فلاسفة الإفرنج سلفًا له.

وأما قوله: «وقد غلب علىٰ ظنٍّ أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمَر عالم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال وبحار، ويزعمون أنَّهم يحسُّون بها بواسطة أرصادهم، وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

فجوابه أن يقال: ما ذكره الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة كله تخرص ورجم بالغيب.

ومن أين لهم اكتشاف القمر، وتحقيق الأمر فيه، وهو في السماء بنص القرآن، وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، فقدرتهم عاجزة عن اكتشافه من هذا البعد الشاسع وتحقيق الأمر فيه.

وقد أنفق بعض كبار الدول في زماننا أموالًا كثيرة وبذلوا غاية الجهد في محاولة الوصول إلىٰ القمر وتحقيق الأمر فيه فما استطاعوا ذلك ولن يستطيعوه أبدًا، وقد صرَّح بعض الأذكياء من علمائهم المختصين بمعرفة الأرصاد أنهم لن

يستطيعوا الوصول إلىٰ القمر، وأما إطلاقه وصف الحكمة علىٰ فلاسفة الإفرنج فهو خطأ ظاهر...

والصواب: أنهم أهل الغباوة، والجهل الكثيف، وقد تقدَّم التنبيه علىٰ هذا مع ذكر أخطاء الآلوسي.

وأما قوله: ونقله عن علماء مسلمين قالوه قبل مئات السنين.

فجوابه أن يقال: هذا غلط فاحش؛ لأن الذين نقل عنهم الآلوسي في شأن القمر ما نقل ليسوا بمسلمين، وإنما هم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وقد ذكرت مرارًا أن الآلوسي صرح في عدة مواضع من كتابه أن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج.

وصرح في (صفحة٢٣) أنهم هرشل وأتباعه.

وقول الصواف: إنهم قالوه قبل مئات السنين، ليس بصحيح؛ لأن هرشل وأتباعه إنما كان زمانهم من نحو مِئتي سنة فأقل.

وإنا نتحدَّىٰ الصوَّاف أن يسمي لنَا عُلماء المسلمين الذين نقل عنهم الآلوسي في شأن القمر ما نقل، وأن يذكر كتبهم التي ذكروا فيها ذلك إن كان صادقًا، وما أبعدَه مِن الصِّدق!

وأما قوله: «وأرجو أن يلفت القارئ إلىٰ عبارتين:

الأولىٰ: أنَّ القمر عالم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال، وبحار، وأنهم

أحسُّوا بها في مرَاصدِهم.

والثانية، قوله: وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

فجوابه أن يقال: وهل ظننت أيها الصَّواف أنَّ هاتين العبارتين مِن كتاب الله تعالىٰ، أو مِمَّا صح عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ ترجو من القُرَّاء أن يلفتوا نظرَهُم إليهما.

وأي فائدة للقُرَّاء في تخرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة، وما أوْحَاه الشَّيطان إليهم حتىٰ يُلفِتُوا نظرهم إلىٰ ذلك، بل الحق أنه ينبغي للقُرَّاء الذين عافاهم الله تعالىٰ مِن اتِّباع الظُّنون الكاذبة إذا وقفوا علىٰ مثل هاتين العبارتين أن يَحمدُوا الله الذي عافاهم مِمَّا ابتلَىٰ به المُتخَرِّصِين المتكلفين مَا لا علم لهم به وما ابتلىٰ به أتباعهم مِن جُهَّال المسلمين المَفتُونين بزَخارِفهم وهذَيانِهم.

وأما قوله: «ألَا تدلُّ هاتان العبارتان علىٰ العجب العُجَاب الذي وصل إليه علماء المسلمين منذ قرون».

فجوابه أن يقال: قد ذكرنا أن الذين تخرصوا في القمر وزعموا فيه ما زعموا ليسوا بمسلمين، وإنما هم من فلاسفة الإفرنج، وهم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ومِن أوَّلهم كوبرنيك البولوني، وكان في القرن العاشر من الهجرة.

ثم كان بعده كبلر، وغاليليه، وكانا في القرن (الحادي عشر) من الهجرة، ثم هرشل الإنكليزي وأتباعه، وكانوا في القرن (الثاني عشر) والقرن

(الثالث عشر) من الهجرة.

ولو فرضنا أنَّ أحدًا مِن المسلمين تخرَّص في القمَر منذ قرون، وقال فيه بما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة فيه؛ لما كان تخرصه فيه مقبولًا مِن أجل إسلامه، بل ذلك مردود لِمَا فيه مِن الرَّجم بالغيب واتِّباع الظَّن.

وأي فائدة للمسلمين في التَّخرُّصات والظُّنون التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ويقال -أيضًا-: ليس العجب العجاب مِن كُفَّار يتخرَّصون في القمَر، ويرجمون بالغَيْبِ عمَّا فيه، فما هُم عليه مِن الكفر بالله تعالىٰ أعظم من تخرُّصَاتهم وظنونهم في القمر.

وإنما العجب العجاب مِن رَجُل مسلم ينتسب إلىٰ العلم، ويتصدَّر للتَّدريس والإرشاد، وهو مع هذا يصدِّق أعداء الله في تخرُّصاتهم وظُنونهم الكاذبة، ولا يتورَّع عن الافتِرَاء لتأييد القول الباطل الذي هو مفتون به؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يُقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

وأما قوله: «أما كان الواجب علينا أن نُتمِّم ما بدؤوه مِن بُحوثِهم العِلمِيَّة في علوم الكون والفلك».

فجوابه أن يقال: إذَا كُنت ترَىٰ ذلك واجبًا عليك؛ فاذهب إلىٰ القمر

وغيره مِن الأجْرَام العلوية، وتمَّم ما بدأه أسلافك أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من المزاعم الباطلة والظنون الكاذبة فيها، ولا يخفىٰ عليك أن من ترك الواجب عليه؛ فهو آثم.

أما غيرك فإنَّهم قد وَقَفُوا حيث وُقِفَ بهم، فما جاءهم عن الله تعالىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلقَّوه بالقبول والتسليم، وما سكت الله ورسوله عنه سكتوا عنه، ولم يتكلفوا ما لا علم لهم به؛ لعِلْمِهم أنَّ الله تعالىٰ قد نهىٰ عن ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾[الإسراء: ٣٦].

وأمَّا قوله: «وهل سار علماؤنا في هذا الطَّريق إلَّا بأمر من الله، ووحي من فَهْمِ كتاب الله، وسُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فجوابه أن يقال: عُلماؤك من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة لم يسيروا فيما زعموه عن القمر وغيره مِن الأجرام العلوية علىٰ أمر من الله تعالىٰ، ووحيٍ مِن فَهْمِ كتاب الله، وسُنة رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّما ساروا علىٰ مجرَّد ظنونهم وأرصادهم التي لا تغني من الحق شيئًا.

وقد صرَّح الآلوسي بذلك في قوله: «وقد غلب علَىٰ ظن أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمر عالَم كعالَمِ أرضنا هذه وفيه جبال، وبحار، ويزعمون أنهم يحسون بها بواسطة أرصادهم؛ فذكر أنهم ساروا علىٰ مجرَّد

الظن وما تقتضيه الأرصاد، لا علىٰ أمرٍ مِن الله تعالىٰ، ووَحْيٍ مِن فَهْمِ كتابه، وسُنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذكر الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٢٣): «إن هرشل الفيلسوف وأتباعه أصحاب الرصد والزيج الجديد تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأولون في أمر الهيئة، وقالوا بأنَّ الشَّمس مركز، والأرض وكذا النجوم دائرة حولها»..

وهذا صريحٌ في أن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة إنَّما ساروا علىٰ مجرَّد التَّخَيُّلَات، وهي التخرصات والظنون الكاذبة، لا علَىٰ أمرٍ مِن الله تعالىٰ، ووَحْيٍ مِن فَهْمِ كتابه، وسُنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويلزم علىٰ قول الصوَّاف أن يكون الصَّحابة والتَّابعون وتابِعُوهم بإحسَانٍ قد ترَكُوا العمل بأمرٍ أمَرَ اللهُ به، ولم يفهموا ما جاء في الكتاب والسُّنة عنه.

وأنَّ الذين عَرَّبُوا كتاب اليونان، وعملوا رصد الكواكب في زمن المأمون وما بعده هم الذين عمِلُوا بما أهمله الصحابة والتابعون وتابعوهم، وفهموا من الكتاب والسُّنة ما لم يفهمه الصَّحابة والتابعون وتابعوهم.

هذا ما يقتضيه كلام الصوَّاف كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم وفهم، ولا يخفىٰ -أيضًا- ما يقتضيه كلام الصواف من الإزراء بالصَّحابة، والتَّابعين، وتابعيهم بإحسان.

وما يقتَضِيه -أيضًا- مِن الثَّناء علَىٰ الَّذِين عمِلُوا رصد الكوكب،

وتخرَّصُوا في الأجرام العُلويَّة، وزعموا فيها المَزاعم الباطلة.

وما كان مقتضيًا لِمَا ذكرنا؛ فهُوَ قولٌ سيِّءٌ ينبغي التَّحذِير منه؛ لئلَّا يغتر به.

وقد ذكرت في أثناء الكِتَاب كلَامًا حَسنًا للحافظ أبي عبد الله الذهبي، قال فيه: «إنَّه لَمَّا عُرِّبَتْ كتب الأوَائل ومَنطِق اليونان، وعمل رصد الكواكب؛ نشَأ للنَّاس عِلمٌ جديدٌ، مُرْدٍ مُهلِك، لا يُلائم عِلْمَ النُّبوة، ولا يُوافِق توحيد المؤمنين؛ قد كانت الأُمَّة منه في عافِيَة»(١).

قلت: وعن هذا العلم المُرْدِيِّ المُهْلِك نجَمَ الكلام في القمر، وغيرِه من الأجرام العلوية، والإخبار عما فيها بمجرَّد التخرُّصات والظُّنون الكاذبة.

وعلىٰ هذا العلم المُرديِّ المهلك سار عُلماء الصوَّاف، لا علىٰ ما زعمه من الأمر والوحي اللَّذَيْنِ لا وجُودَ لَهُما.

وأما قوله: «والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما يقول وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: ١٠١]، فهل المُراد مجرَّد النَّظر للتفرُّج والتَّفَكُّه والتَّسَلِّي، أم هو النظر للبحث، والعلم، والتحقيق، والاعتبار، والادِّكَار؟!».

فجوابه أن يقال: ليس المُراد مِن الأمر بالنَّظر في ملَكُوت السموات

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٤٠).

والأرض مجرد النظر للتفرج، والتفكه، والتسلي، ولا النظر للبحث والكشف عما في الأجرام العلوية مِن جبالٍ وبِحَار، وغير ذلك مِمَّا لم يُخبِر الله به، ولا رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فإنَّ هذا مِن الرَّجم بالغيب، والقول بغير علم.

وإنَّما الأمر بالنَّظَر للتفكُّر والاعتبار والاستدلال علىٰ عظمَةِ الخالق جَلَّجَلَالُهُ وكمال قدرته، وأنه الإله الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلَّا له وحده، دون مَن سِوَاه.

والآية إنما سِيقَتْ في مخاطبة المشركين ودعائهم إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ.

قال البغوي في قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ [يونس: ١٠١]: «أي: قل للمُشرِكين الذين يسألونك الآيات: انظروا ماذا في السموات والأرض من الآيات والدَّلائل والعِبَر، ففي السموات: الشَّمس، والقمر، والنجوم، وغيرها، وفي الأرض: الجبال، والبحار، والأنهار، والأشجار، وغيرها»(١).

قلت: وتمام الآية دال علىٰ أنَّ الخِطَاب للمشركين، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ونظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ١٥٣- ١٥٤).

﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قال القرطبي في «تفسيره»: «﴿وَهُمْ﴾ يعني الكُفَّار: ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، بين أنَّ المُشرِكين غفلُوا عن النَّظَر في السموات وآياتها مِن ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها، ورياحها، وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالىٰ، إذ لو نظروا واعتبروا؛ لعَلِمُوا أنَّ لها صانعًا قادرًا واحدًا، فيستحيل أن يَكُون له شريك». انتهىٰ(١).

وأمَّا حَمْل الآية علىٰ ما قاله الصوَّاف مِن البحث والعلم والتحقيق -يعني البَحث عمَّا في الأجرَام العُلوِيَّة مِن جبالٍ وبِحَار وسُكان، وتحقيق ما غلب علَىٰ ظنون أهل المَراصد مِن ذلك والعلم به-، فهو مِن الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه.

* * *

فصل

ثُم ذكَر الصوَّاف ما نقله الآلوسي في صفحة (٤٦ و٤٧) عن ابن الهيثم أنه

---

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٨٥).

قال في القمر: «يحتمل أن يكون كُرة، نصفها مضيء ونصفها مظلم، ويتحرَّك علىٰ نفسه؛ فيرىٰ هلَالًا، ثم بدرًا، ثم ينمحق، وهكذا دائمًا».

والجواب أن يقال: هذَا الاحتِمَال بعيد مِن الصَّواب، ومَن أمْعَنَ النَّظَر في القمَر، ولا سيما من الليلة التَّاسعة إلىٰ ليلة إحدىٰ وعشرين، لم يشك أن وجهه الذي يقابل الأرض لا يزال مقابلًا لها، وإنَّما يزداد نوره وينقص بحسب مقابلته للشمس.

وقد روىٰ الحاكم في «مستدركه» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] قال: «وجهه إلىٰ العرش، وقفَاه إلىٰ الأرض»، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي في «تلخيصه»: علىٰ شرط مسلم[١]، وهذا يرد ما قاله ابن الهيثم، والله أعلم.

* * *

فصل

ثُم ذكَر الصواف ما نقله الآلوسي في (صفحة٤٨) عن ابن قتيبة في ذكر منازل القمر الثمان والعشرين.

وعَدَّ منها: السماك الرامح. وليس هو من المنازل، وأسقَطَ: سعد السعود.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٥٦).

وهو مِن المَنازل.

وهذا غلط، إمَّا مِن الآلوسي، أو مِمَّن قبله مِن النُّساخ، ويبعد أن يكون ذلك من ابن قتيبة.

* * *

فصل

وهُنا أَوَدُّ أنْ أتِمَّ ما بدأت بنقله حول ما قالوه عن عدد الأرضين، حيث قال المؤلف:

«**وقد قالوا -أيضًا-**: إنَّ هَذِه الشَّمس في عالم هي مركز دائرته، وبلقيس مملكته، بمعنىٰ أن جميع ما فيه مِن كواكبه السيارة تدور عليها فيه علىٰ وجهٍ مخصوص، ونمَطٍ مضبوط، وقد يقرب إليها فيه، ويبعد عنها إلىٰ غايةٍ لَا يَعْلَمُها إلا الله تعالىٰ، كواكب ذوات الأذناب، وهي عندهم كثيرة جدًّا، تتحرك علىٰ شكل بيضي.

وأن الشَّمس بعالَمِهَا مِن توابع كوكب آخر، تدور عليه دوران توابعها مِن السَّيارات، وهو فيما نسمع أحد كواكب النجم، ولهم ظنٌّ في أنَّ ذلك -أيضًا- مِن توابع كوكب آخر، وهكذا.

وسماء كل عالم كالقمر عندهم ما انتهىٰ إليه هواؤه؛ حتىٰ صار ذلك

الجرم في نحو خلاءٍ فيه لا يعارض، ولا يضعف حركته شيء.

والجسم متىٰ تحرَّك في خلاءٍ لا يسكن؛ لعدم المعارض، فلتكن كل أرض من هذه الأرضين السَّبع محمولة بيد القدرة بين كل سمَاءَيْنِ، وهناك ما يستضيء به أهلها سَابحًا في فلك بحر قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ونسبة كل أرض إلىٰ سمائها نسبة الحلقة إلىٰ الفلاة، وكذا نسبة السماء إلىٰ السماء التي فوقها كما ذكرنا سابقًا».

قال: «ولقد ختم الآلوسي قوله في الأرضين بما يأتي: وفي الجملة، مَن صدَّق بسعة ملك الله تعالىٰ، وعظيم قدرته لا ينبغي أن يتوقف في وجود سبع أرضين علىٰ الوجه الذي قدَّمناه، ويحمل السبع علىٰ الأقاليم، أو علىٰ الطبقات المعدنية والطينية ونحوهما، وليس ذلك مما يصادم ضروريًّا مِن الدِّين، أو يخالف قطعِيًّا مِن أدلة المُسلمِين».

والجواب أن يقال: كل ما نقله الصوَّاف هَهُنا عن الآلُوسِي؛ فهو بَاطِل، وقد نبهتُ علىٰ بطلان كل جملةٍ منه في موضعها؛ فأغنىٰ ذلك عن إعادته ههنا.

فأما ما ذكره عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنَّ الشَّمس هي مركز العالم، وأن جميع الكواكب السيارة تدور عليها؛ فقد تقدَّم بيان بطلانه في أول الكتاب، وفي مواضع كثيرة في أثنائه.

وأما قولهم: «إن الشَّمس بعالَمِهَا مِن توابع كوكب آخر تدور عليه» إلىٰ

آخره؛ فقد تقدم رده مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي، وفي المثال (الثامن عشر) من الأمثلة علىٰ بطلان الهيئة الجَدِيدَة.

وأما قوله: «إنَّ كل أرض مِن الأرَضِين السَّبع مَحمُولة بِيَدِ القدرة بين كل سمائين»، إلىٰ آخر كلامه.

فقد تقدَّم ردُّ كُلِّ جملة منه علىٰ حِدَة، مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي، وهذا آخر ما تيسر إيراده، والحمد لله رب العالمين.

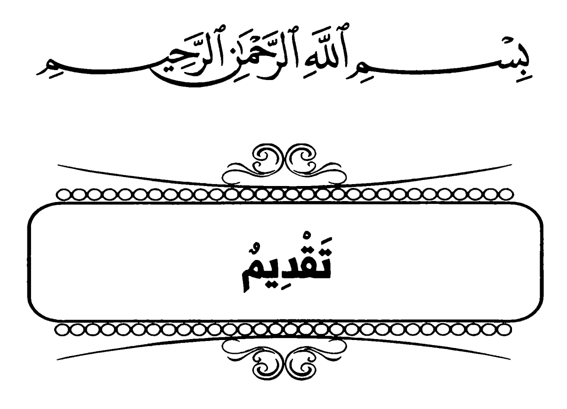
وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وقد وقع الفراغ مِن تسويد هذه النبذة في يوم الأربعاء،
الموافق لسِتٍّ مضَيْنَ مِن جُمادَىٰ الثانية سنة (١٣٨٦هـ)
علىٰ يد جامعها
الفقير إلىٰ الله تعالىٰ
حِمُود بن عبد الله التُّوَيْجرِي
غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين
والمسلمات الأحياء منهم والأموات
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



[٣]

ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والخوارق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمُ

الحمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ خاتمِ النَّبيِّينَ وَسَيِّدِ الخلائقِ أجمعينَ، وَعَلىٰ آلِهِ وأصْحابِهِ ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ.

أَمَّا بعدُ: فَقَد قرأَ عليَّ فضيلَةُ الشَّيخِ/ حِمُود بْن عبدِ اللهِ التُّوَيْجِرِي مُؤَلَّفَهُ القَيِّمَ «ذَيْلُ الصَّواعِقِ لِمَحْوِ الأَباطِيلِ وَالمَخارِقِ» فَأَلفَيْتُه كتابًا جيِّدًا في معْناهُ، أجادَ فيهِ وَأفادَ، وبيَّن غلطاتِ الأستاذ مُحمَّد محْمُود الصَّوَّاف[1] فِي كتابِه «المُسْلِمُونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ» بِما لا مَزِيدَ عليه؛ بَارَكَ اللهُ فيه وفي عُلومِهِ.

فَإِنَّ الأستاذَ الصَّوَّاف ذكرَ في كِتابِهِ «المُسْلِمونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ» أشْياءَ لَمْ يدُلَّ عليها دَليلٌ لا من كتابٍ وَلا من سُنَّةٍ، وَلَا إجْماعٍ، وَلَا عقْلٍ سليمٍ، وَلا يَكادُ يصدّقُ بها مَن له أَدْنىٰ مُسْكَةٍ مِن عَقْلٍ، فَضْلًا عمَّن لدَيْه أدْنَىٰ علمٍ بِنصوصِ الكِتابِ وَالسُّنةِ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) سبق ترجمته.

مِثْلُ قَوْلِ الصَّوَّاف عَن أَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيّ: «وَهَل تَعْلَمُ أَنَّ مِن علماءِ الهَيْئَةِ المُسْلِمينَ الذينَ رَصَدوا، وَأَلَّفُوا، وَسَهِروا اللّيالِيَ الطِّوالَ في مُناجاةِ النُّجومِ، وَرَصْدِ حَركاتِها وَسَكناتِها، الشَّيخُ/ أَبو جَعْفَرٍ نَصِيرُ الدِّينِ مُحَمّد بنُ الحَسنِ الطُّوسِيّ الفَيْلسوفُ...» إِلىٰ أنْ قالَ: «وَلَوْ أردْنا أنْ نزيدَ لَأَتَيْنا بِالشَّيءِ الكثيرِ مِنْ فِعْل سلفِنا الصَّالحِ».

وَحالَةُ الطُّوسِيِّ مَعْلومَةٌ عِنْدَ أَهْلِ العلْمِ؛ قَالَ عنْهُ ابنُ القَيِّمِ في كِتابِه «إِغاثَةُ اللَّهْفَانِ» فِي صَفْحَةِ (٢٦٧) المُجَلَّدِ الثَّاني: «لَمّا انْتَهت النَّوْبَةُ إِلىٰ نَصِيرِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ والإِلْحادِ وَزيرِ المَلاحِدَةِ النَّصيرِ الطُّوسِيّ وَزِير هُولاكُو، شَفَىٰ نَفْسَه من أتْبَاعِ الرَّسولِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْل دينِهِ، فَعَرَضَهُم علَىٰ السّيفِ حتَّىٰ شَفىٰ إِخْوانَهُ مِنَ المَلاحِدَةِ، وَاشْتَفىٰ هُوَ؛ فَقَتَلَ الخليفَةَ وَالقُضَاةَ وَالفُقَهاءَ وَالمُحَدِّثينَ، وَاسْتَبْقىٰ الفَلاسِفَةَ وَالمُنَجِّمينَ وَالطَّبَائِعِيِّينَ وَالسّحَرةَ، وَنَقَلَ أوقافَ المدارِسِ وَالمَساجِدِ والرُّبُطِ إِلَيْهِم، وَجعَلَهم خاصَّتَه وأَوْلياءَهُ، وَنَصَر في كُتُبِه قِدَمَ العالَمِ، وَبُطْلان المَعَادِ، وَإِنكارَ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ عِلْمِه وقدْرَتِه وَحَيَاتِه وَسَمْعِه وَبَصَرِهِ، وَأَنَّهُ لَا دَاخِلَ العالَمِ ولا خَارِجَه، وَلَيس فوقَ العَرْشِ إِلهٌ يُعْبدُ أَلْبَتَّةَ، وَاتَّخَذَ لِلملاحِدَةِ مدارِسَ، وَرَامَ جعْلَ «إِشارَاتِ» إمامِ المُلْحدينَ ابْنِ سِينَا مكَانَ القرآنِ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ علىٰ ذَلِك، فَقَالَ: هِيَ قُرْآنُ الخَواصِّ، وَذَلِك قرآنُ العَوامِّ، وَرَامَ تغييرَ الصّلاةِ، وَجَعْلَها صَلاتَيْنِ، فلَمْ يَتِمَّ لهُ الأَمْرُ».

وَتَعَلَّمَ السِّحْرَ آخرَ الأَمرِ، فَكانَ ساحرًا يَعبدُ الأَصنامَ، قال ابْنُ القَيّمِ في

الكِتابِ المَذكورِ نَقْلًا عنْ «مُصارَعَةِ المُصارعَةِ» لِلطُّوسِيّ: «وَأَنَّ اللهَ تَعالىٰ لمْ يخْلُقِ السّمواتِ وَالأَرضَ فِي ستّةِ أيّامٍ، وَأنّهُ لا يَعْلمُ شَيئًا، وَأنّه لا يَفْعلُ شَيْئًا بقُدْرَتهِ وَاختِيارِه، ولا يَبْعثُ مَن في القُبورِ...» إِلَىٰ أنْ قالَ: «وَبِالجُمْلةِ، فَكانَ هذا المُلْحِدُ هُو وأتْباعُه مِنَ المُلحِدين الكافِرينَ بِاللهِ وَمَلائكَتِه وكتُبِه وَرُسُلهِ واليَوْمِ الآخِرِ» انْتَهىٰ.

فَلَا ينْبَغي حِينئِذٍ تَعْدادُهُ منَ المُسلمينَ، وَلا مِن سلفِنا الصَّالِحِ.

وَمِثْلُ قَوْلِ الأُسْتاذِ الصَّوَّاف: «إِنَّ الشَّمس تَفْقدُ أربعةَ مَلايينَ طِنٍّ من وزْنِها في الثَّانيةِ الواحِدةِ مِنَ احتراقِها، ولَمْ تزلْ تُجَدِّد وزنَها وحجمَها».

فَمِن وَزَنَها بِذلِك؟! وَمَن عرفَ مِقدارَ ما تَحْرقه مِن ملايينِ الأطْنانِ؟! وَمَن قدَّر هذا الزّمنَ الَّذي تَحرِقُ فيه هذا العددَ الهائلَ؟!

وَمِن ذلك نقلُه عنْ «جِيمس أوثر» أنَّ العالَمَ بَدأ يومَ ٢٦ أكتوبر سَنةَ ٤٠٠٤ قبلَ الميلادِ، ولمْ يَرُدَّهُ، بلْ نقلَه مُقِرًّا لهُ ومرتَضِيًا، فَما الَّذي أدْراه عن ذلك الشّهرِ وعن ذلك اليومِ، وأنَّه هو اليومُ السَّادسُ والعشرونَ مِن أكتوبر؛ بِحيثُ لَمْ يتقدَّمْ يومًا ولم يتأخَّر يومًا؟! لَا يعلَمُ مَتىٰ كانَ ذَلِك إِلَّا اللهُ.

وَقَالَ -أَيْضًا-: «جَاء في أحدِ الكُتُب الهِنديّةِ المقدَّسةِ أَنَّ عُمْر العالَمِ هو ١.٩٧٢.٩٤٩.٠٥٦ أَلْفٌ وتِسعُمِائةٍ واثنانِ وسبعونَ مِليونًا وَتِسعُمائةٍ وَتسْعٌ وأرْبعونَ ألفًا وَسِتٌّ وخمسونَ سَنَةً».

وَقَالَ -أَيْضًا-: «إِنّ الجُهودَ الَّتي يبذُلها الفلكيُّون في العَصر الحديثِ يُمكنُ أَن يُعْتبرَ أصحُّ تقديرٍ لعُمْرِ الكُرةِ الأرْضِيّةِ، فَقَد دَلّت آخِرُ التّقديراتِ القائِمَةِ أنَّ عُمْرَ الكُرَةِ الأرضيّةِ حَوالي خمْسَةِ آلافٍ وَأربَعِمائةِ مليونِ سَنَةٍ ٥.٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠»، وَهَذا تَناقُضٌ -كَما ترىٰ-، فَلا يَعْلمُ مَتىٰ كانَ ذلكَ غَيْرُ مَنْ خلقَ هذا الكونَ، وَأَوْجدَهُ.

وَنعوذُ باللهِ أَن نقولَ بِقِدمِ العالَمِ كَمَا يقولُه بعضُ الفَلاسِفَةِ..

وَقالَ -أَيْضًا-: «إِنّ بَعضَ العُلماءِ أَظْهَر أَنَّه تَمَكّنَ مِن احْتِسابِ النَّقْصِ في سُرْعةِ دَورانِ الأرْضِ فَوَجدَ أنَّ هذا النقصَ يَبْلغُ حَوالَيْ ثانيةٍ واحدَةٍ كُلّ مائةٍ وعشرينَ أَلْفِ سَنَةٍ».

ثمَّ قالَ الأستاذُ الصَّوَّاف: «وَعَليهِ؛ فَبَعْد ٤٣٢ مليون سَنَةٍ يَنْقصُ دورانُ الأرْضُ بمِقْدارِ سَاعَةٍ، وعنْدَئِذٍ يصبحُ مجموعُ سَاعاتِ الليلِ وَالنّهار ٢٥ ساعَةً». فَتَصَوُّرُ هَذا وأمثالُه كافٍ في رَدِّهِ.

وَقَالَ -أَيْضًا- في عُمْر الشَّمس: «إِنّه خمسةُ آلافِ مليونِ سنَةٍ، وَأَنّ نُجومًا سوفَ لا يصلُ نورُها إلىٰ كُرَتِنا الأرْضِيّةِ في أقلَّ من ألفٍ وَخَمْسمِائةِ مِليون سَنَةٍ ضَوْئيّةٍ».

قَالَ: «مَعَ العلْمِ بأنّ الضّوءَ يَسِيرُ في الثَّانيةِ الواحِدَةِ ثَلاثَمائَةِ ألفِ كِيلو مِتْرٍ. وَأنّ هذا الكونَ يَتَضَمّنُ خمسَمِائةِ مِليونِ مليونٍ مِنَ المجرّاتِ، كَمَا يُقدّر علماءُ

الفلَكِ، وفي كُلّ مجرَّةٍ مائةُ ألفِ مليون نَجْمٍ».

إِلىٰ غيرِ ذلكَ مِن الأشياءِ الكثيرَةِ في كتابِه، فَلعَلَّ فضيلتَهُ! يراجِعُ كتابَه، وَيُصلحُ ما فيهِ منْ خطأٍ عَلىٰ ضوءِ الكتابِ وَالسُّنّةِ وَما يؤَيّدهُ العقْلُ الصّحيحُ، فَإِنّ الرجوعَ إِلىٰ الحَقّ خيرٌ مِنَ التّمادي في ضِدّه، واللهُ يُوفّقُ الجميعَ لِما فيهِ صلاحُ دِينِنا ودُنيانا، وَأنْ يسلُكَ بنا صراطَهُ المسْتَقيمَ، وَصَلّىٰ اللهُ عَلىٰ مُحَمّدٍ وآلِه وصحْبِهِ وَسلّم.

الرّئيسُ العامُّ للإشْرافِ الدّينيّ بِالمسْجِدِ الحَرامِ

عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ

٣/ ١١/ ١٣٨٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ، نحمَدُه، ونسْتَعينُه، ونسْتَهديهِ، وَنستَغْفرُه، وَنتوبُ إليْهِ، وَنَعوذُ باللهِ من شُرور أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنَا، مَن يهدِ اللهُ فَلا مُضِلّ له، وَمَن يضلِلْ فلا هادِيَ له. وَأَشْهدُ أنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، وَأَشْهدُ أنَّ مُحمّدًا عبدُه ورَسولُهُ المبعوثُ رحمةً للعالَمِينَ، وَحجَّةً عَلىٰ المُعانِدِينَ، صَلّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِه وأصْحابِهِ، ومَن تبعهُمْ بإحسانٍ إِلىٰ يومِ الدّينِ، وَسلَّم تسليمًا كَثيرًا.

أَمّا بَعْدُ:

فَقَد اطَّلَعْتُ علىٰ رِسالَةٍ لِمُحَمَّد مَحْمود الصَّوَّاف، سَمَّاها «المُسْلِمُونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ» قَدْ جمعَ فيها ما نشَرَه في جَريدَةِ «الدّعوةِ» مِن التَّعقيبِ عَلىٰ الشَّيخ عبدِ العَزيزِ بنِ بازٍ فيما يَتعلَّقُ بجَريانِ الشَّمس وَسُكونِ الأَرْضِ[١]، وزادَ علىٰ ذلكَ شيئًا كَثيرًا مِن تَخَرُّصات أَهْلِ الهَيئَةِ الجَديدَةِ، وَتَخَرُّصات أَتْباعِهم في الأَرْضِ والشَّمس وَالقَمرِ وَالكواكِبِ، وهذهِ الرّسالة مطبوعةٌ في لُبنانَ في جُمادىٰ الأُولىٰ سَنةَ ١٣٨٧هـ.

وَقَد كنتُ كتبْتُ ردًّا علىٰ ما نَشَرهُ في جريدَةِ «الدّعوةِ» وسمَّيْتُه «الصَّواعِق

(١) انظر: «رسالة الأدلة النقلية والحسية علىٰ جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلىٰ الكواكب» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشَّديدَة عَلَىٰ أَتْباعِ الهَيْئَةِ الجَدِيدَةِ»(١) وَهُو في الحَقِيقَةِ ردٌّ علىٰ ما نشَرَهُ في جريدَةِ «الدّعوةِ» وَعَلىٰ رسالَتِه المطْبوعَةِ مَعًا؛ لِأَنَّ ما في الرِّسالةِ المطْبوعَةِ هُو نَصُّ ما نشَرَهُ في الجريدَةِ سوىٰ ما زادَهُ فيها مِنَ التَّخَرُّصات وَتحْرِيفِ بعضِ الآياتِ وَتأويلِهَا علىٰ غيْرِ المرادِ منْهَا.

وَقَدْ رأيتُ أَنْ أُتْبِعَ الرَّدَّ بمُلْحقٍ فِي رَدِّ ما زادَهُ في الرّسالَةِ المَطْبوعَةِ مِنَ التَّخَرُّصات وَالتَّوَهُّماتِ، وَتَحْرِيفِ الكَلِم عنْ مواضِعِه، وَأَسْأَلُ اللهَ المَعونَةَ وَالتّوفيقَ لِما يحبُّ ويرْضىٰ، وأَنْ يُرِيَنا الحَقّ حقًّا وَيَرْزُقَنا اتِّباعَهُ، ويُرِيَنا الباطِلَ باطِلًا ويرزُقَنَا اجْتنابَهُ، وَلا يجعَلَهُ مُلْتَبِسًا علينَا فَنضِلَّ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

* * *

فصل

قَالَ الصَّوَّاف: (المُسْلِمُونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ).

وَالجَوَابُ أَن يُقالَ: إِنّ هذا العُنوانَ خَطَأٌ ظاهِرٌ؛ لِأَنَّ غالِبَ ما في الرِّسالَةِ مِن الكَلامِ في الأَرْضِ وَالسّمواتِ وَالشَّمس وَالقَمَرِ والكَواكبِ، لَيس منْ أَقْوالِ

(١) طبع سنة (١٣٨٨هـ).

المُسْلِمينَ وَعُلُومِهِم، وَإِنّما هو مِنْ تَخَرُّصات أَهْلِ الهَيْئَةِ الجَديدةِ وَتَوَهُّماتِهِمْ.

وَأَهْلُ الهيئَةِ الجديدَةِ لَيْسوا مِنَ المسْلِمينَ، وَإِنّما هُمْ مِنْ فلاسِفَةِ الإِفْرنجِ، وَهُم: «كوبرنيك البولوني»(١) وَأتباعُه في القَرْن العاشِرِ وَالقَرْنِ الحادِيَ عَشَرَ من الهِجْرَةِ، وَ«هِرْشِل الإِنْجِليزيُّ»(٢) وأتباعُه في القَرنِ الثَّاني عشَرَ والقرنِ الثَّالثَ عَشَرَ من الهِجرَةِ.

وَغَالبُ مَا نقَلَه الصَّوَّاف عن الأَلوسِيِّ(٣)، فهُوَ ممَّا نقَلَه الألوسِيُّ عنْ أهلِ

---

(١) نيكولاس كوبرنيكوس، ولد (١٩ فبراير ١٤٧٣م)، ويلفظ بالبولندية: ميكواي كوبرنيك، كان راهبًا وعالمًا رياضيَّاتيًّا، وفيلسوفًا فلكيًّا، وقانونيًّا، وطبيبًا، وإداريًّا، ودبلوماسيًّا، وجنديًّا بولنديًّا. يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرمًا يدور في فلكها في كتابه «حول دوران الأجرام السماوية». وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث الذي ينتمي لعصر النهضة الأوروبية: ١٤٠٠ إلىٰ ١٦٠٠ ميلادية، مات (٢٤ مايو ١٥٤٣م).

(٢) فريدريك ويليام هيرشل، ولد (٢٥ نوفمبر ١٧٣٨)، عالم فلك وملحن بريطاني من أصل ألماني. أصبح مشهورًا لاكتشافه كوكب أورانوس، وقمريه الرئيسيين تيتانيا، وأوبيرون، بالإضافة إلىٰ قمري زحل. وقد كان أيضًا أول من اكتشف وجود الأشعة تحت الحمراء. مات (٢٥ أغسطس ١٨٢٢).

(٣) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلىٰ الإصلاح. ولد في رصافة بغداد سنة (١٢٧٣هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. توفي سنة (١٣٤٢هـ). «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٧٢).

الهيئَةِ الجديدَةِ؛ كَمَا صرَّحَ بذلكَ في مواضِعَ كثيرَةٍ من كِتابِه الَّذي سمّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»(١)، وَإذا كانَ مَدارُ رِسَالةِ الصَّوَّاف علىٰ أقْوالِ أهلِ الهيئَةِ الجَديدةِ وَتَخَرُّصاتهم وتَخَرُّصات أَتْباعِهِم، فَنِسبةُ ذَلك إلىٰ المسلمينَ فِرْيَةٌ عَلَيْهم، وَتَسْمِيةُ الرّسالَةِ بهذا العُنوانِ لا تُطابِقُ المُسمّىٰ، وَإنّما المطابِقُ لهُ أَنْ يُقالَ: (الإِفرِنْجُ وَالتَّخَرُّصُ فِي عِلْمِ الفَلَكِ)، وَسَأُنبِّهُ علىٰ ما يَشْهَدُ لهِذِهِ المُطابقَةِ مِن نقوُّلِ الصَّوَّاف -إنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ-.

وَالَّذي حملَ الصَّوَّافَ علىٰ نسبَةِ ما في رِسالتِهِ مِن تَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وتوهُّماتِهم إلىٰ المسلمينَ هوَ اعتقادُه في أهلِ الهيئَةِ الجَديدةِ أنّهم مُسلمونَ، قَد عُرفَ أكثرُهمْ بِالتّقوىٰ والصّلاحِ؛ كَمَا صرّح بذلكَ فِي صَفْحَةِ ٤٤، وَقَالَ فِي صَفْحَةِ ٥١ وَصَفْحةِ ٦٩: إنّهم سلفُهُ الصَّالحُ، وَقالَ فِي صَفْحَةِ ٦٧ وصفْحَةِ ١١٧: إنّهُم علماؤُهُ الأعْلامُ.

وَقَد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»(٢) أنّه لا يخْلو -في زَعمهِ هَذا- مِن أحدِ أمْرَينِ: إمّا إرادَةُ التّمويهِ وَالتّلبيسِ عَلىٰ الجَهلةِ الأَغْبياءِ بِما لا حقيقَةَ له في نفسِ الأمْرِ، وإمَّا شدّةُ الغَباوةِ فيهِ حيثُ نَبا فهمُهُ عمّا صرّحَ بِه الألوسِيُّ فِي صَفْحَةِ ٢٣ و٣٣ و٣٤ و٤٦ و٥٩ و٩٥ مِنْ كوْنِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ مِنَ الإفرِنجِ.

---

(١) انظر: «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان» (ص١١، ٧٤)، تحقيق زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي - لبنان.

(٢) (ص١٧٦).

فصل

قَالَ الصَّوَّاف فِي مقدِّمةِ رِسالتِهِ فِي صَفْحَةِ ١١ مَا نَصُّهُ:

«وَحِرصًا منِّي علىٰ نشْرِ العلْمِ وبيانِ فضْل علماءِ المسلمينَ الَّذينَ كان لهمُ الفضلُ الأكبَرُ في تشْجيعِ علْمِ الفلَكِ وبناءِ المَراصِدِ في مختلَفِ البُلدانِ رأيتُ أنْ أطبَعَ هذا الرَّدَّ في كُتَيِّب؛ لِيطَّلِعَ شبابُنا علىٰ مفاخِرِ أجدادِهم وسبْقِهم للعالَم في مُختلَفِ الميادينِ العلميَّةِ».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنْ يُقالَ: ليس ما نشره الصَّوَّاف في رسالَتهِ بعلْمٍ، وَإِنّما هي تَخَرُّصات وظنونٌ كاذبَةٌ أَوْحاهَا الشَّيطانُ إلىٰ أوليائِهِ منْ فلاسِفَةِ اليُونانِ وأتباعِهِم منْ فلاسفَة الإفرنجِ المُتأخرِين، فاغْترَّ بها أتباعُهم ومُقَلِّدوهُم مِنْ جَهلَةِ المُسْلمينَ، وَظَنُّوها عِلْمًا صحيحًا، وَهِي في الحَقِيقةِ جَهْلٌ صِرفٌ لا يَروجُ إلَّا علىٰ جاهِلٍ لا يُمَيِّزُ بينَ العِلْمِ والجَهلِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ علماءَ المُسلمينَ مُنزَّهونَ عَن تشجيعِ علْمِ الفَلَكِ وَبِناءِ المَراصِدِ -كَما سَيأتِي بيانُ ذَلكَ في الفَصلِ الَّذي بعدَ هذا الفَصْلِ-، وَما زَعَمَه الصَّوَّاف ههنا فَهو مِن الافْتِراءِ عَلىٰ عُلماءِ المُسْلمينَ.

الوَجْه الثَّالِثُ: أنَّ الَّذي نَشَرَه الصَّوَّاف في رِسالتِهِ كُلّهُ منْ تَخرُّصات

«فِيثاغُورس» اليُونانِيّ[١]، وَأتْباعِه من فلاسفَةِ الإِفرِنجِ المُتأخِّرينَ، وَمِنهم: «كوبرنيك» البُولُوني، وَ«تيخو براهي» الدَّانيماركي[٢]، وَ«كبْلر»[٣] وَ«غاليليه»[٤]، وَ«نُيوتِن» الإنجليزِي[٥]، وَ«هرشل» الإنجليزي، وَ«دارْوِين»

---

(١) فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسس الحركة الفيثاقورية، كما يُعرف بمعادلته الشهيرة «نظرية فيثاغورس»، ولد سنة (٥٧٠ ق.م) في جزيرة ساموس، وسافر إلىٰ بلاد عديدة. أقام في مستعمرة كرتون اليونانية في إيطاليا حوالي سنة (٥٣٠ ق.م)، حيث أنشأ مدرسة لمناقشة موضوعات فلسفية مختلفة مِن مثل: ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد. مات سنة (٤٩٥ ق.م).

(٢) فلكي دنماركي، ولد بسكانيا سنة (١٥٤٦م)، ورعاه منذ طفولته عمه الثري، وألحقه عام (١٥٥٩م) بجامعة كوبنهاغن لدراسة القانون، لكن بعض الحوادث الكونية جعلته يتحول عن دراساته القانونية إلىٰ علم الفلك. مات سنة (١٦٠١م).

(٣) عالم رياضيات وفلكي وفيزيائي ألماني، كان أول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب بعد اعتماد فكرة الدوران حول الشمس كمركز لمجموعة الكواكب من قبل كوبرنيك وغاليلي. ولد سنة (١٥٧١م)، ومات سنة (١٦٣٠م).

(٤) جاليليو جاليلي، عالِم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، ولد في إيطاليا سنة (١٥٦٤م). نشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة علىٰ أسس فيزيائية، فقام أولًا بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة، وقام بذلك عن طريق الملاحظة والتجربة عن طريق التكنولوجيا الجديدة للتلسكوب. مات سنة (١٦٤٢م).

(٥) إسحاق نيوتن، ولد في (٤ يناير ١٦٤٣)، بانجلترا. اكتشف العديد من النظريات في الفيزياء الحديثة والرياضيات، وألف العديد من الكتب التي أثرت في علم الفيزياء حتي الآن، توفي في لندن (٣١ مارس ١٧٢٧).

الإنجليزي(١). وَهَؤلاءِ كُلُّهم مِن أعداءِ المُسلمينَ، وَلَيْسوا منَ المُسْلمين، فَضْلًا عنْ أَن يكونوا مِنْ أجدادِ المُسلمينَ، كَمَا توهَّمهُ الصَّوَّاف، وَمَن زعمَ أنَّ هؤلاءِ الفلاسفَةَ منْ أجدادِ المسلمينَ فَهُو مِن أكذبِ الكَاذِبين.

الوَجْه الرَّابعُ: أنَّ المَفاخرَ كُلَّ المفاخرِ لِلّذينَ حملوا علمَ الكتابِ وَالسُّنّةِ ونشَرُوه في هذهِ الأمّةِ، وَهُمُ الصّحابَةُ وَالتَّابِعونَ وَتَابعُوهمْ بِإحسانٍ، وَأَئِمّةُ العِلْمِ والهُدىٰ مِن بعدِهم، فَأَمّا تَخَرُّصات أَعْداءِ اللهِ وظنُونُهم الكاذبةُ فَلَيْست بِمَفَاخِر كَما قدْ توهمه الصَّوَّاف، وَإنّما هي معائبُ وجهالاتٌ وَضَلالاتٌ تُزْري بِمَن تعلَّقَ بِها غايَةَ الإِزْراءِ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿**أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الملك: ٢٢]، وَأَوّل هذه الآيةِ الكريمةِ مطابِقٌ لأهلِ التَّخَرُّصات والظُّنُونِ الكاذبَةِ، وآخرُها مطابِقٌ لأهلِ العِلْم الحقيقِيِّ الَّذي هو علمُ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ.

الوَجْه الخَامِس: أنَّ بناءَ المَراصِدِ مِن أفعالِ المُنَجِّمينَ مِن اليونانِ والصَّابئينَ، وَمَن يقَلِّدهم وَيَحْذو حذوَهُم منَ المُنحرفينَ عَنِ الدِّينِ مِن هذهِ الأمّةِ، وَما كانَ هكذا فَلَيسَ فيه فضْلٌ أَلْبتّةَ، ولَيْس هو منَ المفاخِرِ كَمَا قَدْ تَوَهّمه الصَّوَّاف! وَإِنّما هو منَ المَثالِبِ والمَعائِبِ وَاتّباعِ غيرِ سبيلِ المُؤمنينَ، وَقَد قالَ

---

(١) تشارلز روبرت داروين، عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في انجلترا في (١٢ فبراير ١٨٠٩)، وتوفي في (١٩ أبريل ١٨٨٢).

اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَروىٰ الإمامُ أحمدُ وَأَبو داودَ وَغَيْرُهما عنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، صَحَّحَهُ ابنُ حِبَّانَ، وقالَ شيخُ الإسلامِ أبو العبَّاس ابنُ تيمِيَّةَ: إِسنادُهُ جيِّدٌ، وقالَ الحافظُ العِراقِيُّ: إسنادُه صحيحٌ، وقالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ العَسقلانِيُّ: إسنادُهُ حسنٌ، وَقَدِ احْتجَّ الإمامُ أحمدُ بهذا الحديثِ، وهذا يقتضي صحَّتَه عندَهُ.

قال شيخُ الإسلام أبو العباسِ بنُ تَيْمِيَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَهَذا الحديثُ أَقَلُّ أحوالِهِ أنَّه يقتضِي تحريمَ التَّشَبُّهِ بهمْ، وإنْ كان ظاهرُه يقتضي كفْرَ المُتَشَبِّه بهِم؛ كَما في قولِه تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١]». انْتَهىٰ(٢).

* * *

فصل

وَذَكَرَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٢: أَنَّ ما جمَعَه في رسالَتِه فَهُو ممّا تركهُ العلماءُ الأعلامُ والخلفاءُ العِظامُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٧٠).

والجوابُ أنْ يُقالَ: لَيس هذا بِصحيحٍ، فإنّ الخلفاءَ العِظامَ علىٰ الحقيقةِ هُم أبُو بكرٍ وعمرُ وَعُثمانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلم يُؤثَرْ عن أحَدٍ منهم أنَّه تكلَّمَ في علْمِ الفلكِ بشيءٍ فضْلًا عنِ القوْلِ بسكونِ الشَّمس وَدورانِ الأَرْضِ عليها، وكذلك ما ذكرَهُ الصَّوَّاف منَ الهذَيانِ الكثيرِ في الأرضِ والشَّمس والقَمرِ والكواكبِ، فَإنَّ هذا ممّا يُنزَّه عنه آحادُ العقلاءِ فضْلًا عنِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهؤلاءِ الخلفاءُ الأربعَةُ هُم القدوةُ بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ التِّرمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ -أَيْضًا- ابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ(١).

وَلَا عِبرَةَ بمَنْ حادَ عنْ مِنهاجِ هَؤُلَاءِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ مِنَ المُلُوكِ كَالمَأْمونِ(٢)، فَإنَّه قدِ اعْتَنىٰ بِتَعريبِ كُتُبِ الأوائِلِ، وَعَمِلَ الأرصادَ، ففَتَح بذلكَ

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩) وقال: صحيح ليس له علة. وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، وصححه الألباني.

(٢) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس: سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولد سنة سبعين ومائة، ولي الخلافة بعد خلع

علىٰ الأمَّةِ بَابَ شَرٍّ عَريضٍ.

وَقَد ذكرَ السَّفَّارينِيُّ[١] في كِتابِهِ «لَوَامِعُ الأنْوارِ البَهِيَّةِ»[٢] عَنِ الصَّلاحِ الصَّفدي[٣] أَنَّه قالَ: «حَدَّثني مَن أثقُ بِه، أنَّ شيخَ الإسلامِ ابْنَ تَيميَّةَ -روَّحَ اللهُ رُوحَهُ- كانَ يقولُ: مَا أظنُّ أنَّ اللهَ يغْفلُ عَنِ المأمونِ، وَلَابدَّ أنْ يُقابِلَه علىٰ ما اعْتَمَده معَ هذهِ الأمّةِ مِن إدخالِ العلومِ الفَلسفِيَّة بينَ أهْلها».

=

أخيه الأمين (سنة ١٩٨هـ)، فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلًا أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليوس وغيرهم، فاختار لها مهرة التراجمة، فترجمت، وحض الناس علىٰ قراء تها، توفي سنة (٢١٨هـ). «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٤٢، ١٤٣).

(١) محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد سنة (١١١٤هـ) في سفَّارين (من قرىٰ نابلس)، ورحل إلىٰ دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلىٰ نابلس فدرَّس وأفتىٰ، وتوفي فيها سنة (١١٨٨هـ). «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٤).

(٢) «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية» (١/ ٩).

(٣) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد سنة (٦٩٦هـ) في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، فعانىٰ صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولىٰ ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها سنة (٧٦٤هـ). «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣١٥).

وَقَال الحافِظُ أبو عَبد اللهِ الذَّهبيُّ في «تَذْكِرَةِ الحُفَّاظِ»(١) في ترجمةِ شُجاعِ بنِ الوليدِ بنِ قيسٍ(٢): «لَمَّا قُتِلَ الأمينُ(٣)، وَاستُخْلفَ المأمونُ علىٰ رأسِ المِائتينِ نَجم التَّشَيُّعُ، وأبْدَىٰ صفحتَهُ، وبزَغَ فجرُ الكلامِ، وَعُرِّبتْ كُتبُ الأوائِلِ ومنطِقُ اليونانِ، وَعملَ رصْد الكواكِبِ، ونشَأَ للنّاس علمٌ جديدٌ مُرْدٍ مُهْلكٌ، لَا يلائِمُ علمَ النُّبوةِ، وَلا يوافقُ توحيدَ المُؤمنينَ، قدْ كانت الأمَّة منه في عافيَةٍ.

إلىٰ أنْ قالَ: «إنَّ منَ البلاءِ أنْ تعرفَ ما كنْتَ تنكِرُ، وتنكرَ ما كنتَ تعرِفُ، وَتُقَدَّمَ عقولُ الفلاسفَةِ، ويُعزَلَ منقولُ اتّباعِ الرّسلِ، وَيُمارىٰ في القُرآنِ، وَيُتبَرّمَ بالسُّننِ وَالآثارِ، وَتقعَ في الحيرَةِ. فَالفِرارَ قبلَ حلولِ الدّمارِ، وَإيّاكَ ومُضِلّاتِ الأهواءِ، وَمُحارَاتِ العُقولِ، وَمَن يعتَصِمُ باللهِ فَقد هُدِي إِلىٰ صراطٍ مُسْتقيمٍ»، انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

(١) (١/ ٢٤٠).

(٢) شجاع بن الوليد بن قيس، الحافظ الثقة الفقيه، أبو بدر السكوني الكوفي الرجل الصالح، قال الذهبي: قد احتج به الستة. ومات سنة أربع ومائتين. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٣٩).

(٣) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور: خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد سنة (١٧٠هـ). وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ١٩٣هـ) بعهد منه، وقتل سنة (١٩٨هـ). «الأعلام» (٧/ ١٢٧).

وَقالَ المَقريزِيُّ(١) في كتابِ «الخُطَطِ»(٢): «وَقَد كانَ المَأْمونُ لمّا شُغِف بالعلومِ القَدِيمَةِ بعثَ إلىٰ بلادِ الرُّوم مَن عَرَّبَ لَهُ كُتُبَ الفلاسِفَةِ، وَأَتاه بها في أعْوامِ بِضْعَ عَشرَةَ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الهِجرةِ، فَانْتَشرتْ مَذاهبُ الفَلاسفَةِ في النّاس، وَاشْتهرتْ كتُبهم بعامَّةِ الأمْصارِ، وَأَقْبلت المُعتزِلَةُ(٣) والقَرامِطَةُ(٤)

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبكَّ، ونسبته إلىٰ حارة المقارزة (من حارات بعلبكَّ في أيامه)، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، ولد (٧٦٦)، وتوفي (٨٤٥هـ). «الأعلام» (١/ ١٧٧).

(٢) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (٤/ ١٩١).

(٣) المعتزلة: سمُّوا معتزلة لأن واصل بن عطاء لما أظهر بدعته طرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري المسجد وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد، فقال الناس فيهما: إنهما اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذٍ «معتزلة»، ويقال لهم: قدرية؛ لردهم لقضاء الله، ويلقبون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وغير ذلك، وهم ينفون صفات الله تعالىٰ ويطلقون عليه السلوب، وقالوا بخلق القرآن، ونفوا الرؤية، وأنكروا قضاء الله وقدره للمعاصي، وأثبتوها للعباد دونه، وهم فرق كثيرة، يكفر بعضها بعضًا. انظر: «التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسين الملطي (ص٤٩)، و«مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٥٣).

(٤) القرامطة: من الباطنية، ولقبوا بذلك نسبة إلىٰ رجل من دعاتهم يقال له: حمدان بن قرمط، ويعود في أصله إلىٰ خوزستان -الأهواز- أظهر التقشف والزهد في أول عهده، فاستمال إليه بعض الناس، فسموا «قرامطة»، وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع، وظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من

والجَهْمِيَّةُ(١) وغيرُهُم عليهَا، وَأكْثَروا منَ النَّظرِ فيها وَالتَّصفُّحِ لها، فَانْجرَّ عَلىٰ الإِسْلامِ وَأهْلِه منْ علومِ الفَلاسفَةِ مَا لا يُوصَفُ من البلاءِ والمِحْنةِ في الدّين، وَعَظُمَ بالفَلْسَفَةِ ضلالُ أهلِ البدَعِ، وزادَتْهم كفرًا إلىٰ كُفْرِهِم»، انْتَهىٰ.

وَقد سارَ علىٰ مِنهاجِ المَأمونِ في عمَلِ الأَرْصادِ كثيرٌ مِن الملوكِ المُنحرفينَ؛ مِثْلُ الحاكمِ العُبيدِيّ(٢)،........

=

الشبهات، والمعصوم يطلع من جهة الله علىٰ جميع أسرار الشرائع، ولابد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه، إضافة إلىٰ أقوالهم الباطلة وآرائهم الشنيعة في الإله والنبوة، والقيامة والتكاليف الشرعية، والتي يتضح من خلالها أنها فرقة ملحدة ضالة، وحركة باطنية هدامة.

انظر: «فضائح الباطنية» للغزالي (ص: ١٢ وما بعدها)، و«القرامطة» لمحمود شاكر (ص: ٥ وما بعدها).

(١) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، وهي إحدىٰ الفرق الضالة، تقول بالجبر والاضطرار إلىٰ الأعمال، وإنما تنسب الأعمال إلىٰ المخلوقين مجازًا، وتزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان إلىٰ غير ذلك من الضلالات والبدع. انظر: «الفرق بين الفرق» (ص٢١١)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٦).

(٢) أبو علي المنصور، الملقب الحاكم بأمر الله، ابن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي، صاحب مصر. قال عنه الذهبي: «وكان شيطانًا مَريدًا جبارًا عنيدًا، كثير التلون، سفَّاكًا للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، جوادًا ممدَّحًا، له شأن عجيب، ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكامًا يُلزم الرعية بها، أَمَر بسبِّ الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ، وبكتابة ذلك علىٰ أبواب المساجد والشوارع، وأمر عماله بالسَّبِّ». انظر: «السير» (١٥/ ١٧٤).

وبعض بني بُوَيْه[١]، والسَّلاجِقَة[٢]، وَهُولاكو[٣]، وَتَيمورلَنْك[٤]، وَأُولغ بك[٥].

فَهؤلاءِ هُمْ خلفاءُ الصَّوَّاف الَّذين تركوا لهُ ولأشْباهِهِ مِنْ علْمِ الفَلكِ وعَمَلِ الأرصادِ ما تَركوا، وَمَع ما كانوا عليهِ مِن الاعتناءِ بالأرصادِ وَعِلم الفَلكِ فقدْ كانوا علىٰ مَذْهب أهلِ الهيئَةِ القديمَةِ في القولِ بِسُكونِ الأرضِ، وَجَريانِ الشَّمس، ولمْ يُذكرْ عَن أحدٍ منهُم أنَّه قالَ بِتَعدُّد الشُّموسِ وَالأقْمارِ، وَلا بِغير ذلكَ مِمّا يَهْذُو بِهِ أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعُهم في أبعادِ الكَواكِبِ ومقَادِيرهَا،

---

(١) وهي دولة رافضية ظهرت في العراق وقسم من إيران سنة (٣٣٤هـ)، وانقرضت سنة (٤٣٧هـ)، والاثنا عشرية تعدها من دولها. انظر: «الشيعة في التاريخ» (ص٩٨)، و«الشيعة في الميزان» (ص١٣٨-١٤٨).

(٢) السلاجقة قوم من الأتراك السُّنِّيِّين ظهروا في بلاد خراسان، وامتد نفوذهم إلىٰ عاصمة الخلافة، واستطاعوا أن يقضوا علىٰ دولة بني بويه الشيعية عام (٤٤٨هـ). انظر: «تاريخ دولة آل سلجوق» لعماد الدين الأصفهاني (ص١٢)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٤٣).

(٣) هولاكو بن تولي قان ابن الملك جنكزخان، ملك التَّتار، ومقدَّمهم، المتوفىٰ سنة (٦٦٤هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥/ ١٠٥).

(٤) تيمورلنك: الأعرج، ملك التتار، الشقي الخارجي، الذي خرب البلاد وأباد العباد، كان خروجه في سنة عذاب وهي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وقدم دمشق وأحرقها في سنة خراب وهي سنة ثلاث وثمانمائة، وأراح الله الإسلام بهلاكه سنة (٨٠٧). «ديوان الإسلام» لابن الغزي (٢/ ٤، ٥).

(٥) ألغ بك مُحَمَّد بن الأمير معِين الدين شاهر بن الأمير تيمورلنك الكركاني صَاحب سَمَرْقَنْد، الشهير بألغ بك، توفي سنة (٨٥٣هـ). «هدية العارفين» (٢/ ١٩٧).

وغيرِ ذلكَ ممَّا أودعَهُ الصَّوَّاف في رسالَتِه، وزعمَ أنَّه ممّا تركَهُ الخلفاءُ العِظَامُ، وهوَ بذلكَ قدِ افترَىٰ عليهمْ، وَنَسب إليهمْ مَا لَمْ يُؤثَرْ عنهُم، وإنّما هو مأثورٌ عَن أهلِ الهَيْئةِ الجديدَةِ وأتباعِهِم.

وَأَمّا زعمُهُ أنَّ ما جمعَهُ في رسالَتِه فهوَ مِمّا تركهُ العُلماءُ الأعلامُ.

فَجَوابُهُ: أنْ يقالَ: إنَّ أعلمَ هَذِه الأمَّةِ علىٰ الإطْلاقِ علماءُ الصَّحابَةِ -رضوان الله عليهم أجمعين-، ولمْ يتكلّم أحدٌ منْهُم في علْمِ الفَلكِ بِشَيءٍ فَضْلًا عنِ القولِ بحركةِ الأرضِ وثباتِ الشَّمس، وَالرّجمِ بالغيْبِ عنْ أبعادِ الكَواكِب ومقادِيرِ أجْرَامِها وغيرِ ذلكَ مِمّا أودَعَه الصَّوَّاف فِي «رِسالتِهِ».

ثُمّ التَّابعُونَ وَتابعُوهُم بإِحسانٍ وَأَئِمّة العِلْمِ والهُدىٰ مِن بعدِهم، وَلَاسِيّما الأئمَّةُ الأربعَةُ، وَأَقْرانُهم مِن أكابِرِ العُلَماءِ، فَهَؤُلاءِ هُمُ العلماءُ الأعلامُ علىٰ الحقيقَةِ، ولَمْ يقلْ أحدٌ مِنْهم بحركَةِ الأَرْض وثباتِ الشَّمس، وَلَم يرْجُموا بالغَيْبِ عنْ أبعادِ الكواكِبِ ومقاديرِ أجْرامِها، وَغَير ذلك ممّا أودعه الصَّوَّاف في «رِسالتِهِ» ونسَبَه إلىٰ العُلماءِ الأعْلامِ، وَهُو بذلكَ قدِ افْتَرىٰ عليهِم، وَنَسب إليهِمْ مَا لَمْ يؤثَر عن أحَدٍ مِنْهم، وإنّما هو مأثورٌ عن أهْلِ الهيئَةِ الجَديدَةِ وأتباعِهِم، فهُم في الحقيقَةِ خُلَفاءُ الصَّوَّاف الَّذين زعمَ أنّهم عظامٌ، وعلماؤُه الَّذين زعَمَ أنّهم العلماءُ الأعلامُ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ (١٢) حرَّفَ الصَّوَّاف هذهِ الآيَةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، فَقَالَ: وَلَا تجْعل في صُدُورنا غِلًّا للَّذين آمنُوا!!

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ (٢١) وما بعدَها ساقَ رَدَّهُ علىٰ الشَّيخِ ابْنِ بازٍ، وَقَرَّرَ فيه القَولَ بِثَباتِ الشَّمس وحركَةِ الأرضِ وَسَبْحها فِي الفَلَكِ، وجَعلَ ذَلِك من علومِ المُسلمينَ فِي الفَلَكِ. وَهَذا خطأٌ كَبِيرٌ، فَإِنَّ هذا القولَ الباطِلَ مِن أقوالِ أَهْل الهيئَةِ الجديدَةِ وهمْ منْ فلاسِفَةِ الإفرِنْجِ المُتأخِّرينَ، وَالمسلمونَ بريئونَ مِن هذا القَوْلِ المُخالفِ لِلكتَابِ والسُّنَّةِ وَإِجماعِ المُسْلمينَ، وَقَدِ استوفَيْتُ الرَّدَّ عليهِ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»[1] فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

(١) (ص٩٤ وما بعدها).

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٢٨ سَمَّىٰ الأرضَ الكوكَبَ الأرْضِيّ، وهذَا من أقوالِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ، وَليسَ من أقوالِ المُسْلمينَ، وَقَد تعَقَّبْتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة»(١) فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٢٨ -أَيْضًا- نَقَل الصَّوَّافُ عَنِ المُلحدِ الجَهْميِّ (جميل صدقي الزَّهاوي)(٢) أَنَّه قالَ:

وَمَا الأرضُ بينَ الكائناتِ الَّتي تَرىٰ ... بِعينَيْك إِلَّا ذَرَّة صغرتْ حجْمَا

وَنَحوُ هذا قَوْل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ (٨٣): «أنَّ الأرضَ ما هي إِلَّا فُقَّاعةٌ في محيطٍ»، وقولُه -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ (١٠٩): «ولعَلَّ أدقَّ وصفٍ للأرضِ

---

(١) (ص١٧٢ وما بعدها).

(٢) جميل صدقي بن محمد فيضي ابن المنلا أحمد بابان، الزهاوي: شاعر، ينحو منحىٰ الفلاسفة، من طلائع نهضة الأدب العربي في العصر الحاضر، مولده ووفاته ببغداد، كان أبوه مفتيها، وبيته بيت علم ووجاهة في العراق، كردي الأصل، أجداده البابان أمراء السليمانية (شرقي كركوك) ونسبة الزهاوي إلىٰ (زهاو)، ولد سنة (١٢٧٩هـ) وتوفي سنة (١٣٥٤هـ). «الأعلام» للزركلي (٢/ ١٣٧).

بالنِسبةِ لِلكوْنِ هوَ أَنَّها هباءَةٌ دقيقَةٌ لا تُرىٰ إِلَّا بالمِجْهر في هذا الفَضاءِ الفَلَكيِّ الواسِعِ بِالنِّسبَةِ إلىٰ الأجْرامِ السَّماوِيَّةِ المُتناثِرَةِ في أنحاءِ الكوْنِ».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يقالَ: ما يُدْري جَميلًا الزَّهاويَّ أَنَّ الأرضَ كالذَّرَّةِ بينَ الكائناتِ الَّتي يَراها الإنسانُ بِعينَيْهِ: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]؟! وَما يُدري الصَّوَّافَ أَنَّ الأرض ما هي إِلَّا فُقَّاعَةٌ في محيطٍ، وأنّها هباءَةٌ دقيقةٌ لا تُرىٰ إِلَّا بالمِجْهر في هذا الفضاءِ الفلكيِّ الواسِعِ؟! هَلْ وَجدَ ذلك في كتابِ اللهِ تَعالىٰ أو فيما صحَّ عن رسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أُنْزِل عليه الوحيُ بذلكَ؟!

وَإذا كانَ كلُّ هذا معدومًا، فلا شَكَّ أنَّه وصاحبَهُ قد قَفَوْا ما ليس لهُما بهِ عِلمٌ، وَلَيْس لهمَا مستنَدٌ فيما زَعَماهُ سِوىٰ التَّخَرُّصِ واتباعِ الكَذِبِ.

وَقدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وَقالَ تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وَقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ اللهَ تَعالىٰ عَظَّم شَأْن الأرضِ في كِتابهِ، وَنوَّه بذِكْرِها أَكْثَر ممّا عظّم من شأنِ الشَّمس والقَمرِ وَالكواكِبِ، وَقَرنَ خلْقها مع خلقِ السّمواتِ في عدَّةِ آياتٍ منَ القرآنِ، وأخبرَ أنَّه خلقَهَا وما فيها في أربعَةِ أيَّامٍ، وأنَّه خلقَ السَّمواتِ وَمَا فيهنَّ في يومينِ[(١)]، وَذَلك يدُلُّ علىٰ عِظَمِ الأرضِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وَقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] الآيةَ. وَقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧] الآيَةَ. وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآيَةَ. إلىٰ غيرِ ذلكَ مِن الآياتِ الكثيرَةِ الدَّالَّةِ علىٰ عظَمِ الأرضِ وَسَعَتِها.

وَقَد جاءَ في تعظيمِ خَلقِ الأرضِ أحاديثُ كَثيرَةٌ عنِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مِنْها: مَا رَواهُ الإمامُ أحمَدُ وَالشَّيخانِ وَالتِّرمذِيُّ وَالنَّسائِيُّ، عنْ عبدِ اللهِ بْنِ

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [فصلت: ٩- ١٠].

مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاءَ حَبْرٌ منَ الأحبارِ إلىٰ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: يَا محمَّدُ، إنَّا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السّمواتِ عَلَىٰ أُصبعٍ، وَالأرَضين عَلَىٰ أُصْبعٍ، وَالشَّجرَ علىٰ أُصْبُعٍ، والماءَ وَالثَّرىٰ علىٰ أُصْبعٍ، وَسائِرَ الخَلائِقِ عَلىٰ أصْبعٍ، فَيقولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدتْ نَواجِذُهُ؛ تصديقًا لِقولِ الحَبْرِ، ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] الآيَةَ(١).

وَمِنها: مَا رواهُ الإمامُ أَحْمدُ وَالتِّرمذيُّ، عنِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ يهودِيٌّ برسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالِسٌ، قالَ: كيفَ تقولُ يا أبا القاسِمِ يومَ يجعلُ اللهُ السّماءَ علىٰ ذِه -وَأَشارَ بِالسّبابَةِ- وَالأَرْضَ علىٰ ذِه، وَالمَاءَ علىٰ ذِه، وَالجبالَ عَلىٰ ذِه، وسائِرَ الخلقِ علىٰ ذِه، كُلُّ ذَلِك يشيرُ بِأصابِعِه، فأنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]»، قَالَ التِّرمذيُّ: «هَذا حديثٌ غَريبٌ صَحِيحٌ»(٢).

وَمِنْها: مَا رواهُ ابْنُ حبَّان في «صحيحِهِ»، وَالحاكِمُ في «مُسْتدرَكِهِ» عَنْ أبي سعيدٍ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٧) (٤٣٦٨)، والبخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٢٣٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٢٣٩) (١١٣٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٥١) (٢٢٦٧) و(١/ ٣٢٤) (٢٩٩٠)، والترمذي (٣٢٤٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٥٤٥).

الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ربِّ، عَلِّمْنِي شيئًا أَذْكرُكَ وأَدْعوكَ بِهِ، قَال: قُلْ يَا مُوسىٰ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قَالَ: كُلُّ عِبادِكَ يقولُون هَذا، قالَ: يَا مُوسىٰ، لَوْ أَنَّ السَّمواتِ السَّبعَ وعامرَهُن غيْرِي، والأَرَضين السَّبْعَ في كِفَّةٍ، وَ«لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» في كِفَّةٍ - مَالَتْ بِهِنَّ «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**..»، قَالَ الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسْنادِ وَلَمْ يخرِجَاهُ»، وَوافَقَه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه»(١).

وَمِنها: ما رواهُ الإمامُ أحمدُ، وَالبخارِيُّ في «الأَدَبِ المُفْرَدِ»، وَالطَّبَرانِيُّ عَن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ نبيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حضرَتْه الوفَاةُ، قَال لابْنِه: إِنِّي قاصٌّ عليكَ الوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأنهاكَ عَنِ اثْنَتين، آمُرُك بِـ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَإِنّ السّمواتِ السّبْعَ والأرضينَ السّبْعَ لَوْ وُضعَتْ فِي كِفّةٍ، وَوُضِعَتْ «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فِي كِفّةٍ- رَجَحَتْ بِهِنَّ «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**...»، وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٤/ ١٠٢) (٦٢١٨)، والحاكم (١/ ٧١٠) (١٩٣٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩/ ٣٠٧) (١٠٦٠٢) من طريق دارج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وهذا إسناد فيه ضعف، دراج أبو السمح قال عنه الحافظ في «التقريب» (١/ ٢٠١).: «صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف»، وهذا من رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٩٢) (٥٤٨)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٧) (١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤). ومعنىٰ

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْدويهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنّه سأَلَ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُرْسِيِّ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ**(١)**، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ عَلَىٰ الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الحَلْقَةِ**»(٢).

وَالأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ عِظَمِ الأَرْضِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَفِيمَا ذَكرتُه ههنا كفايةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ.

وَفِيما ذَكَرْتُه منَ الآياتِ وَالأحاديثِ أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَىٰ عِظَمِ الأَرْضِ، وَفِيهَا أبلَغُ رَدٍّ عَلَىٰ مَنْ صَغَّرَ الأَرْضَ وَحَقَّرَهَا، وَزَعَمَ أَنَّها كَالذَّرَّةِ أو كَالفُقَّاعَةِ فِي المُحِيطِ، أَوْ كَالهَبَاءَةِ الَّتي لَا تُرَىٰ إِلَّا بِالمِجْهَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ أجرامِ الكَوَاكِبِ، وَقَد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أنَّ اللهَ تعالىٰ قَالَ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ

=

«قصمتهن»: كسرتهن.

(١) الفلاة: الصحراء والأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١ / ٣١٠) وعزاه إلىٰ أبي بكر بن مردويه بسنده إلىٰ أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده محمد بن أبي السري العسقلاني، ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن معين، وقال ابن عدي: كثير الغلط.

وللحديث طرق أخرىٰ لا تخلو من ضعف، وقد صحح الألباني هذا الحديث بمجموع طرقه كما في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩)، فليراجعه من شاء.

ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ١-٢]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ١-٢]. قَالَ البَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ فِي قولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]: أَيْ تَنَاثَرَتْ مِن السّماءِ وتَسَاقَطَتْ عَلىٰ الأرضِ(١)؛ كَمَا قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢].

وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ:** «يُكَوِّرُ اللهُ الشَّمس وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ يَوْمَ القِيامَةِ فِي البَحْرِ وَيَبْعَثُ رِيحًا دَبُورًا فَيُضْرِمُهَا نَارًا»، رَواهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ. وَكَذا ذَكَرَ البغوِيُّ في «تَفْسيرِهِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَذا قَالَ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ(٢).

قُلْتُ: وَيَشْهدُ لِهذا الأَثَرِ ما رواهُ البُخارِيُّ في «صَحِيحِهِ»(٣) عَن عبدِ اللهِ الدَّاناج(٤) قَالَ: حدثَنِي أبو سلمَةَ عبدُ الرَّحمنِ، عَن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**الشَّمسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وَرواهُ البَزَّار مِن حديثِ عبد الله الدَّانَاجِ قَالَ: سمعتُ أَبَا سلَمَةَ بنَ عبدِ

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٤٠٥) (١٩١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٢- ٣٥٣).

(٣) (٣٢٠٠).

(٤) عَبد اللهِ بن فيروز الداناج البَصْرِيُّ، وهو بالفارسية: داناه، وهو العالم. ثقة. انظر: «التقريب» (١/ ٣١٨) (٣٥٣٥).

الرحمَنِ زمنَ خَالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيّ، فِي هذا المسْجِدِ مسجِدِ الكوفَةِ، وَجاءَ الحَسَنُ فجلسَ إليه، فَحَدّث، قالَ: حدثَنَا أبُو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الشَّمس والقمرَ ثَوْرانِ في النَّارِ عَقِيرَانِ يَوْمَ القِيامَةِ**»، فَقالَ الحَسَنُ: وَما ذنبُهما؟ فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقولُ: وَمَا ذنبُهُما؟![1]. إِسْنادُهُ صحيحٌ عَلىٰ شرطِ مُسْلِمٍ.

وَرَوىٰ أَبُو يَعْلىٰ عنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الشَّمس وَالقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**»[2]، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: فيهِ ضُعفاءُ قَدْ وُثِّقُوا.

قُلْتُ: وَما تقدَّمَ عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشْهَدُ لَهُ ويقوِّيهِ.

وَرَوىٰ ابْنُ أَبِي حاتِمٍ عنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ سمعَ ابْنَ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولُ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وَجَهَنَّمُ هو هذا البَحْر الأخضَرُ تَنْتثِرُ الكواكِبُ فيهِ، وَتُكوَّرُ فيه الشَّمس والقمَرُ، ثمَّ يوقدُ فيكونُ هو جهنمَّ[3].

وَرَوىٰ الإمامُ أحمدُ، وابنُ جَريرٍ، والحاكِمُ عن يَعْلىٰ بنِ أميَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ:

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٥/ ٢٤٣) (٨٦٩٦)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٦٩٢).

(٢) رواه أبو يعلىٰ (٧/ ١٤٨) (٤١١٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٥٩) (٦٣٩٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٠٧٥) (١٧٣٩٣).

قالَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**البحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ**»، قَالَ الحاكِمُ: صَحِيحُ الإِسْنادِ، وَوَافقَهُ الذَّهَبِيُّ في «تَلْخيصِهِ»(١).

وَفِيما ذَكَرْنَا دَلِيلٌ عَلىٰ عِظَمِ الأَرْضِ؛ لِأَنَّ الشَّمس والقمرَ والنُّجومَ تَنْتثِرُ يومَ القيامةِ في البَحْرِ فيَسَعُهَا كُلَّهَا. وَلوْ كانتِ الأرضُ كالذَّرَّةِ أو كَالفُقَّاعَةِ في المحيطِ أوْ كالهباءَةِ الَّتي لا تُرىٰ إِلَّا بالمِجهَرِ بالنِّسبَةِ إلىٰ أجرامِ الكواكبِ لَمَا وسعتِ الأَرْضُ كوكبًا واحِدًا وَلَا بَعْضَ كوكَبٍ، وَهذا ظاهِرُ البُطْلان؛ لِمُخالَفَتِهِ لِمَا دلَّتْ عَليهِ الآياتُ وَالأَحادِيثُ الَّتي ذكرنا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الوَجهُ الرابعُ: أنْ يقالَ: إِنَّ جميلًا الزهاويَّ كان جهميًّا كذَّابًا أفّاكًا؛ كَما يُعْلَمُ ذلكَ من كتابِهِ الَّذي سمّاه «الفَجْرَ الصَّادِقَ»(٢)، وَهو في الحقيقَةِ «الفَجْرُ الكَاذِبُ، وَالظُّلْمَةُ الحَالِكَةُ»، وَقَدْ رَدَّ عليهِ الشَّيخُ العلّامةُ سُليمانُ بنُ سَحْمانَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- شَافِيًا كافِيًا في كِتَابِهِ الَّذي سمّاه «الضِّياءُ الشّارِقُ فِي رَدِّ شُبُهَاتِ المَاذِقِ المَارِقِ»(٣)، وَرَدَّ -أَيْضًا- في آخرِهِ علىٰ مَنْ قَرَّظ كتابَ جَميلٍ(٤)

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٢٣) (١٧٩٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦)، والحاكم (٤/ ٦٣٨) (٨٧٦٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٣).

(٢) «الفجر الصادق في الرد علىٰ الفرقة الوهابية المارقة» نشرته دار الصديق الأكبر سنة (١٣٢٣هـ)، وهو كتاب قد حوىٰ من الإفك والضلال المبين ما يدل علىٰ زندقة كاتبه.

(٣) وهو مطبوع في مجلد بتحقيق العلامة عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ط: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) وهو رجل يقال له: عبد الصمد بن أحمد النساك.

بِقصيدةٍ أَجادَ فيها وَأَفادَ[(١)]، وأَوَّلُها:

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الجَهْلِ مِنْ كُلِّ مَاذِقِ   وَكُلِّ كَفُورٍ مِنْ ذَوِي الغَيِّ مَارِقِ
كَـلَامُ جَمِيـلٍ لا جَمِيـلٌ فَيُنْتَقَـىٰ   وَلَا بِسَـدِيدٍ يُرْتَضَـىٰ فِـي الحَقَـائِقِ
عَلَـىٰ أَنَّـهُ هَمْـطٌ وَخَـرْطٌ مُلَفَّـقٌ   أَكَاذِيبُ لا تُعْزَىٰ إِلَىٰ نَقْلِ صَادِقِ
أَتَـىٰ فِيـهِ بِـالكُفْرِ الصَّـرِيحِ مُجَاهِرًا   وَمُرْتَضِـيًا مَـا قَـدْ أَتَـىٰ مِـنْ شَقَاشِـقِ

إِلَىٰ أَنْ قَالَ:

كِتَـابٌ حَـوَىٰ إِفْكًـا وَزُورًا وَمُنْكَـرًا   وَكُفْـرًا وَتَعْطِـيلًا لِـرَبِّ الخَلَائِـقِ
فَعَطَّـلَ أَوْصَـافَ الكَمَـالِ لِرَبِّنَـا   وَعَنْ كَوْنِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ الطَّرَائِقِ
وَأَنْكَـرَ مِعْـرَاجَ الرَّسُـولِ حَقِيقَـةً   بِـذَاتِ رَسُـولِ اللهِ، سُـحْقًا لِمَـارِقِ
وَأَنْكَـرَ رُؤْيَـا المُـؤْمِنِينَ لِـرَبِّهِمْ   فَتَبًّـا لَـهُ تَبًّـا وَسُـحْقًا لِمَـاذِقِ
وَسَـمَّىٰ كِتَـابَ اللهِ وَالسُّـنَنَ الَّتِـي   أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ الخَلَائِقِ
ظَـوَاهِرَ لا تُبْـدَىٰ يَقِينًـا لِأَنَّهَـا   عَلَـىٰ زَعْمِـهِ ظَنِّيَّـةٌ فِـي الحَقَـائِقِ
فَـلَا يَسْتَفِيدُ المُؤْمِنُـونَ بِهَـا الهُـدَىٰ   وَلَكِـنْ بِمَعْقُـولَاتِ أَهْلِ الشَّقَاشِـقِ
فَإِنْ خَالَفْتَ مَعْقُولَ مَنْ أَسَّسُوا لَهُمْ   قَوَاعِـدَ كُفْـرٍ شَـامِخَاتِ الشَّـوَاهِقِ
فَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ امْرِئٍ بَلْ وَوَاجِبٌ   تَـؤوّل عـنْ مَـدْلُولِهَا بِالمَخَـارِقِ
وَتصـرف لِلمَرْجُـوحِ عَـنْ حُكْـمِ   لِأَجْـلِ مَقَـالَاتِ الغُـوَاةِ المَـوَارِقِ
وَإِلَّا فَبِـالتَّفْوِيضِ حَتْمًـا لَـدَيْهِمُ   إِذَا لَـمْ تُـؤَوَّلْ فِـي خِـلَافِ الحَقَـائِقِ

(١) انظر: «الضياء الشارق» (ص٦٨٣).

وَتفْوِيضُـهُمْ أَبْطَالَهَـا عَـنْ حَقَـائِقٍ تَـدُلُّ عَلَيْهَـا بِالمَعَـانِي الشَّـقَائِقِ

إِلَىٰ أَنْ قَالَ:

وَقَـدَّمَ حُكْـمَ العَقْـلِ حَتْمًـا بِزَعْمِـهِ عَلَىٰ النَّقْلِ فِيمَا قَدْ رَأَىٰ كُلُّ مَارِقِ

فَتَبًّـا لِمَـنْ يُبْـدِي ثَنَـاءً وَمِدْحَـةً لِتَأْلِيفِـهِ أَوْ مَـا حَـوَىٰ مِـنْ شَقَاشِـقِ

فَمَـا كَـانَ فَجْـرًا صَادِقًا فِي ظُهُـورِهِ وَلَكِنَّـــهُ فَجْــرَانِ يَبْـــدُو لِرَامِـــقِ

وَوَاللهِ مَـا أَبْـدَىٰ صَـوَابًا وَلَـمْ يَكُـنْ عَلَىٰ المَنْهَجِ الأَسْنَىٰ، وَلَيْسَ بِرَائِقِ

وَلَـيْسَ يَـرُوقُ الكُفْـرُ إِلَّا لِزَائِـغٍ عَـنِ الحَـقِّ أَوْ مُسْـتَغْرِقٍ بِـالعَوَائِقِ

وَجَـوَّزَ أَنْ يُـدْعَىٰ سِـوَىٰ اللهِ بِالرَّجَـا وَبِالخَوْفِ وَالتَّعْظِيمِ فِعْلَ المُشَـاقِقِ

وَأَنْ يَسْـتَغِيثَ المُشْـرِكُونَ بِغَيْـرِهِ وَأَنْ يَلْجَؤُوا فِي كُلِّ خَطْبٍ مُضَـايِقِ

فَتَبًّـا لِعُبَّـادِ القُبُـورِ الَّـذِينَ هُـمْ حُمَاةُ ذَوِي الأَهْـوَاءِ مِنْ كُلِّ مَارِقِ

فَقَدْ نَبَذُوا الوَحْيَيْنِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَقَدْ حَكَّمُوا القَـانُونَ بَـيْنَ الخَلَائِـقِ

وَمَعَ مَا ذَكَرْنَا عنْ جميلٍ الزّهاويّ منَ الأقوالِ الوخيمةِ، وَالعقائِدِ الباطِلَةِ الذّميمَةِ، فقدِ اعتمَدَ الصَّوّاف علىٰ تخرُّصهِ وَظَنّه الكاذبِ في تصغيرِ الأرْضِ وتحقيرِهَا، وقرّرَ ذلك في ثلاثَةِ مواضِعَ منْ رِسالتِهِ. وهذا يدُلّ علىٰ أنَّه كان مقبولَ القولِ عندَهُ. وكفىٰ بالرّجلِ جهلًا أنْ يعتمِدَ علىٰ تخرُّص جميلٍ الزّهاوِيِّ وأشباهِهِ مِن أهلِ الأهواءِ وَالبدَعِ.

وَمَا ذكرهُ الشَّيخُ سُليمانُ بْنُ سَحمانَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- عنْ جميلٍ الزّهاويِّ أنَّه سمّىٰ أدلَّةَ الكِتابِ وَالسُّنّةِ ظوَاهِرَ ظَنّيَّةً، وَأَنّهُ يجبُ تأويلُهَا أَوْ

تَفْوِيضُهَا، فقدْ قَالَ الصَّوَّاف مِثْلَه فِي صَفْحَةِ ٢٢ و٢٣ من رسالتِهِ، حيثُ زعَمَ أنَّ النُّصوصَ الدَّالَّةَ عَلىٰ جريانِ الشَّمس ظَنِّيَّةٌ، وَلَيْسَت قطعيَّةَ الدّلَالَةِ، قَالَ: «والتَّوَقُّفُ فيهَا أَوْ تفويضُ الأمْرِ فيهَا إلىٰ اللهِ أَسْلَمُ وأحكَمُ»، ثمَّ قَالَ: «وَفِي التَّأويلِ مَنْدوحَةٌ في الأمورِ غيرِ القَطعيّةِ خاصّةً في مثْلِ هذهِ الأمورِ».

قُلْتُ: وَهَذهِ جَرْأَةٌ عَظِيمةٌ علىٰ اللهِ، وَعَلىٰ كتابِهِ وعلَىٰ رسولِهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَقَدْ رَدَدْتُ علىٰ هذَا القولِ الباطِلِ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»(١) فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَقَوْلُ جَمِيلِ الزّهَاوِيِّ في تَصْغيرِ الأرْضِ وتحقيرِهَا، وفي تسْمِيَةِ الأدِلّةِ من الكتابِ وَالسُّنّةِ ظواهِرَ ظَنّيّةً، وَأَنّها تؤَوَّلُ أوْ تُفَوّضُ- قد ذكَرَهُ في كتابِهِ «الفَجْرِ الكَاذِبِ»! وَهَذا نَصُّ كَلَامِهِ:

قَالَ: «وَأَمّا ما تَمَسّكَتْ بِهِ الوَهّابيّةُ مِن النُّقولِ الَّتي تُثْبتُ الإشارَةَ إلَيْهِ تعالىٰ فهِيَ ظَواهِرُ ظَنِّيّةٌ لَا تُعارِضُ اليَقِينيّاتِ؛ فَتُؤَوّلُ إمّا إجمالًا، وَيُفَوّضُ تَفْصيلُها إلىٰ اللهِ كَمَا عليهِ أكثَرُ السّلفِ. وَإمّا تفصيلًا كَما هوَ رأيُ الأكثَرِينَ. فَمَا ورَدَ مِنَ الإشارَةِ إليهِ فِي السّماءِ مَحمولٌ عَلىٰ أنّه تَعالىٰ خالقُ السّماءِ، وَأَنّ السّماءَ مَظْهَرُ قدْرَتِه؛ لمَا اشْتَمَلَتْ عليْهِ من العَوالِمِ العظيمَةِ الّتي لم تَكُنْ أرضُنَا الحقيرَةُ إِلَّا ذَرّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا. وَكَذَلكَ العُروجُ إليهِ تَعالىٰ هُو بمعنىٰ العُروجِ إلىٰ موضِعٍ

(١) (ص١٠٠ وما بعدها).

يُتَقَرَّبُ إِلَيْه بالطَّاعَةِ فِيهِ. إِلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ التَّأويلَاتِ»، انْتَهىٰ كلامُهُ. وَقَد ردّ عليهِ الشَّيخُ العَلَّامةُ سُليمانُ بْنُ سحمانَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- فَأَجادَ وَأَفادَ(١).

وَقَوْلُ جَمِيلٍ فِي تَصْغيرِ الأَرْضِ وتحقيرِهَا هوَ ممّا أخذهُ عن فلاسفةِ الإفْرِنجِ المُتَأخّرينَ.

وَأَمَّا تسميتُهُ لأدلَّة الكتابِ والسُّنَّةِ ظواهرَ ظَنّيَّةً، وَأَنّها تؤوّلُ أو تُفوّضُ فَهُو ممّا أخذَهُ عن أَهْلِ الكلامِ الباطِلِ الَّذي ذمَّهُ السّلَفُ وحَذّرُوا مِنْهُ وَمِن أَهْلِه.

قَالَ شيخُ الإسْلامِ أَبو العبّاسِ ابْنُ تَيْمِيّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَالرَّازِي(٢) يطْعنُ في دلالَةِ الأدِلّةِ اللّفظِيّةِ علىٰ اليقينِ، وَفي إفادَةِ الأَخْبارِ العلمَ، وَهذانِ مُقَدِّمتا الزّندقَةِ(٣).

والتّوقّفُ في دلالَتِها شكٌّ يقتضِي كفرَ المُتَوقِّف، وَقَد قالَ تَعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، فَنَفىٰ اللهُ الإيمانَ عمّن لمْ

---

(١) انظر: «الضياء الشارق» (ص٢٩٧ وما بعدها).

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن التيمي فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، الشافعي المفسر المتكلم صاحب التصانيف، توفي سنة (٦٠٦)، انظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٤٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ١٣٧)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٨/ ٨١)، و«الأعلام» (٦/ ٣١٣).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٠٤).

يُحَكِّمِ الرَّسولَ، وَعَمّن وَجَد في نفسِهِ حرجًا مِن حكمِهِ.

وَتَأْويلُهَا بِما يخالِفُ ظاهرَها وما دلَّت عليه تكذيبٌ لَها فهوَ من تَحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضِعِه منْ جِنْس تأويلِ القَرامِطَةِ الباطِنِيَّةِ الَّذي اتَّفَق سلفُ الأُمّةِ وأئمَّتُها علىٰ ذَمّهِ، وَصاحُوا بأهلِهِ مِن أقطارِ الأرْضِ، وَرَمَوْا في آثارِهِم بالشُّهُبِ.

وَقَد صنَّف الإمامُ أحمَدُ كتابًا في الرّدِّ علىٰ هؤلَاءِ، وَسَمّاهُ «الرّدَّ علىٰ الزّنَادقَةِ وَالجَهْميّةِ فِيما شَكَّتْ فِيه منْ مُتشابِهِ القُرآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ علىٰ غَيْرِ تَأْويلِهِ»(١) انْتَهىٰ.

وَقالَ العلّامةُ ابْنُ القيِّمِ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- فِي «إغَاثَةِ اللّهْفانِ»(٢): «وَمِن حِيَلِهِ وَمَكائِدِه: الكلامُ الباطِلِ والآراءُ المُتهافِتَةُ، وَالخيالَاتُ المُتناقِضَةُ الَّتي هي زبالَةُ الأذهانِ وَنُحاتةُ الأفكارِ، وَالزَّبَدُ الَّذي يقذِفُ به القلوبَ المُظْلِمةَ المُتَحَيّرَةَ الَّتي تَعدِلُ الحقَّ بالباطِلِ وَالخَطَأَ بِالصّوابِ، قَدْ تَقاذفَتْ بِها أمواجَ الشُّبهاتِ، وَرانتْ عَليهَا غيُومُ الخَيالاتِ، فَمركَبُها القِيلُ وَالقالُ، وَالشّكُّ وَالتَّشْكيكُ، وَكَثْرةُ الجِدالِ، لَيْس لها حاصِلٌ منَ اليقينِ يُعَوّلُ عليْهِ، وَلَا مُعْتَقَدَ مُطابِقٌ لِلحَقِّ يُرْجَعُ إِلَيْهِ، يُوحِي بعضُهُم إِلَىٰ بعضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا، فَقَدِ اتَّخَذُوا لِأَجْلِ ذَلِكَ القرْآنَ مَهْجورًا، وَقالُوا مِنْ عند أنْفسهِمْ، فقَالوا مُنْكَرًا مِنَ القَوْل وزورًا؛ فَهُم في

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٦٩).

(٢) (١/ ١١٨).

شَكِّهِم يَعْمَهونَ[(١)]، وفي حَيْرتِهِمْ يَتَرَدّدونَ، نَبَذُوا كتابَ اللهِ وراءَ ظُهورِهِم كَأَنَّهم لَا يعلمونَ. وَاتّبعوا مَا تلتْهُ الشياطينُ عَلىٰ ألسنَةِ أسْلافِهِمْ مِن أهلِ الضّلالِ؛ فَهُم إليهِ يُحاكِمُونَ، وَبِهِ يُخاصِمُونَ، فَارقُوا الدّليلَ، وَاتّبَعوا أهواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلّوا مِن قَبْلُ وأَضَلُّوا كثيرًا، وَضَلّوا عن سَواءِ السّبيلِ».

ثُمَّ قالَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَمِن كيدِهِ بهِمْ وَتَحَيُّلِه عَلىٰ إخراجِهم منَ العِلْمِ وَالدّينِ: أَنْ ألقَىٰ عَلىٰ ألسنتِهِم أنَّ كلامَ اللهِ وَرسولِهِ ظواهِرُ لفْظِيّةٌ لا تُفِيدُ اليقينَ، وَأَوْحىٰ إِلَيْهم أنَّ القواطِعَ العَقْليّةَ والبراهِينَ اليَقِينيّةَ فِي المناهِجِ الفَلْسفيّةِ والطُّرقِ الكَلاميّةِ، فَحالَ بَيْنهمْ وبيْنَ اقْتِباسِ الهُدَىٰ واليقينِ مِن مِشْكاةِ القُرآنِ، وَأَحالَهُمْ عَلىٰ «مَنْطِقِ يونان»، وَعَلىٰ ما عندَهُم منَ الدّعاوَىٰ الكاذِبَةِ العَرِيّةِ عَن البُرهانِ، وَقالَ لَهم: تِلْكَ عُلومٌ قديمَةٌ صَقَلَتْها العُقولُ وَالأَذْهانُ، وَمَرّتْ عَليهَا القُرونُ وَالأَزْمانُ، فَانْظُرْ كيفَ تَلَطّفَ بِكَيْدِه ومكرِهِ حتّىٰ أخرجَهم مِنَ الإيمانِ كَإِخراجِ الشّعْرةِ مِن العَجينِ!»، انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ[(٢)]-.

وَإِذا عُلِم هذا؛ فَلْيُعْلم -أَيْضًا- أن الصَّوَّاف قَدْ سلكَ مَسْلكَ جَمِيلِ الزّهاويِّ، وَقَلّده فيما زَعَمه من تَصْغير الأرْضِ وتحقيرِها، وَتَسْمِيَةِ الأدِلّةِ مِن الكِتابِ وَالسُّنّةِ ظواهِرَ ظَنّيّةً، وَأَنّها تُؤَوّلُ أَوْ تُفوّضُ.

---

(١) يعمهون: أي يتحيَّرون. انظر: «تاج العروس» (٤٤٨/٣٦)، و«لسان العرب» (٥١٩/١٣).

(٢) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٩).

وَجَميلُ الزَّهاوي قَد سارَ خَلْف فَلاسِفَةِ الإِفْرنجِ المُتأَخِّرينَ، وَخَلْف أَهْل الأهواءِ وَالبِدَعِ المُضِلّينَ. فَهُو عِيالٌ علىٰ هؤلاءِ وَأُولَئِكَ؛ كَما أَنَّ الصَّوَّاف عِيالٌ عَلَيْهِ وعليهِمْ؛: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قَال البَغَوِيُّ في قوْلِه: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]: «أَيْ إِلىٰ كِتاب اللهِ وَإِلىٰ رَسُولِه مَا دامَ حَيًّا، وَبَعْد وفاتِهِ إِلىٰ سُنَّتِه. وَالرّدُّ إِلىٰ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ واجِبٌ إِنْ وُجِد فيهما، فَإِنْ لَمْ يوجَدْ؛ فَسَبيلُهُ الاجْتِهادُ»[1].

وَقَالَ ابنُ كثيرٍ[2] فِي قولِه تَعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]: «قَالَ مجاهِدٌ وَغيرُ واحِدٍ مِنَ السّلَفِ: أَيْ إِلىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنّةِ رَسولِهِ».

قُلْتُ: قَد رواهُ ابنُ جَريرٍ فِي «تَفْسيرِهِ» عَنْ مجاهِدٍ[3] وَميمون بنِ

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٢٤٢).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٥)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» أيضًا (٦٥٦)، ومن طريقه البيهقي في «المدخل» (٢٧٠)، وغيرهم. من طرق عن ليث عن مجاهد به. وإسناده ضعيف جدًا. ليث هو ابن أبي سليم، القرشي، الكوفي، صدوق =

مهرانَ(١) وقَتادَةَ(٢) والسُّدّيِّ(٣).

قَال ابْنُ كثيرٍ(٤): **«وَهذا أَمْرٌ منَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِأَنَّ كُلّ شيْءٍ تَنازَعَ النّاسُ فيهِ من أُصولِ الدّينِ وَفُروعهِ أَنْ يُرَدَّ التّنازُعُ في ذَلِك إِلىٰ الكتابِ وَالسُّنّةِ؛ كَما قالَ تَعالىٰ:** ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]؛ **فَما حَكَم بهِ الكِتابُ وَالسُّنّةُ وَشَهِدا لَهُ بالصّحّةِ فَهو الحَقُّ.** وَمَاذا بعدَ الحَقّ إِلَّا الضَّلالُ؛ وَلِهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، أَيْ: رُدّوا الخُصوماتِ وَالجَهالاتِ إِلىٰ كتابِ اللهِ وَسُنّةِ رَسولِهِ؛ فَتَحاكَمُوا إِلَيْهما فيما شَجَرَ بينكُم: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فَدَلّ علىٰ أَنَّ مَن لَمْ يَتحاكَمْ في مَحَلّ النّزاعِ إِلىٰ الكِتابِ وَالسُّنّةِ، وَلَا يَرْجِعُ إليهِما في ذلكَ؛ فَلَيْس مُؤمنًا بِاللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ»، انْتهىٰ.

=

اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك. قاله في «التقريب».

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥٢٤)، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (٤٥)، وغيرهم من طرق عن ميمون به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٧)، وابن المنذر في «تفسيره» أيضًا (١٩٣٨) من طرق عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٥٥٤٣) من طرق عن أحمد بن مفضل، ثنا أسباط، عن السدي به.

(٤) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٥).

قُلْتُ: وَمَن أعرَض عَنْ أدلَّةِ الكتابِ وَالسُّنَّةِ عَلىٰ جَريانِ الشَّمس وَسَبْحها في الفَلَكِ، وَدُؤْبِها في الجَريانِ، وَزَعمَ أنّها ظنيّةٌ، وَلَيستْ قطعيَّةَ الدّلالَةِ، وَأنّه ينبَغي التَّوَقّفُ فيها أَوْ تفويضُها، وَإنّ في تأويلِها عَن ظاهِرِها مندوحَةً، فَلا شَكّ أنَّه لَمْ يَرُدَّ الأمْرَ المُتَنازعَ فِيهِ إِلىٰ اللهِ وَالرَّسولِ، وَإنّما رَدَّهُ إِلىٰ فَلاسفَةِ الإِفْرِنجِ المُتأخّرينَ وَأَتْباعِهِم مِنَ المُتَخَرّصينَ(١) المُتَّبِعينَ لِلظُّنُونِ الكاذبَةِ. مَنْ كانَ كَذلكَ فَهُو مِمّن يُشَكُّ في إيمانِه باللهِ وَاليوْمِ الآخِرِ.

وَأَيْضًا فَقَد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الفاتحة: ١-١١٧].

قَالَ قَتادةُ فِي قولِه تَعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]: «قالَ صِدْقًا فيما قالَ، وَعَدْلا فيما حَكَم»(٢).

---

(١) يقال: تخرص فلان علي الباطل واخترصه، أي: اختلقه وافتعله. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٦٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٧٨٠٨) مختصرًا من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

وَقالَ ابْن كثيرٍ(١): «يقولُ: صِدْقًا في الأَخْبارِ، وَعَدْلا في الطّلبِ، فكُلّ ما أخبرَ بِهِ فَحَقٌّ لا مِريةَ فيهِ وَلَا شَكّ، وَكُلّ ما أَمَر بِهِ فَهُو العَدْلُ الّذي لا عَدْلَ سواه، وَكُلّ ما نَهىٰ عنْهُ فَباطِلٌ؛ فَإنّه لا يَنهىٰ إلّا عنْ مَفْسَدَةٍ. وَقَوْله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] أَيْ لَيْس أحَدٌ يُعقّبُ حُكْمَه تَعالىٰ لا في الدُّنيا وَلا في الآخِرَة» انْتَهىٰ.

وَمَنْ أَعْرضَ عنْ أدلّةِ الكتابِ وَالسُّنّةِ، وَتَمَسّكَ بِما سواهُما منْ أقوالِ النّاسِ وآرائِهِم فَقَدِ ابْتَغىٰ حَكَمًا غَيْرَ اللهِ وَرَسولِهِ، وَلَمْ يؤمِنْ بأنّ كلمةَ اللهِ تَعالىٰ قدْ تَمّتْ صِدقًا وَعَدلًا.

ومِن هذا البابِ الإعراضُ عمّا أخبرَ اللهُ به منْ جريانِ الشّمس وَسَبْحها في الفَلَك ودُؤْبها في الجَريانِ، وَأنّه يأتي بها مِن المَشْرِقِ، وما أخبرَ به منْ طلوعِها ودلوكِها وغروبِها، وَما أخبرَ به رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ جريانِها وطلوعِها وَزوالِها وغُروبِها وغَيْرِ ذلكَ ممّا جاء في الأحاديثِ الصّحيحةِ. وَالعدُولُ عنْ ذلك إلىٰ ما تَخَرَّصَهُ فلاسِفَةُ الإفْرنجِ مِن ثَباتِ الشّمس وما تَخيّله الصَّوَّاف بعقْلِه من كونِها تدورُ علىٰ نفْسِها كما تدورُ المِروحَةُ السّقْفيّةُ الكهربائِيّة علىٰ محوَرِها!

فَهَذا التخرُّصُ والتَّخيُّل ناشِئٌ عنِ ابتغاءِ حُكْمِ غيرِ اللهِ تَعالىٰ، وَعَن عدَمِ الإيمانِ بأنّ كلمَةَ اللهِ قَدْ تمّت صِدْقًا وعدْلًا. وَلَو كانَ يَرىٰ وجوبَ التّحاكُمِ إلىٰ

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٢٢).

اللهِ تَعالىٰ، ويُؤمن بأنّ كلمةَ اللهِ تَعالىٰ قد تمّت صدقًا وعَدلًا، لَمَا زعمَ أنَّ أقلّ ما يُقال في النُّصوصِ الدّالّةِ علىٰ جَريان الشَّمس وسَبْحها في الفَلك: أنّها ظَنِّيّةٌ وَلَيْستْ قطعِيَّةَ الدَّلَالَةِ، وَأَنّ التّوقُّفَ فيها أَوْ تفويضَ الأَمْرِ فيها أَسْلَمُ وأحْكمُ، وَأَنّ في تأوليها عنْ ظاهِرِها مندوحَةً. وَمَا علِمَ المسكينُ ما يَلزَمُ علىٰ هذا القَوْل الباطِلِ منْ تكذيبِ اللهِ تَعالىٰ وتكذيبِ كتابِهِ ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ جاءَ في «صَحيحِ البُخارِيّ» عَن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنّه قالَ: «حَدِّثُوا النّاسَ بِما يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»[1]، وَالّذي يَعْرِفُهُ المُسْلمونَ مِنْ زمَنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلىٰ زمانِنا هَذا عنِ الأرْضِ والشَّمس وَالقَمرِ هُو ما أخبرَ اللهُ بهِ في كتابِهِ ومَا أخبرَ بِهِ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ جَريانِ الشَّمس وَالقَمرِ وسبْحِها في الفَلَكِ ودُؤوبهما في الجَريانِ، وَما أخبرَ اللهُ به ورسولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمعَ عليه المُسلمونَ مِنَ استقْرارِ الأَرضِ وإرْسائِها بالجبالِ، وَجَعْلِها أَوْتادًا لها. فَمَن حدَّثَ النّاسَ بهذا فَقَد حدّثَهُم بما يعرِفُونهُ مِن أدلّةِ الكِتابِ والسُّنّةِ وَالإِجْماعِ.

وَمَن حدّثَهم بِخِلافِ ذلكَ وَقالَ في نُصوصِ الكِتابِ وَالسُّنّةِ أَنّها ظَنِّيّةٌ وَلَيْسَت قطعيَّةَ الدّلالَةِ، وَأَنّ التّوقّفَ فِيها أو تَفْوِيضَ الأمْرِ فيها أسْلَمُ وأحْكَمُ، وأنّ في تأويلِها عن ظاهرها مَندوحَةً، فَقَد حدّثَ النّاسَ بما لا يَعْرفونهُ، وَأَغْراهم عَلىٰ تكذيبِ اللهِ تَعالىٰ وَتَكذيبِ كِتابِه ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وغيره عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله.

فصل

وَقالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٢٨ ما نَصُّه:

«مَا رأيُ فضيلَةِ الأخِ في بلادِ (فنلندا) مَثَلًا، والشَّمس لا تَغيبُ عَنْها لمدَّةِ سِتَّةِ أشْهُرٍ، وَيَمْضي عليها نِصْفُ سَنَةٍ وهي طالِعَةٌ مُشرقَةٌ، ثمَّ تغيبُ وَتَبْقىٰ غائِبَةً لمدَّةِ ستّةِ أشْهُرٍ أخرَىٰ، ويمْضِي العامُ عَلىٰ هذهِ البلادِ وَأَمْثالِها بيوْمٍ وَلَيْلَةٍ. وَيَوْمُها نِصْفُ عامٍ، وَلَيْلتُها النّصفُ الثَّاني.

وَالجَوابُ: أَنْ يُقالَ هَذا مِنْ أوضَحِ الأَدِلَّةِ عَلىٰ جريانِ الشَّمس وَسَيْرِها في البُروجِ وَالمَنازِلِ. فَإذا كانَتْ في المَنازِلِ الشّامِيّةِ طلَعَتْ عَلىٰ ما تَحْت القُطبِ الشّمالي، وَغَابَتْ عمّا تحتَ القُطْبِ الجَنوبِيّ، وَلَا تزالُ كَذَلِك ما دامَتْ في المَنازِلِ الشّامِيّةِ. فَإذا رجَعَتْ إِلىٰ المَنازِلِ اليمانِيّةِ غابَتْ عمّا تحتَ القُطْب الشّمالِيّ، وَطَلَعت عَلىٰ ما تَحْتَ القُطْبِ الجَنوبِيّ، وَلا تَزالُ كَذلِك ما دامَتْ في المَنازِلِ اليَمانِيّةِ».

وَلَوْ كانَتِ الشَّمس ثابِتَةً لا تُفارقُ مَوْضِعَها كَما زعمَهُ الصَّوَّاف وأشباهُه مِنَ المُقَلّدينَ لأهلِ الهَيْئَةِ الجديدَةِ لَمَا كانَتْ تَدورُ على البُروجِ وَالمَنازلِ وَتطْلُع عَلىٰ ما تحتَ القُطْب الشّمالي في الصّيْفِ، وَعَلىٰ ما تَحْتَ القُطبِ الجَنوبِيّ في الشّتاءِ، وَتَكُون بَيْنَهما إِذا كانتْ في خَطّ الِاستواءِ. وَقَد قالَ ابْنُ عَبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

في قوله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] قالَ: «بِحِسَابٍ وَمَنَازِلَ»، رَواهُ الحاكِمُ في «مُسْتدْرَكه»، وَصَحّحه وَوافقهُ الذّهَبِيّ في «تَلْخيصِهِ»[١].

وَقَدْ توهَّمَ الصَّوَّاف أنَّ له حجَّةً فيما ذَكره ههنا، وَإِنّما هو حجةٌ عليه؛ كما لا يخفىٰ عَلىٰ مَنْ له أدنىٰ علمٍ ومعرِفَةٍ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣٠ زعم الصَّوَّاف أنَّ الآياتِ مِن كتاب اللهِ تَعالىٰ تُوَجّه الأفْكارَ وَالأنْظارَ إِلىٰ الفَلكِ الأعْظَمِ الّذي خلقَه اللهُ، وأمَرَنا بالتّفَكُّرِ فيهِ.

وَالجَوابُ عنْ هذا منْ وُجوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقالَ: إنّ اللهَ تَعالىٰ لمْ يأمُرْ عبادَه بالتّفكّرِ في الفَلكِ، وَأَنْ يُوجّهوا الأفكارَ وَالأنْظارَ إِليْهِ، وَإِنّما أمرَهم بالنّظَر والتّفكّر في خَلْق السّمواتِ وَالأرْضِ وَما فيهما منَ الآياتِ الدّالّةِ عَلىٰ عَظَمتِه وَكمالِ قدْرتِه، وَأنَّه الإلهُ الواحِدُ الأحَدُ الّذي لا تَنبغي العبادَةُ إِلّا له وحدَهُ دونَ مَن سواه؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٨)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (١/ ٤٢٧) من طرق عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا به.

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس: ٥-٦].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ

لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٠-١٨].

قالَ ابْنُ كثِيرٍ(١) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في الكَلامِ علىٰ الآياتِ مِن «سورَةِ آل عمران»: «وَمعْنىٰ الآيَةِ أنَّ اللهَ تَعالىٰ يقولُ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أيْ هذِه في ارْتفاعِها واتّساعِها، وَهذه في انْخفاضِها وكثافَتِها واتّضاعِها وَما فيهِما مِن الآياتِ المُشاهَدَةِ العَظيمَةِ منْ كواكِبَ سَيّاراتٍ، وَثوابِتَ وبِحارٍ وجبالٍ وقِفارٍ وأشجارٍ، وَنباتٍ وزُروعٍ وَثمارٍ، وحَيوانٍ، ومَعادِنَ ومَنافِعَ مُخْتَلِفَةِ الألْوانِ والطُّعومِ والرّوائحِ وَالخَواصّ: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، أَيْ تَعاقُبُهما وَتَقارُضُهما الطُّول والقِصَر؛ فَتارَةً يطولُ هذا ويَقْصُر هذا، ثمَّ يَعْتدلانِ، ثمَّ يأخذُ هذا مِن هذا؛ فَيطولُ الَّذي كانَ قَصيرًا، وَيَقْصرُ الَّذي كانَ طويلًا، وَكُلّ ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ.

وَلِهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] أَيْ: العُقولِ التَّامّةِ الزّكيّةِ الَّتي تُدركُ الأشْياءَ بِحقائِقِها علىٰ جَلِيَّاتِها، وَلَيْسوا كالصُّمّ والبُكْمِ

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٨٤).

الَّذين لا يَعْقلونَ. الَّذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ثمَّ وصفَ تَعالىٰ أولي الألبابِ فقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، أَيْ لَا يَقْطعونَ ذِكْرهُ في جميعِ أَحْوالِهِم بِسرائرِهم وضَمائرِهِم وألسِنَتِهم: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، أَيْ يَفهمون ما فيهما مِن الحِكَمِ الدّالَّةِ علىٰ عظَمَةِ الخالِقِ وقُدرتِهِ وحِكْمَتِه واخْتيارِهِ ورَحْمتِهِ»، انْتهىٰ.

الوَجْه الثَّاني: أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَكرَ الفَلك في مَوْضِعيْنِ منَ القُرآنِ لَا غيرَ؛ فَقال تَعالىٰ في «سُورَةِ الأَنْبياءِ»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وَقَال تَعالىٰ في «سُورَةِ يس»: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

فَذَكرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِن آياتِه الليلَ وَسَلْخَ النّهارَ مِنْه، وَجَريانَ الشَّمس لِمُسْتقرّها، وَتَقْديرَ القَمرِ منازِلَ، وَكُلُّها مِن الآياتِ الدّالَةِ عَلىٰ عظَمَته وَكَمالِ قُدْرته.

وَلَمْ يأمُرْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالتّفكُّرِ في الفَلَك لا في هذه الآياتِ وَلَا في غيرِهَا منَ

القرآنِ، فَمَن زعَمَ أنَّ اللهَ تَعالىٰ أمرَ عِبادَه بالتّفكّر في الفَلك فقَدِ افْترىٰ علىٰ اللهِ الكذِبَ. وَكَذلكَ مَن زعَمَ أنَّ الآياتِ من كِتاب اللهِ تُوَجِّهُ الأفْكارَ والأنظارَ إِلىٰ الفَلَكِ الأعْظَمِ فقَد كَذَبَ عَلىٰ اللهِ وَعَلىٰ كِتابِهِ.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ مُرادَ الصَّوَّاف بِالأَمْر بالتّفكّر في الفَلَكِ وتوجيهِ الأفْكارِ والأنْظارِ إِلَيْهِ هُو ما صَرّحَ بِه فِي صَفْحَةِ ٢٥ مِنْ أَنَّ المُرادَ بِه التّحقيقُ العِلْميّ وَالوصولُ إِلىٰ الأسرارِ الكامنَةِ وَرَاءَ هذه المَخْلوقاتِ الكَوْنيّةِ الهائِلَةِ. وَما صَرّح بِهِ -أَيْضًا- فيما نَشَره في جَريدَةِ الدّعوةِ منْ أنَّ المُرادَ بِه النّظرُ لِلبحثِ وَالعلْمُ والتّحقيقُ. يَعْني البَحْثَ عَنِ الأجْرامِ العُلْوِيّةِ وعنْ مَقادِير أحْجامِها ووزْنِها وأبعادِها ووُصول نُورِ كُلٍّ منها إِلىٰ الأرْضِ وما بيْنها منَ التّفاوُتِ في الحجْمِ والوزْنِ والبُعْدِ، وَعَمّا فيها من جِبالٍ وَبِحارٍ وَسُكّانٍ وَغَيْر ذلك ممّا توَهّمه أهْلُ المَراصِدِ منْ فلاسِفَةِ الإِفْرنجِ، وَحَشاه الصَّوَّاف في رسالَتِهِ، وَزَعم أنَّ ذلك مِنَ العِلْمِ والتّحقيقِ في عِلم الفَلَكِ، وَأَنّ اللهَ تعالىٰ أمرَ عِبادَهُ بِالتّفَكّر فيهِ، وَأَنّ الآياتِ منْ كتابِ اللهِ تعالىٰ تُوَجّه الأفْكارَ وَالأنْظارَ إِلَيْه. وَهَذا منَ الكَذِبِ علىٰ اللهِ وَعَلىٰ كتابِهِ؛ كَمَا تقدَّمَ تَقريرُهُ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

* * *

فصل

وقالَ فِي صَفْحَةِ ٣٠: «إنّ عِلم الفلَكِ كانَ مِن أوّلِ العلومِ الّتي لَفَتَتْ أنظارَ العُلماءِ المُسْلمين، وَجَلَبَت اهتمامَهُم وعِنايتَهُم بها».

وَالجوابُ عنْ هذا مِنْ وُجوهٍ:

أَحَدُها: أَنْ يُقال: لَمْ يكنْ عِلمُ الفَلَكِ مِن أوّل العُلوم الَّتي لفتَتْ أنظارَ عُلماءِ المُسلمينَ، وَجلَبَتِ اهتمامَهم وَعِنايتهم- كَما زَعَمه الصَّوَّاف-، بَلْ وَلَم يكنْ مِن آخِرِها.

وَإنّما العُلومُ الَّتي لَفَتَتْ أنظارَ عُلماءِ المُسْلمينَ وَجلبَت اهتمامَهم وَعِنايتَهُم هي العُلومُ الشّرعيّةُ الَّتي قَدِ اشْتَمل عليها الكِتابُ وَالسُّنّةُ، وَأَعْظمُها وَأَهَمّها علمُ التّوحيدِ؛ فَهُو الَّذي كانَ المُسْلمونَ يَهتمّون بِهِ، وَيَعْتَنون بِتَعلُّمِه وَتَعْليمِهِ قبلَ العُلومِ كُلِّها.

وَقَدْ مكثَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوّلِ البَعْثَة عشْرَ سِنينَ يَدْعو إلىٰ التّوحيدِ، وَيَعْتني بِتَعْليمه وَتَبْليغه، ثمَّ بعدَ ذَلِك كانَ يُعَلّم أُمَّتَه أنْواعَ العُلومِ الشّرعِيّةِ شَيْئًا فَشيئًا حَتّىٰ أكمَلَ اللهُ لَه الدّينَ، وبَلّغَ البَلاغَ المُبِينَ، وَترك أُمَّتَه علىٰ المَحجّةِ البَيْضاءِ لَيْلُها كَنَهارِها لا يزيغُ عنها إلّا هالكٌ.

قَال أَبُو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تَركَنا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُحرِّكُ طَائِرٌ

جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا». (رَواهُ الإمامُ أَحْمدُ وَالطَّبرانِيّ، وَابْنُ حِبّانَ في «صَحِيحهِ»، قَالَ الهَيْثَمِيّ: «وَرِجالُ الطَّبرانِيّ رِجالُ الصّحيحِ غَيْرَ مُحَمّد بْنِ عَبْد اللهِ بْنِ يَزِيدَ المقرِيّ، وَهُو ثِقَةٌ)(١).

وَرَوىٰ الطّبَرانِيّ -أَيْضًا- عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نحوه. قالَ الهَيْثَمِيّ: وَرِجالُهُ رجالُ الصّحيحِ(٢).

وَمَع شِدّةِ حِرْصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ تعليمِ أُمّتِه كُلّ شَيْءٍ، فَلَم يُذْكرْ عنْهُ أنَّه كانَ يُعَلّمُهُم البُروجَ الاثْني عَشَر، وَمَنازِلَ الشَّمس والقَمرِ وَدَرجاتِ الفَلَك، وَعَرْضَ البُلدانِ وطُولَها، وَالسّمتَ والنّظيرَ، وَفُصولَ السّنَةِ، وَأَوقاتَ الكُسوفِ وَالخُسوفِ، وَغَيْرُ ذلكَ مِمّا يعتَنِي به الفَلَكِيّون فَضْلًا عَمّا يَهْذُو بِهِ فَلاسفَةُ الإِفْرنجِ وَمُقَلّدوهُم منْ ضُعفاءِ البَصيرَةِ منَ المُسْلمينَ فِيما يَتَعلّقُ بالأَرْض والشَّمس وَالقَمرِ والنُّجومِ.

بَلْ قدْ ثَبتَ عنْهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ ذَمَّ الكلامَ في النّجومِ، فَروىٰ الإِمامُ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٥) (١٦٤٧)، وابن حبان في «الصحيح» (١/ ٢٦٧) (٦٥)، وغيرهم من طرق عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦٣- ٢٦٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٦٢).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٩/ ٤٦) (٥١٠٩)، والهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٤٧) (٥٩٩)، وغيرهما عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦٤).

أحمدُ وَأَبُو دَاودَ وَابْن مَاجه بِأسانِيدَ صَحِيحَةٍ عنِ ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«مَنِ اقْتبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجومِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السّحْرِ زادَ ما زَادَ»**(١).

قالَ شيخُ الإسْلامِ أبو العبّاسِ ابْنُ تَيْميّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-(٢): فَقَدْ صرّحَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ عِلْمَ النُّجومِ منَ السّحْرِ، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وَرَوىٰ رزينٌ عنِ ابْنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قالَ**: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«مَنِ اقْتَبَس بابًا مِن عِلْمِ النُّجومِ لِغَيْرِ ما ذِكْرِ اللهِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»**.

قَوْلُهُ: «لِغيرِ ما ذِكْرِ اللهِ»، أَيْ مِنَ الاهتداءِ بِها في ظُلُماتِ البرِّ وَالبَحْرِ؛ كَما قالَ تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] الآيَةَ، وَقالَ تعالىٰ: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وَمِنَ الاهْتِداءِ بِها الاسْتِدلالُ بِها عَلىٰ جِهَةِ القِبْلَةِ، وَعَلىٰ الجِهاتِ الَّتي يَقْصِدُها المُسَافِرُون في البرِّ والبَحرِ.

فَأَمّا التّخرُّصُ في مَعْرفةِ مَوارِدِها وَمَقاديرِ أجْرامها وَأَبْعادِها وَغَيْرِ ذلك مِنَ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣١١)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وغيرهم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٣).

الدّعاوىٰ الطّويلَةِ العَرِيضةِ الَّتي قدْ شغفَ بِالخوْضِ فيها أهْلُ الهَيْئةِ الجَديدَةِ وَمُقلّدوهمْ مِن العَصْريّينَ؛ فَذَلك داخِلٌ في قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنِ اقْتبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ فقَدِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**»، بِلا ريبَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَرُوي عنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه نَهىٰ عنِ النّظَرِ في النُّجوم وعنْ مُجالسَةِ مَنْ ينظُرُ فيها، وَأنّه خافَ علىٰ أُمّتِه مِنَ التّصْديقِ بِها وَأَمَرَهم بِالإمْساكِ إذا ذُكِرتْ.

فَروىٰ الطّبَراني في «الأَوْسطِ» عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهىٰ عَنِ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ»(١).

وَروىٰ عبدُ اللهِ بنُ الإمامِ أَحْمدَ في «زَوائِدِ المُسْنَدِ» عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُجالِسُوا أَصْحَابَ النُّجُومِ**»، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: «فيهِ هارونُ بنُ مسلمٍ صَاحِبُ الحناء، لَيَّنَهُ أبو حاتِمٍ، وَوَثّقهُ الحاكِمُ، وَبَقِيّة رجالِهِ ثِقَاتٌ»(٢).

وَرَوىٰ أَبُو يعْلىٰ وَالطّبَرانِيّ في «الكبِيرِ» وَ«الأَوْسَطِ» عنِ العبّاسِ بنِ عَبْد

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨١٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٣٣)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وفي إسناده عقبة بن عبد الله الأصم «ضعيف ربما دلس»، قاله في «التقريب».

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (١/ ٧٨)، وأبو يعلىٰ في «المسند» (١/ ٣٧٦) (٤٨٤)، وغيرهما من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «المجمع» (٥/ ١١٦). قال الأرنؤوط: «حسن لغيره».

المُطّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خرجْتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ المدينَةِ، فَالتفتَ إليها، فقالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ طَهَّرَ هَذِهِ القَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**»، قَالَ الهَيْثَمِيّ: «فيهِ قَيس بنُ الرّبيع، وَثّقَه شعبَةُ والثّوريُّ، وَضَعّفَهُ النّاس، وَبَقيّةُ رِجالِه ثقاتٌ».

قلتُ: وقدْ ذَكر الذّهبيُّ في «الميزَانِ» عنِ ابنِ عَدِيّ أنّه قالَ في قَيْس بنِ الرّبيعِ: عامّةُ رواياتِهِ مستقيمَةٌ، وَالقوْلُ ما قال شعبَةُ، وأنّهُ لا بأسَ بهِ، وَقال عفّانُ: كانَ ثِقةً.

قُلْتُ: وعلَىٰ هذا؛ فَحديثُه حسنٌ.

وَقَد أوردَهُ الهيْثميّ -أَيْضًا- في آخرِ كِتابِ المَناقبِ من «مجمَعِ الزّوائِدِ» فقالَ: وَعَنِ العبّاس بنِ عبدِ المُطّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ بَرَّأَ اللهُ هَذِهِ الجَزِيرَةَ مِنَ الشِّرْكِ مَا لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**»، رَواهُ البَزّار وأبُو يعلَىٰ بِنحوِهِ، وَالطّبَرَانِيّ في «الأَوْسطِ» ورجالُ أبي يَعلىٰ ثِقاتٌ[1].

وَروىٰ أبُو يعلَىٰ وابنُ عَدِيّ والخطيبُ في كِتابِ «النُّجوم» عنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي**

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (١٢/ ٧٧) (٦٧١٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٨٠) (٥٧٦)، والبزار في «المسند» (٤/ ١٣١) (١٣٠٥)، وغيرهم من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠،١١٦/ ٥٤)، و«ميزان الاعتدال» (٥/ ٤٧٩)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٣١٦).

خَصْلَتَيْنِ: تَكْذِيبًا بِالقَدَرِ، وَتَصْدِيقًا بِالنُّجُومِ».

قَالَ المُناوِيّ في «شَرْحِ الجامِعِ الصَّغيرِ»: وَهُو حسَنٌ لِغيرِهِ(١).

وَرَوىٰ الطَّبَرانيّ عن أبي أمامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنّ أخْوَف ما أخافُ عَلىٰ أُمَّتي في آخِرِ زمانِها النُّجومُ وَتكذيبٌ بِالقَدَرِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ**»، قَالَ الهيْثَميّ: «فيهِ ليثُ بنُ أبي سليم، وَهُو ليّنٌ، وَبَقيّة رجالِه وُثِّقوا»(٢).

وَرَوىٰ الإمامُ أحمَدُ وأبو يَعلىٰ والبَزّارُ والطَّبرانيّ عنْ جابرِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**ثَلاثٌ أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الِاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ، وَتَكْذِيبُ القَدَرِ، وَتَصْدِيقٌ بِالنُّجُومِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٧/ ١٦٢) (٤١٣٥)، والخطيب في «القول في علم النجوم» (ص١٦٢- ١٦٣)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٨٩) (٨١١٣)، والروياني في «مسنده» (٢/ ٣٠٠) (١٢٤٥)، وغيرهما من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٨٩)، وأبو يعلىٰ (١٣/ ٤٥٥) (٧٤٦٢)، والبزار في «مسنده» (١٠/ ٢٠٠) (٤٢٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٠٨) (١٨٥٣)، وغيرهم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢١).

وَرَوىٰ عبدُ بْنُ حُميدٍ(١) عَنْ رجاءِ بْن حَيوةَ(٢) أَنَّ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قالَ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثًا: حَيْفَ الأَئِمَّةِ، وَإِيمانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا بِالقَدَرِ**».

وَرَوَىٰ ابْنُ عساكِرَ عَنْ أَبِي مِحجنٍ الثَّقَفِيّ(٣) **أَنَّ** رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **قالَ: «أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثًا: حَيْفُ الأَئِمَّةِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا بِالقَدَرِ**»(٤).

وَرَوىٰ الطَّبرانِيّ عنْ عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»، قَالَ الهيثَمِيّ: فِيه مسهرُ بنُ عبدِ المَلك، وثَّقَه ابنُ حبانَ وغيرُهُ،

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٢٣٠) وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٤/ ١١٠) (١٥٢٩) عن رجاء به مرسلًا.

(٢) هو رجاء بن حيوة الكندي الشامي، روىٰ عن ذكوان أبي صالح السمان، وغيره، وروىٰ عنه محمد بن عجلان، وجماعة. ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة اثنتي عشرة ومائة. انظر: «تهذيب الكمال» (٩/ ١٥١)، و«التقريب» (١٩٢٠).

(٣) مختلف في اسمه، فقيل: هو عمرو بن حبيب. وقيل: اسمه مالك. وقيل: اسمه عبد الله. وقيل: اسمه كنيته، وكنيته أبو عبيد. قدم مع وفد ثقيف فأسلم، انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٧٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ١٦٧)، و«الإصابة» (٧/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٠١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٠٢٦) (٧٠١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٩٥) (١٤٨٢)، وغيرهم من حديث أبي محجن رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ به. وانظر: «الصحيحة» (٣/ ١١٩).

وَفيهِ خِلافٌ، وَبَقِيّةُ رِجالِهِ رِجالُ الصّحيحِ[١].

وَروىٰ الطّبرانِيّ -أَيْضًا- عَنْ ثَوْبانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَه. قالَ الهَيثَمِيّ: وفيه يزيدُ بنُ ربيعَةَ وَهو ضعيفٌ.

قُلْتُ: قدْ ذكرَ الذّهبيُّ في «الميزان» عنِ ابنِ عَدِيٍّ أَنّه قالَ: «أرجُو أنّه لا بأسَ بِهِ»[٢].

وَرَوىٰ حُمَيد بنُ زنجويه عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرْفوعًا: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، ثمَّ انْتَهُوا، وَتَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ، ثمَّ انْتَهُوا**»[٣].

وَرَوىٰ حميْدُ بنُ زنجويه -أَيْضًا- عَنْ نعيمِ بنِ أَبي هنْد قالَ: قالَ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «تَعَلَّمُوا من النُّجومِ ما تهتدونَ بهِ في بَرِّكُم وبَحْرِكم، ثمَّ أَمْسِكوا، وتعَلَّموا مِنَ النّسَبِ ما تَصِلونَ بِهِ أرْحامَكُم، وَتَعْلَمُونَ مَا يحِلُّ لكمْ مِنَ النّساءِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٩٨) (١٠٤٤٨)، وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٩٦) (١٤٢٧)، وغيره من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٢٢)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٣٨) (١٥٩٤) من طريق حميد بن زنجويه. قال ابن رجب: «وفي إسناد رواته ابن لهيعة». انظر: «مجموع الرسائل» (٣/ ١١).

وَيَحرمُ عَلَيْكم، ثمَّ انْتَهُوا»(١).

وَرَوىٰ حُمَيد بن زَنْجويه -أَيْضًا- عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قالَ: «رُبَّ ناظِرٍ في النُّجوم وَمُتَعَلِّمٍ حروفِ (أبي جاد) لَيْس لهُ عِنْد اللهِ خَلاقٌ»(٢).

وَهَذه الأحاديثُ يَشُدُّ بعضُها بعضًا، وَفيها دليلٌ عَلىٰ أنَّ علْمَ النُّجومِ عِلْم محظورٌ، وَشُعبةٌ منْ شُعَب السّحْرِ ما عدا الاهتداءَ بِها في ظُلماتِ البرِّ والبحْرِ.

وَيُسْتفادُ منها -أَيْضًا- أنَّه لا يَجوزُ التّصديقُ بِما يزعُمُه المُنجِّمونَ وَأَهْلُ الهيئَةِ الجديدَةِ مِن علْمِ النّجومِ؛ لِأَنَّ مَزاعمَهم فيها مَبْنيّةٌ عَلىٰ الرّجْمِ بالغَيْبِ،

---

(١) كذا عزاه ابن رجب لابن زنجويه من رواية نعيم بن أبي هند كما في «مجموع الرسائل» (٣/ ١١)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٠) (٢٥٦٤٩)، ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٩١) (١٤٧٤)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٨٧)، وأبو بكر النجاد في «مسند عمر بن الخطاب» (ص٧٢) (٤١)، والسمعاني في «الأنساب» (١/ ١١)، وغيرهم من طرق عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله بنحوه.

(٢) كذا عزاه لابن زنجويه ابن رجب في «مجموع الرسائل» (٣/ ١٢)، والمناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٧)، ورواه معمر في «جامعه» (١١/ ٢٦) (١٩٨٠٥)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٧/ ١٦٨) (٤٨٣١)، وابن وهب في «جامعه» (ص٧٦٩) (٦٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٠) (٢٥٦٤٨)، وغيرهم. من طرق عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه موقوفًا. وقد روي مرفوعًا من طريق إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عباس كما عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤١) (١٠٩٨٠)، وغيره. وفي إسناده خالد بن يزيد العمري كذاب. قال الألباني: «موضوع». انظر: «الضعيفة» (٤١٧).

وَلا يجوزُ التّصديقُ بذلِكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: لَو كانَ علْمُ الفلَكِ منْ أوّلِ العُلومِ الَّتي لفتَتْ أَنْظارَ عُلماءِ المُسلمينَ، وَجَلبتِ اهتمامَهم وعِنايتَهم لَمَا كانَ الصّحابَةُ وَالتَّابِعونَ وَتابِعوهُم بإِحْسانٍ وَأَئِمّةُ العِلْم وَالهُدىٰ مِنْ بَعْدهم يُهْمِلونَه. وَلَكِنّهُ عِلْمٌ لَا يَخْلُو في الغالِبِ مِن تَعاطِي عِلْمِ الغيْبِ، وَما كانَ كَذلِك فهُو عِلْم مُرْدٍ مُهْلكٌ، وَما سَلِمَ مِنْه مِنْ تَعاطِي علْمِ الغَيْبِ فَهو علْمٌ كَثِيرُ العَناءِ قَلِيلُ الجَدْوىٰ.

الوَجْه الثَّالِثُ: أنَّ علْمَ الفَلَكِ نَوْعانِ: أَحَدُهما مَعْرفَةُ البُروجِ الاثْنَىٰ عَشَر وَدَرجاتِ الفَلَكِ وَمنازِل الشَّمس وَالقَمَرِ، وَعَرْضِ البُلدانِ وَطُولِها، وَمَعْرفَةُ السّمْتِ والنّظيرِ، وَفُصولِ السّنَةِ وَما تقْطَعه الشَّمس في اليَوْم واللّيْلةِ مِن دَرجاتِ الفَلَك، ومَا يقْطَعه القمَرُ منها، ومعرِفَةُ السّنَةِ الشَّمسيّةِ وَالسّنَةِ القمرِيّةِ وَما بينَهُما منَ التّفاوتِ، ومعرِفَةُ أوقاتِ الكُسوفِ وَالخُسوفِ.

وَهَذا النّوعُ هو الَّذي كانَ يَشْتغلُ بِه علماءُ الفَلَكِ قبلَ ظُهور أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ، وَهو عِلمٌ كَثِيرُ العَناءِ قليلُ الجَدْوىٰ، يَصُدُّ المُشتغِلَ بِهِ عَمّا هوَ أَهَمّ منْهُ مِن العُلومِ الدّينِيّةِ، وَلَمْ يكنِ الصّحابَةُ وَلا التَّابِعونَ وَتابِعوهُم بإِحسانٍ وَأَئِمّةُ العِلْم والهُدىٰ مِن بعدِهم يَتَعَلّمون مِن هذا النّوعِ إِلَّا ما تَدْعو الحاجَةُ إليْهِ لِمعرفَةِ القِبلَةِ، والاهتِدَاءِ في ظُلُماتِ البَرّ والبَحْر، وَأَمّا ما سوىٰ ذلك مِنْ علْمِ الفَلَك، فَلَم يكونُوا يَشْتغلونَ بِه فضلًا عَنْ الِاهتمامِ وَالعِنايةِ بِه.

وَعَلىٰ هذا؛ فَقَولُ الصَّوَّاف أنَّ عِلمَ الفَلكِ كان مِن أوّلِ العُلوم الَّتي لَفتتْ أنْظارَ عُلماءِ المُسلمينَ، وَجَلبتِ اهتمامَهُم وعِنايتَهم: قولٌ لا أساسَ لَه مِن الصّحّةِ.

النّوعُ الثَّانِي: تَخَرّصُ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ في الأَرْض والأَجْرامِ العُلْويّةِ وما تَحْويهِ، وَهَذا النّوعُ مَبْنِيٌّ علىٰ تَعاطي عِلْمِ الغَيْبِ الَّذي استَأْثَر اللهُ بِعِلمهِ، وَتَعاطي عِلْمِ المُغَيّباتِ حَرَامٌ شديدُ التّحريمِ، فَضْلًا عنْ أنْ يَكونَ مِن أوّل العُلوم الَّتي لفتَتْ أنْظارَ عُلماءِ المُسْلمينَ، وَجَلبتِ اهتِمامَهم وعِنايتَهم -كَما زعمه الصَّوَّاف!-، وَمَدارُ رِسالة الصَّوَّاف علىٰ هذا العِلْمِ المُحَرّمِ كَما لا يَخفىٰ عَلىٰ مَن نَوَّرَ اللهُ قَلْبَه بِنورِ العِلْمِ والإيمانِ.

* * *

فصل

قالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٠: (عِلْم الفَلكِ).

ثُمّ عرّفَه بأَنّهُ: عِلْمٌ يبْحَثُ عنِ الأجْرامِ السّماويّةِ وَما تحويه ومَا تنْتَظمه من نجومٍ وكواكِبَ، وَما يَحْدثُ في الكوْنِ من رياحٍ وَبَرْقٍ وَرَعْدٍ.

قُلْتُ: وَهذا التّعريفُ يَشْملُ شَيْئينِ:

أَحَدهُما: التّخرُّص عنِ الأجرامِ السّماويّةِ وما تحويه، وَهذا هُو الَّذي عليْهِ

أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ مِن فلاسفَةِ الإفْرنجِ.

وَالثَّاني: دَعْوَىٰ مَعرفَةِ ما يحدُثُ في الكوْنِ منْ رِياحٍ وَبَرقٍ وَرَعْدٍ وَغَير ذَلك ممّا يكونُ مِن الحوادِثِ في المُسْتَقْبل، وَهذا هُو الَّذي كانَ عَلَيْه المُنَجِّمونَ في قَدِيمِ الدّهرِ وحديثِهِ، وَكِلا الأمرَيْنِ مِن تَعاطي علْمِ الغَيْبِ الَّذي استَأْثَرَ اللهُ بعِلْمِه، وَمِن القِسْمِ الثَّاني ما ذَكَره مُحَمّد فريد وجدي في كِتابه «دَائِرَةِ المَعارفِ» حَيثُ قَال: «كانَ لِعِلم الفَلكِ فِي القرونِ الوُسْطىٰ بأوروبا شَأْنٌ كبيرٌ، وَلَكن في أخْذِ الطّوالِعِ وَمَعرفَةِ طبائِعِ الأوقاتِ مِنْ نحوسٍ وَسُعُودٍ».

قُلْتُ: وَهَذا وما ذكرَهُ الصَّوَّاف في آخرِ كَلامِهِ الَّذي تَقَدّمَ ذِكره آنِفًا، هُو التّنْجِيمُ المُحَرّمُ بِالإجْماعِ.

قَالَ شيخُ الإِسْلام أبُو العبّاس ابْنُ تيمِيّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «التّنْجِيمُ هُو الِاسْتِدْلالُ بالأحوالِ الفلكيّةِ، وَحَركاتِ النُّجوم علىٰ الحَوادِثِ»[١].

وَقالَ الخَطَّابيُّ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «عِلْمُ النُّجومِ المَنْهِيُّ عنْهُ هو مَا يدّعيهِ أهلُ التّنجيمِ مِن علمِ الكوائِنِ والحوادِثِ الَّتي لمْ تقعْ وَستقعُ في مُستقبلِ الزّمانِ، كَإِخبارِهم بأوقاتِ هُبوبِ الرّيح وَمَجيءِ المَطَر وظُهورِ الحَرِّ والبَرْدِ، وَتَغَيُّرِ الأسْعَارِ، وما كانَ في مَعانيها منَ الأمورِ الَّتي يزعمونَ أَنّهم يُدركونَ مَعْرفتَها بِسَيْرِ الكواكِبِ في مَجاريها، وَبِاجتماعِها وَاقْتِرانِها، ويدَّعون لَها تأثيرًا في السُّفليّاتِ، وَأَنّها تتصرّفُ علىٰ

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٢).

أحكامِها، وَتجري علىٰ قَضايا موجباتِها، وَهذا مِنْهم تَحَكّمٌ علىٰ الغَيْبِ، وَتَعاطٍ لِعِلْمٍ استأْثَرَ اللهُ سُبْحانَهُ بِهِ، لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ أَحَدٌ سِواهُ»(١).

قُلْتُ: «وَمِن هذا البابِ مَا يُذاعُ في كثيرٍ مِن الإذاعاتِ من الأخبارِ عَمّا سَيكونُ في المُسْتقبَلِ مِن الغُيومِ وَالأَمْطارِ وَالرّياحِ أَوْ عدمِ ذلكَ، وَيُسَمّون هذه الأخبارَ النّشَراتِ الجَوّيّةَ، وَهِي مِن تعاطِي علْمِ الغيْبِ الَّذي استأْثَر اللهُ بِعِلمه؛ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وَرَوىٰ الإمامُ أحمَدُ والبُخارِيّ عنِ ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَفاتِيحُ الغيبِ خَمسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلّا اللهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]»(٢).

وَكَثيرًا ما يَتّفِق المُنَجّمون عَلىٰ حدوثِ أمْرٍ في المُسْتقبلِ، فَيَفْضَحهم اللهُ

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٢)، والبخاري (٧٣٧٩)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تَعالىٰ، وَيُبطِلُ قولَهم، وَيَجعلِ الأمْرَ بِعكسِ ما زَعموهُ لِيَعْلمَ الجاهِلون بحالِهم أَنّهم كَذَبَةٌ مُتخرّصونَ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَقَد ذكرَ المُؤَرّخونَ مِن ذلك أخْبارًا كثِيرَةً منْها ما ذكرَهُ ابنُ كثيرٍ فِي «البدايَةِ وَالنّهايَةِ»(١) في حوادِثِ سَنَةِ اثْنتينِ وثَمانينَ وَخَمْسِمائَةٍ عَن العِمادِ الكاتِب أنّه قالَ: «أَجْمعَ المُنَجّمونَ علىٰ خَراب العالَمِ في شَعْبَان؛ لِأَنَّ الكواكِبَ السّتّةَ تَجْتَمعُ فِيه في المِيزانِ، فَيَكونُ طوفان الرّيح في سائِرِ البُلدانِ» وَذكَر أنَّ ناسًا مِن الجهلَةِ تأَهّبوا لِذلك بِحَفْرِ مغاراتٍ في الجِبال وَمدخلاتٍ وأسْرابٍ في الأرْضِ؛ خَوْفًا مِن ذلِكَ، قال: «فَلَمّا كانتْ تلك اللّيلةُ الّتي أشارُوا إليها، وأجمَعوا عليها لم يُرَ ليلَةٌ مثْلُها في سكونِها وركودِها وهُدوئِها، وَقَد ذكرَ ذلكَ غَيْرُ واحدٍ مِنَ النّاس في سائِرِ أقطارِ الأرْضِ، وَقَد نَظَمَ الشُّعراءُ في تكذيبِ المُنَجّمينَ فِي هذه الواقِعَةِ وغَيرِها أشْعارًا كثيرَةً حسنَةً، مِنْها:

مَـزِّقِ التَّقْـوِيمَ وَالزِّيـ	ـجَ فَقَـدْ بَـانَ الْخَفَـاءُ
إِنَّمَـا التَّقْـوِيمُ وَالزِّيـ	ـجُ هَبَـاءٌ وَهَـوَاءُ
قُلْـتَ لِلسَّـبْعَةِ إِبْـرَا	مٌ وَمَنْـعٌ وَعَطَـاءُ
وَمَتَـىٰ يَنْـزِلْنَ فِـي الْمِيـ	ـزَانِ يَسْـتَوْلِي الْهَـوَاءُ
وَيُثِيـرُ الرَّمْـلَ حَتَّـىٰ	يَمْتَلِـي مِنْـهُ الْفَضَـاءُ

---

(١) (١٢/ ٣١٩).

وَيَعُمُّ الْأَرْضَ خَسْفٌ وَخَرَابٌ وَبَلَاءُ
وَيَصِيرُ الْقَاعُ كَالْقُفْفِ وَكَالطَّوْدِ الْعَرَاءُ
وَحَكَمْتُمْ فَأَبَىٰ الْحَاكِمُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
مَا أَتَىٰ الشَّرْعُ وَلَا جَاءَتْ بِهَذَا الْأَنْبِيَاءُ
فَبَقِيتُمْ ضُحْكَةً يَضْحَكُ مِنْهَا الْعُلَمَاءُ
حَسْبُكُمْ خِزْيًا وَعَارًا مَا يَقُولُ الشُّعَرَاءُ
ثُمَّ مَا أَطْمَعَكُمْ فِي الْحُكْمِ إِلَّا الْأُمَرَاءُ
فَعَلَىٰ اصْطِرْلَابِ بَطْلَيْمُوسَ وَالزِّيجِ الْعَفَاءُ
وَعَلَيْهِ الْخِزْيُ مَا جَادَتْ عَلَىٰ الْأَرْضِ السَّمَاءُ

وَقَد ذكَرَ السّيوطِيُّ هذا الخبَرَ في «تاريخِهِ»[١] فقالَ: «وَفي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وخَمْسِمائَةٍ اجتمَعَتِ الكَواكِبُ السّتّةُ في الميزانِ، فَحكمَ المُنَجّمونَ بِخرابِ العالَمِ في جميعِ البِلاد بِطوفانِ الرّيحِ، فَشَرع النّاسُ في حفْرِ مَغاراتٍ في التُّخومِ، وَتَوثيقِها وَسَدّ منافذِها عنِ الرّيح، وَنَقلوا إِلَيْها الماءَ والزّادَ، وانْتقلوا إِليها وَانْتَظروا اللّيْلَةَ الّتي وُعِدُوا فيها بِريحٍ كريحِ عادٍ، وَهِي اللّيْلَةُ التّاسعَةُ مِن جُمادىٰ الآخِرَةِ، فَلَم يأتِ فيها شَيْءٌ، وَلَا هَبّ فيها نَسيمٌ بِحيثُ أوقدَتِ الشُّموعُ فَلَم تتحرَّك فيها ريحٌ تُطْفيها، وَعَمِلَت الشُّعراءُ في ذلك، فَمِمّا قيلَ فيه قولُ أبي

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص٣٢٠).

الغَنائِمِ مُحَمّدِ بنِ المُعلمِ(١):

قُـلْ لِأبـي الفَضْـل قَـوْلَ مُعْتَـرفٍ مَضَـىٰ جُمـادىٰ، وَجَاءَنـا رَجَـبُ
وَمَـا جَـرَت زَعْزعًـا كَمـا زَعمـوا وَلا بَـدَا كَوْكَـبٌ لَـهُ ذَنَـبُ

وَمَا ذكَرَهُ السّيوطِيّ في تَعْيينِ الشّهرِ الَّذي اتّفقَ المُنَجّمونَ علَىٰ هبوبِ الرّيح العاتيَةِ فيه أنّهُ جُمادىٰ الآخِرَةِ، يُخالِفُ ما ذكرَهُ ابنُ كثيرٍ عَن العِمادِ الكاتِبِ أنَّ ذلك في شَعْبانَ، ولَعَلّ الصَّوابَ ما ذكرَه السيوطيُّ، ويَشْهدُ لذلك قولُ أبي الغَنائمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَد ذكرَ هَذا الخبرَ العَلّامةُ ابنُ القَيّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «مِفتاحِ دارِ السّعادَةِ»، وذكرَ معه تِسْعةَ أخبارٍ ممّا اتفقَ المُنَجّمون علىٰ وُقوعه، فَفَضحهم اللهُ تَعالىٰ، وأبطلَ قولَهم، وجعلَ الأمْر بعكْسِ ما زعَموه.

وَذكرَ أبياتًا حِسانًا لأَبي تَمّامٍ وغيرِهِ منّ الشّعراءِ في تكذيبِ المُنَجّمينَ والرّدِّ عليهِمْ، فمنْ أرادَ الوُقوفَ عَلىٰ ذلك فلْيُراجعْهُ في «مِفتاحِ دَارِ السّعادَةِ»(٢).

وَقَد حدّثني بعضُ قُضاةِ المَدينَةِ النّبويّةِ أنَّ المُنجمينَ في الهِنْد في زَمانِنا أجمَعوا عَلىٰ أنَّه في يوم كذا من شَهْر كذا في سَنَةَ كذا - يكونُ في المدينَةِ ريحٌ

(١) هو محمد بن علي بن فارس، أبو الغنائم ابن المعلم الواسطي، الشاعر المشهور، انتهت إليه رياسة الشعر في زمانه، وطال عمره حتىٰ صار شيخ الشعراء، توفي سنة (٥٩٢)، انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٩٨٥)، و«الأعلام» (٦/ ٢٧٩).

(٢) (٢/ ١٣٥)، وما بعدها.

عاصِفٌ، وظُلْمةٌ وَصَواعِقُ شديدَةٌ، ومطَرٌ عظيمٌ، وَبَرد كثيرٌ، فصَدّقهم الجُهّالُ فيما زعَموه منْ هذا الباطِلِ، وارْتَقبوا وُقوعَ ذلكَ، فلَمّا جاءَ اليوْمُ الَّذي وُعِدوا بِهِ كانَ الأمْرُ فيه بِعَكس ما زَعَمَه أعداءُ اللهِ تَعالىٰ، فكانَتِ الرّيحُ ساكِنَةً لا تُحَرّكُ شيئًا، وَكَانَ الجَوّ صافيًا جدًّا، ولم يكنْ في ذلك اليومِ غيمٌ، ولا شيء ممّا زعَموا وقوعَهُ.

قلْتُ: ولَمّا كانَ في يومِ الأرْبعاءِ المُوافِقِ لِليومِ الرَّابعِ منْ شهرِ ذي القَعدَةِ سنةَ ١٣٨٨هـ أصابَ مكّةَ وجدّةَ وما بيْنَهُما، وَما بينَ مَكّة وجبلِ كرا - مَطَرٌ عظيمٌ وسيولٌ جارفَةٌ، وَقَدِ ارْتفعَ السّيلُ في الحرَمِ ارتِفاعًا كثيرًا، وَبلَغَ في باب الكعْبَةِ نحو ذراعَيْنِ، وَحمَلَ سياراتٍ كثيرةً في شارِع الأبْطح، وَصَدَم بعضُها ببِعضٍ، ودَخل بُيوتًا ودَكاكينَ كثيرَةً في مكَّةَ وجدَّةَ، وَأفْسد أموالًا كثيرَةً، وَقَد أذاعَ المُنَجّمونَ في بعضِ بلادِ الكُفْر أنّهُ سَيصيبُ مَكّة في يوم الأربعاءِ مِن الأسْبوعِ الثَّاني وَهُو المُوافق لِليومِ الحاديَ عشَرَ منَ الشّهر والسّنَةِ المَذكوريْنِ آنِفًا مَطَرٌ عظيمٌ، وَسَيْلٌ جارِفٌ يُشْبه ما أصابَها في رابعِ الشّهرِ.

وَأَذاع المُنَجّمونَ في بعضِ بِلاد الإفْرِنجِ أَنّه سيكونُ في بلادِ الحِجازِ مَطَرٌ عظيمٌ يستَمِرّ أربعًا وعِشرين ساعَةً، وقد صدّقهُم الجُهّال في هذا الزّعم الكاذبِ وارْتَقبوا ما وَعدوهم به مِن الطّوفانِ، وَزادَهم فتنةً وتصديقًا بأقوالِ المنجمينَ أنَّ الغيومَ لَم تزلْ متراكمَةً فوقَ مكّةَ في تلكَ الأيّامِ، وَلكنْ بدونِ مطرٍ.

وَلَمّا كان في اليومِ الثَّامن من ذي القَعدة، وهو يومُ الأحدِ أَغْلق الجُهّال بعضَ أبوابِ المَسعىٰ الَّتي من جِهة المَشْرق، ووَضعوا عليها من جهَةِ المَسعىٰ خشَبًا غِلاظًا؛ لتَمنعها أنْ تَنْفتحَ إِذا جاءَها السّيلُ الَّذي وَعد به المُنَجّمونَ.

وَلَمّا كانَ في اليومِ العاشِرِ وهو يومُ الثّلاثاءِ، أغْلقوا جميعَ أبوابِ المَسْعىٰ ورَدَموها بِالخَشَب، سِوىٰ مِصراعٍ واحِدٍ مِن جهةِ الصّفا تَركوه لِلنّاسِ يَدْخلونَ مِنْهُ، وَيَخْرجونَ، وَقَد كنْتُ أَرَىٰ صَنيعهُمْ في الأبْوابِ، وَأَتَعَجّب منْهُ، وَلا أدْرِي ما مُرَادُهم مِن ذلك؛ لِأَنّي لم أَسْمَعْ بأكاذيبِ المُنَجّمين عليهم، ولمّا كانَ بَعْد صلاةِ المَغْرِب من ليلةِ الأَرْبعاءِ جلسْتُ معَ بعضِ العُلماءِ في الحرَمِ، فذكَرْتُ لَه ما رأيتُ من صَنيعهمْ في أبوابِ المَسْعىٰ، فأخبَرني بِما زعمَه المُنَجّمونَ مِن وقوعِ السّيل العظيمِ المُماثِل لمَا وقعَ منذُ أسْبوعٍ، فَقُلْتُ: كَذَبَ المُنَجِّمونَ، وَسَيَظْهر كذِبُهم، وَيُفْتَضَحونَ إنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ، وَإِنّي لَأرجو أنْ تكونَ السّماءُ في الغَدِ صَحْوًا ليسَ فيها قَزعةٌ، وَبَيْنما نحنُ جلوسٌ إِذْ وقع علينا مطرٌ خفيفٌ، فانْفَضّ الجُهّال، وَتَسابقوا إلىٰ الأبوابِ يخرجونَ من الحرمِ؛ فَعَجبنا مِن صَنيعهِمْ وَمِن تلاعُبِ الشَّيطانِ بِهم، وقدْ نِمنا تلك الليلةَ والغيومُ مُتراكمَةٌ.

وَلمّا خرجْتُ لصلاةِ الصُّبح من يومِ الأربعاءِ الَّذي وعَد المُنَجّمونَ بِوقوعِ الطّوفانِ فِيه إذا السّماءُ صحوٌ ليسَ فيها قزعَةٌ، وقدْ أقَمْت بعد ذلك عدّةَ أيّام في مكّةَ -شَرّفَها اللهُ تَعالىٰ-، وَالسّماءُ لا تَزالُ في تلك الأيام صَحْوًا ليس فيها قزعَةٌ. فَالحمدُ للهِ علىٰ إِبْطالِ قوْلِ المُنَجّمينَ وإِظْهارِ كَذِبهم لعِبادِهِ.

وَلَقَد أحسَنَ الشّاعِرُ[١] حيثُ يقولُ:

دَعِ المُـنَجِّمَ يَكْبُـو في ضَـلَالَتِهِ ... إِنِ ادّعىٰ عِلْمَ مَا يجرِي بِهِ الفَلَكُ

تَفَـرَّدَ اللهُ بِـالعِلْمِ القَـدِيمِ فَـلَا الْـ ... إِنْسَـانُ يَشْـرَكُهُ فِيـهِ وَلَا المَلَـكُ

وَمِن أكاذيبِ المُنَجّمينَ زَعْمُهم أنَّ لكلِّ واحدٍ منْ أهلِ الأرْضِ نَجْمًا فِي السّماءِ، وَقَد روىٰ أبو نُعَيمٍ في «الحِلْيَةِ» عَنْ محمّدِ بنِ كعبٍ القرظِيِّ[٢] أنّهُ قالَ: «كَذَبوا واللهِ، مَا لأحَدٍ مِن أهلِ الأرْضِ في السّماءِ نَجم، ولكِنّهم يَتّبِعون الكَهنةَ وَيَتّخذونَ النُّجوم عِلّةً، ثمَّ قرأَ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]»[٣].

وَقالَ البُخارِيّ في «صَحيحِهِ»[٤]: «قالَ قَتادةُ: خَلق اللهُ هذه النُّجومَ لِثلاثٍ:

(١) نسبه ابن خلكان، والذهبي، وغيرهما للعلامة زيد بن الحسن تاج الدين، أبي اليمن الكندي، البغدادي، المتوفىٰ (٦١٣)، انظر: «الوفيات» (٢/ ٣٤١)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ٣٦٤)، و«السير» (٢٢/ ٤٠).

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبو حمزة المدني، سكن الكوفة مدة. روىٰ عن زيد بن أرقم، وغيره، وروىٰ عنه الحكم بن عتيبة، وجماعة. ثقة عالم، من الثالثة. مات سنة (١٢٠)، وقيل: قبل ذلك. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٦/ ٣٤٠)، و«التقريب» (٦٢٥٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٤٧) من طريق عمر مولىٰ غفرة عن محمد بن كعب القرظي به. وإسناده ضعيف. عمر مولىٰ غفرة ضعيف وكان كثير الإرسال. قاله في «التقريب».

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٠٧) معلقًا، ووصله ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٣)، وأبو

جَعَلها زينَةً للسّماءِ، وَرُجومًا لِلشّياطينِ، وَعَلَاماتٍ يُهتَدىٰ بِها، فمَنْ تَأَوّلَ بِغير ذلكَ أَخْطَأَ وأضاعَ نَصِيبَهُ، وَتكَلّف ما لا عِلْمَ لَهُ بِهِ».

قَالَ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في «فَتْحِ البارِي»(١): «وَصَلَهُ عبدُ بْنُ حميْدٍ مِن طريقِ شَيْبانَ عَنْه، وزَاد في آخِرِه: «وَإِنّ ناسًا جَهَلَةً بأمرِ اللهِ قد أَحْدَثوا في هذهِ النّجومِ كهانَةً، مَنْ أَعْرَس بنجْمِ كذا كانَ كذا، وَمَن سافرَ بِنجم كذا كانَ كذا، وَلَعَمْرِي ما مِن النّجومِ نَجْمٌ إِلَّا وَيُولد بِه الطّويلُ وَالقَصيرُ، وَالأحْمَر والأبيَضُ، وَالحَسنُ والدميمُ، ومَا عِلم هذه النُّجومِ وهذه الدّابةِ وهذا الطائِرِ بشيءٍ مِن هذا الغَيْبِ» انْتَهىٰ.

وَرَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ بنحوه، وَزاد في آخِره: «وَقضىٰ اللهُ أنّهُ ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]».

وَرَواهُ الخطيبُ في كِتابِ «النّجومِ» عنْ قتادَةَ، ولفظُهُ: «قال: إنّما جعلَ اللهُ هذهِ النُّجومَ لِثَلاثِ خصالٍ جعلَها زينَةً للسّماءِ، وَجَعلها يُهتَدىٰ بِها، وجعَلَها رجُومًا لِلشّياطينِ، فَمَن تَعاطىٰ فيهَا غيرَ ذلك فَقَد قالَ برَأْيِه وأَخْطأ حظَّهُ، وَأَضاعَ

=

الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٥٣٦)، والخطيب في «القول في علم النجوم» (ص١٨٥)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٩)، وغيرهم من طرق عن قتادة به.

(١) (٦/ ٢٩٥).

نصيبَهُ، وَتكَلّف ما لا عِلْمَ بِهِ».

ثُمّ ذكرَ بَقِيّته نحوَ ما في روايَةِ عبدِ بنِ حُميدٍ، وَزَاد في آخرِه: «وَلَوْ أَنَّ أحدًا علمَ الغيبَ لعَلِمَه آدمُ الَّذي خلقَهُ اللهُ بيدِهِ، وَأَسْجدَ له مَلائكتَهُ، وَعَلّمَه أسماءَ كُلّ شيءٍ».

وَقَد أوردَهُ الحافِظُ ابنُ كثيرٍ في «تفسيرِهِ»[1] منْ روايةِ ابْنِ أبي حاتِمٍ، ثمَّ قالَ: «هُو كلامٌ جليلٌ متينٌ صحيحٌ»، انْتَهىٰ.

وَقالَ الدّاودي[2]: «قولُ قتادةَ في النّجومِ حسنٌ إِلّا قولَه: أخطأَ وأضاعَ نصيبَهُ، فإنّهُ قصّر في ذلكَ، بَل قائِلُ ذلك كافِرٌ»[3].

وَقالَ شيخُ الإسلامِ أبو العبّاس ابْنُ تَيْمِيّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «صِناعَةُ التّنجيمِ والاسْتدلالِ بها علىٰ الحوادِث مُحَرّم بإجماعِ المُسلمينَ، وأخْذُ الأجْرَةِ علىٰ ذلك- سُحْتٌ، ويُمنعونَ مِن الجُلوسِ في الحَوانيتِ وَالطّرقاتِ، وَيُمْنع النّاسُ أنْ يكرموهم، وَالقِيامُ في منعِهم عنْ ذلك مِن أفضَلِ الجِهاد في

---

(١) (٦/ ٢٠٧).

(٢) هو أحمد بن نصر، أبو جعفر الداودي الفقيه من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسمين في العلم، المجيدين للتأليف له كتاب «الأموال»، و«الإيضاح»، وغير ذلك. توفي سنة (٤٠٢)، انظر: «ترتيب المدارك» (٧/ ١٠٢)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ٤١)، و«الديباج المذهب» (١/ ١٦٥)، و«شجرة النور» (١/ ١٦٤).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٢٩٥)، و«عمدة القاري» (١٥/ ١١٥).

سَبِيل اللهِ تَعالىٰ»(١) انْتَهىٰ.

هَذا ما يَتَعلّقُ بِالمُنَجّمين وعِلْمِهم في الفَلَك والنّجومِ.

وَأَمّا أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعُهم فقدْ سلكوا في عِلم الفَلكِ وَالنّجومِ مَسْلكًا آخرَ، وذلكَ بما يَزْعمونه منْ معرفَةِ موادّ الأجرامِ العُلْويّةِ، وَمقاديرِ أحْجَامِها وأَبْعادِها، وَتَحديدِ المُدّةِ الَّتي يصلُ فيها نورُ كلٍّ مِنها إلىٰ الأرْضِ، وَما يزعُمونَه -أَيْضًا- مِنْ تَعَدّد الشّموسِ وَالأقْمارِ، وَما يزْعمونه -أَيْضًا- مِنْ وجودِ الجبالِ وَالوِهادِ وَالأوْدِيَةِ في الشَّمس وَالقَمَرِ وسائِرِ السّيارات، وَأَنّ فيها مخلوقاتٍ نَحْو سَكَنَةِ الأرْضِ، وَأَنّ فيها بِحارًا وأنْهارًا، وَأَنّهم قاسُوا أكثَرَ من ألفِ جبلٍ في القَمَرِ، فوجدوا أنَّ عُلُوّ بعضِها يَنيف علىٰ عِشرين ألفَ قدَمٍ، وأنّهم يعرفونَ ما يحدُث في القَمَرِ من البَراكينِ والِانفجاراتِ، وَكذلك ما يحْدُث في الشَّمس مِن الِانفجاراتِ، وَما تفْقده منْ وزنها في الثّانية الواحِدَة مِن ملايينِ الأطنانِ بسببِ احتِراقها، إِلىٰ غيرِ ذلك من التَّخَرُّصات والتّحكم عَلىٰ الغيْبِ، والتّعاطي لِما استَأْثَر اللهُ بعلْمِه.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآيَةَ.

(١) انظر: «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص٣٦٧).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وَهذا الَّذي ذكرناهُ عن أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ من تعاطِي علْمِ الغيْبِ إنْ لم يكنْ شَرًّا من التّنجيمِ فليسَ بِدونهِ، ومعَ هذا فكثيرٌ مِن العَصْريّينَ قَد افْتُتِنوا بما يقولُه أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ مِن المزاعمِ الباطلَةِ والتَّخرُّصات وَالظّنون الكاذبَةِ، ورَأوا أنَّ ذلك مِن تقدُّمِ العِلم في اكْتشافِ الأمورِ الكَونيّةِ، وكُلّما تَخرّص مُتَخرِّص من الإفرنجِ في الأجرامِ العُلويّةِ بشيءٍ، وزعمَ أنّهُ اكتشفَهُ - تلقّوْا قولَه بالقَبولِ وَالتّسليمِ، وَتمسّكوا بهِ أعظَمَ ممّا يتمسكونَ بنصوصِ الكتابِ والسّنَّةِ، وَاشتد إنكارُهم علىٰ مَن ردّ ذلك مِن المسلمينَ، وإذا رَأوا ما يخالِفُ أقوالَ أعداءِ اللهِ تَعالىٰ من أدلّةِ الكتابِ وَالسّنّةِ أوّلُوه علىٰ ما يُوافق أقوالَهُم كأنّهُم معصومونَ مِن الخطَأِ والزّللِ، أوْ كأنّهُم قدْ أُوحِي إليْهم بِما يزعمونَهُ منْ تَخَرُّصاتهم وظُنونهِم الكاذبَةِ.

وَقَد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] الآياتِ إلىٰ قولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وَقَد روىٰ البُخاري في «التَّاريخِ» وَالطَّبراني وابْنُ عبد البَرِّ وغيرُهم، عَن عصْمةَ بنِ قيسٍ صاحبِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه «كانَ يَتعوّذُ في صلاتِهِ من فِتْنَةِ المَغْرِبِ».

وَذَكر ابنُ عبدِ البَرِّ -أَيْضًا- عنْهُ أنَّه كانَ يَتعوّذُ باللهِ منْ فِتْنةِ المَشْرِقِ، فقيلَ لَهُ: فَكَيفَ فتنَةُ المَغرِب؟ قال: «**تِلْكَ أعْظَمُ وَأَعْظَمُ**».

وَهَذا الأثَرُ له حُكْمُ المَرفوعِ؛ لِأنَّه إخبارٌ عَن أمرٍ غَيْبِيّ فلا يُقال مِن قِبلِ الرأيِ، وَإِنّما يُقال عَنْ تَوْقيفٍ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٧) (٥٠١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٧٣) (١٣٨٩)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٦٩)، وغيرهم عن عصمة به، وقد اختلف عليه في وقفه ورفعه، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٠٢٩) وقال: «وبالجملة؛ فالحديث ضعيف؛ للاضطراب والجهالة، مع كونه موقوفًا علىٰ الراجح. والله أعلم. ومما سبق تعلم خطأ الشيخ التويجري حين جزم في أول كتابه «الصارم»... بنسبته إلىٰ عصمة بن قيس، وأنه في حكم المرفوع! وأظن أن عمدته في ذلك إنما هو قول الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٠): «ورجاله ثقات»! وهذا لا يعني تقوية الحديث بوجه من الوجوه -كما يعلم ذلك البصير بهذا العلم الشريف-، وقد مضىٰ مني التنبيه علىٰ ذلك مرارًا.

وأما قوله بأنه في حكم المرفوع؛ فنقول: نعم؛ ولكن أثبت العرش ثم انقُشْ! ومن غرائبه أنه حمل الحديث علىٰ الإفرنج بحكم كونهم في المغرب! وهم وإن كانوا سببًا لما أصاب المسلمين -من البلاء والانحراف عن الشرع، والعمل بأحكامه، وإقامة حدوده- بسبب استعمارهم لبلادهم؛ فليس من المتبادر أنهم هم المقصودون من الحديث -لو صح-=

وَالواقِعُ يَشْهد لهذا الأثَرِ بالصّحَةِ؛ فَإِنّ الفتَنَ أوّلَ ما ظهرَتْ في هذهِ الأُمَّةِ ظهرَتْ مِن قِبلِ المَشْرق، وَمِن أعظمِها شَرًّا فتنَةُ الجَهميّةِ وَالرَّافضَةِ، وَأَمّا في زمانِنا فظُهور الفِتَنِ مِن قِبل المَغْرِبِ أكثَرُ، وَذَلك بسببِ اسْتِيلاءِ بَعْضِ الدّول الإفْرِنْجيّةِ علىٰ أكثرِ المَمالكِ الإِسلاميّةِ، وَبَثّهِم فيها ثَقافتَهُم المَشْؤومَةَ وتعاليمَهُم المَسْمومَةَ، فكانَ لِهذه الثّقافَةِ وَالتّعاليمِ أسوأَ الأثَرِ في تلكَ البِلادِ بحيثُ فسدتْ عَقائد الأكثَرين مِنْهم، وظَهرت فيهم الزّندَقَةُ والإلحادُ والِاستهزَاءُ بالعلومِ الدّينيَّةِ وأهْلِها، وتعظيمِ ما يُلقيهِ أعْداءُ اللهِ إليهِم من ظُنونهمْ وَتَخَرُّصاتهم الَّتي هي مِن وحيِ الشَّيطانِ وَتَضْليله.

وَمَن تأمّلَ ما دخَلَ علىٰ المُسْلمين مِن الشّرِّ بسببِ الفِتن المَشْرقيّةِ، وَما دخلَ عليهم مِنَ الشّرِّ بسببِ الفِتن المَغْرِبيّة- تبَيّن له أنَّ فتنَةَ المَغْرب أعْظَمُ شَرًّا منْ فتنَةِ المَشْرق، وَأَشَدُّ نِكايةً فِي هدمِ الإسلامِ وطَمْس أعلامِهِ وإطفاءِ نوره، فَلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

فَإِنْ قيلَ: إِنّ أهلَ الهيئَةِ الجديدَةِ قد تَوَصّلوا إلىٰ مَعْرفَةِ الأجرامِ السّماويّةِ ومَا تحويه بِواسطَةِ أرْصادهِم ونَظّاراتِهم؛ فَيكونُ ذَلك من قَبيل المُشاهدَةِ، لَا منْ

=

لا شرعًا ولا اصطلاحًا. أما الشرع؛ فواضح. وأما اصطلاحًا؛ فإن المفهوم إليوم من (المغرب) إنما هي البلاد الواقعة في شمال إفريقية غرب مصر، وهي: ليبيا وتونس والجزائر ومراكش، وهي بلاد إسلامية، وانظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي».
انتهىٰ كلام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قبيلِ الظّنّ والتّخرُّص وَتَعاطي علْمِ الغَيْبِ.

فَالجوابِ: أَنْ يقالَ: إِنّ أرصادَ أعداءِ اللهِ وَنَظّاراتِهم أضعَفُ وأعجزُ مِن أنْ يُتَوصّل بها إلىٰ اكْتشافِ ما في السّماءِ الدّنيا وهي مَسِيرةُ خَمْسِمِائةِ سَنَةٍ فضلًا عنِ التّوصّلِ بها إلىٰ اكْتِشاف ما يَهْذون به مِن المَسافاتِ الَّتي تبلغُ مَلايينَ المَلايينِ منَ السّنينَ.

وَقَد ثبتَ بِنصوصِ القُرآن أنَّ الشَّمس والقَمَرَ والكواكِبَ في السّماءِ، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. قالَ مجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جبيرٍ وأبو صالحٍ والحسَنُ وقتادَةُ: «البُروجُ هي الكواكِبُ العِظامُ»(١). وقالَ البَغَوي(٢): «هيَ النّجومُ الكِبارُ» قالَ: «وَسُمّيتْ بُروجًا لِظُهورِهَا».

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وَقالَ تَعالىٰ مخبِرًا عن نُوحٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنّه قالَ لِقومِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٢٠) لابن كثير.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧١).

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧].

وَقَال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾

[الملك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذهِ الآياتِ النّصُّ علىٰ أنَّ الشَّمس والقمرَ في السّماءِ، وَالنّصُّ علىٰ أنَّ اللهَ تَعالىٰ جعلَ الكَواكِبَ زينةً لِلسّماءِ الدّنيا، ورُجومًا لِلشّياطينِ.

وَقَدْ ثبتَ عَنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ قالَ: «**بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ**»، رَواهُ عنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعةٌ منَ الصّحابَةِ، وَهُم عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو(١) وأبو هُريرَةَ(٢) والعبّاس(٣) وأبو سعيدٍ(٤) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ورُوي -

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٨)، وأحمد (٢/ ١٩٧)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٨٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٤).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وغيرهم من حديث العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٢٤٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٠)، وأحمد (٣/ ٧٥)، وغيرهما من حديث أبي سعيد =

أَيْضًا- عنِ ابنِ مَسعود[١] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَوْقوفًا، وَله حكمُ الرّفعِ كَنَظائِرِهِ.

وَقَد ذكرتُ هذهِ الأحاديثَ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»[٢] معَ الأدلّةِ علىٰ سُكونِ الأرْضِ وثَباتِها، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وإِذا كانَ بينَ السّماءِ وَالأرْضِ هذا البُعْد الشّاسعُ، فالتّوَصّل بالأرْصادِ والنّظّاراتِ إِلىٰ اكتشافِ ما في السّماء غيرُ ممكِنٍ.

ولوْ فُرِض أنَّ الأرْض ليستْ بِكُرَوِيّة، وأنّ وجهها مُسْتوٍ ليسَ فيه مُرْتَفَعٌ ولا مُنْخفَضٌ، فهلْ يقولُ عاقلٌ أنَّ أهلَ الأرصادِ في أوروبا يمكِنُهم أنْ يكتشِفوا ما في الصّين بأرصادِهم ونظّاراتِهم، ويَرَوا ما فيه مِن الجِبال والوِهادِ وَالبِحارِ والأنْهارِ والأوْدِيةِ والمُدُنِ والقُرَىٰ، ويَقِيسوا ما فيهِ منَ الجِبال، وَيَعْرفوا قدْرَ ارْتِفاعِها؟

لا أَظُنّ أنَّ عاقلًا يقُول بإمكانِ ذلكَ، بلْ إنّه يبْعُدُ اكْتِشافُهُم لمَسافةِ خَمْسَةِ أيّامٍ في الأرْضِ، فكيفَ بِمسافَةِ خمسمِائة سنَةٍ في السّماء؟! فضلًا عمّا يزعمونَهُ

=

الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١٠٩).

(١) أخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١/ ٢٤٢، ٢٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٠٢ - ٨٩٨٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩١) (٨٥٢)، وغيرهم عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به موقوفًا. قال الذهبي: «إسناده صحيح». انظر في «العلو» (ص٧٩).

(٢) (ص٤٠)، وما بعدها.

من اكْتِشافِ ما يَبْعد عنهُم بمسافَةِ مَلايينِ المَلايينِ مِن السّنينَ.

وَليْسَ العَجَبُ مِن هَؤُلاءِ الدّجّالينَ الَّذينَ يُمَخْرِقونَ علىٰ النّاسِ وَيُوهمُونَهم بِما يُشْبِه أضغاثَ الأَحْلامِ مِن تَخَرُّصاتِهم وظُنونِهِم الكاذِبَةِ، وَإِنّما العَجَبُ منْ أُناسٍ مُسْلمينَ يَنْتَسبونَ إِلىٰ العِلْمِ والمَعرفَةِ، وَهُم مع هذا يُصدّقون أعداءَ اللهِ في كُلّ ما قالوه في الأَرْضِ والسّمواتِ وَالشَّمس وَالقَمَرِ والنّجومِ، وَلَو كانَ مُخالِفًا لما في القرْآنِ وَالأحاديثِ الصّحيحَةِ وَإِجماعِ المُسلمينَ، وَيَرون أنَّ ذلك مِن تقدُّمِ العِلمِ في اكتشافِ الأمورِ الكونِيّةِ.

وَقَد تقدّمَ حديثُ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**»، وَفي روايَةِ رَزينٍ: «**مَنِ اقْتبَسَ بَابًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ لِغَيْرِ ما ذِكْرِ اللهِ فَقَدِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**».

وَتَقَدّمَتْ -أَيْضًا- الأحاديثُ في الخَوْفِ علىٰ هذهِ الأمّةِ مِن التّصديقِ بالنُّجومِ. وَفي بعضِ الرّواياتِ: «**إِنّ أخوفَ ما أخافُ عَلىٰ أمّتِي في آخِرِ زمانِها النّجومُ وتكذيبٌ بالقَدَرِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ**».

وَتَقَدّم -أَيْضًا- ما رواهُ ابنُ مَسْعودٍ وَثَوبانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ قالَ: «**وَإذا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا**»، أي عَنِ التّصديقِ بِها، كَما تفيدُهُ الأحاديثُ المذكورَةُ قبلَ هذا الحديثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فصل

وذَكَر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣١ أبا جَعفرٍ المَنْصورِ، ثمَّ قال «وهُو الخليفَةُ الثَّاني»

والجوابُ: أنْ يقالَ: هذا الإطلاقُ خطأٌ، لِأَنَّ الخليفَةَ الثَّاني عَلىٰ الإطلاقِ إنّما هو أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأمَّا المَنْصور العبّاسيّ، فلا يُقال فيهِ أنَّه الخليفَةُ الثَّاني علىٰ وجْهِ الإطلاقِ، بلْ لابُدَّ منَ التقْييدِ بأنْ يقالَ: ثاني خُلفاءِ بني العبّاس أيِ الخليفةُ الثَّاني من بني العبّاس(١).

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣١ -أَيْضًا- ذكر الصَّوَّاف عنْ بعْضِ الفَلَكِيِّين أنَّ مَدارَ الشَّمس بَيْضاوي الشَّكْلِ - يعنِي أنَّه غيْر مُسْتديرٍ.

والجَوابُ: أنْ يقالَ: هذا قولٌ باطلٌ مردود لِمخالفتِه لِمَدلولِ الكِتابِ

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي القرشي الهاشمي العباسي، أتته البيعة بالخلافة بعد موت أخيه السفاح، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة، مات سنة (١٥٨). انظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٠٦)، و«العقد الثمين» (٤/ ٤٠٩).

والسّنَّةِ وَالإجماعِ والمَعقولُ الصّحيحُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وَقالَ تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وَالفَلَك في اللُّغة هو الشَّيْءُ المُسْتديرُ.

قال شيخُ الإسلامِ أبو العبّاس ابنُ تَيْميّةَ(١) -رَحِمهُ اللهُ تعالىٰ-: «الأَفْلاكُ مستديرَةٌ بالكِتابِ وَالسّنَّةِ والإجْماعِ، فإنَّ لَفْظَ الفَلَك يدلُّ علىٰ الِاستدارَةِ، وَمِنْه قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] قال ابنُ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في فلكةٍ كَفَلَكةِ المَغْزل(٢)، ومنْهُ قولُهم تفَلّك ثَدْي الجارِيَة إذا اسْتدارَ، وأهلُ الهيئَةِ وَالحسابِ مُتَّفِقونَ علىٰ ذَلِك».

وَقال الشَّيْخ -أَيْضًا-: «قَدْ ثبتَ بالكِتابِ والسُّنّة وإجماعِ علماءِ الأمَّةِ أنَّ الأفلاكَ مستديرَةٌ»(٣). ثمَّ ذكرَ الأدلَّة علىٰ ذلك، ومنها قولُه تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ثمَّ ذكر كلامَ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي تقدَّمَ ذكرُهُ، قال: «وهذا صريحٌ بالاسْتِدارةِ وَالدّورانِ، وَأَصل ذلك أنَّ الفلكَ في اللُّغة هو الشَّيء المُستديرُ، يُقالُ: تَفلّك ثدْيُ الجاريَةِ إذا استدارَ، ويقالُ:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٥٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢١١،١١٨٦)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٤/ ٢٥٨)، وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه.

(٣) المصدر السابق (٢٥/ ١٩٣).

لِفَلَكةِ المِغْزلِ المُستديرةِ فلكَةٌ؛ لاستدارَتِها، فقدِ اتَّفق أهل التَّفسير واللُّغة علىٰ أنَّ الفَلَك هو المُسْتديرُ. وَالمعرفَةُ لمعاني كتابِ اللهِ إنَّما تؤخذ من هذين الطَّريقين: مِن أهل التَّفسير الموثوق بهم منَ السَّلف، ومنَ اللُّغة الَّتي نزل القرآن بها، وهي لغة العربِ».

قالَ: «والحسُّ مع العَقلِ يدلُّ علىٰ ذلك؛ فَإنَّه مع تأمُّلِ دوران الكواكبِ القريبة من القُطْب في مدارٍ ضيِّقٍ حوْلَ القطبِ الشَّماليِّ، ثمَّ دورانُ الكواكبِ المُتوسِّطةِ في السَّماء في مدارٍ واسعٍ، وَكيف يكونُ في أوَّل الليل وفي آخره- يعلم ذلك، وَكذلك مَنْ رأىٰ الشَّمس وقتَ طلوعها واسْتِوائها وغروبِها في الأوْقاتِ الثَّلاثة علىٰ بُعْد واحدٍ وشَكْلٍ واحدٍ ممَّنْ يكون علىٰ ظهر الأرضِ، عَلِم أنَّها تجرِي في فَلَكٍ مُسْتديرٍ» انْتهىٰ.

وقدْ جزَمَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٩ أنَّ الأفلاكَ مستديرَةٌ؛ فَنَقَضَ ما قرَّره فِي صَفْحَةِ ٣١.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣١ -أيْضًا- ذكر الصَّوَّاف عنِ الفَلَكيِّين منْ أهلِ بغدادَ ممَّن كان في زمانِ الرَّشيد والمأمونِ أنَّهم شكُّوا في ثَباتِ الأرْضِ، بلْ قالَ بعضُهم بحرَكَتِها.

وَالجوابُ عنْ هذا مِن وجهَيْنِ:

أحدُهُما: أنَّ ما ذكرَهُ في هذا الموضعِ قد قرَّر خلافَهُ فِي صَفْحَةِ ٤٣، حيثُ قال: «كانَ أوَّل مَنْ قال بحركَةِ الأرْضِ حول مِحورِها «كوبرنيكس» في عام ١٥٤٣»، وقدْ كفانا الصَّوَّاف مؤنَةَ الرَّدِّ عليه حيثُ ردَّ هو علىٰ نفسِه.

وما ذَكرَهُ فِي صَفْحَةِ ٤٣ قدْ ذكَرَ مثْلَه محمَّد فريد وجدي في «دائرَةِ المعارفِ»؛ فقالَ في الكلامِ علىٰ علْمِ الفَلَك بعدَ أنْ ذَكَرَ المُشْتغلينَ بِهِ في زمان بني العبّاس وما بعدَه، ما نَصُّهُ:

«في كُلِّ هذه القرونِ كان مذهب «بطليموس» هو المُعَوَّل عليْهِ، وهو المذهَبُ الَّذي يَعتَبِرُ الأرضَ مركزَ الكوْنِ، فلمَّا نشأ «كوبرنيكس البروسي» في مُنتصفِ القرْنِ السّادسَ عَشَرَ - أيِ الميلاديِّ- أحْيا مذْهَبَ «فيثاغورس» الَّذي يفرِض أنَّ الشَّمس مركزُ المجموعَةِ الشَّمسيَّةِ، وأنَّ الأرْضَ وبقيَّةَ السَّيَّاراتِ تدورُ حولَها».

وَذَكَرَ «محمد فريد» -أَيْضًا- في الكلامِ عَلىٰ الأرْضِ: «أنَّ فيثاغورس قالَ بدورانِ الأرضِ حولَ الشَّمس، فَقَبِلَ النّاس نظرِيَّتَه زمانًا طويلًا حتَّىٰ نبغَ الفَلَكِيُّ الإِسكنْدَر بطليموس الَّذي كان عائِشًا قبلَ الميلاد بنحو قرْنٍ ونصفٍ، فقرَّرَ أنَّ الأرْضَ وإن كانَتْ كُرَوِيَّةً إِلَّا أنّها ساكنَةٌ غيرُ متحرِّكةٍ، وَأَنَّ الشَّمس هي الَّتي تدور حولها، فراجَتْ نظرِيَّتُه هذهِ في العقول، وبَقِيَتْ شائِعَةً سائدَةً حتّىٰ ظهر

الفَلَكِيّ البولونِي الشَّهير «كوبرنيكس» في القرْنِ السّادسَ عشَرَ المِيلادِيِّ، فقرَّر رأيَ «فيثاغورس»، وأيَّدَه بالأدِلَّة الرّياضيَّةِ عُلماءُ الهيئَةِ في كُلِّ مكانٍ، وَلا تزالُ هي السَّائدةُ إلىٰ اليوم «انْتَهَىٰ.

قُلْتُ: إنَّما كانَتْ سائدَةً عند فلاسفَةِ الإفرِنْج ومَنْ يُقَلِّدهم ويحذو حذْوَهُمْ مِن العَصْرِيِّين، فأمَّا عنْدَ المُتَمسِّكين بالكتابِ وَالسُّنَّةِ فهي باطلَةٌ مردودَةٌ؛ لِمخالفتِها لِلأدِلَّةِ الكثيرَةِ منَ الكتاب وَالسُّنّةِ والإجماعِ والمَعْقولِ الصّحيحِ، وَقَد ذكرْتُ الأدِلَّةَ علىٰ بُطْلانها في أوَّلِ الصَّواعِق الشَّديدَة؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: لوْ فرضْنا صحَّةَ ما زعمه الصَّوَّاف منْ وجودِ مَنْ يشُكُّ في ثَبات الأرْضِ أو يقولُ بِحركتِها منَ الفَلكيِّين الَّذين كانوا في زمانِ بني العبّاس فقولُهم مردودٌ عليهِمْ؛ لمخالفَتِه للأدلَّةِ الكثيرَةِ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ المسلمينَ علىٰ سكونِ الأرْضِ وثَباتِها، وقد ذكرْتُها في أوَّلِ «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣٢ ذَكَرَ الحاكِمَ العبيدِيَّ، وَسَمّاه الخليفةَ الفاطِمِيَّ.

والجوابُ: **أنْ يقالَ**: ليْسَ الحاكِمُ وأهلُ بيتِهِ بِخلفاءَ ولا فاطِمِيِّينَ، وإنَّما

هُمْ ملوكٌ جبابِرَةٌ فجرَةٌ، وأدعياءُ كذبَةٌ، وقد أوضحَ المحققون منَ العلماء أمرَهُم وكشفوا أسرارَهُم، وهَتكوا أستارَهُم، وأنا أذْكُر ههنا طرفًا منْ كلامِ العلماءِ فيهم؛ لِيَعْلَمَ مَنْ يسمِّيهم خلفاءَ، وَيَنْسبُهم إلىٰ فاطمةَ بنْتِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّهُ تائِهٌ في بيداءِ الجَهالةِ والضَّلالَةِ، وَمُخالفٌ لِأهْلِ الأمانَةِ وَالعدالَةِ، قال الذَّهبيُّ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «كانَ العبيديُّون علىٰ الإسلامِ شَرًّا مِنَ التَّتَرِ»[١]. قال: «وكانوا أربعَةَ عَشَرَ مُتَخَلِّفًا لا مُسْتَخْلَفًا»[٢] انْتهىٰ.

وَقال ابنُ كثير في «البدايةِ والنِّهاية»[٣] في أخبارِ سنَةِ اثنتين وعِشرين وثَلاثِمِائةٍ: «وَفيها كانَ موتُ المَهْدي صاحب أفريقيَّةَ، وهو أبو محمَّدٍ عُبيدُ الله المُدَّعي أنَّه عَلَوِيٌّ، وَتَلَقَّب بالمهديِّ، وَبَنىٰ المهديَّةَ، وَمات بِها».

قال ابنُ خَلِّكان[٤]: «وَقَد اخْتُلِفَ في نَسَب المهدِيِّ هذا اخْتِلافًا كثيرًا جدًّا، فقال صاحِب «تَاريخِ القَيْروانِ»: «هو عُبيد اللهِ بْنُ الحَسَنِ بنِ محمَّد بنِ عليِّ بنِ موسىٰ بْنِ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ علِيِّ بنِ أبي طالِبٍ. وَقال غيرُهُ: هُو عبيدُ اللهِ بْنُ الحسينِ بْنِ أحمدَ بنِ عبد الله بنِ محمَّدِ بن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ الصَّادِقِ. وقيلَ غيرُ ذلك في نَسَبه». قالَ ابنُ

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١١).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٣٦٧).

(٣) (١٥/ ٨٣).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ١١٧-١١٨).

خلِّكان: «وَالمحقِّقون ينكِرونَ دَعواه في النَّسبِ».

قال ابنُ كثير[١]: «وقدْ كتبَ غيرُ واحدٍ من الأئِمَّة منْهُم الشَّيْخ أبو حامِدٍ الإِسفرايِينيّ، والقاضي الباقِلّاني، وَالقُدوريّ أنَّ هؤلاء أدعياءُ ليس لهم نَسَبٌ صحيحٌ فيما يزْعمونَهُ، وأنَّ والدَ عبيدِ الله المَهْديّ هذا كانَ يهودِيًّا صبّاغًا بِسلمية، وَقيل كانَ اسمُه سعدٌ، وإنَّما لُقِّب بعبيدِ الله زوجُ أمِّه ابنُ الحُسينِ بْنِ أحمدَ بنِ محمَّد بنِ عبد الله بنِ ميمون القَدّاح، وسُمّي القدَّاحَ؛ لِأَنّهُ كان كَحّالا يقدَحُ العيونَ.

وَكان الَّذي وطَّأَ له الأمْرَ بتلك البِلادِ أبو عبدِ الله الشِّيعيِّ، ثمَّ اسْتدعاه، فَلمّا قدِمَ عليهِ مِن بلادِ المَشرقِ وَقَع في يدِ صاحبِ «سلجماسة» فَسَجَنه، فَلَم يزَلِ الشَّيعيُّ يحتالُ له حتَّىٰ استَنْقَذَه مِن يدِهِ، وَسَلَّم إليهِ الأمْرَ، ثمَّ ندِمَ الشَّيعيُّ علىٰ تَسْليمهِ الأمْرَ، وأرادَ قتلَه، ففَطِنَ عبيدُ الله لما أرادَ به فأرْسَلَ إلىٰ الشِّيعيِّ مَن قتَلَه وقتَلَ أخاه معَهُ.

وَيُقالُ: إنّ الشَّيعيَّ لمّا دخلَ السِّجن الذي قدْ حُبِس فيه عبيدُ اللهِ هذا وَجَد صاحبُ «سلجماسة» قَد قتَلَه، ووَجد في السِّجْن رجلًا مَجْهولًا محبوسًا، فأخْرَجه إلىٰ النّاس؛ لِأنَّه كان قد أخبرَ النّاس أنَّ المهدِيَّ كانَ محبوسًا في «سلجماسة»، وأنّهُ إنَّما يُقاتِل عليهِ، فَقال للنّاس: هذا هو المَهْدِيّ، وكانَ قد

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٥/ ٨٤).

أوصاه أنْ لا يتكلَّمَ إِلَّا بما يأمُره به، وإِلَّا قتلَهُ؛ فَراج أمرُهُ.

فهذِهِ قِصّته، وهؤلاء سلالتُهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

وَقالَ ابنُ كثيرٍ -أَيْضًا(١)- في أَخْبَارِ سَنَةِ اثنتينِ وأربَعِمائةٍ:

«ذِكْرُ الطّعنِ مِن أئمَّةِ بغدادَ وغيرِهم منَ البِلاد في نَسَبِ الفاطِمِيّينَ، وَأَنَّهُم أدْعِياء كذبَةٌ، وَفي ربيع الآخرِ مِنْها كتبَ بِبغدادَ مَحاضِرُ تتضَمّنُ الطّعنَ وَالقَدْح في نسَبِ الفاطِمِيّين وهُمْ مُلوكُ مصرَ، وليسُوا كذلِكَ، وإنّما نَسَبهم إِلىٰ عُبَيْدِ بْنِ سَعْدٍ الجَرْمِيِّ، وَكَتبَ في ذلك جَماعَةٌ من العُلماءِ والقُضاةِ والأَشْرافِ وَالعُدولِ والصَّالحينَ وَالفُقهاءِ والمُحَدِّثينَ، وَشَهدوا جميعًا أنَّ الحاكِمَ بِمِصرَ هُو مَنْصور ابنُ تَزار الملقب بالحاكِمِ -حَكَمَ اللهُ عليْهِ بِالبَوارِ وَالخِزْيِ والدّمارِ- ابْنُ معد بنِ إِسْماعيلَ بن عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ -لا أَسْعَدَهُ اللهُ- فإنّهُ لمّا صارَ إِلىٰ بِلاد المَغْرِبِ تَسَمّىٰ بعُبَيْد اللهِ، وَتَلَقّب بالمَهْديّ، وأنّ مَنْ تَقَدّم مِنْ سلفِهِ أدْعياءُ خَوارِجُ لَا نسبَ لَهُم في وَلَد عليِّ بنِ أبي طالِبٍ، وَلَا يَتعَلّقونَ بسبَبٍ، وَأَنّه مُنَزَّهٌ عَنْ باطِلِهم، وَأَنَّ الَّذي ادّعَوْهُ إليْهِ باطِلٌ وزُورٌ، وأنّهُم لا يَعلمونَ أحدًا منْ أهلِ بيوتاتِ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ توقّفَ عنْ إِطلاقِ القَوْل في أنّهم خوارِجُ كذبَةٌ.

وَقَد كانَ هذا الإنكارُ لباطِلِهم شائِعًا في الحرمَيْنِ وفي أوّلِ أمرِهِم بالمَغْرِبِ مُنْتَشِرًا انْتِشارًا يمنَعُ أن يُدَلّس أمرُهُم علىٰ أَحَدٍ، أو يذْهَبَ وهْمٌ إِلىٰ تَصْديقِهِم

(١) المصدر السابق (١٥/ ٥٣٨).

فيما ادّعَوْهُ، وإنّ هذا الحاكِمَ بِمِصر هو وَسَلَفُهُ كفّارٌ فُسّاقٌ فُجّارٌ ملحدونَ زَنادقةٌ مُعَطّلونَ، وَلِلإسلام جاحدونَ، وَلِمَذهبِ المَجوسيّةِ وَالثّنويّةِ مُعتقدونَ، قَدْ عطَّلوا الحُدودَ، وَأَباحوا الفُروجَ، وأَحَلّوا الخَمْر، وَسَفَكُوا الدّماءَ، وَسَبّوا الأنبياءَ، وَلَعنوا السّلف، وادّعَوا الرّبوبيّةَ».

وَكَتب في سَنَةِ اثْنتيْنِ وأرْبَعِمائَةٍ[1]: «وَقَد كتبَ خَطَّه في المَحْضَرِ خلقٌ كَثيرٌ، فمِنَ العَلَوِيّين المُرْتَضىٰ والرّضا وابْنُ الأَزْرَقِ المُوسَوِيّ وأبو طَاهِرٍ ابْنُ أبِي الطّيِّبِ، وَمُحَمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عمرِو بنِ أَبِي يعْلَىٰ، وَمِن القُضاةِ أبو مُحَمّد ابْنُ الأكفانِي وأبو القاسِم الجَزَرِيُّ وأبو العبّاسِ ابنُ الشّبوري، وَمِن الفُقَهاء أبو حامِدٍ الإِسْفِرايِينِيُّ وأبو محمّدٍ ابنُ الكسفلي وأبو الحَسَن القدورِي وأبو عبدِ الله الصّيْمَرِي وأبو عبدِ الله البَيْضاوي وأبُو عليّ بنُ حمكان، ومِن الشّهود أبو القاسِم التّنوخيّ في كثيرٍ منْهُم، وكتبَ فيه خَلْقٌ كثيرٌ»، هَذه عِبارَةُ أبي الفَرَج ابن الجَوْزِيّ.

قالَ ابنُ كثيرٍ: «وَمِمّا يدُلّ علىٰ أنَّ هؤلاءِ أدعياءُ كَذَبَةٌ -كَما ذكَرَ هَؤُلاءِ السّادةُ العُلماءُ وَالأئِمّةُ الفُضلاءُ-، وَأَنّهم لا نَسَبَ لهم إلىٰ عليٍّ بنِ أبي طالِبٍ، وَلا إلىٰ فاطمَةَ -كما يزعمون-: قَوْلُ ابنِ عُمَر للحُسَينِ بْنِ عليٍّ حينَ أَرادَ الذّهابَ إلىٰ العِراقِ -وَذَلك حينَ كَتب عَوَامُّ أهلِ الكوفَةِ بِالبيعَةِ إليْهِ-، فَقَالَ لَهُ

(١) المصدر السابق.

ابنُ عمرَ: «لَا تذهَبْ إِليهِم؛ فَإِنّي أخافُ عَلَيْكَ أنْ تُقْتلَ، وَأَنَّ جَدّكَ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ، فاخْتارَ الآخِرَةَ علىٰ الدُّنْيا، وَأَنْت بضعَةٌ مِنْه، وَإِنّهُ واللهِ لَا تَنالُها لَا أنْتَ ولا أَحَدٌ من خَلفِكَ، وَلَا منْ أَهْلِ بَيْتِكَ[(١)]»[(٢)].

فهَذَا الكلامُ الحَسَنُ الصّحيحُ المُتَوَجّهُ المَعْقولُ مِن هذا الصّحابِيِّ الجَليلِ يَقْتضي أنَّه لا يَلِي الخِلافَةَ أحدٌ مِن أهلِ البَيْتِ إِلَّا محمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ المَهْدِيّ الَّذي يكونُ في آخرِ الزّمانِ عِندَ نُزول عيسىٰ بنِ مريمَ، رَغْبَةً بِهِم عنِ الدُّنيا، وَأَنْ لا يُدَنَّسُوا بِها.

وَمَعْلومٌ أَنَّ هؤلاءِ قد مَلكوا ديارَ مِصْر مدَّةً طويلَةً، فدَلّ ذلك دلالَةً قويَّةً علَىٰ أنّهم ليسوا مِن أهلِ البَيْتِ كما نَصّ عليه سادَةُ الفُقهاءِ.

وَقَد صَنّف القاضِي الباقِلّانِيّ[(٣)] كتابًا في الرّدِّ علىٰ هؤلاءِ، وَسَمّاه «كَشْفُ الأَسْرَارِ وَهَتْكُ الأَسْتَارِ» بَيّن فيه فَضائحَهُم وقبائِحَهُم ووضّح أمرَهُم لكُلّ أَحدٍ،

(١) قصة مراجعة عبد الله بن عمر للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أخرجها الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٨٩) (٥٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٢٤) (٦٩٦٨)، وغيرهما عن الشعبي. وقد حسَّن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص٦٩٩).

(٢) المصدر السابق (١٥/ ٥٣٩).

(٣) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني، المتكلم علىٰ مذهب الأشعري، من أهل البصرة، سكن بغداد، سمع من أبي بكر القطيعي، وغيره. سمع منه محمد بن أبي الفوارس، وطائفة. توفي سنة (٤٠٣)، انظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٦٤)، و«السير» (١٧/ ١٩٠).

ووُضوحُ أمْرِهم يُنْبِئُ عَنْ مطاوِي أفعالِهم وأقوالِهم، وَقَد كان الباقِلّانِيّ يقولُ في عِبارتِهِ عنهم: هُمْ قومٌ يُظْهرونَ الرّفْضَ، وَيُبْطنونَ الكُفْرَ المَحْضَ، وَاللهُ سُبْحانَهُ أعْلَمُ»، انْتَهىٰ ما ذكرَهُ ابنُ كثيرٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

وقالَ شيخُ الإسلامِ أبو العَبّاسِ ابنُ تَيْمِيّةَ[(١)] -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- ما مُلَخّصهُ: «وَهَؤلاءِ القومُ -يعني العُبَيْدِيّين- يَشْهَد عليهم علماءُ الأمَّةِ وأئمَّتُها وجماهيرُها أنّهم كانوا مُنافقينَ زَنادقَةً يُظهرونَ الإسلامَ، وَيُبْطنونَ الكُفْرَ، وَكَذلك النّسبُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ جمهورَ الأمَّةِ تَطْعَنُ في نَسَبِهم، وَيَذْكُرون أنّهم مِنْ أولادِ المَجوسِ أَوِ اليَهودِ، وَهَذا مشهورٌ مِنْ شهادَةِ عُلماءِ الطّوائِفِ منَ الحَنَفِيّةِ وَالمالِكِيّةِ والشّافعيَّةِ والحَنابِلَةِ وَأَهْلِ الحديثِ وَأَهْل الكلامِ وَعُلَماء النّسَبِ والعامّةِ وغيرِهِم، وَهَذا أمْرٌ قدْ ذكرَهُ عَامّةُ المُصَنِّفين لأَخْبارِ النّاس وأيّامِهم حتّىٰ بعضُ مَنْ قد يَتَوَقّف في أمرِهم كابْنِ الأثيرِ المَوْصِلِي في «تارِيخِهِ» ونحوه، فَإِنّه ذكرَ ما كتبَهُ عُلماءُ المُسْلمينَ بِخُطُوطِهِم مِن القَدْحِ في نَسَبِهم.

وَأَمّا جُمْهور المُصَنِّفينَ مِنَ المُتَقَدّمينَ وَالمُتَأَخّرين حَتّىٰ القاضِي ابْنُ خَلّكانَ في «تاريخِهِ» فإنّهم ذكروا نَسَبَهم، وَكَذلك ابْنُ الجَوْزِيّ وأبو شَامَةَ وغيرُهُما مِنْ أهلِ العِلْم بذلك حَتّىٰ صَنّفَ العُلماءُ في كَشْفِ أَسْرارِهم وَهَتك أستارِهِم، كما صنّف القاضِي أبو بكر الباقِلّانِيّ كِتابَهُ المَشهورَ فِي كشْفِ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٢٨ وما بعدها).

أسرارِهِم، وذكرَ أنّهم منْ ذُرّيّةِ المَجوس، وَذَكر مِن مذاهبِهِم ما بَيَّنَ فيهِ أنَّ مذَاهبَهُم شَرٌّ مِن مذاهبِ اليَهودِ وَالنّصارَىٰ، بَلْ وَمِن مَذاهِبِ الغالِيَةِ الَّذينَ يَدّعونَ إِلَهيّةَ عَلِيٍّ أَوْ نُبُوّتَهُ، فهُمْ أكفَرُ مِن هؤلاءِ.

وَكَذَلك ذكَرَ القاضِي أبُو يَعْلىٰ[1] في كِتابه «المُعْتَمدِ» فَصْلًا طويلًا في شَرْح زَنْدَقَتِهم وكفرِهم، وكذَلِك ذكر أبو حامِدٍ الغَزّالِيُّ في كتابه الَّذي سمّاه «فَضائِل المُسْتَظْهريّةِ وَفَضَائح الباطِنِيّةِ»، قالَ: «ظَاهرُ مَذهبِهم الرّفْضُ وباطِنُه الكفْرُ المَحْضُ».

وَكذلكَ القاضي عَبْد الجَبّار بنُ أحمدَ وأمثالُه منَ المُعْتزلَةِ المُتَشَيِّعةِ الَّذين لَا يُفَضّلونَ علىٰ عَلِيٍّ غيرَهُ، بَلْ يُفَسّقون مَنْ قاتَلَه وَلَم يَتُبْ منْ قِتاله، يَجْعلون هؤُلَاءِ مِن أكابِرِ المُنافقينَ الزّنادِقَةِ.

فَهذِهِ مقالَةُ المُعتزِلَةِ في حَقّهِم، فكيْفَ تكونُ مَقالَةُ أهْلِ السُّنّةِ وَالجَماعَةِ؟! بَلْ والرَّافِضَةُ الإماميّةُ مَعَ أَنّهم مِن أجْهَلِ الخَلْقِ، وأنّهم لَيْس لهم عَقْلٌ وَلَا نَقلٌ ولا دينٌ صحيحٌ، وَلَا دنيا مَنْصُورَةٌ، فَهُم يعلمونَ أنَّ مَقالَةَ هَؤُلاءِ مَقالَةُ الزّنادِقَةِ

---

(١) محمد بن الحسين، القاضي أبو يعلىٰ ابن الفراء البغدادي، كبير الحنابلة. سمع أبا الطيب بن منتاب، وابن معروف، وجماعة. روىٰ عنه ابنه القاضي أبو الحسين محمد، وغيره، ومصنفاته كثيرة، منها «أحكام القرآن»، و«مسائل الإيمان»، وغير ذلك. توفي سنة (٤٥٨). انظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٥٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٠/ ١٠١)، و«الأعلام» (٦/ ٩٩).

المُنافقينَ، وَيَعْلمونَ أنَّ مقالَةَ هؤلاء الباطِنِيّةِ شَرٌّ من مَقالَةِ الغالِيَةِ الَّذينَ يَعْتقدونَ إلَهِيّةَ عَلِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمّا القدْحُ في نَسَبِهم فهوَ مَأْثورٌ عَن جماهيرِ عُلماءِ الأُمّةِ مِن علماءِ الطّوائفِ، وَقَد تولّىٰ الخِلافَةَ غيرُهُم طَوَائِفُ، وَكانَ فِي بعضِهم مِنَ البِدعَةِ وَالظُّلْمِ ما فيهِ، فَلَم يقدَحِ النّاسُ في نَسَبِ أحَدٍ منْ أولئِكَ كَما قَدَحُوا في نَسَبِ هؤُلَاءِ، وَلَا نَسَبُوهم إِلىٰ الزّنْدَقَةِ والنّفاقِ كَمَا نَسبُوا هَؤُلاءِ.

وَقَد قامَ مِن وَلَدِ عَلِيٍّ طَوائفُ مِن ولدِ الحَسَنِ ووَلَدِ الحُسَيْنِ كَمُحَمّدِ بن عبدِ اللهِ بنِ حسنٍ وأخيهِ إِبْراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَسَنٍ وأَمْثالِهِما، وَلَم يطْعَن أحدٌ لا منْ أعدائِهِم ولا مِن غيرِ أعدائِهِم لا في نَسَبِهم ولا في إِسْلامِهم.

وَكَذلك الدّاعي القائِمُ بِطَبَرِسْتانَ وَغَيْرُه مِن العَلَوِيّين، وَكَذَلك بَنُو حمود الّذين تَغَلّبوا بِالأنْدَلُسِ مُدَّةً وأمْثَالُ هَؤُلاءِ، لمْ يَقْدَحْ أحدٌ في نَسبِهِم، وَلا في إِسْلامِهم، وَقَد قُتل جماعةٌ مِنَ الطّالِبِيّينَ عَلىٰ الخِلافَةِ لاسِيّما في الدّولَةِ العَبّاسِيّةِ، وَحُبِس طائِفَةٌ كَمُوسىٰ بنِ جعْفَرٍ وغيرِهِ، وَلَمْ يقدَح أعْدَاؤهم في نَسَبِهم ولا دينِهم، وَسَببُ ذَلك أنَّ الأنْسابَ المَشْهورةَ أَمْرُها ظاهِرٌ مُتَداولٌ مِثْلَ الشَّمس لَا يَقْدِر العدُوُّ أَنْ يُطْفِئَهُ.

وَكَذَلك إِسْلامُ الرّجُلِ وصِحّةُ إيمانِهِ باللهِ وَرَسولِهِ أمْرٌ لا يَخْفىٰ، وَصاحِبُ النّسبِ والدّينِ لَوْ أرادَ عَدُوُّه أنْ يُبْطلَ نَسَبَه ودينَهُ وله هذِهِ الشُّهْرَة لمْ يُمْكِنْه ذلك،

فإِنّ هذا مِمّا تَتوافَرُ الهِمَمُ والدّواعي عَلىٰ نَقْلِهِ، وَلا يجوزُ أنْ تَتّفِقَ عَلىٰ ذَلِك أقوالُ العُلماءِ.

وَهَؤلاء بَنُو عُبَيْدٍ! القداح مَا زَالَتْ عُلماءُ الأمَّةِ المَأْمونونَ عِلْمًا ودينًا يَقْدَحُونَ في نَسَبِهم ودينِهِم، لَا يَذُمّونَهُم بِالرّفْضِ والتّشَيّعِ، فإنّ لهم في هذا شُركاءَ كَثيرينَ، بَلْ يجعلونَهم مِن القَرامطَةِ الباطِنِيّةِ الّذين مِنْهم الإسماعيليَّةُ والنُّصيريّةُ، وَمِن جنسِهِم الخرميّةُ الْمُحَمِّرَةُ وأمثالُهم مِن الكفّارِ والمُنافقينَ الَّذين كانوا يُظْهرونَ الإِسلامَ، وَيُبْطنونَ الكُفْرَ».

إِلىٰ أنْ قالَ[١]: «بل ما ظهَرَ عنهمْ من الزنْدَقة والنِّفاق ومُعادةِ ما جاء به الرَّسولُ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دليل علىٰ بُطْلان نَسَبِهم الفاطِميِّ، فإنَّ مَنْ يكونُ مِن أقاربِ النَّبيّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القائمين بالخِلافة في أمَّتِه لا تكون معاداتُه لِدينه كَمُعاداة هؤلاء، فلم يُعْرَفْ في بني هاشمٍ، ولا وَلَدِ أبي طالبٍ، بلْ ولا بني أميَّةَ مَنْ كان خليفةً وهو مُعادٍ لدينِ الإسلامِ، فضْلًا عنْ أنْ يكون معاديًا له كمُعاداةِ هؤلاء، بل أولادُ الملوك الذين لا دينَ لهم يكونُ فيهم نوعُ حميَّةٍ لدين آبائِهم وأسلافهم، فمَنْ كان مِن ولدِ سيِّد ولدِ آدم الذي بعثه الله بِالهدىٰ ودين الحقِّ - كيف يُعادي دينَه هذه المعاداةَ؟ ولِهذا نجدُ جميع المأمونين علىٰ دين الإسلامِ باطنًا وظاهرًا مُعادين لهؤلاء إِلَّا مَنْ هو زنديقٌ عدوٌّ لله ورسولِه، أو جاهِلٌ لا

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٣١ وما بعدها).

يَعْرِف ما بعثَ اللهُ به رسولَه، وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ كفرِهم وكذِبِهم في نَسَبِهم».

إلىٰ أنْ قالَ: «وقدْ علم النَّاس مِن سيرةِ الحاكِم ما عَلِموا، وما فعله «هشتكين الدرزي» مولاه بأمْرِه مِن دعوةِ النَّاس إلىٰ عبادَتِه، ومُقاتلتِه أهلَ مِصْرَ علىٰ ذلك، ثُمَّ ذهابِه إلىٰ الشَّام حتَّىٰ أضلَّ وادي التيم بنِ ثعلبةَ.

وَالزَّنْدقة والنِّفاق فيهم إلىٰ اليوم، وعنْدَهم كُتُبُ الحاكمِ، وَقَدْ أخذْتُها منهُمْ، وقرأْتُ ما فيها منْ عبادَتِهم الحاكمَ، وإسقاطِه عنهم الصَّلاةَ وَالزَّكاةَ والصِّيامَ والحجَّ، وَتَسْميَةِ المُسْلمين المُوجبينَ لِهذه الواجباتِ، المُحَرِّمين لِمَا حرَّمَ اللهُ ورسولُهُ بِـ«الحَشْوِيَّةِ»، إلىٰ أمْثالِ ذلك مِن أنواعِ النِّفاق الَّتي لا تكاد تُحْصىٰ.

وبالجملَةِ، فاسْمُ الباطنِ الذي يدعونه مضْمونه الكفْرُ باللهِ، وملائِكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، بل هو جامِعٌ لكلِّ كُفْرٍ».

إلىٰ أنْ قال: «وَبَنَوْا أرصادًا علىٰ الجبال وغيرِ الجبال؛ يرصدونَ فيها الكواكِبَ يعبدونَها ويُسَبِّحونها، وَيَسْتنزلونَ رَوْحانيَّاتِها الَّتي هي شياطينُ تَنْزِل علىٰ المُشركين الكفَّار كشياطينِ الأصنامِ، ولأجْلِ ما كانوا عليه مِنَ الزَّندقةِ والبدْعة بَقِيَتِ البلادُ المصريَّةُ مدَّةَ دولتِهِم نحوَ مائتي سَنَةٍ، قدِ انطفأَ نورُ الإسلام والإيمان فيها، حتَّىٰ قالتْ فيها العُلماءُ أنَّها كانتْ دارَ رِدَّةٍ ونِفاقٍ كَدارِ مُسَيْلمةَ الكذَّابِ. والقَرامِطَةُ الخارجون بأرْضِ العِراق الذين كانوا سَلَفًا لهؤلاء القَرامطةِ

ذَهَبُوا مِنَ العراق إلىٰ المَغْرب، ثمَّ جاءوا مِنَ المغْرِب إلىٰ مِصْرَ، فإنَّ كفْرَ هؤلاء ورِدَّتَهم منْ أعظمِ الكفر والرِّدَّةِ، وهمْ أعظمُ كفرًا وردَّةً منْ كفْرِ أتْباعِ مُسَيلمةَ الكذّابِ ونحوِهِ منَ الكذَّابينَ، فإنَّ أولئك لمْ يقولوا في الإلهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والشَّرائعِ ما قاله أئمَّةُ هؤلاء، ولهذا يُمَيَّزُ بيْنَ قبورِهم وقبورِ المُسْلمين؛ كَما يُمَيّز بينَ قبورِ المسلمين والكفّارِ، فإنَّ قبورَهم موجَّهَةٌ إلىٰ غيْرِ القِبلةِ» انْتَهىٰ.

وقالَ شيخ الإسلام -أَيْضًا[١]- في موْضِعٍ آخرَ: «ثمَّ الإسْماعيليَّةُ الَّذين كانوا ملوكَ القاهرَةِ، وكانوا يزْعمون أنَّهم خلفاءُ عَلَويُّون فاطميُّون، وهم عنْدَ أهلِ العلم منْ ذريَّةِ عُبَيْد الله القدّاح. وقال فيهم أبو حامدٍ الغزَّاليُّ -في كتابه الَّذي صنفه في الرَّدِّ عليهم-: «ظاهِرُ مذهبِهِم الرَّفضُ، وباطِنُهُ الكُفْرُ المحضُ».

وَقَدْ صنَّف القاضي وصْفَ مذاهبهمْ في كُتُبه، وكذلك غيرُ هؤلاء مِن علماءِ المُسلمين، وهؤلاءِ الغاليَةُ كفَّارٌ باتِّفاق المُسْلمين» انْتَهىٰ.

وَقال[٢] شيْخُ الإسلامِ -أَيْضًا- في موْضِعٍ آخرَ: «أئمَّةُ الباطنيَّةِ كَبَنِي عُبَيْد بنِ ميمون القدَّاح الَّذين ادَّعَوْا أنَّهم منْ ولدِ مُحمَّد بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ، وَلَم يكونوا من ولدِهِ، بلْ كان جَدُّهم يهوديًّا رَبيبًا لمَجوسِيٍّ، فأظهَرَ التّشيُّعَ، ولمْ يكونوا في الحقيقةِ علىٰ دينٍ واحدٍ من الشِّيعة لا الإماميَّةِ ولا الزَّيديَّةِ، بل ولا

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤/ ١٦٠).

الغاليةِ الذين يعتقدون إلهيَّةَ عليٍّ أو نبوَّتَه، بلْ كانوا شرًّا منْ هؤلاء كُلِّهم، ولِهذا كثُرَتْ تصانيفُ العلماءِ المُسلمين في كشْفِ أسرارِهِمْ، وهتْكِ أستارِهِم، وكثُرَ غزوُ المُسلمين لهم، وقِصَصُهُم معروفَةٌ، وابنُ سينا وأهلُ بيتِهِ مِن أتباعِهِم عَلىٰ عهدِ حاكمِهم المِصْرِيّ، ولهذا دخلَ ابنُ سينا في الفَلْسَفَةِ.

وهؤلاء يجعلون محمدَ بنَ إسماعيلَ هو الإمامَ المكتومَ، وأنَّهُ نسخَ شرعَ محمدِ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ عبدِ المُطَّلبِ، ويقولونَ: إنَّ هؤلاء الإسماعيليَّةَ أئمَّةٌ معصومون، بل قدْ يقولون: إنَّهُم أفضلُ من الأنبياءِ، وقد يقولون: إنَّهم آلهةٌ، ولِهذا أرْسَل الحاكِمُ غُلامَه «هشتكين الدرزي» إلىٰ وادي تيمِ الله بنِ ثَعْلبةَ بالشَّام، فأضَلَّ أهلَ تِلك النّاحيةِ، وبقاياه فيهم إلىٰ اليوم، يقولون بإلهيَّةِ الحاكم، وقد خرَّجَهم عنْ دينِ الإسلامِ.

وَقَدِ ادَّعىٰ الرُّبوبيَّةَ، وكتبَ باسم الحاكم الرَّحمن الرَّحيم، واسْتَمال كَثيرًا منَ الجُهّال، وبذَلَ لهم المالَ، ونادَوْه باسمِ الإلهِ، وصنَّف لهُ بعضُ الباطِنيَّةِ كِتابا ذكرَ فيه أنَّ رُوح آدمَ انتقلَ إلىٰ عليٍّ، ثمَّ إليْهِ.

وهؤلاء الباطنيَّةُ لهم في مُعاداة الإسلام وأهلِهِ وقائِعُ مشهورَةٌ، وَكُتُبٌ مصنَّفَةٌ، وضررُهم علىٰ أمَّةِ مُحمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظَمُ منْ ضَرَرِ الكفَّار التَّترِ، وأكفَرُ مِن المشركين المُحاربين مِنَ الإفْرِنْجِ، وغيرِهم فإنَّ هؤلاء يتظاهرون عنْدَ جهَّال المُسلمين بالتَّشَيُّع ومُوالاة أهلِ البيتِ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون باللهِ،

ولا رسولِهِ، ولا بأمْرٍ ولا نَهْيٍ، ولا ثوابٍ ولا عِقابٍ، ولا جنَّةٍ ولا نارٍ، ويتأوَّلون كلامَ اللهِ ورسولِه علىٰ أمورٍ يفترُونها بِدَعْوىٰ أنَّها من علم الباطن، وليس لهم حَدٌّ محدودٌ فيما يدَّعُونه منَ الإلحادِ في أسماء الله تَعالىٰ وآياتِهِ، وَتَحْريفِ كلام الله ورسوله عن مواضِعه، ولا يَرَوْن الصلواتِ الخمْسَ ولا صيامَ شهْرِ رمضانَ، ولا حجَّ البيتِ الحرامِ، ولا تحريمَ ما حرَّم اللهُ ورسولُه من المَيْتَةِ والدَّمِ ولحْمِ الخنزيرِ، وغيرِ ذلك.

وهؤلاء يَدْعون المُسْتجيبَ لَهُم أوَّلًا إلىٰ التَّشَيُّعِ والْتِزامِ ما توجبه الرَّافضةُ وتحريمِ ما يحرِّمونه، ثُمَّ بعد هذا يَنْقُلُونه درجَةً بعْدَ درجَةٍ، حتَّىٰ ينقلونَه في الآخِرِ إلىٰ الانسلاخِ منَ الإسلام، وأنَّ المقصودَ هو معرفَةُ أسرارِهم وهوَ العِلْم الَّذي بِهِ تكمُلُ النَّفْس كما تقولُ الفلاسفَةُ المَلاحدَةُ، فَمَن حصَلَ له هذا العِلْمُ وصَلَ إلىٰ الغايةِ، وسقطَتْ عنه العِباداتُ الَّتي تجبُ علىٰ العامَّةِ كالصَّلواتِ وَصيامِ رمضانَ وحجِّ البيتِ، وحلَّتْ له المُحَرَّماتُ الَّتي لا تَحِلُّ لغيْرِهِ».

ثمَّ ذَكَرَ مَا تقدَّمَ عنْ أبي حامِدٍ الغزَّالِيِّ أنَّه قالَ فيهم: «ظاهِرُ مذهَبِهم الرَّفْضُ، وباطِنُه الكُفْرُ المَحْضُ»، انْتهىٰ.

* * *

فصل

وذَكَرَ **الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٧** عنْ عبدِ الرَّزّاق نوفل أنَّه نقلَ عَنِ الفلكيِّين أنَّهم قالوا بِأنَّ الأرْض كوكبٌ من الكواكبِ الَّتي تَدُور حولَ الشَّمس، وتَتْبَعها في سيْرِها أيْنَما سارَتْ، قال: «وهِي تدورُ بِنا حولَ نفسها مرَّةً كلَّ أرْبعٍ وعِشرينَ ساعَةً».

والجوابُ: أنْ يقالَ: هذا قولٌ باطلٌ مردودٌ بِالأدلَّةِ الكثيرَةِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ والإجْماعِ والمَعْقولِ الصَّحِيح، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وقالَ فِي صَفْحَةِ ٣٨: إِنَّ الأرْض تدورُ حول الشَّمس في فَلَك يبلغُ محيطُه ٥٨٠ مليونَ ميلٍ، فمُعَدَّلُ سرعتِها في هذه الحركَةِ يبلغُ ٦٠ ألفَ ميلٍ في السَّاعةِ أوْ بنحوِ ألفِ ميل في الدَّقيقة، والنِّظام الشَّمسيُّ كلُّه بما فيه الأرْضُ ينْهَب الفَضاء نَهْبًا بسرعةٍ لا تَقِلُّ عن ٢٠ ألفَ ميلٍ في السّاعة، أي أكْثرَ مِن ٣٠٠ ميلٍ في الدَّقيقة مُتَّجِهَةً نحوَ برج «هركيوليس».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يقالَ: إنَّ إثباتَ مثْلِ هذه الأمور يحتاج إلىٰ نصٍّ قاطعٍ من كتاب الله تَعالىٰ أو مِن سنَّةِ رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمْ يقُمْ علىٰ شيْءٍ تَخرَّصوه دليلُ أَلْبتَّةَ، لا منَ المنقولِ، ولا مِنَ المعقولِ الصّحيحِ، وَقد انقطَعَ الوحْيُ من السّماء بموْتِ النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمْ يبْقَ معَ المُدَّعين سِوىٰ التَّخرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقَد جمعَتْ هذه الآيةُ الكريمَةُ بيْنَ الأمْرِ باتّباع ما أنْزل الله، والنَّهْيِ عنِ اتّباع ما سوىٰ ذلكَ مِن أقوالِ المُتخَرِّصين.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: ليْسَ لِلأرضِ فَلَكٌ تدورُ فيه كما زَعَمَ ذلك أهلُ الهَذَيانِ والتَّخرُّص، وإنَّما الفَلَكُ للشَّمْس والقَمَرِ والنُّجوم واللَّيْلِ والنَّهار، قال

اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[الأنبياء: ٣٣].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

قال ابْنُ جريرٍ(١): «قولُه: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] يقولُ: «وكُلُّ ما ذكرْنَا مِنَ الشَّمس والقَمر واللَّيْلِ والنَّهارِ في فَلَكٍ يجرُون، وبنَحْوِ الَّذي قُلْنَا في ذلك قال أهْلُ التَّأويلِ».

وقالَ ابنُ كثيرٍ(٢): «قولُه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] يعْني اللَّيْلَ والنّهار والشَّمس والقمر كُلُّهم يَسْبَحُون أيْ يدُورون في فَلَكِ السَّماء. قاله ابنُ عبّاس وعِكرمةُ والضّحّاكُ والحسَنُ وقتادَةُ وعطاءٌ الخُراسانِيّ.

وقالَ شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابْنُ تيميَّةَ(٣) -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ-: «وَاللهُ سبْحانَهُ قد أخْبر بأنَّ الشَّمس والقمرَ واللَّيْل والنَّهار كلُّ ذلك يَسْبَح في

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٧٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٦٠٠).

الفَلَك فقالَ تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

والفَلَكُ هو المُسْتديرُ كما ذكَرَ ذلك مَنْ ذكرَهُ منَ الصّحابةِ والتَّابعين وغيرِهم مِن علماء المسلمين. والمُسْتدير يَظْهَر شيئًا بعْدَ شيءٍ، فيَراه القريبُ منْهُ قبلَ البعيد عَنْه».

وقال الشَّيْخُ -أَيْضًا[١]**-**: «لفْظُ الفَلَك يدلُّ علىٰ الاستدارَةِ، وعلىٰ سُرْعَةِ الحركةِ؛ كما في دَوران فَلَكَةِ المِغْزل ودَوَران الرَّحىٰ».

وقالَ -أَيْضًا-: «وَالسِّباحةُ تتضمَّن الجَرْي بِسرعةٍ كما ذكرَ ذلك أهْلُ اللُّغة»[٢]، انْتَهىٰ.

وأمَّا الأرض، فإنَّها ساكنَةٌ ثابتَةٌ لا تتحرَّك، ولا تزولُ مِن موضِعها فضلًا عنْ أن يكون لها فَلك تدور فيه، وقد ذكَرْتُ الأدلَّةَ علىٰ سكونها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وأمَّا تحديدُهم لمُحيط فَلَكِ الأرْضِ الَّذي تَوَهَّموه بعقولِهم الفاسدَةِ بما يَنِيف علىٰ سبعينَ ألفَ سَنَةٍ، وتحديدُهم -أَيْضًا- لمعدَّلِ سرعتِها في السّاعة والدَّقيقةِ، وما زعموه -أَيْضًا- من النِّظام الشَّمسي وسرعةِ سيره في السّاعة

(١) انظر: المصدر السابق (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٤).

والدَّقيقة، واتِّجاهه نحوَ برج «هركيولس»، فكلُّه هذيان لا يقولُه عاقِلٌ، ونسْبَةُ هذا الهذيانِ إلىٰ المسلمين فِرْيةٌ بِلا مِرْيَةَ.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٣-٤].

وقدْ ذكرْتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» ما ذكرَهُ العُلماءُ مِن الإجماعِ علىٰ أنَّ السّمَوات مُسْتديرَةٌ، وما ذكروه -أَيْضًا- مِنَ الإجماعِ علىٰ أنَّ الأرْضَ مثْلُ الكُرَةِ، وبيانُ أنّها مُثبتَةٌ في وسطِ كرة السّماء كالنُّقطة في الدَّائرة، وذكرْتُ -أَيْضًا- النّصَّ علىٰ أنَّ بيْنَ السّماء والأرض مسيرةَ خَمْسِمائةِ سَنَةٍ، وأنَّ كسْفَ كُلِّ سماءٍ مَسِيرَةُ خمْسِمائة سنَةٍ، فلو كان لِلأرْضِ فلكٌ يبلغُ محيطه ٥٨٠ مليون ميلٍ -كما زعم ذلك مَنْ زعمه مِن فلاسفة الإفرنجِ ومَنْ يقلِّدهم ويحْذُو حذْوَهم مِن ضعفاءِ البصيرَةِ منَ المسلمين- لكانَ مدارُها منْ فوقِ الكُرْسِيّ بمسافَةٍ بعيدَةٍ، وهذا ظاهِرُ البُطْلانِ.

وَأَيْضًا، فالسّمواتُ السبْعُ الشّديدةُ البناءِ الَّتي ليس لها فروجٌ، وليس فيها فطورٌ، قد أحاطَتْ بالأرض من كلِّ جانبٍ، وَالكُرْسِيُّ مِنْ فوقِ السَّموات قدْ

أحاطَ بالجميعِ؛ فلا طريقَ للأرْضِ إلىٰ اخْتراق السّموات وَالكرسِيِّ، والصُّعود إلىٰ ما فوقَ ذلك حتَّىٰ يتهيَّأَ لها الدَّورانُ في الفَلَكِ الَّذي توهَّموه بِعقولهم الفاسدةِ.

وَإنّما قال أعداءُ اللهِ ما قالوه مِن هذا الهَذيانِ الذي يَضْحَكُ منْهُ كلُّ عاقلٍ؛ لأَنَّهم يرَوْنَ أنَّ سَعَةَ الجَوِّ غيرُ متناهيَةٍ، وأنَّه ليْسَ فوقَنا سَمواتٌ مبنيَّةٌ شِدادٌ، كِثَفُ كُلِّ واحدةٍ مِنْهن خمْسُمائة سنة، والأرض في وسَطِ السّماء الدُّنيا منْهُن، وَكُلّ سماءٍ منهن محيطَةٌ بما تحتها وما حَوَت.

وقدْ وجد أعداءُ الله لِتَخَرُّصاتهم وهذيانِهم قَبولًا عنْدَ الأغبياءِ مِن المسلمين، وهذا منْ أكبَرِ مَقاصدِ أعداءِ اللهِ؛ فإنَّهم حريصون علىٰ إضلال المُسْلمين وردِّهم إلىٰ الكُفر كما أخْبَرَ اللهُ عنهم بذلك في قوْلِه تَعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ٩٩-١٠١].

وَفي هذه الآيَةِ الأخيرَةِ الحَثُّ علىٰ التَّمسُّك بالكِتاب والسُّنَّة، وفي الآياتِ الَّتي قبْلَها التَّحذيرُ من طاعةِ أعداءِ اللهِ تَعالىٰ والإصْغاء إلىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة الَّتي تصدُّ عن سبيل الله تَعالىٰ، وتورد مَن أصغىٰ إليها مَواردَ العَطَبِ، فمنْ تمسَّك بالكتابِ والسُّنَّة حصلَتْ له الهِداية في الدُّنيا والسّعادةُ في الآخرة، ومَنْ أعْرض عنْهما وتمسَّك بظنون النّاس وتَخَرُّصاتهم، فقَدْ ضلَّ وشقِيَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

قالَ ابنُ عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنِ اقْتَدَىٰ بِكِتَابِ اللهِ لَا يَضِلُّ في الدُّنْيا، وَلَا يَشْقَىٰ في الآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]»، رواهُ رزين وغيْره(١).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٨١) (٦٠٣٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٢٠) (٢٩٩٥٥)، (٧/ ١٣٦) (٣٤٧٨١)، وابن جرير في «التفسير» (١٦/ ١٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٨) (١٢٤٣٧)، وغيرهم من طرق عن ابنِ

وقال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

وإذا عُلِمَ هذا، فلابدَّ للمتكلِّم فيما يتعلَّق بالأرْضِ والسَّموات والشَّمس والقمر والنُّجومِ من أحدِ أمريْنِ:

إمّا التَّمسُّكُ بما جاء عن الله تَعالىٰ ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، وما أجمَعَ المُسلمونَ عليْه مِن ذلك، وَنبذُ التَّخرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ وراءَ الظَّهْر.

وإمَّا التَّمسُّك بتَخرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعِهم، ونبذُ ما عارض ذلك منْ أدلَّة الكتابِ والسُّنّة والإجماعِ وراءَ الظَّهْر. فلْيَختَر المَرْءُ ما يناسِبُه مِن

=

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أحدِ الأمرَيْنِ، فَأمَّا الجمعُ بينهما فغَيْرُ ممْكِنٍ؛ لأنَّهُما ضِدَّان فلا يجتمعانِ.

وكثيرٌ مِن العصريِّين المفتونين بتَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وظنونِهم الكاذِبَةِ يرومون الجَمْعَ بين ما أخبَرَ الله به ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيْنَ تَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وظُنُونِهم الكاذبَةِ، وَذلك بحَمْلِ الآياتِ والأحاديثِ علىٰ غيْرِ مَحامِلها؛ لِتَتَّفقَ مَع ظنونِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وَتَخَرُّصاتهم، فيجمَعون بيْنَ قَبُول الباطِلِ وبَيْنَ الإلحادِ في آياتِ اللهِ تَعالىٰ وتحريفِ الكلِمِ عنْ مواضِعِه.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ الله تَعالىٰ نصَّ علىٰ جَريان الشَّمس في مواضِعَ منْ كتابه، وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها تسبَحُ في الفَلَكِ، ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّه يأتي بها من المَشْرق، ونَصَّ -أَيْضًا- عَلىٰ طلوعِها وتَزاوُرِها ودُلوكِها وغروبِها.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣]، والدَّأْبُ إدامَةُ السَّيْرِ كما نَصَّ علىٰ ذلك أئِمَّة اللُّغةِ وقرَّر معناه أهلُ التَّفْسيرِ، وفي هذه الآياتِ أوضَحُ دليلٍ علىٰ أنَّ الشَّمس تجري وتدورُ علىٰ الأرْضِ لِقيام معايِشِ العِباد ومَصالِحِهم.

وَقَدْ نَصَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جَريان الشَّمس وطُلوعها وارْتِفاعها وزَوالِها ودُنُوِّها منَ الغُروب وغُروبِها، وأخْبَرَ أنَّها تذهب بعد الغُروب حتَّىٰ تنتهيَ إِلىٰ مُسْتقرِّها تحتَ العرْشِ، فَتَخِرُّ ساجدَةً، ثمَّ يقالُ لها: ارْتَفِعي،

ارْجعي مِن حيثُ جئْتِ، فتَرْجِع فَتُصْبح طالعَةً منْ مطلعِها[١].

وَكُلُّ ذلك يدلُّ علىٰ دورانِ الشَّمس علىٰ الأرْضِ علىٰ الدَّوام، وَرَدٌّ ما هَذَىٰ به المُتَخرِّصون مِن كونِ النِّظام الشَّمسي يَنْهب الفضاءَ نهبًا بِسرعةٍ مُتَّجهًا نحوَ «بُرْجِ هركيوليس».

الوجْهُ الرَّابع: أنَّ كلامَ الصَّوَّاف ينقُضُ بعضُه بعضًا، فقدْ ذَكَرَ في هذا الموْضعِ أنَّ النِّظام الشَّمسيَّ ينهَبُ الفضاءَ نهبًا بسرعَةٍ متَّجهةٍ نحوَ «برج هركيوليس»، وذَكَرَ فِي صَفْحَةِ ٤٣ أنَّ الشَّمس والكواكِبَ السَّيَّارةَ وأقمارَها تجري في الفَضاء نَحو «برج النَّسْرِ» بسُرْعةٍ غيرِ معهودَةٍ لنَا علىٰ الأرْضِ، وقال فِي صَفْحَةِ ٦١ أنَّ الشَّمس ثابتةٌ ومتحرِّكةٌ في آنٍ واحدٍ ثابتَةٌ علىٰ مِحورِها، ومتحَرِّكةٌ حوْلَ هذا المِحورِ، أيْ دائرَةٌ حوْلَ نفسِها، ومِثْلُها مِثْلُ المَروحة السَّقفيَّةِ الكَهربائيَّةِ، وهذا تناقُضٌ عجيبٌ، وهكذا الباطل لا تجِدُه إلَّا مختَلِفًا ينْقضُ بعضُه بعضًا؛ كما قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، وغيره من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

فصل

وقالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٨: «أمَّا عُمْرُ الأرْضِ، فقَدْ بَدَأَ الإنسانُ تكهُّناتِه عنْهُ من آمادٍ بعيدَةٍ، ففي القَرْن السَّابعَ عَشَرَ، قال أحدُ المفكِّرين واسْمُه «جيمس أوثر»: إِنَّ العالَم بدأَ يومَ ٢٦ أكتوبر سنَةَ ٤٠٠٤ قبْلَ الميلادِ.

وجاءَ في أحدِ الكُتُبِ الهِنديَّة المقدَّسةِ أنَّ عُمْرَ العالم ١٩٧٢٩٤٩٠٥٦ سَنَة، وفِي العَصْر الحديثِ بدأتِ الجهود الَّتي يبذلها الفلكيُّون في المراصدِ تلتَقِي عنْدَ أدقِّ رقْمٍ يمكنُ أنْ يعتبَرَ أصَحَّ تقديرٍ لِعُمْرِ الكرَةِ الأرْضِيّةِ، فقدْ دلَّت آخِرُ التقديراتِ القائمَةِ علىٰ دِراساتٍ فلكيَّةٍ وأبحاثٍ علميَّةٍ في مراصد «ليك ومونت ويلسون وبالومار» عَلىٰ أنَّ عُمْرَ الكرةِ الأرضيَّةِ حَوالَيْ ٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سَنَة، وَنِسبةُ الخطأِ في تقديرِ هذا الرَّقْمِ يَقْرُب مِن ٢٠٪، وَيعْتَمِدُ الفلكيُّون في عُمْر الكرَةِ الأرضيَّةِ علىٰ النَّظريَّةِ القائلَةِ بِأنَّ شيئًا حَدَثَ في الفضاءِ في قديمِ الزَّمان جَعَل المادَّةَ تتناثَرُ منْ مركزٍ مُشْتركٍ واحِدٍ.

وقدْ دلَّتِ الدِّراسةُ الَّتي استمرَّتْ ٢٠ عامًا لِلضَّوْءِ المنْبعثِ مِن الكواكِبِ البعيدَةِ علىٰ أنَّ هذه الكواكِبَ لا تزالُ مُمْعِنَةً في الِابتعادِ في الفضاء، وأنَّ سرعتَها تزداد كلَّما ازداد ابتعادُها، وقدْ قضىٰ الفلكيُّون في معرفَةِ ذلك سَبْعَة أعوامٍ بالمراصِدِ المذكورَةِ يُراقبون ٨٠٠ كوكَبٍ و٢٦ مجموعَةٍ مِنَ الكواكب».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يقالَ: إنّ التَّكهُّن منْ أمورِ الجاهليَّةِ، وليْسَ مِن علومِ المُسْلمين، ومَع هذا فقَدْ أدخلَهُ الصَّوَّاف في عِلْمِ الفَلَك الَّذي نسبَهُ إلىٰ المُسْلمين، وَهذا مِن أكبَرِ الخطأِ، وَأعْظَمِ الفِرْيَةِ، وَقَد قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، قال أبو قِلابَةَ[(١)]: «هِي -واللهِ- لِكُلِّ مُفْترٍ إلىٰ يوْمِ القيامَةِ»[(٢)].

وَالوَجْهُ الثَّاني: أنَّ التَّكهُّنَ هو التَّحكُّمُ عَلىٰ الغيْبِ والتَّعاطي لِما اسْتأثَرَ اللهُ بعِلْمِه.

قالَ ابنُ منظُور في «لِسان العَربِ»: «كَهَنَ لَهُ، وَتَكَهَّنَ لَهُ: قَضَىٰ لَهُ بِالغَيْبِ». وَكذا قال صاحِبُ القاموسِ[(٣)].

---

(١) هو عبد الله بن زيد الجرمي، أبو قلابة البصري، روىٰ عن أنس بن مالك، وثابت بن الضحاك، وغيرهما. روىٰ عنه أيوب السختياني، وثابت البناني، وحميد الطويل، وخلق. ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات سنة (١٠٤)، وقيل: بعدها. انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٥٤٢)، و«التقريب» (٣٣٣٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٥/ ١٥٧١)، وغيرهما من طرق عن أبي قلابة به.

(٣) انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣٦٢)، و«القاموس المحيط» (ص١٢٢٨).

قال ابْنُ منظورٍ: «ويُقال: كَهَنَ لَهُم إذا قالَ لهم قَوْلَ الكهَنَةِ». وَنَقل مُرْتضىٰ الحُسينِيّ في «تاجِ العَروسِ»(١) عَنِ التَّوشيح أنَّ الكهانَة ادِّعاءُ علْمِ الغيب، قال: وَمِثْلُه في «ضوْءِ النِّبْراسِ»، و«أفْعالِ ابْنِ القَطاعِ»، وَ«الإِرْشاد».

وَقال الخَطّابِيُّ: «الكاهِنُ هو الَّذي يَدَّعي مُطالعَةَ عِلْم الغَيْبِ، وَيُخْبر النَّاس عنِ الكَوائِنِ»(٢).

وَقال ابْنُ الأثيرِ: «الكاهِنُ الَّذي يَتعاطىٰ الخبرَ عنِ الكائناتِ في مسْتَقْبلِ الزَّمان، ويدَّعي معرفةَ الأسْرارِ»(٣).

قُلْتُ: ويقال -أَيْضًا- لِلَّذي يَدَّعي علْمَ الغيْبِ العرَّافُ وَالحازِي.

قالَ الجَوْهريُّ: «العَرَّاف الكاهِنُ»(٤).

وَقال الشَّيْخ أبو محمَّدٍ المَقدسيُّ في «المُغْني»(٥): «العَرَّاف الَّذي يَحْدِسُ وَيَتَخَرَّصُ».

وَقال ابْنُ الأَثِيرِ: «العرَّاف المُنَجِّم أو الحازِي الَّذي يدَّعي علْمَ الغَيْبِ، وَقَد

---

(١) (٣٦/ ٨١).

(٢) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢١٤).

(٤) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٠٢).

(٥) (٩/ ٣٢).

اسْتأْثَرَ اللهُ بِه»(١).

وقالَ ابْنُ منظورٍ في «لسان العَرب»(٢): «يُقال لِلحازِي عَرَّافٌ»، قالَ: «وَالعرَّافُ الكاهِن».

وَفي الحديثِ «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»(٣) أرادَ بِالعرَّاف المُنَجِّمَ أو الحازِي الَّذي يدَّعِي علْمَ الغيْبِ الَّذي استأْثَرَ اللهُ بعلمه.

وقال شيْخُ الإسلامِ أبو العَبَّاس ابنُ تيميَّةَ(٤): «العَرَّاف اسمٌ للكاهن والمُنَجِّم والرَّمَّال ونحوِهم؛ كالحازي الَّذي يدَّعِي علم الغيْبِ أو يدَّعِي الكشْفَ» انْتَهىٰ.

إذا عُلِمَ هذا؛ فكلُّ مَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيبِ فهو طاغوتٌ كافِرٌ، ومَن صدَّقَه فهو مِمَّن آمَنَ بالطّاغوتِ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢١٨).

(٢) (٩/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٦-١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٩) (١٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعندهم بزيادة: «فصدقه»، وألفاظهم متقاربة وسياقاتهم فيها طول. وانظر: «الإرواء» (٢٠٠٦).

(٤) انظر: «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص١٥٢).

وَقَدْ أخبر الله تَعالىٰ عن الكاهن بأنَّه أفَّاكٌ أثيمٌ، وفي هذا أبلغُ ذَمٍّ للكُهَّان وأبلغ تحذيرٍ مِن تصديقِهم فيما يدَّعونه منْ علم الغيبِ؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]، قال قَتادة: «همُ الكهنةُ يَسْترقُ الجنُّ السَّمعَ، ثمَّ يُلقون إلىٰ أوليائِهم منَ الإنْسِ»[(١)].

وَقال ابنُ كثيرٍ علىٰ قوله: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]: «أي كذوبٍ في قولِهِ، وهو الأفَّاك، أثِيمٍ وهُو الفاجِرُ في أفعالِه، فهذا هو الَّذي تَنزَّل عليه الشَّياطينُ مِن الكُهّان وما جرىٰ مَجْراهم من الكَذَبة الفَسَقَةِ»[(٢)] انْتَهىٰ.

وقدْ روىٰ البزَّار عنْ عِمران بنِ حُصَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْس مِنَّا مَنْ تَطيَّرَ أَوْ تُطيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»، قالَ المنذرِيُّ: «إسنادُهُ جيِّدٌ». وقال الهَيْثَمِيّ: «رجالُهُ رجالُ الصَّحيح خَلا إسحاقَ بْنَ الرّبيعِ، وَهُو ثِقةٌ»[(٣)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٤٠)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٤٣)، وغيرهما عن قتادة به.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٧٢).

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» (٩/ ٥٢) (٣٥٧٨)، وغيره من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧)، و«الصحيحة» (٦/ ٣١١).

وَرَوىٰ الطَّبراني عنِ ابْنِ عبّاسٍ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا عنِ النَّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوَهُ، قال المُنْذريُّ: «وَإسنادُهُ حَسَنٌ»[(١)].

وَرَوىٰ رزين عنِ ابن عبَّاسٍ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **«مَنِ اقْتَبَسَ بَابًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ لِغَيْرِ مَا ذِكْرِ اللهِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، المُنَجِّمُ كَاهِنٌ، وَالكَاهِنُ سَاحِرٌ، وَالسَّاحِرُ كافِرٌ»**[(٢)].

وَرُوِي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ **أَنَّهُ قَالَ:** «الكاهِنُ ساحِرٌ، وَالسَّاحِرُ كَافِرٌ»، ذكرَهُ الذَّهبيُّ في كِتاب «الكبائِرِ»[(٣)].

ورَوىٰ الطَّبرانيُّ عنِ أبي الدَّرْداءِ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **«لَنْ يَنَالَ الدَّرَجَاتِ العُلَىٰ مَنْ تَكَهَّنَ، أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا»**، قَال المُنْذِرِيّ وَالهيثميُّ: «رَواهُ الطَّبرانيُّ بإسنادَيْنِ، ورِجالُ أحدِهما ثِقاتٌ».

قُلْتُ: وقد رواه ابْنُ مردويه وأبو نُعيمٍ والبَغويُّ بنحوِه، ولفظ البغويِّ: **«مَنْ تَكَهَّنَ أَوِ اسْتَقْسَمَ أَوْ تَطَيَّرَ طِيَرَةً تَرُدُّهُ عَنْ سَفَرِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَىٰ الدَّرَجَاتِ العُلَىٰ مِنَ**

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ /٣٠١) (٤٢٦٢)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُ به. والحديث «حسن لغيره»، انظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧)، و«الصحيحة» (٦/ ٣١١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الكبائر» (ص١٧١).

الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

الوَجْه الثَّالثُ: أنَّ الصَّوَّاف ذكَرَ أقوالَ المُتكهِّنين في بَدْءِ العالَمِ، وَمُدَّة عُمُرِه وعُمُرِ الأرْضِ وأقَرَّها، وَذَلك يدلُّ علىٰ رضاه بهذا التّكهُّن وَتَصْديقِه به، وتلكَ مُصيبَةٌ مِن أعظَمِ المَصائِبِ علىٰ هذا المِسْكين لو كانَ يعْقِلُ.

فَقد روىٰ الإمامُ أحمدُ وأهل السُّنَنِ والبُخارِيُّ في «التَّاريخِ الكبيرِ» عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَىٰ كاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَىٰ امرَأَةً حَائِضًا، أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وَفِي روايَةِ بعضِهِم: «**مَنْ أَتَىٰ حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

قَال الشَّيخُ عبد الرَّحمن بنُ حسنٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «شَرْحِ التَّوحيدِ»(٣): «ظاهر الحديثِ أنَّه يكْفُرُ مَتىٰ اعتقَدَ صِدْقَهُ بأيِّ وجهٍ كانَ»، قال: «وَهَلِ الكُفْرُ في هذا المَوْضِع كُفْرٌ دونَ كُفْرٍ؛ فلا يَنْقُل عنِ المِلَّة، أَوْ يُتَوَقَّف فيه

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ١١٨) (٢٦٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٢٠٩-٢١٠) (٢١٠٣،٢١٠٤)، وتمام في «فوائده» (٢/ ١٦٨) (١٤٤٤)، وغيرهما من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ١٨)، و«الصحيحة» (٢١٦١).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٩٦).

فلا يُقال: يُخْرِج عن المِلَّة، ولا ما يُخْرِج، وهذا أَشْهَر الرِّوايتَيْنِ عنْ أحمَدَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

وقال القُرْطُبيُّ[1]: «المرادُ بِالمُنْزَلِ: الكِتابُ وَالسُّنَّةُ» انْتَهىٰ.

ورَوىٰ الإمام أحمدُ -أَيْضًا- والحاكم في «مسْتَدْركهِ» عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قال الحاكِمُ: صحيحٌ علىٰ شَرْطهما جميعًا وَلَمْ يخرجاهُ، ووافقَهُ الذَّهَبِيُّ في «تَلْخِيصِهِ».

وَرَوىٰ البزَّار عن عِمْران بنِ حُصَين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطيَّرَ أَوْ تُطيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ المُنذريُّ: «إِسْنادُه جيِّدٌ»، وقال الهَيْثَميُّ: «رجالُهُ رجالُ الصَّحِيحِ خلا إسحاقَ بنَ الرَّبيع، وهو ثقَةٌ».

قال الشَّيْخ عبد الرحمن بنُ حسنٍ -رَحِمهُ اللهُ تعالىٰ- في «شَرْحِ التَّوْحِيدِ»[2]: «كُلُّ مَن تَلَقَّىٰ هذِهِ الأمورَ عَمَّن تعاطاها، فقَدْ برِئَ منْهُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) القرطبي: كذا وقع في «فتح المجيد»، والذي في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص٣٥٠): «الطيبي»، وهو الصواب، وانظر: شرحه علىٰ مشكاة المصابيح المسمىٰ بـ«الكاشف عن حقائق السنن» (٣/ ٨٥٧).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٩٧).

لِكونِها إِمَّا شِرْكٌ كالطِّيَرةِ، أَوْ كُفْرٌ كالكهانَةِ وَالسِّحْرِ، فَمَنْ رضِيَ بذلك وَتابعَ فَهُو كالفاعِلِ لِقَبُوله الباطِلَ واتِّبَاعِه» انْتَهىٰ.

وَرَوىٰ البزَّار -أَيْضًا- عنْ جابِرِ بنِ عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عنِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**مَنْ أَتىٰ كَاهِنًا فَصدَّقَهُ بِمَا قَالَ فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قالَ المُنذريُّ: إسنادُهُ جيِّدٌ قوِيٌّ(١).

وَرَوىٰ البزَّار -أَيْضًا- وأبو يَعْلىٰ عن ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَنْ أَتىٰ عَرَّافًا أَوْ سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا، فَسَأَلَهُ؛ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قال المُنذريُّ: «إسنادُهُ جيِّدٌ»، وقال الهَيْثميُّ: «رواه البزَّار ورجالُهُ رجالُ الصّحيح، خلا هبيرةَ بنَ يريمَ، وهو ثقَةٌ».

ورواه البزَّار -أَيْضًا- والطّبراني في «الكبيرِ» وَ«الأَوْسط» بِنحوه، قال الهَيْثميُّ: «ورجالُ «الكبيرِ» والبزَّارِ: ثِقاتٌ»، وقال المُنْذري: «رواه الطّبراني في «الكبيرِ» ورواتُه ثقاتٌ».

وَقد رواه أبو نُعيم في «الحلْيَةِ» منْ حديث عمروِ بن قيْسٍ المَلَائِيِّ عنْ أبي إسحاقَ - يعني السَّبِيعِيَّ- قال: حدثَنا هبيرة بنُ يريم عنْ عبد الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتىٰ كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِئَ**

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٣/ ٤٠٠) (٣٠٤٥) -كشف- من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٤)، و«الصحيحة» (٣٣٨٧).

مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ثُمَّ قال أبو نعيمٍ: رواه الثَّوْرِيّ عن أبي إسحاق مثلَهُ، ورواه عَلْقَمة وهمّام بنُ الحارثِ عن عبد اللهِ موْقوفًا(١).

قَالَ الشَّيخ عبد الرحمن بنُ حسَنٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «شَرْح التَّوحيدِ»(٢): «فيهِ دليلٌ علىٰ كُفْرِ الكاهِنِ والسّاحرِ؛ لِأنّهما يدَّعيانِ علْمَ الغيْبِ، وذلك كُفْرٌ، والمُصَدِّق لهما يعتَقِدُ ذلك ويرضىٰ بهِ، وذلك كُفْرٌ -أَيْضًا-»، انْتَهىٰ.

وَرَوىٰ الطَّبْراني في «الأوْسَطِ» عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»**، قالَ الهيثميُّ: «فيهِ رشدين بنُ سعْدٍ، وهو ضَعيف، وفيه توثيقٌ في أحاديث الرّقاقِ، وبقيَّةُ رجالِهِ ثقاتٌ(٣).

قلت: وَمَا تَقَدَّم من الأحاديث الصَّحيحةِ يشْهد له ويُقَوِّيهِ.

---

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٢٥٦، ٣١٥) (١٨٧٣، ١٩٣١) -بحر-، وأبو يعلىٰ في «المسند» (٩/ ٢٨٠) (٥٤٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٧٦) (١٠٠٠٥)، وفي «الأوسط» (٢/ ١٢٢) (١٤٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤٨).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٣٧٨) (٦٦٧٠)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٥٢٣).

وروى الطبراني -أيضًا- عن واثِلَة بنِ الأسْقع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقولُ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ حُجِبَتْ عَنْهُ التَّوْبَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً؛ فَإِنْ صَدَّقَهُ بِما قالَ كَفَرَ**»، إسنادُهُ ضعيفٌ[1]، ولكنَّهُ يتقوَّىٰ بما تقدَّم وما يأتي.

وروى الإمام أحمَدُ ومسلمٌ عن صفيَّةَ بنتِ أبي عبيد عَنْ بعضِ أزواجِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[2].

وَرَوىٰ الطّبرانيُّ في «الأوْسَطِ» عنِ ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»، قالَ الهيثميُّ: «رجالُه ثِقاتٌ»[3].

وروى الطبراني -أيضًا- في «الأوسَطِ» عن عمر بنِ الخطّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سمعت رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقولُ: «**مَنْ أتىٰ عَرَّافًا لَمْ تقبَلْ لَهُ صَلاَةُ أَرْبَعِينَ**

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٦٩) (١٦٩)، وغيره من حديث واثلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٠)، وغيرهما عن صفية، عن بعض أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٠٧) (١٤٠٢)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨).

لَيْلَةً»، قال الهيثمِيُّ: «رواه الطَّبرانيُّ عن شيْخِه مصعَبُ بنُ إبراهيمَ بنِ حمزة الدّهريِّ، ولمْ أعْرِفْه، وبقيَّةُ رجالِهِ رجالُ الصَّحيح»(١).

وَأَيْضًا، فإنَّ التّصديقَ بالتَّكهُّنِ منَ الإيمانِ بالجِبْتِ والطّاغوتِ، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

قالَ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجِبْتُ السِّحْرُ، والطّاغوتُ الشَّيْطانُ»(٢)، وكذا قالَ الشَّعْبِيُّ(٣)(٤) ومُجاهدٌ(٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٧٦) (٩١٧٢)، وغيره من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧)، وقد أورد الحافظ ابن كثير تضعيف علي بن المديني لهذا الحديث. انظر: «مسند الفاروق» (١/ ١٩٨).

(٢) رواه البخاري معلقًا (٦/ ٤٥)، ووصله سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٣٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٣٥)، وغيرهم. قال الحافظ: «إسناده قوي»، انظر: «الفتح» (٨/ ٢٥١).

(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو الكوفي روىٰ عن البراء بن عازب، وغيره. روىٰ عنه حصين بن عبد الرحمن السلمي، وخلائق. ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٢٨)، و«السير» (٤/ ٢٩٤)، و«التقريب» (٣٠٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٣٦)، وغيره عن الشعبي به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٣٦)، وغيره عن مجاهد به.

وَقَد تقدّم حديثُ ابنِ عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا، وفيه: «**وَالكَاهِنُ سَاحِرٌ**»، وعن عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثْلُه، وتقدم -أَيْضًا-.

وعن الشّعْبِيّ -أَيْضًا-: «الجبْتُ الكاهِنُ»(١)، وقال محمَّدُ بنُ سيرين ومكحول: «الجبْتُ الكاهِنُ، والطّاغوتُ السّاحرُ»، وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: «الجِبْتُ السّاحر بِلسان الحبَشَةِ، والطّاغوت الكاهِنُ»(٢).

وقال الجَوْهريُّ: «الجبْتُ كلمَةٌ تقعُ عَلىٰ الصَّنَمِ، والكاهِنِ والسّاحِرِ، ونحوِ ذلك»(٣).

وقالَ جابرُ بْنُ عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «الطّواغيتُ كُهّان تَنْزِلُ عليهِمُ الشَّياطينُ»، رواه ابنُ أبي حاتمٍ بإسنادٍ حَسَنٍ(٤).

ويَشْهد له قولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]، وقدْ تقدَّمَ قولُ قتادةَ أنّهم الكهنَةُ.

والمقصودُ ههنا التّحذيرُ مِن تصديقِ الَّذين يتكهَّنون ويدَّعون علْمَ الغيْبِ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٤٧)، وغيره عن الشعبي به.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٤).

(٣) انظر: «الصحاح» (١/ ٢٤٥).

(٤) رواه البخاري معلقًا (٦/ ٤٥)، ووصله ابن جرير في «التفسير» (٤/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» أيضًا (٥٤٥٢) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ... فذكره.

وبيانُ أنَّ مَن صدّقهم في ذلك فهو مِمَّن آمنَ بالجبْتِ والطّاغوتِ شاءَ أَمْ أَبىٰ.

فَلْيستيقِظِ الصَّوَّاف مِن رَقْدتِه، وَلْيَنْتَبِهْ مِن غَفْلتِهِ، ولا يكنْ كحاطِبِ اللّيل يَضَع في حطبِهِ الأفاعي القاتِلَةَ وهو لا يَشْعر، بلْ إِنّ ضررَ الأفاعي أَوْهَىٰ ممّا وضعَهُ الصَّوَّاف في رسالَتِهِ مِن الأقوالِ الباطلةِ المتضمِّنة لِمُحادّةِ اللهِ تعالىٰ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واتّباع غيرِ سبيلِ المؤمنينَ؛ لِأَنَّ ضررَ هذه الأقوالِ الباطلةِ على الدّينِ، وضررَ الأفاعي علىٰ البَدَنِ، وَشَتّان ما بَيْن الضّررينِ.

الوَجْهُ الرَّابع: أنَّ ما زعمه أعداءُ الله تَعالىٰ مِن معرفة الشّهْر الَّذي بدَأَ فيه العالَمُ، وتعْيين اليومِ الَّذي بدأ فيهِ ذلك الشّهر، وتحديدُ عمْرِ العالمِ وعُمْر الأرْضِ- فكُلُّه تخرُّصٌ مردودٌ بِقول اللهِ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وَقَوْله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآيَةَ.

وقوله تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٩] الآيَةَ.

وقولِه تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] الآيَةَ.

وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

وقولِه تَعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وَفي الحديثِ الصّحيح أنَّ جبريلَ قال لِلنّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: **مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، رواهُ الإمام أحمَدُ، ومسلِمٌ، وأهْلُ السُّنَنِ مِن حديثِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

وَرَواه الإمام أحمَدُ والشَّيخانِ وابْنُ مَاجَه مِن حديثِ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢).

وَرَواه النّسائِيُّ منْ حديثِ أَبي هُريرَةَ، وأَبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٣).

وَإِذا كانَ أَشْرَف المَلَائِكَةِ وأَشْرَف البَشَرِ لا يَعْلَمان مَتَىٰ تقومُ السّاعَةُ، فغيرُهما مِنَ المخلوقينَ أَوْلَىٰ وأَحْرَىٰ أَنْ لا يَعْلَمُوا ذلكَ فضلًا عمّا يزعمه

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وأحمد (١/ ٥٢)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وابن ماجه (٦٣)، وغيرهم من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٦)، وابن ماجه (٦٤، ٤٠٤٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٨)، والنسائي (٤٩٩١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة، وأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا به.

المتخرِّصون من معرفةِ الشّهر الَّذي بدأ فيه العالَمُ، وتعيينِ اليومِ الذي بدَأَ فيه من ذلك الشّهر، وتحديدِ عُمْر العالَمِ وعمْرِ الأرْضِ.

وَلَقَد أحسَنَ الشّاعر(١) حيثُ يقول:

الغَيْبُ يَعْلَمُهُ المُهَيْمِنُ وَحْدَهُ وَعَنِ الخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مُغَيَّبُ

وَقَالَ آخَرُ:

الزَّجْرُ وَالطَّيْرُ وَالكُهَّانُ كُلُّهُمُ مُضَلِّلُونَ وَدُونَ الغَيْبِ أَقْفَالُ

الوَجْهُ الخامِسُ: أَنَّهُ لم يجِئْ في كتاب الله تَعالىٰ ولا عَنْ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ لِلأرضِ عُمُرًا معلومًا إذا انْتَهىٰ زالت مِن مكانِها وذهبت بالكُلِّيَّة، بلِ الَّذي يدلُ عليه القرْآنُ العظيمُ أنَّ الأرْضَ لا تزالُ باقيةً إلىٰ الأبدِ إلَّا أنَّها تُبدَّلُ يومَ القيامَةِ. قالَ الله تَعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨]، فقدْ دلَّتْ هذه الآياتُ علىٰ أنَّ الأرْضَ لا تَزالُ باقيةً علىٰ الأبدِ.

---

(١) نسبه العلامة ياقوت الحموي، والحافظ السيوطي إلىٰ «القاسم بن محمد بن بشار أبي محمد الأنباري النحوي»، انظر: «معجم الأدباء» (٥/ ٢٢٢٨)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٢٦١-٢٦٢).

وأمَّا تبديلُها يومَ القيامَةِ فقَدْ قالَ تَعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال ابْنُ كثير(١): «أي وَعْدُه هذا حاصِلٌ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ، وهي هذه علىٰ غيْرِ الصِّفة المألوفة المعروفة».

ثُمَّ ذكر الأحاديثَ والآثار الواردة في تبديل الأرضِ، وهي كثيرةٌ، فلْتُراجع في آخر تفسيرِ سورةِ إبراهيمَ.

وأمَّا زعمُ الفلكيِّين أنَّ عمر الأرض حوالي ألف وأربعمائة مليون سَنَة، فهو تخرُّصٌ مردودٌ عليهم.

الوجْهُ السّادس: أنَّ الصَّوَّاف سمّىٰ رسالته «المسلمون وعلمُ الفلَكِ»، وذَكَر في مقدِّمَتِها فِي صَفْحَةِ ١٢ أنَّ ما جمعه فيها هو ممَّا تركه العلماء الأعلامُ، وقالَ فِي صَفْحَةِ ٥١ و٦٥ أنَّهُم سَلَفُه الصَّالحُ، وقال فِي صَفْحَةِ ٦٧ أنَّهُم علماؤُهُ الأعْلام، وقَدْ نَقَل في هذا المَوْضِع الَّذي نَرُدُّ عليه عن «جيمس أوثر» وَعَنْ الفلكيِّين أصحابِ المراصِدِ في «ليك ومونت ويلسون وبالومار» وَنَقَل -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٠ عن «لابلاس» وَفِي صَفْحَةِ ٤٣ عن «سيمون» وَفِي صَفْحَةِ ٥٨ عن الدُّكتور «توماس جولد» وَفِي صَفْحَةِ ٦٠ عن المَرْصَدِ الأمريكيّ، وعن الدكتور «دونالد مينزل» وَفِي صَفْحَةِ ٧١ عن «اللورد افبري» وَفِي صَفْحَةِ ٨٠

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥١٨).

عن البريطاني «سبريل هازارد» وزميله» البروفيسور شميدت» وَفِي صَفْحَةِ ١٠٨ عن «أرثر فندلاي» و«سيمون ينوك»، وهؤلاءِ كُلُّهم منَ الإفرنْجِ، ومع هذا فقدْ جعلَ الصَّوَّاف تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبةَ وتحكُّمَهم علىٰ الغيب مِن علومِ المُسْلمينَ! بَلْ ظاهرُ كلامِه أنَّه يرىٰ أنّهم مِن المُسْلمين، وَمِن العلماءِ الأعلامِ والسّلف الصَّالح.

نعوذُ باللهِ مِنْ تقليبِ الأفئدَةِ والأبْصارِ.

وَأمَّا قولُه: وجاء في أحد الكُتب الهنديَّة المقدَّسة الخ.

فجَوابُه: أنْ يقالَ: إنّما تكون الكتب مقدَّسَةً إذا كانت مُنَزّلَةً مِن الله تَعالىٰ أو مأثورَةً عنِ الأنبياءِ -صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين-.

فأَمَّا ما وضعه أعداءُ الرُّسل مِن عند أنْفسهم وما تُوحِيه الشَّياطينُ إليهم فهو باطِلٌ مردودٌ، وليس بِمُقَدَّسٍ.

وَكِتاب الهِنْد الَّذي نقل الصَّوَّاف عنْهُ تحديدَ عُمْرِ العالَم هوَ مِن هذا الجِنس الباطلِ المردودِ لِما فيه مِن التَّحكُّم علىٰ الغيب والتّعاطي لما استأثَرَ اللهُ بعلمِهِ.

وَأمَّا قولُه: «ويعتمد الفلكيون في عُمْرِ الكرَةِ الأرْضِيّةِ علىٰ النَّظريَّة القائلة بأنّ شيئًا حدَثَ في الفَضاء في قديم الزّمان جعلَ المادَّة تتناثر من مركَزٍ مشترَكٍ واحد».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن تَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وظنونِهم الكاذبَةِ.

وقدْ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

[الذاريات: ١٠-١١].

وقد ذَكَرْتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» ما ذكره الألوسِيُّ[(١)] عن أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ في ذلك، وتعقَّبْتُه بالرَّدِّ، فلْيُراجَعْ ذلك في المِثال الخامِسَ عَشَرَ مِن الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدة.

وَأَمَّا قولُه: «وقد دلَّت الدِّراسة الَّتي استمرت ٢٠ عامًا لِلضَّوْء المُنْبعِث مِن الكواكِبِ البعيدَةِ علىٰ أنَّ هذه الكواكِبَ لا تزال مُمْعِنَةً في الابتعاد في الفضاء،

---

(١) هو محمود شكري بن عبد الله الآلوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، عالم بالأدب والدين، له تصانيف منها «فتح المنان»، وغير ذلك. توفي سنة (١٣٤٢)، انظر: «الأعلام» (٧/ ١٧٣)، و«طبقات النسابين» (ص١٩٤).

وأنَّ سرعتَها تزداد كلَّما ازداد ابتعادُها».

فجَوابه: أنْ يقالَ: هذا مِن جِنْس ما قَبْلَه مِنَ التَّخَرُّصات والظُّنون الكاذبَةِ، وهذا القولُ الباطِلُ مبنيٌّ عَلىٰ قولهم: إنَّ سَعَةَ الجَوّ غيرُ متناهيَةٍ، وأنَّه ليس فوقَنا سَمواتٌ مبنيَّةٌ. وقدِ استوفيْتُ الرّدَّ علىٰ هذا القول الباطل في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المثال الثَّالث مِنَ الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئَةِ الجَديدة؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

ولَوْ كان الأمرُ علىٰ ما زعموه مِنْ نفْيِ وجودِ السّمواتِ، وأنَّه ليس فوقنا إلَّا فضاءٌ لا نِهايَةَ لَهُ، وأنَّ الكواكب لا تزال مُمْعِنةً في الابتعاد فيه، لَكانَ يَخْتَفي ضوْؤُها عنْ أهلِ الأرض شيئًا فشيْئًا حتّىٰ لا يَرَوْا منها شيئًا، ويكفِي في معرفة بُطْلان قولِهم ما يشاهده النّاس مِن اسْتِمْرار ضَوْءِ كُلِّ كَوْكَبٍ عَلىٰ حاله علىٰ ممَرِّ الأزْمانِ.

وَأَيْضًا، فإنّ الله تَعالىٰ قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

وقَدْ حَكَىٰ غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ الإجماعَ علىٰ أنَّ السّمواتِ مُسْتديرَةٌ،

وَقَرّروا أنَّ كُلَّ سماءٍ مُحيطةٌ بالسّماء الَّتي تحتها وما حوت، والكواكِبُ قد جُعِلَت زينَةً للسّماءِ الدُّنيا بنصِّ القرآن.

فَالسّموات الشِّدادُ الَّتي ليس لها فروجٌ، وليس فيها فُطورٌ، مُحيطَةٌ بالكواكِب مِن كلِّ جانبٍ، ولا طريقَ لها إلىٰ ما زعموه منَ الابتعادِ المُتوَهَّم.

وَأَيْضًا، فإنّ الله -تَعالىٰ- قَد جعَلَ السّماء سقْفًا لِمَا تحتَها مِن المخلوقات، وجعَل الكواكبَ زينةً لهذا السَّقف المحفوظِ؛ فقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

وَقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وَقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، وهذه الزِّينة لا تزال علىٰ حالها ما بقِيَتِ الدُّنيا، فإذا قامتِ القيامَةُ زالت هذه الزِّينةُ عن مَحلِّها، وانتَثَرت علىٰ الأرض؛ كما أخبرَ اللهُ تَعالىٰ بذلك في قولِه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]، وقولِه تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ١-٢]، قال البَغويُّ وغيرُهُ في قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] أي تَناثَرتْ من السّماء،

وتساقطَتْ على الأرضِ؛ كما قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

ورَوىٰ ابنُ أبي حاتم عن الشَّعْبي أنَّه سمع ابنَ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وجَهنَّم هو هذا البحْرُ الأخضرُ تَنْتثِرُ الكواكبُ فيه، وتُكوَّر في الشَّمس والقمَرُ، ثمَّ يوقَدُ؛ فيكون هو جهنّمَ»(١).

وروىٰ ابنُ أبي حاتم -أَيْضًا- عن ابنِ عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «يكوِّر اللهُ الشَّمس والقمرَ والنُّجوم يومَ القيامة في البحْرِ، ويبعثُ ريحًا دَبورًا فيُضْرِمُها نارًا»، وكذا ذكَر البغويُّ في «تفسيرِهِ» عنِ ابن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال ابنُ كثيرٍ: «وكذا قال عامر الشَّعْبِيّ»(٢).

وفيما ذكرْتُه ههنا منَ الآيات وقولِ حبْرِ الأمَّة كفايَةٌ في رَدِّ ما زعمه أعداءُ اللهِ تَعالىٰ من كونِ الكواكب لا تزال مُمْعِنَةً في الابتعادِ عن الأرضِ.

وَأَيْضًا، فإنَّ الله تَعالىٰ قد جعل الكواكِبَ زينةً للسَّماء، ورُجومًا للشّياطين،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٩٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٨٣)، وفي إسناده عمر بن اسماعيل بن مجالد «متروك»، وجده هو مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي، ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره. قاله في «التقريب».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٥٤) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا به، وفي إسناده مجالد بن سعيد، وقد تقدم بيان حاله، كما أن فيه -أيضًا- من لم يسم، وانظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩).

وعلاماتٍ يَهْتدِي بها أهلُ الأرضِ في ظُلمات البرِّ والبحر.

ولو كانَت لا تزال مُمْعنةً في الابتعاد عن الأرض كما زعَمَه أعداءُ الله تَعالىٰ لفاتَتْ هذه المَصالحُ مِنها، وفي بَقائها علىٰ حالِها علىٰ ممَرِّ الأزْمان أوْضَحُ دليلٍ علىٰ بُطْلان ما توهَّموه بعقولِهم الفاسدَةِ.

وَأمَّا قولُه: «وقدْ قضىٰ الفلكيُّون في معرفَةِ ذلك سبْعَةَ أعوامٍ بالمَراصد المذكورَةِ يراقبون ٨٠٠ كوكبٍ و٢٦ مجموعَةً منَ الكواكب».

فجَوابُهُ: أنْ يقالَ: إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدْ جعل الكواكب زينَةً للسّماء الدُّنْيا. وما في السّماء لا يُعْلم إلَّا من طريق الوَحْيِ، وقدِ انقطَعَ الوَحْيُ منَ السّماء بمَوْتِ النَّبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأَمَّا المَراصد والنَّظّاراتُ، فهي أضْعف وأعجزُ مِن أنْ يُتَوَصَّل بِها إلىٰ العِلْم بِما في السّماء.

وإنَّما يعتَمِد أعداءُ اللهِ تَعالىٰ علىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونِهم الكاذبَةِ، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وما زعموه مِن وجود المجموعات مِن الكواكبِ؛ فهوَ باطلٌ.

وَقَدِ استوفَيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، في المِثال الثَّامنَ عَشَرَ مِن الأمْثِلة علىٰ بُطْلان الهيئَةِ الجديدَةِ؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

قالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٩: (عِلْم طَبقاتِ الأرْضِ): «وَلَقَد نشَأَ بسببِ هذه التّحقيقاتِ علْمٌ سُمِّيَ (بعلْمِ طبقاتِ الأرْضِ) وهوَ علْمٌ يختصُّ بدراسة الأرْضِ، ومعرِفَةِ تاريخِها ونشأَتِها وعمرِها، وكيْفَ تكوَّنَت طبقاتُها وما طَرَأَ عَلىٰ كلِّ طبقَةٍ مِن تغييرِ نتيجةٍ لعواملَ جُيولوجِيّةٍ أو حَيَوِيّة، وقدْ تمكّن بعضُ العلماءِ مِن معرفَةِ أشياءَ مهمّةٍ عن الأرضِ ومكوِّناتِها ومَا تحتَ قِشرتها، وهو ما يُسَمُّونه بعِلْم «الجيولوجيا»، وكلُّ هذه الدِّراسات تضيف في كلِّ لحظَةٍ وحينٍ أدلَّةً مُشْرقَةً عَلىٰ عظمَةِ الخالِق، ووُجود الصَّانع الحكيمِ العليمِ القديرِ».

والجَوابُ: أنْ يقالَ: أمَّا دَعوىٰ معرفَةِ تاريخ الأرْضِ ونشأَتِها وعُمْرها وكيفَ تكوَّنَت طبقاتُها، وما طرَأ علىٰ كل طبقَةٍ منْ تغييرٍ، فذلك من التَّحَكُّم علىٰ الغيب، والتَّعاطي لما اسْتأثرَ اللهُ بعلمه؛ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] الآية.

وَلَيْست هذه الأمورُ ممَّا يدْرَكُ عِلمُه بالعوامِلِ الجُيولوجِيّةِ أو الحيويَّةِ، وإنَّما تُعْلم منْ طريقِ الوحيِ، وقد انْقطع الوَحْيُ بموتِ النَّبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قال تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَأمَّا قولُه: «وقد تمكَّن بعضُ العلماء من معرفةِ أشياءَ مهمَّةٍ عن الأرض ومكوناتها».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس للأرْضِ ولا غيرِها مِن المخلوقاتِ خالقٌ ومُكَوِّن غيْر اللهِ تَعالىٰ.

قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وإضافَةُ التَّكوينِ إلىٰ العناصر هو مذهب الطبيعيِّين الَّذين يزعمون أنَّ الإيجادَ والتَّكوين ناشِئٌ عن الطَّبيعة، وذلك شركٌ بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ هو الَّذي خلَقَ العناصِرَ، وخلَقَ ما تكَوّن منها فَلا يضاف التَّكْوينُ إلىٰ غيْرِه.

وَأمَّا قولُه: «وكلُّ هذه الدِّراسات تضيف في كلِّ لحظة وحينٍ أدلَّةً مشرقةً علىٰ عظمة الخالق، ووجود الصَّانع».

فجوابُه: أنْ يقالَ: إنّ في القرآن والأحاديث الصحيحة كفايَةٌ وغُنْيَةٌ في الدَّلالةِ علىٰ عَظَمَةِ الخالق ووجود الصَّانع، ولا يُحْتاج معهما إلىٰ ما سواهُما مِنْ أقوالِ النّاس وآرائِهم، فضْلًا عنْ تَخَرُّصات أعداءِ الله وظنونهم الكاذبَةِ وَتَحكُّمهم علىٰ الغيْب.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] الآياتَ إلىٰ قولِهِ: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] إلىٰ قولِه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، والآياتِ في هذا المعنىٰ كثيرةٍ.

ورَوىٰ الإمامُ أحمدُ وابنُ مَاجه والحاكِمُ في «مستدركه» عن العِرباض بنِ ساريةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»، ورواه ابْنُ أبي عاصِمٍ في كِتابِ «السُّنَّةِ» بِنحوه، قال المنذِرِيُّ: «وإسنادُه حسَنٌ»(١).

وَرَوىٰ ابْنُ مَاجه -أَيْضًا- عنْ أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَايم اللهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»، قالَ أبو الدّرداء: «صَدَقَ -واللهِ- رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تركنَا -واللهِ- علىٰ مِثْلِ البيضاءِ لَيْلُهَا وَنهارُها سَوَاءٌ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٦)، وغيرهم من حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥)، وغيره من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في

وَإذا عُلِم هذا فَمِن أقبحِ الجهل أنْ تجعلَ التَّخَرُّصات والظُّنون الكاذبَةِ مِن أعداءِ اللهِ أدلَّةً علىٰ عظمةِ الخالق ووُجود الصَّانع، وأنْ يُقالَ: «إنَّها أدلَّةٌ مشرقَةٌ»! وَهِي في الحقيقة بعكس ذلك ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بعضْ.

* * *

فصل

وقَال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٩ و٤٠ و٤١ ما مُلَخَّصه:

(خَلْقُ الأرْضِ) قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، هذه الآيَةُ من الآياتِ المُعجزاتِ الَّتي أخبرَت بمَغيبٍ لا يَعْلمه إلَّا الله. وجاءَ العِلْم الحديثُ يشير إلىٰ ما أشارت إليه هذه الآيَةُ البليغَةُ.

فقَدِ اختلفَتِ الآراء العِلميَّةُ منْذُ القديمِ علىٰ كيفيَّة نشوءِ الأرْضِ حتَّىٰ توَصَّل العلماءُ أخيرًا بعد البحوثِ العميقَةِ، وَبَعْد الِاختراعات العجيبَةِ لِلمراصِدِ والمَجاهر، وبَعْد تقدُّم أبحاثِ الجُيُولوجيا والتَّحاليل الأرضيَّةِ توصَّلوا إلىٰ النَّظرية الصَّحيحة في خلْقِ الأرْضِ، وَسُمِّيَت بنظرِيَّة «لابلاس» هذِهِ النَّظريةُ قرَّرت أنَّ الأرْضَ والشَّمس ومخْتَلفَ الكواكِبِ والأجرامِ إنَّما كانت سديمًا في

=

«الصحيحة» (٦٨٨).

الفَضاء، وأنَّ الأرض انْفَصَلت عنْ هذا السّديم. وهذا هو الذي أشارَ إليه القرآنُ العظيمُ في الآية الَّتي صدرنا بها هذا الموضوعَ قبْلَ «لابلاس»، وقيلَ غيْرُه مِن عُلماء الدُّنيا.

ويُؤيِّد هذه النَّظريَّةَ كما يقول العلماء أدِلّةٌ كثيرةٌ منها: شدَّةُ حرارةِ باطن الأرْضِ -إلىٰ أنْ قال، وبِتَقَدّم العلم أمْكن إِلىٰ حدٍّ ما معرفَة العناصر المكونة للشّمس بتحليلٍ لطيف؛ فلكُلِّ عنْصُر عندَ احتراقه لوْنٌ خاصٌّ به. فوجد أنَّها تتكون منْ نفس العناصر الَّتي تتكون منها الأرْضُ.

بل اكتُشِفت عناصِرُ في الشَّمس قبل اكتشاف وجودِها في الأرض؛ وبذلك قرَّر العلم اليوم ما قرَّره القرآنُ وأشار إليه قبْلَ ألفِ وأربَعِمِائة عامٍ مِن أنَّ الأرض والشَّمس والنُّجوم أيِ السّماء والأرضَ وما فيهما إنّما كانَتْ سديمًا انْفصل إِلىٰ أجزاءٍ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَالجوابُ: أنْ يقالَ: أمَّا ما زعمه مِن تَوَصُّلِ الفلكيِّين إلىٰ معرفةِ كيفيَّةِ نُشُوء الأرْضِ فهو زَعمٌ باطِلٌ مردودٌ بِقول اللهِ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وكيفيَّةُ خلْقِ الأرْضِ منْ أمورِ الغيبِ الَّتي لا يعلمُها إِلَّا اللهُ تَعالىٰ، أوْ مَن أطلَعَه علىٰ ذلك مِنَ المرسلين.

قَالَ الله تَعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآيَةَ.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١].

وَلَيس الغيبُ ممَّا يُتَوَصّل إليْهِ بالبُحوثِ والمَراصد وَالمجاهِرِ والأبحاثِ الجيولوجيَّة والتَّحاليل الأرضيَّة -كما زعمه الصَّوَّاف!-.

وَمَن ادّعىٰ علْمَ الغيْبِ بهذهِ الطُّرق فهو طاغوتٌ، ومَن صدَّقَه فهو ممَّن آمنَ بالطّاغوتِ شاءَ أم أَبىٰ.

وَأَمّا نظريَّةُ «لابلاس» فليسَتْ بصحيحةٍ كما زعمَهُ الصَّوَّاف! وإنَّما هي ظَنٌّ وتخرُّصٌ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَقَد ذكَر الله تَعالىٰ خلْقَ الأرض في مَواضِعَ كثيرةٍ منَ القرآن، وفصَّل ذلك في سورة «حم السجدة»؛ فقال تَعالىٰ: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا

بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فلَمْ يذكُرْ تبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنَّ الأرضَ كانت سديمًا في أوَّلِ الأمرِ، ولا أنَّها انفصلَتْ عن سديمٍ.

والسّديمُ هو «الضَّباب الرَّقيق»، قاله ابْنُ منظورٍ في «لسانِ العربِ»، وصاحب القاموسِ، وغيرُهما مِن أهل اللُّغة(١).

وَقَد روىٰ ابنُ جرير عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنَّ اليهود أتَتِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فسألَته عن خلْقِ السّموات والأرضِ؛ فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **«خَلَقَ اللهُ تَعالَىٰ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ، ويَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأَرْبعَاءِ الشَّجَرَ وَالمَاءَ وَالمَدَائِنَ وَالعُمْرَانَ وَالخَرَابَ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾** [فصلت: ٩-١٠] **قال: وخلَقَ يومَ الخميس السّماء، وخلَقَ يوم الجمُعَة النُّجوم والشَّمس والقمرَ والمَلائكةَ إلىٰ ثلاثِ ساعاتٍ بقيَتْ منْهُ، وفي الثَّانيَةِ ألْقَىٰ الآفَةَ علىٰ كلِّ شيْءٍ ممَّا يَنْتَفِع به النَّاس، وفي الثَّالثة آدَمَ وأسكَنَه الجنَّةَ، وأمَرَ إبليسَ بالسُّجود له، وأخرَجَه منْها في آخِرِ ساعَةٍ»**(٢).

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٨٤)، و«القاموس المحيط» (ص١١٢٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، =

وَفي هذا الحديث بيانُ خلْقِ السَّماء والأرض وما فيهما، وليْسَ فيه ما يدلُّ عل أنَّ الأرض كانت سديمًا في أوَّل الأمر، ولا أنَّها انْفَصلتْ عن السّديمِ.

وَروىٰ ابنُ جرير -أَيْضًا- عن عبدِ الله بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّهُ قال: «إنَّ اللهَ بدأَ الخَلْق يوْمَ الأحَدِ، فخلَقَ الأرَضينَ في الأحَدِ والاثْنيْنِ، وخلَقَ الأقوات والرّواسِيَ في الثُّلاثاءِ والأرْبعاءِ، وخلَقَ السَّمواتِ في الخميسِ والجُمُعةِ، وفَرَغَ في آخرِ ساعَةٍ منْ يومِ الجُمُعَة؛ فخلَقَ فيها آدَمَ علىٰ عَجَلٍ، فتلك السّاعةُ الَّتي تقومُ فيها السّاعَةُ»، وهذا الأثَرُ يدلُّ علىٰ ما دلَّ عليه الحديث قبْلَه منْ تقدمِ خلْقِ الأرْضِ علىٰ خلق السّمواتِ(١).

وَروىٰ عبدُ الرّزاق وعبْدُ بنُ حميْدٍ وابنُ جريرٍ وابنُ أبي حاتِمٍ وأبو الشَّيخِ عنْ مجاهِدٍ: «قال خلَقَ الله الأرض قبْلَ السّماء، فلمَّا خلِقَت ثارَ منْها دُخانٌ؛ فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] فسّواهن سبْعَ سمواتٍ بعضُهُنّ فوقَ بعضٍ، وسبْعَ أرضين بعضُهن فوْقَ بعضٍ»(٢).

=

وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا به، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٩٧٣).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٦٤)، وغيره عن عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به، وصحح الألباني إسناده في «مختصر العلو» (ص١٢٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩، ٥٨٩)، وابن جرير (١/ ٤٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٧)، وغيرهم من طريق معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

وَفِي الآياتِ الَّتي ذكرنا مع حديثي ابنِ عبّاس وعبد الله بْنِ سلَام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ دليلٌ علَىٰ أنَّ الأرضَ خُلِقت قبْل السّماء، وما فيها مِن الشَّمس وَالقَمر والنُّجومِ. وقدْ صرّح مجاهدٌ أنَّ الأرض خُلِقَت قبْلَ السّماء، وهو إنَّما تلَقّىٰ التّفسير عنِ ابن عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وفي كُلِّ ما ذكرنا رَدٌّ لما قرَّرته نظريَّةُ «لابلاس» مِن أنَّ الأرْضَ والشَّمس ومختلفَ الكواكِب والأجرام كانت سديمًا في الفضاء، وأنَّ الأرض انْفصلَتْ عن هذا السّديمِ، وبيانُ أنّها نظريَّةٌ فاسدَةٌ، لا كما يزعم الصَّوَّاف أنّها نظريَّةٌ صحيحةٌ!

وفي ذلك -أَيْضًا- رَدٌّ لمَا ذَكَره الألوسِيُّ فِي صَفْحَةِ ٩٤ مِن كتابِه الَّذي سماه «ما دَلَّ عليه القرآنُ ممَّا يُعَضِّدُ الهيئَةَ الجديدَةَ» عنِ الفلاسفة المتأخرين أنَّهم ذهبوا إلىٰ أنَّ العالم كلَّه كان قطعةً واحدَةً؛ فأصابَتْه صدمةٌ، فتَفَرَّق إلىٰ ما يُرىٰ منَ الأَجْرامِ.

والظّاهر أنَّ هذه النَّظريَّة هي نظريَّةُ «لابلاس» الَّتي ذكرها الصَّوَّاف، وإنَّما اخْتَلَف تعبيرُهم عنها، وقد ذكرتُها في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثال الخامسَ عشَرَ منَ الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئَةِ الجديدَةِ، وتعقَّبْتُها بالرَّدِّ؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: وجاءَ العلم الحديثُ يشير إلىٰ ما أشارت إليْهِ الآيةُ البليغَةُ.

فجَوابُهُ: أنْ يُقال ليْسَتْ تَخَرُّصات الفلكيِّين وظنونُهم الكاذبَةُ بِعِلْمٍ كما

توهَّمَه الصَّوَّاف وأشباهُه مِن العصريّين! وإنَّما هي تَحَكُّمٌ علىٰ الغيب، وذَلك هو الجهل علىٰ الحقيقةِ.

وأمَّا زعمُه أنَّ الآية مِن سورة الأنبياء أشارت إلىٰ ما جاء في نظريَّة «لابلاس».

فجوابُه: أنْ يقالَ: ليسَ في الآية الكريمة ما يشير إلىٰ أنَّ الأرض والشَّمس ومختلف الكواكب والأجرامِ كانت سديمًا في الفَضاء، وأنَّ الأرض انفصلت عن هذا السّديمِ.

وَإِنّما الَّذي في الآية أنَّ السّموات والأرضَ كانتا رتْقًا ففتقَهُما اللهُ، وقد اخْتلَف المفسِّرون في المراد بذلك، قال ابنُ الجوزيِّ[1]: «وَللمفسِّرين في المُراد به ثلاثَةُ أقوالٍ: أحدُها أنَّ السّمواتِ كانت رتْقًا لا تُمطر، وكانت الأرضُ رتقًا لا تُنْبِت؛ ففتَقَ هذهِ بِالمطرِ، وهذهِ بالنّباتِ، رواه عبدُ الله بنُ دينارٍ عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبِه قال عطاءٌ وعكرمَةُ ومجاهدٌ في روايةٍ، والضّحاك في آخرين.

قلْتُ: وهذا مرويٌّ عنِ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه ابنُ أبي حاتِمٍ بإسنادٍ حسَنٍ عنْ عبد الله بنِ دينارٍ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رجلًا أتاه يسْألُه عنْ: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال: اذْهب إلىٰ ذلك

---

(١) انظر: «زاد المسير» (٣/ ١٨٩).

الشَّيخِ فاسْأله، ثمَّ تَعالَ فأخبِرْني بما قال لك، قالَ: فذهبَ إلىٰ ابْنِ عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فسأَلَه، فقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نَعَم، كانتِ السّموات رتْقًا لا تُمْطر، وكانت الأرْضُ رتْقًا لا تُنْبِت، فلما خلق لِلأرْضِ أهلًا فَتَقَ هذه بالمَطَرِ، وفتق هذه بالنَّبات. فرجع الرجلُ إلىٰ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فأخبرَهُ، فقال ابنُ عُمَر: الآنَ قد علمتُ أَنَّ ابنَ عبَّاس قد أوتيَ في القرآنِ عِلمًا، صَدَقَ، هكذا كانت.

قال ابنُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**قدْ كنْتُ أقولُ**: ما يُعْجبني جَراءَةُ ابْنِ عبّاس علىٰ تفسيرِ القرآنِ، فالآنَ عَلِمْتُ أنَّهُ قد أوتيَ في القرآنِ عِلمًا»(١).

قال ابنُ الجوزيِّ: «وَالثَّاني أنَّ السَّموات والأرْضَ كانتا مُلْتَصِقتيْنِ فَفَتَقَهُما اللهُ تَعالىٰ»، رواه العوفي عنِ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وبه قال الحَسَن وسعيدُ بنُ جبير وقتادةُ.

والثَّالث: «أنَّه فتَقَ مِن الأرضِ ستَّ أرَضِينَ؛ فصارَتْ سبْعًا، ومن السَّماء سِتَّ سمواتٍ؛ فصارَتْ سَبْعًا»، رَواه السُّدِّيُّ عنْ أشياخه، وابنُ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجاهد»، انْتَهىٰ.

وقال السّدِّيُّ: عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابنِ عباسٍ، وعن مرة عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣٦٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٠)، وغيرهما عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا به. وفي إسناده حمزة بن أبي محمد المدني، ضعيف، كما في «التقريب».

ابنِ مسعود، وعن ناس من أصحابِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: «إنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان عرْشُه على الماءِ، ولم يخلُقْ شيئًا غيرَ ما خلق قبْلَ الماءِ، فلمَّا أرادَ أنْ يخْلُقَ الخَلْقَ أخرجَ مِنَ الماءِ دُخانًا؛ فارْتفع فوْقَ الماءِ فسَما عليه؛ فسَمّاه سماءً، ثمَّ أيْبَس الماءَ فجعلَهُ أرْضًا واحدَةً، ثمَّ فتقَهَا فجعلها سبْعَ أرَضِينَ في يومَيْنِ في الأحدِ والاثنينِ، وخلقَ الجبالَ فيها وأقواتَ أهلِها وشجرَها وما ينبغي لها في يومين في الثُّلاثاء والأرْبعاء، وذلك حينَ يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠] يقول: أنْبت شَجَرها: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] يقول: أقواتَها لأهلِها: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقول: قُل لمَنْ يسألُك: هكذا الأمرُ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وكان ذلك الدُّخان مِن تنفس الماء حين تنفس؛ فجعَلها سماءً واحدةً، ثمَّ فتقها فجعلَها سبْعَ سمواتٍ في يومين في الخميس والجمعة، وَإِنَّما سُمِّيَ يومُ الجُمُعَةِ؛ لأنَّه جَمَع فيه خَلْقَ السّموات والأرض: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلَقَ في كلِّ سماءٍ خَلْقَها مِن الملائِكة والخَلْق الَّذي فيها من البحار، وجبالِ البَردِ وما لا يعلَمُه غيرَه، ثمَّ زَيّن السّماء الدُّنيا بالكواكب، فجعلها زينَةً وحفظًا، تُحْفَظ منَ الشَّياطين، فلما فَرَغَ منْ خلْقِ ما أحبَّ، استوىٰ علىٰ العرْشِ، فذلك حينَ يقولُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقولُ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، رواه ابنُ جريرٍ(١).

فهذِه أقوالُ المفسِّرين في تفسير الآية مِن سورةِ الأنبياء، وليس في شَيْءٍ منْها أنَّ الأرض كانت في أوَّل الأمرِ سديمًا، ولا أنَّها انفصَلَتْ عن السّديمِ.

وقد قال شيخ الإسلام أبو العبّاس ابنُ تيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَنْ فسَّر القرآنَ والحديثَ، وتأوَّلَه علىٰ غير التَّفسيرِ المعروفِ عن الصَّحابة وَالتَّابعين فهوَ مُفْتَرٍ علىٰ الله مُلْحِدٍ في آياتِ الله مُحرِّفٍ لِلكلِمِ عنْ مواضِعه»(٢) انْتَهىٰ.

وَقدِ اختلفَ المفسِّرون في مِقدار السِّتَّة الأيّام الَّتي خُلقتْ فيها السّمواتُ والأرضُ علىٰ قولَيْنِ، قال ابنُ كثيرٍ(٣): «والجمهورُ علىٰ أنَّها كأيّامِنا هذه. وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ومجاهدٍ والضَّحاكِ وكعبِ الأحبارِ أنَّ كلَّ يوم منْها كألف سنَةٍ ممَّا تعدُّون. رواه ابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتم، واختار هذا القولَ الإمام أحمد بنُ حنبلٍ في كتابه الذي ردَّ فيه علىٰ الجهميةِ، وابنُ جرير وطائفةٌ من المتأخرين، وَاللهُ أَعْلَمُ»، انْتَهىٰ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١/ ٤٦٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٨٦)، وابن منده في «التوحيد» (٧٨)، قال ابن جرير: «ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (١/ ٢٧).

قلتُ: ويؤيِّد القولَ الأخيرَ ما تقدَّم من حديث ابنِ عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا «أنَّ اليهودَ أتتِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فسألَته عنْ خلقِ السَّمواتِ والأرْضِ...» الحديثَ.

وفيهِ: أنَّ الله تَعالىٰ خلقَ آدمَ، وأسكنَهُ الجنَّةَ، وأخرجَهُ منها في آخر ساعَةٍ من يومِ الجُمُعَةِ الَّذي هو آخرُ الأيّام الستَّةِ الَّتي خلقَ الله فيها السّمواتِ والأرْضِ؛ فهذا يدُلُّ علىٰ أنَّ تلك السّاعة كانتْ بقدر سنينَ كثيرَةٍ، وأنّ تلك الأيَّامَ ليست كأيَّامنا هذه، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قولُه: ويؤيّد هذه النظريَّةَ أدلّةٌ منها: شدَّةُ حرارة باطنِ الأرضِ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وأيُّ دليلٍ في شدّة حرارةِ باطن الأرضِ علىٰ أنها كانت سديمًا في أوّل الأمر، أوْ أنَّها انفصلتْ عن السديم؟!

وَأَمَّا قولُه: «وبتقدُّمِ العلم أمْكَن إلىٰ حدٍ مَا معرفَةُ العناصِرِ المُكوِّنَةِ للشَّمس؛ فوُجدَ أنّها تتكوَّن منْ نفسِ العناصِرِ الَّتي تتكوَّن منْها الأرْضُ».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليْسَ هذا بِعلمٍ، وإنّما هو تخرُّصٌ وظنٌّ كاذبٌ، ومنازعَةٌ للرَّبِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيما استأْثر بِهِ من علم الغيبِ، وقدْ تقدَّم التّنبيه علىٰ أنَّ هذا هو الجهل علىٰ الحقيقةِ.

وَأَمَّا قولُه: العنَاصِر المكوِّنةُ للشّمس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليْس للشَّمس وَلا غيرِها منَ المخلوقات خالِقٌ ومُكوِّن

غيرَ اللهِ تعالىٰ. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وإضافَةُ التَّكوينِ إلىٰ العناصر هُو مذهَبُ الطَّبيعِيِّين الَّذين يزْعمون أنَّ الإيجادَ وَالتَّكوينَ نَاشِئٌ عنِ الطَّبيعةِ، وذلك شِرْكٌ باللهِ تَعالىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ هو الَّذي خلقَ العناصرَ، وخلَقَ ما تكَوّن منْها؛ فلا يُضاف التكوينُ إلىٰ غَيْرِه.

وَأَمّا قولُه: «فوُجِد أنّها تتكوَّن من نفسِ العناصر الَّتي تتكوَّن منها الأرضُ».

فَجَوابُه منْ وجهَيْنِ:

أحدُهُمَا أنْ يُقالَ: ما زعمَهُ ههنا فهُوَ تخرُّصٌ وظَنٌّ كاذبٌ، وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨].

ومَن هو الَّذي ذهب إلىٰ الشَّمس، وحلَّلَ عناصرَها، وقابل بينَها وبين عناصِرِ الأرْض، حتَّىٰ عرَفَ مُشَابهة كُلٍّ منْهُمَا للآخرِ؟!

وعَناصِرُ الشَّمس مِن أمورِ الغيب الَّتي لا تُعْلم إلَّا مِن طريقِ الوَحْيِ، وَلَم يأتِ عن اللهِ تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانٌ عن عناصرِ الشَّمس، وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولوْ كانتْ عناصرُ الشَّمس مثْلُ عناصِرِ الأرْضِ لكانَتْ تُرابًا وأحجارًا وماءً مثل الأرْضِ، ولو كانت كذلك لمَا كانتْ سِراجًا وهّاجًا -كما وصفها الله بذلك

في كتابه-، وإنّما تكونُ بارِدَةً غيرَ مضيئَةٍ.

ولوْ كانت عَناصر الأرْضِ مثْلَ عناصِرِ الشَّمس لاحترَق ما علىٰ الأرض، ولم يُمكن أنْ يعيشَ عليها شيءٌ من الحيوانات ولا النّباتاتِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ كلامَ الصَّوَّاف ينقُضُ بعضُه بعضًا؛ فقدْ زعمَ ههنا أنَّه بِتَقدُّمِ العِلْم أمْكَن إلىٰ حَدٍّ ما مَعْرفةُ عناصرِ الشَّمس، فَوجد أنَّها تتكوَّن منْ نَفْس العناصِرِ الَّتي تتكوَّنُ منْها الأرْض. ثمَّ نَقَضَ ذلك فِي صَفْحَةِ ٥٨ حيثُ ذكر عن الفَلَكِيِّين أنَّ الشَّمس إنَّما هي كرَةٌ هائلَةٌ من الغازات المُلتهبَةِ، وكلٌّ منْ هذينِ القوليْنِ باطلٌ وضلال؛ إذ لا مُستندَ لهما سِوىٰ التَّخرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُه: «بلِ اكتُشِفت عناصِرُ في الشَّمس قبلَ اكتِشاف وُجودِها في الأرْضِ».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنّ دعوىٰ اكتشافِ العناصر في الشَّمس دعوىٰ باطِلَةٌ لا مستند لها سوىٰ التَّخرُّصات والظُّنُون الكاذبة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقالَ تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

والشَّمس في السّماء بِنصِّ القرآن، وبَيْنَ السّماء والأرض مسيرَةُ خمْسِمائَةِ سنَةٍ بنصِّ الأحاديثِ الثَّابتَةِ عن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمِن أينَ لِبَنِي آدَمَ أنْ يكتَشِفُوا عناصِرَ الشَّمس مِنْ هذا البُعْد الشّاسِع.

وَأَمَّا قولُه: «وبذلك قرّر العلمُ اليومَ ما قرَّره القرْآنُ، وأشارَ إليه قبل ألفٍ وأربعِمِائةِ عامٍ من أنَّ الأرْضَ والشَّمس والنُّجومَ -أيِ السّماءَ والأرضَ وما فيهما- إنّما كانت سَديمًا انفَصَل إلىٰ أجزاء: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قدْ بيَّنْتُ مِرارًا أنَّ ما سماه الصَّوَّاف ههنا عِلمًا، فليْسَ بعلمٍ، وإنّما هو جهلٌ علىٰ الحقيقة.

وَأَمَّا قولُه: «إِنّ الأرْضَ والشَّمس والنُّجُوم كانت سديمًا انْفَصل إِلىٰ أجزاءٍ».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا قولٌ باطل وقد تقدَّم ردُّهُ قريبًا، وحمْلُ الآية مِن «سُورَةِ الأنبياءِ» علىٰ هذا القوْلِ الباطِلِ مِنَ الإلحادِ في آياتِ الله، وتحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضِعِه.

* * *

فصل

قال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤١ -٤٢:

(حَرَكَةُ الأرضِ والشَّمس) قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ

ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

اعتبر اكتشاف حركةِ الأرض بدورانها حول نفْسِها وحوْلَ الشَّمس من أروع ما اكتشفه علْمُ الفَلَك، وقدْ سبق القرآن هذا العلمَ بما يزيد علىٰ ألفِ عام، ولمْ يصلِ العلمُ الحديثُ إلىٰ ما قرَّره القرآن مِن حركَةِ الشَّمس إلَّا أخيرًا، واعتَبَر العلمُ اكتشاف هذه الحركة حَدثًا جديدًا في كتابِ الدُّنيا. لقد جمعَتِ الآيَةُ الشَّريفة علمًا اعتُبِرَ اكتشافُه في العصرِ الحديث نصرًا للعلم والعلماء؛ إذْ تقول الآيَةُ: إنّ المجموعَةَ الشَّمسية وما حولها تتحرَّك في الفَلَك وأنَّ الشَّمس تجري إلىٰ بعيد فيه، وليس إلىٰ قريبٍ؛ إذ لا ينبغي أن تَلْحَق القمَرَ بالنُّزول إلىٰ فلكِهِ وأنّها تجري لمُسْتقرٍّ لها.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يقالَ: ليس للأرض حركةٌ كما زعمه الصَّوَّاف تَقْليدًا لكوبرنيك وهرشل وأتباعِهما مِن فلاسفة الإفرنج ومَن يقلِّدهم ويحذو حذْوَهم مِن العصْرِيِّين.

والقَوْل بحرَكَةِ الأرْضِ مخالِفٌ للأدِلَّة الكثيرَةِ منَ الكِتاب وَالسُّنَّةِ وإجماعِ المُسْلمينَ. وقدْ ذَكَرْتُ الأدِلَّةَ علىٰ سكونها مستوفاةً في أوّل «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَكُلُّ قولٍ خالف ما جاء عنِ الله تَعالىٰ ورسولِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وما أجْمَع عليه المسلمون، فمضروبٌ به عُرْض الحائِطِ، ومَردودٌ علىٰ قائِله كائنًا مَنْ كانَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ الله تَعالىٰ فرّق بينَ الأرْضِ والشَّمس؛ فأثْبَت لِلشّمس الجَريانَ في عِدَّة مواضِعَ مِن كتابِهِ، وأثْبَت لها السّبْح في الفَلَك، ونَصّ علىٰ أنَّه يأتي بها مِن المشرق، ونَصّ علىٰ طُلوعها ودُلوكها وغُروبها وَتَزاورها، وَنَصَّ علىٰ أنَّها هي والقمرُ بِحُسْبانٍ، وأنَّه سخَّرَهما لعبادِهِ دائِبَيْنِ، وَالدُّؤوب إِدَامة السَّيْرِ -كَما نصَّ علىٰ ذلك أئمَّةُ اللُّغَةِ-.

وقدْ جاء عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في إِثْبات جريانِ الشَّمس وسيرِها في الفَلَك أحاديثَ كثيرَةً صحيحةً، ذكرتها في «الصَّواعِق الشَّديدَة».

وأمَّا الأرْض، فقد تَضافرَتِ الأدلَّةُ الكثيرَةُ مِن الكتاب والسُّنَّةِ علىٰ سكونها وثَباتها، وأجْمَعَ المُسْلمون علىٰ ذلك، وَأَجْمع عليهِ أهلُ الكِتاب -أَيْضًا- كما حكاهُ القُرْطبيُّ عنْهُم في «تفسيرِهِ»(١)، ودلَّت علىٰ ذلك الأدِلَّةُ العقليَّةُ الصحيحَةُ. فأبَىٰ الصَّوَّافُ وأشباهُه مِن أَتْباع الإفرنج ومقلِّدوهم إِلَّا أنْ يجمعوا بيْنَ ما فرَّق اللهُ ورسولُه بينَهُما، وأنْ يُخالفوا إجماعَ المسلمين، وهذا عيْنُ المُحادَّةِ لله ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وقدْ قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ

---

(١) (١٠/ ٩٠).

جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

الوَجْه الثَّالثُ: أنَّ الآيتَيْن مِنْ سورَةِ: ﴿يسٓ﴾ لَيْس فيهِما ما يدُلُّ علىٰ حركَةِ الأرْضِ بوجْهٍ من الوجوه، ومَنِ استَدَلَّ بهما علىٰ حركة الأرضِ، فهو مُفْترٍ علىٰ الله، وقد قال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [يونس: ٦٩-١١٧].

الوَجْهُ الرَّابعُ: أنَّ الآيتينِ حجَّةٌ علىٰ الصَّوَّاف وأشباهِهِ مِن أتْباع أهل الهيئَةِ الجديدَةِ، فإنَّ فيهما النَّصَّ علىٰ جَريان الشَّمس إلىٰ مستقرِّها، والنَّصَّ علىٰ أنَّها تَسْبَح في الفَلَك، وهذا يَرُدُّ ما قرَّره الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦١ مِن أنَّ الشَّمس ثابتَةٌ علىٰ مِحْورِها، ومُتَحَرّكة حولَ هذا المِحْور، وأنَّها مِثْلُ المِرْوحةِ السَّقْفيّةِ الكَهْربائِيَّة.

وقدْ جاء بيانُ جَريان الشَّمس إلىٰ مُستقرِّها في الحديث الصّحيحِ عَنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ حينَ غَرُبَتِ الشَّمس: «**تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ**

تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِلبُخَارِيِّ، وَرَواهُ الإمامُ أحمَدُ وأبو دَاودَ الطَّيالِسِيُّ وَالتِّرْمذيُّ بنحْوِه، وَقالَ التِّرْمذيُّ: «هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ»، قالَ: «وفي البابِ عنْ صفوانَ بْنِ عَسّالٍ، وَحُذيفَةَ بْنِ أسيد، وَأَنسٍ، وَأَبِي مُوسىٰ»، انْتهىٰ.

وَفي رواية لِمُسْلم أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي، ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ؛ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٤)، ومسلم (١٥٩)، وأبو داود (٤٠٠٢)، والترمذي (٢١٨٦، ٣٢٢٧)، وأحمد (٥/ ١٥٢)، والطيالسي في «مسنده» (٤٦٢)، وغيرهم من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهذا الحديثُ يوضِّح المُرادَ مِن قولِهِ تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨].

وفيهِ الرّدُّ علىٰ مَنْ تأوَّلَ الآيَةَ عَلَىٰ غيرِ تأويلِها كَالصَّوَّاف وأشْبَاهِهِ مِنَ المُتخَرِّصين القائلينَ فِي كتابِ الله بغير عِلْمٍ.

فإنْ قيل: إنّ الشَّمسَ لا تزال طالعةً علىٰ الأرْضِ، ولكنَّها تَطْلع عَلىٰ جِهةٍ منْها، وتَغْرب عَنِ الجِهة الأخرىٰ، فأين يكونُ مُسْتَقرُّها الذي إذا انْتهتْ إليه سجَدَتْ، واستَأْذنت في الرُّجوع منَ المَشْرق؟

فالجَوابُ أنْ يُقال: حسْبُ المُسْلم أنْ يُؤْمِنَ بِما جاءَ في الأحادِيثِ الصحيحَةِ عنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ويَعْتَقِدَ أنَّه هو الحَقُّ، ولا يتكلَّفُ ما لا عِلْم له به مِنْ تعْيين المَوْضِع الَّذي تَسْجُدُ فيهِ الشَّمس، بلْ يَكِلُ علْمَ ذلك إلىٰ عالمِ الغَيْبِ والشّهادَةِ.

وقدْ جاء في «الصّحيحينِ» و«مُسْند الإمام أحمَدَ» عنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: سألْتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن قوْلِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨] قال **«مستقرها تحت العرش»**.

فهَذا المُسْتَقرُّ الذي أخبَرَ به رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا انتَهَتْ إليه الشَّمسُ سجدَتْ واستأذَنَتْ في الرُّجوع مِن المَشْرِق؛ فيؤذَنُ لَها، فإذا كانَ في آخِرِ الزَّمانِ سجدَتْ كما كانت تَسْجُدُ فلَم يُقبَل منْها، واستأذنت في الرُّجوع مِن

المَشْرِق؛ فلَمْ يؤذَنْ لها، يقال لها: ارْجِعي من حيثُ جئت؛ فتطلُعُ مِن مغْرِبها.

وقدْ قال ابْنُ كثيرٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «البِدايَةِ والنِّهايَةِ»(١) في الكلام علىٰ حديث أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وما جاء فيه من سُجودِ الشَّمس ما مُلَخَّصُه: «لا يَدُلُّ علىٰ أنّها -أي الشَّمس- تَصْعَد إلىٰ فوق السّمواتِ مِن جهَتِنا حتَّىٰ تسجُدَ تحتَ العرشِ، بلْ هي تغرُب عن أعيننا وهي مسْتَمِرَّة في فَلَكِها الذي هي فيه، فإذا ذهَبَت فيه حتىٰ تَتَوسَّطَه وهو وقت نصف الليل، فإنَّها تكونُ أبعدَ ما تكون من العرْشِ؛ لأنَّه مُقَبَّب مِن جهةِ وجْهِ العالَم، وهذا محَلُّ سجودِها كما يناسِبها، كما أنَّه أقرَبُ ما يكونُ مِن العرْشِ وقتَ الزّوالِ مِن جِهتِنا، فإذا كانَتْ في مَحَلِّ سُجُودِها اسْتَأْذَنتِ الرَّبَّ جَلَّجَلَالُهُ في طُلُوعِها مِن المَشْرِق؛ فيُؤْذَن لنا؛ فتَبْدُو من جِهة المشرق، وهي مع ذلك كارِهَةٌ لِعُصاةِ بَنِي آدَمَ أنْ تَطْلَعَ عليْهِم.

فَإذا كانَ الوَقْتُ الذي يريد اللهُ طلوعَها منْ جهة مغربها تسْجُد علىٰ عادَتِها وتسْتَأْذِن في الطُّلوع مِن عادَتِها؛ فلا يُؤْذَن لها، فَجاء أَنَّها تَسْجُد -أَيْضًا- ثمَّ تَسْتَأْذِن فلا يُؤْذَن لَها، ثُمَّ تَسْجُد فلا يُؤْذَن لها، وَتَطُول تِلْك اللَّيْلَةُ؛ فتقول: يا رَبِّ إنَّ الفَجْرَ قد اقْتَرَب، وَإِنَّ المَدىٰ بعيدٌ، فيقالُ لها: ارْجِعي من حيثُ جِئْت؛ فَتَطْلُعُ منْ مغرِبِها، فإذا رآها النَّاس آمَنُوا جميعًا، وذلِكَ حينَ لا يَنْفَع نَفْسًا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيرًا.

(١) (١/ ٧٠).

وَفَسَّروا بذلك قولَهُ تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨] قيل: لِوَقْتها الذي تُؤْمَرُ فيه أنْ تَطْلُع من مَغْرِبها، وَقيل مُسْتَقَرُهَا مَوْضِعُها الذي تسْجُدُ فيه تحتَ العرش، وقيلَ: مُنْتهىٰ سَيْرِها وهو آخِرُ الدُّنْيا.

قلْتُ: والقَوْلُ الثَّاني أظْهَر، وَيُؤَيِّده ما تَقَدَّم مِن رِوايةِ مُسْلِم عنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «أتدْرونَ أيْنَ تذهب الشَّمس؟»، الحَدِيثَ.

قالَ ابْنُ كثيرٍ(١): «وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قرَأَ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨]، أيْ لَيسَتْ مسْتَقِرَّةً؛ فَعَلىٰ هذا تَسْجُدُ وهي سائِرَةٌ»، انْتهىٰ.

وَقال ابنُ العربِيِّ: «أنكر قومٌ سجودها، وهو صحيحٌ مُمْكِنٌ»(٢).

قُلْتُ: إنّما يُنْكر ذلك مَنْ يرتابُ في صِدْق النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأمَّا مَنْ لا يشُكُّ في صدْقِهِ، ويعتَقِدُ أنَّهُ كما أخبرَ اللهُ عنْهُ بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤]، فلا يُنْكَر ذلك، وَلا يُرْتابُ فِيه.

الوَجْه الخامِسُ: أنْ يقالَ: مِن المزاعم الباطلة والتَّخَرُّصات والظُّنون الكاذبة زعْمُ الصَّوَّاف وَسَلَفِه أهْلِ الهيئَةِ الجديدة وأتباعِهم أنَّهم اكتشفوا حركةَ

(١) المصدر السابق (١/ ٧٢).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢٩٩).

الأرْضِ ودورانَها حول نفْسِها وحول الشَّمس، وهؤلاء يَنْطبقُ عليهم قولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

الوَجْه السّادس: أنْ يقالَ: مِنْ قَلْبِ الحقائِقِ زعْمُ الصَّوَّاف أنَّ أهل الهيئة الجديدة مِن العلماء، وأنَّ تَخَرُّصاتِهم وظنونَهُم الكاذبَةَ مِن العِلْمِ، وَالصّحيحُ المُطابق لِلواقع أنْ يُقالَ: إِنّهم الجاهلون المُحادُّون لله ولرسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنّ تَخَرُّصاتهم هي الجَهْل الكثيفُ.

العِلْـــمُ: قـــالَ اللهُ، قـــالَ رَسُـولُهُ قَـالَ الصَّـحابَةُ هُـمْ أولـو العِرْفـانِ

مَـا العِلْـمُ نَصْـبَكَ لِلخِـلَافِ سَـفَاهَةً بَـيْنَ الرَّسُـولِ وَبَـيْنَ رَأْيِ فُـلَانِ(١)

وَلَا يغْتَرُّ بأباطيلِ أعداءِ الله وتَخَرُّصاتهم ويرىٰ أَنَّها علوم رائعةٌ إِلَّا مَنْ هو مِن أَجْهَلِ النّاسِ.

الوَجْه السّابعُ: مِن جَراءة الصَّوَّاف علىٰ الله تَعالىٰ، وعلىٰ القَوْلِ في كتابه بغير علمٍ، زعْمُهُ أَنَّ القرآن قد سبَقَ جَهْل أهلِ الهيئة الجديدة إلىٰ القَوْل بحركَةِ الأَرْضِ ودورانها حوْلَ نفسها وحوْلَ الشَّمس، وهذا مِن الافتراء علىٰ الله تَعالىٰ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾ [يونس: ٦٠].

الوَجْهُ الثَّامِن: مِن قَرْمَطَةِ الصَّوَّاف زعمُهُ أَنَّ الآية مِن سورة: ﴿يسٓ﴾ تقول: إِنَّ المجموعة الشَّمسيَّةَ وما حولها تتحرَّكُ في الفَلَك، وأَنَّ الشَّمس تجري إلىٰ بعيدٍ فيه، وليسَ إلىٰ قَريبٍ؛ إذْ لا يَنْبَغِي لها أَنْ تلحَقَ القمَرَ بالنُّزول إلىٰ فَلَكِه.

وَهَذا مِنَ الإلحادِ في آياتِ اللهِ، وتحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضِعِه.

وَأَيْنَ في الآية مِن سورة: ﴿يسٓ﴾أو غيرِها مِن آيات القرآن ذِكْرُ المَجْموعَةِ الشَّمسية وما حَوْلَها.

وَأَيْنَ في الآية أَنَّ الشَّمس تجري في الفَلَك إلىٰ بَعِيدٍ فِيهِ، وليْسَ إلىٰ قريبٍ.

---

(١) انظر: «القصيدة النونية» لابن القيم (ص٢٢٦).

وَأَيْنَ في الآية أنَّ الشَّمس لا ينبغي لَها أن تلْحَق القمرَ بالنُّزول إلىٰ فلَكِه.

وَقَد تقدَّم قريبًا حديثُ أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بيان المُراد منْ قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، وَالعُمْدَة عليه لا علىٰ ما خالفه. وليس فيه ما يُشيرُ إلىٰ أنَّ هناك مجموعةً شَمْسِيَّةً، ولمْ يُرْوَ عنِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنَّ هناك مجموعَةً شمسيَّةً، ولم يُرْوَ ذلك عن أحَدِ الصّحابة ولا التابعين ولا تابعيهم بِإِحسان ولا أئمةِ العِلْم والهُدىٰ مِن بعدِهم، وإنَّما قال ذلك أهلُ الهيئة الجديدة مِن فلاسفة الإفرنج، معتمدين علىٰ أرْصادهم وتَخرُّصاتهم وظنونهم الكاذِبَةِ، وَتَلَقّىٰ ذلك أتباعُهم منَ العصريِّين بالقَبُول والتَّسْليم، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَأمَّا قولُه تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠]؛ فمعناه كما قال مجاهد: «لكُلٍّ منْهما حَدٌّ لا يَعْدُوه ولا يُقصِّر دُونَه، إذا جاء سُلْطان هذا ذَهَب هذا، وإذا ذَهب سُلطانُ هذا جاء سُلْطَانُ هذا».

وَقال عكرمة: «يَعْني أنَّ لكلٍّ مِنْهما سُلْطانًا فلا ينبغي لِلشَّمْس أنْ تَطْلع بالليْلِ»(١).

الوَجْه التَّاسِع: أنَّ القوْلَ فِي القُرآن بِمُجَرَّد الرَّأْيِ حَرَامٌ شديدُ التّحريم، وقَدْ ورد الوعيدُ الشّديدُ علىٰ ذلك؛ كما في الحديث الَّذي رواه الإمامُ أحمد والترمذيُّ وابن جرير والبغوي عنِ ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قالَ: «**مَنْ قَالَ فِي القرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لا يَعْلَمُ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، هَذَا لفظُ ابْنِ جريرٍ، وقال التّرمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»(٢).

ورَوىٰ التِّرمذي -أَيْضًا- وأبو داود وابنُ جرير والبغوي عن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»، قال التِّرمذي: هذا حديثٌ غريبٌ(٣). قالَ: «وَهكذا رُوِي عن بعضِ أهل العلم مِن أصحاب النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرِهم أنَّهم شَدَّدوا في هذا، أنْ يفسَّرَ القرآنُ بغيرِ علْمٍ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ٥٧٨، ٥٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨- ٢٥٩) من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٥).

وَأَمَّا الذي رُوي عنْ مجاهد وقتادة وغيرِهما مِن أهل العلم أَنَّهم فَسَّروا القُرْآن، فَلَيْس الظَّنُّ بِهِم أَنَّهم قالوا في القرآن أو فَسَّروه بِغَيْر عِلْمٍ، أو مِنْ قِبَلِ أنْفُسِهم، وقدْ رُوِي عنْهم مَا يدُلُّ علىٰ ما قُلْنا أَنَّهُم لم يقولوا مِن قِبَلِ أَنْفُسِهم.

ثمَّ رَوىٰ بِإِسْنادِهِ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قالَ: ما في القرآنِ آيَةٌ إِلَّا وقد سمِعْتُ فيها شيئًا.

وروىٰ -أَيْضًا- عنْ مُجاهِدٍ أَنَّه قال: لوْ كُنْت قرَأْتُ قِراءَةَ ابْنِ مَسْعودٍ لم أَحْتجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنِ عبّاس عن كثيرٍ مِن القرآن ممَّا سألْتُ»(١)، انْتَهىٰ كلامُ التِّرْمِذِيِّ.

وقال البغويّ: «قال شيخُنا الإمام: قد جاءَ الوعيدُ في حقِّ مَن قال في القُرآن برأيه، وذلك فيمَن قالَ مِن قبَلِ نفسِه شيئًا منْ غيرِ علْمٍ، وأمَّا التَّفْسيرُ، وهو الكلامُ في أسْبابِ نُزولِ الآيَةِ وشَأْنِها وقصّتِها، فلا يَجوزُ إِلَّا بالسَّماعِ بعدَ ثُبوتِهِ مِنْ طريقِ النَّقْلِ»(٢) انْتَهىٰ.

وَلا يَخْفَىٰ عَلىٰ مَن له أدْنَىٰ عِلْمٍ وفَهْمٍ أَنَّ ما زعمَهُ الصَّوَّاف في مَعْنَىٰ الآيتيْنِ منْ سورة: ﴿يسٓ﴾ لم يكنْ مِن طريقِ النَّقْل الثَّابِتِ، وَإِنَّما هو تخرُّصٌ وتخبُّطٌ بِمُجرَّدِ الرّأيِ فهو بذلك مُتَعرِّض للوعيدِ الشّديدِ.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٦).

الوَجْه العاشِرُ: أنْ يقالَ: مِن الخطَأِ ما يستعمِلُه الصَّوَّاف وكثيرٌ مِن العصريِّين منْ إضافة القولِ إلىٰ القرآن أو إلىٰ بعضِ الآيات منْه كقَوْل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٢: (إِذ تقولُ الآية: إنَّ المجموعةَ الشَّمسية... إلىٰ آخره)، وقولُه فِي صَفْحَةِ ٤٣: (هذا قول القُرْآنِ). وهذا الصّنيع منه خِلاف ما كان عليْهِ رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُهُ -رضوان الله عليهم أجمعين-، وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسانٍ؛ فإنّهُم ما كانوا يقولون: (قال القرآن كذا، ويقول القرآن كذا. وَلا قالت الآيَةُ كذا، وتقولُ الآية: كذا)، وإنَّما كانوا يقولونَ: قال الله كذا، ويقول اللهُ كذا. فيُضِيفون القوْلَ إلىٰ قائلِهِ المُتكلِّم به وهو اللهُ تَعالىٰ، والقرآنُ كلام الله وقولُه، وليس الكلامُ هو المُتكلمَ القائِلَ حتىٰ يضافَ القَوْل إِلَيْه.

وَلَعلّ السّببَ في إضافَةِ كثيرٍ مِن العَصْريِّين القَوْلَ إلىٰ القرآن أو إلىٰ بعْضِ الآيات منْهُ هو ما كان عليه بعضُهم مِنَ المَيْل إلىٰ قول الجَهْمِيّةِ في القُرآن أنَّه مخلُوقٌ، وأنَّ اللهَ تَعالىٰ لا يتكَلَّم ولا يقول؛ فهُمْ لذلك يقولونَ: (قال القرآنُ كذا، ويقول القرآن كذا، وقالت الآية كذا، وتقول الآية كذا)؛ فِرَارًا من أنْ يقولوا: (قال الله، ويقولُ اللهُ)، وَمَنْ لم يكنْ منهم علىٰ رأيِ الجهميَّةِ فهو مقلِّدٌ لمَن كان علىٰ رأي الجهمية في العُدول عن إضافة القولِ إلىٰ قائله، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

فصل

قال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٢: «وحرَكَةُ الأرْضِ وردَتْ في غيرِ هذه الآيَةِ؛ فيقولُ المَوْلىٰ سبحانه في سورة النمل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، فضرَبَ اللهُ المَثَل بحركة الأرْض بِمرورِ الجبال، وهي أبرزُ ما عليها، وليس ذلك في يوم القيامة؛ إذ يقول -جلَّ شأنه-: إِنّ في القيامة لن تكون هناك جبالٌ؛ ففي سورة طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، وفي سورة الواقعة: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٥-٦]».

وَالجوابُ عنْ هذا مِن وجهَيْنِ:

أحدُهُما: أن يُقال: لم يَرِد في القرآن ما يدلُّ علىٰ حركة الأرض بوجه مِن الوجوه، وما زعمه الصَّوَّاف وأشباهه في الآية مِن سورة النمل وغيرها من الآيات أنّها تدل علىٰ حركة الأرض؛ فكلُّه مِن الإلحاد في آياتِ الله وتحريفِ الكلم عن مواضعه.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت: ٤٠-٤٠]، وفي هذه الآيةِ تهديدٌ شديد ووعيد أكيدٌ لمَن ألحد في آيات الله

تَعالىٰ ووضَعَ كلامه علىٰ غير مواضعِهِ.

وهلَّا قرأَ الصَّوَّاف ما قبْلَ الآيةِ وما بعدها حتَّىٰ يَعْلَم أنَّه لا مُتَعلَّق له في الآية الكريمَةِ، وإِنَّ ما ذكر فيها من مُرور الجِبال مِثْلَ مر السحاب إنّما يكون بعد النَّفْخِ في الصُّور وليْسَ قبْلَهُ.

وَهَلَّا قرأ -أَيْضًا- قول الله تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقولَهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الطور: ٧-١١]، وقولَهُ تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ١-٣] إلىٰ قَوْلِه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]. وقولَهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ: ١٧-٢٠].

ففي هذه الآيات أوضَحُ دليلٍ علىٰ أنَّ تسييرَ الجبال ومرورها مِثْل مَرِّ السّحابِ إنّما يكون يوم القيامة. وقدْ أوضح اللهُ ذلك في آياتٍ كثيرَةٍ مِن القرآن سِوىٰ ما ذكرنا ههنا. وقد ذكرتُها مستوفاة في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، مع الرّدِّ علىٰ مَنِ استدَلَّ بالآية من «سورة النّمل» علىٰ حركة الأرض وسيرها؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ اللهَ تَعالىٰ ذكرَ في القرآن مرورَ الجِبال وسيرَها، ولم يذْكُر

عنِ الأرْضِ مرورًا وسيرا أبدًا، ولو كان الأمر علىٰ ما زَعَمَه الصَّوَّاف وأشباهُه مِن أتْباع أهل الهيئَةِ الجديدَةِ لَنَصَّ تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ سيْرِ الأرْضِ ومرورها، ولم يَخُصَّ الجبالَ بالنّصِّ دون الأرْضِ. وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وتخصيصُ الجبالِ بالمُرور يدُلُّ علىٰ أنَّ ذلك خاصٌّ بها دونَ الأرْضِ.

وقدْ أوضحَ اللهُ ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

* * *

فصل

قالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٢ - ٤٣ ما نصُّه:

«كما وردَ في القرآن أنَّ الله ربَّ المشرق والمغرِبِ، وأنَّهُ رَبُّ المَشْرقيْنِ والمَغرِبَيْنِ، وأنَّهُ رَبُّ المشارق والمَغارِبِ. أيْ أنَّ المَشرِق والمَغرِب يَختلفُ يومًا عَنْ يومٍ؛ فَهُناك أقْصَىٰ وَأَقْرب مَشْرِقَيْن وَأَقصىٰ وأَقْرب مَغْرِبين، وَبَيْنهما مشارِق ومغارب، هذا قولُ القرآن الكريم منْ ألفٍ وأربعِمائة سنةٍ. فما قول العلم؟

كان أول من قال بحركَةِ الأرض حول محورها العالم «كوبرنيكس» في عام ١٥٤٣ أي بعْدَ تاريخ القرآن بألفِ سنَةٍ، وقرّر أنَّ ما يظهر للنَّاس مِن حركة الشَّمس والنُّجومِ إنّما هو ناتِجٌ مِن دوران الأرض، وقد اتَّهمه رجالُ الدّين عندئذ بالكفْرِ والمُروق عن الدّين، وتوالت بعد ذلك أبحاثُ علماءِ الفَلَك حتىٰ وصلوا إلىٰ ما قرَّرَه القرآن الكريمُ، وليس هناك أبلغُ ولا أدقُّ ممَّا يقولُهُ حجَّةُ عِلم الفَلَك العالم «سيمون» من أنَّ أعظمَ الحقائق الَّتي اكتشفها العقل البشرِيُّ في كافَّة العصور هي حقيقَةُ أنَّ الشَّمس والكواكبَ السَّيَّارَة وأقمارَها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا علىٰ الأرض، يكفي لتصويرها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يوميًّا فلن تصل مجموعتنا الشَّمسية إلىٰ هذا البرج إِلَّا بعد مليون ونصف المليون سنةٍ من وقتنا الحاضر.

أليست هذه إحدىٰ معجزات القرآن العلمية؟».

والجَوابُ عن هذا مِنْ وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقال: إِنّ الظّاهرَ مِن صنيعِ الصَّوَّافِ حيثُ ذَكَر المَشْرق والمَغْرب، وَالمشرِقَيْنِ والمغرِبَيْن، والمشارِقِ والمغارب، ثمَّ عقَّب ذلك برأي «كوبرنيكس وسيمون» أنَّه يرىٰ أن المشرق والمغرب والمشرقَيْنِ والمغْربَيْنِ وَالمشارقَ والمغاربَ- للأرض؛ لِأَنَّها هي الَّتي تدور علىٰ الشَّمس، علىٰ حد زعمهم الكاذبِ، وتقريرِهم الفاسِدِ الَّذي ذكره ههنا عن

«كوبرنيكس»، وهو أن ما يظهر للنّاس منْ حرَكَةِ الشَّمس والنُّجُوم إنما هو ناتج من دوران الأرض، وهذا من قلب الحقيقة ومن الإلحاد في آيات الله تَعالىٰ، وتحريفِ الكلم عن مواضِعِه.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يقالَ: ليس في الآيات الَّتي ذكرَ الله فيها المشْرِق والمغْرِبَ، والمشرِقَيْن والمغرِبَيْنِ والمشارق والمغارب ما يدُلُّ علىٰ حركة الأرْضِ ودورانها بوجْهٍ مِن الوُجوهِ، وَإِنّما هي حجَّةٌ علىٰ مَنْ أنْكَرَ جَريانَ الشَّمس في الفلك وسيرَهَا مِنَ المَشْرق إلىٰ المغرب كلَّ يوم، وسواءٌ مَن زعم أنَّها ساكِنَةٌ لا تتحرك أصلًا، وَمَن زعم أنَّها ثابتَةٌ علىٰ مِحْورها ومتحرِّكَةٌ حول هذا المحور مِثْل المِرْوحة السَّقْفِيّة الكهربائية.

وَمَنْ قال: (إِنها ومجموعتها تجري في الفضاء بسُرْعةٍ عظيمَةٍ نحوَ برج النسر)؟!

ومَن قال: (إِنها ونظامَها تنهب الفضاءَ نهبًا بسرعة عظيمةٍ متجهة نحو برج هركيوليس)؟! فكلُّ هؤلاء متخرِّصون وضالُّون عن الحقِّ، وفي الآيات الَّتي أشرنا إليها أبلغ ردٍّ عليْهِم.

وقدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] الآية.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]

فذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآية الأولىٰ أنه يأتِي بالشَّمس من المَشْرق، وأضاف في الآيةِ الثَّانية والآيةِ الثَّالثة المَطلِع والمَغْرِب إِلَيْهَا؛ فدَلّ علىٰ أنَّ المراد بالمشرق والمغرب عنْدَ الإطلاق مشرِقُ الشَّمس ومغربُها، وكذلك المراد بالمشرقيْنِ والمغربيْنِ والمشارقِ والمغاربِ، وهذا أمر معلومٌ بالضرورة عند كلِّ عاقل؛ كما أنَّه معلومٌ بالمشاهدة -أَيْضًا-، وقد قرَّر ذلك المفسِّرون وأئمَّةُ اللُّغَةِ.

قال ابنُ كثيرٍ في «تفسير سورة الرحمن»(١) عند قوله تَعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]: «يعني مشْرِقَي الصَّيْف والشِّتاء ومغربي الصَّيْف والشِّتاء». وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]: «وذلك باخْتلافِ مَطالِعِ الشَّمس وتنَقُّلِها في كلِّ يوم وبروزِها منه إلىٰ النَّاس». وقال في الآيةِ الأخرىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]: «وهذا المرادُ مِنْه جِنْس المَشارق والمَغاربِ».

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٩٢).

وَقال -أَيْضًا- في تفسير سورة الصَّافات[١]: «وقال تَعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، يعْنِي في الشّتاء والصّيف لِلشّمس والقَمَر».

وَقال ابْنُ منظورٍ في «لسان العرب»[٢]: «وقولُه تَعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] أحدُ المغربَيْنِ أقْصىٰ ما تنتهي إليه الشَّمس في الصّيْفِ، والآخَرُ أقْصَىٰ ما تَنْتَهي إليه في الشِّتاء، وأحدُ المشرقين أقصىٰ ما تُشْرِق منه الشَّمس في الصّيف، وأقصىٰ ما تُشْرق منه في الشِّتاء، وبين المَغْرب الأقصىٰ والمَغْرِب الأدنىٰ مِائَةٌ وثَمانون مَغْرِبًا، وكذلك بيْنَ المَشْرقيْنِ».

وَفِي «التّهذيبِ»[٣]: «للشَّمس مشْرِقانِ ومغْرِبان، فأحَدُ مَشْرقَيْها أقْصَىٰ المَطالع في الشِّتاء، والآخَرُ أقْصىٰ مطالِعِها في القَيْظِ، وكذَلك أحدُ مغربَيْهَا أقْصَىٰ المغارب في الشّتاء، وكذلك في الجانِبِ الآخر، وقولُهُ -جلَّ ثناؤه-: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] جَمْعٌ؛ لِأَنَّهُ أُريدَ أنَّها تُشْرِق كُلَّ يومٍ مِن موضع وتَغْرُب في مَوْضع إلىٰ انتهاءِ السَّنَةِ».

وَفِي «التّهذيب»[٤]: «أَرادَ مشرِقَ كلِّ يومٍ ومغربَه؛ فهي مائةٌ وثمانونَ

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٦).

(٢) (١/ ٦٣٧).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ١١٨).

(٤) المصدر السابق.

مَشْرِقًا ومائِةٌ وثمانون مَغْربًا، والغُروبُ: غُيوبُ الشَّمسِ، غَرَبَتِ الشَّمسُ تَغْرُبُ غُرُوبًا ومُغَيْرِبانًا غابَتْ في المَغْرِب، وكذلك غَرَبَ النَّجْم وَغَرَّب» انْتَهىٰ.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ ما ذكره الصَّوَّاف عن (كوبرنيكس وسيمون) ليْسَ بِعِلْمٍ كَما زعم ذلك في قوله: «فما قولُ العلمِ»، وإنَّما هي تَخَرُّصاتٌ وظُنونٌ كاذبةٌ أوحاها الشَّيطان إليهم، وفتنَهُم بها، وفتَنَ بها أتباعَهُم والمقلدين لهُمْ مِن الجَهَلة الأغْبياءِ الذين لا يسمَعونَ ولا يَعْقلون: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقدْ قالَ الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] الآياتِ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ

مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

الوجْهُ الرَّابع: أنَّ كلامَ الصَّوَّاف ينْقُضُ بعضُهُ بعضًا، فقدْ ذكرَ ههنا أنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ بحرَكَةِ الأرْضِ حوْلَ محوَرِها «كوبرنيكس».

وذكر فِي صَفْحَةِ ٣١ أنَّ بعض الفلكيِّين في زمن العباسِيِّن قالوا بحركَةِ الأرْضِ، وهذا تناقضٌ.

والصّحيح ما ذكرَهُ ههنا، وهذه الأوَّلِيَّة بالنِّسبة لإحياء مَذْهَب فيثاغورس اليونانِيِّ بعْدَ أنْ كانَ عاطلًا مهجورًا مِن قِبَلِ زمانِ المَسِيح بِنَحْوِ مِائَةٍ وخَمْسينَ سنَةً، وأمَّا علىٰ الإطلاق فالأوَّلِيَّةُ لفيثاغورس؛ فهو أوَّلُ مَن قال بحركة الأرْضِ ودَوَرانِها حوْلَ الشَّمس.

ومِن تناقض الصَّوَّاف -أَيْضًا- أنَّه ذكر في هذا المَوْضِع أنَّ الشَّمس والكواكب السّيّارةَ وأقمارَها تجري في الفضاء نَحْو برج النّسر بسرعة غيرِ معهودَةٍ لنا علىٰ الأرض.

وقال فِي صَفْحَةِ ٣٨: إِن النّظام الشَّمسيّ كلَّه ينهب الفضاء نهبًا بسرعة متجهة نحو برج هركيوليس.

وقال فِي صَفْحَةِ ٦١: إن الشَّمس ثابتَةٌ ومتحرِّكَةٌ في آنٍ واحد، ثابتةٌ علىٰ

محورِها ومتحرِّكَةٌ حوْل هذا المحور، أيْ دائرَةٌ حوْلَ نفْسِها مثْلَ المِروحَةِ السّقفِيّةِ الكَهْربائِيَّةِ، وهذا تناقض عجيبٌ. وقد تقدَّم التنبيهُ عليه، وهذه الأقوالُ المتناقِضَة كلُّها باطِلَةٌ كما هو موضَّح فيما تقدَّم، وفيما سيأتي إن شاء الله تَعالىٰ.

الوَجْه الخامِسُ: أنَّ ما زعمه الصَّوَّاف مِن كون «سيمون» حجَّةٌ في عِلْم الفَلَك مردودٌ. وكذلك غَيْر «سيمون» من الفلكيِّين، فليس قولُ أحد منهم وتخرُّصُه حجَّةً علىٰ غيْرِهِ.

وقد أجمع المسلمون علىٰ أنَّ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحُجَّة.

قال مجاهدٌ: «ليْسَ أَحَدٌ بعدَ النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يؤخذ مِنْ قولِهِ ويُتْرك إِلَّا النَّبيّ» صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه البُخاريُّ في «جُزْءِ رفع اليَدَيْنِ» بإسنادٍ صحيحٍ[١].

واخْتلف العلماءُ في قول الصّحابي إذا لَمْ يظهَرْ له مُخالِف مِنْهم، والصحيح أنَّه حجَّةٌ[٢].

واختلفتِ الرّواية عن الإمام أحمد -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في الاحتجاجِ بِقولِ

---

(١) أخرجه البخاري في «جزء رفع اليدين» (١٠٣)، عن مجاهد به.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما أقوال الصحابة فإن انتشرت ولم تُنكر في زمانهم فهي حجة عند جماهير العلماء. وإن تنازعوا رد ما تنازعوا فيه إلىٰ الله والرسول، ولم يكن قول بعضهم حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء. وإن قال بعضهم قولًا ولم يقل بعضهم بخلافه، ولم ينتشر، فهذا فيه نزاع، وجمهور العلماء يحتجون به». انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٧٩).

عمَرَ بْنِ عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصَّحيحُ أنَّه ليس بِحُجَّةٍ.

وأمَّا مَنْ سواه من التابعين ومن بعدهم، فلا خِلاف أنَّه لا حُجَّةَ في قوْل أحدٍ منهم.

وإذا كانت أقوالُ علماء المسلمين بعدَ الصّحابة ليست بحجَّةٍ، فأقوال فلاسفة الإفرنج وتَخَرُّصاتهم أولىٰ وأحرىٰ أن لا تكونَ حُجَّةً، ولاسيما في الإخبار عن الأمور الغَيْبيَّةِ الَّتي لا تُعلم إلَّا عن طريق الوحي؛ فإن أقوالَهُم فيها وتَخَرُّصاتِهم مردودَةٌ عليهم بلا توقُّفَ.

الوَجْه السّادس: أنْ يقالَ: مِن قلْبِ الحقائِق وصفُ هوس «سيمون» وهذيانِه بأنَّه مِن أعظم الحقائِقِ الَّتي اكْتشفها العقلُ البَشريُّ في كافَّة العصور، وكفىٰ بالرَّجل جهلًا وغباوَةً أنْ يرىٰ الهوس والهذيانَ مِن أعظم الحقائِقِ.

الوجْهُ السّابع: أنْ يُقال: إِن العقول البَشرية أضْعفُ وأعجزُ منْ أنْ تكتشفَ ما في السَّماء الدُّنيا الَّتي بيْنَها وبيْنَ الأرضِ مسيرَةُ خمسِمائةِ عامٍ، وهي عن اكتشاف ما هو أبعدُ من ذلك أضعفُ وأعجَزُ، فضلًا عنِ اكْتِشاف البُرج الَّذي زعمَه «سيمون» في هوَسِه وهذيانِه، وحدد بُعدَه الشّاسعَ تحديدَ مَن ذهبَ إليْهِ وقاسه، أوْ مَن كان مَعه نصٌّ عنِ الله تَعالىٰ أو عنْ رسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطابق ما قالَه.

والتَّحقيق أنَّ ما قاله «سيمون» هو الجَهْل والهَوَسُ والهذيانُ الَّذي

يُشْبه هذيانَ المجانينِ، ومع هذا فقد صادَفَ هوسُه وهذيانُه آذانًا مُصغيةً إليه، وقلوبًا فارغةً من العلم النَّافع، بلْ منكوسَةً ترىٰ الحقَّ في صورة الباطِلِ، والباطِلَ في صورَةِ الحَقِّ، وَلَم يقفْ أهلُها عنْدَ هذا الحَدِّ، بَلْ جعلوا كتابَ اللهِ مَلْعبَةً لهم يُلْحدون فيه! وَيَتأَوَّلونَهُ علىٰ ما يُوافِقُ تَخَرُّصاتِ المتخرِّصين وهذيانِ المُبرسمين!

عافانا الله وإخواننا المسلمين مما ابتلاهم به.

الوجْهُ الثَّامن: أنَّ البروج كلَّها في السَّماء الدُّنيا بنَصِّ القُرآن؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

قالَ مجاهدٌ وسعيد بْنُ جبيرٍ وأبو صالِحٍ والحسَنُ وقتادَةُ: «البُروج هي الكواكِبُ العظامُ».

وقال البَغويُّ: «هي النُّجوم الكبارُ، مأخوذٌ من الظُّهور؛ يُقال: تبَرَّجَتِ المَرْأَةُ أَيْ ظَهَرَتْ»، وَقال -أَيْضًا-: «وَسُمِّيَتْ بروجًا؛ لِظهورها»[(١)].

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧].

---

(١) تقدم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾

[الملك: ٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذِه الآياتِ كلِّها النَّصُّ علىٰ أنَّ الكواكِبَ في السَّماء، وفي الآية مِن سورةِ الصَّافَّات وما بَعْدها النَّصُّ علىٰ أنَّها في السَّماء الدُّنيا.

وَالنَّسْر مِن جُملة الكواكِبِ الثّوابت الَّتي قَدْ جُعِلت زينةً للسَّماء الدُّنيا، وقدْ ثبتَ عن النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّهُ قال: «**بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمائَةِ سَنَةٍ**»، رَواهُ عَنِ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أرْبعَةٌ مِنَ الصّحابةِ، وَهُم: عبدُ اللهِ بْنُ عمرٍو، وَأَبُو هريرَةَ والعبَّاس، وأبو سعيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وروي -أَيْضًا- عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا، وله حُكْمُ الرَّفْعِ كنَظائِرِه.

وَفي الآياتِ الَّتي ذكرْنَا معَ هذه الأحاديثِ أبْلَغُ رَدٍّ عَلىٰ ما هَذىٰ بِهِ «سيمون» في بُعْدِ النَّسر.

الوجْهُ التَّاسِع: قال بعض السَّلف: إنّ ارتفاعَ العرش عن الأرض السَّابعةِ خمسون ألفَ سنَةٍ، ورواه ابنُ أبي حاتم عن ابنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا(١)

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢١)، وفي إسناده ليث وهو ابن

ولوْ كان الأمرُ في بُعْدِ النَّسر علىٰ ما زعمه «سيمون»، لكان محلُّه فوق العرْشِ، وهذا مِن أبطل الباطل؛ فإنَّه ليس فوق العرش شيْءٌ سوىٰ اللهِ تَعالىٰ.

الوجْهُ العاشِرُ: أنَّ الله تَعالىٰ قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَقال تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

وقدْ حكىٰ غيرُ واحد منَ العلماء الإجماعَ علىٰ أنَّ السَّموات مستديرةٌ، وقرَّروا أنَّ كلَّ سماءٍ محيطَةٌ بِالسَّماء الَّتي تحْتَها وما حَوتْ، والشَّمسُ في السّماء بنصِّ القرآن، وَسيأتي ما يدلُّ علىٰ أنَّها في السَّماء الدُّنيا، وعلىٰ هذا فالسَّمواتُ الشِّداد الَّتي ليس لها فُروجٌ، وليس فيها فُطورٌ، قد أحاطَتْ بالشَّمس من كلِّ جانب، فليس لها طريقٌ تَنْفُذُ منه وتذهب نحو البُرْج الَّذي توهمه «سيمون» بعقلِهِ الفاسدِ.

الوجْه الحادِيَ عَشَرَ: أنَّ الله تَعالىٰ قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا

=

أبي سليم «صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك»، قاله في «التقريب».

وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال تعالىٰ مُخْبِرًا عنْ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهُ قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾ [نوح: ١٥-١٦]. وفي هذه الآيات النَّصُّ علىٰ أنَّ الشَّمس في السَّماء.

وقدْ روىٰ ابن مردويه عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَمَّا السَّماءُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَهَا مِنْ دُخَانٍ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَزَيَّنَهَا بِمَصَابِيحَ، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**»(١).

وَرَوىٰ البيهقِيُّ في كتاب «الأسماء وَالصِّفات» بإسناد صحيح عنْ عبد الله بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «خَلَقَ اللهُ سبْعَ سمواتٍ، وخلَقَ فوقَ السَّابعةِ الماءَ، وجعل فوق الماءِ العَرْشَ، وَجعل في السَّماء الدُّنيا الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ والرُّجوم»(٢).

وفي الآيات الَّتي ذكرنا مع هذيْنِ الحديثَيْنِ ومع ما تقدَّم في الوجه الثَّامن

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩)، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وفي إسناده عمر بن موسىٰ وهو الوجيهي «ممن يضع الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢) (٨٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله.

من النُّصوص علىٰ أنَّ الكواكب في السَّماء الدُّنيا أبْلَغُ رَدٍّ علىٰ ما هَذَىٰ بِهِ «سيمون» في بُعْدِ النَّسر عن الشَّمس.

وَعلىٰ هذا؛ فنقولُ علىٰ سبيلِ الفرْضِ والتَّقدير: لوْ كانَ النَّسْر ثابتًا في موضعٍ مِن السَّماء لا يُزايلُهُ ثمَّ سارتِ الشَّمس نَحْوَه لَوَصَلَتْ إليْهِ في يوم واحد أو أقَلَّ مِن ذلك؛ لأنَّها تَقْطَعُ الفَلَكَ في يوْمٍ وليلَةٍ، وَتَقْطع مِن كُلِّ موضِعٍ مِنْه إلىٰ ما يُقابِلُه مِنَ النَّاحية الأُخْرىٰ في اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً، والمسافة بيْنَ جرمَيْنِ يَضُمُّهما سماءٌ واحدٌ لا تكون أكثرَ من نِصْف الفَلَك، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الوَجْهُ الثَّانِيَ عَشَرَ: أنْ يُقالَ: إنَّ القرآنَ مُنَزَّهٌ عن تَخَرُّصات كوبرنيكس، وَهَوَسِ سيمون وهذيانِهِ، وَما زعمه الصَّوَّاف مِن كوْنِ القرآنِ الكريم قد قرَّر ذلك، وأنَّه منْ معجزات القرآن العِلْمية فهو كَذِبٌ علىٰ اللهِ وعَلَىٰ كتابه.

وقدْ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [يونس: ٦٠]

وقال تَعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [يونس: ٦٩-١١٧]

وقال تَعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠]

وقال تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي

ﱡﭐ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﱠ [الأعراف: ١٥٢]، قالَ أَبُو قلابة: «هِيَ -واللهِ- لِكُلِّ مُفْتَرٍ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ».

وأيْنَ في القُرْآن أنَّ لِلأَرْضِ مِحْوَرًا، وَأَنَّها تَدُورُ حَوْلَهُ، وَأَنَّ ما يظهر للنَّاس منْ حركة الشَّمس وَالنُّجومِ إِنَّما هو ناتِجٌ من دوران الأَرْضِ؟

وأينَ في القرآنِ أنَّ للكواكب السَّيارة أقمارًا، وأنَّ هناك مجموعةً شَمْسِيَّةً، وأنَّ الشَّمس والكواكب السَّيَّارَةَ وأقمارَها تجري في الفضاء نَحْوَ بُرْج النَّسر بسرعة غيرِ معهودَةٍ للنَّاس عَلىٰ الأَرْضِ يكفي لِتَصْوِيرها أَنَّنا لَوْ سِرْنا بِسُرْعة مليون ميل يوميًّا فلَنْ تَصِلَ مجموعَتُنا الشَّمسيَّةُ إلىٰ هذا البُرْج إِلَّا بعد مليون ونصف مليون سَنَةٍ من وقتنا الحاضر؟

أَمَا يَسْتَحِي الصَّوَّاف مِن إيراد هذا الهذيانِ الَّذي يضحك منه الصِّبيانُ فَضْلًا عنِ العُقلاءِ؟!

أمَا يستحي من الجَراءة العظيمة علىٰ الله وعلىٰ كتابه؟!

أَمَا يخاف أنْ يلحقَه الوعيدُ الشَّديد الذي توعد الله به المفترين عليه؟!

الوَجْه الثَّالِثَ عَشَرَ: أنْ يُقالَ: إِنَّ تَخَرُّصات كوبرنيكس وهوسَ سيمون ليْسَتْ مِنْ علومِ المُسلمين، ومع هذا فقَدْ أدْخَلَها الصَّوَّاف في عِلْمِ الفَلَك الَّذي نسبه إلىٰ المسلمين، وهذا مِن أكبر الخطأ وأعْظَمِ الفِرْيةِ.

* * *

فصل

وقدْ ساق الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٤ وما بعْدَها إِلىٰ صَفْحَةِ ٥٤ كَلامًا للآلوسي، وقدِ استوفَيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وقدْ أدخل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٢ جمْلَةً ليسَتْ مِنْهُ، ولم ينبِّهْ علىٰ ذلك، وهذا مِن عدَمِ الأمانة في النَّقل، وهذه الجملة هي قوله: «بل هناك شُموسٌ وأقمارٌ لكلِّ كوكب أرْضِيٍّ أوْ سماوِيٍّ».

والجَواب أنْ يُقال: هذا قولٌ باطلٌ لا مُسْتندَ لَه سوىٰ التَّخَرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ علىٰ ما زعمه مِن تَعَدُّد الشُّموس والأقمار في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثال الحادِيَ عَشَرَ منَ الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدة؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: «لكلِّ كوكَبٍ أرْضِيٍّ»، فإنْ كان مرادُهَ أنَّ الأرض لها كواكبُ مِثْلُ السّماء فهو قولٌ باطِلٌ معلومُ البُطْلان بالضَّرورة عنْدَ كلِّ عاقل، وَإِنْ كان مرادُهُ أنَّ الكواكب صنفانِ بعضُها أرَضُون وَبَعْضُها سموات -كَما قدْ قالَهُ بعضُ أتْبَاعِ الإفرنج من العَصْرِيِّين- فَهُو -أَيْضًا- من أَبْطَل الباطِلِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدْ جعل الكواكب زينَةً للسَّماء الدُّنْيا ومصابيحَ تُضِيء لأهْلِ الأرْضِ؛ ليَهْتَدُوا بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ، وجعلها -أَيْضًا- رُجومًا

لِلشَّياطين؛ كما قال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقَال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وَما كان زينَةً للسَّماء ورُجومًا لِلشَّياطينِ؛ فَلَيْسَ بسَمَواتٍ ولا أَرَضِينَ.

* * *

فصل

وقَال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٤ ما نصُّه:

(وُقوفُ حَرَكةِ الأرْضِ) يقولُ الحقُّ تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

الله تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يذَكِّر النَّاس بهذه الآية منْ آيات الكونِ، ويخاطِبُهم وكأنَّه يقولُ لهم: اسْمعوا وانْظُروا، وَتَبَصَّروا؛ فَلَوْ أنَّ الكرة الأرْضيَّةَ توقَّفت عَنْ دورانها وتعطَّلَتْ حركتُها، وأصبَحُ نصفُها المواجه للشَّمْس نهارًا دائِمًا لا يَبْرحُ؛ فمَنْ يأتيكم بِلَيْلٍ تسكنونَ وتستريحونَ مِن عناءِ النَّهارِ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يُقَلِّبُ الليْلَ وَالنَّهارَ؟!

وَلَوْ كان العَكْس فوقَفَتْ حَرَكَةُ الأرْضُ، وَكانتِ الشَّمْس إلىٰ الجِهَةِ الأخرىٰ الَّتي تُقَابِلُنا، وكانَ عَلَيْنا اللَّيْلُ سرْمَدًا دائِمًا، فَمَنْ يأتينا بضياءٍ غيرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

والجَواب أنْ يُقالَ: لَيس للأرض حركَةٌ كما زعمه الصَّوَّاف تَقْليدًا لِفلاسفَةِ الإفرِنْجِ ومَنْ يوافِقُهم ويحْذُو حذْوَهم مِنَ العَصْرِيِّين، وقدْ تَضافَرَتِ

الأدِلَّةُ مِن الكِتاب والسُّنَّةِ علىٰ سُكُونها وَثَباتِها، وَأَجْمَع المُسْلِمون عَلَىٰ ذلك، وَقَد ذَكَرْتُ ذلك مُسْتَوْفًىٰ في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك، ففيه رَدٌّ لِمَا زعمه الصَّوَّاف من حركة الأرْضِ.

وأمَّا كلامُهُ في معنىٰ الآيتين من «سورة القصص» فهُوَ منَ الإلحاد في آيات الله، وتحريفِ الكَلِم عنْ مواضِعِه.

وَقَدْ نَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ جريان الشَّمس في عِدَّةِ آياتٍ مِن القُرْآن، وَالجريانُ ضِدُّ الثَّبات والاستقرارِ، ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها تَسْبَح فِي الفَلَكِ، وَالسَّبْحُ هو المَرُّ السَّريع، نَصَّ علىٰ ذلك أئمَّةُ اللُّغة، ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها هي وَالقَمَرُ بِحُسْبان، وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّه سَخَّرَهما دَائبيْنِ، وَالدَّأب إِدامَةُ السَّيْرِ، نَصَّ عَلىٰ ذلك غيْرُ واحِدٍ مِن أئمَّةِ اللُّغَة، وَقَرَّرَ معناه غَيْرُ واحِدٍ مِنَ المُفَسِّرين، وَنَصَّ -أَيضًا- علىٰ أنَّه يأتي بها مِنَ المَشْرِق، وَنَصَّ -أَيْضًا- عَلَىٰ طُلُوعها وغُرُوبها وَدُلُوكها أَيْ زَوالها.

وَفِي هذه النُّصوص أوْضَحُ دليلٍ علىٰ أنَّ الشَّمس هي الَّتي تَجْري وَتَدور علىٰ الأرْضِ لِقيام مَعايش العِبادِ وَمَصالحِهِم، وَالنَّهار هُو ضَوْءُ الشَّمس وهو تابعٌ لَهَا يسير بِسَيْرِها.

وَقَدْ نَصَّ رسولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ جريانِ الشَّمس، وَطُلوعها، وَارْتِفاعها، وَزَوالها، ودُنُوِّها مِنَ الغُرُوبِ، وَغُرُوبِها، وأنَّها تذْهَب بعْدَ الغروب

حتَّىٰ تنتَهِيَ إلىٰ مُسْتقرِّها تحْتَ العرش؛ فَتَخرّ ساجِدةً، ثمَّ يُقَالُ لها: ارْتفعي، ارجِعي من حيثُ جِئت، فتَرْجِع فتصبح طالعة من مَطْلَعها، وأنَّهُ يقال لها في آخر الزَّمان: ارجعي ارتفعي أصبحي طالِعَةً من مَغْرِبك؛ فتصبح مِنْ مغرِبها.

وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها حُبِسَتْ لِـ«يُوشَع بنِ نون» حين حاصَرَ القرْيَة حتَّىٰ فتحها الله عليه(١).

وَفي كلِّ ما ذكرنا أوضَحُ دليلٍ علىٰ جَريان الشَّمس ودَوَرانِها علىٰ الأرْضِ، وفِيه -أَيْضًا- أبلَغُ رَدٍّ لما زعمه الصَّوَّاف في معنىٰ الآيتيْنِ منْ سورة القصص.

وَقد قال ابْنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «مِفتاحِ دارِ السَّعادة»(٢): «ثمَّ تَأَمَّل حالَ الشَّمس في طلوعها وغروبِها لإقامَةِ دَوْلتي اللَّيْلِ والنَّهار، ولَوْلا طُلُوعُها لَبَطَلَ أمْرُ العالَمِ، وكيْفَ كانَ النَّاس يَسْعَوْنَ في مَعايشهم، وَيَتَصَرَّفون في أمورِهم والدُّنيا مُظْلِمَةٌ عليهم، وكيْفَ كانوا يَتَهَنَّون بالعيْشِ مع فَقْدِ النُّورِ؟!».

ثُمَّ تأمل الحكمة في غُروبها، فإنَّه لولا غُرُوبُها لمْ يكنْ للنَّاس هدوءٌ ولا قَرارٌ مع فَرْط الحاجَةِ إلىٰ السُّبات وجُمومِ الحَواسِّ، وانْبعاث القُوىٰ الباطِنَةِ وظُهور سُلْطانها في النَّوْم المُعِين علىٰ هَضْمِ الطَّعام وتَنْفيذِ الغِذاء إِلىٰ الأعْضاء، ثمَّ لولا الغُروب لكانَتِ الأرْضُ تُحْمَىٰ بدَوام شُرُوق الشَّمس واتِّصال طُلوعها

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) (١/ ٢٠٧).

حتَّىٰ يحترِقَ كُلُّ ما عليها مِنْ حيوانٍ وَنباتٍ، فصارَتْ تَطْلُع وَقْتًا بمَنْزِلَةِ السِّرَاجِ يُرْفَعُ لِأَهْلِ البيْتِ لِيَقْضُوا حوائِجَهم، ثمَّ تَغيب عنهم مِثْل ذلك؛ ليقرُّوا ويَهْدَؤوا، وصارَ ضياءُ النَّهار معَ ظلام اللَّيْلِ وحَرِّ هذا مع بَرْدِ هذا مَعَ تَضَادِّهما مُتعاوِنين مُتظاهِرين بِهِما تمامَ مَصالِحِ العالَمِ.

وَقَدْ أشارَ تَعالىٰ إِلىٰ هذا المَعْنىٰ، وَنَبَّه عبادَهُ عَلَيْهِ؛ بِقَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

وَقال ابْنُ القَيِّم -أَيْضًا-(١): «ثُمَّ تأمَّلِ الحِكْمة في طُلوع الشَّمس علىٰ العالَمِ كيْفَ قَدَّرَه العزيزُ العَلِيمُ سُبْحانه، فَإِنَّها لَوْ كانَتْ تَطْلُعُ في مَوْضِعٍ مِنَ السَّماء فَتَقِفُ فِيهِ وَلَا تَعْدُوه لَمَا وَصَلَ شعاعها إِلىٰ كثيرٍ مِن الجِهات؛ لِأَنَّ ظِلَّ أحدِ جوانِبِ كُرَةِ الأرض يَحْجُبها عَنِ الجانِبِ الآخَرِ، وكانَ يكونُ اللَّيْل دائمًا سَرْمدًا علىٰ مَنْ لم تَطْلُعْ عَليهم، وَالنَّهار سَرْمدًا علىٰ مَنْ هي طالِعَةٌ عليهم، فَيَفْسُدُ هؤلاءِ وهؤلاء؛ فاقتَضَتِ الحكمةُ الإلهيَّةُ والعناية الرَّبَّانيَّةُ أنْ قَدَّرَ طُلوعها مِنْ أوَّلِ النَّهار مِنَ المَشْرِق، فَتُشْرِق علىٰ ما قابَلَها مِن الأُفُقِ الغَرْبِيِّ.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٩).

ثمَّ لا تَزال تَدُور وتَغْشَىٰ جِهَةً بَعْد جِهَةٍ حتَّىٰ تَنْتَهِي إلىٰ المَغْرِبِ فَتُشْرق علىٰ ما اسْتَتَرَ عَنْها في أوَّلِ النَّهار، فَيَخْتَلِف عنْدَهُمُ اللَّيْلُ والنَّهار؛ فَتَنْتَظِم مَصَالِحُهم»، انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- وهو مُعارِضٌ لكلام الصَّوَّاف ومناقِضٌ له.

* * *

فصل

وَقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٥ ما نصُّه:

وقدْ ذكر علماء الجيولوجيا والفَلَك أنَّ الأرض بعدَ انفصالِها عن الشَّمس كانَتْ تدورُ حول نَفْسِها بسُرْعَةٍ أكبرَ ممَّا هي عليه الآن؛ إذْ كانَتْ تُتِمُّ دَوْرتَها حوْلَ نفسِها مَرَّةً كلَّ أرْبَعِ ساعاتٍ.

فاللَّيْل والنَّهار كانَا في مَجْموعِهما أرْبَعَ ساعاتٍ فقط، وبِتوالي النَّقْص في سُرْعة دورانها حوْلَ نفْسِها زادَتِ المدَّةُ الَّتي تُتِمُّ فيها دورانَها هذا؛ فزادَتْ مدَّة الليل والنَهار إلىٰ خَمْس ساعاتٍ، ثمَّ سِتٍّ، حتَّىٰ وصلت إلىٰ أربعٍ وعشْرِين ساعَةً، وهي الَّتي نحن عليها الآنَ.

وقدْ أظهَرَ بعضُ العلماء أنَّهُ تمكَّنَ مِنَ احتِساب النَّقْص في سُرْعَةِ دَوران الأرْضِ؛ فَوَجَد أنَّ هذا النَّقْص يبلُغُ حوالَيْ ثانية واحدة كُلَّ مائَةٍ وعِشْرين ألْفَ سَنَةٍ.

وَعَليه؛ فبعْدَ ٤٣٢ مليون سَنَةٍ يَنْقص دورانُ الأرْضِ مِقدار ساعَةٍ، وَعِنْدئذٍ يُصْبح مجموعُ ساعاتِ اللَّيْل وَالنَّهار ٢٥ ساعة، وَهَكذا يَتوالىٰ النَّقْصُ وَيَطَّرِد طُولَ اللَّيْلِ والنَّهار، وَعَلىٰ هذا الأساسِ يقولُ العلماءُ: إنّ الأرْضَ لابُدَّ أنْ تَقِف يومًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بذلكَ اليَوْمِ، وَعِند وقوفِها يصْبِح الوجْهُ المُقابلُ لِلشَّمْس نهارًا دائِمًا، والوَجْهُ البَعِيد عَنْها ليلًا دائِمًا، وهذا ما أشار إليه الرَّبُّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في كتابه العزيز، وما ذكَّر النَّاسَ به مِن تَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهار، وَفَضْلِ اللهِ علىٰ النَّاس في هذا التَّعاقب الَّذي جعل الله اللَّيل فيه سَكَنًا وَالنَّهار معاشًا، فَلَه الفَضْلُ ولَهُ الشُّكر وله الثَّناء الحَسَن، والحَمْدُ لله رَبِّ العالمينَ.

والجَوَابُ أَنْ يُقالَ: ما ذَكَرهُ الصَّوَّاف هَهنا عَنْ أهْلِ الجَهالة والضَّلالَةِ مِن أَهْلِ الجيولوجيا والفَلَك فَكُلُّها تَخَرُّصات وظنونٌ كاذبةٌ، وقدْ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، ولا يعتمد عَلىٰ مثلِ هذه الأباطيل ويرىٰ أنَّها حقائِقَ علميَّةً إلَّا مَنْ هو مِن أجْهَلِ خَلقِ اللهِ.

وَنِسْبة هذه الجَهالاتِ والضَّلالاتِ إلىٰ المُسْلمين فِرْيَةٌ عليهم، وقَدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، قالَ أبو قِلابة: «هي -والله- لِكُلِّ مُفْتَرٍ إلىٰ يوم القيامَةِ».

فَأَمّا ما زعموه مِنَ انْفِصال الأرْضِ عنِ الشَّمْس، فجوابُهُ مِن وُجوهٍ:

أحَدُها: أنْ يقال: إِنَّ دعوىٰ انفصال الشَّيْءِ عن الشَّيء في الأزمان الماضيةِ لا تَثْبُت إِلَّا بِدَليل قاطع مِن كتاب الله تَعالىٰ أو ممَّا ثبتَ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ ذلك مِن أمور الغيب الَّتي لا تُعْلم إِلَّا مِن طريق الوحي ولا دَلِيلَ علىٰ ما زَعموه منَ انفصال الأرْضِ عنِ الشَّمس أَلْبَتّة، وَما لَيْسَ عليه دَليلٌ فَهُو مِنَ الرَّجْم بالغَيْبِ، وَما كان كَذَلك فَحَقُّه أنْ يُطْرَحَ ولا يُعَوَّلَ عليه، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥١].

وقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: لو كانَ الأمر علىٰ ما زعموه مِن انفصالِ الأرض عنِ الشَّمس لكانت الأرض مِثْلَ الشَّمس في الحَرارَةِ والضِّياءِ، وَكانَتْ تحرق مَا يَكونُ عَلىٰ ظَهْرها، ولَمْ يُمْكن أنْ يَعِيشَ عَلَيْها شيْءٌ مِن الحيوانَاتِ ولا النَّباتَاتِ. وَلَمَا كانَتْ عديمَةَ المُماثَلَةِ لِلشَّمْس في الحَرارة والضِّياء، دَلَّ ذَلِكَ علىٰ بُطْلان مَا زَعَموه مِنَ انْفِصالها عَنِ الشَّمس.

الوَجْه الثَّالث: أنْ يُقالَ: ما زعموه مِن انْفصال الأرْضِ عنِ الشَّمس فَهُو

زعْمٌ باطِلٌ وظَنٌّ كاذِبٌ مردودٌ بِما أخبرَ اللهُ بِهِ مِن تقدُّم خلْقِ الأرْض عَلَىٰ خلق السَّمواتِ وَما فِيهِنَّ.

قال الله تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

[فصلت: ٩-١٢].

وَروىٰ ابنُ جريرٍ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ اليهودَ أتَتِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألَتْهُ عنْ خلْقِ السَّموات والأرْضِ؛ فقال النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَلَقَ اللهُ تَعالَىٰ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحدِ ويَوْمَ الاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ الشَّجَرَ وَالماءَ وَالمَدائِنَ وَالعُمْرانَ وَالخَرابَ؛ فَهذِهِ أَرْبَعَةٌ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٠] لِمَنْ سَأَلَهُ. قال: وَخلق

يَوْمَ الخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَالمَلَائِكَةَ، إِلَىٰ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَىٰ الآفَةَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّالِثَةِ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ».

وَرَوَىٰ ابْنُ جريرٍ -أَيْضًا- عن عَبْد اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ بَدَأَ الخَلْقَ يَوْمَ الأَحَدِ؛ فَخَلَقَ الأَرَضِينَ فِي الأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الأَقْوَاتَ وَالرَّوَاسِيَ فِي الثُّلَاثَاءِ وَالأَرْبعاءِ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ، وَفَرَغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ؛ فَخَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَىٰ عَجَلٍ؛ فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ**».

وَرَوىٰ ابنُ جرير -أَيْضًا- من طَرِيق السُّديِّ عنْ أبي مالكٍ وَعَن أبي صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاس وَعَنْ مرّة عنِ ابنِ مَسْعود وعنْ ناسٍ مِن أصحابِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ**﴾ [البقرة: ٢٩] قَالَ: إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كانَ عرشُهُ علىٰ الماءِ، وَلَمْ يخْلُق شَيْئًا غَيْرَ ما خَلَق قَبْلَ الماءِ، فَلَمَّا أرادَ أَنْ يَخْلقَ الخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الماءِ دُخانًا فَارْتَفَع فوْقَ الماءِ، فَسما عليْهِ؛ فَسَمَّاه سَمَاءً، ثمَّ أَيْبَس الماءَ؛ فَجَعَله أرْضًا واحدَةً، ثمَّ فتقَها فَجعلها سَبْعَ أرَضِينَ في يَوْمين في الأَحَد والاثْنَيْنِ، وَخلَق الجِبالَ فِيها وَأَقْوَاتَ أَهْلِها وَشجَرَها وما يَنْبَغي لَها في يومَيْنِ في الثُّلاثاءِ وَالأَرْبِعاء وَذَلك حِينَ يقول: ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ**

فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠] يقولُ: أنْبَتَ شَجَرَها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] يقولُ: أقْواتَها لأهلِها.

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقولُ: قُل لِمَنْ يَسْألك هذا الأمْرَ.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وكانَ ذلك الدُّخانُ مِن تنَفُّس الماءِ، وحينَ تَنَفَّسَ فجعَلها سَماءً واحِدَةً، ثمَّ فَتَقَها فجعَلَها سبْعَ سمواتٍ في يَوْمَيْنِ في الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ، وَإِنَّما سُمِّيَ يَوْمُ الجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جَمَعَ فيهِ خَلْقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ.

﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلَقَ في كلِّ سماءٍ خَلْقَها مِنَ المَلائِكَةِ والخَلْقَ الَّذي فيها مِن البِحار وَجِبالِ البَرَدِ، وَمَا لا يَعْلمه غَيْرُه، ثُمَّ زَيَّن السّماء الدُّنيا بالكواكب؛ فجعلها زينَةً وحفْظًا تُحْفَظ مِن الشَّياطينِ، فَلَمَّا فَرَغ مِنْ خلْقِ ما أحبَّ استوىٰ علىٰ العرشِ؛ فذلك حينَ يقولُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَروىٰ عَبد الرَّزَّاق وعَبْدُ بنُ حميْدٍ وابْنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتِمٍ وأبو الشَّيْخِ عنْ مُجاهِدٍ؛ قالَ: «خَلقَ اللهُ الأرْضَ قبْلَ السَّماء، فَلَمَّا خُلِقَت ثارَ مِنْها دُخانٌ؛

فذلِكَ قولُه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]؛ فسوَّاهن سَبْعَ سمواتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بعْضٍ وسَبْعَ أرَضِينَ بَعْضُهُنَّ فوْقَ بَعْضٍ»(١).

وقالَ البغويُّ في «تفسيره»(٢) عند قوله تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادَةُ والسُّدِّيُّ: يعني خَلَق فيها شمْسَها وقمرَها ونجومَها.

وقال مقاتل: وأوحىٰ إِلىٰ كلِّ سماءٍ ما أرادَ مِن الأَمْرِ والنَهْيِ، وذلك يَوْمَ الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ»، انْتَهىٰ.

وَفي الآياتِ الَّتي ذَكَرْنَا معَ حديثِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وما ذُكِرَ بعْدَهُ مِن الآثارِ عَنِ الصَّحابة وَالتَّابعين دَلِيلٌ عَلىٰ أنَّ الأرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّماء وما فيها مِن الشَّمس وَالقمَرِ والنُّجوم.

بلْ في حديثِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النَّصُّ علىٰ أنَّ الشَّمس والقَمَرَ والنُّجوم خُلِقَتْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَهُو آخِرُ الأَيَّامِ السِّتَّة الَّتي خَلَق اللهُ فيها الخَليقَةَ، وَفي هذا أبْلَغ رَدٍّ علىٰ ما زعمه طواغيت الإِفْرنجِ مِن انْفصالِ الأرْضِ عنِ الشَّمس؛ لِأَنَّ المُتقدِّم في الخَلْق لا يكونُ مُنفصلًا عَمَّا هو مَخْلوقٌ بعدَهُ، ثمَّ لَيْسَ في المَعْقول الصَّحيح ما يُؤَيِّد ما زعموه مِن انْفصال الأرْضِ عن الشَّمس؛ فليْس لَهُم علىٰ ما

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٢٦٣) (٢٩)، والطبري (١/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٤) (٣٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٧).

(٢) (٧/ ١٦٦).

زعموه مِن الانفصالِ دليلٌ أَلْبَتَّةَ، لا مِن المنقولِ، ولا من المعقول.

وَأَمَّا ما زَعَموه مِن سُرْعة دَوَران الأرْضِ حوْلَ نَفْسِها في أوَّلِ الأمْرِ، وَأَنَّ مُدَّةَ اللَّيْلِ والنَّهار إِذْ ذاك كانَتْ أَرْبَعَ ساعَاتٍ فَقَط، وَبِتوالِي النَّقْص فِي سُرْعَةِ دورانِها حوْلَ نفْسِها زادَتْ مُدَّةُ اللَّيْل والنَّهار إلىٰ خَمْس ساعاتٍ، ثمَّ إلىٰ ستٍّ حتَّىٰ وصلت إلىٰ أربَعٍ وعِشرين ساعَةً.

فَجَوابُه مِنْ وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقال: ما زَعموه مِن دوران الأرْض حَوْل نفسِها؛ فهُو زَعْمٌ باطِلٌ، وظنٌّ كاذب مردودٌ بالأدلَّة الكثيرة مِن الكتاب والسُّنَّةِ وإِجْماع المُسْلمين عَلَىٰ سكونِ الأرْضِ وَثَباتِها.

وَقَدْ ذكرتُ ذلك مُسْتوفًىٰ في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ دعوىٰ قِصَرِ مدَّة اللَيل والنَّهار في أوَّل الأمْرِ، ثمَّ زيادَتِها شَيْئًا فشيْئًا حتَّىٰ وصلت إلىٰ أربعٍ وعشرين ساعةً، لا تَثْبُت إلَّا بدليل قاطِعٍ مِن كتاب الله تَعالىٰ، أو ممَّا ثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ ذلك مِن أمور الغيب الَّتي لا تُعْلم إلَّا مِن طريق الوحي، ولا دَليلَ عَلىٰ ما زعموه مِن قصَرِ مدَّةِ اللَّيْل والنَّهار في أوَّلِ الأمْرِ، ثمَّ زِيادَتِها شيئًا فشيئًا أَلبَتَّةَ، وما ليس عليه دَلِيلٌ فهوَ مِنَ الرَّجْمِ بِالغَيْبِ، وَتَعَاطِي عِلْمِ المُغيباتِ حَرامٌ شَديدُ التَّحريمِ، وَمَنِ ادَّعىٰ علْمَ الغيبِ فهُوَ مِن رؤوسِ الطَّواغيتِ، وَمَنْ صَدَّقه فهُوَ مِمَّن آمَنَ بالطَّاغوتِ.

الوَجْه الثَّالث: أَنَّ مَا تَوَهَّمُوه بِعقولِهِم الفاسِدَةِ مِن قِصَرِ مُدَّةِ اللَّيْل والنَّهار في أَوَّلِ الأَمْرِ، ثمَّ زِيادتها شيْئًا فشيئًا مردودٌ بقولِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في خُطْبته في حجَّة الوداع: «**أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»، الحديثُ رواهُ الإمامُ أحمد والشَيخان مِن حديث أبي بَكْرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١).

ورَواه ابْنُ جريرٍ والبزَّار مِن حديثِ أَبي هُريرَةَ(٢) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ورواه ابْنُ جَرِيرٍ -أَيْضًا- وابْنُ مردويه والطَّبرانِيُّ في «الأوْسَطِ» منْ حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالَ الهيْثَمِيُّ: «ورجالُ الطَّبرانِيِّ ثِقاتٌ»(٣).

قَال الجَوْهري: «الزَّمن والزّمان اسمٌ لِقليل الوَقْتِ وكثيرِه»، وكذا قال ابْنُ منظورٍ في «لِسان العَرَبِ»، وصاحِبُ «القاموسِ».

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧)، والبخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩)، وغيرهم. من حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٤٤٠)، والبزار في «مسنده» (١١٤٢) -كشف، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وفي إسناده أشعث بن سوار الكندي «ضعيف».

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٤٤٠)، وابن مردويه كما عزاه له ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٤٥)، والبزار في «مسنده» (٦١٣٤) -بحر، وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وَقال ابنُ الأثير وابن منظورٍ -أَيْضًا-: «الزّمان يقَعُ علىٰ جَمِيعِ الدَّهْر وبعضِه»(١).

وَفي هذه الأحاديث دليلٌ علىٰ أنَّ الزَّمان في عهد النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ مِثْل الزّمان يومَ خلق اللهُ السَّموات والأرضَ، وأنَ مدَة اللّيل والنّهار كانت علىٰ هيئتِها مِن أوّل الدُّنيا، ولم تكن قصيرَةً في أوّل الأمْرِ، ثمَّ زادَتْ شيئًا فشيئًا؛ كما زعمه أعداء اللهِ مِن فلاسِفَةِ الإفْرنْجِ.

الوَجْه الرَّابعُ: أنَّ النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**يَوْمُ الجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً**»، الحَدِيثُ رَوَاه أبو داود والنّسائيُّ والحاكم بأسانيدَ صحيحةٍ من حديث جابر بنِ عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقال الحاكم: صحيحٌ علىٰ شرط مسلمٍ، ووافقَه المُنْذريُّ والذّهبيُّ علىٰ ذلك(٢).

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً**»، الحديثَ(٣).

---

(١) انظر: «الصحاح» (٥/ ٢١٣١)، و«لسان العرب» (١٣/ ١٩٩)، وانظر: «القاموس المحيط» (ص١٢٠٣)، و«النهاية» (٢/ ٣١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٣٢ ، وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٩٠).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٦/ ٢٠١) (٣٤٨٤)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، =

وَروىٰ الطّبرانيّ في «الكبيرِ» عن ابنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَعالَىٰ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهارٌ، نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ، وَإِنَّ مِقْدَارَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ عِنْدَهُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً**»، الحديثَ(١).

وهذه الأحاديثُ مطلقَةٌ ليْس فيها تقييدٌ بالأزْمانِ المُتأخِّرة دُونَ الأزمانِ المتقدِّمة، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ مدَّة اللَّيل والنَّهار كانت أربعًا وعشرين ساعةً مِن أوَّل الدُّنيا، ولم تكنْ قصيرَةً فِي أوَّل الأمْرِ، ثمَّ زادت شيئًا فشيئًا؛ كَما قد زعمه أعداء اللهِ مِن فلاسفة الإفرنجِ اعتمادًا عَلىٰ ظنونِهِم الكاذِبَةِ وتَوَهُّماتِهِم الخاطِئَةِ.

وَأَمَّا قولُه: وقد أظهر بعض العلماء أنه تمكَّن منَ احتساب النّقص في سُرْعة دوران الأرض، فوجدَ أنَّ هذا النَّقص يبلغ حوالي ثانية واحِدَة لكُلِّ مائَةٍ وعِشرين ألفَ سنَةٍ، وعليْهِ فبَعْدَ ٤٣٢ مليون سَنَةٍ ينقُصُ دورانُ الأرض بمِقدار ساعَةٍ وعندئذ يُصْبح مجموع ساعاتُ اللَّيل والنَّهار ٢٥ ساعة، وهكذا يَتوالَىٰ النَّقص، ويطَّرِد طول اللّيل والنّهار».

=

وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٠٦٧).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٧٩) (٨٨٨٦)، وغيره عن ابنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الهيثمي: «وفيه أبو عبد السلام. قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله علىٰ الشك - لم أر من ذكره»، انظر: «المجمع» (١/ ٨٥).

فَجَوابُه مِنْ وُجوهٍ:

إحداها: أنَّ تسميتَه للطّواغيتِ المُتعاطِين لعلم الغيب باسْمِ العلماء خطأٌ كبيرٌ، وهو مِن قلْبِ الحقائِقِ؛ لِأَنَّ المطابق لحال أعداء الله أنْ يوصفوا بالجَهل والتّخرُّص واتّباع الظُّنون الكاذبة لا بالعلم.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقال: كُلُّ ما زعموه ههنا مِن حساب النَّقص في سرعة دَورانِ الأرْضِ، وما يَبْلغ النَّقص في مِائةٍ وعِشرينَ ألفَ سنَةٍ، وما يبلغ بُعْد ٤٣٢ مليون سنَةٍ، وما يبلُغ مَجْموع ساعات اللَّيل والنَّهار حينئذٍ؛ فكلُّه تخرُّصٌ ورَجْمٌ بالغَيْب، وهو مردود علىٰ قائليه وعلىٰ مَنْ قَبِلَ تَخَرُّصاتِهم وظنونَهم الكاذبةَ واعْتمد عليها.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

الوجْهُ الثَّالثُ: أنَّ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهاتَيْنِ**»، رواه الإمام أحمدُ، والشَّيخان مِن حديثِ سهل بنِ سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: رأيتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ بأصْبعيْهِ هكذا؛ بالوُسْطىٰ والَّتي تلي الإبهامُ: «**بعثْتُ والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**».

وفي روايةٍ للبخاريِّ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَاتَيْنِ**» وَيُشير بإصْبعيْهِ فيمدّها.

في روايةٍ لأحمد أنَّ رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَثَلي ومَثَل السّاعةِ كهاتَيْنِ**»، وَفرَّق بيْنَ أصْبُعَيْهِ الوُسْطىٰ والَّتي تلي الإِبْهامَ، ثُمَّ قالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ السّاعةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ**»، ثمَّ قالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ طَلِيعَةً؛ فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسْبَقَ أَلَاحَ بِثَوْبِهِ أُتِيتُمْ أُتِيتُمْ**»، ثمَّ يقول رسولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**أَنَا كَذَلِكَ**»(١).

وَرَوىٰ الإمامُ أحمد -أَيْضًا- والشَّيخانِ وأبو داود الطَّيالِسِيُّ والتِّرمذي عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**».

زَادَ مُسْلِمٌ: «**قَالَ شُعْبَةُ**: وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الأُخْرَىٰ»، فَلَا أدْرِي أَذَكَرَهُ عنْ أنسٍ أو قالَهُ قتادةُ.

وفي رواية له عن مَعْبَدٍ -وهو ابن هلالٍ- عنْ أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»؛ قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَىٰ(٢).

وَرَوىٰ البُخَارِيُّ -أَيْضًا- وَابْنُ مَاجَه، واللَّفظ له عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١)، والبخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠)، وغيرهم من حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٣)، والبخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، والترمذي (٢٢١٤)، والطيالسي في «المسند» (٢٠٩٢)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

قال: قال: رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ(١).

وَروىٰ الإمامُ أحمَدُ ومُسْلِمٌ وابنُ ماجه عَنْ جابِرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْناهُ، وَعَلا صَوْتُه، وَاشْتَدَّ غضَبُه حتَّىٰ كأنَّه مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ(٢).

وروىٰ التِّرمذي عَنِ المَسْتورد بنِ شَدّاد الفِهْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا فِي نَفَسِ السَّاعَةِ؛ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ**»، لِإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ(٣).

قَالَ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ: «قَوْله: (في نفَس) بِفَتْحِ الفاءِ، وَهُو كنايَةٌ عن القُرْب؛ أي بُعِثْت عنْدَ نَفَسِها»(٤)، انْتَهىٰ.

وَروىٰ الإمامُ أحمَدُ بإسنادٍ صَحيحٍ عنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سمعْتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٥)، وابن ماجه (٤٠٤٠)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٠)، ومسلم (٨٦٧)، وابن ماجه (٤٥)، وغيرهم من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢١٣)، وغيره من حديث المستورد بن شداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٣٩).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٤٨).

رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ جميعًا، إِنْ كادَتْ لَتَسْبِقُنِي**»[١].

وَرَوىٰ الإمامُ أحمَدُ -أَيْضًا- بإسناد حسن عن جابر بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: رأيْتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِير بِإِصْبعيْهِ، ويقولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ**».

وَرَواهُ ابْنُ جريرٍ، وَلَفْظُهُ قالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أُصْبُعَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ بِالمِسْبحَةِ والَّتي تليها، وهو يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ»، وَفِي روايَةٍ: «وجمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ»[٢].

وَفِي هذه الأحاديث علىٰ اخْتِلاف ألفاظِها إِشَارَةٌ إِلىٰ قِلَّةِ المُدَّةِ الَّتي بَيْنَ بَعْثَةِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبيْنَ قِيامِ السّاعَةِ.

قال عِياضٌ وَغيْرُهُ: «والتَّفاوُتُ إِمَّا في المُجَاوَرَةِ، وَإِمَّا في قَدْرِ ما بَيْنَهُمَا ويُعَضِّدُهُ - أي القولَ الأخيرَ - قولُهُ: كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الأُخْرَىٰ».

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨)، وغيره من حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «حسن لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٩)، وابن جرير في «تاريخه» (١/ ١٢)، وغيرهما من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره دون قوله: إن كادت لتسبقها».

وَقال **القُرْطبيُّ** في «**المُفْهِمِ**»: «حاصِلُ الحديثِ تقريبُ أمْرِ السَّاعَةِ، وَسُرْعَةِ مجيئها»(١).

وقال **البَيْضاوِيّ**: «معناهُ أنَّ نسبةَ تَقَدُّم البَعْثَةِ النَّبويَّة علىٰ قيامِ السّاعَةِ كَنِسْبة فضل إحدىٰ الإِصْبعينِ عَلَىٰ الأخْرَىٰ، ورجَّح الطيبيُّ هذا القولَ، ذَكَر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»..»(٢).

وقال **الحَسَن البصريُّ**: «بَعْثَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ»، ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ في «تَفْسِيرِهِ»(٣)، وَقالَ: هو كما قال.

وقال **ابنُ كثيرٍ -أَيْضًا-**: «بعثَةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أشْراطِ السَّاعة؛ لِأنَّه خاتَمُ الرُّسل الَّذي أكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّين، وأقامَ بِهِ الحجَّةَ علىٰ العالَمِينَ»(٤).

وقال **البغوي في «تفسيره»**(٥): «وكانَ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أشراطِ السّاعة».

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٤٩).

(٢) (١١/ ٣٥٠).

(٣) (٧/ ٣١٥) ط: دار طيبة.

(٤) (٧/ ٣١٥).

(٥) (٧/ ٢٨٤).

وذكر الحافظ ابنُ حجرٍ في «فتح الباري»[(١)] عن الضَّحّاك أنَّه قال: «أوَّلُ أشراطِها بعثَةُ محمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَإِذا عُلِمَ قُرْبُ زمَنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قيامِ السّاعة، وأنّها كادَتْ أنْ تَسْبقه، عُلِم بُطْلان ما يَهْذُو بِه طواغيتُ الافرنجِ مِن أنَّه بعد ٤٣٢ مليون سنَةٍ ينْقُص دَورانُ الأرْضِ بمِقدار ساعَةٍ، ويصْبِح مجموعُ ساعاتِ اللّيل والنّهار ٢٥ ساعَةً، وأنَّه هكذا يَتوالىٰ النّقص، ويطّرد طولُ اللّيل والنّهار.

وَلا يخفىٰ أنَّ قولهم هذا يُعارِض قولَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ»**، وقولَهُ -أَيْضًا-: **«مَثَلِي وَمَثَلُ السّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ»**، وَقَوْلَهُ -أَيْضًا-: **«بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السّاعَةِ»**، وَقَوْلهُ -أَيْضًا-: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»**.

وَإذا تعارض قولُ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقولُ غيْرِه منَ النّاس؛ فقولُ الغيْرِ مُطَّرَحٌ مردودٌ علىٰ قائله كائِنًا مَن كان.

ولَوْ كان الأمْرُ علىٰ ما زَعَمَه أعداءُ اللهِ مِن طولِ مُدَّة اللّيل والنّهار بَعْدَ ٤٣٢ مِلْيون سنَةٍ لَمَا كانَتْ بعثَةُ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ أشراطِ السّاعَةِ.

وفي الأحاديث الَّتي ذكرنا أبلغُ ردٍّ علىٰ هذا التّخرُّص والظّن الكاذبِ.

---

(١) (١١/ ٣٥٠).

الوَجْه الرَّابع: أنَّ ما زعمه أعداء الله تَعالىٰ مِن زيادَةِ اللّيل والنّهارِ مِقدار ساعَةٍ في كلِّ ٤٣٢ مليون سَنَةٍ بناءً علىٰ ما تَوَهَّموه بِعقولِهِم الفاسدة مِن نقصانِ دوران الأرْضِ، يقْتَضِي أنْ يكونَ قَدْ مَضَىٰ علىٰ الأرْضِ ثَمانيَةُ آلافٍ وسِتُّمائَةٍ وأرْبعون مليون سنَةٍ مُنْذُ خُلِقت، أو مُنْذ انْفصالها عن الشَّمس علىٰ حَدِّ تعبيرهم الخاطِئِ وظنِّهم الكاذبِ، وهذا مِنَ الرّجم بالغيب.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقدْ ذكرَ ابنُ قتيبةَ(١) في كتاب «المعارف»(٢) أنَّ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عاش ألْفَ سنةٍ، وكانَ بينَهُ وبيْنَ الطُّوفان ألفانِ ومِائتان واثنتان وأربعون سَنَةً، وبيْنَ الطُّوفان وبيْنَ مَوْتِ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثلاثُمائةٍ وخمسونَ سَنَةً، وبيْنَ نوحٍ وإبراهيم ألفٌ

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، نزيل بغداد، صاحب التصانيف. حدث عن ابن راهويه، وغيره. وعنه ابنه القاضي أحمد، وعبد الله بن جعفر بن درستويه، وغيرهما. صنف: «غريب القرآن»، وغير ذلك. مات في سنة (٢٧٦). انظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٦٥).

(٢) (ص٥٦).

وأربعون سَنَةً، وبيْنَ إبراهيمَ وموسىٰ تِسْعُمائة سنةٍ، وبين موسىٰ وداود خمسُمِائة سنَةٍ، وبين داود وعيسىٰ ألفُ سنةٍ، وبين عيسىٰ ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين ستُّمائة وعشرون سنَةً، فكان مِن عهد آدم إلىٰ محمد سَبْعَةُ آلاف وثمانُمائة واثنتان وخمسون سَنَةً علىٰ ما ذكره ابنُ قتيبةَ.

وقَد مَضىٰ منْذُ وُلِدَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ سنتِنا هذهِ -وهِي سنَة ١٣٨٨هـ- ألفُ سنَةٍ وأربَعُمائةٍ وإحْدَىٰ وأربعون سَنَةً، فيكونُ منذ خُلِق آدمُ إلىٰ هذه السّنَةِ تِسْعَةُ آلافٍ ومِائتان وثلاثٌ وتسعون سنةً. وهذا يُعارِضُ مَا تخرَّص به الفَلَكِيُّون مِن طُول المُدَّة الَّتي مضت علىٰ الأرض مُنْذ خُلِقتْ إلىٰ الآن.

وما ذَكَره ابنُ قتَيْبةَ في تحديدِ المدَّة الَّتي كانت مُنْذُ خُلِقَ آدَمُ إلىٰ أنْ ولد النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهُو ممَّا لا يَنْبَغِي الجزْمُ بِه؛ لِأَنَّ ذلك لمْ يثبُتْ عن المعصومِ -صلوات الله وسلامه عليه-، ومع هذا فهو أقرَبُ إلىٰ الصَّواب ممَّا تخرَّصه أعداءُ الله وتَوَهَّموه بِعقولهم الفاسدَةِ.

وإِذا عُلِم هذا؛ فالواجِب علىٰ المسلمين الإعراضُ عنْ أعداءِ الله تَعالىٰ وعَن تَخَرُّصاتهم وظُنونهم الكاذِبَةِ؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ قدْ حذَّر منْهُم، وأمَرَ بالإعراضِ عنْهُم؛ فقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

الوَجْهُ الخامِسُ: أنَّ ما قرَّره في هذا الموضع يقتضي أنَّ الدُّنيا لا تزال باقيةً علىٰ الأَبد، وأنَّه ليس هناك قيامةٌ ولا بعثٌ ولا آخرةٌ، وقد قرَّر هذا المعنىٰ فِي صَفْحَةِ ١١٧ حيثُ قال عن القرآن: «إِنّه كتاب أبديٌّ سرمديٌّ أُنْزل للخلودِ والبقاءِ، وَلِيكون دينًا أبديًّا للإنسانية جمعاء»، انْتهىٰ.

وَالآيات القرآنيَّة والأحاديثُ الصحيحة في إثبات القيامةِ والمعاد أكثَرُ مِن أنْ تحصَرَ.

وَقد قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورىٰ: ١٧].

وفي هذه الآيات أبْلغُ ردٍّ علىٰ ما ذكرنا مِن تَخَرُّصات أعداءِ اللهِ وظُنونهم الكاذبَةِ.

الوجْهُ السّادس: أنَّ الصَّوَّاف قد نَقَض ما قرَّره في هذا الموضع بما قرَّره فِي صَفْحَةِ ١٠٤ مِن أنَّ حركة الأرض حوْلَ محورِها يبْلُغ من الِانتظامِ والدِّقَّة بحيثُ لا يَلْحقه خَلَلٌ، ولا تقديمُ أو تأخيرُ ثانِيَةٍ واحدة في موعدها، ولوْ بعد قرونٍ. وهكذا الباطِل لا تجِدُه إلَّا مخْتلِفًا ينْقُض بعضُه بعضًا.

وَأمَّا قولُه: «وعلىٰ هذا الأساسِ يقول العلماء أنَّ الأرْضَ لابُدَّ أنْ تقِفَ يومًا وَاللهُ أَعْلَمُ بذلك اليومِ، وعند وقوفها يصبح الوَجْه المقابِلُ للشَّمس نهارًا دائمًا، والوجْهُ البعيد عنها ليلًا دائمًا، وهذا ما أشار إليه الرّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه العزيز، وما ذكر النّاس بِهِ مِن تعاقُبِ اللَّيْل والنَّهار».

فَجوابُه مِن وُجوهٍ:

أَحُدها: أنَّه لا ينبغي تسميَةُ أعداءِ الله باسْم العلماء؛ لِأَنَّ هذه التَّسمية لا تَلِيق بهم، ولا تُطابِقُ حالَهُم، وقدْ تَقَدَّم التَّنبيه عَلىٰ ذلك قريبًا.

وقَدْ روىٰ ابْنُ أبي الدُّنيا وأبو يَعْلىٰ والبيهقيُّ في «شُعَب الإيمان» عنْ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مُدِحَ الفَاسِقُ غَضِبَ الرَّبُّ،**

وَاهْتَزَّ لِذَلِكَ العَرْشُ»(١).

وَمِن المَعْلومِ أنَّ اسْمَ العالِمِ والعُلماءِ مِن أعلىٰ صِفات المَدْحِ والتَّعظيمِ، وَعَلىٰ هذا فَلَا يَنبَغي مَدْح أعْداءِ اللهِ، وَلَا تسميَتُهم بأسْماءِ المَدْح وَالتَّعظيم؛ لِأَنَّ ذَلِك ممَّا يُغْضب الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَهْتَزُّ له العَرْشُ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يقالَ: إنَّ الأرضَ لا تزال واقفَةً ساكنَةً منْذُ أرساها اللهُ بالجِبال إلىٰ أنْ تقومَ السَّاعة، فتُرَجُّ رجًّا؛ كما أخبرَ الله بذلك في قوله: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧**﴾ [الواقعة: ١-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا**﴾ [المزمل: ١٤].

وَقال تَعالىٰ: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥**﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

وَقال تَعالىٰ: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢**﴾ [الزلزلة: ١-٢] الآياتِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٢٨)، وأبو يعلىٰ في «المعجم» (١٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٤٤)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده أبو خلف الأعمىٰ البصرىٰ، نزيل الموصل، خادم أنس بن مالك - متروك.

فَأَمَّا قبْلَ يومِ القيامةِ، فهي كما قلنا «لا تَزالُ واقفةً ثابتَةً»، وقدْ تضافرَتِ الأدلَّةُ مِن الكتابِ والسُّنَّة علىٰ وُقُوفها وثَبَاتها، وأجْمَعَ المُسْلمون عَلىٰ ذلك، وَأَجْمع علىٰ ذَلِك أهْلُ الكِتاب -أَيْضًا-، وَقامَتْ علىٰ ذَلِكَ الأدلَّة العقليَّةُ الصَّحيحةُ، وقدْ ذكرتُ ذلك مُستَوْفًىٰ في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك، وَما زَعمه الخرَّاصون مِن أنَّ الأرض لابُدَّ أنْ تقف يومًا فهو مردود بما ذكرنا مِن الأدلَّةِ علىٰ وقوفها مُنْذ أُرْسِيتْ بِالجبالِ إِلىٰ أنْ تَقوم السَّاعَةُ.

الوَجْه الثَّالث: قَوْلهم: «إِنَّه عِنْد وقوفِها يُصْبِح الوَجْه المُقابل لِلشَّمس نهارًا دائمًا، والوجْهُ البعيد عنها ليلًا دائمًا».

جَوابُهُ: أنْ يقالَ: إِنَّما يكون هذا لو وَقَفَت الشَّمس عنْ حركتِها وَجَريانها فِي الفَلَك، وهي لا تَقِف إلىٰ يوْمِ القِيامة؛ كما قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الرعد: ٢]، قال أبُو الفَرَج ابنُ الجوزِيِّ في «تفسيره»[١]: «أَيْ إلىٰ وقْتٍ معلومٍ، وهو فَناء الدُّنيا».

وَقال ابْنُ كثيرٍ فِي قوله: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ** ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، قال: القُرْطبيُّ: «المَعْنىٰ يجريانِ إلىٰ يوم القيامةِ لا يَفْتُرانِ»، وقال ابنُ كثير: «أيْ: لا يَفْترانِ، ولا يَقِفان إِلىٰ يومِ القيامَةِ»[٢]، انْتَهىٰ.

---

(١) (٢/ ٤٨٠).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٧٧).

وَإِذا عُلِم هذا فَمَا تخرَّصه أعداءُ اللهِ مِن وقوفِ الأرْضِ ودوامِ النَّهار عَلىٰ الوَجْه البعيد عَنْها مردودٌ عليهم؛ لأنَّه مِن الرَّجم بالغيب، والأرْضُ لم تزل وَاقِفَةً ساكنَةً منذ أرساها الله بالجبال، ولا تزال كذلك إلىٰ يوم القيامة؛ كما تقدَّم تقريره في الوجه الثَّاني.

الوجه الرَّابع: أنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لم يُشِرْ قطُّ إلىٰ حركَةِ الأرْضِ ودَورانها حوْل نفسها وعلىٰ الشَّمس، فضْلًا عنِ الإشارة إلىٰ وقوف حركَتِها في المُسْتقبل، ودوامِ النَّهار علىٰ الوجه المقابل للشَّمس ودوامِ اللَّيل علىٰ الوجه البعيد عنْها.

وَما زعمه الصَّوَّاف ههنا فَهُو كَذِبٌ علىٰ اللهِ، وعَلىٰ كِتابه، وَقَد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود: ١٨، ١٩].

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

[يونس: ٦٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠].

وَقد تقدَّم حديثُ ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِه، أَوْ بِمَا لا يَعْلَمُ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، رَواه الإمام أحمَدُ والتِّرْمذيُّ وَابْنُ جريرٍ والبغوِيُّ، وقال التّرمذِيُّ: «هَذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ»(١).

وَما ذُكِر في هذا الحديثِ والآيات قَبْلَه مِن الوعيد الشّديد يَمْنع مَنْ لَهُ أدنىٰ مُسْكةٍ مِن عَقْل مِن الجَراءَةِ علىٰ القرآن، والقَوْلِ فيه بِغير عِلْمٍ، وَمَن اجْتَرأ علىٰ القَوْل في القُرآن بغير علم، ولَمْ يُبالِ بهذا الوعيد الشديد، فذلك لا عَقْل لَهُ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

* * *

فصل

قال: الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٧ ما نَصُّه:

(الشَّمس) تَنْتَقِل الآنَ إلىٰ الآية الكُبرىٰ مِن آياتِ عَظَمة اللهِ وقدْرَته وَجلاله وَهِي الشَّمس الَّتي جَعَلها اللهُ آيةَ النَّهار؛ كما جَعَل القَمَر آيَةَ اللَّيْل وقدَّره منازل لِنَعلم عَدَد السِّنين والحسابَ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

هذه الشَّمس الَّتي ما زالت أسرارها في الخفاء، والَّتي ما زالت مَوْضع حَدْس وتَخْمينٍ، هذه الشَّمس الَّتي لَيْست مصدَرَ نورِنا ونارِنا فَقَطْ؛ بَلْ هي مِحور نِظامنا السَّياري ومصدَرُ حياتنا -أَيْضًا-، هذه الشَّمس الَّتي كانَتْ ما يكتشف عنْها يزيدُها غموضًا، ولم تُزِحْ يدُ العِلم بَعْدُ النِّقابَ عنْ كلِّ ما يجبُ أنْ نَعْلمه عَنِ الواحدَةِ مِن احْتِراقِها، وَلَم تَزَلْ تُجَدِّد وَزْنَها وحَجْمَها، هذِه الشَّمس هي آيةٌ من آيات الخالق، وإنْ هي إلَّا آيَةٌ صغيرَةٌ تزْخَر السَّماء بِملايين مِنَ النُّجوم أضْخَمَ منْها حجْمًا وأكبرَ سُرْعةً، وأكثَرَ تَأَلُّقًا.

وقد قالَ عُلماء الفَلَك: إِنَّما هي كُرَةٌ هائلَةٌ مِن الغازات المُلْتهبةِ، قُطْرها يَزيدُ عَنْ مليون وثلث مليون كيلو متر، وَمُحيطها مِثْل مُحيطِ الأرْضِ ٣٢٥ مرَّة، ويَبْلُغ ثِقَلُها ٣٣٢ ألفَ ضِعْفِ ثِقَلِ الأرْضِ، وحَرَارَةُ سطْحِها نحو ٦٠٠٠ درجةٍ سنتجراد، وهذا السَّطح تنْدَلِع منْهُ أَلْسِنَة اللَّهب إلىٰ ارْتِفاع نِصف مليون كيلو متر، وَهِي تَنْثُر في الفضاء باستمرارٍ طاقَةً قدْرُها ١٦٧٤٠٠ حصان مِن كل متر مُرَبَّعٍ، ولا يَحْصُلُ لِلأرْضِ منها إلَّا جزءٌ مِن مليونَيْ جزء، وَهِي لا تُعْتَبَر إلَّا نَجْمَةً، ولكنَّها لَيْسَت في عِداد النُّجوم الكُبرىٰ، وَسَطْحها بِه عواصِفُ وزوابع كهْربائيَّةٌ ومِغناطيسيَّةٌ شديدَةٌ.

والمُشْكلة الَّتي حيَّرت العُلماء هي أنَّ الشَّمس -كما يُؤْخَذ مِنْ عِلم طَبقات الأرْضِ- لَمْ تزَلْ تُشِعُّ نَفْسَ المِقدار مِنَ الحرارَةِ مُنْذ ملايينِ السِّنينَ، فَإِن كانت الحَرارة النَّاتجة عنها نتيجَةَ احتراقها، فكيْفَ لم تَفْنَ مادَّتُها علىٰ توالي العُصور؛ فَلا شَكَّ أنَّ طريقةَ الاحتراقِ الجارِيَةِ فيها غَيْرُ ما نعهدُ ونألَفُ، وَإِلَّا لكفَاها ستَّة آلافِ سَنَةٍ لِتَحْتَرِق، وتَنْفَدَ حرارَتُها.

وَقد زعَمَ البَعْضُ أنَّ النَّيازِكَ والشُّهب الَّتي تسقط علىٰ سَطْحها تُعَوِّض الحرارة الَّتي تَفْقِدها بطريقِ الإشْعاعِ.

وَالجوابُ أنْ يقالَ: هذا الكلام يدورُ عَلىٰ التَّناقض واتِّباع الظُّنون الكاذِبَةِ، وَمَع ذلك فَقَد أدْخَلَه الصَّوَّاف في عِلْمِ الفَلَك الَّذي نَسَبَه إِلىٰ المُسْلمين، وذلك مِن أكْبَر الخَطَأ، وأعْظَمِ الفِرْية علىٰ المسلمين.

فأمَّا التَّناقض، فالأوَّلُ مِنْه أنَّه قرَّر في أوَّل كلامه أنَّ الشَّمس هي الآية الكُبرىٰ مِن آيات عظمة الله وقُدْرته، ثمَّ نَقَض ذلك بقوله: «وَإِن هي إِلَّا آية صغيرةٌ تزْخَر السَّماء بملايين مِن النُّجوم أضخم منها حجمًا، وأكبر سُرْعةً، وأكثَرُ تألُّقًا» -أي إضاءة-، وبقوله: «وَهِي لا تعتبر إِلَّا نجمَةً ولكنَّها ليست في عِداد النُّجوم الكُبرىٰ»، وبما ذكره فِي صَفْحَةِ ٩٨ -٩٩ عَنِ الفَلكيِّين أنَّ الشِّعْرىٰ اليَمانيَّةَ أثْقَل مِنَ الشَّمس جِرْمًا بِعشرين مرَّةً، وأنَّ نورَها خمسون ضعفَ نُورِ الشَّمس، وأنّ ثلاثًا مِن بناتِ نَعْش يَفُقْنَ الشَّمس نورًا، واحدَةٌ مِنْهن أربعُمِائة

ضِعْف، وَالثَّانية أربَعُمائةٍ وثَمانين، وَالثَّالثة أَلْفُ ضعفٍ، وَأَنَّ سُهَيْلًا أَضْوَأُ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة، وأنَّ السّماك الرَّامح حجْمُه ثَمانون ضعفَ حجْمِ الشَّمس.

وَالصَّواب: أَنَّ الشَّمس أكْبَر مِن سائِرِ النُّجوم حجْمًا، وأشَدُّ إضاءَةً، وَإِنَّها مِن أعظَمِ الآياتِ السَّماويَّةِ، وَلَيْس شيءٌ مِن النُّجوم يُقارِبُها في كِبَرِ الحَجْمِ، وَشِدَّة الإِضاءَةِ.

وَالدَّليل عَلىٰ ذلك قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ مُخْبِرًا عَنْ مُناظَرَةِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقومه: **﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾** [الأنعام: ٧٦-٧٨].

وَفي هذه الآيات دليلٌ علىٰ أنَّ الشَّمس أكبر مِنَ الكواكِبِ.

وَأَيْضًا، فقدْ قال الله تعالىٰ: **﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾** [الفرقان: ٦١]، والبُروج هي الكواكب العِظام، قاله مُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ وأبو صالح والحسن وقتادَةُ وغيرُهم.

وَقال تعالىٰ: **﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾** [الصافات: ٦].

وقال تعالىٰ: **﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ﴾** [فصلت: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وَرَوىٰ ابْنُ مردويه عَنِ ابْن مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَّا السَّمَاءُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَهَا مِنْ دُخَانٍ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا، وَزَيَّنَهَا بِمَصَابِيحَ، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ»**(١).

وَرَوىٰ البَيْهَقِيُّ فِي كِتاب «الأَسْمَاءِ وَالصِّفات» بِإِسنادٍ صَحيحٍ عَنْ عبد الله بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قالَ: «خلَقَ اللهُ سبع سموات، وخلق فوقَ السَّابعة الماءَ، وجعلَ فوق الماءِ العرْشَ، وجَعل في السَّماء الدُّنيا الشَّمسَ والقمر والنُّجوم والرُّجوم»(٢).

وَإِذا عُلِمَ ما في الآية الأُولىٰ مِن النَّص علىٰ أنَّ الشَّمس والبُروجَ في السَّماء وما في الآياتِ بعْدَها مِنَ النَّص علىٰ أنَّ الكواكب في السَّماء الدُّنيا، وَما في حَديثَيِ ابْنِ مَسْعودٍ وعبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِن النَّصِّ علىٰ أنَّ الشَّمس والنُّجوم كُلَّها في السَّماء الدُّنيا، فَلا رَيْبَ أنَّه ليْسَ شيْءٌ مِن الكواكِبِ

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩)، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وفي إسناده عمر بن موسىٰ وهو الوجيهي «ممن يضع الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢) (٨٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله، وقد سبق.

يُقاربُ عُشْرَ عُشْرِ الشَّمس في كِبَرِ الحَجْمِ وَشِدَّة الضِّياءِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تكون المَلايينُ مِنْها أَضْخَمَ مِن الشَّمس حَجْمًا، وَأَكْثَر تألُّقًا -أيْ أَشَدَّ إضاءَةً- وَلَوْ كان الأمْرُ عَلىٰ ما يَزْعُمه الصَّوَّاف وأشْبَاهُهُ مِن أَتْبَاعِ أَهْل الهيئَةِ الجديدَةِ، لكانَتِ السَّماء الدُّنيا مَمْلوءَةً مِن الشُّموسِ العِظام، ولكانَ ضَوْؤها يَطْمِس ضوءَ الشَّمس ونُورَ القَمَرِ؛ بَلْ لو كانَ الأمْرُ علىٰ ما زعموه لَاحترَقَ ما بَيْن الخافقيْنِ، ولمْ يُمْكن أنْ يعيشَ علىٰ الأرضِ شَيْءٌ من شدَّة حرارة الشُّموس المزعومة، ولمْ يكُنْ عنْدَ أهْلِ الأرْضِ ليْلٌ أبدًا؛ بلْ يكونُ النَّهار دائِمًا سَرْمدًا مِن كثرة الشُّموس الَّتي تُعَدُّ عندهم بالملايين.

وَفَساد قولِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعِهم في تَعَدُّد الشُّموس لا يخفىٰ إلَّا علىٰ مَنْ ختمَ اللهُ علىٰ سمعه وقلْبِه، وجعَلَ علىٰ بَصره غِشاوَةً، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَةِ» في المِثال الحادِيَ عشَرَ من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدة؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَيْضًا، فقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ: ١٢-١٣]، قَالَ البغوِيُّ في «تفسيرِهِ»[(١)]: «﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ [النبأ: ١٣] يعنِي الشَّمس: ﴿وَهَّاجًا﴾ مُضِيئًا منيرًا».

قال الزّجاجُ: «الوَهّاج الوَقَّاد».

---

(١) (٨/ ٣١٢).

وقال مُقاتِلٌ: «جَعل فيه نورًا وحرارَةً، وَالوَهجُ يَجْمع النُّور والحرارة».

وَقال ابْنُ كَثيرٍ علىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]: «يَعْني الشَّمس المنيرَةَ عَلىٰ جميعِ العَالم الَّتي يتوهَّج ضوْؤُها لِأَهْلِ الأرْضِ كُلِّهِم»[(١)]، انْتَهىٰ.

وَقال الرَّاغِبُ الأصْفهانِيُّ[(٢)]: «الوَهَج حُصُولُ الضَّوءِ، وَالحَرِّ مِن النَّار، وَالوَهَجان كذَلِك: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]، وتَوَهَّج الجَوْهر تَلأْلأَ»[(٣)].

وَقال ابنُ منظورٍ في «لِسان العَرَبِ»[(٤)]: «وَالوَهَج والوَهْج والوَهَجان وَالتَّوَهُّج حرارَةُ الشَّمس والنّار مِن بعيدٍ، وَالوَهْجُ بِالتّسكينِ مَصْدرُ وَهَجت النّار تَهِج وَهْجًا ووَهَجانا إذا اتَّقَدَت»، انْتَهىٰ.

وَقال اللهُ تَعالىٰ مخبِرًا عنْ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه قالَ لقومِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٠٣).

(٢) هو الحسين بن محمد أبو القاسم، العلامة، المحقق، صاحب التصانيف له «جامع التفاسير»، وغير ذلك. توفي سنة (٥٠٢). انظر: «السير» (١٨/ ١٢٠)، و«الأعلام» (٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (ص٨٨٥).

(٤) (٢/ ٤٠١).

قال البغويُّ في قوْلِه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]: «قال الحسن: يعني في السماء الدنيا»: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] مصباحًا مضيئًا[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، قال أبو الفرج ابْنُ الجوزيِّ في «تفسيرِهِ»[(٢)]: «المُراد بالسِّراج الشَّمسُ»، قال: «وقال الماورديُّ: لمَّا اقترَنَ بِضوء الشَّمس وَهَجُ حَرِّها جَعَلها لِأَجْلِ الحرارة سِراجًا، وَلَمَّا عُدِمَ ذلك فِي القَمَرِ جعلَهُ نورًا».

وَقال ابْنُ كثيرٍ[(٣)] علىٰ قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وَهِي الشَّمس المُنيرَةُ الَّتي هِي كالسِّراج في الوُجود؛ كَما قالَ تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]»، انْتَهىٰ.

وَفِي التَّفْسِيرِ المَرْوِيِّ عن ابن عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ [الرعد: ٣] في السّماء: ﴿سِرَٰجًا﴾ شمسًا مضيئَةً لبني آدم بالنَّهار: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مضيئًا لبني آدم بالليل»، انْتَهىٰ.

وَفِي هذه الآيةِ والآيتَيْنِ قبْلَها أوْضَحُ دليلٍ عَلىٰ أنَّه ليس في الوجود سوىٰ شمسٍ واحدَةٍ جعلها الله سِراجًا للعالَم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣١).

(٢) (٣/ ٣٢٦).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٠٣).

وَفي هذه الآيات أَبْلَغُ رَدٍّ عَلىٰ ما يهذو بِه أَهْل الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعُهم من وجود الملايين مِن النُّجوم الَّتي يزعمون أنَّها أكبر مِن الشَّمس حجمًا وأشَدُّ إضاءَةً.

وَقد روىٰ الإمام أحمد والتِّرمذيُّ مِن حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ؛ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ»**(١).

وَهَذا الحديثُ يدلُّ علىٰ أنَّ ضَوْءَ الكواكب كُلِّها لا يُقاوِم ضوْءَ الشَّمس فضلًا عن أنْ يكون فيها ما هو أكبر مِن الشَّمس وأعظَمُ منها ضوْءاً بكثيرٍ.

وَرَوىٰ الإمام أحمد وأبو داود والتِّرمذي وابن مَاجَه وَابنُ حبان في «صحيحه» وَالبيهقيُّ عن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ»**.

وَرَوىٰ الدَّارِمِيُّ في «سُنَنِهِ» وَلَفظُهُ: **«وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ»**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٩)، والترمذي (٢٥٣٨)، وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي في «سننه» (١/ ٣٦١) (٣٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٨٩) (٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٧٣)، وغيرهم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. =

وَرَواه أبُو نعيم في «الحِلْية» عن مُعاذ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»(١).

وَفِي هذيْنِ الحديثيْنِ النَّصُّ عَلىٰ تفضيل القمر علىٰ سائر الكواكب، وفي هذا النَّصِّ أبلغُ رَدٍّ علىٰ ما يهذو به أهل الهيئة الجديدة وأتباعُهم مِن وجود الملايين من النُّجُوم الَّتي يزعمون أنَّها أكبر من الشَّمس حجمًا وأشدُّ إضاءَةً.

وَأمَّا الأدلَّة علىٰ أنَّ الشَّمس مِن أعظَمِ الآيات السَّماوية لَا مِن أصْغَرِها فَفِي عدَّة آياتٍ من القرآن منها قولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

=

وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٢٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٥)، وغيره عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] الآيَةَ.

قال مُجاهِدٌ: «الشَّمْسُ آيَةُ النَّهار، والقَمَر آية اللَّيل»(١).

وقوله تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

وَقَد جاء عن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدَّة أحاديث صحيحةٍ أنَّه قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**»(٢).

وَفي الآيات الَّتي ذكرنا مع هذه الأحاديث دليل علىٰ أنَّ الشَّمس والقمر مِن أعظَمِ الآيات السَّماوية، وَلِهذا نَصَّ الله عليهما دون سائر الأجرام السَّماويَّة، وفيها -أَيْضًا- الرَّدُّ علىٰ مَن زعم خِلاف ذلك.

الثَّاني مِن تناقُضِ الصَّوَّاف: أنَّه ذكر الآية مِن سورة الرَّعد، وَفِيها النَّصُّ علىٰ جريانِ الشَّمس، ثمَّ عارض الآية بِقَوْله في الشَّمس: «بلْ هي مِحور نظامِنا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٤٧٠) عن مجاهد به.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧)، وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وفي الباب عن المغيرة بن شعبة، وأبي بكرة، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

السّياري»، يعني أنّها المركز الثَّابت الَّذي تدورُ عليه الأفلاك والكواكِبُ، وَمِنها الأرْض بزعْمِه وزَعْمِ أسلافه أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ».

وَنَحْو هذا ما ذكره في آخر كلامِه عنِ البعض «أنَّ النَّيازك والشُّهب الَّتي تسقط علىٰ سطح تعوِّض الحَرارة الَّتي تفتَقِدها بطريق الإشعاع»، يعني أنَّ الشَّمس هي المَرْكز والمُسْتَقرُّ الَّذي يقع عليه ما يسْقط مِن الأجْرام العُلْويَّةِ.

والحَقُّ ما أخبر الله به في كتابه من جريان الشَّمس وسَبْحِها في الفَلَك وَدَأْبها في السَّير.

وَقَد نَصَّ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيْضًا- علىٰ جَرَيان الشَّمس واستمرارِها في ذلكَ، وَقَد ذكَرْتُ الأحاديثَ بِذلك في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَما كان جاريًا وسابحًا في الفلك علىٰ الدَّوام؛ فإنَّه لا يكون مِحورًا ثابتًا تدورُ عليه الأفلاك والكواكِبُ.

وَكُلُّ قولٍ خالَفَ كتابَ اللهِ تَعالىٰ أوْ ما صَحَّ عنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمضروبٌ به عُرْضَ الحائط، ومردودٌ علىٰ قائِله.

وَأَمَّا زَعْمهم أنَّ النَّيازك وَالشُّهب تَسْقط عَلَىٰ ظهْرِ الشَّمس، فهو مردودٌ بقولِ الله تَعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وَالشَّمس في السَّماء بنَصِّ القرآن؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١].

وَقال تَعالىٰ مخبرًا عنْ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ ﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وما كانَ في السَّماء فهُو ممَّا أمْسكه اللهُ تَعالىٰ مع السَّماء عَنِ الوُقوع علىٰ الأرْضِ، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الأرض هي المركز للأثقال، والمُسْتقرُّ لِما ينزل مِن السماء.

ويدلُّ علىٰ ذلك -أَيْضًا- آياتٌ وأحاديث ذكرْتُها في «الصَّواعِق الشَّديدَةِ» في آخر الأدلَّة من القرآن علىٰ ثَبات الأرْضِ واسْتِقرارها؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَإِذا كانتِ الأرْض مركزًا للأثقال ومستَقَرًّا لِما يَنْزل من السّماء، فالنَّيازك والشُّهب الَّتي تَسْقط من السَّماء إنَّما تَسْقط علىٰ الأرْضِ لا علىٰ الشَّمس.

وَقد ذكر «فريد وجدي» في دائرة المعارف عِدَّة نيازك سَقَطت علىٰ الأرض وصارَ لها آثارٌ باقيةٌ، وذكر الصَّوَّاف ثلاثَةً منها فِي صَفْحَةِ ٨٢ من رسالته.

الثَّالث مِن تَناقض الصَّوَّاف: زَعْمه أنَّ الشَّمس تَفْقد أربعَةَ ملايين طِنٍّ مِن وَزْنها في الثَّانية الواحِدَةِ، ثمَّ نَقَض ذلك بقوله: «وَلَمْ تزَلْ تُجدِّد وزْنَها وحجْمَها».

وَهَذا كلُّه تخرُّص لا دليلَ عليه مِن كتابٍ وَلا سُنَّةٍ ولا مَعقول صحيح، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ

أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وَقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

الرَّابع من تناقض الصَّوَّاف: أنَّه ذكر فِي صَفْحَةِ ٤١ أنَّه بتَقَدُّمِ العِلْم أمْكَن إِلىٰ حَدٍّ ما معرِفَةُ عناصِرِ الشَّمس، فوَجَد أنها تتكون مِن نَفْسِ العناصر الَّتي تتكون منها الأرض، ثمَّ نَقَض ذلك بما ذكره في هذا الموضع عن الفلَكِيِّين أنَّ الشَّمس إنَّما هي كُرَةٌ هائِلَةٌ مِن الغازات الملتهبةِ.

وَكُلٌّ مِن هذيْنِ القوليْنِ باطِلٌ وضَلالٌ، ويَلْزم علىٰ القول الأوَّلِ أنْ تكونَ الشَّمس تُرابًا وَأَحْجارًا وماءً مِثل الأرْضِ، ولو كانت كذلك لما كانَتْ سِراجًا وَهَّاجًا؛ كما وصفها الله بذلك، وإنَّما تكون باردَةً مضيئَةً، وهذا معلوم البُطْلانِ بالضَّرورة، ويلزم علىٰ القول الثَّاني أنْ تكون الأرض كرَةً مِن الغازات الملتهِبَةِ، وهذا -أَيْضًا- معلوم البُطْلان بالضَّرورةِ.

وَأَمَّا ما في كلامه من التَّخرُّص واتِّباع الظَّنِّ الكاذِبِ فكثيرٌ، ومنه قوله في الشَّمس: إِنَّها مصدَرُ نارِنا.

وَهذا خطأ مردود بقولِه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: ٧١-٧٢].

وكما تكونُ النَّار مِن الشَّجر؛ فكذلك تكون مِن الشَّمس بواسطة بَعْض الزُّجاج، وتكون -أَيْضًا- من الكَهرباء، ومن الكِبْريت، ومن الأحجارِ الصّلبَةِ، وَغير ذلك مما تتولَّد منه النَّار بواسطة الاحتكاك.

وَمَن قالَ: إِنّ النّار مصدرها الشَّمس وحدَها فهو مِن أجهَلِ النَّاس.

وَمِن التَّخرُّص واتِّباع الظَّنِّ الكاذب -أَيْضًا- قوله في الشَّمس؛ بَلْ هي مِحْور نِظامنا السّيّاري، وَمَصْدر حياتِنا، وَقَدْ تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ قَوْلِه؛ بَلْ هي مِحور نِظامنا السّياري قريبًا.

وَأمَّا قولُه: وَمَصْدر حياتِنا.

فَجَوابه مِن وجهيْنِ:

أحدُهما: أنْ يقالَ: إِنّ الحياة مصدَرُها مِن اللهِ وحدَهُ لا شريك له في ذلك، فهُوَ الّذي أوْجَد الخَلْق مِن العدَمِ، وهيَّأَ الأسباب لِحياتهم في دارِ الدُّنيا، وفي الدّار الآخرَةِ.

ومَن قالَ: (إِنّ الشَّمس هي مصدر الحياةِ)، فقد جعَلَها نِدًّا لله تَعالىٰ.

وَالقرآن مملوءٌ مِن تقريرِ التَّوْحيد وَالرَّدِّ علىٰ مَنْ جعل لله نِدًّا مِن خلقه.

قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٦-٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

[الحجر: ٢٨-٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢].

والآيات الدالَّة علىٰ تَفَرُّد الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالخلق والإيجاد كثيرةٌ جدًّا، وفيما ذكرتُه ههنا كفاية.

وروىٰ الإمام أحمد والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسىٰ؛ فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**»(١)، الحَدِيثَ.

وَرَوىٰ الإمام أحمد -أَيْضًا- والشَّيخانِ مِن حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ الشَّفاعةِ قالَ: «**فَيَقولُ النَّاس بعضُهم لبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**»(٢)، الحديثَ.

وَرَوىٰ الإمام أحمدُ والشَّيْخان -أَيْضًا- وأبو داود الطيالسِيُّ وأهل السُّنَنِ إِلَّا النسائيَّ، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدَّثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصَّادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثم يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢//٣٩٨)، والترمذي (٢١٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٠٦٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٥- ٤٣٦)، والبخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»(١)، الحَدِيثَ.

فَقَدْ دَلَّتِ النُّصوص مِن القُرآن والأحاديثِ الصَّحيحة عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ نفخَ فِي آدَمَ مِنْ رُوحه، وَدَلَّ حديثُ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أَنَّ الله تعالىٰ يُرْسل إِلىٰ بَنِي آدَمَ ملكًا ينفخ فيهم الرُّوح وهم في بُطون أمَّهاتهم، وفي هذا أبلَغُ رَدٍّ علىٰ مَنْ قال: إِن الشَّمس هي مصدَرُ حياتِنا.

وَقَد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لقيام المعايش في الدُّنيا أسبابًا كثيرَةً، ومِن أعظَمِها الماءُ واللَّيْل والنَّهار والشَّمس والقَمَر؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، قال البغوي: «أيْ أَحْيَيْنا بِالماءِ الَّذي ينزِل من السَّماء كُلَّ شيء حيٍّ؛ أيْ من الحيوانِ، ويدخلُ فيه النَّبات والشَّجر، يعني أنَّه سببٌ لحياة كلِّ شيءٍ»(٢)، انْتَهىٰ.

وَقال تَعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٢)، والبخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦)، والطيالسي (٢٩٦)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ٣١٦).

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل: ١٠-١٣] الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[النحل: ١٨].

وَقال تَعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرَةٌ، وفيما ذكرْتُه ههنا كفاية في الرَّدِّ علىٰ مَن زعم أنَّ الشَّمس هي مصدر الحياةِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ تعظيمَ الشَّمس بغير ما جاء عن الله تَعالىٰ ورسولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعبَةٌ من المجوسِيَّةِ؛ لِأَنَّ المجوس كانوا يعظِّمون النَّار والنُّور والشَّمس والقمرَ، وقد قال عبيد الله بنُ الحسينِ القيروانيُّ جدُّ العبيديين في «رسالته إلىٰ سليمانَ بنِ الحسن بن سعيد الجنابي القرمطيِّ»: (وَمَن وجدْتَ مجوسيًّا اتفقت معه في الأصلِ في الدَّرجة الرَّابعة منْ تعظيم النَّار والنُّور

والشَّمس والقمرِ)، ذكر ذلك عنهم القاضي أبو بكر محمَّد بنُ الطَّيِّب الباقلانيُّ، ونقله عنه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمِيَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في رَدِّه علىٰ الرَّافِضِيِّ(١).

ورِسالة عبيد الله إلىٰ القرمطي هي الَّتي تسمي عِندهم بـ«البَلاغِ الأكْبَرِ، والنَّاموسِ الأعظم»، أوصاه فيها بِدعاء جميعِ الطَّوائف إلىٰ مذهبهم الخبيثِ، وأمَرَهُ أنْ يتقرَّب إِلىٰ كُلِّ قوْمٍ بما هو معظَّم عندهم، وما تميل أنفسُهُم إليه من العقائد وغيرها.

وَإِذا أضيف إلىٰ تعظيم الشَّمس ما زعموه منْ كونِها مصدَرَ الحياة؛ فذلك زيادةُ شَرٍّ إلىٰ شَرٍّ، وضَمُّ مجوسِيَّةٍ إِلىٰ مجوسيَّةٍ أخرىٰ، وكما أنَّ تعظيم الشَّمس من شُعَب المجوسِيَّة؛ فهو -أَيْضًا- مِن دين اليونان المتقدمين وغيرِهم مِن الصَّابِئين الَّذين يعبدون الشَّمس والقمر والنُّجوم، ويزعمون أنَّها تُدبِّر أمرَ العالم.

فينبغي للمسلم أنْ يبْعُدَ غايَةَ البُعْد عَن عقائد المشركين، ولا يتعلَّق بشيْءٍ منْها؛ فيكون منهم وهو لا يشعر، فَقَد ثبتَ عنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، رواه الإمام أحمدُ وأبو داود مِن حديثِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه ابْنُ حِبَّانَ، وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابْنُ تيمِيَّة -رَحِمهُ

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٨/ ٤٨١).

اللهُ تَعالىٰ- إِسنادُهُ جَيِّد، وقال الحافظ العراقيُّ: «إسنادُهُ صحيحٌ»، وقال ابن حجر العسقلانيُّ: «إسنادُهُ حسن،» وقد احتج الإمام أحمد بهذا الحديث، وذلك يقتضي صحَّتَه عنده(١).

وَمِن التَّخَرُّص واتِّباع الظَّنِّ الكاذب -أَيْضًا- زعْمُهُ أنَّ الشَّمس تَفْقِد أربعة ملايين طِنٍّ من وزنها في الثَّانية الواحدة مِن احتراقِها.

والجَوابُ أنْ يقالَ: لو كان الأمر علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف لكانت الشَّمس قد ذهبت منذ دهْرٍ طويل، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

ومِن التَّخرُّص واتِّباع الظَّنّ الكاذب -أَيْضًا- قوله في الشَّمس: ولم تزل تُجَدّد وزنها وحجمها.

والجوابُ أنْ يُقال: إِنّ الشَّمس مخلوقةٌ مسخَّرَةٌ بأمر الله تَعالىٰ، ولَيْس لها تصرُّف في نَفْسها بِزيادة وَلا نَقْص، وكذلك ليس لها تصرُّفٌ في غيرها من المخلوقات، ومن زعم أنَّها تُجدِّد وزْنَها وحجْمَها فقدْ جعل لها تصرفًا في نفسها، وذلك مِن الشِّرْك في الرُّبوبيَّةِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، وأبو داود (٤٠٣١)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وانظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٢/ ٦٧٦)، و«فتح الباري» (١٠/ ٢٧١).
وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

وَمِن التَّخرُّص واتِّباع الظَّنّ الكاذب -أَيْضًا- قولهم: (إِنّ الشَّمس كُرَةٌ من الغازات الملتَهِبَةِ)، وما زعموه مِن تحديد قُطْرها، وتحديدِ مُحيطِها وثِقَلِها وحرارَةِ سَطْحها، وما زعموه من نَثْرها للطّاقات الكثيرة في الفضاء، وأنَّ سطحها به عَواصِفُ وزوابِعُ كهْربائيَّة ومغناطيسيَّةٌ شديدَةٌ، وأنَّها لم تزَلْ تُشِع في نفس المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين، وأنَّ النَّيازك والشُّهب الَّتي تسقط علىٰ سطحها تعوِّض الحرارة الَّتي تفقدها بطريق الإشعاعِ.

فكُلُّ هذه تَخرُّصاتٌ وظنونٌ كاذبة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

* * *

فصل

وقَدْ ذَكَرَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٨-٥٩-٦٠ إعلاناتٍ لبعض الإفرنج المعاصِرين عنِ انفجاراتٍ حدَثَت في الشَّمس في سنة ١٩٥٦ -١٩٥٧ ميلادية،

مِنْها ما يعادِلُ القوَّة النّاجمة عن تفجير مليون قنبلة هيدروجينيَّةٍ، وَأَنَّه حَدَث في مِنْطقة أكْبَرَ بكثيرٍ مِن مساحة الكرة الأرضيَّة، ومنها ما يُعادل انْفِجار مائَةِ مليون قنبلة هيدروجينية دَفْعَة واحِدَةً.

وَهذه كُلُّها تَخَرُّصاتٌ وهذيانات لا تَروج إلىٰ علىٰ مَنْ لا عَقْل له، وقد أدخلها الصَّوَّاف في علم الفَلَك الَّذي نَسَبه إِلىٰ المسلمين، وذلك مِن أكبر الخطأ وأعظَمِ الفِرْية علىٰ المسلمين، وقدْ قالَ الله تَعالىٰ: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَمِن هذا القبيل ما نشر في جريدَةِ الرِّياض في عدد١٠٠٩ في يوم الخميس خامس جمادىٰ الثَّانية سنة ١٣٨٨ هجرية، تحت هذا العنوان:

(انْفِجارٌ في الشَّمس يُهَدِّد الأرْضَ)

وَهَذا نص المنشور:

«**داندي -اسكتلندة- ٢٨ أغسطس- ١ ب**: سيَأْتي ذلك اليومُ المشرقُ الَّذي ستنفجر فيه الشَّمس، وعندما يقرُب ذلك اليومُ؛ فإنَّ الطّريق الوحيدةَ لإنقاذ الأرض هي إبعادها بعيدًا عن الشَّمس، هذا هو رأي الفَلَكي (أيان روكسبرغ) الذي تكهَّن بهذا الانفجار أمام المؤسسة البريطانية للتَقدُّم العلمي أمسِ، ويقول: إنّه عندما يقترب موعد الانفجار، فإنَّه سيكون يومًا عظيمًا للذين

يَعْشقون أنْ تَلْفَح الشَّمس جُلودَهم بالسّمرة، وقبيل الانفجار النائي ستحترق الشَّمس بسطوعٍ أكثَرَ بعشرة آلاف مرَّةٍ ممَّا تبدو عليه الآن، وستمدد أربعمائة مَرَّة أكثرَ من حجمها الحالي، وبعدها ستنفجر وينْدفعُ ثُلثُها إلىٰ الفضاء، وستكون سرعة الاندفاع عشرين مِيلًا في الثَّانية، أي (٧٢) ألف ميل في السَّاعة، وسيَخِرُّ كلُّ شيء في طريقه بما في ذلك هذا الكوكَبُ الذي نحن فيه، ولكن متىٰ ينتظر أنْ يأتي ذلك اليوم الرهيب، يقول (روكسبرغ): أنَّه بَعْدَ خمسة ملايين عام».

انْتَهىٰ ما نُشِر في الجريدة من التَّخرُّص والهذيانِ الذي يشبه هذيان المجانين، ولا يروج هذا الهذيان إلَّا علىٰ مَن أضلَّه الله، وختم علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوةً.

وقَد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تَعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وَمِن مفاتيح الغيب الَّتي استأثر الله بِعِلمها عِلْمُ ما يكون في المستقبل، فَلا يعلم ما يكون في المستقبل إِلَّا اللهُ، أو مَنْ أظهره الله علىٰ ذلك مِن المُرْسلين؛ كما قال تَعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآية.

وَرَوىٰ الإمام أحمد والبخارِيُّ عنِ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَفَاتِيحُ الغيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهنَّ إِلَّا اللهُ**»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤]».

وَرَوىٰ الإمام أحمد -أَيْضًا- بإسْناد صحيحٍ عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه[1].

وَفِي «الصّحيحين» وغيرِهما من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قِصَّة مجيءِ جبريل إلىٰ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسؤالِهِ عنِ الإيمان والإسلامِ والإحسانِ، وَعَنِ السّاعة، نحوَهُ -أَيْضًا-.

وَفِي «المُسْنَدِ» من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوُ ذلك -أَيْضًا[2]-.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣)، وغيره من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣١٨)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الأرنؤوط: =

وَرَوىٰ الإمام أحمد والبُخاريُّ وأهلُ السُّنن إِلَّا النّسائِيّ عن خالد بن ذَكْوان قال: قالت الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عفْراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جاء النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدخُل حِين بُنِيَ عليَّ فَجلَسَ عَلَىٰ فِراشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبائِي يَوْمَ بَدْرٍ؛ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ:- وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ- فقالَ: «**دَعِي هَذِهِ، وَقُولِي بِالَّذِي تَقُولِينَ**»، قال التِّرمذيُّ: «هذا حديث حسن صحيحٌ».

وَزَاد ابنُ ماجه في آخِرِه: «**مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ**»، وَإسناده صحيحٌ علىٰ شرط مسلم(١).

وَرَوىٰ الإمام أحمد والبخارِيُّ -أَيْضًا- عن مَسْروقٍ قال: قُلْت لعائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا أُمَّ المؤمنين، هل رأىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّه؟ فقالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]: ﴿**۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ**﴾ [الشورىٰ: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا

=

«حديث حسن».

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٠)، والبخاري (٤٠٠١)، وأبو داود (٤٩٢٢)، والترمذي (١٠٩٠)، وابن ماجه (١٨٩٧)، وغيرهم.

فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.

وَرواه مُسْلِمٌ، وَلَفْظُهُ: عن مَسروق قالَ: كُنْت متكئا عند عائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقالَتْ: «يا أبا عائشةَ، ثلاثٌ مَن تكلَّم بواحدة منهن فقَدْ أعظَمَ علىٰ الله الفِرْيَة»، فذكر الحديث، وفيه قَالَتْ: «ومَن زعم أنَّه يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم علىٰ الله الفرْيَة والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]»(١).

وَفِي الآيات والأحاديث الَّتي ذكرنا أبْلَغُ رَدٍّ عَلىٰ مَنْ زعم أنَّه يعلم ما يكون في المستقبل.

وَإذا كانَ أشْرَف المُرْسلين صلوات الله وسلامه عليهِ لا يعلم ما يكون في غدٍ، فغيرُه مِن النّاس أوْلىٰ أَنْ لا يعلموا ذلك.

وَعَلىٰ هذا فَمَن زعم أنَّه يَعْلم ما يكون في المستقبل فهو مِن رءوس الطَّواغيت؛ لِكَوْنِه قد نازعَ اللهَ فيما استأثَرَ به مِن عِلْم الغيبِ، وَمَن نازعَ اللهَ في خصائصه فهو طاغوتٌ شاءَ أمْ أبىٰ، ومن صدَّقه فيما يقولُ فهو ممَّن آمَنَ

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٩)، والبخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالطَّاغوت شاء أم أبىٰ.

وَمَن زعم أنَّه يَعْلم ما يَكون بعد ملايين السّنين فهو شَرٌّ ممَّن زعم أنَّه يعلم ما يكون في غدٍ القريبِ.

وَقَدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] أي: يَجْرون فيهِ، ويسيرونَ بِسُرْعة.

وَقال تَعالىٰ في أربعة مواضِعَ مِن القرآن: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الرعد: ٢] قال البغوِيُّ وغيرهُ: «أي: إلىٰ وقت معلومٍ وهو فناء الدُّنيا»(١).

فالشَّمس لا تزال جاريَةً سابِحَةً في فلكها الَّذي جعلها الله فيه ما دامت الدُّنيا، فإذا كان يوم القيامة أُدْنِيت مِن الخلق حَتَّىٰ تكونَ مِنهم كمِقْدارِ مِيلٍ، وَزِيد في حَرِّها؛ كما جاءت بذلك الأحاديثُ عنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثمَّ بَعْد ذلك تُكوَّرُ في النَّار كما قال تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١].

وَرَوىٰ ابْنُ أبي حاتِمٍ عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: (يُكوِّر اللهُ الشَّمس

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٣).

والقَمَر والنُّجوم يوْمَ القِيامَةِ في البَحْرِ، وَيَبْعَث اللهُ رِيحًا دَبُورًا؛ فَيُضْرِمُها نارًا).

وَكَذا ذَكَرَ البغوِيُّ في «تفسيرِهِ» عنِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن كثيرٍ: وكذا قال عامر الشَّعْبِيُّ.

قُلْتُ: وَيَشْهد لهذا الأثر ما رواه البُخارِيُّ في «صحيحه» عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيامَةِ**»(١).

وَرواه البزار بإسناد صحيحٍ علىٰ شرط مسلمٍ، ولفْظُه: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ**(٢) **يَوْمَ القِيامَةِ**»(٣).

ورویٰ الحافِظُ أبو يعلىٰ عنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثله(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وفي لفظ: «نوران عقيران». قال ابن الأثير: وفي حديث كعب: «إن الشمس والقمر نوران عقيران في النار. قيل: لمَّا وصفهما الله تعالىٰ بالسباحة في قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يعذب بهما أهلها، بحيث لا يبرحانها، صار كأنهما زمنان عقيران، حكىٰ ذلك أبو موسىٰ». انظر: «النهاية» (٣/ ٥٢٩)، و«لسان العرب» (٤/ ٥٩١).

(٣) أخرجه البزار كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله. وانظر: «الصحيحة» (١٢٤).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٧/ ١٤٨) (٤١١٦)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «الصحيحة» (١٢٤).

وروىٰ ابْنُ أبي حاتم عن الشَّعْبِيّ أنَّه سمِعَ ابنَ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وجَهَنَّمُ هو هذا البَحْرُ الأخْضَرُ تَنْتَثِرُ الكواكبُ فيه، وتُكَوَّر فيه الشَّمس والقمرُ، ثمَّ يوقَد فيكون هو جهَنَّم».

فَهذه نِهاية الشَّمس يومَ القيامة لا ما تَخرَّصه عدوُّ الله «أيان روكسبرغ» مِنَ انفجارها وزيادَةِ سطوعها، وتمدُّدِ حجمها، واندفاع بعضها إلىٰ الفضاء، وسُرعة اندفاع المندفع منها، وأنه سَيَخِرُّ كلُّ شيءٍ في طريق ذلك المندفع منها، ومن ذلك الأرضُ.

فهذا كلُّه من زُخْرُفِ القول الذي أوحاه إِلَيْهِ شَيْطانه؛ كما قال الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

وفي هذه الأُكْذوبة الَّتي افتراها «أيان روكسبرغ» التَّصريح بِأنَّه قد تكهّن بما زَعمه مِن انْفجار الشَّمس، والكهانة مِن أمورِ الجاهلية الَّتي قدْ أبطلها الإسلام، والكُهَّان هم الذين تنَزَّل عليهم الشَّيطان؛ كما قال تَعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ

وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] قال قتَادة: «هم الكهنة»، وقال ابن كثير علىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢] أي: «كذوب في قولِه وهو الأفَّاك. أثيمٌ: وهو الفاجر في أفعالِه؛ فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكُهَّان وما جرىٰ مجراهم مِن الكذَبَةِ الفَسَقة»، انْتَهىٰ.

وَمِن أعظَمِ المصائب الَّتي أصيب بها كَثِيرٌ مِن المسلمين تلَقِّيهم لأكاذيبِ أعداء الله تَعالىٰ وتَخَرُّصاتِهم بالقَبُول ومقابلتها بالرِّضا والتَّسليم، ونَشْرها في كُتُبهم وجرائدهم، وتمسكهم بها أَعَظْمَ ممَّا يتمسَّكون بنصوص الكتاب والسُّنَّةِ، وَزعمهم أنَّ ذلك مِن تقدُّم العلم، وهذا مِن تلاعب الشَّيطانِ بهم.

فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَقَد وَرَد التَّشديد في إِتْيان الكُهَّان وَتَصْديقِهم، وَأَنَّ ذلك مِنَ الإيمانِ بِالجِبْت والطَّاغوت، وَقَدْ ذَكَرْتُ ذلك مُسْتوفيًا في أوَّل الكتابِ؛ فلْيُراجَعْ.

وَأَمَّا زعمُهُم أنَّ التكهُّن بانفجار الشَّمس مِن التّقدُّمِ العلمِيِّ فهو مِن قَلْبِ الحقيقَةِ، وَالصَّوابُ المطابِقُ للحقيقَةِ أنَّ ذَلك مِن تقدُّم الجَهْل وظُهورِهِ كَمَا أَخْبَرَ بذلك رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: «**مِنْ أَشْراطِ السّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ**»، متَّفَقٌ عليه مِن حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١).

وَأَمَّا قولُه: «وعِندما يَقْرُب ذلك اليومُ؛ فإن الطّريق الوحيدةَ لإنقاذ الأرض

---

(١) أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هي إِبْعادها بعيدًا عن الشَّمس».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هَذا مِن أسْمَجِ الهَذيان والهَوَسِ، ولا يتفوه بِمِثل هذا الهذيان عاقِلٌ أبدًا.

وَمَن هُو الَّذي يقدِر علىٰ زَحْزَحَةِ الأرض مِن موضعها سوىٰ اللهِ تَعالىٰ، ولوِ اجتمع الأوّلونَ والآخرون مِن الجِنِّ والإنس لَمَا قَدَروا علىٰ زحزحة أَكَمَةٍ مِن الآكام عن موضعها فضْلًا عنِ الجبلِ العظيم؛ فكيف بالأرض؟!

وَقد جاء في عدَّةِ أحاديثَ صحيحةٍ أنَّ الشَّمس تُدْنَىٰ يومَ القيامة مِن الخَلْقِ حتَّىٰ تكونَ مِنْهم كمِقْدَار مِيلٍ، وفي بعضها التَّصريح بِأنَّها تُدْنىٰ مِن الأرض فَتَصْهَرُ النّاس، ويَتَضَرَّرون منها، ولا يَضُرُّ ذلك الأرضَ شيئًا.

وَكذلك قد جاء في الأحاديثِ والآثار الَّتي تَقَدّم ذكرُها قريبًا أَنَّ الشَّمس والقمر يكوَّران يومَ القيامَةِ في البحر، وتنْتَثِر الكواكب فيهِ، ولا يُؤَثِّر ذلك في الأرض، ولا تتَزَحْزَحُ مِن موضِعها فضلًا عنْ أنْ تخِرَّ منه.

وَأَمَّا تسميتُه الأرْضَ كوكبًا؛ فهو خطأٌ وضَلالٌ. وقدِ استوفيت الرَّدَّ علىٰ هذا القولِ الباطل في «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمّا قولُه: إن ما هذىٰ به مِن الانفجار يكون بعْدَ خمسَةِ ملايين عام، فهو مَرْدودٌ بِقول الله تَعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقولِهِ تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ١]، وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ

تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وَقَدْ ثبتَ عَنِ النَّبيّ ﷺ من عِدَّة أوْجُهٍ أنَّه قالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَىٰ.

وفِي روايَة: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ»، وَفِي رواية «بُعِثْتُ أَنَا فِي نَفَسِ السَّاعَةِ؛ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ»؛ لِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ.

قَال الحافِظُ ابْنُ حجَرٍ: «قَوْلُهُ فِي نَفَس بِفَتْحِ الفاءِ، وهو كناية عن القُرْب، أي بُعِثْتُ عِنْدَ نَفَسِها»، انْتَهىٰ.

وَفِي روايَةٍ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي».

وَفِي هذه الأحاديثِ إشارَةٌ إلىٰ قِلَّةِ المُدَّةِ الَّتي بَيْنَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَبَيْنَ قِيَامِ السّاعَةِ، وَلِهَذا قال الحَسَن البَصْرِيُّ: «بَعْثَةُ رَسُول اللهِ ﷺ مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ»، ذكره ابن كثير في «تفسيره»(١)، وقال: هو كما قال.

وَقال البغوي في «تفسيره»(٢): «وكان النَّبيّ ﷺ من أشراط السَّاعة»، وكذا قال ابن كثير: «بعثَةُ الرَّسول ﷺ مِن أشراط السَّاعَةِ»(٣).

---

(١) (٧/ ٣١٥) ط: دار طيبة.

(٢) (٧/ ٢٨٤).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣١٥).

وذكر الحافظ ابن حَجَرٍ في «فتحِ البارِي»(١) عَنِ الضَّحّاك أَنَّه قالَ: أوَّل أشْراطِها بَعْثَةُ مُحمّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَإذا عُلِم قرْبُ زمان النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِن قيامِ السّاعة، وَأَنَّها كادَتْ أَنْ تَسْبِقَه عُلِم بُطْلان ما هذىٰ به (روكسبرغ) من الِانْفجارِ الَّذي يكون في الشَّمس بعدَ خمسَةِ ملايين عامٍ، ولا يخفىٰ أنَّ قوله هذا يعارِضُ قولَ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَقَوْلَهُ -أَيْضًا- «**مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ**»، وَقَوْلَهُ -أَيْضًا- «**بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ**» وَقَوْلَهُ -أَيْضًا- «**أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي**».

وَإذا تعارضَ قَوْلُ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقوْلُ غَيْرِهِ مِنَ النَّاس، فَقَوْل الغيرِ مَطْروحٌ مردود علىٰ قائِله كائِنًا مَن كانَ.

وَفِي الأَحاديث الَّتي ذكرنا أبلغ رَدٍّ علىٰ تخرُّص (روكسبرغ) وهذيانِه لما دلَّت عليه مِن قُرْب قيام السّاعة.

وإذا كان يومُ القيامة لم تبق الشَّمس علىٰ حالها في الدُّنيا، بل تُكَوَّر ويذهب ضوؤُها؛ كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسُّنَّةُ.

* * *

(١) (١١/ ٣٥٠).

فصل

وَقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٠-٦١-٦٢-٦٣ ما نصُّه:

(سُكون الشَّمسِ وجريانُها) وَالقولُ بجريانها وسيرها أو ثُبوتها وقرارِها قَد سبق إليه العلماءُ الأعلامُ مِمَّنِ اشْتغل بهذا العلم مِن المسلمين في القديم والحديثِ وغيرِهم.

أمَّا القول بثبوتها وقرارها كما يَثْبُت الجبل في مَحَلِّه والسَّهل في مكانه، فَلَم يَقُل بِهِ أحَدٌ فيما نَعْلم، والَّذين قالوا بِقرارها قالوا هي ثابتَةٌ ومُتَحَرِّكة في آنٍ واحدة، ثابتةٌ علىٰ مِحورها الذي أرساه الله لها، ومتحرِّكَةٌ حوْلَ هذا المِحْور أي هي دائِرَةٌ حوْلَ نفسِها، ومِثْلُها مِثْلُ المِرْوحة السّقفية الكهربائية، فهي ثابِتَةٌ في سَقْفها، وهي متحرِّكة حوْلَ نفسِها، وبحركتها يَنْطَلِق الهواء المطلوب، وهؤلاءِ استدَلُّوا بقوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، وفسَّروا المُسْتقرَّ بِالمِحْورِ، وَقَد قالَ بِمِثل هذا القَوْلِ رجالٌ مِن سَلَف هذِهِ الأمَّة الخيارِ، وَهُم مِن خَيْرِ العُصور، بَلْ هم مِن العَصْر الأوَّل الَّذي هو خَيْر العصور، فقد ورد عن التَّابعي المَشْهور مُجَاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال في تَفْسير قولِهِ تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥]: «إِنَّهُ كَحُسْبَانِ الرَّحىٰ»، وتبعه علىٰ ذلك بعضُ العلماء، وَهذا يُوافِقُ قولَ مَن قالَ: إِنَّها تجري حوْلَ نفْسِها.

وَهَل يجد القارئ الكريم فَرْقًا بَيْن المَثَلِ الَّذي ضربْتُه وهو المِرْوحة حَيْثُ تَتَحرك وهي ثابتةٌ، وبين ما قاله مجاهِدٌ وَمَثَّلَه بالرَّحىٰ، حَيْثُ تتحرَّك كذلك حول نفسها وهِي ثابتَةٌ بِمكانِها، وَقَد ذكرَ قولَ مُجاهدٍ هذا الإمامُ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه» في كتاب «بَدء الخَلْق» حَيْث قالَ: «بَابُ صِفة الشَّمس والقمرِ، بِحُسْبان: قال مجاهد: كحسبان الرحىٰ، وقال غيره: بحسبان ومنازل لا يعدوانها، وحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان».

قال الحافظ ابن حجَرٍ في «فتح الباري» عند هذه الترجمة ما نَصُّه: «قَوْله قال مجاهد: كحُسْبان الرَّحىٰ، وَصَلَه الفِرْيابيُّ في «تفسيره» مِن طريق ابْنِ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ[1]، ومرادُهُ أَنَّهما يَجْريان علىٰ حِساب الحَرَكَةِ الرَّحِوِيّة الدَّوْريّةِ وعلىٰ وضعها.

قال: وقال غيرُهُ: حِساب ومَنازل لا يَعْدُوانا.

ووقع في نسخة الصّغاني عن ابنِ عبّاس، وقد وَصَله عبْدُ بنُ حميْدٍ من طريق أبي مالك وهو الغِفارِيُّ مِثْله.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٠٧)، ووصله الفريابي في «تفسيره» كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٩١)، ومن طريق الفريابي أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٢)، وانظر: «الفتح» (٦/ ٢٩٨).

وروىٰ الحَرْبيُّ والطبريُّ عن ابنِ عبَّاس نحوَه بإسناد صحيحٍ، وبه جزم الفراء»(١)، انْتَهىٰ.

وَنَقل هذا المعنىٰ عن مجاهد جماعَةٌ مِن المفسِّرين الكبار الأئمَّةِ منهم الإمامُ أبو جعْفَرٍ ابْنُ جريرٍ(٢)، والإمامُ أبو عبد اللهِ القرطُبِيُّ(٣) وغيرُهُما؛ كما نُقِلَ عَنْ مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ وَجْهٌ آخَرُ يخالف هذا الوجهَ، وذلك فيما رواه عنه الإمام أبو جعفر ابن جريرٍ في «تفسيره»(٤) حيث قال عند تفسير قوله جَلَّ وَعَلَا في سورة الأنعام: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦]: «حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهدٍ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ قالَ: هو مِثْلُ قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وَمِثْلُ قوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]»، انْتَهىٰ.

وقال ابن حبان(٥) في تفسيره «البحر المحيط»(٦): «قال مجاهد:

---

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٢٩٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٧٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥٣).

(٤) (٩/ ٤٢٩).

(٥) هو محمد بن يوسف الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني صاحب التصانيف له «تحفة الأريب»، وغير ذلك. توفي سنة (٧٤٥). انظر: «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ٢٧٦)، و«الأعلام» (٧/ ١٥٢).

(٦) (١٠/ ٥٥).

الحُسْبان الفَلَك المستديرُ شَبَّهَه بحسبان الرحىٰ، وهو العُود المستدير الَّذي باستدارَتِه تستَدِيرُ المطحنة».

وَنَقَل شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(١) عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي وأبي محمد بن حزم وأبي الفرج بن الجوزي أنَّهم حَكَوُا الإجماعَ علىٰ أنَّ الأفلاك مستديرَةٌ، كما ذكرنا ذلك سابقًا.

والجوابُ عن هذا من وجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقال: إنّ العُلماء الأعلامَ مِن الصّحابة والتَّابعين وتابِعيهم بإحسان إلىٰ زَمَنِنا كُلُّهم مجمِعُون عَلَىٰ القَوْل بجريان الشَّمس في الفَلَك تَصْديقًا لِما أَخْبَرَ اللهُ بِه في كِتابه، وما أخبر به رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصَّحيحةِ، وَلَمْ يقلْ أحدٌ منهم بِثَبات الشَّمس واستقرارِها، لا في القديم ولا في الحديث، والعِبْرَةُ بِهِم لا بِغَيْرِهِمْ.

وَمَنْ حادَ عَنْ مِنهاج الصَّحابَةِ والتَّابعين مِنَ الفَلَكِيِّين وَغَيْرِهِم، فَهُوَ مِنَ الجُهَّالِ، لا من العلماء ولا عِبْرَةَ بِهِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: إنّ الَّذين سبقوا إلىٰ القولِ بثبات الشَّمس واستقرارِها، هُمْ (فيثاغورس اليوناني) وأتباعُه في القديم، و(كوبرنيك البولوني) و(هرشل الإنجليزي) وأتباعُهما مِن فلاسِفَةِ الإفرنج في الحديث، وهؤلاءِ لَيْسوا

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦١).

مِن المسلمين فضلًا عنْ أنْ يكونوا من العُلَماء الأعْلامِ.

وزَعْمُ الصَّوَّاف أنَّهم مِن المُسْلمين، ومِن العُلماء الأعلامِ، لا أساس له مِنَ الصِّحّةِ، وَإِنَّما هُو تمويهٌ، وَتَلْبيسٌ عَلىٰ الجَهَلَةِ الأغْبياءِ.

الوَجْه الثَّالِثُ: أنَّ الصَّوَّاف قد جمَعَ في كَلامه بَيْنَ النَقِيضَيْنِ فقالَ في التّرجمة ما نصه (سكون الشَّمس وجريانُها) وهذا تناقُضٌ لا يصدر مِنْ عاقلٍ؛ لِأَنَّ السُّكون ينافي الجريانَ.

الوجْهُ الرَّابعُ: أنَّ كلام الصَّوَّاف يوهِمُ أنَّ الفلكِيِّين المُنْتَسِبين إِلىٰ الإسلام في القديم كانوا يقولونَ بِثَبات الشَّمس واستقرارِها، وهذا كَذِبٌ عليهم؛ لِأَنَّ الفلكِيِّين قَبْل ظُهور أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ كانوا علىٰ القوْلِ بِثَبات الأرْضِ واستقرارِها وجريانِ الشَّمس وسيرِها، وأوَّل مَنْ قال بخلاف ذلك هو (كوبرنيك البولوني) في أثْناء القرْنِ العاشِرِ من الهجرة وتَبِعَهُ علىٰ ذلك مَنْ كانَ بَعْده مِن فلاسفة الإفرنج.

ولمَّا كان في القرن الرابعَ عَشَرَ من الهجرة كثُرَ المقلِّدون لأهل الهيئَةِ الجديدة من العصْرِيِّين المنتسبين إلىٰ العلم، فخالفوا ما جاء في كتابِ الله وما صحَّ عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجْمَعَ عليه المسلمون، ولا عِبْرَةَ بهؤلاء العصرِيِّين المفتونين بآراء الإفرنج وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذِبَةِ، وكما أنَّه لا يُعْتَدُّ بِأقوالِ أعداء الله في شَيْءٍ مِن المَسائل العلمية؛ فكذلك لا يُعْتَدُّ بأقوال

أتباعهم ومقلديهم بطريق الأولىٰ، ولو كانوا من المسلمين.

الوجْهُ الخامِسُ: ذَكَرَ الألوسِيُّ فِي صَفْحَةِ ٢٩ مِن كِتابه الَّذي سَمَّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة» أنَّ أصحاب الزيج الجديدِ ذهبوا إلىٰ أنَّ الشَّمس ساكنةٌ لا تتحرك أصلًا، وأنَّها مركزُ العالم، وأنَّ الأرض وكذا سائر السّيارات والثّوابت تتحرَّكُ عليها، وهذا يَرُدُّ قولَ الصَّوَّاف: (إنّ القول بثبات الشَّمس واسْتِقرارِها؛ كما يَثْبت الجبل في مَحَلِّه لَمْ يَقُلْ به أَحَدٌ).

الوَجْهُ السّادس: أنَّه لم يَجِئْ في كتاب الله تَعالىٰ ولا عن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أنَّ للشَّمس مِحورًا تدورُ عليْهِ، وَمَن أَثْبتَ أَنَّ لِلشَّمْسِ أو غَيْرِها مِن الأجرام العُلْوِيّةِ مَا لَمْ يخْبِر اللهُ بِهِ ولا رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُو مُتخرِّصٌ مُتَّبِعٌ للظَّنِّ.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

والعِلْمُ ما جاء في كتابِ الله تَعالىٰ، وما ثَبتَ عن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال تَعالىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تَعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣-٤].

الوَجْهُ السّابِعُ: أَنَّ القَوْلَ بِثباتِ الشَّمس علىٰ مِحْورِها، وَدَورانِها حَوْلَ نَفْسِها وتمثيلِها بالمِرْوحةِ السّقفية الكهربائيَّة ينافي ما أخبر الله به من جَرَيانها وسَبْحها في الفَلَك ودُؤُوبُها في ذلك، وما أخبرَ به من طلوعها وغُرُوبها ودُلُوكِها وأنَّه يأتي بها مِنَ المَشْرِق، وما أخبر به رسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن جريانها وذهابِها إِلىٰ مُسْتَقَرِّها تحتَ العرْشِ إذا غَرُبَتْ، ورُجوعِها إلىٰ مطلعها، وطُلُوعِها وارتفاعِها واستوائها وزوالِها ودنوِّها للغروب وغُروبِها، وَحَبْسِها لِـ(يوشعَ بنِ نون) حين حاصر القريَةَ حتَّىٰ فتَحَها الله عليه.

وقدْ ذكرْتُ الآيات والأحاديث الدالَّةَ علىٰ جريان الشَّمس في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وقدْ قال النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينَ غرُبَت الشَّمس: «تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ

تَحْتَ العَرْشِ؛ فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالإمام أحمدُ، وأبو داود الطيالِسِيُّ، والتِّرْمِذِيُّ، وَقالَ: هَذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

وَفِي رواية لِمُسْلم: أنَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُون أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرَّ سَاجِدَةً **فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرَّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ؛ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا**».

وَهذا الحديثُ الصّحيح صريحٌ في بيان المراد من قولِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، وَفِيهِ الرَّدُّ علىٰ مَنْ تأوَّل الآية علىٰ غيرِ تأويلِها.

الوَجْهُ الثَّامن: قالَ شيخُ الإسلام أبو العبّاس ابنُ تيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَنْ فَسَّرَ القُرْآنَ وَالحديثَ وتأوَّلَهُ علىٰ غَيرِ التَّفسيرِ المَعْروفِ عَنِ الصّحابَةِ والتَّابعين فهو مُفْتَرٍ علىٰ الله، مُلْحِدٌ في آياتِ اللهِ، مُحَرِّفٌ لِلكَلِمِ عَنْ مَواضِعِه»، انْتَهىٰ(١).

وَمِنَ الافتراء علىٰ اللهِ والإلحادِ في آياته وتحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضعه تفسيرُ المُسْتَقَرِّ بالمحْورِ الَّذي تدورُ عليه الشَّمسُ؛ علىٰ حدِّ زعمهِم الباطِلِ. وَمُخَالَفَةُ ما ثبت عن النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفسيرِ قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] الآيَةَ.

وقَدْ تقدَّم حديثُ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذلك، وفيه كِفايَةٌ في الرَّدِّ علىٰ مَنْ فسَّرَ المُسْتَقَرَّ بالمِحْوَرِ.

الوَجْهُ التَّاسِعُ: أنَّ تفسيرَ المُسْتَقَرّ بالمِحْورِ الَّذي تدورُ عليه الشَّمس وهي ثابِتَةٌ في موضعها كما تدورُ المروحة السقفية الكهربائية، خَطَأٌ مردودٌ مِنْ وجهينِ:

أحدُهُما: أنَّ الَّذي يجري لَا يثبُتُ في موضِعِه، بل يفارِقُه بِالانتقال إلىٰ غيره؛ كما قال اللهُ تَعالىٰ مخبِرًا عن سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤١-٤٢] الآياتِ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤] الآيَةَ.

ففرَّق تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بيْنَ جرْيِ السّفينَةِ في الماءِ، وبيْنَ رُسُوِّها واستوائِها علىٰ جَبَل الجُودِيّ.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورىٰ: ٣٢-٣٣].

ففرّق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيْنَ جريِ السُّفُنِ في الماء وبين رُكودِها عَلىٰ ظَهْر البَحْر وهو وُقوفُها وسكونُها عليْهِ.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٨١] الآيَةَ.

والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرَةٌ جِدًّا.

ثانيهما: أنَّ الذي يدور علىٰ مِحوره مَع ثباتِه في موضِعه لا يوصف بالجَريان، وإنما يوصف بالدّورانِ فَقَط.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد وصف الشَّمس بِصفات لا تنطَبِق علىٰ ما هو ثابتٌ في موضعه ودائِرٌ علىٰ محوره؛ فوَصَفها بالجريان والدُّؤوب في ذلك والسَّبْحِ في الفَلَك والطُّلوعِ والغُروبِ والدُّلوكِ والتَّزاوُرِ.

وأخبر أنه يَأْتِي بِها مِن المَشْرق.

وكذلك الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد وصَفَها بالجَريان والطُّلوع والارْتِفاع والإِسْتواءِ والزَّوالِ والدُّنُوِّ مِن المغْرِب، والغُروبِ، والذَّهاب إلىٰ مُسْتَقَرِّها تحت العَرْشِ إذا غربت، ورُجوعِها بعد ذلك إلىٰ مَطْلَعِها،

وأخْبَرَ أنّها حُبِسَت لِـ«يوشع بن نون» حين حاصَرَ القريَةَ حتَّىٰ فَتَحَها اللهُ عليه، وهذه الصِّفات لا تنطبق علىٰ ما هو ثابِتٌ في موضِعِه ودائِرٌ علىٰ مِحْورِهِ كالمِرْوحَةِ السّقفِيَّةِ الكهربائِيَّةِ، وإنَّما تنطبق علىٰ ما هو سائِرٌ علىٰ الدّوامِ.

وَبِما ذكرنا يتَّضح بُطْلانُ ما حاوله المُقَلِّدون لأهل الهيئَةِ الجديدَةِ مِن حمل الآية الكريمةِ علىٰ زعمهم الباطِلِ.

وَهَهنا أمرانِ ينبغي التَّنْبيهُ عليهما.

أحدهُما: أنَّ لفظ الدّوران لفظٌ مُشْتركٌ؛ لأنَّه يطْلَق علىٰ ما يدورُ علىٰ نفسه وهو ثابِتٌ في موضعه؛ كالمراوح الكهربائية. ويطلق علىٰ ما يَجْري ويدورُ في شيء متسع جِدًّا كالشَّمس والقمَرِ والنُّجوم الَّتي تجري في الفَلَك وتدورُ علىٰ الأرض.

فمن جعل جَريانها في الفَلَك ودَورانها علىٰ الأرْضِ مِثْل دَوران المَراوح الكهربائية، فقد غَلِطَ غَلَطًا فاحِشًا، ومنْ فَرَّق بينها وبينَ ما يدور علىٰ نَفْسِه وهُوَ ثابِتٌ في موضعه، فقَدْ أصابَ.

الأمْر الثَّاني: أنَّ المُواصفاتِ بالجريانِ أوِ الدّوران عَلىٰ ثَلاثة أَضْرُبٍ:

الأوَّلُ: ما يُوصفُ بِالجريانِ فَقَط كالرِّياح، والسُّفُنِ، والخيْلِ، والأنْهار والعُيونِ، وغيرِها ممَّن يجري في جهةٍ أو جِهات غيرِ مستديرةٍ.

الثَّاني: ما يوصَفُ بالدَّوران فقَطْ؛ كالمَراوح الكهربائيَّةِ الَّتي تَدورُ، وهِي ثابتَةٌ في مَواضعِها.

الثَّالِثُ: ما يجري في شَيْءٍ مُستديرٍ، فَهُو بهذا يَجْمع بيْنَ الجَريان وَالدَّورانِ؛ كالشَّمس، والقَمَر، والنُّجوم؛ فإنَّها تَجْري في الفَلَك -وَالفَلَك مُسْتديرٌ بِالإجماع-، وَتدور علىٰ الأرض، فَمِن أجْلِ كونِها تَجْري في الفَلَك تُوصَفُ بالجَريان؛ كما دَلَّت علىٰ ذلك النُّصوصُ الكثيرَةُ مِن القرآنِ وَمِن السُّنَّة -أَيْضًا- في جَريان الشَّمس، وَمِن أجْلِ كونِها تدورُ عَلىٰ الأرْضِ في فَلَك مُسْتديرٍ تَقْطعُه في كلِّ يومٍ وليلَةٍ تُوصَفُ بالدَّورانِ؛ كَما قالَ ذلك مَنْ قاله مِن السَّلف؛ كمُجاهِدٍ وغيرِهِ.

وَنَظِير ذلك الطّائفُ بِالكعْبَةِ؛ فَإِنّه يجمَعُ بيْنَ المَشْيِ والدَّورانِ عَلىٰ الكعبة، وَكما لا يقول عاقِلٌ: إنَّ الطائِفَ بالكعْبَةِ إنَّما يُوصَف بالدَّوران عَلىٰ نَفْسه، فكذَلِك لا يَقُول عاقِلٌ: إنَّ الشَّمس والقَمَر والنُّجوم إِنَّما توصف بِالدّوران فَقَط، كَما تدورُ المَراوح الكَهْربائِيَّةُ.

الوَجْه العاشِرُ: أنَّ الصَّوَّاف أَخْطأَ خطَأً كبيرًا علىٰ مُجاهدٍ وغيرِهِ مِن

الرِّجال الَّذينَ أشارَ إليهم بِقولِهِ: «وَقَد قالَ بمثْلِ هذا القولِ رجالٌ مِن سَلَف هذه الأُمَّة الخيارِ، وهُمْ من خير العصورِ، بل هم مِنَ العصْرِ الأوَّل الذي هو خيرُ العصورِ).

وَهذا كَذِبٌ علىٰ مُجاهد وغيرِه ممَّن أشار إليهم في كلامِه هذا، فَلَم يقُل أحدٌ مِن الصّحابة الذين هم خيرُ العصورِ ولا التَّابعين ولا تابعيهم بِإِحْسانٍ وَلَا أئمَّةِ العِلْم والهُدىٰ مِن بعدِهم أنَّ الشَّمس ثابتَةٌ، وأنّها تدورُ حوْلَ نَفْسها كَما تدورُ المروحة السَّقفيَّةُ الكهربائيَّةُ، وأنَّ مستقرَّها هو مِحْورها الَّذي تدورُ عليه، وَمَنْ زعم أنَّ أحدًا مِنْهم قال بهذا القولِ الباطِلِ، فَهو مُفْترٍ أثيمٌ.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]

قال أبو قلابة: «هِي -واللهِ- لِكُلِّ مفترٍ إلىٰ يومِ القيامةِ».

وَقَد سبَق للصّوافِ أنْ أورَدَ آياتٍ من القرآنِ، وألْحَد فيها، حيْثُ تأوَّلها علىٰ غيْرِ تأويلِها، وَحَمَلها عَلىٰ ما هو مفتونٌ به مِن آراء الإفرنجِ وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة، وَمَن كانَ جريئًا عَلىٰ الإلحاد في آياتِ الله وتحريفِ الكلمِ عن مواضِعِه فغَيْرُ مُسْتبْعَدٍ منْه أنْ يفترِيَ علىٰ مُجاهد وغيرِه مِن السَّلف الصَّالح، وَيَقول عليهِمْ ما لم يقُولوه، ولا يَحْتَمِله كلامُهُم.

الوَجْه الحادِيَ عَشَر: أنَّ مجاهدًا إنَّما أرادَ بِالحُسْبان الفَلَك الَّذي تَجْري

فيه الشَّمس والقَمَر والنُّجومُ، ولم يُرِد بِهِ المِحْور الَّذي زَعَمه الصَّوَّاف تَبعًا لِأئمَّتِه أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ، فروىٰ ابْنُ أبي حاتِمٍ مِن طريق عبد الله بنِ كثيرٍ أنَّه سَمِع مجاهدًا(١) يقولُ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] قالَ: «النُّجومُ والشَّمْسُ والقَمرُ فَلَكٌ كفَلْكَةِ المغزَلِ»، وقالَ: «مْثلُ ذلكَ الحُسْبانُ»، يَعْني حُسْبانَ الرَّحىٰ وهو سفودها القائِمُ الَّذي تَدور عليْهِ-، وكان مُجاهد يُفسِّر قولَه تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] بهذا.

قال مُجاهد: «وَلا يدورُ المِغزل إِلَّا بالفَلَكة، ولا تدورُ الفلكة إِلَّا بالمِغْزل، وَلَا يدور الحُسْبان إِلَّا بالرَّحىٰ، ولا تدور الرَّحىٰ إلىٰ بالحُسْبان».

قال: «فكذلك النُّجوم والشَّمس والقمر هي في فَلَك لا يَدُمْنَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يدوم إِلَّا بِهِن»، قالَ: «فنقَرَ لي بإصْبعه»، قال: فقال مجاهد: «يَدُمْن كذلك كما نَقر» قال: «فالحُسْبان والفَلَك يصيرانِ إلىٰ شيءٍ واحد غير أنَّ الحسبان في الرَّحىٰ، والفَلَكَ في المِغْزل».

قَال شيخ الإسلام أبو العباس ابنُ تيميَّة(٢) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- بعد ما ذَكَر هذا الأثَرَ عن مجاهِدٍ: «قوله: لا تدوم إِلَّا به، أي لَا تدور إِلَّا به، ومِنْه الدُّوامة بالضّم والتّشديدِ، وهي فَلَكة يرميها الصَّبِيّ بخيطٍ، فتدومُ علىٰ الأرض أي تدورُ،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢١١)، وغيره عن مجاهد به.

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٢).

وَمِنه تدويمُ الطّير، وهو تَحْليقه ودَورانه في طيرانِهِ؛ ليرتَفِع إلىٰ السَّماء.

وَقَولُه: (فَنَقَر بِإصبَعِه)، يعني نَقَر بها في الأرض، وَأَدَارها؛ لِيُشْبِه بذلك دورانَ الفَلَك»، انْتَهىٰ.

وَروىٰ ابنُ جريرٍ عن مُجاهِدٍ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] قال: هُو مِثْل قولِه: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وَمِثْل قولِهِ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾.

وَقال ابنُ كثيرٍ(١) عند قوله تَعالىٰ في سورة الأنْبياءِ: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾: أي يَدورونَ.

قال ابن عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا يَدورونَ كما يدور المِغْزل في الفَلَكَة، قال مجاهِدٌ: فلا يدور المِغْزل إِلَّا بالفَلَكَة، ولا الفلكةُ إِلَّا بالمِغْزل، كذلك النُّجوم والشَّمس والقمر لا يدورون إِلَّا به، ولا يدور إِلَّا بِهِنّ؛ كما قال تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال ابنُ كثيرٍ(٢) -أَيْضًا- في تفسير «سورة يس»: «وقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يعْني اللَّيْلَ والنّهار، والشَّمس والقمرَ،

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٣٤١).
(٢) المصدر السابق (٦/ ٥٧٩).

كلُّهم يسبحون أي يدورن في فَلَك السَّماء؛ قاله ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وعِكْرمَةُ والضَّحَّاك والحَسَن وقتادَةُ وعطاءٌ الخُراسانِيُّ، قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيرُ واحدٍ منَ السَّلف في فَلَكةٍ كفلْكَة المِغْزل، وقال مجاهد: الفَلَك كحدِيدِ الرّحىٰ، أو كفَلَكَة المِغْزل لا يدورُ المِغْزل إِلَّا بها، ولا تَدور إِلَّا به».

وقال أبو حيَّان في «تفسيره»: «قال مُجاهد: الحُسْبان الفَلَك المُسْتديرُ، شَبَّهه بحُسْبان الرَّحىٰ، وَهُو العودُ المُسْتدير الَّذي باستدارته تستدير المِطْحَنَة»، انْتَهىٰ.

وممَّا ذكرنا يُعْلَم أنَّ البُخارِيَّ قدِ اختصرَ قولَ مُجاهدٍ، ولم يُوردْهُ بِتَمامه.

ويُعْلم -أَيْضًا- أنَّ مجاهدًا إنَّما أرادَ بالحُسْبان الفَلَك الذي تدور فيه النُّجوم والشَّمس والقمر، وَلَم يُرِد به المِحْور الذي توهَّمه الصَّوَّاف وأئمَّتُه مِن فلاسِفَةِ الإفْرِنج.

وَقد قال شَيْخ الإسلام أبو العبَّاس ابن تيميَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «فأمَّا قوله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقولُه: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] فقد قيلَ: هو مِن الحِساب، وقيل: بِحُسْبان كحسبانِ الرَّحىٰ وهو دَوران الفَلَك، فإنَّ هذا ممَّا لا خِلاف فيه، بلْ قد دلَّ الكتاب والسُّنَّة، وأجْمَع علماءُ الأمَّة عَلىٰ مثْلِ ما عليه أهل المعرفة مِن

أَهْل الحِساب مِنْ أنَّ الأفلاكَ مستديرَةٌ لا مُسَطَّحَة»[(١)]، انْتَهىٰ.

الوَجْه الثَّانِيَ عَشَرَ: أنَّ القمَرَ قرينُ الشَّمس في الحُسْبان، كَمَا أَنَّه قرينُها في الجريان والسَّبْح في الفَلَك والدُّؤوب في السَّير والبزوغِ والأفولِ؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقالَ تَعالىٰ في أرْبَعة مواضِعَ من القرآن: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

وقال تَعالىٰ في موضِعَيْنِ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٨].

وإِذا كان القَمَر قرينَ الشَّمس في كتاب الله تَعالىٰ؛ فإنَّه يلزم أنْ يُقالَ فيه مِثْلُ ما قيل في الشَّمس، فمَن قال: إنّ للشمس مِحورًا تدور عليه وهي ثابتة في مَكانها كما تدور المروحة السَّقفيَّة علىٰ مِحْورها، وَأَنَّ ذلك المِحْور هو الحُسْبان الَّذي ذكرَهُ اللهُ في كتابه، فلازِمُ قولِهِ أنْ يكون لِلقمَرِ مِحْور يدورُ عليه، وهو ثابتٌ في

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ١٤٢).

مكانِهِ، كما تدور المروحة السّقفيَّة علىٰ محورها، وهذا ما لا مَحِيدَ لِلصَّواف عنه، وهو مِنْ أبطَلِ الباطل كما أنَّ التَّفريق بيْنَ الشَّمسِ والقمر فيما جمَعَ اللهُ بينهما فيه مِنْ أبْطَلِ الباطِلِ -أَيْضًا-.

والتَّفريق بينهما هو الَّذي عليه أهل الهيئَةِ الجديدَةِ مِن فلاسفَةِ الإفرنج وأتباعهم من العصْرِيِّين المفتونين بآرائهم وتَخَرُّصاتهم وظنونهِمُ الكاذبَةِ.

ومَثَلُ هؤلاءِ الذين يفرِّقون بين ما جمع اللهُ بيْنَه كمَثَلِ اليهود يؤمنونَ بِبَعْضِ الكتابِ ويكفرون بِبَعْضٍ.

الوجْه الثَّالثَ عَشَر أن يُقال: قدْ تبيَّن لمَنْ له أدنىٰ علمٍ وفهم أنَّ الصَّوَّاف قد افترىٰ علىٰ مُجاهد وعلىٰ العلماء الَّذين زعم أنَّهم قالوا: إنَّ الشَّمس ثابتَةٌ، وأنّها تدورُ حوْل نفسِها، كما تدور المروحة السَّقفية علىٰ مِحْورها، وَأَنَ مستقرَّها هو مِحورُها الَّذي تدور عليه.

وَحِينئذ فقوْله: (وهل يجد القارئُ الكريم فرْقًا بين المَثَل الذي ضربته وهو المروحة حيث تتحرك وهي ثابتَةٌ، وبين ما قاله مجاهد ومثَّله بالرَّحىٰ حيثُ تتحرَّك كذلك حول نفسِها وهي ثابتَةٌ بمكانِها).

جَوابهُ أن يُقال: الفرْقُ بينَهُما واضِحٌ جَلِيٌّ، أمَّا مجاهِدٌ فإنَّه شبَّه الفَلَك الذي تجري فيه الشَّمس والقَمَر والنُّجوم، وَيَدُرْنَ فِيه عَلىٰ الأرْضِ بِفَلَكَة المِغْزل وحُسْبانِ الرَّحىٰ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِن الفَلَك والفَلَكَة والحُسْبان يُدَار عليه، فَهَذا

وجْهُ تشبيهِ مُجاهدٍ وغيرِه مِن السَّلف لِلفَلَك بفَلْكَة المِغْزل وحُسْبان الرَّحىٰ.

وأمَّا الصَّوَّاف فإنَّه زعم أنَّ الحُسْبان هو المِحْور الَّذي تدورُ عليه الشَّمس وهي ثابتَةٌ في مَكانها كما تتحرَّك المروحة السَّقفيَّة علىٰ محورها، وهذا القولُ الذي ذهب إليه الصَّوَّاف لا أصْلَ له مِن كتابٍ ولا سُنَّةٍ، ولا قالَهُ أَحَدٌ مِن الصّحابة ولا التَّابعين ولا أئمَّة العلم مِن بَعْدهم، وَإِنَّما قاله أهل الهيئَةِ الجديدَةِ مِن فلاسفة الإفرنج وَمَن يُقلِّدهم ويحذُو حذْوَهم مِن العصرِيِّين المفتونين بآرائهم وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبَةِ.

وَمُجاهد -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- أجَلُّ قدرًا مِن أن يقول بهذا القول الباطلِ المُخالف لكتاب اللهِ تَعالىٰ وسنَّة نبيِّه محمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ: قد تقدم أنَّ مجاهدًا قال في قوله تَعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]: للنُّجوم والشَّمس والقَمَر فَلَك كفَلْكَة المِغْزل، وقالَ: مَثَل ذَلِك الحُسْبان يعني حُسْبان الرَّحىٰ، وهو سَفُّودُها القائِمُ الَّذي تدور عليه، قال: وَلا يدورُ المِغْزل إِلَّا بالفلَكَة ولا تدورُ الفلكة إِلَّا بالمِغْزل ولا يدور الحُسْبان إِلَّا بالرَّحىٰ، ولا تدور الرَّحىٰ إلىٰ بالحسبان، قال: فكذلك النُّجوم والشَّمس والقمَرُ هي في فَلَك لا يَدُمْن إِلَّا به، ولا يدوم إِلَّا بهنَّ.

وَإِذا كان مجاهدٌ قد جمع بين الشَّمس والقمر والنُّجوم في تَفْسير الفلك والحسبانِ، ولم يفرِّق بينها، فإنه يلزم علىٰ قول الصَّوَّاف أنْ يكون مجاهدٌ يرىٰ

أن كلًّا من الشَّمس والقمر والنُّجومِ له مِحْورٌ يدور عليه وهو ثابتٌ في مكانه، كما تدور المروحة السَّقْفيّة الكهربائيَّة علىٰ مِحْورها وهي ثابتة في سقفها، وهذا ما لا مَحِيد للصَّواف عنْه، وحينئذ فلا بُدَّ للصّواف ومَن قال بقوله من أحد أمرَيْنِ: أحدهُما: أن يُلْزِموا مُجاهدًا بهذا القول الباطِلِ الَّذي لم يقل به أحدٌ من المسلمين فضْلًا عن مجاهد.

وإمَّا أنْ يرجعوا عمَّا افترَوْه علىٰ مُجاهد في تخصيص الشَّمس بالثَّبات في مكانِها دونَ القمر والنُّجومِ.

الوجْهُ الخامِسَ عَشَرَ: أنَّ قولَ مجاهدٍ في الحسبان والسَّبْح في الفلك متَّفِقٌ.

وما جاء في بعض الرِّوايات عنه من ذكر الدَّوران؛ فالمراد به دوران الشَّمس والقمر والنُّجوم علىٰ الأرض، وهي في فَلَكها الَّذي تسْبَح فيه، أي تجري فيه بِسُرْعة، كما تقدَّم إِيضاحُ ذلكَ، وليس هو بدورانٍ فقطْ كما تدور المراوح الكهربائيَّةُ.

ويدلُّ علىٰ ذلك ما رواه ابن جريرٍ[1] عنه أنَّه قال في قوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦] قال: «هو مِثْل قوله: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، والسَّبْح هو الجَرْي بسرْعَةٍ».

قال الرَّاغب الأصْفهاني: «السَّبْح المَرُّ السَّريع في الماء وفي الهواء، يُقال سَبَحَ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٢٩).

سَبْحًا وَسِبَاحَةً، واستعير لِمَرِّ النُّجوم في الفَلَك نحو: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ولجَرْيِ الفَرَس نَحْو: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣]، وَلِسُرْعة الذَّهاب في العمل نحوَ: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧]»(١).

وقال شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابْنُ تيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «السِّباحَةُ تتضمَّن الجرْيَ بسُرْعة كما ذكر ذلك أهل اللُّغة»(٢)، انْتَهىٰ.

وَإِذا عُلِم هذا، فكلامُ مُجاهد صريحٌ في كونه يَرَىٰ أَنَّ الشَّمس والقَمَر والنُّجوم سابِحَةٌ في الفَلَك أي جاريَةٌ فيه بسُرْعة، وَإِنَّ الفَلَك لهُنَّ مِثْل الحسبان للرَّحىٰ والفَلْكَةِ للمِغْزَل، يعني أَنَّهن يَدُرْنَ حول الأرض في فلك مستديرٍ، وفي هذا رَدٌّ علىٰ مَنْ تَقَوَّل عليْهِ، وزعم أَنَّه يقول: «إِنَّ الشَّمس ثابتَةٌ ودائرة علىٰ نفسها مِثْل المروحة السقفيَّة الكهربائيَّة»، وأمَّا زعم الصَّوَّاف أَنَّ قوْلَ مجاهد يخالف بعضُه بعضًا، فهو خَطَأٌ مردودٌ.

الوجه السَّادِسَ عَشَر: لوْ فرضْنَا أَنَّ مجاهدًا قال: (إِنَّ الشَّمس ثابتَةٌ، وَأَنَّها تدورُ علىٰ نفسها مثل المِروحة السَّقفيَّةِ الكهربائيَّةِ)، فقوْلُه ليْسَ بِحُجَّةٍ، وَإِنَّما الحجَّةُ فيما أَخْبَرَ اللهُ بِهِ منْ جَريان الشَّمس وسبْحها في الفلك ودؤوبِها في ذلك وطلوعِها وغروبِها ودلوكِها وتزاورِها، وأنَّه يأتي بها مِنَ المَشْرق، فهَذا يَدُلُّ دلالةً

---

(١) انظر: «تفسير الراغب» (ص١٤٠).

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٤).

واضحةً عَلىٰ دوران الشَّمس علىٰ الأرضِ لا علىٰ نَفْسها.

وكذَلِك ما أخبر به الرَّسول ﷺ من جَريان الشَّمس وطلوعِها، وارْتفاعِها، واستوائِها، وزوالها، ودنوِّها من الغُروبِ، وغروبِها، وذهابها بعد الغروب إلىٰ مستقرِّها تحتَ العرشِ، وأنَّها حُبِستْ لِيُوشعَ بْنِ نونٍ حين حاصَر القرية حتَّىٰ فتحها الله عليه.

وَما أشرت إليه ههنا من الآيات المحكماتِ والأحاديث الصَّحيحة فَهو الحُجَّةُ، وما خالفها فهو باطل مردودٌ علىٰ قائله كائِنًا مَنْ كانَ.

وقد ثبت عن مُجاهد أنَّه قال: «لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا النَّبِيّ ﷺ»، رواه البخارِيُّ في «جُزْءِ رفعِ اليدين» بإسنادٍ صحيحٍ.

الوجْهُ السّابعَ عَشَرَ: أنَّ الصَّوَّاف قدْ قرَّر فِي صَفْحَةِ ٩٩ وصفْحَة ١٠٠ أَنَّ الشَّمس تسير في كل بُرْج شهرًا، وأنَّها تقطَعُ البُروج كُلَّها مرَّةً في السَّنَةِ، وَهذا يُناقِضُ ما قرَّرَه ههنا منْ كونِ الشَّمس ثابتَةً علىٰ محورها ومتحركَةً حوْل هذا المِحْور مثْلُ المروحة السقفية الكهربائية، وما قرَّره ههنا فهو باطلٌ مردودٌ بالأدلَّة الكثيرة من الكتاب والسنة، وقد تقدَّم ذِكْرُ بعضِها والإشارَةُ إلىٰ الباقي في الوجْهِ السّابعِ.

وما قرَّره في ٩٩ - ١٠٠ فهو الحقُّ الثَّابت بالنُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة.

وقد ذكرت الأدلَّة علىٰ ذلك مستوفاةً في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَأَمَّا قولُه: «وقال ابنُ حِبّان في تفسيره «البحر المحيط»».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إِنَّ مصنِّف «البحر المحيط» في التّفسير هو أبو حيَّان بالياء المثناة التَّحتيَّةِ، لا بالباءِ الموَحَّدَةِ، وهو مِن أعيان المائة الثَّامنة من الهِجْرة، وأما ابْنُ حبَّان بالباءِ الموحدة فهو صاحب «الصحيح» المسمَّىٰ بـ«الأنواعِ والتَّقاسيم»، وهو من أعيان المائة الرَّابعة من الهجرة والقول بأنَّ «البحر المحيط» منْ تصنيفه وَهْمٌ وَغَلَطٌ.

* * *

فصل

وَنَقل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٣ عن (قطب) أنه قال في تفسيرِهِ «في ظِلال القُرآنِ» عِنْد قوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] ما نَصُّه:

والشَّمس تَدور حوْلَ نفسها، وكان المَظْنون أنَّها ثابتَةٌ في موضعها الَّذي

تدور فيه حول نفسها، ولكنْ عرف أخيرًا أنَّها ليْسَت مُسْتَقِرَّةً في مَكانها إنَّما هي تجري، تجري فِعْلًا في اتِّجاه واحدٍ في الفضاء الكونيِّ الهائل بسرعة حَسَبَها الفلكيون بإثني عَشَر ميلًا في الثَّانية، والله ربُّها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها يقولُ: إنّها ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، هذا المُسْتقرُّ الَّذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلَّا هُوَ سُبْحانَهُ، ولا يُعْلَم موعدُهُ سواه، وحينَ نتصوَّر أنَّ حجمَ هذه الشَّمس يبْلُغ نحوَ مِلْيون ضِعْفِ حجمِ أرْضِنا هذِهِ، وأنَّ هذه الكُتْلَةَ الهائلَةَ تتحرَّكَ وَتَجري في الفَضاء لا يسندها شَيْءٌ، ندرِكُ طَرَفًا مِن صفة القدرة الَّتي تُصَرِّف هذا الوجود عن قوَّةٍ وعنْ عِلْمٍ».

إلىٰ أن قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]: «وحركةُ هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشْبَهُ بحركةِ السَّفينة في الخِضَمِّ الفسيح، فهي مَعَ ضخامَتِها لا تزيد علىٰ أنْ تكون نُقَطًا سابِحَةً في ذلك الفضاء المرهوبِ، وأنَّ الإنسان ليتضاءَلُ ويتضاءَلُ وهو ينظر إلىٰ هذه الملايين الَّتي لا تُحْصَىٰ مِنَ النُّجوم الدَّوّارَةِ والكواكِبِ السّيّارَةِ مُتناثِرَةً في ذلك الفضاء، سابِحَةً في ذلك الخِضَمِّ، والفضاءُ من حولها فسيحٌ فسيحٌ، وأحجامها الضخمة تائِهَةٌ في ذلك الفضاءِ الفسيحِ».

والجَواب أن يُقال: أمَّا قولُهُ: (إنّ الشَّمس تدور حول نفسها) فهو ما قرَّره الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦١، وتقدَّم ردُّه قريبًا في الوجه السّابع والثَّامن والتَّاسع مِنَ الفَصْل الَّذي قَبْل هذا الفصْلِ؛ فليُراجَعْ.

وَأَمَّا قولُه: وكانَ المَظْنون أَنَّها ثابتَةٌ في موضِعِها الذي تَدُورُ فيه حوْلَ نفسِها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: كلُّ أقوالِ أهل الهيئَةِ الجديدةِ وأتباعهم في الشَّمس وغيرها من الأجرام العلويَّة مبناها علىٰ التَّخرُّصات والظُّنون الكاذبَةِ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨].

وَأَمَّا قولُه: ولكنْ عُرِفَ أخيرًا أنها لَيْست مُسْتَقِرَّةً في مكانها، إنَّما هي تجري، تجري فعلًا في اتجاه واحدٍ في الفضاءِ الكونيِّ الهائل بسرعَةٍ حَسَبَها الفلكيون باثني عَشَرَ ميلًا في الثَّانية.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مِن أين عَرَف جريانَ الشَّمس علىٰ الوجه الذي توهَّمه الفلكيون من فلاسفة الإفرنج بعقولهم الفاسدة، والوَحْيُ قدِ انقطَعَ عن الأرض بموت النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمْ يَبْقَ إلىٰ وَحْيُ الشَّياطين إِلَىٰ أوليائِهِم من فلاسفة الإفرنج وأتباعهم بِالأكاذيب والتَّخَرُّصات والظُّنون الَّتي لا حاصل لها في نفس الأَمْر، فهذا الوَحْي الشَّيطانيّ الكاذب هو الذي يعتمد عليه أهل الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعِهم في الأجرام العلويَّة.

والذي قرَّره (قطب) ههنا هو ما نقله الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٨ عن الفلكيِّين، أنَّهم قالوا: إن النِّظام الشَّمسيَ ينهب الفضاءَ نهبًا بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في السَّاعة، أيْ أكثر من ٣٠٠ ميل في الدَّقيقة، مُتَّجِهَةً نحو بُرْج هركيوليس.

وذكر الصَّوَّاف -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٢ في الكلام علىٰ قوْلِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] الآيَةَ، أنَّ المجموعة الشَّمسيَّة وما حولها تتحرَّك في الفَلَك، وأنَّ الشَّمس تجري إلىٰ بَعِيدٍ فيهِ، وليس إلىٰ قريبٍ.

وذَكَرَ الصَّوَّاف -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٣ عن «سيمون» أنَّ الشَّمس والكواكب السّيَّارَةَ وأقمارَهَا تجرِي في الفضاء نحو بُرْج النَّسر بسرعة غير معهودةٍ لنا علىٰ الأرض.

وذكرَ الصَّوَّاف -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ١٠٣ أنَّ الشَّمس تجري بسرعة هائِلَةٍ تبْلغ اثنيْ عَشَر ميلًا في ثانية نحو الجانب الخارجيِّ لمَجَرَّته، وتقود كُلَّ ما يَتْبَعُ النِّظام الشَّمسِيَّ.

قُلْتُ: وقدْ تقدَّم رَدُّ هذه الأباطيلِ بما أغْنَىٰ عن إعادته ههنا؛ فليُراجَعْ.

وَأمَّا قولُه: (والله يقول: إِنّها ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، هذا المُستقرُّ الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إِلَّا هو، ولا يعلم موْعِده سِواه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: الظّاهر أنَّ مراد (قطب) بهذا المُسْتقرِّ برجُ هركيوليس الذي توهَّمه الفلكيُّون من فلاسفة الإفرنج بعقولهم الفاسدة؛ لِأَنَّ كلامه منْ أوَّله إلىٰ آخره في تقرير قولهم، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله في الشَّمس: إنّها تجري في اتِّجاه واحدٍ في الفضاء، وهذا خلاف ما أخبرَ الله به عنها أنَّها تسبح في الفلك، والفلَكُ مستدير بالإجماع، وفي هذا ردٌّ لما زعموه من كونها تجري في اتجاه واحد.

وَأَيْضًا، فَقد روى الإمام أحمد والشَّيخان عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قول الله تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨] قال: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ**».

وروىٰ الإمام أحمد والشيخان -أَيْضًا- وأبو داود الطَّيالسِيُّ والتِّرمذيُّ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينَ غربَتِ الشَّمس: «**تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ، قال: فَإِنَّها تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالىٰ:** ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]»، هذا لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم قالَ: ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ: (وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا). وَلِلتِّرمذيِّ نحوُه، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وَفِي رواية لمُسْلِمٍ أنَّ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قالوا: **اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ؛ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي**

ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا».

وهذا الحديث الصّحيح يدلُّ علىٰ أنَّ الشَّمس تنتهي إِلىٰ مستقرِّها تَحْتَ العرْشِ كُلَّ ليلَةٍ، فتسْجُدُ حينئِذٍ، وتستأذن في الطُّلوعِ.

وفِي هذا الحَدِيثِ رَدٌّ علىٰ (قطب) وعلىٰ غيرِهِ ممَّن تأوَّلَ الآيَةَ علىٰ غير تأويلِها الثَّابت عن النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا قولُه: (وحينَ نَتصوَّرُ أنَّ حجمَ هذه الشَّمس يبلغ نحوَ مليون ضعفِ حجمِ أرضِنا هذه).

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن الرَّجْم بالغيبِ، والقولِ بغيرِ علمٍ، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ عليه فِي «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثال الخامس من الأمثِلةِ علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدَةِ، فلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: (وأنَّ هذه الكتلَةَ الهائِلةَ تتحرَّك وتجري في الفضاءِ).

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قدْ ذكَرَ الله في كِتابه أنَّ الشَّمس تَسْبَح في الفَلَك، ولمْ يَقُلْ في الفضاءِ، فيَجبُ إِثْباتُ ما أثبتَه اللهُ، ورَدُّ ما سوىٰ ذلك مِن الأقْوالِ الَّتي لا مُسْتندَ لها سوىٰ التَّخَرُّصات والظُّنون الكاذِبةِ.

وَأَمَّا قولُه: (وحرَكةُ هذه الأجْرام في الفَضاء الهائِلِ أشْبَه بحَرَكَةِ السَّفينَةِ في

الخِضَمِّ الفسيحِ)، إلىٰ آخرِ كلامِهِ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قدْ أخبرَ اللهُ تَعالىٰ أنَّه جعلَ الكواكبَ زينَةً لِلسَّماء الدُّنيا؛ فقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، والبُروجُ هي الكَواكِبُ العِظام، قالَه مجاهِدٌ وسعيدُ بْنُ جبيرٍ، وأبو صالحٍ وَالحسَنُ وقتادَةُ.

وفي هذه الآيات رَدٌّ علىٰ (قُطْبٍ) وعلىٰ غَيْرِه مِمَّن زعم أنَّ الكواكبَ متناثِرَةٌ في الفضاءِ وسابحَةٌ فيه.

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٤ ما نصه:

«قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ» صفحة ١١٨: والذي قاله المتأخرون مِن الفلاسفة أهلِ الفنِّ الجديد المتشرِّعين -وانظروا إلىٰ قوله المُتشرِّعين-: إن هذا الجَرْم العظيم -الشَّمس- مركزٌ للسَّيَّارات...» إلىٰ آخر ما نقلَه الصَّوَّاف من كلام الألوسي في أول صفحة ٦٧.

والجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: أما كلام الألوسي فقد استوفيتُ الردَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما قول الصَّوَّاف: وانظروا إلىٰ قوله: المُتشرِّعين.

فجوابه مِنْ وُجوه:

أحدُها: أنْ يُقالَ: وأي فائدة للقُرَّاء في النظر في كَلمة الألوسي؟ وهل ظننتَ أيُّها الصَّوَّاف أن الألوسيَّ قد أورد نصًّا من كتاب الله تَعالىٰ، أو مما صحَّ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ لا يجوزَ لأحد أن يُعارِضَ ذلك أو يَعدِلَ عنه؟! وهل ظننتَ أيُّها الصَّوَّاف -أَيْضًا- أن المُتشرِّعين الذين أشار إليهم الألوسي هم السَّلف الصَّالح من الصحابة والتابعين وتابِعيهم بإحسانٍ، حتىٰ تَطلبَ من القرَّاءِ أن يَنظروا في كلمة الألوسي؟!

الوجه الثَّاني: أنْ يُقالَ: قد نَظرنا في كتاب الألوسي الذي سمَّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»، ونظرنا في قوله: «المُتشرِّعين»، فوجدناه قد صرَّح فِي عِدَّة مواضع من كتابه المُشار إليه بأنهم من فَلاسفةِ الإفرنج، وليسوا من المسلمين.

فقال فِي صَفْحَةِ ٢٣: «إن المتأخِّرين ممَّن انتظم في سلك الفلاسفةِ -كهرشل الحكيم، وأتباعِه أصحابِ الرَّصد والزيج الجديد- تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأوَّلون في أمرِ الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مَركز، والأرضَ وكذا النُّجوم دائرةٌ حولها.

قلت: وهرشل من الإنجليز، وقد وُلد في سنة ١٧٣٨ ميلادية، ومات في سنة ١٨٢٢ ميلادية، وقوله وقول أتباعه في الشَّمس: إنَّها مَركزٌ، وأن الأرض والنُّجُومَ دائرةٌ حولَها، هو الذي ذكره الألوسيُّ فِي صَفْحَةِ ١١٨، وقد ذكرهم الألوسي -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٣٣-٤٦-٥٩-٩٥، وأشار إليهم في مواضع كثيرة سوىٰ هذه المواضع. وسمىٰ منهم هرشل فِي صَفْحَةِ ٢٣-٣٤-٤٥، وسمَّىٰ منهم -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٣٣-٣٤ أولبوس وهاردنق وبياظي.

وقد ذكر مُحمَّد فريد وجدي في «دائرة المعارف» منهم كوبرنيك البولوني، وتيخبراهي الدانماركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتن الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، ومنهم -أَيْضًا- داروين الإنجليزي، فهؤلاء الفلاسفة كلهم من

الإفرنج، وهم أهلُ الفن الجديد، أي: أهلُ الهيئة الجديدة، وأقوالهم هي الَّتي أودَعها الألوسي في كتابه الذي سماه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»، وعلىٰ هذا فوَصْف الألوسي لهم بالمتشرِّعين معناه المُنتسبين إلىٰ شريعة الإنجيل.

وقد نُسخت الشَّرائعُ كلها بالشَّريعة المحمديَّة، فلا يجوزُ لأحد بعد بَعثَة مُحمَّد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتمسَّك بشريعةٍ غيرِ شَريعته، ولا أنْ يَنتسِبَ إلىٰ غيرها من الشَّرائعِ، ومَن انتسَب إلىٰ غير الشَّريعة المُحمَّدية فليس بمُتشَرِّع وأن قيل فيه ذلك، وعلىٰ هذا فوَصْف الألوسي لأهل الهيئة الجديدة بأنهم مُتشرِّعون لا معنىٰ له، ولا حاصلَ تحته.

الوجه الثَّالث: أن الظاهرَ مِن كلام الصَّوَّاف أنه يَرىٰ أن الفلاسفةَ مِن المسلمين، وهذا غلطٌ، فإنه ليس للإسلام فلاسِفَة.

قال شيخ الإسلام أبو العباس بنُ تيميَّة(١) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «ليس الفَلاسفةُ مِن المُسلمين»، ونَقل عن بعض أعيان القُضاة في زمانه أنه قيل له: ابن سِينَا(٢) من فلاسفة الإسلام، فقال: ليس للإسلام فلاسِفَة، وسيأتي الكلامُ في

---

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص١٩٩).

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، أبو علي البلخي. له تصانيف. قال الذهبي عنه: «فلسفي النحلة ضال». توفي (٤٢٨)، انظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ١٥٧)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٣٨)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٥٣٩).

الفلاسِفَة وشِدَّة ضَررهم علىٰ الإسلام قريبًا عند ذكر نَصير الشِّرك الطُّوسي، إن شاء اللهُ تَعالىٰ.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٧ ما نَصُّه:

«أكتفي بهذا المِقدار مِن النَّقل، ولا أريدُ أنْ أَستَرسِلَ، إِلَّا أني أَودُّ أذكر كيف أن العلماء تكلموا في الشَّمس والقمر، وتكلَّموا في النُّجوم الثوابتِ والسَّيَّارات، وقدَّروا الأبعادَ بين الأرض والشَّمس، وقدَّروا مِقدارَ ضَخامة الشَّمس عن الأرض، وأن الشَّمس أكبر من الأرضِ بمِليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين مرَّة، وأن الشَّمس تَبْعُد عن الأرض بأربعةٍ وثلاثين مليون فَرْسَخ فِرنْسِي، وقاسوا بُعْد القمر عنها وبيَّنوا البُعد الأبعدَ والبُعدَ الأقرب.

والخُلاصة: أنَّهم لم يَتْركوا بَابًا إِلَّا طَرَقُوه، وسواء كانوا مُخطئين في تَقديراتهم أم مُصِيبين، فإنهم اجْتَهَدوا في علوم الكَوْن، وتكلَّموا فيها علىٰ حسَب ما وصل إليه علمهم. وما صَنَعوا ذلك إلا بوَحْيٍ مِن دينِهم، وأَمَلًا في خدمة هذا الدِّين الذي وهبُوه كُلَّ شَيء: حَياتهم وأمْوالهم وجُهدهم وعِلمهم وجهادهم وسَهرهم وعَرقهم في سبيل الوُصول إلىٰ الحقائق العِلميَّة الَّتي تدعو إلىٰ الإيمانِ بالله العظيم، الذي خلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا، والذي خلق السمواتِ والأرضَ

ولم يَعْيَ بخَلقِهنَّ؛ تبارك ربُّنا وتَعالىٰ، وله الحَمدُ علىٰ ما أنْعَم وتَفضَّل، ورَحِم اللهُ علماءنا الأعلامَ، وجَزاهُم عمَّا قدَّموا خيرَ ما يَجزي عاملًا عن عَمَلِه.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: إنَّ الذين تكلَّموا في الشَّمس والقمر والنُّجوم الثَّوابت والسَّيَّارات، وقدَّروا ضَخامةَ الشَّمس وبُعدَها عن الأرض وبُعْدَ القمر عنها، هم أهلُ الهيئةِ الجَديدة، وليَسوا مِن علماء المسلمين، وإنما هم مِن فلاسفةِ الإفرنج كما تَقدَّم إيضَاحُه في عدَّة مواضِع، ووَصْفُهم بأنهم عُلماء خلافُ الصَّواب، وهو مِن قَلْب الحقيقَة.

والصَّوابُ أنْ يُقالَ: إنَّهم أهلُ الجَهل والتَّخرُّص وأَتْباع الظُّنون الكاذِبَة، فهذا هو اللائِقُ بهم، والمُطابِقُ لحالِهم علىٰ الحقيقة، وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ ما تكلَّموا به في الشَّمس والقَمر والنُّجوم في مواضعَ كَثيرة من «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

فأما زَعمُهم أن الشَّمس أكبَرُ مِن الأرضِ بمليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرَّة، فالرَّدُّ عليه في المثال الخامِس من الأمثلةِ علىٰ بُطْلان الهَيئةِ الجَديدة.

وأما زَعمُهم أن الشَّمسَ تَبْعُد عن الأرض بأربعةٍ وثلاثين مليون فَرْسَخ فرنسي، فالرَّدُّ عليه في المِثال السَّابع.

وأما قياسُهم لبُعد القمر عن الأرض، فالرَّدُّ عليه في المِثَال التَّاسع.

وأما تَخرُّصُهم في النُّجُوم الثَّوابِت، فالرَّدُّ عَليه في المِثَال الحَادي عَشَر، والأمثلة الثَّلاثة بَعدَه.

وَأمَّا قولُه: والخُلاصَة أنَّهم لم يَتركوا بابًا إلَّا طرقوه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعَهم لم يَطرُقوا الأبوابَ بالعِلم الصَّحيح المأخوذِ مِن كتاب الله تَعالىٰ وسُنَّةِ رسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقْوال الصَّحابة والتَّابعين وأئمَّة العِلم والهُدىٰ مِن بَعْدِهم؛ وإنما طَرَقُوها بالتَّخَرُّصات والظُّنون الكَاذِبَة، كما لا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلْم وفَهْم.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وَأمَّا قولُه: وسواء كانوا مُخطئين في تقديراتهم أم مُصيبين، فإنهم اجتَهدوا

في علوم الكَوْن، وتكلَّموا فيها علىٰ حَسَب ما وصل إليه عِلمُهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مِن عَجيب أمرِ الصَّوَّاف انْدفاعُه خلف أعداء اللهِ مِن فَلاسِفَة الإفْرِنج، وقَبولُه لظُنونهم وتَخَرُّصاتِهم، سواء كانُوا مُخطِئين في تقديراتِهم -أي: ظُنونِهم وتَخَرُّصاتِهم- أم مُصِيبين، وهذا مِن أقبح الجَهل والتَّقليد، نَعوذ بالله مِن عَمَىٰ البَصِيرة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وَأَمَّا قولُه: فإنهم اجتَهدوا في علومِ الكَون، وتكلَّموا فيها علىٰ حسَب ما وصَل إليه علمُهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن اجتهاد أهل الهَيْئة الجَدِيدة في علومِ الكَون كله جَهلٌ وضلال؛ مثل اجتهادِ أسلافهم من النَّصارىٰ في تقريرِ دياناتهم، وما يعتقدونَه في المَسيح وأُمِّه، ومِثْل اجتهاد أهل البِدَع في تقرير مذاهبهم الباطِلَة، وكلُّ مَن حاد عن الصِّراط المستقيم فلا عِبرَةَ به ولا باجْتِهَاده.

وَأَمَّا قولُه: وما صَنَعوا ذلك إلَّا بوَحْيٍ مِن دِينهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بل إنما صنَعوا ذلك بوحي مِن شَياطِينهم الذين أضلُّوهم وأضَلُّوا علىٰ أيديهم وأيدي أتباعهم بَشَرًا كَثيرًا. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَأَمَّا قولُه: وأَمَلًا في خدمة هذا الدِّين الذي وهبُوه كلَّ شيء، حياتهم وأَموالهم وجُهدهم وعَملهم وجهادهم وسَهرهم وعَرقهم في سبيل الوُصول إلىٰ الحقائق العلميَّة الَّتي تدعو إلىٰ الإيمان بالله العظيم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الصَّوَّاف قد اغْتَرَّ بأهل الهَيْئة الجَدِيدة غايةَ الاغْتِرار، وأحْسَن الظَّنَّ بهم غايةَ الإحسانِ، حيث زعَم أنهم ممَّن يَدينُ بدِين الإسلامِ كما هو ظاهرُ كلامِه ههنا، وكما صرَّح بذلك فِي صَفْحَةِ ٤٤ حيث قال: إنهم مُسلمون عُرف أكثرهم بالتَّقوىٰ والصَّلاح.

وهذا خطأ كبيرٌ وغَلَط فاحِشٌ، فإن أهل الهَيْئة الجَدِيدة كلَّهم من فَلاسِفَة الإفرنج، وقد ذكرتُ جُملةً منهم في الفصْل الذي قبل هذا الفَصل. وطوائف الإفرنج كلُّهم يَنتسبون إلىٰ النَّصرانيَّة، والنَّصارىٰ ضالُّون مُضِلُّون، كما أخبَر الله عنهم بذلك في قولِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وفي فاتِحَة الكتاب الَّتي قد أُمِر المُسلمون بقراءتها في كلِّ ركعة مِن

صلواتهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. والمغضوبُ عليهم هم اليَهود، والضَّالُّون هم النَّصارىٰ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ الطَّيالسي والتِّرمذي وابنُ حبَّان في «صَحِيحه»: عن عَدِي بن حاتِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ المَغْضُوبَ عَلَيْهِم اليَهُودُ، وإنَّ الضَّالِّين النَّصَارَىٰ**»، قال التِّرمذي: حسَن غَريب[1].

وروىٰ ابنُ مَردويه: عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المَغضوب عليهم قال: «**اليَهُود**»، قلتُ: الضَّالِّين؟ قال: «**النَّصَارىٰ**»[2].

وإذا عُلم هذا فمِن أقبح الجَهل أن لا يُميِّزَ الرَّجُلُ بَين المُسلمين والنَّصارىٰ.

وأقْبَحُ مِن ذلك أن يَجعل بعضَ النصارىٰ من جُملةِ المسلمين، وأقبحُ مِن ذلك أن يُزكِّيهم، ويَشهَد لهم بالتَّقوىٰ والصَّلاح، ولقد أحسَنَ الشَّاعِرُ حيث يقول[3]:

يُقضَىٰ علىٰ المَرْءِ في أيَّامِ مِحنَتِهِ   حتىٰ يَرَىٰ حَسَنًا ما لَيْسَ بالحَسَنِ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨)، والطيالسي (١١٣٠)، والترمذي (٢٩٥٣)، وابن حبان (١٦/ ١٨٣- ١٨٤) (٧٢٠٦)، وغيرهم. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٤٢).

(٣) نسبه ابن فضل الله الحموي للأمير يحيىٰ بن علي باشا الأحسائي المدني الحنفي. انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (٤/ ٤٧٦).

وأما زَعمُه أنَّ أهلَ الهَيْئة الجَدِيدة مِن فَلاسِفَة الإفْرنجِ لهم أمَلٌ في خِدمَة دِينِ الإسلامِ، فهو زَعمٌ كاذِب، لا يقولُه مَن له أدنىٰ مُسكةٍ مِن عَقل؛ بل إن أعداءَ الله حَريصون كلَّ الحِرص علىٰ إضلالِ المُسلمين وصَدِّهم عن دِينهم، كما أخبر اللهُ عنهم بذلك في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

وأما زعْمُه أنَّهم وهَبُوا الدِّين كلَّ شَيء، فهو مِن نَمَط ما قبله مِن التَّهوُّر في الكلامِ وعَدم التَّثبُّت فيه، وكذلك زَعمُه أنهم بذَلوا كلَّ شَيء في سبيلِ الوُصول إلىٰ الحقائقِ العِلميَّة الَّتي تَدعُو إلىٰ الإيمانِ بالله العظيم.

والجواب أنْ يُقالَ: إن أهلَ الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعَهم لم يَصِلوا في كلامهم في السَّماء والأرض والشَّمس والقمر وغيرهما من الأجْرام العُلوية - إلىٰ شيءٍ من الحقائقِ العلميَّة الَّتي تدعُو إلىٰ الإيمانِ بالله العظيم، وإنما وصلوا إلىٰ التَّخرُّصات والظُّنون الَّتي لا تُغني من الحقِّ شَيئًا؛ بل إنَّها تَدعو إلىٰ الضَّلال والكُفر بما أَنزل اللهُ علىٰ رسولِه مُحمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» تَسعةَ عَشرَ مِثالًا علىٰ بُطْلان ما يَهذُون به مِن التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذِبَة، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَأَمَّا قولُه: ورَحِم اللهُ عُلماءنا الأعلامَ، وجَزَاهُم عمَّا قدَّموا خيرَ ما يَجزي عاملًا عن عملِه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وهل تَدري أيُّها الصَّوَّاف بالَّذين تَعدُّهم مِن عُلمائك الأعلامِ، وتَتَرَحَّم عليهم، وتَسأَلُ اللهَ أنْ يَجزِيَهم خيرَ ما يَجزي عامِلًا عن عمله- أنَّهم أعداءُ الله مِن فَلاسِفَة الإفرنج، وأوَّلُهم كبرنيك البولوني، ثمَّ أتباعه من الإفرنج، ومِن أعيانهم: تيخوبراهي الدَّانماركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتن الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، وداروين الإنجليزي، وأولبوس، وهاردنق، وبياظي، وستروف.

فهؤلاء كلُّهم مِن الإفرنج، وهم أساطينُ الهَيْئة الجَدِيدة، وأقوالُهم هي الَّتي أَودَعها الألوسيُّ في كتابه الذي سمَّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»، وهي الَّتي يَعتَمِد عليها الصَّوَّاف في كتابِه الذي افترىٰ فيه علىٰ المسلمين حيث نسَب ما فيه مِن الجهالات والضَّلالاتِ إلىٰ علومِهم. والمسلمون بريئونَ مِن كلِّ ما يُخالف كتابَ الله تَعالىٰ وسُنَّةَ رسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجمَاعَ المُسلمين.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٨ ما ملخَّصُه: هل تعلَم أيُّها القارئ الكَريم أن العالِم المُسلم عبدَ الله بنَ مُسلم بن قُتيبة الدِّينَوري يكادُ يكون أوَّلَ مَن ألَّف في عِلْم النُّجُوم والأَنْواء. وله كتابُ «الأنواء» الذي تكلَّم فيه عن النُّجُوم وكيفيَّة استدلالِ العرب بها، والمَاهِر في هذا العِلم من قبائلهم ورِجالِهم.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: إن في ذِكْر الصَّوَّاف لابن قُتيبةَ في هذا المَوضع إيهَامًا لمَن لا عِلمَ عندهم بأنه كان يقولُ بما يقولُ به أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة مِن ثَبات الشَّمس ودَوران الأرْض حَولَها، وغَير ذلك مِن تَخَرُّصاتِهم في الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم. وليس الأمرُ كَذلك، فإنَّ ابنَ قُتيبةَ لم يكن يَقولُ بشيء مما يقولُ به أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة، وإنما ألَّف فيما هو مَعروف عند العَرب من مَنازِلِ الشَّمس والقَمَر، والاستدْلَال بها وبغَيرها من النُّجُوم علىٰ جِهةِ القبلة وغيرها مِن الجِهات الَّتي يَقصِدُها المسافرون في البَرِّ والبحر.

والاستدلالُ بالنُّجُوم علىٰ جهةِ القِبلة وغيرها من الجهاتِ جائزٌ؛ لقول الله تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٨، ٦٩ ما ملخصه: وهل تَعلم أنَّ مِن علماء الهَيئة المُسلمين الذين رَصَدوا وألَّفوا وسَهِروا اللَّيالي الطوالَ في مناجاةِ النُّجُوم ورَصْد حَركاتِها وسَكنَاتها، والناسُ نِيام، والعَالَم في غَفوةٍ وغفلة: الشَّيخ أبو جَعفر نَصير الدِّين مُحمَّد بن الحسَن الطُّوسي الفَيلسوف[1] العالِم بالأرصادِ والرِّياضيات والعلُوم العَقلية، وكان يُراقِبُ النُّجُوم والقمرَ ويَرصدُ حركاتِها بمرْصَد مرَاغة في مِصر، وبعد السِّنين الطوال طَلَع علىٰ الناس بكتُبه الفذَّة في عِلم الفلَكِ، وصحَّح فيها ما أخطأ فيه عُلماء اليُونان، وما انْحَرف فيه بَطلَيمُوس مِن آراء لا تَنطبق مع العِلم الصَّحيح.

ولو أردنا أن نَزيد لأَتينا بالشيء الكثيرِ الغَزير مِن فِعل سلفنا الصَّالح رحِمَهم اللهُ ورضي اللهُ عَنهم وأرضاهم، وحشَرنا وإيَّاهم مِن المُتَّقين الأبرار.

والجواب أنْ يُقالَ: أمَّا مُناجاة النُّجُوم، فمَعناها المُخاطبة لها في السِّرِّ، وذلك شِرْكٌ، كما سيأتي بيانُه.

---

(١) هو محمد بن محمد بن حسن، نصير الدين، الطوسي. قرأ علىٰ المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي، وغيره، وصنف كتبًا عدة. وسيذكر العلامة التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ أخبارًا من شناعات الطوسي هذا نقلًا عن أهل العلم من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. وقد هلك الطوسي سنة (٦٧٢)، انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٢٥٢)، و«فوات الوفيات» (٢/ ٢٤٦)، و«الأعلام» (٧/ ٣٠).

قال الجَوهَري: «**النَّجْو**: السِّرُّ بين اثْنين، يقال: نَجوتُه نَجوًا، إذا سَارَرْتُه. وكذلك ناجَيْتُه وانْتَجىٰ القومُ وتَناجَوا، أي: تَسارُّوا»(١).

وقال ابنُ الأثير، وابنُ مَنظور في «لسان العرب»(٢): «المُناجي: المُخاطِبُ للإنسانِ والمُحدِّث له. قال ابنُ الأثير: يُقال: ناجَاه يُناجِيه مُناجاة فهو مُناجٍ، والنَّجِيُّ فَعيلٌ مِنه». انْتَهىٰ.

وقد رَوىٰ مالكٌ في «المُوطَّأ» عن أبي حازم التَّمَّار، عن البَياض، أن رسولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرَج علىٰ الناس وهم يُصلُّون وقد علَت أصواتُهم بالقِراءة، فقال: «**إنَّ المُصلِّي يُناجِي ربَّه، فَلْيَنظُرْ بمَا يُناجِيه بِه، ولَا يَجهَر بَعضُكم علىٰ بَعضٍ بالقُرْآن**»(٣).

ورَوىٰ أبو داود في «سُنَنِه»، والحاكِمُ في «مُستَدْرَكِه» عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحوَه، وقال الحاكِمُ: «صَحيحٌ علىٰ شرْطِ الشَّيخَين»، ووافقه الذَّهبي في «تَلخِيصِه»(٤).

---

(١) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٥٠٣).

(٢) (١٥/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٩)، ومن طريقه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٤٤)، وغيرهما. قال الأرنؤوط: «حديث صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (١٣٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٤) (١١٦٩)، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» =

وقال ابنُ عَبد البر: «حدِيثَا البياض وأبي سَعيد ثابتان صَحيحان»(١).

وفي «المُسنَد» مِن حديث ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحْو ذَلك أَيْضًا(٢).

وإذا عُلِم هذا، فلا يُناجي النُّجُومَ إلَّا مَن يَعتَقِد فيها الإلهيَّةَ، وأنها تُدبِّرُ أَمرَ العَالَم، وتَسمَع دُعاءَ مَن يَدعُوها ويُناجِيها. وهذا المُعتقَدُ الخَبيثُ مَوروثٌ عَن عُبَّاد الشَّمس والقَمر والنُّجُوم من فَلاسِفَة اليُونان وأتباعِهم من المُتقدِّمين والمُتأخِّرين. ولهم كتبٌ في مُخاطبة الشَّمس والقَمر والنُّجُوم ومُناجَاتها، ودُعائها، والالْتِجاءِ إليها لقَضاء الحاجاتِ وتَفريج الكُرُبات وإغاثَةِ اللَّهفان.

وقد صنَّف بعضُ الأعيان في المِائة السَّادسة مِن الهجرة كتابًا سمَّاه «السِّر المَكتوم في السِّحر ومخاطبة الشَّمس والقَمر والنُّجُوم».

قال شيخ الإسلام أبو العبَّاس بنُ تَيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وهذه رِدَّةٌ صَريحَة». وقال في مَوضِع آخر: «هذه رِدَّةٌ عن الإسلام باتِّفاق المسلمين، وإن كان قد يكونُ عادَ إلىٰ الإسلام».(٣) انْتَهىٰ.

=

(٥/ ٧٧)، و«صحيح الجامع» (٢٦٣٩).

(١) انظر: «التمهيد» (٢٣/ ٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٥٥، ١٨/ ٥٥).

وقد أراد الصَّوَّاف أن يُبالِغَ في الثناءِ علىٰ نَصير الشِّرك الطُّوسي بما وصَفه به مِن سَهَر الليالي الطوال في مُناجاة النُّجُوم، فانعكَس الأمرُ عليه، وكان مَدحُه له ذَمًّا مِن أبلغِ الذَّمِّ، حيث حكَم عليه بالكُفْر، وأَلْحَقَه بعُبَّاد النُّجُوم مِن فَلاسِفَة اليُونان وأتباعِهم، وهو لا يَشْعُر.

وقد قيل في المَثَل السَّائر: (عَدُوٌّ عَاقِل خَيرٌ مِن صَديقٍ أَحمَق).

وَأَمَّا قولُه: ورَصد حَركاتها وسَكناتها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنَّ النُّجُوم ليسَت جامعةً بين الحَركة والسُّكون، كما قد توَهَّمَه الصَّوَّافُ، وإنما هي دائبةٌ في الحَركة والجَريان إلىٰ يوم القيامة، سوىٰ القُطْبَيْن، فإنهما لا يُفارقان مَوضِعَيْهما، ولا يَخلُو الصَّوَّاف في قولِه هذا مِن أحَد أمْرَين: إما أنْ يقولَ: إن النُّجُوم قد جَمَعت بين الحَركة والسُّكون في آنٍ واحد، وإما أنْ يَقول: إنها تَتحرَّك في وقتٍ وتَسكن في وقت آخر.

فإن قال بالأوَّل فقد جمع بين النَّقيضَين، ولا يقولُ بذلك مَن له أدنىٰ مُسكَة من عقل. وإن قال بالثَّاني فقد كابَر المحسوسَ المُشاهَدَ من جرَيَان النُّجُوم علىٰ الدَّوام، مع مُخالفته للأدلَّة الكثيرة من الكِتاب والسُّنَّة، وسيأتي ذكرُها -إن شاء الله تَعالىٰ- مع الكَلام علىٰ ما نقله الصَّوَّاف من تَفسيرِ طَنطاوي جَوهري، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَأَمَّا قولُه: والعالَم في غَفوَةٍ وغَفْلة.

فهو مِن تَهوُّرِه في الكلام وعَدم تَثبُّتِه فيه، حيث جعل العالَم كلَّه في غَفْوة وغَفْلة، وجَعَل نَصيرَ الشِّركِ الطُّوسِي هو المُتيقِّظَ المُتَنَبِّهَ وحْدَه؛ لأنه كان يَسهَر اللَّيالي الطُّوال في مُناجاة النُّجُوم.

والأمرُ في الحقيقةِ بعَكس ما زعَمه الصَّوَّافُ؛ فأهلُ طاعةِ الله تَعالىٰ هم أهلُ التَّيقُّظِ والنَّباهَة مَن كانوا وأيْن كانُوا. وأهلُ الكُفْر والشِّرك وأعوانُهم مِثْل: نَصِير الشِّرْك الطُّوسِي وأَشْبَاهه مِن المَلاحدة المُحادِّين لله ولرسُولِه - هم أهلُ الغَفْوة والغَفْلة عن اللهِ والدَّار الآخِرَة.

وَأَمَّا قولُه: نَصير الدِّين مُحمَّد بن الحسَن الطُّوسِي الفَيلَسُوف.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: فهو غيرُ مُطابق له، وإنما المُطابِقُ تَلقيبُه بنَصِير الشِّرْك، كما يَشهد به الواقعُ مما ذكره المؤرِّخون في وَقعة بغدادَ المَشهورة في سنَةِ سِتٍّ وخَمسين وسِتِّمائة. فقد قيل: إن القَتلىٰ بلغوا ألفَ ألفَ وثَمانمِائة ألْف. وقيل: ألْفَي ألف. وقيل غير ذلك.

وهذه المَلحمَة العظيمة لم يَجرِ علىٰ أهلِ الإسلام مِثْلها لا قبلُ ولا بعدُ. وكان ذلك بإشارةِ عَدُوَّيِ الإسلامِ نَصِير الشِّرْك الطُّوسِي الفَيلَسُوف المُلحِد البَاطني الإسْماعيلي وَزيرِ هُولاكو، والوَزيرِ ابنِ العَلْقَمِيِّ الرَّافِضي، وكَيدهما للإسْلَام وأهله. عامَلَهُما اللهُ بِعَدْلِه.

وقد قال ابنُ القيم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»(١):

وكَذا أَتىٰ الطُّوسِيُّ بالحَرْب الصَّريـ ـــحِ بصَـارِمٍ مِنْـه وَسَـلِّ سِـنَانِ

وأَتَـىٰ إلَـىٰ الإسلَامِ يَهـدِمُ أَصلَهُ مِـن أُسِّـه وقَواعِـد البُنْيَـانِ

عَمَـر المَـدارِسَ للفَلاسِفَة الأُولَـىٰ كَفَـروا بـدِين اللهِ والقُـرآنِ

وأتَـىٰ إلىٰ أوقـافِ أهـلِ الـدِّين يَنْـ ـقِلُها إلَـيهم فِعـلَ ذي أَضـغَانِ

وأرادَ تَحويـلَ الإشـاراتِ الَّتـي هِـيَ لابْـنِ سِـينا مَوضِـعَ الفُرقـانِ

وأرَاد تَحويـلَ الشَّـريعةِ بِـالنَّوا مِـيسِ الَّتـي كانَـت لَـدىٰ اليُونَـانِ

لكِنَّـه عَلِـم اللَّعـينُ بـأنَّ هَـ ـذا لَـيس في المَقـدُور والإمْكَـانِ

إلا إذا قُتـل الخَليفَـةُ والقُضـا ةُ وسَـائرُ الفُقهـاء في البُلـدانِ

فسَعَىٰ لِـذاكَ وسَاعَد المَقـدُور بالْـ أَمْـر الَّـذي هـو حِكمَـةُ الـرَّحْمَنِ

فأشـار أن يضـع التتـار سـيوفهم في عسـكر الإيمـان والقـرآن

لَكـنَّهم يُبقُـون أهـلَ صَـنائعِ الـدْ دُنْيَـا لأَجْـلِ مَصـالِحِ الأبْـدَانِ

فغَـدَا علـىٰ سَيفِ التَّـار الأَلْـف في مَثَـل لهـا مَضْـرُوبَة بـوِزَانِ

وكَـذا ثَمـان مِئينِهـا في أَلْفِهـا مَضـرُوبَة بالعَـدِّ والحُسْـبَانِ

حتَّـىٰ بَكَـىٰ الإسـلامَ أَعْـداهُ اليَهُـو دُ كَـذا المَجـوسُ وعَابِـدُو الصُّلْبَانِ

فشَـفَىٰ اللَّعِـينُ الـنَّفْسَ مِـن حِـزْبِ الـ لِ وَعَسْـكَرِ الإيمَـانِ وَالقُـرْآنِ

---

(١) (ص٦١).

وقال ابن القيم -أَيْضًا-(١):

وكَــذَلِكَ الطُّوسِــيُّ لَمَّــا أنْ غَــدَا ... ذا قُــدرَةٍ لَــم يَخْــشَ مِــن سُــلطانِ
قَتَلَ الخَليفَـةَ والقُضـاةَ وحَـامِلِي الْـ ... قُــرْآنِ وَالفُقَهــاءَ فِي البُلْــدانِ
إِذْ هُــمْ مُشَــبِّهَةٌ مُجَسِّــمَةٌ وَمَــا ... دَانُــوا بِــدِينِ أَكَــابِرِ اليُونَــانِ

وقال -أَيْضًا-(٢):

وكَــذا نَصِــيرُ الشِّــرْك فِي أَتْبَاعِــه ... أَعْــدَاءُ رُسْــلِ اللهِ وَالإِيمَــانِ
نَصَــرُوا الضَّــلَالَةَ مِــن سَــفَاهَةِ رَأْيِهِــمْ ... وَغَــزَوْا جُيُــوشَ الــدِّينِ والقُــرْآنِ
فجَـرَىٰ عَلَـىٰ الإِسْـلَامِ مِـنْهُم مِحْنَـةٌ ... لَــمْ تَجْــرِ قَــطُّ بِسَــالِفِ الأَزْمَــانِ

فانْظُروا أيُّها المُسلمون إلىٰ شِدَّة عَداوةِ الفَلاسِفَة والرَّافضة للإسلام وأهلِه، وخُبْثِ طَوِيَّتِهم وكَيْدهم للمُسلمين، وطَلَبهم الغوائلَ لهم والشُّرُورَ حتىٰ أوْقَعوا بهم هذا الأمرَ الفَظيع، الذي لم يُؤرَّخ في الإسلامِ أَشنَع ولا أبْشَع مِنه.

فهذا دليلٌ علىٰ أن انْتِسابَهم إلىٰ الإسلام كِذَب مَحْض، ومَكْرٌ وخَديعة ليَفعلوا بالإسلام مِثلَ ما فعله بُولِص بالنَّصرانية.

ولهذا قال شَيْخ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «ليس

(١) (ص٣٣).
(٢) (ص٢٢٤).

الفَلاسِفَة من المُسلمين»(١).

ونقَل عن بعض أعيانِ القُضاة في زمانه أنه قيل له: «ابنُ سينا من فَلاسِفَة الإسلام، فقال: ليس للإسلام فَلاسِفَة»(٢).

قلتُ: وفي هذا حكايةٍ عَجيبة، ذكرَها ياقوتُ الحَمَوي في كتابه «معجم الأدباء»(٣) في ترجمة أحمَد بن الحُسَين بن مهران المُقري أبي بكر النَّيسابوري.

قال ياقوت: «كان مُجَاب الدَّعوة، مات في السَّابع والعشرين مِن شوَّال سنة إحدىٰ وثمانين وثلاثمائة، وتُوفِّي في ذلك اليوم أبو الحسَن العامِري صاحب الفلسفة. قال الحاكم: فحدَّثني عمرُ بن أحمد الزَّاهد قال: سمعتُ الثِّقةَ مِن أصحابنا يَذكُر أنه رأىٰ أبا بكر بنَ الحسين بن مِهران في المَنام في الليلة الَّتي دُفِن فيها، قال: فقلتُ: أيُّها الأستاذُ، ما فعَل اللهُ بِكَ؟ فقال: إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أقام أبا الحسَن العامري بحِذائي وقال: هذا فِداؤُك من النَّار. ثمَّ ذكر الحاكمُ بإسنادٍ رفعَه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كانَ يَومُ القِيامَة أَعطَىٰ اللهُ كُلَّ رَجُلٍ مِن هذه الأُمَّة رَجلًا مِن الكُفَّار، فيقولُ: هذا فدَاؤُك مِن النَّار»(٤)، وهذا الخبَر إذا قُرن بالرُّؤيا

---

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص١٩٩).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) (١/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه البيهقي في (٨٧)، وغيره من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد أخرجه مسلم =

صار مِن بَراهين الشَّرع». انْتَهىٰ.

وقد ذَكر ابنُ كَثير هذه الحكايةَ في «البداية والنهاية»(١) مُختَصرَةً.

وحديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي ذكره الحاكمُ قد رواه الإمام أحمدُ ومُسلم من حديث أبي أُسامة عَن طلحةَ بن يحيىٰ عن أبي بُردَة عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كانَ يَومُ القِيامَةِ دُفِع إلىٰ كُلِّ مُؤمِن رَجلٌ مِن أهلِ المِلَل فيُقالُ له: هذا فِداؤكَ مِن النَّار»، هذا لفظُ أَحمدَ. ولفظُ مُسلم: «إذا كان يَومُ القِيامةِ دَفَع اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ كلِّ مُسلِم يَهُودِيًا أو نَصْرانِيًا فيقولُ: هذا فِكَاكُكَ مِن النَّار»، ورواه الإمامُ أحمد -أَيْضًا- من طَريق أُخرىٰ بنحو روايةِ مُسلم(٢).

قال ابنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «الفَلاسِفَة اسمُ جِنس لمَن يُحبُّ الحِكمةَ ويُؤثِرُها، وقد صار هذا الاسمُ في عُرف كثيرٍ مِن الناس مُختَصًّا بمَن خرَج عن دِياناتِ الأنبياء ولم يَذهب إلَّا إلىٰ ما يَقتضيه العقلُ في زعمه. وأَخَصُّ مِن ذلك أنه في عُرف المتأخِّرين اسمٌ لأتباع أَرسْطُو، وهم المَشَّاؤُن خاصَّةً، وهم الذين هذَّب ابنُ سِينا طَريقتَهم وبَسطَها وقرَّرها، وهي الَّتي يَعرِفُها بل لا يَعرِف

=

(٢٧٦٧)، وأحمد (٤/ ٤٠٢)، وغيرهما بنحوه.

(١) (١٥/ ٤٤٠).

(٢) تقدم قريبًا.

سواها المُتأخِّرون من المُتكلِّمين»(١). انْتَهىٰ.

ومِن أقوال الفَلاسِفَة الَّتي ذكرها شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في مَواضع مِن كُتبه: أنَّ النُّبوة مُكتَسَبة، وأنها فَيضٌ يَفيضُ علىٰ رُوح النَّبيِّ إذا استعدَّتْ نفسُه، لذلك فمَن راضَ نفسَه حتىٰ استعدَّت فاضَ ذلك عليه. والنَّبيُّ عندهم مِن جنس غيرهم مِن الأذْكِياء الزُّهَّاد، لكنه قد يكونُ أفْضَلَ. والمَلائكةُ عندهم هي ما يتخيَّل في نفسِه من الخَيالات النُّورانية. وكلامُ الله هو ما يُسمع في نفسه من الأصوات بمَنزلة ما يراه النائمُ في منامه. ويُجوِّزُون علىٰ الأنبياء الكَذبَ في خِطاب الجمهور للمصلحة.

والفَيلسُوف عند بعضِهم أعظمُ من النَّبيّ. وعند بعضهم أن الرِّسالةَ إنما هي للعامَّة دون الخاصة. والعبادات كلُّها عندهم مقصودُها تهذيبُ الأخلاق. والشَّريعة عندهم سياسَةٌ مَدنيَّة. إلىٰ غير ذلك مِن كُفريَّات الفَلاسِفَة وأقوالهم الباطلة.

وقد قال ابنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»(٢):

لكِنْ حَقيقةُ قولِهم أنْ قد أَتوا ... بالكذْبِ عند مصالِح الإنسانِ
والفَيلسُوف وذا الرَّسولُ لَديهِمُ ... مُتفاوتانِ وما هما عدْلانِ

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٥٧).

(٢) (ص٥٤).

أمـا الرسـولُ ففَيْلَسُـوفُ عـوامِهم والفَيْلَسُـوفُ نبـيُّ ذي البرهـانِ
والحـقُّ عنـدهمُ ففِيمـا قالَـه أتبـاعُ صـاحبِ مَنطـق اليونـانِ
ومضـىٰ علـىٰ هـذِي المقالـةِ أُمَّـةٌ خَلْـف ابـنِ سـينا فاغْتـذوا بلبَـانِ
مـنهم نَصير الكُفـر في أصحابه النَّاصـرين لمِلَّـة الشَّـيطان
فاسـأَلْ بِهـم ذا خِبْـرة تلقَـاهُم أعـداءَ كُـلِّ مُوحِّـدٍ ربَّـاني
واسـأَلْ بهـم ذا خِبـرةٍ تَلقـاهمُ أعـداءَ رُسْـلِ الله والقُـرآنِ

وقد تعلَّق بأذيالهم كثيرٌ مِن منافقي هذه الأمَّة مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين إلىٰ زماننا، ووردوا مواردَهم الخَبيثة، فمُستقِلٌّ منها ومُستكْثِر.

وكثيرٌ منهم أضرُّ علىٰ الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم من المُشركين.

وقد ذكر شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ(١) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في ردِّه علىٰ الرَّافضي مما قيل فيهم.

الـدِّينُ يَشـكُو بَلِيَّـهْ مِـنْ فِرقَـةٍ فَلسَـفِيَّهْ
لَا يَشـهَدُون صَـلاةً إلَّا لأجْـلِ التَّقِيَّـهْ
ولا تَـرىٰ الشَّـرْع إلَّا سِيَاسَـةً مَدنِيَّـهْ
ويُـؤْثِرُون عَلَيْـهِ مَنَاهِجًـا فَلْسَـفِيَّهْ

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٣/ ٤٤٩).

قلتُ: وقد ذُكر لنا عن بعض أتباعهم في زماننا أنهم لا يُصلُّون إلَّا للرِّياضة أو للتَّقيَّة. وأنهم يُنكرون وجودَ الملائكةِ وتَنزُّلَهم بأمرِ الله، وتَدبيرَهم للأمورِ بإذْنِه. وبعضُهم يُنكرون كونَهم يَعقِلون، وإنما هم عندهم بمَنزلة الجمادات والنَّباتات، ويُنكرون -أَيْضًا- وجودَ الجنِّ وصَرعهم لبني آدم، ويسمُّون الصَّرع الأمراضَ العصبيَّة. إلىٰ غير ذلك مما دخَل عليهم مِن سُموم الفَلاسِفَة وجَراثيم أمراضِهم المُهلِكة.

وليُعلم أن بين الفَلاسِفَة والمَلاحدة الباطنيَّة تَناسُبًا وتقارُبًا واتفاقًا في بعض الأمور.

وقد ذَكر بعضُ العلماء عن ابن سينا أنه قال: كان أبي وأخِي من أهل دَعوة الحَاكم - يَعني العُبَيدي.

وكان نَصير الشِّرْك الطُّوسِي وزيرًا لأصحابِ قِلاع الألموت مِن الإسماعيليَّة، وكانوا يَنتسبون إلىٰ نزَار بن المُستنصر العُبيدي. ثمَّ وزَر لهُولَاكو. وقد شرَح «الإشارات» لابن سينا. ذكَر ذلك شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- وغيرُه من أكابر العُلماء.

وذكر شيخُ الإسلام -أَيْضًا[١]- في ردِّه علىٰ الرَّافضي عن نَصير الشِّرْك الطُّوسِي أنه كان ممَّن يقولُ: إنَّ الله مُوجب بالذَّات لا مُختار، ويقولُ بقِدَم

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ٤٤٥).

العالم. قال: وهذا الرجلُ قد اشتهر عند الخاصِّ والعامِّ أنه كان وزيرًا لمَلاحدة الباطنيَّة الإسماعيليَّة بالألموت، ثمَّ لما قدِم التَّتَرُ المشركون هولاكو أشَار عليه بقَتل الخليفة وبقتلِ أهل العِلم والدِّين، واستبقاءِ أهل الصِّناعات والتِّجارات الذين يَنفعونه في الدنيا، وأنه استولىٰ علىٰ الوَقف الذي للمسلمين، وكان يعطي منه ما شاء اللهُ لعُلماء المُشركين وشُيوخهم من النَّخشية السَّحرة وأمثالهم، وأنه لما بنىٰ المَرصدَ الذي بمَراغة علىٰ طريقةِ الصَّابئة المشركين كان أخسُّ الناس نصيبًا منه مَن كان إلىٰ أهل المِلل أقربُ، وأوْفَرهم نصيبًا مَن كان أبعدَهم عن المِلَل؛ مثل الصَّابئة المُشركين، ومِثل المُعطِّلة وسائر المشركين.

ومِن المَشهور عنه وعن أتباعه الاستهتارُ بواجبات الإسلام ومُحرَّماته، ولا يُحافِظون علىٰ الفرائض؛ كالصَّلاة، ولا يَنزعُون عن محارمِ الله مِن الخَمر والفواحش وغير ذلك مِن المُنكرات، حتىٰ إنهم في شهرِ رَمضان يُذكر عنهم مِن إضاعةِ الصَّلاة وارتكابِ الفواحش وفِعْلِ ما يعرفه أهلُ الخِبرة بهم. ولم يكن لهم قوَّة وظُهور إلَّا مع المشركين الذين دِينُهم شرٌّ مِن دين اليهود والنصارىٰ.

إلىٰ أن قال: «وبالجُملة، فأمرُ هذا الطُّوسِي وأتباعِه في المسلمين أشهَرُ وأعرَف من أن يُوصَف». انْتَهىٰ.

ومع ما ذكره شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ والعلَّامة ابنُ القيِّم -رحمهما الله تَعالىٰ- عن نَصير الشِّرْك الطُّوسِي من الأفعالِ الشَّنيعة والأقوال

الباطلة الوضِيعة فقد خالفَهُما الصَّوَّافُ وصار معهما في طَرَفي نقيض، حيث بالغ في الثناءِ علىٰ نَصير الشِّرْك، ووصفَه بما لا يَستحقُّه، وجَعلَه مِن سلفِه الصَّالِح، وفي هذا أوضحُ دليل علىٰ كَثَافة جهلِه، وعَدم تَمييزه بين الطَّيِّب والخَبيث.

وقد ذكر الشَّيخُ عبدُ القاهر بن طاهِر البغدادي في كتابه «الفَرْق بين الفِرَق»(١) عن عُبيد الله بن الحسين القَيرواني جدِّ العُبيديِّين، أنه قال في رسالته إلىٰ سُليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي القُرمطي: إذا ظَفرتَ بالفَلسفي فاحتَفَظ به، فعلىٰ الفَلاسِفَة مِعوَلُنا، وأنا وإيَّاهم مُجمعون علىٰ ردِّ نواميس الأنبياء، وعلىٰ القول بِقِدَم العالَم، لولا ما يخالفنا فيه بعضُهم من أن للعالَم مُديرًا لا نعرفه.

وذكر شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في ردِّه علىٰ الرَّافضي نحوَ ذلك -أَيْضًا- نقلَه عن القاضي أبي بكرٍ مُحمَّد بن الطَّيِّب البَاقلاني.

ورسالةُ عُبيد الله إلىٰ القُرمطي تسمىٰ عندهم بالبَلاغ الأكبَر والنَّامُوس الأعظم، أوصاه فيها بالدعاء إلىٰ مذهَبِهم الخبيث، وأمرَه بالاحتفاظ بإخوانِهم الفَلاسِفَة، وهذا مما يَدعو كلَّ مسلم إلىٰ زيادةِ البُغض للفَلاسِفَة ومَقتِهم والبُعدِ عنهم.

---

(١) (ص٢٧٨).

ولكن الأمْر قد انعكس في زماننا، فصار الانتسابُ إلىٰ الفلسفةِ مَألوفًا عند كثير من المسلمين، بل عند كثير مِن المنتسبين إلىٰ العِلم، فإذا بالغوا في مَدْح العالِم والثناء عليه قالوا: (هو فَيلَسُوف). وكذلك الكلامُ المُشتمل علىٰ الحِكَم يسمُّونه فلسَفَة، ويجعلون الوصفَ بذلك تعظيمًا له وثناءً عليه. وهو في الحقيقة تَهجِينٌ له وعيبٌ وذَمٌّ، لأنه ليس للإسلامِ فَلاسِفَة، وليس الفَلاسِفَة من المسلمين. وأقل ما يقالُ في ذلك: أنه خلاف عُرف المسلمين ولُغتهم، وعُدول عن ذلك إلىٰ عُرف اليونان ولُغتهم، وذلك نوعٌ من التَّشبُّهِ بهم. وفي الحديث الصحيح: «**مَن تَشَبَّه بقَومٍ فهُو مِنهُم**» رواه الإمامُ أحمد وأبو داودَ مِن حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصحَّحه ابنُ حبَّان. وقال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ: إسنادُه جيد. وقال الحافظ العراقي: إسناده صحيح. وقال ابن حَجر العسقلاني: إسناده حسن. وقد احتج به الإمام أحمدُ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-، وذلك يَقتضي صِحَّتَه عنده.

قال شيخ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وهذا الحديثُ أقلُّ أحواله أنه يَقتضي تحريمَ التَّشبُّهِ بهم، وإن كان ظاهرُه يَقتضي كُفرَ المُتَشَبِّه بهم، كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]». انْتَهىٰ.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ**﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تَعالىٰ: ﴿**فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ**

وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

فسمَّاها اللهُ تعالىٰ حِكمةً، ولم يُسمِّها فلسفةً. وكذلك سمَّىٰ أهلَها علماء وأئمَّةً وربَّانِيِّين وأحبارًا، ولم يسمهم فَلاسِفَة. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وفي «الصحيحين» وغيرهما، عن عبد الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا حسَدَ إلَّا في اثْنَتَين: رَجلٌ آتاه اللهُ مَالًا فسَلَّطَه علىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ الحِكمَة فهُو يَقضِي بها ويُعلِّمُها**»(١).

فسمَّاها حِكمةً ولم يُسمِّها فلسَفَة.

وروىٰ أبو نُعيم وغيرُه، عن سُويد بن الحَارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنىٰ علىٰ وَفْد الأزْدِ، ووصَفَهم بأنهم حُكمَاء عُلماء(٢)، ولم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥)، وغيرهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٧٩)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٩٧٠)، وغيرهما =

يقل: إنهم فَلاسِفَة.

وفي حديث أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرْهَمًا، وإنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَن أَخَذَه أخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ**» رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجه وابن حبان في «صَحِيحه» والبيهقي[(١)].

وإذا كان العلماءُ ورثةَ الأنبياء، فالفَلاسِفَة ورَثَة اليُونان، وكان مُعلِّمهم الأوَّل أرسطو وزيرًا للإسكندر بن فليبس المَقدوني ملك اليونان، وكان هو والمَلِك وأصحابهما مُشركين يَعبدون الكواكبَ والأصنامَ، ويُعانون السحر. فهذا ميراثُهم الذي خلَّفوه لأتباعهم، مع ما تقدم ذكره عنهم قريبًا، وما لم يُذكر فهو أكثر.

وأما مُعلِّمهم الثَّاني أبو نَصر الفارابي التُّركي فقد خلَّف لهم من المِيراثِ أنواعَ الألحان والمعازف.

=

من حديث سويد بن الحارث به، وفي إسناده علقمة بن يزيد بن سويد. قال الذهبي: «لا يعرف. وأتىٰ بخبر منكر فلا يحتج به»، انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٠٨)، و«لسان الميزان» (٥/ ٤٧٢). وانظر: أيضًا «الضعيفة» (٢٦١٤).

(١) تقدم.

وقد قال ابنُ القيم -رَحِمهُ اللهُ تعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»[١]:

أنَّىٰ يُقاوم ذِي العَساكر طَمطَم أو تَنكلوشًا أو أخُو اليونانِ

أعني أَرسطو عابدَ الأوثان أو ذاك الكَفور مُعلِّم الألحانِ

ذاك المُعلِّم أوَّلًا للحرف والثْـ ـثَانِي لِصَوت بِئست العلمَانِ

هذا أساسُ الفِسق والحَرف الذي وضَعوا أساسَ الكُفر والهذيان

إذا عُرف هذا فما أَسْفَهَ رَأيَ مَن رغِب عن الأسماء الَّتي اختارها اللهُ لهذه الأُمَّة، واختارها رسولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكانت هي المعروفة عنده وعند أصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وعَدَلَ إلىٰ أسماء أَجْنَبيَّة عن الإسلام وأهل الإسلام ولُغتهم وعُرفِهم!

وقد قال الشيخُ سُليمان بن سَحمان[٢]-رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في ردِّه علىٰ زنادِقَة البَحرين لمَّا خاطبوا رَشيد رضا باسم الفَيلسوف:

«ثم لو سلَّمنا أن الفَيْلَسُوف علىٰ عُرف الفَلاسِفَة وأتباعِهم مِن أهل الكَلام هو مُحِبُّ الحِكْمَة، وأنه يُمدح ويُثنىٰ به علىٰ العالِم المُصلِح المُرشِد للعباد، لم يكن هذا مِن عُرف أهل الإسلام ولا مِن لُغتهم، ولا يُمدَح به أحدٌ مِن علماء

---

(١) (ص٢٢٤).

(٢) هو سليمان بن سحمان بن مصلح، كاتب فقيه، من علماء نجد. وصنف كتبًا ورسائل، منها «الضياء الشارق»، و«تبرئة الشيخين»، و«منهاج أهل الحق والاتِّباع»، وغير ذلك. توفي سنة (١٣٤٩)، انظر: «الأعلام» (٣/ ١٢٦).

الإسلام، لأنه قد كان مِن المَعلوم أنه لم يكن يُسمَّىٰ به أحدٌ من علماء الصَّحابة ولا عُلماء التابعين، ولا مَن بعدَهم مِن الأئمة المُهتَدين والعُلماء المُصلِحين المُرشِدين، ولا أكابِر عُلماء أهل الحديثِ المُجتهِدين، بل كان هذا الاسمُ في عُرْف أهل الإسلام لا يُسمَّىٰ به إلَّا مَن كان مِن علماء الفَلاسِفَة ومَن نحا نحوَهم مِن زَنادقةِ هذه الأمَّة، فكان في الحقيقة أن هذا مما يُعابُ ويُذَمُّ به مَن يسمَّىٰ بذلك، لا مما يُمدَح ويُثنىٰ به عليه.

ولو أراد هؤلاء المُتنطِّعون المُتعمِّقون أن يَنقلوا هذا عن أحدٍ مِن أهل العِلم أو يَذكُروه في شيءٍ مِن دواوين أهلِ الإسلام لم يَجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا البَتَّةَ. اللَّهمَّ إلَّا ما يُذكر عن أشباهِ هؤلاء الهَمَج الرَّعَاع أتباعِ كلِّ ناعِق، الذين لم يَستضيئوا بنُور العِلم، ولم يَلجَئوا إلىٰ رُكن وَثيقٍ مِن الفَهْم، إنْ هُم إلَّا كالأنْعام بل هُم أضَل، أولئك هُم الغَافِلون»(١). انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

ومما ذَكَرْنا يُعلَم أن اسمَ الفَيْلَسُوف ليس بمَدح، وإنما هو ذَمٌّ علىٰ الحَقيقة، وأن هذا الاسمَ هو اللائقُ بنَصِير الشِّرْك الطُّوسِي وأشباهِه مِن ورَثَةِ اليُونان، ولا يَنبغي أن يُسمَّىٰ به أحدٌ مِن علماء المسلمين.

وَأَمَّا قولُه: وكان يُراقب النُّجُوم والقمرَ، ويَرصُد حركاتِها بمَرصَد مَراغَة في مِصْر.

---

(١) انظر: «إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل» (ص٥٥).

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنَّ نَصيرَ الشِّرْك الطُّوسِي إنما بَنىٰ المَرصَد بمَدينة مَراغة المَعروفة بأذربيجان. قال مُحمَّد فَريد وجدي في «دائرة المَعارف»: «ولمَّا نَبغَ نَصيرُ الدِّين الطُّوسِي بنىٰ مرْصَدًا في المَراغة بالتُّركستان، أنفق عليه الأموالَ الطَّائلةَ»، وهذا هو الصَّحيح، لا ما تَوهَّمهُ الصَّوَّاف.

وَأمَّا قولُه: وبَعد السِّنين الطُّوال طَلَع علىٰ الناس بكُتُبه الفَذَّة في عِلْم الفَلَك.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وهو مع ذلك علىٰ مَذهب أهل الهيئة القديمةِ في القول بجَريان الشَّمس وثَبات الأرض. فأيُّ فائدةٍ للصَّواف مِن الجَعْجَعَةِ بِذِكْرِه وذِكْر غيرِه مِن الفَلكِيِّين الذين هم علىٰ خِلاف ما يَراه هو وأسلافُه أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة مِن ثباتِ الشَّمس ودَوران الأَرْض حَولَها؟!

وَأمَّا قولُه: ولو أَرَدْنا أن نَزيدَ لأتَيْنا بالشَّيء الكثيرِ الغَزيرِ مِن فِعْل سلفِنا الصَّالح رحمهم الله، ورضي الله عنهم وأرضاهم، وحشَرَنا وإيَّاهم مع المُتَّقين الأبرار.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد ذَكر الصَّوَّاف في مقدِّمة رسالته فِي صَفْحَةِ ١٢: أنَّ ما جمَعه في رسالته فهو مما تَركه العلماءُ الأعلام والخلفاءُ العِظام.

فأما علماؤه الذين أشار إليهم فهُم أهل الهَيْئة الجَدِيدة مِن فَلاسِفَة الإفرنج، وقد ذكرتُ قريبًا أسماءَ جُملَةٍ منهم، وذكرتُ في أوَّل الكِتاب جُملةً

ممَّن نَقل عنهم واعتمد علىٰ جَهالاتهم وتَخَرُّصاتهم وظُنونِهم الكاذبة، وهم: جِيمْس أوثر، ولابلاس، وسيمون، وتُوماس جُولد، ودونالد مينزل، واللورد افبري، وسبريل هازارد، والبروفيسور شميدت، وأرثر فندلاي، وسيمون نيوك، وأصحاب المرصد الأمريكي، والمراصد في ليك، ومونت، ويلسون، وبالومار.

فهؤلاء كلُّهم مِن الإفْرنج، وهم علماء الصَّوَّاف الذين زَعَم أنهم أعلامٌ.

ومِن علمائه -أَيْضًا- وأعلامه الذين اعتمد علىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة: جَميل صدقي الزهاوي، وهو مِن الجَهميَّة، كما تقدَّم إيضاحُ ذلك في أوَّل الكتاب.

والجَهميَّة كُفَّار، كما قد نَصَّ علىٰ ذلك أئمَّة السَّلف. قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-(١): «المشهور مِن مذهب أحمدَ وعامَّة أئمة السُّنَّة تَكفيرُ الجهميَّة، وهم المُعطِّلة لصِفات الرَّحمن، فإنَّ قولَهم صَريحٌ في مُناقضة ما جاءت به الرُّسلُ من الكتاب. وحقيقة قولِهم جُحود الصَّانع، وجُحودُ ما أخبر به عن نفسِه علىٰ لسان رسولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، بل وجميع الرُّسل. وقال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفَرُ مِن اليهود والنصارىٰ. وبهذا كفَّروا مَن يقول: إن القرآنَ مخلوق، وأن الله لا يُرىٰ في الآخرة، وأن اللهَ ليس علىٰ العرش، وأنه ليس

(١) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (٣/ ١٢).

له عِلْمُ ولا قُدرة ولا رَحمة ولا غضبٌ، ونحو ذلك من صفاته.

وقال -أَيْضًا-: نَفْي الصِّفات كُفْرٌ، والتَّكذيب بأن الله لا يُرىٰ في الآخرة كُفْر، وكذلك ما كان في مَعنىٰ ذلك؛ كإنكار تَكليم الله لمُوسىٰ، واتِّخاذ الله إبراهيمَ خَليلًا»(١). انْتَهىٰ.

وقال العلَّامة ابن القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»(٢):

ولقَد تَقَلَّدَ كُفرَهُم خمسُون فِي ... عَشْرٍ مِنَ العُلماءِ فِي البُلْدَانِ

واللَّالَكَائِيُّ الإِمَامُ حَكَاه عَنْـ ... ـهُمْ بَل حَكَاهُ قَبلَهُ الطَّبَرَانِي

فذكر -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- أَنَّ خَمسَمِائة عَالِم كفَّروا الجَهميَّة، وقد ذَكَر عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ في كتاب «السُّنَّة» جُملةً مِنهم. وكان بعضُ الأئمة يُسمِّيهم الزَّنادقةَ. ورُوي عن عبد الله بنِ المُبارك ويوسفَ بنِ أسباطَ وغيرهما مِن أهل العِلم والحَديث: أنَّهم قالوا: أصُول اثْنَتين وسَبعين فِرْقَة هي أرْبَع: الخَوارج، والرَّوافض، والمُرجئة، والقَدريَّة. قيل لابنِ المُبارك: فالجَهميَّة؟ قال: لَيسَت الجَهميَّةُ مِن أُمَّة مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وكلامُ أئمَّة السَّلف في ذَمِّ الجَهميَّة وتَكفيرهم كثيرٌ جِدًّا.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٦).

(٢) (ص٤٢).

(٣) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ١٩٣- ١٩٤).

وعن أحمد -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في تكفيرِ مَن لم يُكفِّر الجهميَّةَ رِوايتان[١].

وبالتَّكفير يقولُ أبو بكر بنُ عيَّاش، وسُفيانُ بنُ عُيَينَةَ، وأبو زُرْعَة، وأبو حاتِم الرَّازيان، وحكىٰ أبو زُرعة وأبو حاتم ذلك عمَّن أدركاه مِن العلماء في جميع الأمصار.

ومِن علماء الصَّوَّاف وأعلامُه -أَيْضًا-: نَصيرُ الشِّرْك الطُّوسِي، وقد تقدَّم الكلامُ فيه قريبًا.

ومِن علمائه وأعلامه -أَيْضًا-: أبو عَلِي ابن الهَيْثم. وسيأتي الكَلام فيه قريبًا، ومِن علمائه وأعلامِه -أَيْضًا-: عليُّ بن عبد الرَّحمن بن يُونس المُنجم صاحب الزّيج الحَاكمي[٢]، وقد ذكر ابن خلكان عنه أنه كان قد أفنىٰ عُمره في الرَّصْد والتَّسيير للمَواليد، وأنه كان يَقِف للكَواكب. ثمَّ نَقل عن الأميرِ المسبحي قال: أخبرني أبو الحسَن المُنجِّم الطَّبراني أنه طَلع معه إلىٰ جَبَل المُقطَّم وقد وقَف للزُّهرة، فنَزع ثوبَه وعمامته، ولبس ثَوبًا نساويًا أحمَر، ومقْنَعة حمراء تقَنَّع

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٣).

(٢) هو علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلىٰ الصدفي المصري، أبو الحسن. روىٰ عن: محمد بن علي بن أبي الحديد. روىٰ عنه: الفضل الروذباري. قال الذهبي: «ولا تحل الرواية عنه؛ فإنه منجم، وهو صاحب «الزيج الحاكمي»، صنفه في أربع مجلدات؛ مات سنة (٣٩٩)، انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٨٠٤).

بها، وأَخْرج عُودًا فضرب به والبُخور بين يَديه.

قلت: وهذه الأفعال كلُّها مِن أفعال فَلاسِفَة اليُونَان وأتباعهم مِن الكَفَرة الذين يَعبُدون الكواكِبَ، ويتقرَّبون إليها بما يَرون أنه يُناسبها من اللِّباس والبَخور والضَّرب بآلاتِ اللَّهو.

ومِن عُلمائه وأعلامه -أَيْضًا-: طَنطاوي جَوهري، وموسىٰ جار الله. وسيأتي ذكرُ ما نقله عنهما من الهَوس والهَذيانِ في آخر الكتابِ إن شاء الله تَعالىٰ.

وأما خلفاؤه الذين زعَم أنهم عِظام فهم المُلوك المُنحرِفون، ومنهم المأمُون، والحَاكم العُبيدي، وبعضُ بني بُوَيه، والسَّلاجِقَة، وهُولاكو، وتَيمُورلنك، وحَفيده أولغ بيك، وأشباههم مِن المُلوك المَفتُونِين بالنُّجُوم وعَمل الأرْصَاد. فهؤلاء مع مَن ذكرنا مِن فَلاسِفَة الإفْرنج وأتباعهم هم السَّلف الطَّالح للصَّوَّاف الذين يَترَحَّم عليهم ويَسأَلُ اللهَ أن يَرضىٰ عنهم ويُرضيهم ويَحشُرَه وإِيَّاهم مع المتقين الأبرار.

هذا مَبْلَغُ عِلْم الصَّوَّاف وحاصِل عَقْلِه. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. ومِن أعظم عَمىٰ القلب أن يعتقدَ الشخصُ في أعداء الله مِن الكفرة والفجرة الطَّالحين أنهم مِن السَّلف الصَّالحين، ويَترَحَّم عليهم، ويَسأل اللهَ تَعالىٰ أن يَرضىٰ عنهم ويُرضِيَهم،

ويَحشُرَه وإيَّاهم مع المُتَّقين الأبرار. نعوذ باللهِ مِن عَمىٰ البَصيرة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]. اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وارْزُقنا اتباعَه، وأَرِنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابَه، ولا تَجعله مُلتَبِسًا علينا فنَضِلَّ.

ولقَد أحسنَ الشاعرُ حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرْء في أيَّامِ مِحنَتِه ... حتىٰ يَرىٰ حَسَنًا مَا لَيسَ بالحَسَنِ

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧١ ما نَصُّه:

يقولُ عُلماء الفَلَك: القَمَرُ أَقربُ الأجرام السَّماوية للأرض، وأقَلُّ حَجمًا منها، يدور حولَ الأرض مرَّة كل شَهر، وجاذبيَّة القَمَر مع جاذبيةِ الشَّمس هي الَّتي تسبِّب بقُدرة اللهِ المَدَّ والجَزْرَ في البَحْر. وقد دَرَس الفَلكيُّون أحوالَ القمر الجُغرافيَّةِ ووَصَفُوها ورَسَمُوا لها الرُّسوماتِ لتَبْيين جِباله وأَوْدِيَته. يقول «اللورد افبري»: إنَّ سَطْح القمَر صَحاري وقِفَار تَتناهضُ فيها البَراكينُ الخامِدة، وجِبَاله ضَخمَة عظيمةٌ يَبلغ ارتفاعُها ٤٢ ألف قَدَم، بزيادة تَقرُب مِن ١٣ ألف قدَم عن أعلىٰ جبَل علىٰ سطح الأرض.

وفُوَّهاتُ البَراكين هائلةُ العَظَمة، يَبلُغ قُطرُها ٧٨ ميلًا. ويَقولون: إن جبالَ القمر أقدَمُ بكثير مِن سلاسل الجِبال الأرضيَّة بمَلايين السِّنين.

والجَوابُ أنْ يُقالَ: أما قولُ الفَلكيِّين: إن القمرَ أقرَبُ الأجرام السَّماوية إلىٰ الأرض، فهو تَخرُّصٌ لا دليلَ عليه من كتابٍ ولا سُنَّة. وما لم يَكن عليه دليلٌ فليس عليه تَعويلٌ.

وَأمَّا قولُهم: إن القمرَ أصغرُ حَجمًا مِن الأجرام السماوية.

فهو -أَيْضًا- مِن التَّخرُّص واتِّباع الظنِّ الكاذِب. وفي القرآنِ والسُّنَّة ما يدلُّ علىٰ أن القمرَ أكبرُ حجمًا من الكواكب. قال الله تَعالىٰ مُخبِرًا عن مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨].

وفي هذه الآيات دليلٌ علىٰ أن القمرَ أكبرُ مِن الكواكب، فإنَّ الله تَعالىٰ بدأ بذِكر الأصغر أوَّلًا، ثمَّ ثنَّىٰ بذِكر ما هو أكبر منه، ثمَّ ذكر ما هو أكبَر منهما.

ويدلُّ علىٰ ذلك -أَيْضًا- ما رواه الإمامُ أحمد وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجَهْ وابن حِبَّان في «صَحِيحه» والبيهقي: عن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «فَضْلُ العَالِم علىٰ العابِدِ كفَضلِ القَمرِ ليلةَ البَدْرِ

علىٰ سَائرِ الكَواكِبِ».

ورواه الدَّارِمي، ولفظه: «وإنَّ فَضْلَ العَالِمِ علىٰ العَابِدِ كفَضْلِ القَمَر علىٰ سائرِ النُّجُوم».

وروىٰ أبو نُعيم في «الحِلْيَة»: عَن مُعاذ بن جبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحوَه.

وفي تَفضيل القَمَر علىٰ سائر الكَواكِب دليلٌ علىٰ أنه أكبَرُ منها حَجمًا وأشدُّ إضاءةً.

وأيْضًا، فقد قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وثبت عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أنه قال:** «إنَّ الشَّمسَ والقَمَر آيتانِ مِن آياتِ اللهِ».

وفي النَّصِّ علىٰ أنَّ الشَّمس والقَمَر آيتان من آيات الله تَنويهٌ بعِظَم شأنهما، وأنهما أكبَرُ مِن سائرِ الكَواكِب.

وَأمَّا قولُهم: إن جاذبيةَ القَمَر مع جاذبيَّة الشَّمس هي الَّتي تُسبِّب المَدَّ والجَزْرَ في البحر.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما الشَّمسُ فلا تأثيرَ لها في مدِّ البَحر وجَزْرِه.

وأما القَمَر فقد جعَل اللهُ له خاصيَّةً في المَدِّ والجَزْرِ. ولم يَقُم دليلٌ علىٰ أن ذلك بسَبب الجاذبيَّة.

وللمَدِّ والجَزْر حالتان: حالَةٌ يَوميَّة، وحالةٌ شَهريَّة، كما قد شاهَدْنا ذلك في الخَليج العَرَبي.

فأما الحالةُ اليوميَّة: فإنه يمدُّ ويجزرُ في اليوم والليلة مرَّتين. إذا طلَع القَمَر في أيَّةِ ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهارٍ إذا الماءُ قد انتهت زيادَته، ثمَّ يأخذ في النَّقص إلىٰ أن يتوسَّط القَمَرُ في السماءِ، فحينئذ يَنتهي النُّقصان، فإذا زال القَمَرُ عن وسَطِ السماء إلىٰ جِهة المَغرب أخَذ الماءُ في الزيادة إلىٰ أن يصِلَ القَمَرُ إلىٰ المَغربِ، فحينئذٍ تَنتهي الزيادةُ كما كانت عند طُلوع القمر، فإذا غَرب القَمَرُ أخَذ الماءُ في النُّقصان إلىٰ أن يتوسَّط القَمَرُ فيما بين المَشرق والمَغرب، فحينئذ ينتهي النُّقصانُ، ثمَّ يأخذ الماءُ في الزِّيادة إلىٰ وقتِ طُلوع القَمَر، فحينئذ تنتهي الزِّيادةُ. وهكذا أبَدًا.

وأما الحالة الشَّهريَّةُ: فإنه يمدُّ ويجزر في الشَّهر مرَّتين. إذا كان في أوَّل يوم من الشَّهرِ إذا الماء قد انتهت زيادُته، ثمَّ يأخذ في النَّقصِ إلىٰ اليوم الثَّامِن، فحينئذ ينتهي النُّقصانُ، ثمَّ يأخذُ في الزِّيادة إلىٰ نصف الشهر، فإذا انتصف الشهرُ إذا الزيادةُ قد انتهت كما كانت في أوَّل يوم من الشَّهر، ثمَّ يأخذ في النَّقص إلىٰ اليوم

الثَّاني والعشرين من الشَّهر، فحينئذ يَنتهي النقصانُ، ثمَّ يأخذ في الزِّيادة إلىٰ تمامِ الشَّهر، فحينئذ تَنتهي الزِّيادة. وهكذا أبدًا. حِكمةٌ بالِغَة مِن حَكيم عَلِيم.

وَأَمَّا قولُه: وقد درَس الفلكِيُّون أحوالَ القَمَر الجُغرافيَّة... إلىٰ آخره.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: كلُّ ما ذكَره الفلكيُّون ههنا عن القَمَر فهي تَخَرُّصات وظُنونٌ كاذبة. ومِن أينَ للفَلكِيِّين أن يَصِلوا إلىٰ القَمَر ويَدرسوا أحوالَه الجغرافية وهو في السماء بنصِّ القرآن، وبين السماءِ والأرض مسيرةُ خَمسمائة عام بنصِّ الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فوصُول الفلكيِّين إلىٰ القَمَر مُستحيل، وظُنونهم وتَخَرُّصاتهم عما فيه مَردودٌ عليهم.

وَأَمَّا قولُه: **ويقولون:** إنَّ جِبال القَمَر أقدَم بكثير من سلاسِل الجبال الأرضيَّة بملايين السِّنين.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن أبطَل الباطل؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ قد نصَّ علىٰ أنه خَلق الأرضَ قبل خَلْقِ السماء وما فيها، فقال تَعالىٰ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ**

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وروى ابنُ جَريرٍ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن اليهودَ أتت النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألته عن خَلْق السموات والأرض، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلَقَ اللهُ تعالىٰ الأرْضَ يَومَ الأحَد ويَومَ الإثْنَين، وخَلَق الجِبالَ يَومَ الثُّلاثاء وما فيهنَّ مِن مَنافع، وخَلق يومَ الأربعاء الشَّجَر والمَاءَ والمَدائن والعُمرانَ والخَرابَ، فهذه أربعة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٠] لِمَن سَأَله.

قال: وخَلَق يومَ الخَمِيس السَّماءَ، وخَلَق يومَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ والشَّمسَ والقَمَرَ والمَلائكةَ إلىٰ ثلاثِ سَاعات بَقِيت منه، وفي الثَّانية أَلْقىٰ الآفةَ علىٰ كل شيءٍ مما ينتفع به الناسُ، وفي الثَّالثة آدَم وأَسكنه الجنةَ، وأَمَر إبليسَ بالسُّجود له، وأخرجه منها في آخِر سَاعَة».

وفي الآيات الَّتي ذَكرنا مع حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دليلٌ علىٰ أن الأرْضَ خُلقت قبل السماء وما فيها من الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم. بل في حديث ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النَّصُّ علىٰ أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم خُلقت يومَ الجُمعة، وهو آخرُ الأَيَّام السِّتة الَّتي خَلقَ الله فيها الخَليقةَ. وفي هذا أبلغُ رَدٍّ علىٰ

ما يَهذُو به طواغيتُ الإفرنج من تَخَرُّصاتهم وظنُونِهم الكاذبةِ أنَّ في القَمَر جبالًا أقدَمُ مِن الجبال الأرضيَّة بملايين السِّنين.

وروىٰ ابنُ جَرير -أَيْضًا- عَن عبدِ الله بن سَلَام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إنَّ الله بَدأ الخلقَ يومَ الأحَد، فخَلَق الأرضين في الأَحَد والإثنين، وخلَق الأقواتَ والرَّواسِيَ في الثلاثاءِ والأرْبعاء، وخلق السمواتِ في الخميسِ والجمُعة، وفرغ في آخِر ساعةٍ مِن يوم الجُمعةِ فخَلق فيها آدمَ علىٰ عَجَل، فتلك السَّاعة الَّتي تقومُ فيها السَّاعةُ).

وروىٰ ابن جَرير -أَيْضًا- من طريق السُّدِّي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن مُرَّة ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعن ناسٍ مِن أصحاب النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ** ﴾ [البقرة: ٢٩].

قال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان عرشُه علىٰ الماء، ولم يَخلُقْ شَيئًا غيرَ ما خلق قبل الماءِ، فلما أراد أن يَخلُق الخلقَ أَخرَج مِن الماء دُخانًا، فارْتَفع فسَمَا عليه فَسَمَاه سَماء، ثمَّ أَيبَس الماء فجَعله أرضًا واحدة، ثمَّ فتَقها فجعلها سبعَ أرضين في يَومين في الأحد والإثنين، وخلق الجبالَ فيها وأقوات أهلِها وشجرَها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقولُ: ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ**

فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠].

يقولُ: أنبَت شَجرَها: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، يقولُ: أقواتها لأهلها: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقول: قُل لمَن يسألك هكذا الأمْر: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وكان ذلك الدُّخان مِن تَنفُّسِ الماء حين تَنفَّس فجَعلها سماء واحدة، ثمَّ فتقَها فجعلها سبعَ سَموات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سُمِّي يوم الجَمعة لأنه جمع فيه خَلْق السَّموات والأرض: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] قال: خَلق في كل سماء خَلقَها من الملائكة والخَلق الذي فيها من البِحار وجبال البَرد، وما لا يَعلمه غيرُه، ثمَّ زيَّن السماءَ بالكَواكِب فجعلَها زِينةً وحِفظًا تَحفَظُ من الشياطين، فلما فرغ من خَلقِ ما أحب استوىٰ علىٰ العرش، فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وروىٰ عبدُ الرَّزَّاق وعَبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جَرير وابنُ أبي حاتم وأبو الشَّيخ: عن مُجاهد قال: خَلَق الله الأرضَ قبل السماء، فلما خُلقت ثَار منها دُخَانٌ، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] فسواهن سبعَ سموات بعضهن فوق بعض، وسبعَ أرضين بعضهن فوق بعض.

وقال البَغوي في «تفسيره» عند قولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادة: يعني خَلق فيها شَمسَها وقمَرها ونُجومَها.

وقال مُقاتل: وأوْحَىٰ إلىٰ كلِّ سماء ما أراد مِن الأمْرِ والنَّهي، وذلك يوم الخَميس والجُمعة». انْتَهىٰ.

وهذه الآثارُ تُعضِّدُ حديثَ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المَذكورَ قبلها، وتَدلُّ علىٰ ما دلَّ عليه مِن تَقدُّم خَلْق الأرض وما فيها من الجبالِ علىٰ خَلْق السماء، وما فيها من الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم. وفي ذلك ردٌّ علىٰ مَن زَعَم أن في القَمَر جِبالًا أقدم مِن جِبال الأرض بمَلَايين السِّنين.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧١: ولقَد رَصَد أسلافُنا القَمَر قبل أهلِ الشَّرق والغرب... إلىٰ آخر ما نقله من كلامِ ابن الهَيْثم فِي صَفْحَةِ ٧٣.

قلت: وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ هذه المَواضع في آخر «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

وقد زعم الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧٣ أنَّ ابنَ الهَيثَم عالِمٌ مُسلم، وهذا خطأ

ظاهرٌ، فإن ابنَ الهَيثم(١) فيْلَسُوف جاهل بالعُلوم الشَّرعية النافعة الَّتي هي العِلم علىٰ الحقيقة، وأهلُها هم العُلماء علىٰ الحقيقة، وهم الذين عناهم الله تَعالىٰ بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]، وقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

والفَلاسِفَة ليسوا من المُسلِمين؛ فضلًا عن أن يكونوا مِن العُلماء. قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «ليس الفَلاسِفَة من المسلمين». ونقل عن بعض أعيانِ القُضاة في زمانه أنه قيل له: ابن سِينا مِن فَلاسِفَة الإسلام، فقال: ليس للإسلامِ فَلاسِفَة.

وقد كان ابنُ الهَيثم من أصحاب الحاكِم العُبيدي، وقد ولَّاه الحاكمُ بعضَ الدَّواوين. وقد تقدم كلامُ العُلماء في تكفير العُبيديين وأنهم أكفَرُ مِن المشركين المُحارِبين من الإفرنج وغيرهم، وأعظمُ كُفرًا ورِدَّةً مِن كُفر أتباع مُسيلِمة الكذَّاب ونحوه مِن الكذابين. ومَن تولىٰ شيئًا من أعمالهم فهو منهم.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ(٢)-رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في

---

(١) هو محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي الفيلسوف صاحب المصنفات في الفلسفة. أصله بصري، سكن الديار المصرية إلىٰ أن مات سنة (٤٣٠). انظر: «تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٨٨)، «الأعلام» (٦/ ٨٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٣٥).

جوابٍ له وقد سُئل عن المُعزِّ بنِ تَمِيم الذي بنىٰ القاهرة. قال: «ومما يُبيِّن هذا أن المُتفلْسِفة الذين يُعلم خروجُهم من دين الإسلامِ كانوا من أتباع مُبَشِّرِ بْنِ فَاتِكٍ[1] -أحدِ أمرائهم-، وأبي علي بن الهَيثم اللَّذَين كانا في دولة الحاكِم نازلين قريبًا من الجامع الأزهر. وابن سينا وأبوه وأخوه كانوا من أتباعهم». انْتَهىٰ.

وفي كلام شيخ الإسلام -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- كفايةٌ في ردِّ ما زعمه الصَّوَّاف من إسلام ابنِ الهيثم، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

فصل

ونقل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧٤ عن ابنِ باديس أنه قال في الشَّمس: إنها هي الَّتي أبصَرَت القمرَ.

والجَوَابُ أَنْ يُقالَ: بل اللهُ وحده لا شريك له هو الذي جعل الضِّياءَ في الشَّمس، والنُّورَ في القَمَر، قال تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ

(١) مبشر بن فاتك، أبو الوفاء، المدعو بالأمير: حكيم، أديب: أصله من دمشق، وموطنه مصر، توفي نحو (٥٠٠هـ). «الأعلام» (٥/ ٢٢٧١).

ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥]، وقال تَعالىٰ مُخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١].

فإن قيل: إنَّ نُورَ القَمَر مُستفادٌ مِن نور الشَّمس، فما وَجْهُ الاعتراضِ علىٰ ابن باديس(١)؟

فالجَوَابُ أَنْ يُقالَ: إن إسنادَ الإبصار إلىٰ الشَّمس شِرْكٌ بالله تَعالىٰ، لِأَنَّ الله تَعالىٰ هو الذي جَعل الضياءَ في الشَّمس وجعلَه يَمتدُّ منها إلىٰ القَمَر، ويَنعكِس منه إلىٰ الأرض. فهذا كلُّه خَلْق الله وفِعْلُه. والواجب في مثل هذا أن يُسند الفعلُ إلىٰ الفاعل المُختار، لا إلىٰ المَخلوق المَربُوب المدَبَّر. ومَن أسند شيئًا مِن أفعال الله تَعالىٰ إلىٰ غيره فقد أشرَك به.

* * *

---

(١) هو عبد الحميد بن محمد المصطفىٰ بن مكي بن باديس أبو الفتوح، صاحب تصانيف، منها «العقائد الإسلامية»، و«مجالس التذكير». توفي سنة (١٣٥٩). انظر: «الأعلام» (٣/ ٢٨٩)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ١٠٥).

فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤ ما نقله الألوسي عن ابن قُتيبة في ذِكْر مَنازل القَمَر الثَّماني والعشرين، وعَدَّ منها السماك الرَّامح، وليس هو مِن المنازل، وأسقط سعود السعود، وهو مِن المنازل.

وهذا غلَط إما مِن الألوسي أو ممن قبله من النُّسَّاخ، ويَبعد أن يكون ذلك عن ابن قُتيبة. وقد نبَّهتُ علىٰ هذا الغلط في آخر «الصَّواعِق الشَّديدَة».

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧٨ ما نَصُّه:

واتَّفق علماءُ الفلَك في العصر الحديث بعد الاكتشافاتِ والبحوث العِلميَّة أن جرْمَ القَمر -كالأرض- كان مُنذ أحقابٍ(١) طَويلة وملايين السِّنين شَديد الحمو والحرارة، ثمَّ بَردَ فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما بَرد.

لنَقِف خاشعين متذكِّرين أمامَ مُعجزة القرآن العلمية. ذلك الكتاب الذي

---

(١) الأحقاب: السُّنون، والدهر، والمدة الطويلة. انظر: «مختار الصحاح» (ص٧٧)، و«لسان العرب» (١/ ٣٢٦).

جعله اللهُ حُجَّةً لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبُرهانًا لِدينه علىٰ البشر مهما تَرقَّوا في العِلم وتقدَّموا في العِرفان. فإن ظلامَ جَرم القَمَر لم يكن مَعروفًا أيام نزول الآية عند الأمم إِلَّا أفرادًا قليلين من علماء الفلَك. وأن حمو جَرمه أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا ما عُرف إِلَّا في هذا العهد أبعَد الأمَم من العِلم. فلم يكن ليعلم هذا ويقوله إِلَّا بوَحْي من الله الذي خلق الخلائقَ وهو العليمُ بها وبحقائقها.

والجَوابُ أنْ يُقالَ: أما ما ذَكره عن علماء الفلَك أن جرمَ القمر - كالأرض- كان منذ أحقاب طويلَة وملايين السنين شَديد الحمو والحرارة، ثمَّ برد، فكانت إضاءته في أزمانِ حموه وزالت لما برد.

فهو تخرُّصٌ لا دليلَ عليه من كتابٍ ولا سُنَّة ولا مَعقُول صحيح. وقد انقطع الوحيُ عن الأرض بموتِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبقَ إِلَّا وحيُ الشياطين إلىٰ أوليائهم بالأكاذيب والظُّنُون الَّتي لا تُغني من الحق شيئًا. بل تضل مَن اتبعها عن سبيل الله وتَهديه إلىٰ صراط الجحيم.

وهذا الوحي الشيطاني هو الذي يعتمدُ عليه طواغيتُ الإفرنج فيما يزعمونه عن المَاضي والمستقبل.

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال**: «سَيَكُونُ في آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحدِّثُونكم ما لم تَسمَعوا أنتم ولا آباؤكُم، فإيَّاكُم وإيَّاهُم» رواه الإمام أحمدُ ومُسلمٌ في مقدمة «صحيحه» والبخاري في «تاريخه» والحاكمُ في «مستدركه» من

حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرطهما، وأقره الذَّهبيُّ في «تلخيصه».

وفي رواية لمسلم: «يكونُ في آخِر الزمانِ دجَّالون كذَّابون يأتونكم مِن الأحاديث بما لم تَسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإياهم يُضلونكم ولا يَفتِنُونكم»(١).

وهذا الحديثُ يَنطبق علىٰ طواغيتِ الإفرنج الذين يتخرَّصون عن الماضي والمستقبل وعن الأرضِ والشَّمس والقَمَر وغيرهما من الأجرامِ العُلويَّة بما لا عِلمَ لهم به، ولا مُستَنَدَ لهم فيه سوىٰ ظنُونِهم الكاذبة.

ومِن أين لأعداء اللهِ العِلمُ بأنه كان للأرض والقَمَر منذ خُلِقَا أحقاب طَويلة وملايين من السِّنين، وهم لم يَشهدوا خَلقَهُما، ولم يأتِهم بما زعموه من الأحقاب والمَلايين خبرٌ عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!

ومِن أين لهم العِلمُ بأنهما كانَا شَديدي الحمو والحرارة ثمَّ بَردَا بعد ذلك، وأن القَمَر كان يُضيء في زمان حموه ثمَّ زالت إضاءته لمَّا بَردَ، وهم لم يشهدوا ذلك، ولم يأتهم بذلك خبرٌ عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١)، ومسلم في مقدمة «صحيحه» (٦، ٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٧٥- ٢٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨٤) (٣٥١)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٧).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وفي هذه الآياتِ أبلَغُ تَحذير مِن القول بغير عِلم، واتِّباع ما لم يَكن في كتاب اللهِ تَعالىٰ ولا في سُنَّة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإصْغاءِ إلىٰ تَخَرُّصات المُتخرِّصين.

وَأَمَّا قولُه: لنَقِف خاشعين مُتذكِّرين أمامَ مُعجزة القرآن العِلميَّة.

فَجَوابُه منْ وجهَيْنِ:

أحدُهُمَا: أنْ يُقالَ: لم يأتِ في كتاب الله تَعالىٰ أنه كان للقَمر والأرض منذ خُلِقَا أحقابٌ طويلة وملايين من السنين. ولم يأت في كتاب الله تَعالىٰ أن القَمَر والأرض كانَا شديدي الحمو والحرارة ثمَّ بَردَا بعد ذلك، وأن القَمَر كان يُضيء في زمان حموه ثمَّ زالت إضاءته لما برد.

كل هذا لم يُخبِر اللهُ به في كتابه ولا علىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومَن زعم أن ذلك في كتاب الله وأنه مِن معجزات القرآن العِلميَّة فقد أعظمَ الفِريةَ علىٰ الله وعلىٰ كتابه.

وقد توعَّد اللهُ المُفترين عليه بأعظم الوعيد، فقال تَعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود: ١٨، ١٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [يونس: ٦٩-١١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

قال أبو قِلابَة: «هي واللهِ لكُلِّ مُفترٍ إلىٰ يوم القيامة».

وقال تَعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]، والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرة جِدًّا.

ورویٰ الإمامُ أحمد والتِّرمذي وابن جَرير والبغوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن قال في القُرآن برأيِه أو بِمَا لا يَعلَمُ فلْيَتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّار**» قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَن صحيح(١).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» =

الوجْهُ الثَّاني: أن الصَّوَّاف لم يقف خاشِعًا مُتذكِّرًا أمامَ مُعجزة القرآن العِلمية كما زعم ذلك، وإنما وقف خاشعًا متذكِّرًا أمامَ هَذَيان الفلكيِّين وتَخَرُّصاتهم الوهميَّة، وبُحوثهم الجهليَّة عن جَرم القَمَر والأرض. وكلامه الذي ذكرنا في أول الفصل أعظمُ شاهد عليه بذلك.

وَأمَّا قولُه: فإن ظلامَ جَرم القَمَر لم يكن معروفًا أيام نزولِ الآية عند الأمم إلَّا أفرادًا قليلين من علماء الفلَك. وأن حمو جرمه أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا ما عرف إلَّا في هذا العهد الأخير.

فجوابه مِنْ وُجوه:

أحدُها: **أنْ يُقالَ**: أما السَّواد الذي في القَمَر فقد جاء فيه أقوال عن بعض الصحابة والتابعين.

قال ابن الجوزي في «تفسيره»(١) عند قوله تعالىٰ: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ١٢]: فيه قولان:

أحدُهما: أن آيةَ اللَّيل القَمَر ومَحْوها ما في بعض القَمَر من الاسوداد. وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب علي وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في آخرين.

=

(١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(١) انظر: «زاد المسير» (٣/ ١٣).

والثَّاني: آية اللَّيل مُحيت بالظلمة الَّتي جُعلت ملازمَة للَّيل، فنُسب المَحو إلىٰ الظُّلمة إذ كانت تَمحو الأنوار وتُبطلها، ذكره ابن الأنباري.

وقال ابن كثير في «تفسيره»(١): قال ابن جُريج عن عبد الله بن كثير في قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] قال: ظُلمة الليل وسَدف(٢) النهار. وقال ابن جُريج عن مُجاهد: الشَّمس آية النَّهار، والقَمَر آية الليل: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: السَّواد الذي في وَجْه القَمَر، وكذلك خَلقه الله تَعالىٰ.

قلت: هذا الأثَر والذي قبلَه قد رواهما ابنُ جَرير في «تفسيره»(٣) بإسناده عن ابن جُريج.

وقال ابن جُريج: قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان القَمَر يُضيء كما تُضيءُ الشَّمسُ، والقَمَر آيَة اللَّيل والشَّمس آيَة النَّهار: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ السَّواد الذي في القَمر(٤).

---

(١) (٥/ ٥٠).

(٢) السدف والسدفة من الأضداد، تقع علىٰ الضياء والظلمة. وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معًا، كوقت ما بين طلوع الفجر إلىٰ الإسفار. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٧١- ١٣٧٢)، و«النهاية» (٢/ ٣٥٤- ٣٥٥)، و«اللسان» (٩/ ١٤٦).

(٣) (١٤/ ٥١٧).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٦)، وإسناده ضعيف، فيه سنيد بن داود =

وقد روى أبو جَعفر بن جَرير مِن طُرق متعدِّدة جيِّدة أن ابنَ الكَوَّاء سأل أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما هذه اللَّطخة الَّتي في القَمَر؟ فقال: ويْحكَ! أما تَقرأ القرآنَ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؟ فهذه مَحوُه[1].

وقال قَتادة في قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: كنا نُحدَّث أن مَحو آيةَ اللَّيل سَوادُ القَمَر الذي فيه: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً﴾ أي: مُنيرة، وخَلق الشَّمس أنوَرَ مِن القَمَر وأعظم.

قلت: قد رواه ابنُ جَرير في «تفسيره» بإسناده نحوه[2].

وقال ابن أبي نَجيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[3]: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ﴾ [الإسراء: ١٢] قال: «ليلًا ونَهارًا، كذلك خلقهما اللهُ عَزَّوَجَلَّ». انْتَهىٰ.

=

المصيصي، أبو علي المحتسب، واسمه حسين (وسنيد لقب غلب عليه) «ضعف مع إمامته ومعرفته»، قاله في «التقريب».

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٢٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٤١٨) (٣٣٤)، وغيرهم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧)، وإسناده حسن.

(٣) كذا أورده ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٥٠)، بغير إسناد. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧)، من طرق عن مجاهد به.

فهذه أقوالُ المُفسِّرين في تفسير الآية الكَريمة. وحسْبُ المُسلم أن يَقتصِرَ في تفسير آيات القُرآن علىٰ ما نُقل عن المفسِّرين من سلفِ الأمَّة، ولا يتكلَّف ما لا عِلمَ له به.

وأما تفسيرُ الآية الكريمة بما تَخرَّصَه الفلكيُّون وتَوهَّمُوه بعُقولهم الفاسدةِ مِن حمو جَرم القَمَر أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا، فهذا مِن الافتراء علىٰ الله والإلحادِ في آياته.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المَعروف عن الصَّحابة والتَّابعين فهو مُفْتَرٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحَرِّفٌ للكَلِم عن مواضِعه». انْتَهىٰ(١).

ورواية ابنِ جُريج عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن القَمَر كان يُضيء كما تضيء الشَّمس لا يُعتَمَد عليها؛ لأنها مُنقَطِعَة.

وأَيْضًا، فرِواية ابنِ أبي نَجيح عنه تعارضها. وقد صرَّح فيها أن اللَّيل والنهارَ كذلك خلقهما الله. فهذه الرِّواية تفيدُ أن السَّوادَ الذي في القَمَر كان فيه من أصلِ الخِلقة، وأن قوله تَعالىٰ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ معناه: جَعل السَّواد في القَمَر من أوَّل خلْقِه. ويدل علىٰ ذلك قول مجاهدٍ: وكذلك خلقهما اللهُ تَعالىٰ.

ومجاهد إنَّما تلقَّىٰ التَّفسيرَ عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كما قال مُحمَّد بن

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

إسحاقَ: حدثنا أبانُ بن صالح عن مجاهد قال: عَرضتُ المُصحفَ علىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثلاثَ عَرضات مِن فاتحته إلىٰ خاتمَتِه أُوقِفُه عند كلِّ آية منه، وأسألُه عنها[(١)].

وروىٰ ابن جَرير[(٢)] عن ابن أبي مُلَيكة قال: رأيتُ مجاهدًا سأل ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن تفسير القرآن ومعه ألْواحُه، قال: فيقول له ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اكتُب، حتىٰ سأله عن التَّفسير كله. ولهذا كان سفيانُ الثَّوري يقول: إذا جاءك التفسيرُ عن مجاهد فحَسْبُك به[(٣)].

ولو صحَّت رواية ابن جُريج فليس فيها أن جَرمَ القَمَر كان في أوَّل الأمر شديدَ الحمو والحرارة ثمَّ بَرد بعد ذلك، وإنما فيها أنه كان يُضيء كما تضيءُ الشَّمس. والإضاءةُ لا يَلزم منها وجودُ الحمو والحرارة. وأَيْضًا فالأمورُ الغيبية إنما تُعلم من طريق الوحي، ولا وَحيَ علىٰ ما زعموه من حموِ جرم القَمَر في أول الأمرِ البتَّةَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: لو كان ما ذكَره في معنىٰ الآية صحيحًا لكان معروفًا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٥) (٣/ ٧٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٥٤) (٣٠٢٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩)، وغيرهم من طرق عن مجاهد به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٥) عن ابن أبي مُليكة به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٥)، وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٠)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥).

عند الصحابة والتَّابعين، فإنهم أعلمُ بمعاني القُرآن ومعجزاته وما أُريد به ممن كان بعدَهم، ولاسيما علماء الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فإنهم قد امتازوا علىٰ غيرِهم بالفَهْم التَّام والأَخْذِ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال ابنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان الرَّجُلُ مِنَّا إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ لم يُجاوِزهنَّ حتىٰ يَعرِفَ مَعانِيهن والعمَل بهن». رواه ابنُ جَرير بإسنادٍ صَحيح(١).

وفي «الصحيحين» عن مسروق قال: قال عبدُ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «والذي لا إلهَ غَيرُه، ما مِن كتاب الله سُورة إِلَّا أنا أعلَمُ حيث نزلَت، وما مِن آية إِلَّا أنا أعلمُ فيمَ أُنزلت»(٢).

ورواه ابنُ جَرير ولفظه: «قال عبد الله: والذي لا إلهَ غَيره، ما نَزلت آيةٌ في كتاب الله إِلَّا وأنا أعلمُ فِيمَ نَزلت، وأين أُنزلت»(٣).

فأمَّا ما تُوحِيه الشَّياطين من التَّخَرُّصاتِ والظُّنُون الكاذِبَةِ فالصَّحابةُ أجَلُّ قَدرًا مِن أن يتعلَّقوا بها أو تَروجُ عندهم. وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسانٍ وأئمة العِلم والهدىٰ من بعدهم. وإنما تَروجُ عند العَصرِيِّين المَفتونين بخُرافات الإفرنج وأكاذيبهم ورَجْمهم بالغيب.

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤٣) (٢٠٤٧)، وغيرهما من طرق عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣)، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٧٥)، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: مِن أعظم الإزراءِ بالصحابة والتَّابعين وتابعيهم بإحسانٍ وأئمة العِلم والهدىٰ مِن بعدهم أنْ يُقالَ: إنَّهم جَهِلوا معنىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾، وأن أهل هذا العهدِ الأخير من الفلكيِّين وأتباعهم من العصرِيِّين الذين هُم أبعَدُ الناس عن معرفةِ معاني القرآن والعَمَل به هم الذين عرفوه. وهذا ظَنُّ سَوءٍ بخِيار هذه الأمَّة، لا يَصدُر مِن رجلٍ له أدنىٰ مُسكَةٍ من عقل.

وَأَمَّا قولُه: والذي تلَا هذه الآية وأعْلَن هذه الحقائق العلميةَ الخطيرة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمن إنما هو نَبي أُمِّي من أمَّة أمِّيَّة كانت في ذلك العَهد أبعَدَ الأمَم عن العِلم. فلم يكن ليعلم هذا ويَقوله إلَّا بوحي من اللهِ الذي خلق الخلائقَ وهو العليمُ بها وبحقائقها.

فجوابه مِنْ وُجوه:

أحدُها: أنْ يُقالَ: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قد تلا الآيةَ الكريمة -أعني قولَ الله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ١٢] الآيةَ- وتلقَّاها عنه أصحابُه رضوان الله عليهم أجمعين، ولم يُنقَل عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بإسنادٍ صحيح ولا ضعيفٍ أنه قال: كان للأرض والقَمَر منذ خُلقَا أحقابٌ طويلة وملايين من السنين، وأنهما كانا شَديدي الحمو والحرارة في أول الأمر ثمَّ بردَا بعد ذلك، وأن القَمَر كان يُضيء في زمان حموه ثمَّ زالت

إضاءته لما برد.

ومَن زعمَ أن النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلن هذه الخُرافات الجهليَّة الحقيرة فقد افترىٰ عليه.

وقد تواتَر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

وفي روايةٍ للبُخاري وغيره: «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما ذكَره ههنا عن الأرضِ والقَمَر ليس مِن الحقائق العِلميَّة الخطيرةِ في شيءٍ، ولا يَمُتُّ إليها بصِلَةٍ، وإنما هو مِن الخُرافات الجهليَّة الحَقيرة الَّتي أَوحَتْها الشَّياطينُ إلىٰ أوليائهم مِن طَواغيت الإفرنج، وأَلْقَتْها طواغيتُ الإفرنج إلىٰ أتباعِهم ومُقلِّديهم من العَصرِيِّين، فتداوَلُوها بينهم حتىٰ وصَلَت إلىٰ الصَّوَّاف، فنَشرها مع ما جَمَعه من هذَيانِ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وتَخرُّصاتهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم في مقدمة «صحيحه» (٤)، وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وفي الباب عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وأبي عبيدة، وأنس، وجابر، وزيد بن أرقم، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. وانظر: «طرق حديث: من كذب علي متعمدًا» للطبراني.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩)، وغيره من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به

وظُنونِهم الكاذبة عن الأرضِ والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم، ثمَّ زعم أن ذلك من عُلومِ المسلمين في الفلَك، وذلك كَذِب علىٰ المسلمين. فقد جمَع ههنا بين الكَذِب علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله وعلىٰ المسلمين. ثمَّ زعم أن ذلك من الحقائق العِلمية الخطيرة. وهذا مِن قَلْب الحقائق، كما لا يخفىٰ علىٰ مَنْ نوَّر اللهُ قَلبَه بنُور العِلم والإيمان.

الوجه الثَّالث: أن كلام الصَّوَّاف يَنقض بعضه بعضًا، فقد زعم أن حمو جرم القَمَر أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا ما عُرف إلَّا في هذا العهد الأخير. ثمَّ زعم أن النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعلن هذه الخُرافات منذ أربعة عشر قرنًا. وهذا تناقضٌ لا يصدر من رجُلٍ يَعلَم ما يقول.

الوجه الرَّابع: أنْ يُقالَ: مِن أعظم الإزراء بالصَّحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- أنْ يُقالَ: إن النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلن بينهم شيئًا مِن الحقائق العِلميَّة الخَطيرة فلم يَعرفوها، وعَرَفَها أفرادٌ غَيرُهم من أعداء الله مِن الفلكيِّين، وعَرَفها -أَيْضًا- أهلُ هذا العهد الأخير من أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم مِن العَصرِيِّين الذين هم مِن أضلِّ الناس وأبعدِهم عن العلوم النَّافعة.

والصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجَلُّ قَدْرًا مِن أن يَجهَلُوا شَيئًا مما يُعلِنُه رسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم من أنواع العُلوم. وقد تلقَّوا القرآنَ والسُّنَّةَ من النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلَّغوهما عنه، وكانوا أعلَمَ الأُمَّةِ بكتاب الله تعالىٰ

وأقوالِ النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأفعاله.

وقد قال عبدُ الله بن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «مَن كانَ مُستَنًّا فلْيَسْتَنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحابُ مُحمَّد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا خيرَ هذه الأمَّة؛ أبَرَّها قُلوبًا، وأَعمَقَها عِلمًا، وأقَلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم اللهُ لصُحبة نبيِّه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونَقْلِ دِينِه، فتَشَبَّهوا بأخلاقِهم وطَرائقهم، فَهُم أصحابُ مُحمَّد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا علىٰ الهُدىٰ المُستقيم واللهِ رَبِّ الكَعْبَة» رواه أبو نُعيم في «الحِلْيَة»[(١)].

وروىٰ رَزينٌ عن عبدِ الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوَه[(٢)].

وإذا كان الصَّحابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعمَقَ هذه الأمَّة عِلمًا فمُحالٌ أن يُعلِنَ النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شيئًا من الحَقائق العلمية الخطيرة عن الأرض والقَمَر، ولا يَعرفها أحدٌ مِنهم.

ومُحالٌ -أَيْضًا- أن يَعرِفَ الفلكِيُّون في العهدِ الأخير وأتباعُهم من العصريين من حقائقِ القرآن العِلميَّة ما يَعرِفه الصَّحَابَة والتَّابعون وتابعوهم بإحسانٍ وأئمة العِلم والهُدىٰ مِن بعدِهم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥)، وفي إسناده عمر بن نبهان أبو حفص البصري، ضعيف، كما في «التقريب».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، والهروي في «ذم الهروي» (٧٤٦) من طرق عن قتادة عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وهذا إسناد منقطع. وقد ضعفه الألباني في «المشكاة» (١٩٣).

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٨٣ ما نَصُّه:

(حَقائق عَجيبة ومُذهِلَة عن الكَون)

لا تَظن أن الخيالَ هو صاحبُ هذه الحوادثِ المُثِيرة. إن الخيالَ لا يُمكن أن يصلَ إلىٰ هذه الحقائق العَجيبة المُذهلة الَّتي تَوصَّل إليها علمُ الفلك الحديث. إن الخيالَ مَثلًا لا يمكن أن يتصوَّر أن مرصدَ كاليفورنيا التقَط أخيرًا صورةً عمرها ستَّة آلاف مليون سنة. إن علماءَ الفلَك أعلنوا حديثًا أن هذه الصورة العجيبةَ أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم واستمرَّت رحلتُها ستة آلاف مليون سنة لتَصل إلىٰ الأرض. وحقائق أخرىٰ غَريبة اكتشفها الإنسانُ تؤكِّد كلُّها أن الأرضَ ما هي إِلَّا فُقاعة في مُحيط. حقائق أَقَلُّ ما تُوصَف به أنها مُذهلة مذهلة!!

ثم ذكَر في آخر صفحة ٨٣ وما بعدها إلىٰ آخر صفحة ٨٧ هَذيانًا كثيرًا لبعض الفلكيِّين من الإفرنج. حاصِلُه: أن بعضَهم قال: إن الشَّمس تُرسِل مَوجات راديو. وأنهم اكتشفوا نِجمَة جديدة قويَّة تَبعُد عن الأرض بمسافةِ ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأنهم في عام واحدٍ اكتشفوا ٣٥ منها، أطلقوا عليها اسم أشباه النُّجُوم. وأن الضَّوء في انتقاله إلينا من أشباهِ النُّجُوم يَستغرق في الرِّحلة ستة آلاف مليون سنة. ولذلك فالمَنظَر الذي نراه اليوم لهذه الأجرامِ

السَّماوية النائيَة هو المَنظر الذي كانت عليه منذ ستة آلافِ مليون سنة، وفي ذلك الوقت لم تكن الشَّمسُ ولا المجموعةُ الشَّمسية موجودةً بَعْدُ؛ إذ إنَّ عُمر الشَّمس هو خمسَة آلاف مليون سنة فقط كما يقولون...

إلىٰ أن قال: وقد خرَج العلماءُ بعد هذا بثلاثِ نَظريات علميَّة مُثيرة، إن هذه النظريات تقول: إنَّ الكَواكِب الأخرىٰ مَسكُونة، وأن سُكَّانَها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاق سُفُن الفضاء وتَفجير القنابل الذَّرِّيَّة. إن هذه النَّظرية أشبه بالخيال.

الشَّمسُ ليست إِلَّا نجْمَة من النُّجُوم المُتوسِّطة. والمَجموعة الَّتي تنتمي إليها الشَّمسُ فيها (١.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) أي: مائة ألف مليون نجمة. وبالكَون آلاف الملايين مِن مثل هذه المجموعات. وحوْلَ الشَّمس أُسرة من عشرة كواكب. والأرض كما هو معروفٌ أحدُ هذه الكَواكِب. وبين الرَّقم المجهول الذي ذكرناه للنُّجوم تُوجد عشرة آلاف مليون نجمة، تُؤلِّف حولها أُسرًا كأسرة الشَّمس، أي: تُوجد عشرة آلاف مليون نجمة تدور حَولها الكَواكِب، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثمَّ ذكر الصَّوَّاف أنه نقَل هذا الهَذَيان من جريدة المَدينة عدد ٦٤٨-٦٠٤.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: ليس فيما ذكره الصَّوَّاف في هذا الموضع شيءٌ من الحقائق البتَّة، وإنما هي تَخَرُّصات وضلَالات سَخيفة مُضحكة تُشبه هذيان المَجانين. وسيأتي ذِكر الأدلة علىٰ بطلانها إن شاء اللهُ تَعالىٰ. ولا يَنشُر هذه

الجهَالاتِ أو يُصدِّقُ بها مَن له أدنىٰ مُسكَة مِن عقل.

وَأَمَّا قولُه: لا تَظن أن الخيالَ هو صاحب هذه الحوادث المُثيرة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس ذلك بالظَّن، وإنما هو اليقينُ الجازمُ أنها تَخرُّصات وظنون كاذبة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وَأَمَّا قولُه: إنَّ الخيالَ لا يُمكن أن يصل إلىٰ هذه الحقائق العَجيبة المُذهلة الَّتي توصَّل إليها علمُ الفلَك الحديث.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الحقائقَ العجيبة فيما يتعلَّق بالمُغيبات إنما تُؤخذ من نصوص الكتاب والسُّنَّة، لا من غيرهما. قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالىٰ مُخبرًا عن رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣-٤].

ومن ادعىٰ شيئًا مِن عِلم الغيب مما ليس في كتاب الله تَعالىٰ ولا في سُنَّةِ رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو طاغوتٌ، ومَن صدَّقه فهو ممن آمنَ بالطَّاغوت شاء أم أبىٰ.

وليس شيء مما ذكر في هذا الفصل مَنصوصًا عليه في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة حتىٰ يكون من الحقائقِ العَجيبة المُذهلة، وإذا لم يكن ذلك في القرآنِ ولا في الأحاديث الصحيحة فهو من الظَّنِّ ونَسجِ الخيال ولابُدَّ.

وَأَمَّا قولُه: إن الخيالَ مَثلًا لا يمكن أن يتصور أن مرصد كاليفورنيا التقط أخيرًا صورةً عُمرها ستة آلاف مليون سنة، إن علماء الفلك أعلنوا حَديثًا أن هذه الصورة العجيبة أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم واستمرت رحلتُها ستة آلاف مليون سنة لتصل إلىٰ الأرض.

فجوابه من وجوه:

إحداها أنْ يُقالَ: وهل ظننتَ أيها الصَّوَّاف أن مرصد كاليفورنيا يَنزل عليه الوحيُ من السماء حتىٰ تَزعُم أن ما يُلتقط فيه فهو من الحقائق العجيبة؟!

إن المَراصد كلها أضعَفُ وأعجز مِن أن يُتوَصَّل بها إلىٰ اكتشاف ما في السماء الدنيا، وهي مَسيرة خمسمائة عام، وهي عن اكتشاف ما فوق السماء أضعفُ وأعجَز، فضلًا عن التوصُّل بها إلىٰ اكتشاف ما يَهذو به أعداءُ الله من

المسافات الَّتي تَبلغ ملايين من السنين. فهذه الدَّعوىٰ من أسخف الخيال وأسمَجِ الهَذيان.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما زعموه من التقاط الصُّورة الَّتي أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم فهي أُكذوبة نَسجَها خيالُ أهل المرصد وظنونهم الكاذبة، وليست من الحقائق، ولا تَمُتُّ إليها بصِلة.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: لو كان ما زَعموه من التقاط الصُّورة حقًّا لكان تحديدُهم لعمرها بستة آلاف مليون سنة من الرَّجم بالغيب، وذلك حرام. فكيف وكلامُ أعداء الله كله كذِب من أوله إلىٰ آخره؟!

الوجه الرَّابع: أن النُّجُوم كلها في السماء الدنيا بنَصِّ القرآن، قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

قال مجاهدٌ وسعيدُ بن جُبير وأبو صالح والحسن وقتادة: البُرُوج: هي الكَواكِب العِظام. وقال البغوي: هي النُّجُوم الكبار، مأخوذٌ مِن الظهور، يقال: تبَرَّجَت المرأةُ، أي: ظَهَرَت. وقال -أَيْضًا-: وسُمِّيت بُروجًا لظُهورها.

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا

﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذه الآيات كلِّها النَّصُّ علىٰ أن الكَواكِب في السماء. وفي الآية من سورة الصَّافات وما بعدها النَّصُّ علىٰ أنَّها في السماء الدنيا.

وقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «بين السَّماءِ والأرْضِ مَسيرةُ خَمسمِائة سَنَة» رواه عن النَّبيِّ ﷺ أربعةٌ مِن الصَّحابَة، وهم: عبدُ الله بن عَمرو، وأبو هُريرة، والعبَّاس، وأبو سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ورُوي -أَيْضًا- عن ابن مَسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا، وله حكم الرفع.

وقد ذكرتُ هذه الأحاديث في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة» مع الأدلة علىٰ سكون الأرض، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وفي الآيات الَّتي ذَكرنا مع هذه الأحاديث أبْلَغُ رَدٍّ علىٰ ما هَذىٰ به أهلُ مَرصد كاليفورنيا من التقاط صورةٍ مِن نجمة تبعُد عن الأرض بملايين الملايين من السنين.

الوجه الخامس: قال بعضُ السلف: إنَّ ارتفاع العرشِ عن الأرض السَّابعة خمسون ألف سنة. ورواه ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. ولو كان الأمرُ علىٰ ما هذىٰ به أهلُ مَرصد كاليفورنيا في بُعْدِ النِّجمة الَّتي زعموا أنهم التقطوا الصورةَ منها لكان مَحلها فوق العرش. وهذا مِن أبطل الباطل، فإنه ليس فوق

العرش شيءٌ سِوىٰ الله تَعالىٰ.

وَأَمَّا قولُه: وحقائق أُخرىٰ غريبة اكتشفها الإنسانُ تؤكِّد كلها أن الأرض ما هي إِلَّا فقاعة في محيط.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما ما زعمه أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعُهم عن الأجرام العلوية فكلُّه هذَيان وظنونٌ كاذبَةٌ، ليست من الحقائق، ولا تمُتُّ إليها بصِلة. وقد نبَّهت علىٰ كثيرٍ من مزاعمهم الباطلة في «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

ونبَّهتُ -أَيْضًا- علىٰ مواضع منها أثناء هذا الكتاب. وسيأتي التنبيهُ علىٰ مواضع أخر فيما بعدُ إن شاء الله تَعالىٰ.

وأما تَصغيرُه وتَحقيره للأرض فقد تقدَّم الكلامُ عليه في أوَّل الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: حقائق أقلُّ ما تُوصف به أنها مُذهلة مذهلة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس فيما تخَرَّصَهُ فَلاسِفَةُ الإفرنج عن الأجْرام العلوية شيءٌ من الحقائق البتَّة، وإنما هي توهُّمات وخُرافات ورَجْمٌ بالغيب، أقلُّ ما تُوصف به أنها مُضحكة مضحكة.

وَأَمَّا قولُهم: إن الشَّمس تُرسل مَوجات راديو، وأنهم اكتشفوا نِجمة جديدة قويَّة تَبعُد عن الأرض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأنهم في عام

واحدٍ اكتشفوا ٣٥ منها، أطلقوا عليها اسم أشباه النُّجُوم، وأن الضَّوءَ في انتقاله إلينا من أشباه النُّجُوم يَستغرق في الرِّحلة ستة آلاف مليون سنة، وأن المَنظر الذي نراه اليومَ لهذه الأجرام السماوية النائيَة هو المَنظر الذي كانت عليه مُنذ ستة آلاف مليون سنة، وفي ذاك الوَقت لم تَكن الشَّمس ولا المَجموعة الشَّمسية مَوجُودةً بَعْدُ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا كلُّه تَخرُّصٌ وهذيان لا يَصدُر ممن له أدنىٰ مُسكة عقل، ولا يَنشُره أو يُصدِّق به له أدنىٰ مُسكة من عقل.

وتسميتُهم لبعض النُّجُوم بأشباه النُّجُوم مُخالِف لما سمَّاها اللهُ به في كتابه، فإن الله تَعالىٰ سمَّاها بُروجًا ونُجومًا وكواكبَ ومصابيح، ولم يُسمِّ شيئًا منها بأشباه النُّجُوم، ولم يُخبرنا أن في السماء أجرامًا تُشبه النُّجُوم، وليست من النُّجُوم، فهذه التَّسمية الَّتي اخترعوها لبعض النُّجُوم مع ما زعَموه مِن بُعدِها الشاسع جِدًّا عن الأرض، وتَحديدهم لمُدَّة انتقال الضوء منها إلىٰ الأرض، وزعمهم أنها خُلقت قبل الشَّمس بألف مليون سنة. كلُّ ذلك باطلٌ وضلال وهذيانٌ يُشبه هذيانَ المجانين.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟

مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] إلىٰ قوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾

[الأنعام: ١١٦].

وكل ما في هذا الفَصل من أوله إلىٰ آخره، بل كلُّ ما نقله الصَّوَّاف في رسالته من توهُّمات فَلاسِفَة الإفرنج وتَخَرُّصاتهم فهو مِن زُخرف القول الذي أوحَتْه شياطينُ الجنِّ إلىٰ شياطين الإنس، ونَشرته شياطينُ الإنس لأوليائهم وأتباعهم من العصريِّين، فصَغَت إليه أفئدتُهم، ورَضوه وتمسَّكوا به أعظمَ مما يتمسكون بنصوصِ الكتاب والسنة، واشتدَّ إنكارُهم علىٰ من ردَّ ذلك من المسلمين، وهذا مِن زَيغ القُلوب وانتكاسها، فلا حولَ ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

وَأمَّا قولُهم: إنَّ عُمرَ الشَّمس هو خَمسَة آلاف مليون سنة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن الرَّجْم بالغيب، والقولِ بغير عِلم، وذلك مِن أعظم المحرَّمات. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١].

فهؤلاء الكذَّابون المُتعاطون لما استأثَر الله به من عِلم الغيب لم يشهدوا

خلقَ السموات والأرض وما فيهما، ولم يأتهم خَبرٌ عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما زعموه مِن تحديد عُمر الشَّمس وغيرها من الأجرام العلويَّة. فمن أين لهم العِلمُ بذلك وهو من أمورِ الغيب الَّتي لا يَعلمها إلَّا الله تَعالىٰ؟! وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقد أخبر الله تَعالىٰ في عدَّة مواضع من كتابه أنه خَلق السمواتِ والأرض في ستَّة أيام. وقال تعالىٰ في سورة (حم السجدة): ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فأخبر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه خلَق الأرضَ وما فيها في أربعة أيام، وخلَق السمواتِ وما فيهن في يومين. والشَّمسُ والقَمَر والنُّجُوم مِن جُملة ما خلقه الله في اليومين.

قال البَغوي في «تفسيره» عند قوله تَعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادَةَ والسُّدِّيُّ: يعني خلَق فيها شمسَها وقمَرَها ونُجومَها. وقال مقاتِل: وأوحىٰ إلىٰ كل سماءٍ ما أراد من الأمر والنَّهي، وذلك يوم الخميس والجمعة». انْتهىٰ.

وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ﴾ [يونس: ٥-٦]، وقال تعالىٰ مُخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) ﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) ﴾ [النبأ: ١٢-١٣].

وقد تقدَّم حديثُ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المرفوعُ، وفيه: أن الله خلَق الأرْضَ يومَ الأحدِ ويومَ الإثْنين، وخلق الجبالَ يوم الثُّلاثاء، وخلَق الشَّجرَ والماءَ يوم الأربعاء، وخلق السماءَ يومَ الخميس، وخلَق النُّجُوم والشَّمسَ والقَمَر والملائكةَ وآدمَ يومَ الجُمُعَة. رواه ابنُ جَرير.

وقد اختلَف المفسِّرون في مِقدار السِّتَّة الأيام الَّتي خُلقت فيها السمواتُ والأرض علىٰ قولين:

قال ابنُ كَثير: «والجمهور علىٰ أنَّها كأيامنا هذه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومُجاهد والضَّحَّاك وكعب الأحبار: أن كلَّ يوم منها كألف سَنةٍ مما تعدون. رواه ابنُ جَرير، وابنُ أبي حاتمٍ، واختار هذا القولَ

الإمامُ أحمدُ بن حنبل في كتابه الذي ردَّ فيه علىٰ الجهميَّة، وابن جَرير وطائفة مِن المتأخِّرين»(١). انْتَهىٰ.

وفي الآياتِ الَّتي ذكرنا مع حديثِ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا دليلٌ علىٰ أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُومَ خُلِقت مع السَّموات. بل في حديثِ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا النَّصُّ علىٰ أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم خُلقت يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة الَّتي خَلق الله فيها الخليقة. وفي هذا أبلغ ردٍّ علىٰ ما يَهذو به طواغيتُ الإفرنج في بعض النُّجُوم -وهي الَّتي يسمُّونها أشباه النُّجُوم- أنها خُلقت قبل الشَّمس بألف مليون سنة.

وقد تقدم ما ذكَره ابنُ قُتيبة في «المعارف» عن المُدَّة الَّتي كانت منذ خُلق آدم إلىٰ أن وُلد النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنها كانت سبعةَ آلاف وثمانمائة واثنتين وخمسين سنة. وقد مضىٰ منذ وُلد النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ سَنَتِنَا هذه -وهي سنة ١٣٨٨هـ- ألفٌ وأربعمائة وإحدىٰ وأربعون سنَة، فيكون مُنذ خُلق آدمُ إلىٰ هذه السَّنَة تِسعة آلاف ومائتان وثلاث وتِسعون سنة، وهذا يُعارض ما تخرَّص به طواغيتُ الإفرنج في عُمر الأرض والشَّمس والنُّجُوم وما يسمونها أشباه النُّجُوم، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ولما تكلَّم بعضُ الناس في عدَّة أصحابِ الكهف بغيرِ دليلٍ أنكر اللهُ ذلك

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٨٦).

عليهم، وأخبر أن ذلك مِن الرَّجمِ بالغيب. قال ابنُ كثير: «في قوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢]: إرشادٌ إلىٰ أن الأحسنَ في مثل هذا المقام رَدُّ العِلم إلىٰ الله تَعالىٰ؛ إذ لا احتياجَ إلىٰ الخَوض في مِثل ذلك بلا عِلم، لكن إذا أطْلَعَنَا علىٰ أمرٍ قُلنا به، وإلا وَقَفْنَا». انْتَهىٰ.

ثم قال تَعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: ٢٦] الآية. قال ابن كثير -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «أي: إذا سُئلتَ عَن لبْثِهم وليس عندك عِلمٌ في ذلك وتَوقيفٌ مِن الله تَعالىٰ فلا تتقدَّم فيه بشيء، بل قُلْ في مِثل هذا: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: ٢٦]» انْتَهىٰ.

وإذا كان هذا في وَاقِعَةٍ حَدَثَت في الأرض فكيف بالذين يَزعمون أنهم يعلمون ما في السماء وما يَبعُد عن الأرض بآلاف المَلايين من السِّنين علىٰ حدِّ زعمهم الكاذب؟! وكذلك الذين يَزعمون أنهم يعلمون وقتَ ابتداء خلق الأرض ومدَّة عمرها وعُمر الشَّمس وغيرها من الأجرام العلوية؟! فهؤلاء أولىٰ بالإنكار مِن الذين تكلَّموا في عدَّة أصحاب الكهف بلا مُستند، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قولُه: وقد خرَج العُلماءُ بعد هذا بثلاث نظرياتٍ علميَّة مُثيرة... إلىٰ آخر كلامه.

فجوابُه مِن وُجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إنَّ المُغيبات لا تُعلم بالنَّظريات، وإنما تُعلم من طريق

الوحي لا غَير. وكل ما ذَكره في هذا الفصل فهو مِن المغيبات، وكلامهم فيها مَردودٌ؛ إذ لا وَحيَ علىٰ ما زعموه ههنا البتَّة.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما ذكره ههنا عن الفلكيِّين ليست بنظرياتٍ عِلمية، وإنما هي تَخَرُّصات وظنون كاذبة، لا تخفىٰ إلَّا علىٰ جاهلٍ لا يَعرف الحقَّ مِن الباطل.

الوجه الثَّالث: أن الصَّوَّاف كرَّر اسمَ العُلماء في ثلاثة مواضع مِن هذا الفصل، وأراد بهم الفلكيِّين الذين نَقل عنهم من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة ما نقَلَ، وهذا مِن قَلب الحقيقة، فإنهم ليسوا بعُلماء، وإنما هم من أهل الجَهل والغَبَاوة علىٰ الحقيقة.

واسم العُلماء عند الإطلاق إنما يُراد به علماءُ الشَّريعة دون مَن سواهم، قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

فالمَوصُوفون في هذه الآيات هم العُلماء علىٰ الحقيقة، وأما غيرُهم فلابُدَّ فيهم من التَّقْييدِ، كما يُقال: عُلماء اليهودِ، وعُلماءُ النَّصارىٰ، وعُلماء الفَلَك، وعلماء النَّسَب، وعلماء الطِّبِّ، وعُلماء الهَندسَة، ونحو ذلك.

الوجه الرَّابع: أن نظريَّة الفلكيِّين في الكَواكِب وزَعمَهم أنها مَسكونة وأن سُكَّانها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاق سُفن الفضاء وتَفجير القنابل الذريَّة - ليس بشِبْه خَيال كما زَعمه الصَّوَّاف، وإنما هي خيالٌ صِرْف ورَجْمٌ بالغَيب. ولم يأت في القرآنِ ولا في السُّنَّة ما يدل علىٰ أن الكَواكِب مَسكونة؛ فضلًا عما تخرَّصُوه وتوهَّموه بعقولهم الفاسدة مِن أن سُكَّانها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاقِ سُفن الفضاء، وتَفجير القنابل الذريَّة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وَأمَّا قولُهم في الشَّمس: إنَّها نجمةٌ مِن النُّجُوم المتوسطة، وأن المجموعةَ الَّتي تَنتمي إليها الشَّمسُ فيها مائةُ ألف مليون نجمة، وأن في الكَون آلاف الملايين من مثل هذه المَجموعات، وأن الأرضَ أحَدُ الكَواكِب الَّتي يزعمون أنها أُسرة الشَّمس، وأنه يُوجد عشرة آلاف مليون نجمة تدورُ حَولها الكَواكِب - فكلُّها خَيالَاتٌ سَخيفَة، وظُنونٌ كاذِبَة، لا تَرُوجُ إلَّا علىٰ مَن هو مِن أجهل الناس. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقد تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ بُطْلان ما زعموه مِن تَعدُّد الشُّموس في أثناء الكتاب،

مع الكلام علىٰ مَزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم في الأرض أنها أَحَدُ الكَواكِب الَّتي تدور حولَ الشَّمس، فقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم أن في الكَون عشرة آلاف مليون نجمة تدور حولَها الكَواكِب، فقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الثَّامن عشر مِن الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٩٠ ذكَر الصَّوَّاف طُغاةَ مَكَّة مِن كفَّار قريش، وقال فيهم ما نَصُّه: (الذين أغواهم الشَّيطانُ وخَتَم علىٰ سَمعِهم وأبصارهم وقلوبهم).

والجواب عن هذا من وَجهَين:

أحدهما: أن الختْمَ لا يكون مِن الشيطان، وإنما يكون مِن الله تَعالىٰ، كما قال تَعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣]، والخَتْمُ هو الطَّبْعُ. وقال تَعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ الأبصارَ لا يُختم عليها كما توهمه الصَّوَّاف، وإنما تُجعل عليها الغِشاوة، كما قال الله تَعالىٰ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فخصَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القلوبَ والأسماع بالخَتْم، وخصَّ الأبصارَ بجَعل الغِشاوةِ عَليها.

قال ابنُ جَرير: «وقوله: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ خبَر مُبتَدأ بعد تمامِ الخَبر عما خَتم الله عليه من جَوارح الكفار الذين مضَت قَصصُهم»(١).

وقال البَغوي: «﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ هذا ابْتداءُ كَلام. غشاوة أي: غِطاء، فلا يَرون الحقَّ»(٢).

وقال ابنُ كَثير: «واعلَمْ أنَّ الوقف التَّام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ جُملَة تامَّة، فإن الطَّبعَ يكون علىٰ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٥).

القلب وعلىٰ السَّمع. والغشاوَة -وهي الغطاء- تكون علىٰ البصَر»[(١)].

وروىٰ ابنُ جَرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم، والغِشاوة علىٰ أبصارهم»[(٢)].

وروىٰ ابنُ جَرير -أَيْضًا- عن ابن جُريج قال: «الخَتمُ علىٰ القَلبِ والسَّمع. والغِشاوَة علىٰ البَصَر»[(٣)].

قال ابنُ جَرير[(٤)]: «والغِشاوة في كلام العرَب: الغِطاء، ومنه قولُ الحارث بن خالد بن العاص.

تَبعْتُــك إذ عَينــي عَليهــا غِشَــاوَة فلمَّـا انْجَلَـت قَطعـت نَفسي أَلُومُها

* * *

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (١٠٠)، وإسناده مسلسل بالعوفيين.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧١)، وفي إسناده سنيد، تقدم بيان حاله.

(٤) المصدر السابق.

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٣ نَقلًا عن «تَفسير طنطاوي جوهري» ما مُلخَّصُه:

إن العَجبَ ليَأخُذُنا كلَّ مَأخَذٍ، ويُدهشُنا أن نكونَ في عالَمٍ بَديعِ الإتقان، عَجِيب البُنيان... إلىٰ أن قال: كيف تجعل الكَواكِب الَّتي عُدَّت بمئات الملايين كأنها دُرَر مُرصَّعة في سَقفنا... إلىٰ أن قال: ولِبَديع وحُسن الإتقان وجمَال الوَضع تتراءىٰ لنا أنها إنَّما وُضعت لأجلنا، وليزين بها سقفنا... إلىٰ أن قال: فالشَّمس من تلك الشُّموس تُشرف علىٰ سياراتها وعلىٰ أراضيها. ثمَّ هي من جهةٍ تُجعل زينة في سماء كلِّ شَمس وكل أرض وكل سيارة، ويكون قدرها في تلك الزِّينة مُختلِفًا باختلاف الآفاق الَّتي تتراءىٰ لها. وكما أن الكَواكِب مُرَصَّعة في سمائنا، فإن شمْسَنا مرصعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكُرات.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: هذا كله هَذيان لا حاصلَ تَحته، و«تفسير طنطاوي جوهري» مملوء مِن الهذيان وتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، فلا يُغتَر به.

وما زعمه مِن تَعدُّد الشموس فقد تقدم ردُّه في أثناء الكتاب مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك. وكذلك قد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الحادي عشر من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة

الجَدِيدة، فليُراجع -أَيْضًا-.

وَأَمَّا قولُه: ولبديع وحُسن الإتقان وجمال الوضع تتراءىٰ لنا أنها وضعت لأجلنا، وليزين بها سقفنا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وما تُنكر مِن ذلك واللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢] الآيات إلىٰ قوله: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٥-١٨].

ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ﴾ [لقمان: ٢٠]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

ويقول -أَيْضًا-: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ففي هذه الآيات النَّصُّ علىٰ أن الله تَعالىٰ قد جعل الكَواكِب زِينةً للسماء الدنيا الَّتي هي سَقفُ ما تحتها مِن المخلوقات، وجعلها -أَيْضًا- للناس ليَهتدوا بها في ظُلمات البر والبحر، وفيها -أَيْضًا- الرَّدُّ علىٰ مَن تأوَّل في النُّجُوم خلاف ما أخبر اللهُ به ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال قتادةُ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «خَلق اللهُ هذه النُّجُومَ لثَلاثٍ: جَعَلَها زينةً للسماء، ورُجومًا للشَّياطين، وعلاماتٍ يُهتَدىٰ بها، فمَن تأوَّل فيها بغير ذلك أخطأ وأضَاع نصيبَه وتَكلَّف ما لا عِلمَ له به». ذكره البُخاري في «صَحِيحه» تعليقًا مَجزومًا به، ووَصَله عبدُ بنُ حُميد، وابنُ أبي حاتم وغيرُهما.

وَأَمَّا قولُه: فالشَّمس مِن تلك الشُّموس تُشرف علىٰ سياراتها وعلىٰ أراضيها، ثمَّ هي مِن جهةٍ تُجعل زينةً في سماء كلِّ شمس وكل أرض وكل سيَّارة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مرادُه بالشُّموس الكَواكِب الثَّوابت الَّتي زَعم أنها

عُدَّت بمئات المَلايين. وزعم الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٨٧ أنه يُوجد عشرة آلاف مِليون نِجمة نؤلف حولَها أُسرًا كأسرة الشَّمس، أي: تدور حَولها الكَواكِب. وإذا كان لكلِّ شَمس من هذه الشُّموس المَزعومة سماء وأرضون ونُجوم سيَّارات كما تَخيَّلوه بعقُولهم الفاسدةِ، فإن السمواتِ تكون عشرة آلاف مِليون سماء، وتكون الأرضون كذلك أو أكثر، وتكون النُّجُوم السَّيارات أكثَر من ذلك بأضعاف مُضاعَفة.

وهذا هو هذَيان المجانين بعَيْنه، وهو مَردودٌ بنُصوص القرآن والسُّنَّة وإجماع أهل السُّنَّة والحَديث علىٰ أن السَّموات سبع فقط، وأن الأرضين سبعٌ فقط.

أما نصوصُ القرآن: فقولُ الله تَعالىٰ مُخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤]، وقولُه تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، وقوله تَعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١١-١٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

ففي هذه الآيات كلِّها النَّصُّ علىٰ أن السَّمواتِ سبْعٌ، ففيها الرَّدُّ علىٰ مَن زعم أن السمواتِ أكثرُ مِن سَبع، وفيها -أَيْضًا- الرَّدُّ علىٰ أهل الهَيْئة الجَدِيدة الذين يُنكرون وجودَ السمواتِ، ويَزعمون أن سَعةَ الجوِّ غيرُ مُتناهية.

وفي الآية مِن سورة الطلاق دليلٌ علىٰ أن الأرضين سبعٌ كالسموات، ففيها الردُّ علىٰ مَن زعَم أن الأرضين أكثرُ مِن سبع.

وأما نصوصُ السُّنَّةِ علىٰ أن السَّموات سبعٌ، وأن الأرضين سبع فكثيرة جدًّا. وقد ذكرتُ طَرفًا منها في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الثَّالث من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْتُراجَعْ هُناكَ، ففيها الرَّدُّ علىٰ مَن زعَم أن السمواتِ أكثرُ مِن سبع، وأن الأراضين أكثرُ مِن سبع.

وأما الإجماعُ: فقد ذكَر الشيخُ عبد القاهر بنُ طاهر البغدادي في آخر كتابه «الفَرْق بين الفِرَق»(١) عن أهل السُّنَّة أنهم أجمَعوا علىٰ أن السموات سبعُ طِباق، خلاف قولِ مَن زعم من الفَلاسِفَة والمُنجِّمين أنها تِسعٌ.

وذكَر شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي بَكر الأنْباري أنه ذَكر إجماعَ أهلِ الحديثِ والسُّنَّة علىٰ أن الأراضين سبْعٌ بَعضُهنَّ فوق بعض(٢). وفي هذا ردٌّ علىٰ مَن زعم أن السمواتِ أكثَرُ مِن سبع، وأن الأراضين أكثرُ مِن سبع.

وَأَمَّا قولُه: وكما أن الكَواكِب مُرصَّعة في سمائنا، فإن شَمسَنا مُرصَّعَة في ملايين الآفاقِ المُحيطة بالكُرَات.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: لم يأتِ في القرآن ولا في السُّنَّةِ ما يدل علىٰ أن الكَواكِب مُرصَّعة في السماء كالمَسامير في الباب، بل فيهما ما يدل علىٰ أنها تَجري كما تجري الشَّمسُ والقَمَر، قال الله تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ

---

(١) (ص٣١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٩٥).

بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال ابنُ كثير في الكلام علىٰ الآية الأولىٰ: «يُنَبِّهُ -تَعالىٰ- عبادَه علىٰ آياته العِظام، ومِنَنِه الجِسام في تَسخيره اللَّيلَ والنهار يتعاقبان، والشَّمس والقَمَر يَدوران، والنُّجُوم الثَّوابت والسَّيارات في أرجاء السموات نُورًا وضياءً ليُهتدَىٰ بها في الظُّلمات، وكلٌّ منها يَسيرُ في فَلَكِه الذي جعله اللهُ تَعالىٰ فيه، يَسير بحَركة مُقدَّرة لا يَزيد عليها ولا يَنقص عنها. والجميعُ تَحت قهره وسلطانه وتَسخيره وتقديره وتسهيله»(١). انْتَهىٰ.

وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير: ١٥-١٦] قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «هي النُّجُوم تَخنَس بالنَّهار وتَظهَر باللَّيل». رواه ابنُ جَرير وابن أبي حاتم(٢). قال ابنُ كثير: وكذا رُوي عن ابن عباس ومجاهد والحَسن وقتادة والسُّدي وغيرهم أنها النُّجُوم. قال: وقال بعضُ الأئمة: إنما قيل للنجوم: الخُنَّس، أي: في حال طُلوعِها، ثمَّ هي جَوَارٍ في فَلَكِها، وفي حال غيبوبتها يقال لها: كُنَّس، مِن قَول العرب: أوىٰ الظَّبي إلىٰ كُناسِه، إذا تغيَّب فيه.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٦١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٢)، وغيره من طريق أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وإسناده ضعيف، فيه من لم يسم. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٦).

وقال ابنُ مَنظور في «لسان العرب»(١): جرَت الشَّمسُ وسائرُ النُّجُوم: سارت مِن المشرق إلىٰ المغرب. قال: وقوله تَعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ يعني النُّجُوم.

وروىٰ ابنُ أبي حاتم من طريق عبدِ الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] قال: النُّجُوم والشَّمس والقَمَر.

وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] الأُفُول: الغَيبُوبَة.

وروىٰ الإمامُ أحمد والتِّرمذي عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ أهلَ الجنَّة ليَتراءون في الغُرفة كما يَتراءون الكَوكب الشَّرقي أو الكوكَب الغَربي الغارِب في الأفُقِ، أو الطَّالعِ في تَفاضُل الدَّرجات» الحديثَ. وهذا لفظ الترمذي وقال: هذا حديثٌ حَسن صحيح(٢).

وروىٰ الإمام أحمدُ والترمذي -أَيْضًا- وابن ماجَهْ: عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ أهلَ الدَّرجَات العُلَىٰ ليَراهُم مَن تَحتَهم كما تَرون النَّجم الطَّالعَ في أُفُق السَّماء، وأن أبا بَكْر وعُمرَ منهم

---

(١) (١٤/ ١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٩)، والترمذي (٢٥٥٦)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٢٧).

وأَنْعمَا» قال الترمذي: هذا حديث حسن[١].

وفيما ذكرتُه من الآيات والأحاديث دليلٌ علىٰ أن النُّجُوم تَجري وتَسبَح في الفَلَك كما تَجري الشَّمس فيه والقمرُ.

وفيها الرَّدُّ علىٰ مَن زعم أنها مُرصَّعة في السماء.

وَأَمَّا قولُه: فإن شَمسَنا مُرصَّعة في ملايين الآفاق المُحيطة بالكُرَات.

فجوابُه مِن وَجهَين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: إن الشَّمس تَجري وتَسْبَح في الفلَكِ وتَدورُ علىٰ الأرض كما دلَّت علىٰ ذلك الأدلَّةُ الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة، وقد ذكرتُها في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ. وما كان جاريًا علىٰ الدوام فليس مرصَّعًا في شيء من الآفاق؛ فضلًا عما هذَىٰ به طنطاوي جوهري من كونها مُرصَّعة في مئات الملايين من السَّموات.

الوَجْهُ الثَّاني: أن مُرادَه بملايين الآفاق المُحيطة بالكُرات، أنَّ كلَّ كَوكب من الكَواكِب الَّتي تُعدُّ عنده بمئات المَلايين له سماء تَخصُّه. وأن كلَّ أرض من الأراضين الَّتي تُعدُّ عنده بمئات الملايين لها سماءٌ تَخصُّها. وأن كلَّ سيارة من السيارات الَّتي تعدُّ عنده بمئات المَلايين لها سماء تَخصُّها. وقد صرَّح بذلك في

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٧)، والترمذي (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٩٦)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وأصل الحديث عند البخاري (٣٢٥٦)، وغيره.

قوله: ثمَّ هي من جِهةٍ تُجعل زينةً في سماء كلِّ شَمس وكل أرض وكل سيارة. وقد تقدم ردُّ هذا الهذيان قريبًا، فليُراجَع.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٧-٩٨ ما نَصُّه:

البُروج الَّتي في قولِه تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] هي النُّجُوم العِظامُ في هذا الفَلَك العظيم، منها ما نراه بأعيُنِنا المُجرَّدة، ومنها ما لم يَصِل نُورُه إلينا حتىٰ الآن. لذا فهي لا تُرىٰ حتىٰ بالمُكبِّرات والمَراصِد الكبيرة الحساسة.

وقول علماءِ الفلَك: إن مِن النُّجُوم نُجومًا سوف لا يصل نورها إلىٰ كرتِنا الأرضية في أقلِّ مِن ألف وخمسمائة مليون سنة ضوئيَّة. مع العلم بأن الضَّوء يسيرُ في الثَّانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر. ويَصل في سيره إلىٰ القَمَر في قَدر ثانية وثُلث الثَّانية. ولو جرىٰ حولَ الكُرة الأرضية لدار حولَها في الثَّانية الواحدة ثماني مرات. ولو أُطلق مَدفع فإن قُنبلةً تَجري وتسير نحوَ سنةٍ ونصف السَّنَة حتىٰ تَقطع المسافةَ الَّتي يقطعها الضوءُ في ثانية واحدة. فما أبعدَ الكَواكِب عنَّا! وما أعظمَ خالِقَ هذه الكَواكِب ومُسيِّرَها ومُدبِّرَها ومُضيئها الجليلَ القديرَ علىٰ كل شيء!

وقد قلنا: إن اللهَ -تَباركت أسماؤه- أقسم بهذه الكَواكِب لِمَا فيها من عجيبِ الصَّنعة وباهرش الحكمة. وهو عَزَّوَجَلَّ يحُثُّنا علىٰ البحثِ عن هذه الكَواكِب، وما فيها مِن عَوالم، لنَستدلَّ بذلك علىٰ عظيمِ قُدرته، وجليلِ حِكمته، وبالغ عظمته. وصدق اللهُ العظيم إذ يقول: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]، ولله العظمةُ والجلال إذ يُنبِّه إلىٰ عظمةِ الكون ليهيجَ الناسَ ويُشوِّقهم ويَدعوهم إلىٰ الاطلاعِ علىٰ تلك العوالِم الجبَّارة في الحياة، وهي فوقهم في السماء الَّتي يُشاهدونها ويَرون النُّجُومَ فيها مُبعثَرَةً هنا وهناك، ولا نَرىٰ مِن نُورها إلَّا واحدًا مِن آلاف المَلايين من حقائقِ أنوارها وأقدارها، وأكبرها تُرىٰ صغيرةً دَقيقة الجَرم، وهي قد تفوق أرضَنا سَعةً وحَجمًا.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يُقالَ: مِن أين للصَّوافِ العِلمُ بأن في السماء نجومًا لم يصل نورُها إلىٰ أهل الأرض حتىٰ الآنَ: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]؟!

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يُخبِرْنا في كتابه ولا علىٰ لسانِ رسُولِه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن في السماء نُجومًا لم يصل نورُها إلىٰ أهل الأرض حتىٰ الآن. وقد انقطع الوحيُ بموت النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يَبْقَ للصَّوَّافِ وأشباهِه وسَلَفِهم من فَلاسِفَة الإفرنج مُستَنَدٌ سوىٰ وحيِ الشَّياطين إليهم بالتَّخرُّصات والظُّنُون الكاذبة. فهذا

الوحي الشيطاني هو عُمدَتُهم فيما يزعمونه عن المغيباتِ والأجرام العُلوية.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الكَواكِب كلَّها في السماء الدُّنيا بنصِّ القرآن، قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝﴾ [الحجر: ١٦-١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال**: «بين السَّماءِ والأرضِ مَسيرَةُ خَمسِمائةِ سَنَة» رواه عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعةٌ من الصَّحابَة، وهم: عبدُ الله بنُ عَمرو، وأبو هُريرةَ، والعبَّاسُ، وأبو سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ورُوي -أَيْضًا- عن ابن مَسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا وله حُكم الرَّفع، وقد ذكرتُ هذه الأحاديثَ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» مع الأدلة علىٰ ثباتِ الأرض، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وإذا كانت الكَواكِب زِينةً للسَّماء الدنيا فبُعدها عن الأرض لا يَزيد علىٰ خمسمائة سَنَة. فما زعموه مِن البُعد المُفرِط في بعض الكَواكِب مَردودٌ بالآيات الَّتي ذكرنا.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: لو كان ما زعمَه الفلكِيُّون صحيحًا لكان يَتجدَّد

في كلِّ زمان نُجومٌ لم يكن أهلُ الأرض يعرفونها مِن قَبلُ. ولو وقع ذلك لذكَرَه الناسُ فيما يذكرونه من الحوادثِ، وتَناقلوه قَرنًا بعد قرن، ولكن لا وجودَ لذلك أبدًا. والنُّجُومُ لم تزل ولا تَزالُ علىٰ الحال الَّتي خلقها اللهُ عليها. فما كان منها يُرىٰ بالعين المُجرَّدة أو بالمُكبِّرات مِن أوَّل الأمر فهو لا يَزال علىٰ حاله. وما كان ضعيفَ الضَّوء لا يُرىٰ بالعين المُجرَّدة ولا بالمُكبِّرات فهو لا يَزالُ علىٰ حاله.

الوجه الرَّابع: أن الفَلكِيِّين زعموا أن النُّورَ يَصل إلىٰ القَمَر في ثانيةٍ وثُلث، ثمَّ زعموا في النُّجُوم ما زعموه من الأبعادِ المُتفاوتة، وأن منها ما لا يصِلُ النور منه في أقلِّ مِن ألف وخمسمائة مليون سنَة. وهذا تفريقٌ بين ما جَمع اللهُ بَيْنَه، فإن القَمَر في السماءِ بنَصِّ القرآن، والكَواكِب قد جُعلت زينةً للسماء الدنيا بنصِّ القرآن، فما وصل مِن القَمَر في ثانيَة وثُلث وصل من الكَواكِب في مثل ذلك، ومَن فرَّق بين ما جَمع اللهُ بَينَه فقَولُه مَردودٌ عليه.

وَأمَّا قولُه: فمَا أبعدَ الكَواكِبَ عنَّا!

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن بُعدَها لا يَزيد علىٰ خمسمائة سَنَة، لِأَنَّ الله تَعالىٰ قد جعلها زينةً للسماء الدنيا، كما قد نصَّ علىٰ ذلك في عدَّة آيات من القرآن، وبَيْن السَّماء والأرض مَسيرَةُ خَمسمائة سَنَة، كما هو ثابت بالنصوص عن النَّبيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. فمَن زعم أن مِن الكَواكِب ما يَبعُد عن الأرض أكثرَ من

خمسمائة سَنَة فقوله مردودٌ بنصوص الكتاب والسُّنَّة.

وأما ما يَزعُمه أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعُهم في بُعدِ بعضها عن الأرض بآلاف المَلايين من السنين فهو تَخرُّصٌ وهذيانٌ لا حقيقةَ له.

وأما زعمُه أن الله تَعالىٰ حثَّ علىٰ البَحث عن الكَواكِب وما فيها من العوالِم.

فهو من الكَذِب علىٰ الله تَعالىٰ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [يونس: ٦٩-١١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠].

وليس في القرآن ما يدل علىٰ أن في الكَواكِب عوالِمَ فَضلًا عن أن يكون فيه الحثُّ علىٰ البَحث عنها وعما فيها.

والبحث إنما يكون عن الأشياءِ الخَفيَّة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يأمر الناسَ بالبحث عن الأشياء الخفيَّة والرَّجْم عنها بالغيب، وإنما أمرهم بالنَّظر والتَّفكُّر فيما يشاهدونه مِن آياته الظاهرة الَّتي يَراها كلُّ بَصير، ويَعرِفُها كلُّ عاقل، فقال تَعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

قال البَغوي: «أي: قل للمُشركين الذين يسألونك الآياتِ: انظروا ماذا

في السَّموات والأرض مِن الآيات والدَّلائل والعِبَر، ففي السموات الشَّمسُ والقَمَر والنُّجُوم وغيرها، وفي الأرض الجبالُ والبِحارُ والأنهار والأشجار وغيرُها»(١). انْتهىٰ.

ونَظير هذه الآية قولُه تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] الآية. وقولُه تَعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قال القُرطُبي: «﴿وَهُمْ﴾ يعني الكُفَّار: ﴿عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ بيَّن أن المُشركين غفَلوا عن النَّظر في السموات وآياتها من لَيلِها ونهارها وشمسِها وقمرها وأفلاكِها ورياحها وسحابها، وما فيها من قُدرةِ الله تَعالىٰ، إذ لو نظروا واعتبَروا لعَلِموا أن لها صانعًا قادِرًا واحدًا، فيستحيل أن يكونَ له شريكٌ»(٢). انْتَهىٰ.

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٨٥).

بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

والآيات في الحثِّ علىٰ التفكر والاعتبار بالآيات الكونيَّة كثيرة جدًّا، وليس في شيء منها ما يدل علىٰ البَحث عن المغيباتِ كما توهَّمَه الصَّوَّافُ، بل ذلك مما نهىٰ الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأما كلام الصَّوَّاف علىٰ الآية من سورةِ الواقعة فهو من تحريفُ الكَلِم عن مواضعه، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إنما أقسم بمَواقع النُّجُوم ليُنبِّه عبادَه علىٰ عظمة القرآن، لا ليُهيِّجَهم ويُشوِّقَهم ويدعوهم إلىٰ الاطِّلاع علىٰ العوالِم الجبَّارة كما زعمه الصَّوَّاف. ومِن أين لبني آدمَ الوصولُ إلىٰ السماء والاطِّلاعُ علىٰ ما فيها لو كان الصَّوَّاف يَعقِلُ؟!

وأما زعَمَه أن بعض النُّجُوم قد تَفوقُ الأرضَ سَعةً وحَجمًا فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة ولا معقول صحيح، وإنما هو من التَّخرُّص واتباع الظَّنِّ. وقد تقدَّم التنبيهُ علىٰ بطلانه في أول الكتاب عند كلام الزهاوي في تصغير الأرض وتحقيرها، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٨-٩٩ ما نَصُّه:

يقولُ علماءُ الفلَك: إنَّ الشِّعرَىٰ اليَمانية أثقَلُ مِن الشَّمس جرمًا بعشرين مرَّة، ونُورُها خَمسون ضِعف نور الشَّمس، وهي أبعَدُ منها مليون ضعف بُعدها عنَّا. وأن الشِّعرَىٰ اليمانية تجري بسرعة ألف مِيل في الدَّقيقة؛ لذا خصَّها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز إذ قال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم: ٤٩]، وهناك الشِّعْرىٰ الشامية لها خصائصُ ومُميِّزات أخرىٰ. والشِّعرىٰ اليمانية هذه الَّتي نراها قِبَل اليَمن، وهي في النَّظر بقَدْر الجوزَةِ أو البَيضة، وهي أسطعُ مِن خَمسين شمسًا إِلَّا واحد من ألفي مليون منه. وثلاث مِن بَنات نعش يَفُقْنَ الشَّمس نُورًا، واحدة منهن أربعمائة ضِعف، والثَّانية أربعمائة وثمانين، والثَّالثة ألف ضعف، وسُهيل أضوأ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة، والسماك الرَّامح حَجمُه ثمانون ضِعف حَجم الشَّمس، ولا يصل إلينا ضوؤه إِلَّا في مائتي سنة.

هذه كلُّها تَقديرات علماء الفلك، وَاللهُ أَعْلَمُ بصحتها. ولكنها تدلُّ بوُضوح علىٰ عظمة الخالقِ جَلَّوَعَلَا، وكمالِ قُدرته وفائقِ صَنعَته.

والجَوابُ أنْ يُقالَ: ما ذكَره الصَّوَّافُ ههنا عن الفلكيِّين فكلُّه هَوَس وهذيان لا يصدرُ من عاقل، وهو مما يَضحك منه السُّفهاءُ؛ فضلًا عن العُقلاء،

ولا يَروج إِلَّا علىٰ مَن أضلَّه اللهُ وخَتم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة.

فأما زَعمُهم أن الشِّعرىٰ اليمانية أثقل من الشَّمس جرمًا بعشرين مرة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: لو اجتمع الأوَّلون والآخرون من الإنس والجنِّ لَمَا قَدرُوا علىٰ وزْنِ جَبل من الجبال، وهم عن الارتقاء إلىٰ السَّماء ووزن ما فيها من الشَّمس والنُّجُوم أعجَز وأعْجَز.

ولم يأت عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصٌّ بقدر وزن الشَّمس والنُّجُوم، وما ليس عليه دليلٌ فليس عليه تَعويل. ومن زعم معرفةَ وزنها وما بين بعضِها والبعض الآخر من التَّفاوت في الثِّقَلِ فليس له مستندٌ سوىٰ التَّخرُّص والرَّجم بالغيب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما زعمهم أن الشِّعرىٰ اليمانية أبعد من الشَّمس مليون ضعف بعدها عنا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد زعَم أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة أن الشَّمس تَبعُد عن الأرض أربعةً وثلاثين ألف ألف فرسَخ وخمسمائة ألف فرسخ. ذكره الألوسي عنهم فِي صَفْحَةِ ٣٤ من كتابه الذي سماه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»،

وهذه المسافة تطابق اثني عشرَ ألف سنةٍ أو قَريبًا من ذلك. فعلىٰ هذا يكون بُعْدُ الشِّعرىٰ عن الأرض اثني عشر ألف مليون سنَة علىٰ حدِّ زعمهم. وهذا مِن أقبح الهَوَس والهذيان. وهو مردود بنصوصِ القرآن علىٰ أن الكَواكِب قد جُعلت زينةً للسماء الدنيا.

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «بيْنَ السَّماء والأرضِ مَسيرَةُ خَمسمائة سَنَة»، وعلىٰ هذا فالمسافةُ بين الأرض وبين الشِّعرىٰ خمسمائة سنة فقط.

وعلىٰ قولِ الفَلكيِّين تكون الشِّعرىٰ فوق العرش، وهذا مِن أبطلِ الباطلِ، فإنه ليس فوق العرشِ شيء سوىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأما زعمُهم أن الشعرىٰ اليمانية تَجري بسرعة ألف ميل في الدقيقة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشِّعْرىٰ اليمانية كسائر النُّجُوم الثَّوابت، فكلها في فلَكٍ واحد تَجري فيه علىٰ نَسق مضبوط، لا يتقدم شيء منها علىٰ غَيره ولا يتأخر عنه، كما هو معلوم بالمشاهدة.

وَأمَّا قولُه: لِذَا خصَّها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز إذ قال: ﴿**وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ**﴾ [النجم: ٤٩].

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنما خصَّها اللهُ بالذِّكْر دونَ غيرها من النُّجُوم، لِأَنَّ طائفةً من العرب كانوا يَعبدونها، فأخبر الله تَعالىٰ أنها مخلوقةٌ مَربوبة، والعبادَة لا

تَصلح لشيء من المَخلوقات، وإنما هي مِن خَصائص الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ.

ونظير هذه الآية قولُه تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فأما زعم الصَّوَّاف أن الله تَعالىٰ خصَّ الشِّعرىٰ بالذِّكْر من أجلِ ما زعمه الفلكيُّون من سرعة جريانها، فذلك من الإلحادِ في آيات الله، وتحريف الكَلِم عن مواضعه.

وَأَمَّا قولُه: وهناك الشِّعرىٰ الشامية لها خصائصُ ومُميِّزات أخرىٰ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشِّعرىٰ الشامية كغيرها من النُّجُوم الَّتي قد جعلها الله زينةً للسماء الدنيا. وما كان في السماء فالقُدرة البشرية عاجزةٌ عن الوصول إليه والعِلمِ بخصائصه ومميزاته، ولم يُخبر الله تَعالىٰ في كتابه ولا رسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الشِّعرىٰ الشامية لها خصائصُ ومميزات. فمن زعم أن لها خصائصَ ومميزات سوىٰ ما يشاهده الناسُ من ضعف ضوئها عن ضَوء الشِّعرىٰ اليمانية فقولُه مردود عليه، إذ لا مُستَنَدَ له سوىٰ التَّخرُّص والرَّجم بالغيب.

وأما زعمُهم أن الشِّعرىٰ اليمانية نورُها خمسون ضعف نُور الشَّمس، وأنها أَسطَع من خمسين شمسًا كشمسنا، وأن ثلاثًا من بنات نعش يفقن الشَّمس نورًا.

واحدة منهن أربعمائة ضعف، والثَّانية أربعمائة وثمانين، والثَّالثة ألف ضعف، وأن سهيلًا أضوأ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشَّمس في السماء بنص القرآن، والنُّجُوم قد جُعلت زينةً للسماء الدنيا بنص القرآن. فلو كان الأمرُ في هذه النُّجُوم علىٰ ما زعمه الفلكيون لَما كان عند أهل الأرض ليلٌ أبدًا، ولطَمس ضَوءُ هذه النُّجُوم ضوءَ الشَّمس ونُورَ القَمر. بل لو كان الأمرُ علىٰ ما زعموه فيها لاحترق ما بين الخَافِقَين، ولم يُمكن أن يعيشَ علىٰ الأرض شيءٌ من شِدَّة حرارة الشموس المزعومة.

وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ ما زعموه من تعدُّد الشموس في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الحادي عشر من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وذكرتُ طَرَفًا من ذلك في أثناء هذا الكتاب مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فليُراجع -أَيْضًا-.

وأما زعمُهم أن السماك الرَّامح حجمُه ثمانون ضعف حجم الشَّمس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا تَخرُّص وهذيان مردودٌ بنص القرآن. قال الله تَعالىٰ مخبرًا عن مناظرة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾

[الأنعام: ٧٦-٧٨].

وفي هذه الآيات دليل علىٰ أن الشَّمسَ أكبر من الكَواكِب.

وأَيْضًا، فإن السماك الرَّامح من جُملة المصابيح الَّتي قد جعلها اللهُ زينةً للسماء الدنيا. قال الله تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧]، والشَّمس في السماء بنص القرآن قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾

[نوح: ١٥-١٦].

قال الحسَن في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ الآية. قال: «يعني في السماء الدنيا». ذكره البغويُّ في «تفسيره»[(١)].

---

(١) (٨/ ٢٣١).

وروىٰ ابنُ مَردويه عن ابن مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أمَّا السَّماءُ الدُّنيا فإنَّ الله خلقَها مِن دُخَان، وجَعل فيها سِراجًا وقَمرًا مُنيرًا، وزَيَّنَها بمصابيحَ وجَعَلها رُجومًا للشَّياطين، وحِفظًا مِن كلِّ شَيطانٍ رَجِيم»(١).

وروىٰ البَيهقيُّ في كتاب «الأسماء والصِّفات» بإسنادٍ صَحيح عن عبدِ الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: «خَلق اللهُ سَبعَ سَمواتٍ، وخلَق فوق السَّابعة الماءَ، وجعل فوق الماءِ العرشَ، وجَعل في السَّماء الدنيا الشَّمسَ والقَمَر والنُّجُوم والرُّجُومَ»(٢).

وإذا كان كلٌّ مَن الشَّمس والنُّجُوم في السَّمَاء الدُّنْيا فلا شكَّ أن حَجمَ الشَّمس يَزيدُ علىٰ حَجْم السماك الرَّامح وغيره من النُّجُوم الكِبار عِدَّة آلاف. وكيف يظنُّ أن السماك الرَّامح يَزيد حجمُه علىٰ حَجم الشَّمس ثمانين ضِعفًا مع أنه لا يَزيد في رأي العَين علىٰ حَجم التَّمرة، والشَّمسُ تُرىٰ في الأفُق عند طلوعها وعند غُروبها بقدر ذراعَين طُولًا في ذِراعَين عَرضًا؟!

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩)، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه، وفي إسناده عمر بن موسىٰ وهو الوجيهي «ممن يضع الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢) (٨٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قوله.

فمَن قال: إنَّ حَجمَها دون حَجم السماك الرَّامح أو غيره من النُّجُوم فقولُه باطلٌ مَردود بما ذكرنا من الآيات والأحاديث، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وتمام الرَّدِّ علىٰ هذا الزَّعم الكاذبِ قد تقدَّم مَبسوطًا مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم أن الشِّعرىٰ اليمانية لا يصل إلينا نورُها إِلَّا في ستة عشر سَنة. وأنه لا يصل إلينا من نُورِها إِلَّا واحد من ألفي مليون منه. وأن السماك الرَّامح لا يصل إلينا ضوؤه إِلَّا في مائتي سنة.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: قد ذكر مُحمَّد رشيد رضا فِي صَفْحَةِ ٦٣٧ من الجزء السَّابع من «تَفسيره» أنه قد وجد بالرصدان السماك الرَّامح يَصل النور منه إلينا في نحو خمسين سنة.

وهذا ما ذكره الصَّوَّاف ههنا كلُّه هَذيان لا مُستنَدَ له سوىٰ التَّخرُّص والرَّجْم بالغيب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] إلىٰ قوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

والشِّعرىٰ اليمانية والسماك الرَّامح وغيرهما من الكَواكِب النَّيِّرة يُرىٰ نورُها من حين تَبدو مِن الأفق، إذا لم يكن هناك حائلٌ يَمنع من رؤيتها. وكلُّها مِن زينة السَّمَاء الدُّنْيا كما نصَّ الله علىٰ ذلك في كتابه العزيز. فالتَّفريقُ بين أبعادها ووصول نُورها إلىٰ الأرض تفريقٌ بين أشياء متماثلة، وذلك باطلٌ مَردود، وفيما ذكره الصَّوَّاف عن الفلكيين أنهم قالوا: إن السماك الرَّامح لا يصل ضوؤه إلينا إِلَّا في مائتي سنة، مع ما ذكره مُحمَّد رشيد عنهم أنهم قالوا: إن السماك الرَّامح يصل النور منه إلينا في نحو خمسين سنة، وما بين هذين القولين من التفاوتِ العظيم في بُعد نجم واحد أوضحُ دليلٍ علىٰ تناقض الفلكيين وكَذِبِهم في جميع مزاعمهم عن أبعاد النُّجُوم، ومقاديرِ أحجامها وأضوائها وثِقَلها، وأنهم أنا يَعتمدون في ذلك علىٰ مجرد التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة.

وَأَمَّا قولُه: هذه كلُّها تقديرات علماء الفلك، وَاللهُ أَعْلَمُ بصحتها، ولكنها تدل بوضوح علىٰ عظمةِ الخالق جَلَّوَعَلَا وكمالِ قدرته وفائق صنعته.

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن ما في السَّمَاء فهو من أمور الغيب الَّتي لا تُعلم إِلَّا من طريق الوحي، ولا سبيل إِلىٰ عِلْمها بالتَّقديرات الَّتي هي التَّخرُّص واتباع الظن، ولا وهي علىٰ شيء مما زعمه الفلكيون في تقديراتهم عن النُّجُوم البتة؛ وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿**قُتِلَ**

ﵟٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ﵞ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﵟوَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ﵞ[الإسراء: ٣٦].

الوَجْهُ الثَّاني: أن تقديرات الفَلكيِّين عن النُّجُوم مخالِفةٌ لنُصوص القرآن، كما تقدَّم إيضاحُه. وما خالَف النصوصَ فهو باطلٌ مَردود علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أعظَمُ وأجَلُّ مِن أن يُستدلَّ علىٰ عظمتِه وكمالِ قُدرته وفائقِ صَنعته بتَخَرُّصات الفلكيين وظنونهم الكاذبة، وإنما يُستدل علىٰ ذلك بما أخبر اللهُ به في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فذلك هو العِلم الصَّحيح النافع، والشفاء كل الشِّفاء لمَن آمن به واتَّبعه؛ قال الله تَعالىٰ: ﵟأَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ﵞ[العنكبوت: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﵟٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَﵞ [الأعراف: ٣]، وقال تَعالىٰ: ﵟوَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَﵞ [الأنعام: ١٥٥] إلىٰ قوله: ﵟفَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَﵞ [الأنعام: ١٥٧]، والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

ومَن لم يَكتَفِ بما أخبر اللهُ به في كتابه وما أخبر به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عظمةِ ربِّه وكمال قُدرته، فلا كفاه اللهُ ما أهمَّه.

ومَن اعتمدَ علىٰ تَخَرُّصات الفلكيين وظُنونهم الكاذبة واستدلَّ علىٰ عظمة الخالِق وكمالِ قُدرته وفائق صَنعته، فهو من أجهلِ الناس بالله تَعالىٰ، وأبعده عن مَعرفة ما يَجبُ له من الإجلالِ والتعظيم.

* * *

فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٩ أن البُروجَ تُطلق علىٰ بُروج السَّمَاء الاثني عشر. قال: وهي منازلُ الكَواكِب والشَّمس والقَمَر، يسير القَمَر في كل بُرج منها يومين وثلث يوم، وتسير الشَّمس في كل بُرج منها شهرًا - إلىٰ أن قال فِي صَفْحَةِ ١٠٠: فتكون السَّنَة الشَّمسية ثلاثمائة وخَمسة وستين يومًا وربع يوم، وهي مدة دخول الشَّمس إلىٰ النُّقطة الَّتي فارقتها من تلك البروج، والشَّمس -كما قلنا- تقطع هذه البُروجَ كلَّها مرَّةً في السَّنَة؛ كل بُرج في شهر، وبها تتم دَورة الفَلَك، ويقطعها القَمَر في ثمانية وعشرين يومًا وكسور.

والجواب عن هذا من وجْهَين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: إن المنازلَ ليست منازِلَ لِجميع الكَواكِب، كما يوهمه

كلام الصَّوَّاف، وإنما هي منازِل للسَّيارات منها فقط. وأما الثوابت فليست لها منازِل. وكان ينبغي للصَّواف أن يُقيِّدَ الكَواكِب بالسيارات ليزولَ الإيهام.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما قَرَّره الصَّوَّاف ههنا مِن كون الشَّمس تَسيرُ في كل برجٍ شَهرًا، وأنها تَقطع البروجَ كلَّها مرَّةً في السَّنَة، يُناقِض ما قرره فِي صَفْحَةِ ٦١ من كون الشَّمس ثابتةً علىٰ محورها، ومُتحَرِّكة حول هذا المِحور، أي: هي دائرة حول نفسِها، ومثلها مَثَل المَروحة السَّقفية الكهربائية؛ فهي ثابتة في سَقفها وهي متحركة حول نفسها.

وما قَرَّره الصَّوَّاف ههنا من كون الشَّمس تَسير في كل برج شهرًا وتقطع البروج كلها مرة في السَّنة هو الحقُّ الثَّابت بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة، وقد ذكرتُها مستوفاة في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وما قَرَّره ههنا فهو من الأدلَّة الحِسيَّة علىٰ جريان الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض، وقد أوضحتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في آخر الأدلة علىٰ جريان الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما ما قَرَّره فِي صَفْحَةِ ٦١ فهو باطلٌ مَردود من وجوهٍ كَثيرة، وقد تقدَّم ذِكرُها عند تشبيه الصَّوَّاف للشَّمس بالمروحَة السَّقفيَّة الكهربائية، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

فصل

ونقَل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠١ عن موسىٰ جار الله أنه قال في كتابه (تَرتيب السُّور الكريمة): فإن كان البُروج في قول الله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] هي بُروجَ الهيئة القديمَة كما اتَّفقت عليه التفاسيرُ، فإن تلك الشَّمسَ الظاهرة وهو المَدار السنوي للأرض في الواقع؛ واقع في هذه البروج. والأرض في مدارها السَّنوي تقطع كل هذه البروج. هذا وَجْهٌ وَجيه، لنا أن نَقتَنِعَ به في بيان نزولِ سُورة البروج بعد سورة الشَّمس، وقد جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ، إن الباطل كان زهُوقًا.

زَهَقَت الهيئةُ القديمةُ وجاء النِّظامُ الحقُّ نظامُ السموات الَّتي رفعَها اللهُ بغير عَمَد ترونها، وهذه السموات لها مَنظومات، منها منظومة شَمسنا هذه بسياراتها التِّسع. وشمسُنا هذه ليست مِن كبار الشموس، ومَنظومَتُنا هذه ليست من كبار المنظُومات، وكلُّ منظومة من هذه المَنظومات يسميها القرآن بُرجًا. والسَّمَاء الَّتي تَحوي كل هذه المنظومات يسمِّيها القرآنُ الكريم السَّمَاء ذات البروج. بها أقسمَ اللهُ في كتابه الكريم في سورة البروج. وهذه السَّمَاء ذات البُروج الَّتي تَحوي كلَّ هذه المَنظومات يَحدُث خلال مَنظوماتها كلَّ يَوم -شأن الله- انشقاقَات، وبتِلك الانشقاقات يَحدث في المَجرَّة وخارجها سَموات، وللإشارة

وللإرشاد وإلىٰ مثل هذه الحَوادث الهائلة العظيمة وُضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق.

والجواب عن هذا الهذيان والقَرمَطَة من وُجُوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إنَّ الأرض ثابتةٌ ومُرسَاةٌ بالجبال، كما دلَّ علىٰ ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع، وما كان ثابتًا فليس له مَدار يَدور عليه.

وما زَعمه موسىٰ جار الله تقليدًا لأهل الهَيْئة الجَدِيدة من فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العصْرِيِّين من أن للأرضِ مَدارًا سَنوِيًّا، فهو قولٌ باطل مردودٌ بالأدلة الَّتي أشرْتُ إليها، وقد ذكرتُها مستوفاةً في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أن البُروجَ في السَّمَاء، كما هو مَنصوص عليه في مواضع من القرآن؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

وإذا كانت البُروج في السَّمَاء، فمِن أبطل الباطِل أنْ يُقالَ: إن للأرض مدَارًا وَاقعًا في تلك البُروج، وأن الأرض تقطعها كلها في السَّنَة.

الوجه الثَّالث: أنه قد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بيْن السَّمَاء والأَرْضِ مَسيرة خَمسمائة عَام»، رواه عن النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة

من الصَّحَابَة، وهم: عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، والعبَّاس، وأبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. ورُوي -أَيْضًا- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا وله حُكم المرفوع.

وإذا كان بين السَّمَاء والأرض هذا البُعد الشاسع، فلا يقول: إن للأرض مدارًا في بروج السَّمَاء، وأنها تقطعها كلها في السَّنة إلَّا مَن هو مِن أجهل الناس وأقلِّهم عقلًا.

الوجه الرَّابع: أن المُفسِّرين اختلفوا في تفسير البُروج الَّتي ذكرها الله تَعالىٰ في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الحجر: ١٦]، وقولِه تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقولِه تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] فقال مجاهدٌ وسعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة: هي الكَواكِب العظام. قال البغوي: «مأخوذ من الظُّهور؛ يقال: تبَرَّجَتِ المرأةُ، أي: ظهَرَت. وقال -أَيْضًا-: سمِّيت برُوجًا لظُهورها». انْتَهىٰ.

وقيل: هي قُصور في السَّمَاء للحَرَس، يُروىٰ هذا عن علي وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومُحمَّد بن كعب وإبراهيم النخعي وسليمان بن مِهران الأعمش. قال ابنُ كثير: «والقولُ الأول أظهَرُ، اللَّهمَّ إلَّا تكون الكَواكِب العِظام هي قصورٌ للحَرس، فيَجتمع القولان»(١). انْتَهىٰ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٢٠).

وقيل: هي البُروج الاثْنا عشر الَّتي هو منازل الشَّمس والقَمَر والكَواكِب السيارة، ورُوي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -أَيْضًا-. وهذا القولُ الأخير هو الذي زعم موسىٰ جار الله أن التَّفاسير اتَّفقت عليه. وذلك وَهم منه وغلَط.

الوجه الخامس: أن أهلَ الهيئة القديمة لم ينفردوا بإثبات البُروج الاثني عشر الَّتي تَنزلها الشَّمس والقَمَرُ والكَواكِب السيارة حتىٰ يقال: إنها بروجُ الهيئة القديمة. بل إثباتُ هذه البروج الاثني عشر والمنازل الثَّمانية والعشرين للشمس والقَمَر والكَواكِب السَّيارة، هو المعروف عند علماء المسلمين سوىٰ بعضِ العصريين المَفتونين بتقليد أهل الهَيْئة الجَدِيدة من فَلاسِفَة الإفرنج. وهؤلاء لا عِبرةَ بهم، كما لا عِبرةَ بسلفهم من فَلاسِفَة الإفرنج.

الوجه السَّادس: **أنْ يُقالَ**: ليس للسَّموات نِظام ولا مَنظومات، وليس فيها شُموسٌ مُتعدِّدة، كما زعمه أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم مِن العصريِّين؛ اعتمادًا منهم علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة. وإنما فيها شمسٌ واحدة، وقَمرٌ واحد، وما سوىٰ ذلك فهي نجومٌ قد جَعلها الله تَعالىٰ زينةً للسماء الدُّنْيا، ورُجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتَدىٰ بها.

قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا

رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [ق: ٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] الآية، وقال تَعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

فما ذكَرَه الله في هذه الآيات هو الحقُّ الذي لا رَيْبَ فيه، وأما ما زعَمَه أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعُهم من وجودِ النظام والمنظوماتِ والشُّموس المتعددة، فهو هذيان وباطلٌ مَردود.

وَأَمَّا قولُه: وقد جاء الحقُّ وزهق الباطل، وجاء النظام الحق... إلىٰ آخره.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن قَلب الحقيقة؛ فإن ما ذكره ههنا باطلٌ وَضَلال، وليس من الحقِّ في شيء كما تقدم إيضاحُ ذلك في الأوْجُه السِّتَّة. وليس ما ذكره ههنا مِن نظام السموات، وإنما هو في الحقيقة نظامُ أهل الهَيْئة الجَدِيدة الذي تلقَّوه من تَخرُّصاتهم وظنُونهم الكاذبة.

وَأَمَّا قولُه: وشَمسنا هذه ليست مِن كبار الشموس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: تَخرُّص لا أساس له مِن الصِّحة، وليس في الوُجود سوىٰ شمس واحدة، كما قد دل علىٰ ذلك الكتاب والسُّنَّة مع المشاهدة. وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ ما زعموه مِن تَعدُّدِ الشُّموس في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في

المِثَال الحادي عشر من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم أن في النُّجُوم ما هو أكبر من الشَّمس، فقد تقدم ردُّه في أثناء هذا الكتاب مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: وكل منظومةٍ من هذه المنظومات يسميها القرآنُ بُرجًا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن القول في القرآن بغير علم. وليس في القرآن ما يدل علىٰ أن في السَّمَاء مَنظومات، فضلًا عن أن يكون فيه تسمية تلك المنظومات المتوهمة بروجًا.

وقد روىٰ الإمام أحمدُ والترمذي وابن جرير والبغوي: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قال في القُرآنِ بِرَأْيِه أو بِما لا يَعلَمُ فلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَه مِن النَّار**» هذا لفظُ ابن جَرير، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حَسن صحيح[(١)].

قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المَعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين، فهو مُفترٍ علىٰ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

اللهِ، مُلحدٌ في آيات اللهِ، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مَواضِعه». انْتَهىٰ(١).

وقد تقدَّم كلامُ المُفسِّرين في البُروج الَّتي ذكرها الله في القرآن قريبًا.

وَأَمَّا قولُه: وهذه السَّمَاء ذات البُروج يَحدث خلال منظوماتها كلَّ يوم انشقاقات، وبتلك الانشقاقات يحدُث في المجرَّة وخارجها سموات.

فَجَوابُه أَنْ يُقالَ: هذا كلُّه هَوَس وهذيان يُشبه هذيان المجانين؛ ولو كان يحدث في المَجرَّة وخارجها كلَّ يوم سمواتٌ لكانت السَّموات لا تُحصىٰ من كثرتها، ولكن هذا من أبطل الباطل؛ فإن السَّموات سبع بالنَّص والإجماع.

والسَّمَاء إنما تَنشق يوم القيامةِ لا في الدُّنْيا، كما قال الله تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ [الانشقاق: ١-٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦﴾ [الحاقة: ١٥-١٦] الآيات، وقال تَعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] الآيات، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] أي: انشقت: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ [الانفطار: ٢-٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

ﭐلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ [المزمل: ١٧-١٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات: ٨-١٥].

قوله: ﴿فُرِجَتۡ﴾، أي: شُقَّت. فهذا الانشقاق إنما يكون يوم القيامة. ومَن زعم أن السَّمَاء تشقق في الدُّنْيا فقد كَذَب.

وَأَمَّا قولُه: وللإشارة وللإرشادِ وإلىٰ مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وُضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا من القَرمَطة والإلحاد في القرآن، وليس في القرآن ما يُشير إلىٰ الانشقاقات الَّتي زَعم أنها تَحدث كلَّ يوم، ولا إلىٰ حدوث السموات الَّتي توهمها أعداءُ الله بعقولهم الفاسدة.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٣ ما نَصُّه:

يتضمَّن هذا الكون خمسمائة مليون من المجرَّات كما يقدِّر علماء الفلك. وفي كل مجَرَّة مائة ألف مليون نجم. وأن أقرب مجرة إلىٰ الأرض تلك الَّتي

نشاهد جزءًا منها كخَط أبيض في الليل، تمتدُّ مساحتها مائة ألف عام بالنسبة إلىٰ عام الضوء، ونحن سكَّان الأرض نبتعد عن هذه المَجرَّة مقدارَ ثلاثين ألف عام من الضوء، ثمَّ إن هذه جُزء لمجرَّةٍ كبيرة تَتضمن سبع عشرة مجرَّة، وتمتد أبعاد هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء، ثمَّ إن هناك حركة أُخرىٰ غير هذه الدَّورات، وهي أن الكون كلَّه يتوسَّع ويتَضخَّم مثل الكُرة في الجوانب الأربعة. والشَّمس تَجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلًا في ثانية نحو الجانب الخارجي لمجرَّته، وتَقود كل ما يتبع النِّظام الشَّمسي، وكذلك النُّجُوم كلها تَتوجَّه إلىٰ أيِّ جانب بسرعة متزايدة مع مُتابعة دورانها، فمنها ما يَبلغ سيره ثمانية أميال في كلِّ ثانية، وما يبلغ سيره ثلاثةً وثلاثين ميلًا في ثانية وأربعة وثمانين ميلًا في ثانية. وهكذا نجد النُّجُوم كلها متَّجهة نحوَ الأمام.

والجواب أنْ يُقالَ: كلُّ ما ذكره في هذا الفَصل فهو تخَرُّص وهَذيانٌ، لا مُستنَدَ له سوىٰ وحْيِ الشياطين بعضهم إلىٰ بعض، ولا يَعتَمِد عليه أو يُصغي إليه إلَّا مَنْ هو جاهلٌ مَغرور.

فأما زعمُه أن هذا الكون يتضمن خمسمائة مليون مليون من المجرَّات، وأن كل مجرة فيها مائة ألف مليون نجم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مثل هذا لا يُعلم إلَّا من طريق الوحي، ولا وحيَ علىٰ ذلك البتة، وحينئذ فليس مع مَن يدَّعي إحصاء المجرات والنُّجُوم سوىٰ اتباع

الظَّن الكاذب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وليس في السَّمَاء سوىٰ مجرَّة واحدة، كما هو معلوم بالمشاهدة، ومَن زعم وجودَ غيرها فعليه الدليل من الكتاب أو السُّنَّة، ولن يجد إلىٰ ذلك سبيلًا.

وأما زعمُه أن المجرة تمتد مساحتها مائة ألف عام بالنسبة إلىٰ عام الضوء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا من جِنس ما قبله من التَّخرُّص واتباع الظن الكاذب.

وأما زعمه أن المجرَّة تبعُد عن سكَّان الأرض مقدارَ ثلاثين ألف عام من الضوء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن أبطل الباطل؛ لِأَنَّ المجرة علىٰ هذا التَّقدير تكون فوق العرش، وليس فوق العرش شيء سوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقد عُلم بالمشاهدة أن المجرَّة تسير سيرَ الكَواكِب الثوابت، لا تتقدَّم علىٰ شيء منها ولا تتأخر عنه. والنُّجُوم قد جُعلت زينةً للسماء الدُّنْيا بنص القرآن، وبين السَّمَاء الدُّنْيا وبين الأرض خمسمائة سنة بنص الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعلىٰ هذا فليس بين المجرَّة وبين سكَّان الأرض سوىٰ خمسمائة سنة.

ويَشهد لهذا ما رواه الطبراني من حديث سعيدِ بن جُبير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن هِرَقْلَ كتب إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال: إنْ كان بَقي فيهم شيء من النُّبوة فسيُخبرني عما أسألُهم عنه، قال: فكتَب إليه يسأله عن المجرَّة، وعن القَوس، وعن بُقعة لم تُصبها الشَّمس إِلَّا ساعة واحدةً، قال: فلما أتىٰ معاويةَ الكتابُ والرسولُ قال: إن هذا لشيء ما كنتُ آبَه له أن أسأل عنه إلىٰ يومي هذا. مَن لهذا؟ قيل: ابنُ عباس، فطوىٰ معاويةُ كتابَ هِرقلَ، فبعث به إلىٰ ابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فكتب إليه: (إنَّ القوس أمانٌ لأهل الأرض من الغَرق، والمجرَّة باب السَّمَاء الذي تَنشق منه، وأما البقعة الَّتي لم تُصبْها الشَّمس إِلَّا ساعة من النهار فالبَحر الذي أفرج عن بني إسرائيل). قال ابنُ كثير: إسناده صحيح إلىٰ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

قلتُ: وقد رواه سعيدُ بن منصور في «سُنَنِه»، والبخاري في «الأَدَب المُفْرَد» مختصرًا، وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولفظ البخاري: عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (القَوس أمانٌ لأهل الأرض مِن الغَرق، والمجرَّة باب السَّمَاء الذي تَنشق منه)، ورواه البخاري -أَيْضًا- من حديث يوسف بن مهران عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (أبوابُ السَّمَاء، وأما قَوس قزح فأمانٌ من الغرق بعد قَوم نوح)، في إسناده علي بن زيد، وهو حسن الحديث وفيه كلام،

وبقية رجاله ثقات(١).

وروىٰ البخاري -أَيْضًا- في «الأدب المفرد» وابن أبي حاتم: أن ابن الكواء سأل عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن المجرَّة، فقال: (هي شَرج السَّمَاء، ومنها فُتحت السَّمَاء بماء مُنهَمِر)(٢).

وأما زعمُه أن هذه المجرة جزءٌ لمجرَّة كبيرة تتضمن سبع عشرة مجرَّة، وتمتد أبعادُ هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء.

فَجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن جنس ما قبله من التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب. وليس يُرىٰ في السَّمَاء سوىٰ مجرَّة واحدة، وما لم يُشاهد بالأبصار، فهو من المغيباتِ الَّتي لا تُعلم إلَّا من طريق الوحي، ولا وحيَ علىٰ شيء مما زعموه البتة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

ومن ادعىٰ علمَ المغيبات، فهو طاغوتٌ، ومَن صدَّقه فهو ممن آمن بالطَّاغوت.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٤٣) (١٠٥٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٧)، وانظر: «البداية والنهاية» (١/ ٨٥)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٨)، وانظر: أيضًا «الضعيفة» (٢/ ١٢٨، ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٩٧)، وغيرهم، وصحح الألباني إسناده في «صحيح الأدب المفرد» (ص٢٨٥).

وأما زعمُه أن الكون يتوسَّع ويتضخَّم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا -أَيْضًا- من التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب.

وأما زعمه أن الشَّمس تجري بسرعة هائلة نحو الجانب الخارجي... إلىٰ قوله: وهكذا نجد النُّجُوم كلها متجهة نحو الأمام.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا -أَيْضًا- من التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب، وقد ذكر نحو هذا الهذيان فِي صَفْحَةِ ٣٨ حيث قال: والنظام الشَّمسي كله بما فيه الأرض يَنهب الفضاء نَهبًا بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في السَّاعة متجهةً نحو برج هركيوليس. وقال -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٣٨: وقد دلَّت الدراسةُ الَّتي استمرت ٢٠ عامًا للضوء المنبعث من الكَواكِب البعيدة عن أن هذه الكَواكِب لا تزال ممعِنَةً في الابتعاد في الفضاء، وأن سُرعتها تزداد كلَّما زاد ابتعادها... إلىٰ آخر كلامه.

وقال -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٣: وليس هناك أبلغ ولا أدقُّ مما يقوله حجَّةُ عِلمِ الفلَك العالم (سيمون): من أعظمِ الحقائق الَّتي اكتشفها العقلُ البشري في كافة العصور هي حقيقة أن الشَّمس والكَواكِب السَّيارة وأقمارها تجري في الفضاء نحو بُرج النسر بسرعة غير معهودة لنا علىٰ الأرض... إلىٰ آخر كلامه.

وقد تقدم الكلامُ علىٰ هذه المواضع مستوفًىٰ في أول الكتاب، فليراجع؛ ففيه الردُّ لما زعمه الصَّوَّاف ههنا.

* * *

فصـــل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٤ أنَّ حركة الأرض حول الشَّمس منظمة تمامًا؛ قال: وكذلك دوران الأرض حول محوَرِها يبلغ من الانتظام والدِّقة بحيث لا يلحقه خلَل، ولا تقديم أو تأخير ثانيةٍ واحدة في موعدها ولو بعد قرون.

والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: ليس للأرض حركةٌ حول الشَّمس ولا دورانٌ حول محورها كما زعمه الصَّوَّاف تقليدًا لفَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العصريين. وإنما هي ساكنة ومُرساةٌ بالجبال، كما دلَّت علىٰ ذلك الأدلةُ الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة، وأجمع عليه المسلمون وأهلُ الكتاب، وقد ذكرتُ ذلك مستوفىً في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك؛ ففيه أبلغ ردٍّ لما زعمه الصَّوَّاف ههنا.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما قرَّره ههنا يناقض ما قرره فِي صَفْحَةِ ٥٥ من أن الأرض بعد انفصالها عن الشَّمس كانت تَدور حول نفسها بسرعةٍ أكبر مما هي عليه الآنَ، إذ كانت تتم دورانها حول نفسها مرة كل أربع ساعات، وأن الليل والنهار كانا أربعَ ساعات فقط. وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدةُ الَّتي تتم فيها دورانُها، فزادت مدةُ الليل والنهار إلىٰ خمس ساعات ثمَّ إلىٰ

ستٍّ حتىٰ وصلت إلىٰ أربع وعشرين ساعة، وأن النقص في سرعة دوران الأرض يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين ألف سَنَة، وأنه بعد ٤٣٢ مليون سنة يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة، قال: وهكذا يتوالىٰ النقص ويطرد طول اللَّيل والنهار.

وإذ عُلم أن كلام الصَّوَّاف يَنقض بعضُه بعضًا، فليُعلم أن الأرض ساكنةٌ ثابتة كما تقدم إيضاحُه، وأن الجريان والدَّوران حول الأرض إنما هو للشَّمس والقَمَر والكَواكِب، وأن جريانها ودورانها حول الأرض يَبلغ من الانتظام والدِّقة بحيث لا يَلحقه خلَل إلىٰ يوم القيامة: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

* *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٤ أما كَوكب الأرض الذي نُسميه بالقَمَر فدورانه معلومٌ مقرَّر.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: ليس القَمَر بكوكب كما سمَّاه بذلك أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من العصريين، وإنما هو قمَرٌ كما سماه اللهُ بذلك في عدة مواضع من

كتابه، وسماه بذلك رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من الأحاديث الصحيحة.

ولم يَجِئْ في كتاب الله ولا عن رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسميةُ القَمر كوكبًا، فمن سماه بذلك فقد خالف الكتاب والسُّنَّة، وكلُّ قَول خالف الكتابَ أو السُّنَّةَ فهو مردودٌ علىٰ قائله.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الله تَعالىٰ غايَرَ بين القَمَر وبين الكَواكِب في مواضع من كتابه؛ كقوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]، وقوله تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] الآية وقوله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٥-٦]، وقوله تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧] الآية.

وقوله تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨] الآية.

وعلىٰ هذا فمَن جمَع بين القَمَر والكَواكِب وقال: إنه كَوكب مِن جنسها، فقد جمع بين ما فرّق اللهُ بينه، وخالَف نُصوصَ القرآن.

الوجه الثَّالث: أن الأرض ليس لها كواكِب، وإنما الكَواكِب في السَّماء، وكذلك الشَّمس والقَمَر، قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ [نوح: ١٥-١٦].

ومَن زعم أن القَمَر كوكب للأرض فقوله مَردودٌ؛ لمُخالفته لنصوص القرآن.

الوجه الرَّابع: أن القَمَر قَرينُ الشَّمس في كتاب الله تَعالىٰ، فهو قرينُها في الحُسبان والجريان والسَّبْح في الفلك، والدُّؤُوب في السَّير، والبُزوغ والأُفُول، قال الله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال تَعالىٰ في أربعة مواضع من القرآن: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تَعالىٰ في موضعين من كتابه: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]،

وقال تَعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال تَعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٨].

وإذا كان القَمَرُ قرينَ الشَّمس في كتاب الله تَعالىٰ فإنه يلزم أنْ يُقالَ في الشَّمس مِثلُ ما قيل في القَمر، فمن قال: إن دورانَ القَمَر حول الأرض معلومٌ مُقرَّر؛ لَزِمَه أن يقول مثلَ ذلك في الشَّمس، وإنْ لَم يَفعل فقد فرَّق بين متماثلَين، وآمَن ببعض الكتاب ورَدَّ بعضَه، فليختَرِ الصَّوَّاف وأشباهُه من العصريين أيَّ الخُطَّتين شاءوا، فلا مَحيدَ لهم عن إحداهما.

* * *

فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٤ أن خُبَراء الفلَك يُقدِّرون أن نظامَ مَجرَّة بأسره ذلك الذي يَحتوي علىٰ ملايين من النُّجُوم يَدخل في نظام مجرَّة أخرىٰ خِلال الدَّورات الفضائيَّة، ويَخرج منه دون أن يَنشأ هناك صِدام أو خَلَل في نُظُم الدَّورات.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقالَ: ليس في السَّمَاء سوىٰ مجرَّة واحدة كما هو معلومٌ بالمشاهدة، ومَن زعم وجودَ غيرها فليس له مستندٌ سوىٰ التَّخَرُّص واتِّباع الظنِّ الكاذب، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

الوَجْهُ الثَّاني: أن المجرَّة في السَّمَاء، وكذلك الكَواكِب كلها في السَّمَاء الدُّنْيا، فلو كان للمجرَّة أو لشيء من النُّجُوم نظام يدورُ عليه لكانت توابِعُها تَخترق السَّمَاءَ في حال دورانها عليها، وهذا لا يقوله عاقلٌ.

الوجه الثَّالث: أن عدَّة النُّجُوم لا يعلمها إِلَّا اللهُ تَعالىٰ، ومَن زعم أنه يعلم عدَّتها فقد كذَب، والذين زعموا أن نظامَ مَجرَّة بأسره يحتوي علىٰ ملايين الملايين من النُّجُوم ليس لهم مستندٌ سوىٰ التَّخَرُّص والرَّجمِ بالغيب.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٧ وصفحة ١٠٨:

(اتساع الكون)

قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]،

يقول اللهُ سبحانه عن السَّموات: إنها سبْع، وزيادة عليها يُوجد العرش الذي وصفه بأنه عظيم، ويصف جل شأنه هذه السَّموات أنها طِباق؛ ففي سورة المُلْك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، وأن هذه السَّموات تتَّسِع.

هذه الآية جَمَعت عِلمًا لم يُمكن معرفتُه إلَّا في الأعوام القليلة الماضية، وما زال العلماءُ في دراسة مُتواصلة فيه رغم أن القرآنَ قد أوضحه منذ عَشرات المئات من السنين.

إن التقدُّم الذي أحرَزه العِلمُ الفزيقي، وظهور الكُشوف العلمية الحديثة في الفَلَك قد مكَّنت العلماءَ مِن فَهم هذه السَّموات السبع والأراضي السبع.

فقد أثبت العِلمُ بأن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمُذنباتِ والنَّيازك والشُّهُب والسدم، إنما هي سموات فوق سموات تتألَّف منها عوالِمُ الكون.

يقول العالِم الفلَكي (أرثر فندلاي) في كتابه «علىٰ حافَّة العلم الأثيري»: إن العِلمَ أثبت أن السموات السبعَ هي أفضية مُنسابة يَتبعثر خلالها ويَرتد ضوء الشموس السَّبع الأثيرية الَّتي تُحيط بالشَّمس الفزيقية مِن كل جانب، وأكَّد أن الأراضي السبع هي كُرات أثيرية تُحيط بالكُرة الأرضية وتتخلَّلُها.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنَّ ما زَعَمه مِن اتساع الكَون وأن السموات تتَّسع، فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة، وإنما يَعتمد أهلُه علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون

الكاذبة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

الوَجْهُ الثَّاني: أن الآية مِن سورة الذاريات ليس فيها دليلٌ علىٰ ما زعمه مِن كون السموات تتَّسع إلىٰ الآن، وإنما دلَّت علىٰ أن الله تَعالىٰ حين خَلق السمواتِ جَعلها واسعةً.

قال ابنُ كثير علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: «أي: قد وَسَّعنا أرجاءها ورفَعْناها بغير عَمَد حتىٰ استقلَّت كما هي»[(١)].

وقال ابنُ جَرير[(٢)]: **يقول**: لَذُو سَعَةٍ بخَلْقِها وخَلْق ما شِئْنا أنْ نَخلُقَه وقُدرةٍ عليه، ومنه قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] يُراد به القَوي. ثمَّ روىٰ عن ابن زَيد[(٣)] أنه قال في قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال: أَوسعها جَلَّجَلَالُهُ[(٤)].

وذكر البَغوي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال في قولِه تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: لقادرون.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٢٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٤٦).

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي مولاهم، المدني، روىٰ عن أبيه، وغيره، وروىٰ عنه وكيع، وجماعة. ضعيف، من الثامنة، مات سنة (١٨٢)، انظر: «تهذيب الكمال» (١٧/ ١١٤)، و«التقريب» (٣٨٦٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٥٤٦) عن ابن زيد به.

وعنه -أَيْضًا-: لمُوسِعون الرِّزق علىٰ خلقنا. وقيل: ذُو سَعَةٍ. وقال الضَّحَّاك: أَغْنياء. دليله قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وقال الحسن: لمُطيقُون(١).

وقال القُرطبي: «قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لقَادِرون، وقيل: وإنا لَذُو سَعةٍ بخَلقها وخلْقِ غيرها، لا يَضيع علينا شيء نُريده، وقيل: وإنا لمُوسعون الرِّزق علىٰ خَلْقنا. عن ابن عباس. الحَسن: وإنا لمُطيقون. وعنه -أَيْضًا-: وإنا لمُوسعون الرِّزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنيْنَاهم. دليله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾.

وقال القُتبي: ذو سَعة علىٰ خلقنا. والمعنىٰ متقارب. وقيل: جَعلنا بينها وبين الأرض سعة. الجوهري: وأَوسع الرجل، أي: صار ذا سَعةٍ وغِنًىٰ، ومنه قوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: أغنياء قادرون، فشَمل جميع الأقوال»(٢). انْتَهىٰ كلام القرطبي.

وقال أبو حيَّان في «تفسيره»(٣) عند قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: «أي: بِنَاءها؛ فالجُملة حالية، أي: بنَيناها موسعوها، كقوله: جاء زَيد وأنه لمُسرع، أي: مُسرِعًا، فهي بحيث أن الأرض وما يُحيط بها من الماء والهواء كالنقطة وسَط الدائرة، وقال ابنُ زيد قريبًا مِن هذا، وهو أن الوسع راجع إلىٰ السَّمَاء، وقيل:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ٥٢).

(٣) (٩/ ٥٦٠).

لمُوسعون قوَّة وقدرة، أي: لقادرون، مِن الوُسع وهو الطَّاقة. وقال الحسَن: أوسع الرِّزق بالمطر والماء». انْتَهىٰ.

فهذه أقوالُ السلف في تفسير الآيَة، وهم أعلمُ بكتاب الله مِن جَهَلة العصريِّين الذين يتأوَّلون القرآنَ علىٰ غير تأويلهِ، ويَحملونه علىٰ ما يُوافِق آراءَ الإفرنج وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة.

الوجه الثَّالث: أن الله تَعالىٰ أخبر في عدَّة آيات من القرآن أنه خَلق السموات والأرض في ستَّة أيام، وفيها أوضَحُ دليلٍ علىٰ أن الله تَعالىٰ أتمَّ خلق السموات وفرَغ منهن في تلك الأيام السِّتة، وفي ذلك ردٌّ علىٰ مَن زَعم أن السموات لا تَزال تتَّسِع.

ويزيد ذلك إيضاحًا قولُ الله تَعالىٰ في سورة (حم السجدة): ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢].

قال الإمامُ أبو جعفر ابنُ جرير -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «تفسيره»(١): «يقول تَعالىٰ ذِكرُه: ففَرغ مِن خَلقهن سبعَ سموات في يومين، وذلك يوم الخَميس ويوم الجمعة». ثمَّ روىٰ بإسناده عن السُّدِّي قال: استوىٰ إلىٰ الماء وهي دخان مِن تَنفُّس الماء حين تنفَّس، فجَعَلها سماءً واحدة، ثمَّ فتقَها فجعلها سبعَ سمَوات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سمِّي يوم الجمعة؛ لأنه جمَع فيه خلق

(١) (٢٠/ ٣٩٢).

السموات والأرض[١].

قال ابنُ جرير: وبنحو الذي قُلنا في ذلك قال أهل التأويل. ثمَّ ذكر في ذلك آثارًا كثيرة، فمن أراد الوقوفَ عليها فليراجعها في «تفسيره»[٢].

وقال البغوي[٣] في قوله تَعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي﴾ أي: أتمَّهن، وفرغ من خلقهن.

وقال القُرطبي في «تفسيره»[٤]: قوله تَعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي: أكمَلَهن وفرَغ منهن. وقيل: أَحْكَمَهُنَّ.

قلت: ولا مُنافاةَ بين القولين؛ فإنه تَعالىٰ أحكمَهن وفرَغ منهن.

ومَن زعم أن السموات لا تَزال تتَّسع، فقد زعم أن خلق السَّموات لم يَكمُل إلىٰ الآنَ، وذلك تكذيبٌ لِمَا أخبر اللهُ به في هذه الآية الكريمة وفي غيرها من الآيات الَّتي أشرتُ إليها آنِفًا.

الوجه الرَّابع: أنه قد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عدَّة أوجُه أنه قال: «بينَ السَّمَاء والأرضِ مَسيرَةُ خَمسِمائةِ سَنَة» وزاد في بعض الروايات: «ومِن كلِّ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ١٦٦).

(٤) (١٥/ ٣٤٥).

سماء إلىٰ سَماء مَسيرةُ خَمسمائة سنَة، وكِثَفُ كلِّ سَماء مَسيرَةُ خَمسمِائة سَنَة»، وقد ذكرتُ هذه الأحاديثَ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة» مع الأدلة علىٰ ثبات الأرض، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وتحديدُ المَسافة الَّتي بين السَّمَاء والأرض، ومِن كل سماءٍ إلىٰ سماء بخمسمائة، وتَحدِيد كِثَف كل سماء بمِثل ذلك -أَيْضًا- يدلُّ علىٰ أن السمواتِ لا تَزال علىٰ ما كانت عليه مُنذ خلقها الله تَعالىٰ إلىٰ أن تَقومَ السَّاعة، وأن ما بين كلِّ سماء إلىٰ سماء وما بين السَّمَاء والأرض لا يَزالُ علىٰ ما كان عليه منذ خَلقه اللهُ إلىٰ أن تَقومَ السَّاعة، ولو كانت السَّموات تتَّسع -كما زعمه فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العَصْريين- لكانت المسافةُ الَّتي بين السَّمَاء والأرض ومِن كل سماء إلىٰ سماء تتغيَّر علىٰ ممَرِّ الأزمان، وكان كِثَفُ كل سماء يَزيد إلىٰ يوم القيامة. وهذا ظاهرٌ علىٰ ممَرِّ الأزمان لمُعارضته لمَدلول الأحاديث الَّتي ذكرنا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الوجه الخامِسُ: أن القولَ في القرآنِ بمُجرَّد الرأي حرامٌ شَديدُ التَّحريم. وقد ورد الوعيدُ الشَّديد علىٰ ذلك، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمدُ والترمذي وابن جرير والبَغوي: عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِرَأْيِهِ أَو بِمَا لا يَعلَمُ فَليَتَبَوَّأْ مَقعَدَه مِن**

النَّار» هذا لفظ ابنِ جَرير، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن صحيح[(١)].

وإذا كان هذا الوعيدُ الشَّديدُ لمَن قال في القرآن برأْيِه فكيف بمَن قال فيه بآراء فَلاسِفَة الإفرنج وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة، كما فعلَه الصَّوَّاف في هذا المَوضع وفي عدة مواضع من رسالته؟!

الوجه السَّادس: أن القرآن مُنَزَّهٌ عما حَمله الصَّوَّاف عليه من تَخَرُّصات الإفرنج وظنوهم الكاذبة، وما قَدَر اللهَ حقَّ قَدره مَن جعل كلامَ الله مَلعبَةً له يتأوَّله علىٰ غير تأويله، ويحمله علىٰ تَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة.

الوجه السَّابع: **أنْ يُقالَ**: مِن أعظم الإزراءِ بالسَّلف الصَّالح من الصَّحَابَة والتَّابعين وأئمَّة العِلْم والهُدىٰ مِن بعدهم ما زَعمه الصَّوَّاف في الآيات الَّتي تقدَّم ذِكرُها في أول الفصل، أنها جَمعَت عِلمًا لم يكن معرفته إلَّا في الأعوام القليلة الماضية، رغم أن القرآنَ قد أوضحه منذ عَشرات المئات من السنين.

وهذا العِلمُ الذي أشار إليه هو ما ذَكره عن الجهل الفِزيقي والكُشوف الجهلية الحديثة في الفلَك، وما قاله الجاهل (أرثر فندلاي). وقد جمَع الصَّوَّاف في هذا الموضع بين أَمرين عظيمين:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

أحدُهما: القولُ في القرآن بغير علم.

والثَّاني: الغَضُّ مِن الصَّحَابَة والتَّابعين وأئمة العِلم والهُدىٰ مِن بعدهم، حيث زعم أن القرآنَ قد أوضح شيئًا مِن العِلم ولم يُمكِنهم أن يَعرفوه، وعَرَفه فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعُهم من العصْرِيِّين.

والصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجَلُّ قَدرًا مِن أن يَجهَلوا شيئًا مما أوضحه القرآن. وكذلك التَّابعون وأئمة العِلم والهدىٰ من بعدهم.

وقد قال عبدُ الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (مَن كان مُستَنًّا فليستَنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحابُ مُحمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا خيرَ هذه الأمة، أبرَّهَا قُلوبًا، وأَعمقَها عِلمًا، وأقلَّها تَكلُّفًا، قوم اختارهم اللهُ لصُحبة نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونَقْلِ دِينه، فتَشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحابُ مُحمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا علىٰ الهُدىٰ المُستقيم واللهِ رَبِّ الكعبة)، رواه أبو نُعيم في «الحِلْيَة».

وروىٰ رَزين عن عبدِ الله بن مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوَه.

وإذا كان الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعمقَ هذه الأمة عِلمًا فمُحالٌ أن يُوضِّح القرآنُ شَيئًا ولا تُمكِنُهم مَعرِفتُه.

وقد قال ابنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (كان الرَّجلُ مِنَّا إذا تعلَّم عَشرَ آيات لم يُجاوزهنَّ حتىٰ يَعرِف معانيهن والعَمل بهن)، رواه ابنُ جرير بإسناد صحيح.

وفي «الصحيحين» عن مَسروق قال: قال عبدُ الله -يعني ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (واللهِ الذي لا إلهَ غيرُه، ما مِن كتاب الله سورة إِلَّا أنا أعلَمُ حيث نزلت، وما مِن آية إِلَّا أنا أعلمُ فيما نزلت).

ورواه ابنُ جَرير ولفظه: قال عبدُ الله: (والذي لا إلهَ غيره، ما نَزلت آية في كتاب الله إِلَّا وأنا أعلمُ فِيمَ نزلت، وأين أُنزلت).

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وأوَّل المَعنِيِّين بهذه الآيات هم الصَّحَابَة رضوان الله عليهم أجمعين؛ فقد علَّمهم النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتابَ والحِكمة، وبيَّن لهم ما نزَل إليهم، حتىٰ تَركهم علىٰ المَحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، كما في الحديث الذي رواه ابنُ ماجَهْ: عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وايْمُ اللهِ، لقد تَركْتُكُم علىٰ مثْلِ البيضَاء، لَيلُها ونَهارُها سَواء» قال أبو الدرداء: صدَق والله رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَركنا والله علىٰ مِثل البيضاء ليلها ونهارُها سواء.

وروىٰ الإمام أحمدُ وابن ماجَهْ والحاكم في «مستدركه» عن العِرباض بن

سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قد تَركْتُكُم على البَيضاءِ، لَيلُها كَنهارِها، لا يَزيغُ عنها بَعْدي إِلَّا هالِكٌ». ورواه ابنُ أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة» بنحوه. قال المُنذري: وإسنادُه حَسَن.

وروى الإمامُ أحمد -أَيْضًا- والطبراني عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد تَركَنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يُحرِّك طائرٌ جناحَيه في السَّمَاء إِلَّا ذَكر لنا منه عِلمًا». قال الهيثمي: رجالُ الطبراني رجال الصحيح غير مُحمَّد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة(١).

وإذا عُلم ما ذكَرنا فمُحال أن يوضِّح القرآنُ شيئًا ولا يَعرِفُه الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

فأما الجَهالات والضَّلالات الَّتي أحرَزَها الجهلُ الفِزيقي والكُشوف الجهليَّة في الفلَك وما أشبه ذلك مِن زُخرف القول الذي تُوحيه الشياطينُ إلىٰ أوليائهم من الإنس، فالصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجلُّ قَدرًا من أن يتعلَّقوا بشيء من ذلك، أو يَرُوج عندهم، وإنما يَرُوجُ ذلك عند جُهَّال العَصْرِيِّين الذين اسْتَزَلَّهُم الشَّيطانُ وأغواهم وفتَنهم بتقليد أعداء اللهِ، وقَبولِ آرائهم الفاسدة وظنونهم الكاذبة.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٥) (١٦٤٧)، وغيرهما من طرق عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦٤)، وقال الأرنؤوط: «حديث حسن».

وقد قال شيخ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في كتابه «نقض المنطق»: «مِن المَعلوم مِن حيث الجُملةُ أن الفَلاسِفَة والمتكلِّمين من أعظم بني آدم حشْوًا وقولًا للباطل وتكذيبًا للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد -وَاللهُ أَعْلَمُ- تَخلو لهم مسألةٌ واحدة عن ذلك»[(١)].

وقال[(٢)] -أَيْضًا- في الكتاب المذكور: «إذا تدبَّر المؤمِنُ العليمُ سائرَ مَقالات الفَلاسِفَة وغيرهم مِن الأُمَم الَّتي فيها ضَلالٌ وكُفر وَجَد القُرْآن والسُّنَّة كاشِفَين لأحوالِهم، مُبَيِّنَين لِحَقِّهم، مُمَيِّزَيْن بين حقِّ ذلك وباطِله.

والصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا أعلمَ الخلق بذلك، كما كانوا أقومَ الخلق بجهاد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (مَن كان منكم مُستَنًّا فليسْتَنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تُؤمَن عليه الفتنة، أولئك أصحابُ مُحمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قُلوبًا، وأَعمَقَها عِلمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قوم اختارهم الله لصُحبة نبيه، وإقامةِ دِينه، فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهدْيِهم، فإنهم كانوا علىٰ الهُدىٰ المستقيم).

فأخبَر عنهم بكَمال بِرِّ القُلوب مع كمال عُمْق العِلْم، وهذا قليلٌ في المتأخرين - إلىٰ أن قال: وأهلُ التَّعمُّق في العِلم قد يُدركون من معرفة الشُّرور

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٧).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٣٧).

والشُّبهات ما يُوقعهم في أنواع الغَيِّ والضلالات، وأصحاب مُحمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا أبَرَّ الخلق قلوبًا، وأعمقَهم عِلمًا.

ثم أكثر المُتعمِّقين في العِلم من المتأخرين يَقترن بتعمقهم التَّكلُّف المذموم، وهو القولُ والعمل بلا عِلم، وطلب ما لا يُدرَك. وأصحاب مُحمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا -مع أنهم أكمل الناس عِلمًا نافعًا وعملًا صالحًا- أقلَّ الناس تَكلُّفًا؛ يَصدر عن أحدهم الكلمةُ والكلمتان من الحِكمة أو مِن المَعارف ما يهدي اللهُ بها أُمَّة. وتجد غيرَهم يَحشون الأوراق مِن التكلُّفات والشَّطحات ما هو من أعظم الفُضول المبتدَعَة والآراء المُختَرَعة، لم يكن لهم في ذلك سلف إلَّا رُعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصدُه في الدين.

ويُروىٰ أن الله سبحانه قال للمَسيح: إني سَأخْلُق أُمَّةً أُفَضِّلُها علىٰ كلِّ أُمَّة، وليس لها عِلمٌ ولا حِلْم، فقال المَسيح: أيْ ربِّ، كيف تُفضِّلُهم علىٰ جميع الأُمَم وليس لهم عِلم ولا حِلم؟ قال: أَهَبُهم مِن عِلمي وحِلْمي.

وهذا مِن خَواصِّ مُتابعة الرسول، فأيهم كان له أتْبَعَ كان في ذلك أكْمَل، كما قال تَعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

وكذلك في «الصحيحين» مِن حديث أبي موسىٰ وعبدِ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «مَثَلُنا ومَثَلُ الأُمَم قَبلَنا كالذي استَأْجَرَ أُجرَاء فقال: مَن يَعمَل إلىٰ نِصف النَّهار علىٰ قِيراطٍ قِيراط؟ فعَمِلت اليهودُ، ثمَّ قال: مَن يَعمل لي إلىٰ صلاةِ العَصر علىٰ قيراطٍ قيراط؟ فعَملت النَّصارىٰ، ثمَّ قال: مَن يَعمل لي إلىٰ غُروب الشَّمس علىٰ قيراطين قيراطين؟ فعَمِل المسلمون، فغَضِبت اليهودُ والنصارىٰ وقالوا: نحن أكثرُ عَملًا وأقلُّ أجْرًا، قال: فهَل ظَلَمتُكُم مِن حَقِّكم شَيئًا؟ قالوا: لا، قال: فهو فَضْلي أُوتِيه مَن أشَاء»(١).

فدل الكتاب والسُّنَّة علىٰ أن الله يُؤتي أتباع هذا الرَّسول مِن فَضْله ما لم يُؤته لأهل الكتابَين قبلهم، فكيف بمَن هو دُونهم من الصَّائبة، دَعْ مُبتَدِعَةَ الصَّائبة من المُتفلسفة ونحوهم؟!

ومِن المَعلوم أن أهل الحَديث والسُّنَّة أَخصُّ بالرَّسول وأتباعه، فلهم مِن فَضْل الله وتَخصيصه إيَّاهم بالعِلم والحِلْم وتَضعيف الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعضُ السَّلف: أهلُ السُّنَّة في الإسلام كأهل الإسلام في المِلَل.

فهذا الكلامُ تَنبيهٌ علىٰ ما يظنُّه أهلُ الجهالة والضلالة مِن نَقص الصَّحابَة في العِلم والبَيان أو اليد والسِّنان.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨)، وغيره من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضًا (٢٢٦٨)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولم أقف عليه عند مسلم.

والمَقصودُ التَّنبيهُ علىٰ أن كلَّ مَن زعم بلسانِ حالِه أو مَقاله، أن طائفَة غير أهل الحديث أَدركوا مِن حقائق الأمور الباطنة الغَيبية في أمرِ الخلق والبَعث والمَبدأ والمَعاد، وأمرِ الإيمان بالله واليوم الآخِر، وتَعرف واجِب الوجُود، والنَّفس الناطقة والعلوم والأخلاق الَّتي تَزكو بها النفوس وتَصلح وتَكمُل دون أهلِ الحديث - فهو إن كان منَ المؤمنين بالرُّسل فهو جاهلٌ، فيه شُعبةٌ قويَّة من شُعَب النِّفاق، وإلا فهو مُنافِقٌ خالِصٌ مِن الذين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣]، وقد يكون من: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورىٰ: ١٦].

وقد يُبين ذلك بالقياس العَقلي الصحيح الذي لا رَيب فيه، وإن كان ذلك ظاهرًا بالفِطرة لكل سليم الفطرة، فإنه متىٰ كان الرسولُ أكملَ الخلق وأعلمَهم بالحقائق وأقومَهم قولًا وحالًا لَزِم أن يكون أعلمُ الناس به أعلمَ الخلق بذلك، وأن يكونَ أعظمهم موافقةً له واقتداءً به أفضل الخلق.

إلىٰ أن قال: فإذا كان الرسولُ أعلمَ الخلق بالحقائق الخَبريَّة والطَّلبيَّة، وأحبَّ الخَلقِ للتَّعليم والهداية والإفادَة، وأقدَرَ الخلقِ علىٰ البيان والعبارة، امتنع أن يكونَ مَن هو دونه أفادَ خواصَّه معرفةَ الحقائق أعظَمَ مما أفادها الرسولُ لخواصِّه، فامتنع أن يكونَ عند أحدٍ مِن الطوائف من معرفةِ الحقائق ما ليس عند علماء الحَديث». انْتهىٰ المقصود من كلامه ملخَّصًا.

الوجه الثَّامن: أن الصَّوَّاف صدَّر كلامَه في هذا الموضع بعنوان (اتِّساع الكون)، ثمَّ أورد الآياتِ الثلاث من سورة المؤمنين وسورة الذاريات وسورة المُلك، ثمَّ عقَّب ذلك بما أحرَزَه الجهلُ الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثَة في الفَلَك من أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنباتِ والنيازكَ والشُّهب والسدم إنما هي سمواتٌ فوق سموات تتألَّف منها عوالِمُ الكون، وما قاله الجاهلُ الفلكي «أرثر فندلاي» من أن السموات السبع أفضِية مُناسبة، وأن الأرضين السبع كُرات أثيرية تُحيط بالكرة الأرضية وتتخلَّلُها.

وهذا ظاهرٌ في حَمله الآيات الثلاث علىٰ ما ذكره بعدها، وجَعله كالتفسير لها، وذلك مِن تأويل الآيات علىٰ غير تأويلها.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين فهو مُفْتَرٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مواضِعه». انْتَهىٰ[1].

الوجه التَّاسع: أن الله تَعالىٰ نصَّ في تِسعةِ مَواضعَ مِن القرآن علىٰ أن السموات سَبع فقط. وأخبر في سورة المُلك وسورة نوح أنها طِباق، أي: بعضها فوق بعض. وقال في سورة المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧] أي: بعضها فوق بعض، كما قاله غيرُ واحد من

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

المفسرين وأئمة اللغة.

وأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه جَعل في السَّمَاء سِراجًا -وهي الشَّمس- وقَمرًا مُنيرًا. وأخبر -أَيْضًا- أنه زيَّن السَّمَاء الدُّنْيا بالكَواكِب. وأخبر -أَيْضًا- أن السَّمَاء مُلِئت حرَسًا شَديدًا وشُهُبًا. وفي هذه النصوص وما فيه من التَّفريق بين السموات وبين ما جعله الله فيها من السِّراج والقَمَر والزِّينة الَّتي هي النُّجُوم، وما مُلئت به من الحرس والشُّهب أعظمُ رَدٍّ علىٰ ما فهِمَه أهل الجهلِ الفزيقي والكشوف الجهلية مِن أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سموات فوق سموات، تتألَّف منها عوالِمُ الكون.

الوجه العاشر: أن ما أحرَزَه الجهلُ الفزيقي والكشوف الجهلية وما أثبته جَهلهم يقتضي أن تكون السموات كثيرة جدًّا، بحيث لا يَحصرها عِلم البَشر، وفي هذا أعظمُ مُعارضة للقرآن والأحاديث الصَّحيحة الدَّالة علىٰ أن السموات سبع فقط. وقد ذكرتُ جُملة منها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وفيه -أَيْضًا- مُعارضة لإجماع أهل السُّنَّة علىٰ أن السموات سبع طبقات. وقد ذكرتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك. وما عارَض نُصوصَ القرآن والأحاديث الصحيحة وإجماع أهل السُّنة فمضروبٌ به عرضَ الحائط، ومَردود علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

الوجه الحادي عشر: أن كلام الصَّوَّاف يَنقض بعضُه بعضًا؛ فقد قال في

الكلام علىٰ الآية من سورة المؤمنين ما نَصُّه: (يقول الله سبحانه عن السموات: إنها سبع، وزيادة عليها يُوجد العرش الذي وصفه بأنه عظيم، ويصف جل شأنه هذه السَّموات أنها طباق) ثمَّ ذكر بعد ذلك أن العِلم أثبت أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سموات فوق سموات تتألَّف منها عوالمُ الكون.

وهذا من أقبح التناقض؛ لأنه قد قرَّر أن السموات سبع كما نطقت به الآية الكريمة. ثمَّ ذكر ما يَقتضي كثرةَ عدد السموات، وأن عدتها لا تَنحصر في سبع، بل ولا سبعين ولا سبعمائة ولا سبعة آلاف، ومثل هذا التَّناقض لا يَصدُر من رجل عاقل أبدًا.

الوجه الثَّاني عشر: أن إيرادَ الصَّوَّاف لِمَا أحرزه الجهلُ الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثة في الفلك، وما أثبته جَهلُهم من أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سموات فوق سموات تتألَّف منها عوالمُ الكون، وإيراده -أَيْضًا- لما قاله الجاهل الفلكي «أرثر فندلاي» مِن أن الجهل أثبت أن السموات السَّبع أفضية مناسبة، وتقريره لهذه الأقوال الباطلة يَقتضي تكذيب ما أخبر اللهُ به في كتابه من كون السموات سبعًا وكونهن شِدادًا.

ويقتضي -أَيْضًا- تكذيبَ ما أخبر به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كون السموات سبعًا كِثَفُ كل سماء منهن خمسمائة سَنَة. بل هذا في الحقيقة إنكار

لوجود السموات الَّتي نصَّ اللهُ عليها في مواضع كثيرة من القرآن، ونصَّ عليها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من الأحاديث الصحيحة، وأخبر أنه عُرج به إليها، فلم يَدخل سماء منها هو وجبريل إلَّا بعد الاستفتاح وفَتْح الباب لهما.

وإذا كانت السمواتُ السبعُ عند أهل الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية ومَن يُقلِّدُهم ويَحذو حَذوَهم من جهَّال العَصْرِيِّين هي الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم، فإنه يلزمُ علىٰ قولهم أن يكون النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عُرج به إلىٰ الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم، ورأىٰ فيها آدمَ وإبراهيم وموسىٰ وهارون وإدريس ويوسفَ ويحيىٰ وعيسىٰ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا لا يقولُه مُسلم، ومع هذا فقد أدخله الصَّوَّاف في عِلم الفلك الذي نسبه إلىٰ المسلمين. وهذا مِن أكبر الخطأ وأعظم الفِرية علىٰ المسلمين.

الوجه الثَّالث عشر: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وروىٰ الإمام أحمدُ وغيره من حديث العبَّاس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وكِثَفُ كل سماءٍ مَسيرةُ خَمسِمائةِ سَنَة»[١]،

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وضعفه الأرناؤوط في تحقيقه علىٰ «المسند».

وفي هذا النص مع نصِّ الآية الكريمة أبلغ رَدٍّ علىٰ ما زعمه الجاهل الفلكي «أرثر فندلاي» من أن السموات أفضية مناسبة... إلىٰ آخر كلامه.

الوجه الرَّابع عشر: أنه ليس في السَّمَاء سوىٰ شَمس واحدة، كما هو معلوم بالمشاهدة ومَنصوصٌ عليه في مواضعَ كثيرة من القرآن والأحاديث الصَّحيحة، وقد ذكرتُ الأدلةَ علىٰ ذلك مستوفاة في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، وذكرتُ جملةً منها في مواضع من هذا الكتاب، فلتُراجَع هنا وهناك، ومَن زعم أن في السَّمَاء شُموسًا متعددة فهو من أكذب الكاذبين.

الوجه الخامس عشر: أن كل ما ذكره الصَّوَّاف عن الجاهل الفَلكي «أرثر فندلاي» من أن السموات أفضية مناسبة، وأن هناك شُموسًا سَبعًا أثيرية، وأن الأرضين السبع كرات أثيرية تُحيط بالكرة الأرضية وتتخلَّلها فكلُّه هَوَس وهذيان مردودٌ بالنصوص الدالَّة علىٰ أن السموات شِدادٌ، وأن كِثَف كل سماء خمسمائة سنة، وأنه ليس في السَّمَاء سوىٰ شَمس واحدة، وأن الأرضين ليست بالأثير، أي: الهواء الذي هو فوق الأرض، أو يتخلَّلها، وإنما هي أجرامٌ صُلبة كما هو مشاهَد مِن أعلاها الذي نحن ساكنون عليه.

وكما يدل عليه قولُ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أَخَذ مِن الأَرْضِ شَيئًا بغير حَقِّه خُسِفَ به يومَ القيامة إلىٰ سَبْع أَرضين» رواه الإمامُ أحمد والبخاري من

حديث عبدِ الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[١].

والخَسْف لا يَكون في الهواء ولا إلىٰ الجهة الفوقيَّة، وإنما يكون في المَواضع الصُّلبة، وفيما هو تحت المَخسوف به.

وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُسِف به إلىٰ سبع أرضِين**» دليلٌ علىٰ أن الأرضين بعضهن فوق بعض، وأعلاهُنَّ ما نحن ساكنون عليه.

❋ ❋ ❋

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ١٠٨ ساق الصَّوَّاف كلامًا للفلكي «سيمون نيوك» صوَّر فيه صورة العالَم وحَجم الأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم السَّيَّارة وأبعادها، وما بينَها وبين النُّجُوم الثَّوابت مِن البُعد العظيم علىٰ حدِّ زعمه الكاذب، وما بَين النُّجُوم الثَّوابت -أَيْضًا- مِن البُعد الشاسع بالنِّسبة إلىٰ العالَم الذي تصوَّره بعقله الفاسد. وهذا التصوير لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة، وإنما هو مَبنِيٌّ علىٰ التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩٩)، والبخاري (٢٤٥٤)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا يَغترُّ بمثل هذا الهذيان ويُصغي إليه إِلَّا جاهلٌ قد أعمىٰ اللهُ بَصيرَتَه.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٩ ما نَصُّه:

ولعلَّ أدَقَّ وَصْف للأرض بالنسبة للكَون هو أنها هَباءة دقيقة لا تُرىٰ إِلَّا بالمِجهر في هذا الفضاء الفلكي الواسع بالنسبة إلىٰ الأجرام السَّماوية المتناثرة في أنحاء الكون.

والجواب أنْ يُقالَ: هذا قولٌ باطل مَرِدود، وقد نبَّهتُ علىٰ بطلانه في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٩ ما نَصُّه:

هذا وقد أثبَتَت الأبحاثُ الأخيرة أن حَجم الكون أخَذ في الزيادة والاتساع شيئًا فشيئًا، وكلما ازداد حجمُه ازدادت المسافةُ بين أجرامه. فسبحان أعلم العلماء، وما أعظمَ صِدقَ القرآن، وهو يقرِّر هذه الحقيقة العلميةَ قبل أن تُعرف،

وهي أن السَّمَاء في اتساع دائم: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

والجواب أن يقال، أما زَعمُه أن حجم الكون أخذ في الزِّيادة والاتساع شيئًا فشيئًا، وكلما ازداد حجمه ازدادت المسافةُ بين أجرامه فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة ولا معقول صحيح، وما ليس عليه دليلٌ فليس عليه تعويل.

وأَيْضًا، فالأمور الغيبيَّة لا يُمكن الوصول إلىٰ عِلمها بالأبحاث الَّتي هي التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة علىٰ الحَقيقة، وإنما تُعلَم من طريق الوحي، وقد انقطع الوحيُ بموت النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وتأويل الصَّوَّاف للآية من سورة الذاريات علىٰ ما زعمه من الاتساع الدائم لم يُؤثَر عن أحدٍ من المفسِّرين، وإنما هو من تحريفِ الكَلِم عن مواضعه، وقد ذكرتُ الرَّدَّ عليه وكلامَ المُفسِّرين علىٰ الآية في أوَّل الفصل الذي قبل هذا الفَصل بفَصْلَين، فليُراجع.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القُرآنَ والحَديث وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المَعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين، فهو مُفترٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مواضعه». انْتَهىٰ(١).

وَأمَّا قولُه: فسبحان أعلم العلماء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذه العبارة لم يَنطِق بها كتابٌ ولا سُنَّة، ولم تُؤثَر عن أحدٍ مِن السَّلف الصَّالح ولا مَن بَعدَهم من علماء المُسلمين، ولم أَرَهَا لأحدٍ قبل الصَّوَّاف.

والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة أنهم لا يَصِفون اللهَ إِلَّا بما وصَف به نفسَه أو وصفه به رسولُه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولم يكونوا يَبتَدِعون في صفاتِ الرَّبِّ ألفاظًا لم تَرِد في الكتاب ولا في السُّنَّة. فمَن سَلَك سبيلَهم فهو منهم، ومن حادَ عن سبيلهم وسلك سبُلَ أهل البدع فهو منهم. ولقد أحسَن الرَّاجز حيث يقول:

وكلُّ خيرٍ في اتِّباع مَن سَلَف ... وكل شَرٍّ في ابتداع مَن خَلَف

* * *

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ١١١ وصفحة ١١٢ ذكر الصَّوَّاف المُعلِّقِين علىٰ محاضرته والمَادِحين له، ومنهم مُحمَّد زكي المحاسني، وذكر من قوله:

لا تسألُوا عن صُوفِه أو قُطنِه ... فمِن الصَّفاء دَعَوْه بالصَّوَّاف
هُو في الأئمَّة بين سادَةِ مَكَّةَ ... أهل التُّقىٰ والعِلْم والإنْصَاف

ثم قال:

قُطنًا لَبِستَ أو ارْتَديتَ الصُّوفَا ... فلقد وَجدْتُك بالهُدىٰ مَوصُوفَا
وإذا المَنابرُ بالرِّجال تَلألأت ... عرفت لسَانك بالمقال عَفيفَا

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أن إيرادَ الصَّوَّاف لهذه الأبيات في رسالته مِن تَزكية النَّفس، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

قال البَغوي(١) **عند قوله تَعالىٰ**: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾: «قال ابنُ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: لا تَمدَحُوها. وقال الحسن: عَلِم اللهُ مِن كل نفسٍ ما هي صانعة،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٤١٣).

وإلىٰ ما هي صائرةٌ، فلا تُزكُّوا أنفُسَكم، فلا تبرئوها مِن الآثام، ولا تَمدحوها بحُسْنِ أعمالها».

وفي «صحيح مسلم»(١) عن زَينب بنت أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سُمِّيت بَرَّة، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزَكُّوا أَنفُسَكم، اللهُ أَعلَمُ بأَهلِ البِرِّ مِنكُم».

الوَجْهُ الثَّاني: أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِه المَدحَ وأنكر علىٰ المدَّاحين، وأمَر أن يُحثَىٰ في وجوههم التُّرابُ، كما في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجَهْ: عن أبي بَكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَدَح رجلٌ رَجلًا عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويْلَكَ! قَطعتَ عُنُقَ صَاحِبك -مِرارًا- إذا كانَ أَحدُكم مادِحًا صَاحِبَه لا مَحالَةَ فلْيَقُل: أَحسبُ فُلانًا واللهُ حَسيبُه، ولا أُزكِّي علىٰ الله أحدًا، أَحسبه كَذا وكذا إن كان يَعلَم ذلك»(٢).

وروىٰ مسلم -أَيْضًا- عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمِع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلًا يُثني علىٰ رجُل ويطريه في المدحة، فقال: «لقَد أَهلَكْتُم -أو قَطَعتُم- ظَهرَ الرَّجُلِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٢)، وغيره من حديث زينب بنت أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤١)، والبخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠)، وأبو داود (٤٨٠٥)، وابن ماجه (٣٧٤٤)، وغيرهم من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠١)، وغيره عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروىٰ الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجَهْ عن همام بن الحارث قال: جاء رجلٌ إلىٰ عثمان، فأثنىٰ عليه في وَجْهه، قال: فجعل المِقدادَ بن الأسود يَحثُو في وَجْهه التُّراب، ويقول: «أَمَرنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لَقِينا المدَّاحين أن نَحثُو في وجوههم التُّراب». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» مِن حديث همَّام بن الحارث قال: كنَّا جُلوسًا في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء قومٌ يثنون علىٰ عثمان ويَمدحونه، والمِقدادُ في ناحيةِ المسجد، فلمَّا سَمِعَهم يمدحونه قام فتناول الحَصَا، فجعل يَحثو في وجوههم، فقال عثمان: ما هذا؟ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذَا رَأيتُم المَدَّاحِين فاحْثُو في وُجُوهِم -أو قال: في أفواههم- التُّرابَ -أو قال: الحَصَا-»(١).

وقال الإمام أحمد في «مسنده»: حدثنا سفيانُ عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد أن سعيد بن العاص بعَثَ وَفدًا مِن العراق إلىٰ عثمان، فجاءوا يُثنون عليه، فجعل المقدادُ يَحثو في وجوههم التراب، وقال: أَمَرنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نَحثُوَ في وُجوه المدَّاحين التراب. وقال سفيان مرَّة: فقام

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥)، ومواضع أخر، ومسلم (٣٠٠٢)، وأبو داود (٤٨٠٤)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢)، والطيالسي في «المسند» (٢/ ٤٧٦،٤٧٥) (١٢٥٤، ١٢٥٥) وغيرهم من حديث المقداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المقدادُ، فقال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «احْثُوا في وجوه المَدَّاحين التُّرابَ» قال الزُّبير: أما المقدادُ فقد قضىٰ ما عليه.

وقال الإمام أحمد -أَيْضًا-: حدثنا عبدُ الرحمن عن سفيان عن حَبيب عن مجاهد عن أبي مَعمر قال: قام رجلٌ يثني علىٰ أميرٍ مِن الأمراء، فجعل المقدادُ يَحثو في وجهِهِ، وقال: أَمرنا رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نحثو في وجُوه المدَّاحين التُّرابَ.

وقال الإمامُ أحمد -أَيْضًا-: حدثنا يحيىٰ عن وائل بن داود قال: سمعتُ عبد الله البَهيَّ، أنَّ رَكبًا وقفوا علىٰ عثمان بن عفان فمدَحوه، وأثنوا عليه، وَثَمَّ المِقدادُ بنُ الأَسود، فأَخذ قبضةً مِن الأرض فحثاها في وُجوه الرَّكْب، فقال: قال نبيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذَا سَمِعتُم المَدَّاحِين فاحْثُوا في وُجُوهِهم التُّرابَ».

وإذا كان هذا فِعلُ المقداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع مَن مَدح عثمان -الذي هو أهلٌ للمَدح والثناء- فكيف بمَن مَدح مَن لا يَستحِقُّ المَدحَ والثناء، وإنما يستحقُّ القَدح والذَّم والتَّأنيب وما هو أشدُّ مِن ذلك؟! فاللهُ المُستَعانُ.

وقال الإمامُ أحمد -أَيْضًا-: حدثنا مُحمَّد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن أبي شَبيب، قال: جعل رجلٌ يَمدح عاملًا لعثمان، فعَمدَ المقدادُ، فجعل يَحثو الترابَ في وجهه، فقال له عثمان: ما هذا؟ قال: إن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا رَأيتُم المَدَّاحِين فاحْثُوا في وجُوهِهم التُّرابَ».

وقد رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» من حديث شُعبة به، إِلَّا أنه قال: «جَعل رجُلٌ يَمدح غُلامًا لعثمان».

وروىٰ الترمذي عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أَمَرنا رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن نَحثُو في أفْواه المدَّاحين التُّراب. قال الترمذي: هذا حديث غَريب من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١).

الوجه الثَّالث: أن المحاسِني قد أخطأ في عِدَّة مواضع من كلامه.

أحدها: قوله: فمِن الصَّفاء دَعَوه بالصَّوَّاف.

والجواب أنْ يُقالَ: ليس الأمْرُ كما زعمه المحاسني، مِن أن الصَّوَّاف مَنسُوب إلىٰ الصفاء؛ وإنما هو مَنسوب إلىٰ بيع الصُّوف، كما يُقالُ لبائع التَّمر: تَمَّار، ولبائع السَّمن: سَمَّان، ولبائع الزَّيت: زيَّات، ولبائع البَقْل: بَقَّال، ولبائع النُّحاس: نَحَّاس، وما أشبه ذلك. ولو كان منسوبًا إلىٰ الصفاء لقيل له: الصَّافي، لا الصَّوَّاف.

الموضع الثَّاني: عدُّه مِن الأئمة أهل التُّقىٰ والعِلم والإنصاف.

والجواب أنْ يُقالَ: هذا فيه نظرٌ لا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلم ومعرفة.

الموضع الثَّالث: قولُه: فلقد وجَدْتُك بالهُدىٰ مَوصُوفًا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٤)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الألباني: «صحيح لغيره».

والجواب أنْ يُقالَ: وهذا -أَيْضًا- فيه نظَر لا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلم ومعرفة، ولقد أحسنَ الشاعرُ حيث يقول:

ذهب الرِّجال المُقتدىٰ بفِعالِهم ... والمُنكِرُون لكل أمْرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُزيِّن بَعضُهم ... بعضًا ليَدفَع مِعورٌ عَن مِعوَرِ
فَطِن لكلِّ مُصيبةٍ في مَالِه ... وإذا أُصيبَ بدِينه لم يَشعُرِ

المَوضع الرَّابع: قولُه: عرفت لسانك بالمَقال عفيفًا.

والجواب أنْ يُقالَ: كيف يكون لسانُه عَفيفًا بالمَقال وهو قد قال علىٰ الله تَعالىٰ وعلىٰ كتابه ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بغير عِلم، وأخطأ علىٰ المسلمين خَطأً كَبيرًا حيث نسب إليهم من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة ما هم بريئون منه؟!

فأما قولُه علىٰ الله تَعالىٰ وعلىٰ كتابه بغير علم، ففي مواضع من رسالته الَّتي قد رَدَدْتُ عليها.

منها: قوله فِي صَفْحَةِ ٤٠: إن القرآن أشار إلىٰ نظرية «لابلاس»، وهي قوله: إن الأرض والشَّمس ومُختلف الكَواكِب والأجرام إنما كانت سديمًا في الفضاء، وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم. ثمَّ قال فِي صَفْحَةِ ٤١: وبذلك قرَّر العِلم اليوم ما قرَّره القرآن وأشار إليه قبل ألف وأربعمائة عام من أن الأرض والشَّمس والنُّجُوم، أي: السَّمَاء والأرض وما فيهما، إنما كانت سَديمًا انفصل إلىٰ أجزاء.

وهذا مِن القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه بغير علم. وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أول هذا الكتاب، فليُراجَع.

ومنها: فِي صَفْحَةِ ٤٢ وصفحة ٤٣ فقد أورَد آيتين من سورة (يس) وآية من سورة النمل، ثمَّ حمل الآيات علىٰ ما يَزعمه فَلاسِفَة الإفرنج من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة، وزعم أن ذلك مما قرَّره القرآن الكريم، وهذا مِن الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: فِي صَفْحَةِ ٥٤-٥٥-٥٦ فقد أَورد آيتين من سورة القصص، وحملهما علىٰ ما يزعمه فَلاسِفَةُ الإفرنج من حركة الأرض ودورانها حول نفسِها وحول الشَّمس، وهذا من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الردَّ عليه في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: فِي صَفْحَةِ ٦١ فقد زعم أن المُستقرَّ الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] أنه المِحوَر الذي تدور عليه الشَّمسُ حول نفسها، وهذا من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أثناء الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ٧٦ أورد آيةً مِن سورة الإسراء ثمَّ حملها فِي صَفْحَةِ ٧٨ علىٰ ما يُوافق آراء الإفرنج وتَخَرُّصاتهم، وزَعَم أن ذلك من معجزات

القرآن، وهذا من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أثناء الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ٩٧-٩٨ زعم أن اللهَ يَحثُّنا علىٰ البحث عن الكَواكِب، وما فيها من عوالِم، وهذا من الافتراء علىٰ الله تَعالىٰ، وقد تقدم الكلام عليه في موضعه.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ١٠١ نقل كلامًا لموسىٰ جار الله زعم فيه أن السموات لها منظومات، وكل منظومة من هذه المَنظومات يسمِّيها القرآن بُرجًا... إلىٰ آخر هذيانه في السطر الأول من صفحة ١٠٢، وهو من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد تقدم التَّنبيهُ علىٰ ذلك في موضعه.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ١٠٧ وصفحة ١٠٩ ذكَر الآيتين من سورة المؤمنين وسورة الذاريات، ثمَّ حملها علىٰ ما يُوافق تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، وهذا من الافتراءِ علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ ذلك قريبًا، فليراجع.

وَأَمَّا قولُه علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير عِلم: فِفِي صَفْحَةِ ٧٨.

وأما خطؤه علىٰ المسلمين: ففي عنوان رسالته، حيث زعم أن ما أَودعه فيها من تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، فهو مِن عُلوم المسلمين في الفَلَك، وقد نبَّهتُ علىٰ ذلك في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَفِي صَفْحَةِ ٦٠ زعم أن القولَ بثبات الشَّمس وقرارها قد سبق إليه العلماءُ الأعلامُ مِن المسلمين. وهذا غلط وخطأ عليهم.

وَفِي صَفْحَةِ ٦١ زعم أن للشَّمس مِحورًا تدور عليه، كما تدور المروحةُ السقفية علىٰ محولِها، وفسَّر المستقرَّ المذكور في قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] بما زعمه من المِحور المتوهم. قال: وقد قال بهذا القول رجالٌ مِن سلف هذه الأمَّة الخيار، وذكر منهم مجاهدًا. وهذا غلطٌ وخطأ عليهم. وقد نبَّهتُ علىٰ ذلك في موضعه، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومما ذكرتُه من هذه الأمثلة يُعلم أن لسانَ الصَّوَّاف ليس عَفيفًا بالمقال، وأنَّ مَن وصَفه بالعفاف فقد أخطأ.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٣ ما نَصُّه:

وانتهَتِ المُحاضرةُ بعد هذا، وكان مِن نتَاجِها الطَّيِّب هذا الكتاب «المُسلمون وعِلمُ الفلك» الذي بين أيدي القُرَّاء اليوم، والذي نسأل اللهَ أن يَجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يشفع لنا به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

والجواب أنْ يُقالَ: ليس كتاب الصَّوَّاف مِن النَّتاج الطَّيب كما زعم ذلك؛

وإنما هو من النتاجِ الذي ليس بطَيب، كما لا يَخفىٰ علىٰ مَن نوَّر اللهُ قلبَه بنُور العِلم والإيمان. وذلك لأنه مَحشوٌّ مِن تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة المُخالِفة لما في كتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. مع ما فيه من القَول علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين بغير عِلم.

وما كان كذلك فليس بطَيِّب، وإنما هو بضدِّ ذلك. ولكن القُلوب إذا عَميت وانتكست صارت ترىٰ البَاطِلَ حَقًّا، والمُنكرَ مَعروفًا، والخبيثَ طَيِّبًا.

ولما كان الصَّوَّاف قد عدم التَّمييز بين الطَّيب الذي يُرجىٰ نفعُه وبين ضده الذي هو ضررٌ مَحض، رَأىٰ أن كتابَه من النتَاج الطَّيب، وسأل الشَّفاعة به، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرءِ في أيَّام مِحنَتِه ... حتىٰ يَرىٰ حَسنًا ما لَيسَ بالحَسَنِ

وَأَمَّا قولُه: وأنْ يشفع لنا به.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ومَن تَرىٰ يَشفع لك به عنده؟! تَعالىٰ اللهُ وتَقدَّس وتَنزَّه عما يقول الجاهلون علوًّا كَبيرًا.

وقد أنكر النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ الأعرابي إنكارًا شديدًا لمَّا قال له: إنا لنَستشفع باللهِ عليك. ففي «سنن أبي داود» عن جُبير بن مُطعم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: أتىٰ رسولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله، جَهدَتِ الأنفُسُ، وضاعتِ العِيالُ، ونهكت الأموالُ، وهَلكت الأنعامُ، فاستسق اللهَ لنا، فإنا نَستشفع بك علىٰ

الله، ونستشفِعُ بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «وَيحَكَ! أَتدري ما تقُولُ؟!» وسبَّح رسولُ الله ﷺ، فما زال يُسبِّح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال: «وَيحَكَ! إنه لا يُستَشفَع باللهِ علىٰ أحدٍ مِن خَلقه، شَأنُ الله أعظَمُ مِن ذلك» الحديثَ. قال الذهبي: إسناده حسَن. ورَدَّ ابن القيم في «تهذيب السنن» علىٰ مَن تكلَّم في هذا الحديث بغير حُجَّة، فأجاد وأفاد(١).

وإذا عُلم هذا، فلا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلم ومعرفة ما بين قول الصَّوَّاف وقولِ الأعرابي مِن المشابهة الظاهرة. فالصَّوَّاف قد سأل اللهَ أن يشفع له بكتابه. والأعرابي قال للنبي ﷺ ونَستشفع بالله عليك. فكلٌّ منهما قد استشفع بالله. والله تَعالىٰ لا يُستشفع به علىٰ أحدٍ مِن خلقه، شَأنُ الله أعظمُ مِن ذلك.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٤: إن الكثير مِن شَبابنا اليوم في حاجَةٍ ماسَّة إلىٰ مثل هذه الكتب -يعني كتابَه وما أشبهه من الكتب المُضِلَّة- لتلقي لهم ضَوءًا علىٰ ماضيهم المُشرق، وتَكشف لهم الحِجابَ عن حضارتهم الرَّائعة الَّتي طَمسها الأعداء أو كادوا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وغيره من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٩).

والجواب عن هذا وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن الناس في حاجَة شَديدة إلىٰ التَّمسك بكتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأخْذِ بما جاء عن الصَّحابَة والتَّابعين وأئمة العِلم والهُدىٰ مِن بعدهم، فهذا هو العِلم النافع الذي يُلقي لهم الضَّوء علىٰ ماضيهم المشرق، ويَكشف لهم الحجابَ عن حضارتهم الرَّائعة.

فأما ما جاء عن فِيثاغورس اليُونَاني وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، وهم أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج وجهَّال المسلمين، فهذا ضررٌ محْضٌ، تَجبُ مُحارَبَتُه بكل ما أمكن.

وكتاب الصَّوَّاف مِن هذا القسم الأخير؛ لأنه مَبني علىٰ أقوال «فيثاغورس» وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، ومَحشُوٌّ من تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة مع ما اشتمل عليه من تَحريفِ آيات كثيرة من القرآن، وتَأويلِها علىٰ غير المراد منها. وما اشتمل عليه -أَيْضًا- مِن الافتراء علىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين. وما كان بهذه الصِّفة فإنه يجب القضاءُ عليه وعلىٰ أمثاله من الكتب الَّتي تضِلُّ الشيوخَ والشَّباب، وتدعوهم إلىٰ نَبذ الكتاب والسُّنَّة وراء ظهورهم.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: وأيُّ حاجَةٍ بالشَّباب إلىٰ تَخَرُّصات اليُونَان والإفرنج وظنونِهم الَّتي ما أنزل الله بها من سُلطان، وإنما هي مِن وَحْي الشيطان وتضليلِه؟!

وأيُّ حاجة بالشباب إلىٰ الهَذيان والسَّخافات الَّتي يَضحك منها الصِّبيانُ الصغار فضلًا عن الرجال العقلاء؟! وسأذكر نماذج منها قريبًا إن شاء الله تَعالىٰ.

وأيُّ حاجة بالشباب إلىٰ القَول علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين بغير عِلم؟! وقد تقدَّمت الإشارةُ إلىٰ مواضع ذلك في رسالة الصَّوَّاف قريبًا عند الكلام علىٰ ما نقله الصَّوَّاف عن المحاسني، فليراجع.

وأيُّ حاجة بالشباب إلىٰ العباراتِ البَشِعة المُنكَرة جدًّا؛ كقول الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٩: وقد تمكَّن بعضُ العلماء من معرفة أشياء مهمَّة عن الأرض ومكوناتها. وقوله -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤١: وبتقدُّم العِلم أمكن إلىٰ حدٍّ ما معرفة العناصِر المكونة للشمس، فوجدانها تتكوَّن من نفس العناصر الَّتي تتكون منها الأرض؟!

فأضاف تكوينَ الأرض والشَّمس إلىٰ العناصر، وهذا مذهب الطَّبيعيين الذين يزعمون أن الإيجادَ والتكوين ناشئٌ عن الطبيعة، وذلك شِرْك بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ هو الذي خلَق العناصر، وخلق ما تكوَّن منها، فلا يُضاف التَّكوينُ إلىٰ غيره.

وِمن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٥٧: هذه الشَّمس الَّتي ليست مَصدَرَ نُورِنا ونارِنا فقط، بل هي مِحور نظامنا السَّيَّاري، ومصدر حياتِنا أَيْضًا.

فجَعل مصدر حياةِ البَشر من الشَّمس، وذلك شِرْكٌ بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ الحياة مَصدَرُها من الله وحده؛ فهو الذي أوجدَ الخلقَ من العدم، وهيَّأَ الأسبابَ لحياتهم في الدُّنْيا وفي الآخرة.

ومِن ذلك: قوله -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٥٧: إن الشَّمس لم تَزل تجدَّد وزْنُها وحجمها؛ فجعل للشَّمس تَصرُّفًا في نفسها بتَجديد الوزن والحجم، وذلك شِركٌ بالله تَعالىٰ.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٦٨: وهل تَعلم أن من علماء الهيئةِ المُسلمين الذين رصَدوا وألَّفوا وسَهِروا اللَّيالي الطُّوال في مُناجاة النُّجُوم ورصْد حركاتهم وسكناتِها، والناسُ نِيام، والعالَم في غَفوة وغفلة: الشيخ أبو جَعفر نَصير الدِّين مُحمَّد بن الحسن الطُّوسِي الفَيْلَسُوف.

فجعل نَصيرَ الشِّرْك مُسلِمًا مع تصريحه بأنه كان يَسهر الليالي الطوال في مُناجاة النُّجُوم. ومناجاةُ النُّجُوم شِركٌ بالله تَعالىٰ. وقد تقدَّم إيضاحُ ذلك في موضعه بما أغنىٰ عن إعادته ههنا.

وأَيْضًا، فقد جعل العالَم كلَّه في غَفوة وغَفلة، وجَعل نصيرَ الشِّرْك هو المُتيقِّظَ المُتنَبِهَ وَحده؛ لأنه كان يَسهر الليالي الطوال في مناجاة النُّجُوم. وقد تقدم التنبيهُ علىٰ هذا التهوُّر، فليُراجَع في موضعه.

ومن ذلك: ما نقله فِي صَفْحَةِ ٧٤ عن ابن باديس أنه قال في الشَّمس: إنها

هي الَّتي أَبصَرَت القمرَ.

فأضاف أبصارَ القَمَر إلىٰ الشَّمس، وذلك شركٌ بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ هو الذي جعل الضِّياء في الشَّمس، وجعله يمتدُّ منها إلىٰ القمر، ويَنعكس منه إلىٰ الأرض، وذلك كلُّه خَلْق الله وفِعلُه، فلا يُضاف إلىٰ غيره.

ومن ذلك: ما فِي صَفْحَةِ ١١٣ حيث سأل اللهَ تَعالىٰ أن يشفع له بكتابه، تَعالىٰ الله وتقدَّس عن قوله.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ١١٧-١١٨: عِلم الفلك يَبعث الإيمانَ ويَزيده ويدعو إلىٰ تَعميق جذوره في قلب الإنسان. وأنه قد قيل: إن أشدَّ الناس إيمانًا بالله هم علماء الطِّبِّ وعلماءُ الفَلَك.

وهذه إحدىٰ الكُبَر من الصَّوَّاف لو كان يَعلَمُ ما يقول.

إلىٰ غير ذلك مِن العبارات المُنكَرَة في كتاب الصَّوَّاف، وقد تقدَّم الرَّدُّ عليها مُفصَّلًا في مواضعه من هذا الكتاب سوىٰ الأخير من أقواله، فسيأتي الرَّدُّ عليه قريبًا إن شاء الله تَعالىٰ.

وأما الهَذَيان والسَّخافات المُضحِكَة فكثيرة جدًّا في كتابه.

فمن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٣٨: إن الأرض تدور حول الشَّمس في فلَكٍ يَبلغ محيطه ٥٨٠ مليون مِيل، فمُعدَّل سرعتنا في هذه الحركة يبلغ ٦٠ ألف ميل في السَّاعة أو بنحو ألف ميل في الدقيقة. والنظام الشَّمسي كلُّه بما فيه الأرض

يَنهب الفضاءَ نَهبًا بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في السَّاعة، أي أكثر من ٣٠٠ ميل في الدقيقة، متَّجهةً نحو برج هركيوليس.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٣٨: أما عُمر الأرض فقد بدأ الإنسانُ تَكهُّنَاته عنه من آماد بعيدة؛ ففي القرن السَّابع عشر قال أحد المُفكِّرين واسمه «جيمس أوثر»: إن العالَم بدأ يوم ٢٦ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد. وجاء في أحد الكُتب الهندية المقدَّسة أن عمر العالَم هو ١.٩٧٢.٩٤٩.٠٥٦ سنة. وفي العَصر الحديث بدأت الجُهود الَّتي يبذلها الفلكِيُّون في المراصد تَلتقي عند أدَقِّ رقم يُمكن أن يُعتبَر أصحَّ تقدير لعُمر الكرة الأرضية. فقد دلَّت آخرُ التقديرات القائمة علىٰ دراساتِ فَلكية وأبحاث علميَّة في مراصد ليك ومونت ويلسون وبالومار علىٰ أن عُمر الكرة الأرضية حوالي (٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠) سنة. ونسبة الخَطأ في تقدير هذا الرقم يقرب من ٢٠٪.

ويعتمد الفلكيُّون في عمر الكرة الأرضية علىٰ النَّظرية القائلة بأن شيئًا حَدَث في الفضاء في قديم الزمان جعل المادةَ تَتناثر من مَركزٍ مُشترك واحد. وقد دلَّت الدراسة الَّتي استمرت ٢٠ عامًا للضوء المنبعث من الكَواكِب البَعيدة علىٰ أن هذه الكَواكِب لا تزالُ مُمعِنَةً في الابتعاد في الفضاء. وأن سرعتها تزداد كلما ازداد ابتعادها. وقد قضىٰ الفلكيون في معرفة ذلك سبعةَ أعوام بالمراصد المذكورة يُراقبون ٨٠٠ كوكبًا و٢٦ مجموعة من الكَواكِب.

ومن ذلك: ما فِي صَفْحَةِ ٣٩ عندما ذكر تَخَرُّصات المُتخرِّصين عن الأرض ومعرفة تاريخها ونشأتها وعُمرها، وكيف تكوَّنت طبقاتُها، وما طرأ علىٰ كل طبقة من تغيير. قال: وكل هذه الدراسات تُضيف في كل لحظة وحين أدلَّةً مُشرِقَةً علىٰ عظمة الخالق ووجود الصَّانع.

فجعل التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة من أعداء الله تَعالىٰ أدلَّة مُشرقة علىٰ عظمة الخالق ووجود الصَّانع. هذا مبلَغ عِلمه وحاصِلُ عَقلِه.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٤٣: وليس هناك أبلغُ ولا أدَقُّ مما يقوله حُجَّة عِلم الفلك العالِمُ «سيمون» مِن أنَّ أعظم الحقائق الَّتي اكتشفها العقلُ البَشري في كافَّة العصور هي حقيقةُ أن الشَّمس والكَواكِب السيَّارة وأقمارها تَجري في الفضاء نحوَ بُرج النسر بسرعة غير معهودة لنا علىٰ الأرض، يكفي لتَصويرها أننا لو سِرْنا بسرعة مليون ميل يوميًّا، فلن تصل مجموعتها الشَّمسية إلىٰ هذا البُرج إلَّا بعد مليون ونصف المليون سنة من وقتنا الحاضر. ثمَّ قال: أليست هذه إحدىٰ معجزات القرآن العلمية؟!

فانْظُر إلىٰ هذه الجراءة العظيمة علىٰ القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه بغَير عِلم.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٥٥: وقد ذَكر علماءُ الجُيولوجيا أن الأرض بعد انفصالها عن الشَّمس كانت تَدور حول نفسها بسُرعة أكبر مما هي عليه الآنَ، إذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرَّة كلَّ أربع ساعات؛ فالليل والنهار كانَا

في مجموعهما أربع ساعات فقط. وبتوالي النَّقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدة الَّتي تتم فيها دورانها هذا. فزادت مدة اللَّيل والنهار إلىٰ خمس ساعات ثمَّ ستٍّ، حتىٰ وصلت إلىٰ أربع وعشرين ساعة، وهي الَّتي نحن عليها الآن. وقد أظهر بعضُ العلماء أنه تمكَّن من احتساب النَّقص في سرعة دوران الأرض، فوجد أن هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين ألف سنة. وعليه فبَعد ٤٣٢ مليون سنة يَنقص دوران الأرض بمقدار ساعة، وعندئذ يصبح مَجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة. وهكذا يتوالىٰ النقص ويطرد طول الليل والنهار. وعلىٰ هذا الأساس يقول العلماء: إن الأرض لابُدَّ أن تَقِفَ يَومًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بذلك اليوم. وعند وُقُوفها يُصبح الوجهُ المُقابل للشمس نهارًا دائمًا، والوَجهُ البَعيدُ عنها ليلًا دائمًا، وهذا ما أشار إليه الرَّبُّ في كتابه العزيز.

فانظر إلىٰ هذه الجراءة العظيمة علىٰ القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه بغَير علم.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٥٧: هذه الشَّمس هي آية من آياتِ الخالق، وإن هي إِلَّا آية صغيرة تَزخر السَّمَاءُ بملايين من النُّجُوم أضخم منها حجمًا وأكبر سرعة وأكثر تألُّقًا. وقد قال علماء الفلك: إنما هي كرة هائلة من الغازات المُلتهبة. قُطرُها يزيد عن مليون وثلث مليون كيلو متر. ومُحيطُها مثل محيطِ الأرض ٣٢٥ مرة، ويبلغ ثِقَلُها ٣٣٢ ألف ضعف ثقل الأرض. وحرارة سطحِها نحو ٦٠٠٠ درجة سنتجراد.

وهذا السطح تَندلع منه أَلْسِنةُ اللَّهب إلىٰ ارتفاع نصف مليون كيلو متر. وهي تنثر في الفضاء باستمرار طاقة قدرها ١٦٧٤٠٠ حصان من كل متر مربع. ولا يحصل للأرض منها إلَّا جزء من مليوني جزء. وهي لا تعتبر إلَّا نِجمة، ولكنها ليست في عِداد النُّجُوم الكبرىٰ. وسَطحُها به عَواصِفُ وزَوابِعُ كهربائيَّة ومغناطيسية شديدة.

والمشكلة الَّتي حيَّرت العلماءُ هي أن الشَّمس -كما يُؤخذ من عِلم طبقات الأرض- لم تَزل تشعُّ نَفسَ المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين. فإن كانت الحرارة الناتجة عنها نَتيجة احتراقها فكيف لم تَفْنَ مادَّتُها علىٰ توالي العصور؟! فلا شكَّ أن طريقةَ الاحتراق الجارية فيها غير ما نَعهد ونأْلَفُ، وإلا لكفاها ستَّة آلاف سنة؛ لتَحترق وتَنفد حرارتها. وقد زعم البعضُ أن النَّيازك والشهب الَّتي تَسقط علىٰ سطحها تُعوِّض الحرارةَ الَّتي تفقدها بطريق الإشعاع.

ومِن ذلك: ما ذكره فِي صَفْحَةِ ٥٨-٥٩-٦٠ من الإعلانات لبَعض الإفرنج المعاصِرين عن انفجارات حدَثت في الشَّمس في سنة ١٩٥٦ و١٩٥٧ ميلادية. منها ما يُعادِلُ القُوَّة الناجمة عن تَفجير مليوني قنبلة هيدروجينية، وأنه حدث في منطقةٍ أكبر بكثير من مساحة الكرة الأرضية. ومنها ما يُعادل انفجارَ مائة مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٦٠: (سكون الشَّمس وجريانها).

فجمع بين النَّقيضين.

ثم قال: والذين قالوا بقرارها قالوا: هي ثابتة ومتحركة في آنٍ واحد. ثابتة علىٰ محورها الذي أرساها اللهُ لها، ومُتحرِّكة حول هذا المحور، أي: هي دائرة حول نفسها، ومَثلها مثَل المروحة السقفية الكهربائية، فهي ثابتة في سَقفها وهي متحركة حول نفسها، وهؤلاء استدلوا بقولهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وفسَّروا المُستقِرَّ بالمِحور. وقد قال بهذا القول رجالٌ مِن سلَفِ هذه الأمَّة الخِيار.

فانظروا إلىٰ هذه الجراءة علىٰ كتاب الله وحَملِه علىٰ غير ما يُراد به.

وانظروا -أَيْضًا- إلىٰ الافتراء علىٰ السَّلف الخيار من هذه الأمة، ونِسبَةِ القول الباطل إليهم وهم براءة منه، وإنما هو مِن أقوال المتبعين لأهل الهَيْئة الجَدِيدة المَفتونين بتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة.

وقد نقَض الصَّوَّافُ ما قرَّره في هذا الموضع مِن ثبات الشَّمس وتشبيهها بالمروحة السقفية الكهربائية، بما قرره فِي صَفْحَةِ ٩٩ وصفحة ١٠٠ أن الشَّمس تَسير في كلِّ بُرج شَهرًا، وأنها تقطع البُروجَ كلَّها مرَّةً في السَّنَةِ.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٦٧: أكْتَفي بهذا المِقدار من النَّقل، ولا أريد أن أسْتَرْسِل، إلَّا أني أوَدُّ أذكر كيف أن العلماء تكلَّموا في الشَّمس والقَمَر، وتكلَّموا

في النُّجُوم الثوابت والسَّيارات، وقدَّروا الأبعاد بين الأرض والشَّمس، وقدَّروا مِقدار ضخامة الشَّمس عن الأرض، وأن الشَّمس أكبَر مِن الأرض بمليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة. وأن الشَّمس تَبعُد عن الأرض بأربعة وثلاثين مليون فَرسَخ فرنسي.

والخُلاصة: أنهم لم يَترُكوا بَابًا إِلَّا طرقوه، وسواء كانوا مُخطئين في تقديراتهم أم مصيبين، فإنهم اجتهدوا في علُوم الكون، وتكلَّموا فيها علىٰ حسَب ما وصل إليه عِلمُهم. وما صنعوا ذلك إِلَّا بوحيٍ مِن دينهم، وأمَلًا في خِدمة هذا الدِّين الذي وَهَبُوه كلَّ شَيء: حياتهم وأَموالهم وجُهدهم وعلمهم وجهادهم وسَهرهم وعرقهم في سبيل الوصول إلىٰ الحقائق العلمية الَّتي تدعو إلىٰ الإيمان بالله العظيم. ورَحِم اللهُ علماءنا الأعلامَ، وجزاهم عما قدَّموا خير ما يجزي عامِلًا عن عمله.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٧١ يقول اللورد افبري: إنَّ سَطح القَمَر صَحاري وقِفار، تَتناهض فيها البَراكين الخامدة، وجِبالُه ضَخمة عظيمة، يبلغ ارتفاعُها ٤٢ قَدَم بزيادة تقرُب من ١٣ ألف قدم علىٰ أعلىٰ جبل علىٰ سطح الأرض. وفُوهَّات البراكين هائلة العظَمة، يَبلغ قطرُها ٧٨ ميلًا. ويقولون: إنَّ جبال القَمَر أقدم بكثير مِن سَلاسل الجبال الأرضية بملايين السنين.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٧٨: واتَّفق علماءُ الفَلَك في العصر الحديث

بعد الاكتشافاتِ والبُحوث العلمية أن جرْمَ القمر -كالأرض- كان منذ أَحقاب طويلة وملايين السنين شَديدَ الحمو والحرارة ثمَّ برد، فكانت إضاءته في زمانِ حموه وزالت لما بَردَ.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ٨٣**: إن الخيالَ لا يُمكِن أن يتصوَّر أن مرصد كاليفورنيا التقط أخيرًا صورةً عمرها ستة آلاف مليون سنة. إن علماء الفلك أعلنوا حديثًا أن هذه الصورة العَجيبة أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم، واستمرَّت رحلتُها ستَّة آلاف مليون سنة؛ لتَصل إلىٰ الأرض. وحقائق أُخرىٰ غريبة اكتَشَفها الإنسانُ، تؤكِّدُ كلُّها أن الأرض ما هي إلَّا فقاعَة في مُحيط. حقائق أقلُّ ما تُوصف به أنها مُذهلة مذهلة.

ثمَّ ذكر فِي صَفْحَةِ ٨٣ وما بعدها إلىٰ آخِر صفحة ٨٧ هذيانًا كثيرًا لبعض الفلكيين من الإفرنج. حاصله أن بعضهم قال: إن الشَّمس تُرسل موجات راديو، وأنهم اكتشفوا نِجمةً جديدة قويَّة تَبعُد عن الأرض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية. وأنهم في عام واحد اكتشفوا ٣٥ منها أطلقوا عليها اسم أشباه النُّجُوم. وأن الضوء في انتقاله إلينا من أشباهِ النُّجُوم يَستغرق في الرحلة ستة آلاف مليون سنة. ولذلك فالمَنظر الذي نراه اليومَ لهذه الأجرام السَّماوية النائية، هو المَنظر الذي كانت عليه منذ ستَّة آلاف مليون سنة. وفي ذلك الوقت لم تكن الشَّمس ولا المَجموعة الشَّمسية مَوجودة بعدُ، إذ إن عُمرَ الشَّمس هو خمسة آلاف مليون سنة فقط، كما يقولون.

إلىٰ أن قال: وقد خَرَج العلماء بعد هذا بثلاث نظريات علميَّة مثيرة. إن هذه النظريات تقول: إن الكَواكِب الأُخرىٰ مَسكونة، وأن سكَّانها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاق سُفن الفضاء وتفجير القنابل الذَّرية. إن هذه النظرية أشبه بالخيال.

الشَّمس ليست إِلَّا نجمة من النُّجُوم المتوسطة. والمجموعة الَّتي تنتمي إليها الشَّمسُ فيها (١٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) أي: مائة ألف مليون نجمة، وبالكَون آلاف الملايين من مِثل هذه المجموعات. وبين الرَّقم المجهول الذي ذكرناه للنُّجوم توجد عشرةُ آلاف مليون نجمة تؤلِّف حولها أسرًا؛ كأسرة الشَّمس، أي: تُوجد عشرة آلاف مليون نجمة تدور حولها الكَواكِب.

ثمَّ ذكر الصَّوَّاف أنه نَقَل الهذيان من جريدة المَدينة عدد ٦٤٨-٦٠٤.

ومن ذلك: ما نقله فِي صَفْحَةِ ٩٣ عن «تفسير طنطاوي جوهري»(١) أنه

---

(١) طنطاوي بن جوهري المصري: فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد سنة (١٨٧٠م)... وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية، وعني بدراسة الإنكليزية، ومارس التعليم في بعض المدارس الابتدائية، ثم في مدرسة دار العلوم، وألقىٰ محاضرات في الجامعة المصرية، وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتابًا في (نهضة الأمة وحياتها - ط) نشره تباعًا في جريدة اللواء، وانقطع للتأليف، فصنف كتبًا أشهرها (الجواهر في تفسير القرآن الكريم - ط) في ٢٦ جزءًا، نحا فيه منحىٰ خاصًّا، ابتعد في أكثره عن معنىٰ التفسير، وأعرق في سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير، توفي سنة (١٩٤٠م). «الأعلام» (٣/ ٢٣٠).

قال: كيف تُجعل الكَواكِب الَّتي عُدَّت بمئات الملايين؛ كأنها دُرَرٌ مُرَصَّعة في سَقفنا... إلىٰ أن قال: فالشَّمس مِن تلك الشُّموس تشرف علىٰ سياراتها وعلىٰ أراضيها، ثمَّ هي من جهة تُجعل زينةً في سماء كل شمس وكل أرض وكل سيارة، وكما أن الكَواكِب مرصَّعة في سمائنا فإن شمسَنَا مُرصَّعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكرات.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ٩٧**: يقول علماء الفلَك: إن من النُّجُوم نُجومًا سوف لا يَصل نورُها إلىٰ كُرَتِنا الأرضية في أقل من ألف وخمسمائة مليون سنة ضوئية، مع العلم بأن الضَّوء يسير في الثَّانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر. ويَصل في سَيْره إلىٰ القَمَر في قدر ثانية وثلث الثَّانية. ولو جرىٰ حول الكُرة الأرضية لدار حولها في الثَّانية الواحدة ثماني مرات. ولو أُطلق مَدفع فإن قنبلة تَجري وتسير نحوَ سنة ونصف السَّنَة حتىٰ تقطع المسافة الَّتي يقطعها الضوءُ في ثانية واحدة.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ٩٨-٩٩**: يقول علماء الفلك: إن الشِّعرىٰ اليمانية أثقلُ مِن الشَّمس جرمًا بعشرين مرة، ونورُها خمسون ضعف نور الشَّمس، وهي أبعدُ منها مليون ضعف بُعدِها عنَّا، وإن الشِّعرىٰ اليمانية تَجري بسرعة ألف ميل في الدقيقة، والشعرىٰ اليمانية أسطع من خمسين شمسًا كشمسنا، ولا يصل إلينا نورُها إِلَّا في ستة عشر سنة. ولا يصل من نُورِها إلينا إِلَّا واحد مِن ألفي مليون منه، وثلاث من بنات نعش يفقن الشَّمس نورًا، واحدة

منهن أربعمائة ضعف، والثَّانية أربعمائة وثمانين، والثَّالثة ألف ضعف، وسُهيل أضوأ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة، والسماك الرَّامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشَّمس، ولا يصل إلينا ضوؤه إلَّا في سَنَة.

ومن ذلك: ما نقله فِي صَفْحَةِ ١٠١ عن موسىٰ جار الله أنه قال في كتابه «ترتيب السور الكريمة»: زهَقَت الهيئةُ القديمةُ، وجاء النظامُ الحقِّ، نِظام السموات الَّتي رفعها اللهُ بغَير عَمَد تَرَونها. وهذه السموات لها مَنظومات. منها منظومة شمسنا هذه بسياراتها التسع. وشمسنا هذه ليست مِن كبار الشموس، ومنظومتنا هذه ليست مِن كبار المنظومات، وكل مَنظومة من هذه المنظومات يسميها القرآنُ بُرجًا. والسَّمَاء الَّتي تحوي كلَّ هذه المنظومات يسميها القرآن الكريم السَّمَاء ذات البروج، بها أقسم الله في كتابه الكريم سورة البروج. وهذه السَّمَاء ذات البروج الَّتي تَحوي كل هذه المنظومات يَحدُث خلال منظوماتها كلَّ يوم انشقاقات. وبتلك الانشقاقات يَحدُث في المجرة وخارجها سَموات. وللإشارة وللإرشاد وإلىٰ مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وُضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ١٠٣: يتضمن هذا الكونُ خمسمائة مليون مليون من المجرَّات كما يُقدِّر علماءُ الفَلَك. وفي كل مجرَّة مائة ألف مليون نَجم. وأن أقرب مجرَّة إلىٰ الأرض تلك الَّتي نشاهد جزءًا منها كخطٍّ أبيض في الليل تَمتدُّ مساحتُها مائة ألف عام بالنسبة إلىٰ عام الضوء. ونحن سكَّان الأرض

نبتعد عن هذه المجرَّة مقدار ثلاثين ألف عام من الضوء. ثمَّ إن هذه المجرَّة جزءٌ لمَجرَّة كبيرة تتضمن سبعَ عشرة مجرة، وتمتد أبعاد هذه المَجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء.

ثمَّ إن هناك حَركة أخرىٰ غير هذه الدورات، وهي أن الكونَ كلَّه يتوسَّع ويتضخَّم مثل الكرة في الجوانب الأربعة. والشَّمس تجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلًا في ثانية نحو الجانبِ الخارجي لمجرَّته، وتقود كل ما يتبع النظام الشَّمسي. وكذلك النُّجُوم كلُّها تتوجه إلىٰ أيِّ جانب بسرعة متزايدة مع متابعة دورانها، فمنها ما يبلغ سيره ثمانية أميال في كل ثانية، وما يبلغ سيره ثلاثة وثلاثين ميلًا في ثانية، وأربعة وثمانين ميلًا في ثانية. وهكذا نجد النُّجُوم كلها متَّجِهَةً نحوَ الأمام.

ومن ذلك: أنه ذكر فِي صَفْحَةِ ١٠٧ آيتين في ذكر السَّموات السبع، ثمَّ قال فِي صَفْحَةِ ١٠٨: إن التَّقدُّمَ الذي أحرزه العلمُ الفزيقي، وظهور الكشوف العلمية الحديثة في الفلَك قد مكَّنت العلماء مِن فَهْم هذه السموات السبع والأراضي السبع. فقد أثبت العِلمُ بأن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم، إنما هي سموات فوق سموات، تتألَّف منها عوالم الكون. يقول العالِم الفَلَكي «أرثر فندلاي» في كتابه «علىٰ حافة العلم الأثيري»: إنَّ العِلمَ أثبت أن السموات السَّبع هي أفضية مُناسبة يتبَعْثَر خلالها، ويَرتدُّ ضَوء الشموس السَّبع الأثيرية الَّتي تحيط بالشَّمس الفزيقية من كل جانب. وأكَّد أن

الأراضي السبع هي كُرات أثيرية تحيط بالكرة الأرضية وتتخللها.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ١١٤**: إن الكثير مِن شبابنا اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ مثل هذه الكتب -يعني كتابَه وما أشبه من الكتب المضلة- لتُلقي لهم ضوءًا علىٰ ماضيهم المشرق، وتكشف لهم الحجابَ عن حضارتهم الرَّائعة الَّتي طمسها الأعداء أو كادوا.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ١١٧**: ومِن هذا المنطلق وَجدتُ نفسي مُضطَرًّا إلىٰ توسيع هذا الكتاب إلىٰ الحد الذي وصل إليه، لعلي أُساهِمُ بجُهدِ المُقلِّ في بَثِّ الوعي الإسلامي بإلقاء شيء من الأضواء علىٰ علم خطيرٍ من العلوم الَّتي اشتغل بها علماؤنا الأعلام -رضي الله عنهم وأرضاهم- حتىٰ كانوا أئمة فيه، ألَا وهو عِلْم الفلك.

فهذه نماذج مما في كتاب الصَّوَّاف مِن الهَذيان والسَّخافات الَّتي يَضحَك منها كلُّ عاقل، وقد تقدَّم الرَّدُّ عليها مُفصَّلًا في مواضعه مِن هذا الكتاب سوىٰ الأخير من أقواله، فسيأتي الرَّدُّ عليه قريبًا إن شاء الله تَعالىٰ.

وإذا عُلم ما ذكرنا من هذه النماذج السَّخيفة، وما قبلها من العبارات البَشِعة المنكرَة جدًّا، فلا يقول: إنَّ الكثير من شبابنا اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ الكتاب الذي قد اشتمل عليها وعلىٰ أضعاف أضعافها من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة، وإلىٰ أمثاله من الكتب المضلة؛ لتُلقي لهم ضوءًا علىٰ ماضيهم

المشرق، وتكشف لهم الحِجابَ عن حضاراتهم الرَّائعة - إلَّا مَن هو في غايةِ الجهل والغباوَة، ومَن لا يَعرف الفَرقَ بين الكتب النافعة والكتب الضَّارَّة.

الوجه الثَّالث: أن الله تَعالىٰ ذمَّ التَّخرُّص واتباعَ الظن بأبلغ الذَّمِّ، فقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

وفي الحديث الصحيح عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحَدِيث» رواه مالك وأحمدُ والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وقد خالَف الصَّوَّاف ما ذكرنا من الآيات والحَديث الصَّحيح، حيث حَشَا كتابَه من تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، ولم يَكتفِ بالمخالفةِ لِما جاء عن

(١) أخرجه مالك في (٣٣٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (١٩٨٨)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله تَعالىٰ ورسوله صَلَّآللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بل ضَمَّ إلىٰ ذلك التَّرغيبَ فيما ذمَّه الله ورسولُه صَلَّآللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، حيث زعم أن الكثيرَ مِن الشَّباب اليومِ في حاجة ماسَّة إلىٰ كتابه وأمثاله من الكتب المُشتملة علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة، وهذا عَين المحادَّة لله ولرسوله صَلَّآللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

الوجه الرَّابع: قد تقدَّم في أول الكتاب أحاديثُ كثيرة في الخَوف من التصديق بالنُّجُوم، والنَّهيِ عن النَّظر فيها، وعَن مُجالسة مَن يَنظُر فيها، والأمْر بالإمساك إذا ذُكِرَت، وأنَّ مَن اقْتَبَس بَابًا مِن علم النُّجُوم لغير ما ذكر الله، فقد اقتبس شُعبةً مِن السِّحرِ. وحديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا، وفيه: «وتَعلَّموا مِن النُّجُوم ما تَهتَدُون به في ظُلمات البَرِّ والبَحر، ثمَّ انْتَهُوا»(١). وحديث عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بنحوه(٢). وحديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا «رُبَّ نَاظِرٍ في النُّجُوم ومُتعَلِّمٍ حُروفَ أبي جاد ليسَ له عند اللهِ خَلاقٌ»(٣).

وقد خالف الصَّوَّاف جَميعَ ما أشرنا إليه من الأحاديث الَّتي سبق ذكرُها في

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٣٨) (١٥٩٤) من طريق حميد بن زنجويه. قال ابن رجب: «وفي إسناد رواته ابن لهيعة». انظر: «مجموع الرسائل» (٣/ ١١)، وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٠) (٢٥٦٤٩)، ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٩١) (١٤٧٤)، وقد سبق تخريجه.

(٣) قال الألباني: «موضوع». انظر: «الضعيفة» (٤١٧)، وقد سبق تخريجه.

أول الكتاب، حيث رغَّب الناسَ في كتابه الذي قد اشتمل علىٰ التَّخَرُّص في النُّجُوم، وزعم أن الكثيرَ من الشباب اليوم في حاجة ماسَّةٍ إليه وإلىٰ أمثاله من الكتب المُضِلَّة، ولقد أحسَن الشَّاعِرُ حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرءِ في أيَّام مِحنَتِه ... حتَّىٰ يَرىٰ حَسنًا مَا ليس بالحَسَن

وأحسَن مِن ذلك وأبلَغُ قولُ الله تَعالىٰ: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)** ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

الوَجه الخامس: ذكَر الحافظ ابنُ رَجب -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في كتابه «بيان فَضْل عِلم السَّلف علىٰ عِلْم الخَلف»(١) حديثَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «رُبَّ نَاظِرٍ في النُّجُوم ومُتعَلِّمٍ حُروفَ أبي جاد، لَيس له عند الله خَلاق» ثمَّ قال: وهذا مَحمولٌ علىٰ علم التأثير، لا علم التَّسيير، فإن علم التأثير باطلٌ مُحرَّم، والعمَل بمقتضاه -كالتقرب إلىٰ النُّجُوم وتقريب القَرابين- لها كُفرْ. وأما عِلمُ التَّسيير فإذا تعلَّم ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القِبلة والطُّرق كان جائزًا عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجةَ إليه، وهو يشغلُ عما هو أهمُّ مِنه. وكذلك التَّوسُّع في علم الأنساب، هو مما لا يُحتاج إليه، وقد سبق عن عُمر وغيره النَّهيُّ عنه.

---

(١) (ص٢).

قلتُ: قد تقدَّم حديثُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في أول الكتاب، وتقدَّمت الإشارةُ إليه في الوجه الرَّابع.

قال ابنُ رَجَب(١): وكذلك التَّوسُّع في علم العربيَّة لُغةً ونَحوًا، هو مما يشغلُ عن العِلم الأهم، والوُقوف معه يحرِم عِلمًا نافعًا. وقد كَرِه القاسم بن مُخيمرة علمَ النحو وقال: أوله شُغل وآخره بَغي. وأراد به التَّوسُّع فيه. وكذلك كره الإمام أحمدُ التوسع في معرفة اللُّغة وغريبها، وأنكر علىٰ أبي عُبيد توسُّعَه في ذلك، وقال: هو يشغل عما هو أهمُّ منه.

ولهذا يُقال: العَربية في الكلام كالمِلْح في الطَّعام، يَعني أنه يُؤخذ منها ما يُصلِح الكلامَ، كما يُؤخذ من المِلح ما يُصلِح الطَّعامَ، وما زاد علىٰ ذلك فإنه يُفسِدُه. وكذلك عِلم الحساب يحتاج منه إلىٰ ما يُعرف به حسابُ ما ينفع من قَسم الفرائض والوَصايا والأموال الَّتي تُقسم بين المستحقِّين لها، والزوائد علىٰ ذلك مما لا يُنتفع به إِلَّا في مجرَّد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه، ويشغل عما هو أهم منه.

وأما ما حدَث بعد الصَّحَابَة مِن العُلوم الَّتي توسَّع فيها أهلها وسموها عُلومًا، وظنوا أنَّ مَن لم يكن عالِمًا بها فهو جاهل أو ضالٌّ، فكلُّها بِدعَة، وهي مِن مُحدَثَات الأمور المَنهِي عنها.

---

(١) (ص٣).

ثمَّ ذكر مِن ذلك ما أحدَث المُعتزلة من الكلام في القدَر وضَرب الأمثالِ للهِ، وما أحدثَه أهلُ الرَّأي من الضَّوابط والقواعد العَقليَّة، والجدال والخِصام والمِراء في مسائل الحلال والحرام. وكذلك ما أحدَثَه غيرُهم مِن الكلام في العُلوم الباطنة مِن المَعارف وأعمال القُلوب بمُجرَّد الرَّأي والذَّوْق والكَشْف.

قلتُ: ومِن ذلك ما أحدثه أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم مِن الكلام في الأرْض والسَّموات والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم بمجرَّد التَّخَرُّصات واتباع الظُّنُون الكاذبة والتَّعاطي لِما استأثر اللهُ به مِن علم الغيب. وهذا هو الذي أودَعه الصَّوَّاف في كتابه وزعم أن الكثيرَ من الشباب اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ معرفته، وهذا إن لم يكن شَرًّا مِن علم التأثير -الذي لا خِلاف في تحريمه- فليس بدُونه.

وإذا كان التَّوسُّع في عِلم النَّسب والنَّحو واللُّغة والحِساب مَكرُوهًا عند بعض علماء السَّلف، وكذلك التَّوسُّع في عِلم النُّجُوم، قد ورَد النَّهي عنه، كما تقدَّم في حديث أَبي هُريرَةَ المَرفوع، وحديث عُمر الموقوف، فماذا يُقالُ فيمن يُرغِّب الناسَ فيما نَهىٰ اللهُ ورسولُه ﷺ عنه مِن التَّخَرُّصات واتباع الظُّنُون الكاذبة، والتعاطي لعِلم الغيب؟

الجواب: أنْ يُقالَ: لا شكَّ أن هذا مِن المُحادَّة لله ولرسوله ﷺ، واتِّباع غَير سَبيل المؤمنين، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا**

تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٥: ووَجَدْنا إلىٰ أبوابِ جَهنَّم هم مِن جلدتنا، ويتكلمون بألسِنتنا، مَن أجابهم في دعوتهم الضَّالَّة، وفِتنَتِهم المُضلِّلة قَذَفوه فيها، وأَلْقوه في الحَميم، وتركوه في الجَحيم.

والجواب أنْ يُقالَ: أما تَخشىٰ -يا صَوَّافُ- أن تَكونَ من هؤلاء الدُّعاة إلىٰ أبواب جهنم وأنت لا تَشعُر؟ أما عَلمتَ أن رِسالَتَك في علم الفَلَك قد اشتمل أكثر مباحِثِها علىٰ مُخالفةِ الكتاب والسُّنَّة والإجماع؟ وما كان ذلك فهو مِن أعظم أسباب الضَّلال الذي يدعو إلىٰ جهنم. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٥: ولا يَصلح آخرُ هذه الأمة إِلَّا بما صَلح به أوَّلُها.

والجواب أنْ يُقالَ: وهل ظَننتَ -أيها الصَّوَّاف- أن صلاحَ أوَّل هذه الأمَّة إنما كان بالاشتغال بعلم الفَلَك، وإنشاء المَراصد الذي أَلَّفْتَ كتابَك لتأييده، وحَشَوْتَهُ مِن تَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة وأقوالهم الباطلة، وزعمتَ في أوله أن علْمَ الفلك كان مِن أول العلوم الَّتي لفَتَت أنظارَ العُلماء المسلمين، وجَلَبَت اهتمامهم وعنايتَهم بها، ثمَّ زعمت في آخره أن الكثيرَ مِن الشباب اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ مثل كتابِكَ؟!

كَلَّا، بل إنما كان صلاحُ أوَّل هذه الأمة بالتَّمسك بكتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبذلك ظَهَروا علىٰ الأمم في مَشارق الأرض ومغاربها، وعلَت كلمةُ الله، وظَهر دينُه علىٰ الدِّين كله. ولم يكن أحدٌ مِنهم يشتغل بعلم الفَلك أو يلتفتُ إليه. وإنما ظهر الاشتغالُ بعِلم الفلك في زمن المأمون حين عُرِّبت كتبُ الأوائل ومَنطق اليُونَان، فظهر الضَّعفُ في المسلمين منذ ذلك الزَّمان، وما زال الضعفُ يَزداد فيهم شيئًا فشيئًا بقَدر إعراضِهم عن الكتاب والسُّنَّة، وإقبالِهم علىٰ العُلوم المُرْدِيَة المُهلِكَة، حتىٰ

آلَ الأمرُ بكثيرٍ منهم إلىٰ الرِّدَّة والانسلاخِ مِن دِين الإسلام بالكُلِّيَّة، كما أخبر بذلك الصَّادق المصدوقُ -صلوات الله وسلامه عليه- في قوله: «إنَّ النَّاسَ دَخلوا في دِينِ الله أفواجًا وسيَخْرُجُون منه أفواجًا» رواه الإمام أحمدُ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١).

وروىٰ الحاكِم في «مستدركه» من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه، وقال الحاكِمُ: صحيح الإسناد، ووافقه الذَّهبيُّ في «تلخيصه»(٢).

وقد تقدَّم في أول الكتاب كلامُ شَيخ الإسلام أبي العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ في المأمونِ بسَبب ما أدخله علىٰ هذه الأمة من العُلوم الفلسفيَّة. وكلام الذَّهبي والمَقريزي في ذلك -أَيْضًا-، فليُراجع، فإنه حسَنٌ جِدًّا.

وإذا عُلم أن صلاحَ أول هذه الأمَّة، إنما كان بالتَّمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليُعلَم أن صلاح آخرِ هذه الأمة إنما يكون بذلك.

واللهُ المَسئول المَرجُو الإجابة أن يُصلحَ أحوالَ المسلمين، وأن يرزُقَهم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣)، وغيره من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣١٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤١) (٨٥١٨)، والدارمي في «سننه» (٩١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده من لا يعرف.

الرُّجوعَ إلىٰ ما كان عليه أوَّل هذه الأمة، وأن يَنصُرَ دِينَه، ويُعلِيَ كَلِمَتَه، ويُظهر دينَه علىٰ الدِّين كله ولو كره المشركون.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٧ عن القرآن: إنه كتاب أَبَدِيٌّ سَرمَدِي، أُنزِل للخُلود والبقاء، وليكون دِينًا أَبدِيًّا للإنسانية جمعاء.

والجواب أنْ يُقالَ: أما قوله: إن القرآنَ أُنزل للخلود والبقاء فهو مَردودٌ بما رواه ابن ماجَهْ في «سُنَنِه» بإسناد صحيحٍ، والحاكمُ في «مستدركه» من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «يُسْرَىٰ علىٰ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في لَيلَةٍ، فلا يَبقَىٰ في الأَرْضِ مِنه آيَةٌ» الحديثَ، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[1].

وفي «صحيح ابن حبان» من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «يُسْرَىٰ علىٰ كتابِ اللهِ، فَيُرْفَعُ إلىٰ السَّمَاء، فلَا يَبقَىٰ في الأَرْضِ مِنه آيَةٌ»[2] الحديث.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢٠) (٨٤٦٠)، وغيرهما من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٦٦) (٦٨٥٣)، وغيره من حديث أبي

وروىٰ الحاكمُ -أَيْضًا- عن عبد الله بن مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: (إن هذا القرآنَ الذي بين أظْهُرِكُم يُوشكُ أنْ يُرفَع. قالوا: وكيف يُرفع وقد أثبَته الله في قلوبِنا، وأثبتناه في مَصاحفنا؟ قال: يُسرىٰ عليه ليلةً، فيَذهَبُ ما في قُلوبكم، وما في مصاحِفكم. ثمَّ قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦]). قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(١).

وروىٰ الحاكِمُ -أَيْضًا- عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: (يُسرَىٰ علىٰ كتابِ الله، فيُرفَعُ إلىٰ السَّمَاء، فلا يُصبِحُ في الأرضِ آيَةٌ مِن القُرآن، ولا مِن التَّوراة والإنجيل ولا الزَّبور، ويُنتزَع مِن قلوب الرِّجال، فيُصبِحون ولا يَدرُون ما هو). قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وهذا الأثَر والذي قبله لهما حُكْم المَرفوع.

وَأمَّا قولُه: وليكون دِينًا أبدِيًّا للإنسانية جمعاء.

فجوابه من وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: ما زعَمَه ههنا فهو تخَرُّصٌ مَردود بما تقدم عن حُذيفة

=

هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٩) (٨٥٣٨)، وغيره عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٢) (٨٥٤٤)، وغيره عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

وابن مسعود وأَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمۡ، أن القرآنَ يُسرىٰ عليه في آخرِ الزمان، ويُرفَع إلىٰ السَّمَاء، فلا يَبقىٰ في الأرض منه آيةٌ. وإذا رُفع القرآنُ إلىٰ السَّمَاء، فأيُّ دِينٍ يَبقىٰ في الأرض بعد ذلك؟!

الوَجْهُ الثَّاني: ما ثَبت عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتىٰ لا يُقالَ في الأرضِ: الله الله» رواه الإمام أحمدُ ومسلم والترمذي من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وفي رواية لأحمد: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّىٰ لا يُقالَ في الأرْضِ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ» ورواه ابن حبان في «صَحِيحه» بنحوه(١).

وفي هذا الحديث الصحيح دليلٌ علىٰ أن الإنسانية جمعاء تَعود إلىٰ الكفر في آخر الزمان، حتىٰ إنَّهم لا يَذكرون اسمَ الله بالكُلِّيَّة. وفي هذا أبلغُ رَدٍّ لِمَا زَعمه الصَّوَّاف من كون القرآنِ يَكونُ دِينًا أبدِيًّا للإنسانية جمعاء.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: ليست الإنسانيةُ باقيةً علىٰ الأبد، حتىٰ يَكونَ لها دينٌ أبديٌّ يَبقىٰ علىٰ الدَّوام، بل لابُدَّ لها ولجَميع مَن علىٰ وجه الأرض مِن الفَناء؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٧)، ومسلم (١٤٨)، والترمذي (٢٢٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٦٣) (٦٨٤٩)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ومَن زَعَم أن الإنسانيةَ تَبقىٰ إلىٰ الأبد، فلَيس عنده إيمانٌ بقِيام السَّاعة وإماتَة الخلائق كلهم، وبَعثِهم بعد ذلك ليوم الفصل والقضاء. وليس للإنسانية في ذلك اليوم دِينٌ تَعمل به، وإنما هو الحسابُ والجزاء علىٰ الأعمال؛ إنْ خَيرًا فَخير، وإنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

وقد ذَكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٥ أنه بعد ٤٣٢ مليون سنَة ينقص دوران الأرض بمِقدار ساعة، وعندئذ يُصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة، قال: «وهكذا يتوالىٰ النقص، ويطَّرد طول الليل والنهار. وعلىٰ هذا الأساس يقول العلماءُ: إن الأرض لابُدَّ أن تقف يومًا. وعند وقوفها يصبح الوجهُ المقابل للشمس نهارًا دائمًا، والوجهُ البَعيدُ عنها ليلًا دائمًا». انْتَهىٰ.

وهذا القولُ الباطِلُ يَقتضي أن الإنسانيَّةَ لا تَزالُ باقيةً إلىٰ الأبَد، وأنه ليس هناك قيامَةٌ ولا بَعثٌ ولا آخِرَةٌ.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٧ ما نَصُّه:

ومِن هذا المُنطَلَق وجدتُ نفسي مضطرًّا إلىٰ توسيع هذا الكتاب إلىٰ الحدِّ الذي وصل إليه، لعَلِّي أُساهم بجهد المُقلِّ في بثِّ الوَعي الإسلامي بإلقاء شيء من الأضواء علىٰ عِلمٍ خطير من العلوم الَّتي اشتغل بها علماؤنا الأعلام -رضي الله عنهم وأرضاهم- حتىٰ كانوا أئِمَّةً فيه، ألَا وهو علم الفلك.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يُقالَ: إنَّ بَثَّ الوعي الإسلامي إنما يكون بنَشر علوم الكتاب والسُّنَّة، لا بنَشر الأباطيل والجهالات والضلالات الَّتي هي مِن وَحْي الشياطين إلىٰ أوليائهم.

وكتاب الصَّوَّاف مِن هذا القسم المذموم؛ لأنه مملوء من تَخَرُّصات الإفرنج، وظنونهم الكاذبة. وما كان كذلك فليس فيه إعانةٌ علىٰ بثِّ الوعي الإسلامي بوجهٍ من الوجوه، وإنما فيه إعانةٌ علىٰ بثِّ الباطل وإظهاره.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الصَّوَّاف ليس عنده تَمييزٌ بين الحقِّ والباطل، فلهذا زعم أنه يُساهم بالأباطيل الَّتي جمَعها في بثِّ الوعي الإسلامي، وهذا مِن عَجيب أمره، حيث قلَب الحقيقةَ وعَكَس القضيَّةَ؛ لأنه علىٰ الحقيقة إنما سَاهَم في بثِّ

الباطل وادْحَاض الحقِّ، كما لا يَخفىٰ علىٰ مَن نَوَّر اللهُ قَلبَه بنُور العِلم والإيمان.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: ليس في كتاب الصَّوَّاف شيء من أضواء العِلم النافع، وإنما هو مملوء من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي هي في الحقيقةِ ظُلماتٌ بَعضُها فوق بعض، وقد ذكرتُ قريبًا نماذج مما فيه من السَّخافات والأقوال البشعة، فلتراجع.

الوجه الرَّابع: أن عِلم الفلك ليس بعلم خَطير، كما زعمه الصَّوَّاف، ولو كان خطيرًا لما أهمله الصَّحَابَةُ رضوان الله عليهم أجمعين، فإنهم كانوا أسبقَ إلىٰ الخير والعُلوم النافعة ممن جاء بعدهم. وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسان، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، فإنهم كانوا أحرصَ علىٰ تحصيل العلومِ النافعة ممَّن كان بعدهم. ولكنه علمٌ لا يخلو في الغالب من تَعاطي علم الغيب، وما كان كذلك، فهو علمٌ مُرْدٍ مُهْلِكٌ. وما سَلِم منه مَن تعاطىٰ علْمَ الغيب؛ فهو علْمٌ كَثيرُ العَناء قليلُ الجَدْوىٰ.

ومَن زعم أن علم الفلك علمٌ خَطير، فهو مِن أجهل الناس وأقلهم تمييزًا بين العلوم النافعة وغير النافعة.

الوجه الخامس: أن العلماء الأعلامَ من المسلمين لم يكونوا يشتغلون بعلم الفلَك كما زعمه الصَّوَّاف، وإنما كان يشتغل به الفَلاسِفَة والمنجِّمون الذين هم من أبْعدِ الناس عن العلوم الشرعية النافعة. وهذا كان في الأزمان

السَّابعة، فأما في الأزمان الأخيرة، فأكثرُ مَن يَعتني به ويشتغل فيه فَلاسِفَة الإفرنج. وأقوالهم فيه وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة هي الَّتي أَودعها الصَّوَّاف في كتابه، وزَعم أنه يُساهم بها في بثِّ الوعي الإسلامي. فهم عُلماء الصَّوَّاف وأعلامه الذين سَأل اللهَ أن يَرضىٰ عنهم ويُرضِيَهم.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٧-١١٨ ما نَصُّه:

وهذا العِلمُ -يعني عِلمَ الفلك- يَبعَثُ الإيمانَ ويَزيدُه، ويَدعو إلىٰ تَعميقِ جذوره في قلبِ الإنسان. وقديمًا قد قيل: إنَّ أشدَّ الناس إيمانًا بالله هم علماء الطِّبِّ وعلماء الفلَك، لأنهم يَرون مِن عجائب صُنع الله ما لا يَراه غيرهم.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن علمَ الفلك لا يخلو في الغالب مِن تَعاطي علم الغيب كما يفعله المُنجِّمون في قديم الدَّهر وحديثه، وكما هو شأنُ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، فإن غالب أقوالهم في الأجرام العُلوية مِن اتِّباع الظن والرَّجْمِ بالغيب. وما كان كذلك فهو مما يَبعث علىٰ الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت ويَزيده، ويدعو إلىٰ تعميق جُذوره في قلوب المفتونين به.

وكتاب الصَّوَّاف في عِلم الفلك مِن هذا القَبيل؛ لأنه مملوءٌ مِن تعاطي علم الغيب، فهو مما يَبعَثُ علىٰ الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت ويَزيده، ويدعو إلىٰ تعميق جذوره في قلوب الجهال. وما كان مِن علم الفلك خاليًا من تعاطي علم الغيب، فهو قليلُ الجدوىٰ، يَصدُّ المُشتَغِلَ به عما هو أهمُّ مِنه من العلوم النافعة.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: إن العِلمَ الذي يَبعث علىٰ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما وعَد الله به أولياءه من جَزيل الثواب، وما توعَّد به أعداءه من وَبيل العذاب هو عِلم الكتاب والسُّنَّة، فهو العِلْم النافع علىٰ الحقيقة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٨-٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩-١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

وفي الحديث الصَّحيح عن زَيدِ بن أَرقَمَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قام رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فِينَا خطيبًا بماءٍ يُدعىٰ خُمًّا، بين مكَّةَ والمدينة، فحَمِدَ الله وأثنىٰ عليه، ووَعَظَ وذكَّرَ ثمَّ قال: «أمَّا بعدُ، ألا أيُّها النَّاسُ، فإنَّما أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أن يأتِيَ رسولُ ربِّي فأُجِيبَ، وأنا تارِكٌ فِيكم ثقلَين: أَوَّلُهما: كتابُ الله، فيه

الهُدىٰ والنُّور، فخُذوا بكتابِ اللهِ واسْتَمْسِكُوا به، فحَثَّ علىٰ كتاب الله ورَغَّب فيه» الحديثَ، رواه الإمام أحمد ومسلم(١).

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كِتابُ الله فيه الهُدىٰ والنور، من اسْتَمْسَكَ به وأخَذ به كان علىٰ الهُدىٰ، ومَن أَخطَأَه ضَلَّ»(٢).

وفي رواية له أخرىٰ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُم ثَقَلَيْن: أَحَدُهُما: كِتابُ الله عَزَّ وَجَلَّ، هو حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبعَه كان علىٰ الهُدىٰ، ومَن تَرَكَه كان علىٰ ضَلَالَةٍ»(٣).

وروىٰ مسلم -أَيْضًا- وأبو داود وابن ماجَهْ: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديثه الطَّويل في صِفة حَجِّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خُطبته يوم عرَفةَ: «وقَد تَركْتُ فِيكم ما لَن تَضِلُّوا بَعدَه إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَاب اللهِ» ورواه الترمذي بنحوه مختصرًا(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٦)، ومسلم (٢٤٠٨)، وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، والترمذي (٣٧٨٦)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، وغيرهم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى مالك في «الموطأ»(١) **بلاغًا:** أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تَركْتُ فِيكُم أَمْرَيْن لَن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُم بِهِمَا: كِتَاب اللهِ، وسُنَّة رَسُولِه».

وروى الحاكمُ في «مُستدركه» عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطَب الناسَ في حجَّة الوَداع -فذَكَر الحديث، وفيه أنه- قال: «يا أيُّها النَّاسُ، إنِّي قد تَركْتُ فِيكم ما إنِ اعْتَصَمْتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا: كِتَاب اللهِ وسُنَّة نَبيِّه» صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وروى الحاكم -أَيْضًا- عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي قد تَركْتُ فِيكم شَيئَيْن لَن تَضِلُّوا بعدَهُما: كِتَاب اللهِ، وسُنَّة نَبيِّه، ولَن يَتفرَّقَا حتىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ»(٣).

وروى الطبراني في «الكبير» وابن حبان في «صَحِيحه» عن أبي شُريح الخُزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ هذا القُرآنَ طَرَفُه بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُه بأَيدِيكُم، فتَمَسَّكُوا به، فإنَّكم لَن تَضِلُّوا، ولَن تَهلِكُوا بَعدَه أَبدًا» قال

---

(١) (٢/ ٨٩٩) (٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧١) (٣١٨)، وعنه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٩٤) (٢٠٣٣٦)، وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢) (٣١٩)، والدارقطني في «السنن» (٥/ ٤٤٠) (٤٦٠٦)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المُنذري: إسنادُ الطبراني جيد. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح[١].

وروى الطبراني -أَيْضًا- في «الكبير» و«الصغير»، والبزَّار من حديث جُبير بن مُطعِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه[٢].

وروى أبو عُبيد القاسم بن سلام وابن مَردويه: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ هذا القُرآنَ هو حَبْل اللهِ المَتين، وهو النُّورُ المُبين، وهو الشِّفاءُ النَّافع، عِصمَةٌ لِمَن تَمسَّكَ بِه، ونَجاة لِمَن اتَّبَعَه» ورواه الطبراني والبغوي بنحوه موقوفًا[٣].

وروى الترمذي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٨٨) (٤٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٣٢٩) (١٢٢)، وغيرهما من حديث أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٩). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٦) (١٥٣٩)، و«الصغير» (٢/ ٢٠٩) (١٠٤٤)، والبزار في «مسنده» (٨/ ٣٤٦) (٣٤٢١)، وغيرهما من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤).

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٩)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٩)، وغيرهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٨٤٢)، وقد اختلف في رفعه ووقفه، فأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٣٠) (٨٦٤٦)، وغيره عن ابن مسعود موقوفًا.

يقول: «أَلَا إِنَّها سَتكُون فِتنَة». فقلت: ما المَخرَج منها يا رسولَ الله؟ قال: «كِتَابُ اللهِ، فِيه نَبأُ مَا قَبلَكُم، وخَبرُ ما بَعدَكُم، وحُكْمُ ما بَينكُم، وهو الفَصْلُ لَيس بالهَزْل، مَن تَركَه مِن جَبَّارٍ قَصَمَه اللهُ، ومَن ابْتَغىٰ الهُدىٰ في غيرِه أَضَلَّه اللهُ، هو حَبلُ اللهِ المَتين، وهو الذِّكْرُ الحَكِيم، وهو الصِّراطُ المُستَقِيم» الحديث، قال الترمذي: غريب(١).

وإذا عُلم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث، فلا يُعرِض عن عِلم الكتاب والسُّنَّة ويَشتغل بعِلم الفلك، ويَزعم أنه يَبعث الإيمانَ ويزيده ويَدعو إلىٰ تعميق جُذوره في قلبِ الإنسان إِلَّا مَن هو مِن أَجهَل الناس، وأَبعَدِهم عن تَحصيل العِلم النافع، ومَعرفة الفرق بينه وبين الجَهالات والضلالات الضارَّة.

الوجه الثَّالث: أَنْ يُقالَ: لو كان ما زعَمه الصَّوَّاف ههنا صحيحًا لكان أطباء اليُونَان والإفرنج وفلاسفتهم الفلكيون من أعظمِ الناس إيمانًا بالله. والواقع شاهد ببُطْلان هذا القول وكَذِب من قاله؛ لما عليه أطباء اليُونَان والإفرنج وفلاسفتهم من الكُفْر العظيم. وكذلك الأطباء والفلكيون من سائرِ أُمَم الكفر والضلال.

الوجه الرَّابع: أَنْ يُقالَ: لو كان عِلم الفلك يَبعث الإيمان ويزيده ويَدعو

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، وغيره من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٧٤).

إلىٰ تَعميق جُذوره في قلبِ الإنسان لكان الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أَحرصَ عليه من غيرهم، فإنهم كانوا أحرصَ علىٰ الخير، وتَحصيل العِلم النافع ممَّن كان بعدهم. وقد كان بعضُهم يُسافِر مَسيرةَ الشَّهر وأكثر مِن ذلك في طلب الحديث الواحد، وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، فإنهم كانوا يسافرون إلىٰ الأقطار البَعيدة في طلبِ العُلوم النافعة، ومع هذا لم يكونوا يَشتَغِلون بعِلم الفلك ولا ينظرون فيه. ولو كان فيه أدْنىٰ مَنفعَة لَمَا كان الصَّحَابَة والتَّابعون وتابعوهم بإحسان يُهمِلُونَه.

وَأَمَّا قولُه: وقديمًا قد قيل: إن أشدَّ الناس إيمانًا بالله هم علماء الطِّبِّ وعلماء الفَلَك.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: لقد أخطَأ من قال هذا القولَ الباطلَ خَطأً كبيرًا، وأخطأَ مَن أَورَده في كتابه مُقَرِّرًا له: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وهذا القول الباطِل لا يَصدر مِن رجل يَعلم ما يقول؛ لأنه يَقتضي تفضيلَ الأطباء والفلكيين علىٰ النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين. وهذا خلاف الكتاب والسُّنَّة، وخلاف ما عليه المسلمون كافَّة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ولو كان الأمرُ علىٰ ما

زعمه الصَّوَّاف لكان يَجعل المُطيعين لله والرسول مع الأطباء والفلكيِّين.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩]، والصِّدِّيقون هم أعظمُ أتباع الرُّسل إيمانًا بالله. ولو كان الأمر علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف لقال: والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الأطباء والفلكيون.

وقال تَعالىٰ في سورة الأنعام بعد ما ذِكر جملة من الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولو كان الأمر علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف لكان يَأمر بالاقتداء بالأطباء والفلكيين.

وروىٰ الإمام أحمدُ عن عمرو بن مُرَّة الجُهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسولَ الله، شهدتُ أن لا إلهَ إلَّا الله وأنَّك رسولُ الله، وصَلَّيتُ الخَمسَ، وأدَّيتُ زَكاةَ مَالي، وصُمتُ شَهرَ رَمضانَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن مَات علىٰ ذلك كان مَع النَّبيِّين والصِّدِّيقِين والشُّهداءِ يومَ القيامَة هَكذَا -ونصب أصبعيه- ما لم يَعُقَّ وَالِدَيْهِ»(١).

وروىٰ الإمام أحمد -أَيْضًا- عن معاذ بنِ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن قَرأ أَلْفَ آيةٍ في سَبيل الله كُتِب يوم القيامةِ مَع النَّبيِّين

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٥٢٢) -ط: الرسالة- وغيره من حديث عمرو بن مرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الأرنؤوط.

والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالحين، وحَسُن أولئك رَفيقًا إن شاء الله»(١).

وروىٰ الترمذي عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«التَّاجِرُ الصَّدوقُ الأمينُ مع النَّبيِّين والصِّدِّيقِين الشُّهداءِ»** قال الترمذي: هذا حديث حسن(٢).

ولو كان الأمرُ علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف، لقال عن هؤلاء المذكورين في هذه الأحاديث: إنهم يَكونون يوم القيامة مع الأطباء والفلكيين.

وإذا عُلم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث، فليُعلم -أَيْضًا- أنه لا خلاف بين المسلمين أن أعظمَ الناس إيمانًا بالله الأنبياء، ثمَّ الصِّدِّيقُون، ثمَّ الناسُ بَعدَ ذلك مُتفاوتون في كثرة الإيمان وقلَّتِه. والأطباء والفلكيون المُنتسبون إلىٰ الإسلام هم من أقل الناس حظًّا من الإيمان كما لا يَخفىٰ علىٰ من تتبَّع أخبارَهم وسَبَر أحوالهم.

وأما الأطباء والفلكيون مِن غير المسلمين فهم مِن أكْفَر الناس. أما أطباء اليُونَان وفلاسفتهم الفلكيون في قديم الدهر فكانوا مشركين يعبدون الأصنام والكَواكِب. وأما أطباء الإفرنج وفلاسفتهم الفلكيُّون فهم ما بين دَهرِيٍّ وعابِدِ صليب. فأيُّ إيمانٍ بالله عند هؤلاء الإفرنج وأولئك اليُونَان، فضلًا عن شدَّة

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٧)، وغيره من طريق سهل بن معاذ الجهني عن أبيه مرفوعًا. قال الألباني: «منكر». انظر: «الضعيفة» (٥٢٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٠٩)، وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني: «صحيح لغيره». انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٢) (١٧٨٢).

الإيمان الَّتي تَفوق إيمانَ الرُّسل، فَضلًا عن غيرهم مِن الناس؟! وإنَّه ليَصْدُق علىٰ الصَّوَّاف قولُ القائل:

لقَد كان في الأعراضِ سَتْرُ جَهالَة غَدَوْت بها مِن أَشهَر النَّاس في البَلَد

والغَالبُ علىٰ الفلكيين من فَلاسِفَة الإفرنج الإيمانُ بالجِبْت والطَّاغوت؛ لِمَا في كثير من كلامهم من التَّحكُّم علىٰ الغَيب وتصديق مَن يَدَّعي عِلمَ المغيبات من الأجرام العُلوية وغيرها، وقد ذكر الصَّوَّاف في رسالته شيئًا كثيرًا من دعاويهم الكاذبة في ذلك، وقد نبَّهتُ عليها في مواضعها، ولله الحمد والمنة.

ومَن كانوا كذلك فالمُطابِق لأحوالهم علىٰ الحقيقة أن يُوصفوا بشدة الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت، لا بشِدَّة الإيمان بالله.

وَأَمَّا قولُه: لأنهم يَرَون من عجائب صُنع الله ما لا يراه غيرهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن رؤيةَ أعداء الله من الأطباء والفلكيين وغيرهم من الكفار لِعَجائبِ صُنع الله لم تَنفعهم شيئًا، كما قال الله تَعالىٰ فيهم وفي أشباههم: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وأما الأطباء والفلكيون المُنتسبون إلىٰ الإسلام فانتفاعهم بما يَرونه من

عجائب صُنع الله أقلُّ مِن انتفاع غيرهم من المسلمين. ويدل علىٰ ذلك ما هم عليه من التَّهاوُن ببعضِ المأمورات، ولاسيما الصَّلاة، وارتكاب كثيرٍ من المنهيات، ولو كان إيمانهم قويًّا لكانوا يُحافظون علىٰ فِعل المأمورات، ويَبعُدون عن فِعلِ المنهيَّات.

* * *

فصل

وقد انْبرىٰ أبو الأعلىٰ المَودودي وعلي الطنطاوي لمُؤازرة الصَّوَّاف، وتَأييد ما نَشره من الأقوال الباطلة، فصَارَا شَريكَيْن له في كلِّ ما نَشَره في كتابه مما هو مُخالف لمَدلول الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾[النحل: ٢٥].

وفي «المُسنَد» و«صحيح مسلم» و«السنن»: عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**مَن دَعَا إلىٰ هُدًىٰ كانَ له مِنَ الأَجرِ مِثلُ أُجورِ مَن تَبعَه لا يَنقُص ذلك مِن أُجورهم شَيئًا، ومَن دَعا إلىٰ ضلالَةٍ كان عليه مِن الإثْمِ مِثلُ آثام مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن آثامِهم شَيئًا**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٧)، ومسلم (٢٦٧٤)، والترمذي (٢٦٧٤)، وغيرهم من حديث =

قال النَّووي: «سَواء كان ذلك الهُدىٰ أو الضَّلالة هو الذي ابتدأه أم كان مَسبوقًا إليه»(١). انْتَهىٰ.

ورَوىٰ الطبراني وغيرُه من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَن أَعانَ ظَالِمًا بباطِلٍ ليَدحَضَ بِه حَقًّا فقَد بَرِئَ مِن ذِمَّةِ الله وذِمَّةِ رَسُولِه**»(٢).

ولقد أحسَن الشاعرُ حَيث يقول:

ذهَبَ الرِّجالُ المُقتَدىٰ بفِعَالِهم ... والمُنكِرُون لكلِّ أَمرٍ مُنكَرِ

وبَقيتُ في خَلفٍ يُزَيِّنُ بَعضُهم ... بعضًا ليَدفَع مِعورٌ عَن مِعوَرِ

فَطِنٌ لكُلِّ مُصيبَةٍ في مَالِه ... وإذا أُصيبَ بِدِينِه لَم يَشْعُرِ

فأما المَودودي فقد ابتدأ كلامَه بإطراء الصَّوَّاف، ومجاوزةِ الحَدِّ في مدحه، وقد أنكر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ المدَّاحين، وأمر أن يُحثىٰ في وُجوههم التُّرابُ. وقد ذكرتُ الأحاديثَ في ذلك قريبًا عند ذِكْر مَدح المحاسني للصَّواف، فلتُراجَع.

=

أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١) انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٦/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢١١) (٢٩٤٤)، و«الصغير» (١/ ١٤٧) (٢٢٤)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٢٠).

وفي كلامه -أَيْضًا- أخطاء كثيرة سأذكرها، وأُتبِعُهَا بالرَّد إن شاء الله تَعالىٰ.

فمِن أخطائه: قوله في رسالة الصَّوَّاف: إنَّها قَيِّمَة.

والجواب أنْ يُقالَ: هذا كلامٌ لا يَصدر إلَّا مِن رَجُلٍ قد الْتَبَسَتْ عليه الحَقائِقُ حتىٰ صار يَرىٰ الباطِلَ في صُورة الحقِّ. وكيف تكونُ رِسالة الصَّوَّاف قَيِّمَة، وهو قد حشاها بتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة ورَجْمِهم بالغيب عما لا يَعلمونه؟! وفيها -أَيْضًا- الشيء الكثيرُ من القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين بغَير عِلم. وفيها -أَيْضًا- تعظيمُ أعداء الله تَعالىٰ من الكفَرَةِ الفَجَرة، والمُبالغة في الثناء عليهم والدُّعاء لهم بالرحمة والرضا.

فهي بلا شَكٍّ رِسالَةُ تَهَوُّر وجَهْل وضلال، ومَن اسْتَحْسَنَها ورأىٰ أنها رسالَة قَيِّمة فأحسَنَ اللهُ عَزاءه في عِلمِه وعَقلِه. ولقد أحسَن الشَّاعِرُ حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرءِ في أيَّامِ مِحنَتِه ... حتىٰ يَرىٰ حَسنًا ما ليس بالحَسَنِ

وأحسَنُ مِن هذا وأبلَغُ قَولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١].

ومِن أخطائه -أَيْضًا-: قوله في الصَّوَّاف: إنَّه أقام بمكة ليُبَلِّغَ رسالةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

والجواب أنْ يُقالَ: ليس الأمرُ كما زعمه المَودودي، فإن الصَّوَّاف لم يَقُمْ

بمَكَّة ليُبلِّغَ رسالةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وإنما أقام بها ليأخُذَ المُرتَّبات الضَّخمة لا غير.

ويُقال -أيْضًا-: إن الصَّوَّاف لم يُبلِّغ رسالةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وإنما بلَّغ فيها ما يُخالِفُ الكتابَ والسُّنَّةَ والإجماع من تَخَرُّصات فيثاغورس اليُونَاني، وتَخَرُّصات أتباعِه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، وظُنونهم الكاذبَة، ورَجْمِهم بالغيب عن السموات والأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم، فهذا هو الذي نشَره الصَّوَّاف وبَثَّهُ في مشارق الأرض ومغاربها، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

ومِن أخطائه -أَيْضًا-: قوله: إن الذي ورَد في كتاب الله تَعالىٰ في بعض آياته عن الأمور الكونيَّة لم يَرِد ليُعَلِّمَ الإنسانَ عِلمَ الطبيعة. وإنما ورَد ليَلْفِتَ نَظَرَ الإنسان إلىٰ ما في آيات الله الكونية من دلائلَ قاطِعةٍ، وحُجَجٍ دَامِغَة علىٰ توحيدِ الله تَعالىٰ، والبَعث بعد الموت.

والجواب أنْ يُقالَ: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلق العالَمَ كلَّه عُلوِيَّه وسُفلِيَّه، وأوْدَع فيه من عجائبِ قُدرته وبديع إتقانه ما أودَع، وليس شيء من ذلك مِن فِعل الطبيعة كما يَزعمه أهلُ الجهل بالله. وإذا لم يكن شيءٌ مِن ذلك مِن فِعل الطبيعة، فأيُّ عِلمٍ يتعلَّق بها أو يُنسب إليها؟!

والذي ورَد في كتاب الله تَعالىٰ عن الأمور الكونيَّة كله حقٌّ، يَجبُ الإيمان به، واعتقادُ أنه هو الحقُّ، وما خالفه فهو باطلٌ.

وبما ورَد في كتاب الله تَعالىٰ عن الأمور الكونية يستدلُّ المُسلمُ علىٰ عظمة الخالق جَلَّجَلَالُهُ وعَظيم إنعامه علىٰ خلقه، حيث سخَّر لهم ما في السموات وما في الأرض. ومِن ذلك تَسخيره للشَّمس والقَمَر، يَجريان دائبين لقيام معايِشِ العِباد ومصالحهم.

وقد جَعل المَودُودِيُّ هذه المُقدِّمةَ الَّتي ذكرنا عنه تمهيدًا لمَنع الاستدلال علىٰ جرَيان الشَّمس ودورانها حول الأرض، بالآيات الَّتي فيها النَّصُّ علىٰ جريانها وطلوعها ودُلُوكِها وتزاورها وغُروبها، وأن الله يأتي بها من المشرق، وأنها تَجري لمستقرِّها الذي أخبر عنه رسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح عن أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لمَنع الاستدلال -أَيْضًا- علىٰ سُكون الأرض وثباتها بما أخبَر الله به من إلقاءِ الرَّواسي فيها، وجَعلِها أوتادًا لها، وهذا خطأ كبير. وكيف يترك الاستدلال بكلام الله تَعالىٰ علىٰ جَريان الشَّمس حول الأرض ويستدلُّ بتَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة علىٰ سكونها وثباتها، أو ما يزعمه بعضهم من دورانها علىٰ محورها؟!

وكيف يترك الاستدلال علىٰ سكون الأرض، وثباتها بما أخبر الله به من إلقاء الرواسي فيها، وجعلها أوتادًا لها، وجَعلِها قرارًا للمخلوقات. ويستدل

علىٰ دورانها حول نفسِها وحول الشَّمس بتَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة؟! ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

ولا يُعرِض عن كلام الله والاستدلالِ به علىٰ ما أخبر الله به عن الأمور الكونية، ويرىٰ أن الحقَّ فيما زعمه أعداءُ الله من تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة إِلَّا مَن هو مُصابٌ في دِينه وعَقلِه. اللهم إنا نعوذُ بك مِن زَيْغ القلوب وانتكاسها.

ومن أخطائه -أَيْضًا-: قوله: إن القرآنَ لم يَنتَهِج لِذكْره أسلوبًا يصطدم مع عُلوم الإنسان في عصرٍ من العصور اصطدامًا صَريحًا يَحُول بين الإنسان وبين إيمانِه بالله تَعالىٰ وبكتابه، ولأجل ذلك لم يُصرِّح القرآنُ بصورة قاطعةٍ مِن آية من آياته بدَوران الأرض وثبوت الشَّمس، أو ثُبوت الأرض وجريان الشَّمس حولها.

والجواب أنْ يُقالَ: أما العُلوم الصحيحة من علوم الإنسان، فإن القرآنَ لا يُصادِمُها، وإنما يُصادِمُ الأقوالَ الباطلة والتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة.

ومِن الأقوال الباطلة والتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي يصادمها القُرآنُ ويَشهد ببطلانها: ما زعمه فيثاغورس اليُونَاني وتبعه عليه أهل الهَيْئة الجَدِيدة من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، وما تَخرَّصوه في قولهم: إن

الشَّمس ثابتةٌ، وأن الأرض تَدورُ حولها.

والسُّنَّة -أَيْضًا- تُصادِمُ هذا القولَ الباطلَ وتَشهَد ببُطلَانِه.

وقد ذكرتُ الأدلة الكثيرةَ مِن الكتاب والسُّنَّة علىٰ ثبات الأرض وجريان الشَّمس حولها في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ. وذكرتُ -أَيْضًا- إجماعَ المسلمين، وأهلِ الكتاب علىٰ القول بوقُوف الأرض وسكونها، فليراجع -أَيْضًا-.

ومِن الأقوال الباطِلة الَّتي يُصادمها القُرْآن والسُّنَّة: إنكارُ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من العَصْرِيِّين وُجودَ السموات السبع، وزَعمُهم أن سَعةَ الجَوِّ غيرُ مُتناهِيَة، وزعمُهم تَعدُّدَ الشُّموس والأقمار، إلىٰ غير ذلك من أقوالهم الباطلة الَّتي يُصادمها القُرْآن والسُّنَّة. وقد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» تسعةَ عشر مثالًا منها، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وقد ذكَر الصَّوَّاف في رسالته الَّتي وافقه المَودودي عليها شيئًا كَثيرًا من تَخَرُّصات أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم في الأرض والسموات والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم، وزعم أن ذلك مِن علوم المسلمين في الفلَك. وكلُّها أقوال باطلة يُصادِمها القُرْآن والسُّنَّة. وقد نبَّهتُ علىٰ كلِّ جُملة منها في موضعها من هذا الرَّدِّ، ولله الحمد والمنة. وفي كل مَوضع من تلك المَواضع ردٌّ علىٰ المودودي في زعمه أن القرآن لم يَنتهج لذكره أسلوبًا يصطدم مع علوم الإنسان في عصر من العصور.

وَأَمَّا قولُه: إن القرآن لم يُصرِّح بصورة قاطعة من آية من آياته بدوران الأرض وثبوت الشَّمس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا صحيحٌ، فليس في القرآن ما يدل علىٰ دوران الأرض وثبات الشَّمس البتة.

وقد استدل الصَّوَّاف وغيرُه من العَصْرِيِّين علىٰ ما زعموه من دوران الأرض بآيات زعموا أنها تدل علىٰ ذلك، ولا دليلَ في شيء منها علىٰ دوران الأرض، ولكنهم تأولوها علىٰ غير تأويلها، وذلك من الإلحاد في آيات الله تَعالىٰ وتحريف الكلِم عن مواضعه. وقد ذكرتُ ما استدلوا به من الآيات والرَّدَّ عليهم في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعْمُه أن القرآن لم يصرِّح بصورة قاطعة من آية من آياته بثبوت الأرض، وجريان الشَّمس حولها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا خطأ وقولٌ بلا علم، فقد جاء التَّصريح بجريان الشَّمس في خمسة مواضع من القرآن. وصرَّح في الآية من سورة (يس) أن الشَّمس تَجري لمستقَرٍّ لها. وسيأتي تفسيرُ ذلك بما في الحديث الصحيح إن شاء الله تَعالىٰ. وصرَّح في آيتين أنها تَسبَح في الفَلَك.

قال الرَّاغب الأصفهاني: «السَّبْح: المَرُّ السَّريع في الماء وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سَبْحًا وسبَاحَةً، واستُعير لمَرِّ النُّجُوم في الفلَك، نحو: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

﴿يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ولِجَرْيِ الفَرس، نحو: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات: ٣]، ولسُرعَة الذَّهاب في العمل، نحو: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٧]» انْتَهىٰ.

وروىٰ ابنُ أبي حاتم عن الضَّحَّاك: ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ قال: الفَلَك السُّرعة والجَري في الاستدارة، ويَسبَحون: يَعمَلون(١).

قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: يُريد أنَّ لفظ الفَلَك يدل علىٰ الاستدارة، وعلىٰ سُرعة الحركة، كما في دوران فَلَكَة المَغزل ودوران الرَّحىٰ.

وقال الشيخ -أَيْضًا-: ولفظ الفَلك في لغة العرب يدل علىٰ الاستدارَة. قال الجَوهري: فلكة المَغزل سمِّيت بذلك لاستدارتها، والفَلكَة قطعة من الأرض أو الرَّمل، تَستدير وترتفع علىٰ ما حولها، والجَمْع فُلك. وقال: ومنه قيل: فلك ثدي الجارية تَفليكًا، وتفلَّك: استدار.

قال الشيخ: «**قلتُ:** والسباحة تتضمن الجَري بسُرعة، كما ذكر ذلك أهل اللغة»(٢). انْتَهىٰ.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] قال

---

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٣).

(٢) المصدر السابق.

أهل اللغة: الدَّأب: إدَامَة السَّير والمبالغة فيه.

وفي هذه الآية أوضحُ دليل علىٰ أن الشَّمس تَجري وتدور علىٰ الأرض لقيامِ مَعايش العِباد ومصالحهم.

وقال تَعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وفي هذه الآية أوضحُ دليل علىٰ سَيْر الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض.

ونَصَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ طُلوعها وغُروبها في عدَّة آيات من القرآن.

ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ دُلُوكِها، وهو زوالها عن وَسَط السَّمَاء، وعلىٰ تَزاورها. وفي كلِّ آية مِن هذه الآيات الَّتي أَشرتُ إليها أوضَحُ دليلٍ علىٰ جريان الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض. وقد ذكرتُ هذه الآيات وغيرَها من الآيات الدالَّة علىٰ سير الشَّمس ودورانها علىٰ الأرضِ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وذكرتُ -أَيْضًا- الآياتِ الَّتي تدلُّ علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، فلتُراجع -أَيْضًا- ففي كلِّ ما ذكرتُه هناك أبلغُ رَدٍّ علىٰ المَودوديِّ في زعمه أن القرآنَ لم يُصرِّح بصورة قاطعة من آيةٍ مِن آياته بثبوت الأرض وجَريان الشَّمس حولها.

وقد جاء عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديثُ كَثيرة تدل علىٰ سيرِ الشَّمس

ودورَانِها علىٰ الأرض. وأحاديثُ أخرىٰ تدل علىٰ ثباتِ الأرض واستقرارها، وقد ذكرتُها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فلتراجع -أَيْضًا- ففيها أبلغُ رَدٍّ علىٰ المودودي في زعمه أن القرآنَ لم يصرح بصورة قاطعةٍ بثبوت الأرض وجريان الشَّمس حولها.

وما صرَّح به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مما صرَّح به القرآن، قال الله تَعالىٰ: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تَعالىٰ: ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» -أَيْضًا- إجماعَ المسلمين علىٰ القول بوُقوف الأرض وسكُونِها، وإجماعُ المُسلمين حُجَّةٌ قَاطِعَة، لقول الله تَعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥].

ومِن أخطائه -أَيْضًا-: قولُه: أما قولُه تَعالىٰ: ﴿ **وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ** ﴾ [يس: ٣٨] فليس معنىٰ ذلك أن الشَّمسَ تَدور حول الأرض، بل معناه أن الشَّمس سارِيَة إلىٰ مُستقرِّها الذي لا يَعلمُه الإنسان، وهذا المَدلول لا يُعارِضُه عِلمُ الهيئة في العصر الحاضر.

والجواب أنْ يُقالَ: إن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فسَّر هذه الآية الكريمةَ في

الحديث الصحيح، فلَم يَدَع لقائلٍ مَقالًا.

فروىٰ الإمامُ أحمد والشيخان وأبو داود الطيالسي والترمذي: عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ حين غَربت الشَّمسُ: «**تَدرِي أينَ تَذهَبُ؟**» قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «**فإنَّها تَذهبُ حتىٰ تَسجُدَ تَحتَ العَرشِ، فتَستَأذِن، فيُؤذنُ لها، ويُوشكُ أن تَسجُدَ، فلا يُقبَل منها، وتُستأذِن، فلا يُؤذَن لها، يُقال لها: ارْجِعي مِن حيث جِئتِ، فتَطلُع مِن مَغربها، فذلك قولُ الله تعالىٰ:** ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]» هذا لفظ البخاري. وفي رواية مُسلم قال: ثمَّ قرأ في قراءةِ عَبد الله: (وذلك مستقر لها). وللترمذي نحوه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية لمُسلم: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال يومًا: «**أتَدرُون أينَ تَذهَبُ هذه الشَّمسُ؟**» قالوا: اللهُ ورسولُه أَعلَم، قال: «**إنَّ هذه تَجري حتىٰ تَنتهي إلىٰ مُستَقرِّها تحتَ العرش، فتَخِرُّ سَاجِدةً، فلا تَزالُ كذلك حتىٰ يُقالَ لها: ارْتَفِعي، ارْجِعي مِن حيثُ جِئتِ، فتَرجِع، فتُصبِحُ طَالِعةً مِن مَطلَعِها، ثمَّ تَجري حتىٰ تَنتَهِي إلىٰ مُستَقرِّها تحت العَرش، فتَخِرُّ سَاجدةً، فلا تَزالُ كذلك حتىٰ يُقالَ لها: ارْتَفِعي، ارْجِعي من حيث جئتِ، فتَرجع، فتُصبح طالعةً مِن مطلَعِها، ثمَّ تَجري لا يَستنكِرُ النَّاسُ منها شيئًا، حتىٰ تَنتهي إلىٰ مُستقَرِّها ذاك تحت العَرش، فيُقال لها: ارْجِعي، ارْتَفِعي، أَصبِحي طالعةً مِن مَغرِبك، فتُصبح طالعةً مِن مَغرِبها**»، فقال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَتَدرُون متىٰ ذَاكُم؟ ذاك حِين لا يَنفَعُ**

نَفسًا إيمَانُها لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ أَو كَسَبَت فِي إيمانِهَا خَيرًا».

وفي هذا الحديث الصحيح أوضحُ دليل علىٰ أن الشَّمس تَجري وتدور علىٰ الأرض، وفيه التَّصريح بأنها تَنتهي إلىٰ مستقرِّها تحت العرشِ كلَّ ليلة، فتَسجد حينئذ وتَستأذن في الطلوع فيُؤذن لها، حتىٰ إذا كان في آخرِ الزَّمان أُمِرَت بالطُّلوع من مَغربها.

وفيه ردٌّ علىٰ المَودوديِّ حيث زعم أن الشَّمس ساريةٌ إلىٰ مستقرِّها الذي لا يَعلمه الإنسان. يعني أنها لا تَزالُ سَاريةً إلىٰ مستقرِّها ولم تَصل إليه بَعدُ. وكأنه -وَاللهُ أَعْلَمُ- قد اعتمَد علىٰ كلام العَصْرِيِّين المفتونين بتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، فقد نقل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٣ عن قُطب أنه قال: «واللهُ يقول: إنها تَجري لمستقر لها. هذا المُستقر الذي ستَنتهي إليه لا يَعلمه إِلَّا هو سبحانه، و يعلم موعده سواه». انْتَهىٰ.

فكَلام المَودودي شَبيهٌ بكَلام قُطب، وهما ومَن قال بقَولهما من العَصْرِيِّين كلُّهم عيالٌ علىٰ فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين. فقد ذَكر الصَّوَّاف عنهم فِي صَفْحَةِ ٣٨ أنهم قالوا: إن النِّظام الشَّمسي يَنهَبُ الفضاء نهبًا متَّجهًا نحوَ بُرج هركيوليس.

وذكر -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٣ عن الفَلكي الجاهل (سيمون) أنه قال: «إن الشَّمس والكَواكِب السَّيَّارة وأقمارها تَجري في الفضاء نحو بُرج النسر بسرعة

غير مَعهودة لنا علىٰ الأرض، يكفي لتَصويرها أننا لو سِرْنا بسرعة مليون ميل يوميًّا، فلن تَصل مجموعتُنا الشَّمسية إلىٰ هذا البُرج إلَّا بعد مليون ونصف مليون سنَة مِن وقتنا الحاضر». انْتَهىٰ هَذَيَانُه.

وهذه التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة مَردودةٌ بما أخبر به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من انتهاء الشَّمس إلىٰ مُستقرِّها تحت العرش كلَّ لَيلة، وسُجودها حين تَنتهي إليه، واستئذانها في الطُّلوع، وأنه يقال لها: ارْتَفِعي، ارْجِعي من حيثُ جِئتِ، فتُصبِحُ طَالعةً مِن مَطلعها... إلىٰ آخر الحديث الذي تقدَّم ذِكرُه.

وقد تقدَّم في أول الكتاب الجوابُ عما لعلَّه يُورِدُه بعضُ الناس علىٰ هذا الحديث مِن كون الشَّمس لا تزالُ طَالعةً علىٰ الأرض، فليُراجَع مع الكلام علىٰ ما زَعمَه الصَّوَّاف من حَركَةِ الأرض.

وأما قولُ المَودودي: إنَّ مُستَقرَّ الشَّمس لا يَعلَمُه الإنسانُ.

فجوابه أن يُقالَ: قد أخبَر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية مُسلم الَّتي تقدَّم ذِكرُها أن مُستقرَّها تحت العرش، وأنها تَنتهي إليه كلَّ لَيلة، فتَسجُد حينئذ، وتَستأذِن في الطلوع.

وفي «**الصحيحين**» و«**مسند الإمام أحمد**»: عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قولِ الله تَعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]؟ قال: «**مُستَقرُّها تَحتَ العَرْشِ**».

وَأَمَّا قولُه: وهذا المَدلول لا يُعارِضُه عِلمُ الهيئة في العَصْر الحاضر.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما تأويلُه للآية علىٰ ما يُوافِق تَخرُّصات سيمون وأمثاله من فَلاسِفَة الإفرنج الذي نَقل عنهم الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٨ و ٤٣ ما نَقل، فهو كما قال: لا يُعارض جَهلَ الهَيئة في العصر الحاضر، بل يوافقه. وأما علىٰ التأويل الصَّحيح الثَّابت عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فمَدلولُ الآية يُعارِض جَهلَ أهل الهيئة في العصر الحاضِر ويَردُّه.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤] وقال تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القُرآنَ والحَديثَ وتأوَّله علىٰ غيرِ التَّفسير المَعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين فهو مُفترٍ علىٰ اللهِ، مُلحِدٌ في آياتِه، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مَواضعه». انْتَهىٰ(١).

وإذا كان المُخالِفُ لتَفسير الصَّحَابَة والتَّابعين مُتَّصِفًا بهذه الصفات الذَّميمة؛ فالمُخالِفُ لتَفسير النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولىٰ وأحرىٰ أن يكون مُتَّصِفًا بها.

ومِن أخطائه -أَيْضًا-: قوله: إن القرآنَ لم يُصرِّح في آيةٍ مِن آياته بكَوْن

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

الأرض ثابتةً ساكنةً، وكَونِ الشَّمسِ دَائرَةً حَولَها.

والجَواب عن هذا الخَطأ قد تقدَّم قريبًا، فليُراجَع.

ومِن أكبر أخطائه -أَيْضًا-: قوله: إنَّ الإنسان في القُرون الماضية كان يُفسِّر الرَّواسي والأَوتاد في نِطاق مَعرفته وحَسَب عِلْمِه بالأمور الكونيَّة آنذاك. ويَحِقُّ له أن يُفسِّرَها اليومَ في ضوء ما اكتَشفه من الأمور الكونية.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقالَ: إن العُلماءَ في القرون الماضية كانوا أعلمَ بالأمور الكونيَّة مِن جَهَلة العَصْرِيِّين المَفتُونين بتقليد فَلاسِفَة الإفرنج والعَضِّ علىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة بالنَّواجذ.

وتَفسيرُ العلماء في القُرون الماضية للرَّواسي والأوتاد بما يَقتضي وُقوفَ الأرض وثَباتها هو التَّفسير الصَّحيح، كما تدلُّ علىٰ ذلك لغةُ العرب. وهم إنما يَعتمدون في تَفاسيرهم علىٰ ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ وعَن أصحابهِ -رِضوانُ الله عليهم أجمعين- ثمَّ علىٰ ما جاء عن التَّابعين وأئمَّة العِلم والهُدىٰ مِن بعدهم، ثمَّ علىٰ لُغة العَرب الَّتي نَزل القُرآنُ بها.

وأما العَصرِيُّون فكثيرٌ مِنهم قد جعلوا القُرآنَ مَلعبَةً لهم يَتأوَّلونَه علىٰ غير تأويله، ويَحملونه علىٰ ما يُوافق تَخَرُّصات الإفرنج وظُنونِهم الكاذبة.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: إن تَفسيرَ العُلماء في القُرون الماضية للرَّواسي

والأَوتاد بأَنَّها وُضِعت علىٰ الأرضِ لإرسائها وتَثبيتها يُنافي تَفسيرَ العَصْرِيِّين مِن أتباع أهل الهَيْئة الجَدِيدة وقَولهم: إنَّها إنما وُضعت علىٰ الأرض لتَحفَظ عليها تَوازُنَها مع دَورانها علىٰ نفسِها وعلىٰ الشَّمس.

والذي يَظهر مِن كلام المَودودي أنه كان يَذهب إلىٰ تَغليط الذين فسَّروا الرَّواسي والأوتاد بأَنَّها وُضعت علىٰ الأرضِ لإرسائها وتَثبيتها، ويرىٰ أن الصَّوابَ في قول العَصْرِيِّين الذين فسَّروها في ضوء ما اكتشَفه لهم فَلاسِفَة الإفرنج المُتأخِّرون مِن الأمور الكونيَّة. وهذه إحْدىٰ الكُبَر من المودودي؛ لِمَا يَلزَمُ علىٰ قوله هذا مِن تَغليطِ النَّبيِّ ﷺ وتَغليطِ عَليٍّ وابنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وغَيرِ واحد من التَّابعين، وكَثيرٍ مِن أئمة المفسِّرين الذين قرَّروا في تفاسيرهم وُقوفَ الأرض وثباتها، وأنَّها قد أُرسِيَت بالجِبال، وجُعلت الجِبالُ أوتادًا لها.

وقد ذكرتُ في الوجه الأول أن هذا هو التَّفسير الصحيح.

والدَّليل علىٰ ذلك: ما رواه الإمام أحمدُ والترمذي وغيرهما: عن أنسِ بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فخَلَقَ الجِبالَ فَأَلقَاهَا عَلَيهَا فَاسْتَقَرَّتْ**»[١].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٤)، والترمذي (٣٣٦٩)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

وهذا نَصٌّ في استقرار الأرضِ وسُكونِها. قال في «القاموس» و«شرحه»: «قَرَّ بالمَكان يَقِرُّ بالكَسر والفتح، قرارًا وقُرورًا وقرًّا، وتَقِرَّة: ثَبَت وسَكَن فهو قَارٌّ، كاسْتَقَرَّ وتَقَارَّ، وهو مُستَقِرٌّ»(١). انْتَهىٰ.

ورَوىٰ ابنُ جَرير عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (لمَّا خلَق اللهُ الأرضَ قَمصَت وقَالت: تَخلُق عليَّ آدمَ وذُرِّيَّتَه يُلقُون عليَّ نَتَنَهُم، ويَعمَلون عليَّ الخَطايَا، فأَرساها بالجِبالِ، فمِنها ما تَرون ومِنها ما لا تَرَون)(٢).

ورَوىٰ أبو الشَّيخ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (إن الجبالَ لتَفخَر علىٰ الأرضِ بأنها أُثبِتَت بها)(٣).

وقال وَهبٌ(٤): لَمَّا خلق اللهُ الأرضَ جَعلَت تَمرُّ، فقالت المَلائكة: إن هذه غير مُقِرَّة أحدًا علىٰ ظَهرها، فأصبحَت وقد أُرسيت بالجِبال، فلم تَدْرِ

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص٤٦١)، و«تاج العروس» (١٣/ ٣٩٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩، ٢٤/ ٩٦)، وغيره من طرق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به موقوفًا. وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٨٠)، والفريابي في «القدر» (٧٧)، وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) هو وهب بن منبه اليماني الصنعاني، أبو عبد الله الأَبْناوي -بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون- روىٰ عن همام أخيه، وغيره. وروىٰ عنه عمرو بن دينار، وطائفة. ثقة، من الثالثة، مات سنة بضع عشرة. انظر: «تهذيب الكمال» (٣١/ ١٤٠)، و«التقريب» (٧٤٨٥).

الملائكةُ مِمَّ خُلقَت الجِبالُ(١).

ورَوىٰ عبدُ الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن نحوَه.

ورَوىٰ سعيدٌ عن قتادة عن الحسَن عن قيس بن عباد نحو ذلك -أَيْضًا-.

وكلامُ المُفسِّرين في تفسير الرَّواسي والأوتَاد بأنها وُضعت علىٰ الأرض لإرسائها وتَثبيتها كثيرٌ مَوجود في تفاسيرهم. وقد ذكرتُ جَملةً مِن ذلك في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وإذا عُلم ما ذكرنا فالمَودودي بَين خُطَّتَين لابُدَّ له من إحداهما:

إما أن يقولَ بتَغليط النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيث نصَّ علىٰ استقرار الأرض لَمَّا أُلقيت الجبالُ عليها. وتَغليط عليٍّ وابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومَن ذُكِر بعدهم من التَّابعين، ومَن أشرنا إليهم من أئمة المفسِّرين الذين قرَّروا أن الرَّواسِيَ إنما وُضعت علىٰ الأرض وجُعلت أوتادًا لها لتُثَبِّتها وتَمنعها مِن الحركة.

وإما أنْ يَرجِع عن قوله: إنه يَحقُّ للإنسان أن يُفسِّرَ الرَّواسي والأوتادَ في ضوء ما اكتَشفه من الأمور الكونية. وما قبله مِن الكلام الذي يُفهم منه تَجهيلُ مَن فسَّر الرَّواسي والأوتاد بأنها وُضعت علىٰ الأرض لإرسائها وتَثبيتها، وأنَّ نِطاقَ مَعرفتهم وعِلمهم بالأمور الكونية كان قاصِرًا عن نِطاق مَعرفة أهل الهَيْئة

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١١)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٣)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٩٠).

الجَدِيدة وأتباعهم ومُقلِّديهم مِن جَهلة العَصْرِيِّين وعِلمهم بالأمور الكونيَّة.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ ما يَزعُمه فَلاسِفَة الإفرنج مِن اكتشاف حَركةِ الأرض ودَورانها علىٰ نفسِها وعلىٰ الشَّمس. وما يَزعُمونه -أَيْضًا- من الاكتشافاتِ عن الشَّمس وثباتِها، وعن القَمَر والنُّجُوم فكلُّها تَخَرُّصات وظنونٌ كاذبة: ﴿**ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ**﴾ [النور: ٤٠]، وتَسميتها ضوءًا مِن قَلْبِ الحقيقة.

ومَن قال: إنه يَحقُّ للإنسان أن يُفسِّر شيئًا من القرآن علىٰ ما يوافقها فقد فتَح للمُلحِدِين بابَ الإلحاد في آيات الله، وأَغرىٰ المُحرِّفين للكَلِم عن مواضعه علىٰ التَّحريف.

وليُعلم أن القولَ في القرآن بمجرَّد الرأي حرامٌ شَديد التَّحريم، وقد ورد الوعيدُ الشديد علىٰ ذلك، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبغوي: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَالَ في القُرآنِ بِرَأيِهِ أَو بِمَا لا يَعلَمُ فَليَتَبَوَّأْ مَقعَدَه مِن النَّار**» هذا لفظ ابنِ جَرير، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

وروىٰ الترمذي -أَيْضًا- أبو داودَ وابن جرير والبغوي: عن جُندُب بن عبد

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

الله البَجَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن قال في القرآنِ برأيهِ فأصاب فقد أخْطَأ**» قال الترمذي: هذا حديث غريب. قال: «وهكذا رُوي عن بعضِ أهل العِلم من أصحاب النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم أنَّهم شدَّدوا في هذا في أن يُفسَّر القرآنُ بغَير علم.

وأما الذي رُوي عن مُجاهد وقتادة وغيرِهما مِن أهل العِلم أنهم فسَّروا القرآنَ فليس الظَّنُّ بهم أنَّهم قالوا في القرآن أو فسَّروه بغير عِلم، أو مِن قِبَلِ أنْفُسِهم. وقد رُوي عنهم ما يَدلُّ علىٰ ما قُلْنا أنهم لم يَقولُوا مِن قِبَل أنفسهم.

ثم روىٰ بإسنادِه عن قَتادةَ أنه قال: ما في القُرآن آيةٌ إلَّا وقد سَمعْتُ فيها شيئًا[١].

ورَوىٰ -أَيْضًا- بإسناده عن مُجاهد أنه قال: لو كُنتُ قَرأتُ قِراءةَ ابنِ مَسعود لم احتَجْ أن أسألَ ابنَ عباس عن كثيرٍ مِن القرآن مما سَألتُ[٢]»[٣]. انْتَهىٰ كلام الترمذي.

وقال البَغوي: «قال شيخنا الإمامُ: قد جاء الوعيدُ في حقِّ مَن قال في القرآن

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، وابن الجعد في «مسنده» (١٠٣١)، وغيرهما عن قتادة به.
(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٢٨)، وغيرهما عن مجاهد به.
(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٢٠٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٦٩) عن قتادة به، وإسناده صحيح.

برأيِه، وذلك فيمَن قال مِن قِبَل نفسه شيئًا مِن غير عِلْم. قال: وأما التَّفسير وهو الكَلامُ في أسبابِ نُزول الآية وشَأنها وقِصَّتها، فلا يجوزُ إلَّا بالسَّماع بعد ثُبوتِه مِن طَريق النَّقل»(١). انْتَهىٰ.

وقد تقدَّم قولُ شيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّلَه علىٰ غير التفسيرِ المَعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين، فهو مُفترٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّف للكَلِم عن مواضعه». انْتَهىٰ(٢).

وقد كان أبو بكر الصِّديق وعمر بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وهُما مِن أعلم هذه الأمَّة بكتاب الله تَعالىٰ- يَهابَان القولَ في القُرآن بغير عِلْم. كما رَوىٰ شُعبةُ عن سليمان -وهو الأعمش- عن عَبد الله بن مُرَّة عن أبي مَعمَر قال: قال أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أيُّ أَرضٍ تُقِلُّنِي، وأَيُّ سَماءٍ تُظِلُّنِي، إذَا قُلتُ في كتابِ اللهِ مَا لا أعْلَم؟!).

ووَرىٰ أبو عُبيد القاسم بن سلام عن إبراهيم التَّيمي: أن أبا بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئل عن قولِ الله تَعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: (أيُّ سَماءٍ تُظلِّنُي، وأيُّ أَرضٍ تُقلُّنِي، إذَا أنا قُلتُ في كتاب الله ما لا أعلَمُ؟!)(٣).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٣٦) (٣٠١٠٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٧٥)، وابن جرير في «تفسيره» =

وروىٰ أبو عُبيد -أَيْضًا- ومُحمَّد بن سَعد، وابنُ جَرير بأسانيد صحيحةٍ عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قرأ علىٰ المِنبَر: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: هذه الفَاكِهَة قد عرَفناها، فمَا الأَبُّ؟ ثمَّ رجَع إلىٰ نفسِه فقال: إن هذا لَهُو التَّكلُّفُ يا عُمَرُ.

وزاد ابنُ سَعد في روايته: فمَا عَليك أنْ لا تَدرِيه[1].

وإذا عُلم هذا فقد رَوىٰ الإمام أحمد والترمذي وابن ماجَهْ: عَن حذيفة بن اليَمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**اقْتَدُوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**» قال الترمذي: هذا حديث حسن. وصحَّحه ابنُ حبان والحاكمُ والذَّهبي. وللترمذي -أَيْضًا- من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوه[2].

=

(١/ ٧٢)، وغيرهم من طرق عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به، وأسانيدها بجملتها منقطعة.

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٧٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٣٢٧)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٠، ١٢٣)، وغيرهم عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وأخرجه البخاري (٧٢٩٣) مختصرًا.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٢٧) (٦٩٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٩) (٤٤٥١)، وغيرهم من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٣). وقد أخرجه الترمذي أيضًا (٣٨٠٥)، وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومِن أخطائه -أيْضًا-: قولُه: وإنَّ الله تَعالىٰ لم يجعل إيمانَنا وعقيدتَنا مَربوطًا بعِلْم عَصرٍ مِن العصور بحيث إذا تغيَّر هذا العِلمُ وتبَدَّل اضطُرَّ الإنسانُ إلىٰ أمرين: إما أن يُؤمِنَ بالله تَعالىٰ ويُنكِرَ صِحَّةَ العِلم. أو يَكفُرَ باللهِ تَعالىٰ ويُؤمِنَ بصِحَّة العِلْم.

والجَواب أنْ يُقالَ: هذه إحدىٰ الكُبَر مِن المَودودي، حيث قرَّر ما يَهذو به جهَلَةُ العَصْرِيِّين من حُرِّيَّة الفِكْر، حتىٰ فيما يتعلَّق بالإيمان والعقيدة. وهذا القولُ مِن أبطل الباطل.

والحقُّ أن الإيمانَ والعقيدةَ مَربوطان بعِلم العَصر النبوي، وهو عِلمُ الكتاب والسُّنَّة. وهذا العِلمُ لا يتغيَّر ولا يتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. قال الله تَعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الأدلة علىٰ ثباتِ الأرض واستقْرَارِها وأجمع المسلمون عليه لا يتغيَّر ولا يتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك فقوله باطلٌ مَردود عليه؛ لمُخالَفته للأدلَّة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين.

وكذلك ما جاء في الكِتاب والسُّنَّة من النُّصوص علىٰ جَرَيان الشَّمس ودُؤُوبها في ذلك، وأن الله سخَّرها لخلقِه تأتي مِن المشرق كلَّ يَوم وتَغرُب في المَغرب، كلُّ ذلك لا يتغيَّر ولا يتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك فقوله باطل مَردود عليه؛ لمُخالفته لنصوص الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه المسلمون في قديم الدهر وحديثِه، سوىٰ مَن شذَّ عنهم في هذه الأزمان الأخيرة من أتْباعِ أهل الهَيْئة الجَدِيدة.

وكذلك ما جاء في القرآنِ من النَّص علىٰ أن الله تَعالىٰ زيَّن السَّمَاء الدُّنْيا بالمَصابِيح، وهي النُّجُوم. وفي الآية مِن سُورة الصَّافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] فهذه النُّصوص لا تتغيَّر ولا تتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك من فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العَصْرِيِّين الذين يَزعمون في أبعادِ الكَواكِب ومقاديرِ أجرامها ما يزعمون، فأقوالُهم باطلةٌ مَردودة عليهم؛ لمُخالَفتِها لنُصوص القُرآن.

وكذلك ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من النُّصوص الكثيرةِ علىٰ إثبات السموات السَّبع، وأن السَّمَاء بِناء وسَقف مَحفوظ مَرفوع، وأنَّهنَّ شِداد، وأن لهُنَّ أبوابًا وحجَابًا. كلُّ ذلك لا يتغيَّر ولا يتبدل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك من فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العَصْرِيِّين الذين يزعمون أن السَّمَاء ليست بِناءً، وإنما هي فضاءٌ وجَوٌّ سَعتُه غيرُ مُتناهية، فأقوالُهم باطِلةٌ مَردودة عليهم؛ لمخالفتها لنُصوص الكتاب والسُّنَّة.

وكذلك ما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة مِن النُّصوص علىٰ اتِّحاد كلٍّ مِن الشَّمس والقمر، فهي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك وزعم أن هناك شُموسًا وأقمارًا مُتعدِّدة فقوله باطلٌ مردود عليه؛ لمخالفته لنُصوص الكِتَاب والسُّنَّة.

إلىٰ غير ذلك من الأمثلة الكَثيرة مما قامت عليه الأدلةُ مِن الكِتَاب والسُّنَّة، وقال أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم بخلاف ذلك، وقد ذكرتُ جُملةً منها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، ومنها كثيرٌ مُفرَّق في هذا الكتاب.

والمقصودُ ههنا: بيان أن الأدلةَ مِن الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع لا تتغيَّر ولا تتبدَّل إلىٰ يوم القيامة، وإنما الَّتي تتغير وتتبدَّل في كل زمان هي الآراء والتَّخرُّصاتُ والظُّنُون الكاذبَةُ. قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

قال البغوي: «مَعناه: لكِن مَن رَحِم ربُّك فهداهم إلىٰ الحقِّ؛ فهم لا يَختَلِفون. قال: ومحصولُ الآية أن أهل الباطل مُختلِفون، وأهلَ الحقِّ مُتَّفِقون، فخَلق الله أهْل الحق للاتِّفاق وأهل الباطل للاختلاف»[١]. انْتهىٰ.

وإذا عُلم هذا، فالواجبُ علىٰ المسلمين اعتقادُ ما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة، وما أجمع عليه المسلمون، ونَبْذُ ما خالَف ذلك من أقوال الناسِ وآرائهم

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٦).

وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة وراءَ الظَّهر.

وقد سمَّىٰ المودوديُّ تَخَرُّصاتِ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وظنونَهم الكاذبةَ في السَّمَاء والأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم عِلمًا، وهذا مِن أكبر الخطأ، ومِن قَلبِ الحقيقة، فليست التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة بعِلْم، وإنما هي جهلٌ وضلال، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَأَمَّا قولُه: إن الإنسان يضطرُّ إلىٰ أمرين: هما أن يؤمن بالله تَعالىٰ، ويُنكر صحة العِلم، أو يكفرَ بالله تَعالىٰ ويُؤمِنَ بصِحَّة العِلم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد ذكرنا أن تَخَرُّصات أهل الهَيْئة الجَدِيدة وظنونَهم الكاذبة في السَّمَاء والأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم ليست بعِلْم، وإنما هي

جهْلٌ وضَلال، ولابُدَّ إذًا مِن أحَدِ أمرين:

إما الإيمان بما جاء عن الله تَعالىٰ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَرَدّ ما جاء عن أهل الهَيْئة الجَدِيدة من الجهل والضلال.

وإما الإيمان بالجَهل والضلال، وَرَدّ ما جاء عن الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فلْيَخْتَرِ المَرءُ ما يُناسِبُه من إحدىٰ الخطتين. فأما الجَمعُ بينهما فغَيْر مُمكِن.

وَأَمَّا قولُه: فإذا كان الإنسانُ القديمُ مُسلِمًا صحيحَ الإسلام علىٰ رغْم قوله بثبوت الأرض، كذلك لا شكَّ في صحة إسلامِ الإنسانِ الحاضر علىٰ اعتقاده بدوران الأرض.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إذا كنتُ لا تَشكُّ في إسلامِ مَن يقول بدوران الأرض، فغَيرُك قد يشك في إسلامِه، ولاسيَّما إذا قامت عليه الحُجَّة بأن بَلَغَتْه الأدلَّة الدَّالَّة علىٰ سُكون الأرض واستقرارها، وبَلَغَه إجماعُ المُسلمين علىٰ القول بُوقوف الأرض وسُكونها مَقصورة علىٰ المُخالفة والعناد، فهذا قد يشكُّ في إسلامه؛ لقول الله تَعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥].

وقد صرَّح بعضُ المُحقِّين بتكفير مَن يقول بحركة الأرض ودورانها. وقد ذكرتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة» بعد ذكر الأدلَّة العقليَّة علىٰ ثبات الأرض

واستقرارها، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: ولذلك أنا أوافِقُ رَأي أخي مُحمَّد محمُود الصَّوَّاف

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بِئْسَ ما اخترتَ لنَفسِك من الموافقة علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي تُخالِفُ مَدلولَ الكِتَاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين. وإنما يَعودُ وَبَالُ هذه المُوافقة عليك، قال الله تَعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

* *

فصل

وأمَّا عَلي الطَّنطاوي فقال في تَقريظِه لكتاب الصَّوَّاف ما نَصُّه:

«أخِي الأستاذ الصَّوَّاف، رَحبتُ بما سَمعتُ عن عَزمك علىٰ طبع ما كتبتَه في موضوع دَوران الأرض، لا لِأَنَّ فيه ردًّا علىٰ مقالِ الشَّيخ الجَليل ابن باز، بل لِأَنَّ أعداءَ الإسلام استغلُّوا ذلك المَقال، وعلَّقوا عليه تَعليقات ملأت الصُّحف الأوربية والأميركية، نالوا فيها مِن الإسلامِ بالبَاطل، فوَجَب الدِّفاعُ عَن الإسلام بالحقِّ، وبيان أن الذي كتبه الشَّيخ ابنُ باز رَأيٌ لَه، قد يكونُ له قَبول عند بعض العُلماء، ولكنه ليس حُكمَ الإسلام القَطعي في هذه المسألة. وجُمهور علماء

المُسلمين في جميع أقطار الإسلام علىٰ خِلافه».

والجوابُ أنْ يُقالَ: أما استغلالُ الأوربيين والأمريكيِّين لمقال الشيخ ابن باز، وتعليقُهم عليه في صُحُفِهم، ونَيلُهم من الإسلام بالباطل فغَير مُستَنكَر منهم؛ لأنهم الأعداءُ الألِدَّاء للإسلام وأهله. وأبغضُ المُسلمين إليهم مَن يتكلَّم بالحق ويتصدَّىٰ لنَصره والذَّبِّ عنه، ولذلك قامت قيامَتُهم من أجل مخالفةِ مَقال الشيخ ابن باز لتَخَرُّصاتهم وتَخَرُّصات أسلافهم من أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم. وقد وافَقهم هذا المِسكين وأخواه الصَّوَّاف والمَوْدُودي، فقاموا في صفِّ أعداء الله يُناضلون عن تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة. وهذا مما يُحِبُّه أعداءُ الله ويَرضَون به. فلْيَهنكَ أيُّها الطنطاوي، ولْيَهن أخَويك رضوانُ أعداء الله عنكم.

وهؤلاء الثَّلاثة -أعني الصَّوَّاف والمَودودِيَّ والطَّنطاوي- قد الْتبَسَ عليهم الحقُّ بالباطل، فهم لذلك يَرَون أنهم يَنصرون الحقَّ ويَذبُّون عنه، وهم في الحقيقة إنما يَنصُرون الباطِلَ ويَذبُّون عنه.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك مِن عَمىٰ القُلوب وانتكاسها، اللَّهمَّ أرِنَا الحقَّ حَقًّا وارْزُقنا اتِّباعَه، وأرنا الباطلَ باطلًا وارْزُقنا اجتنابَه، ولا تَجعَله مُلتَبِسًا علينا فنَضِلَّ.

وَأَمَّا قولُه: إن الذي كتبَه الشيخ ابن باز رأيٌ له.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشَّيخ ابنَ باز قد أيَّد ما كتبه بالأدلَّة الواضحة من

الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع. وما كان مُؤيَّدًا بالأدلة الواضحة من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع، فليس مِن قَبيل الرأي. وإنما الرَّأيُ المَحضُ ما لم يدل عليه دليلٌ من كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع، وذلك ما كَتَب فيه الصَّوَّاف ووافقه عليه المَودودي والطنطاوي. بل إن الذي كتَب فيه الصَّوَّاف شرٌّ مِن الرأي المَحْض؛ لِأَنَّ غالبه مَبني علىٰ اتباع الظُّنُون الكاذبة والرَّجْم بالغيب وتصديق مَن يتعاطىٰ عِلمَ المغيبات، كما قد أوضحتُ ذلك في مواضعه من هذا الكتاب وفي «الصَّواعِق الشَّديدَة».

وَأَمَّا قولُه: ولكنه ليس حُكمَ الإسلام القطعي في هذه المسألة.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: بل هو حُكمُ الإسلام القطعي فيها؛ لقيام الأدلَّة عليه من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع. وما قام عليه الدليلُ، فهو الذي عليه التَّعويل.

وَأَمَّا قولُه: وجَمهرة علماء المسلمين في جميع أقطار الإسلام علىٰ خلافه.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: ليس عِلمُ الغَيب عندك يا طنطاوي حتىٰ تُخبِرَ الناسَ عمَّا يَعتقده جمهورُ عُلماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية، وأنهم علىٰ خِلاف ما كتبه الشَّيخ ابن باز. وما الذي يُدرِيك عن معتقدِهم في هذه المسألة، وأنت لم تَجتمع بهم كلِّهم، ولا يُمكِنُك ذلك، ولا تَقدِرُ عليه؟!

وعلىٰ تَقدير أنك قد اجتمعتَ بأشخاصٍ مَعدُودين من بعض الأقطارِ الإسلامية، وأَخْبَروك أنهم مُخالفون للشيخ ابن باز، فلا يَسوغُ لك أن تَحكُمَ

علىٰ جمهور العلماء في جَميع الأقطار الإسلامية بأنهم يَعتقدون معتقدَك الباطلَ الذي وَرِثتَه عن فيثاغورس اليُونَاني، وكوبرنيك البولوني، وهرشل الإنجليزي، وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، ومن يتعلق بأذيالِهم من جهلة المسلمين.

إنك يا طنطاوي قد قَفوْتَ ما ليس لك به عِلم، وحَكمْتَ علىٰ كثير من علماء المسلمين بمجرَّد اتِّباعك للظن الكاذب، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

والذي نَعرِفُه عن أكابر العلماء عندنا في المَملكة العربية السُّعودية أنهم يُنكِرون القولَ بحَركة الأرض ودَورانها، وثَبات الشَّمس وسُكونِها. وهم -ولله الحَمدُ- مُتمسِّكون بالكِتَاب والسُّنَّة، بَعيدُون عن المَيْل إلىٰ الخُرافات والتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي قد افتتن بها كثيرٌ مِن المنتسبين إلىٰ العِلم في بعض الأقطار الإسلامية، كما قد رأيتُ ذلك فيما اطلعتُ عليه مِن كُتُبهم.

وَأَمَّا قولُه: ثمَّ إن المسألةَ أكبرُ مِن المُجاملة، وأجَلُّ من أن تَدخُلَ في تقدير الأمور الشخصية.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وهل ظننتَ يا طنطاوي أن الشَّيخ ابنَ باز قد جاء شيئًا إدًّا لَمَّا

خالف رأي فيثاغورس وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، حتىٰ تقولَ في حقِّه ما قُلتَ؟! وإذا كنت تَرىٰ أن مُخالَفَة رأي فيثاغورث وأتباعه أمرًا كَبيرًا لا تَنبغي المُجاملة فيه، ولا التَّقدير لمَن خالفهم، فغيرُك يَرون أن مخالفَتُهم في تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة مِن أوجب الواجبات وأهَمِّ المُهِمَّات. ويَرون أن الأمرَ المُنكَر علىٰ الحقيقة هو مُخالفةُ مَدلول الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع، والاعْتِيَاض عن ذلك بآراء أعداءِ الله وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة، والتَّجرُّد لنُصرَتِها والذَّب عنها، كما فعلْتَ ذلك يا طنطاوي أنت وأخواك الصَّوَّاف والمَودُودي، فهذا هو الشَّيء الإدُّ الذي لا يَجوز إقرارُه ولا مُجامَلة أصحابه وتقديرهم.

وَأَمَّا قولُه: وبَعدُ، فالذي أعرفُه أن الإسلام ليس فيه نَصٌّ قَطعي من كتاب أو سُنَّة، ولا دليل من إجماع أو قياس علىٰ دوران الأرض ولا علىٰ سكونها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد وردَت الأدلةُ الكثيرة من الكِتَاب والسُّنَّة علىٰ سكون الأرض وثباتها، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك، ودلَّت علىٰ ذلك الأدلة العقلية الصحيحة، وقد ذكرتُ ذلك مُستوفًىٰ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وإذا كان الطنطاوي لا يَعرِف مثلَ هذه الأدلة الَّتي أَشرتُ إليها، فالأَوْلىٰ له السُّكوتُ وعَدمُ الخَوصِ فيما لا عِلمَ له به، فقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَأَمَّا قولُه: ودَوران الأرض أمرٌ مُشاهَد مَقطوع به. كان معلومًا عِلمًا نَظرِيًّا بالأدلة العقلية، فصار معلومًا عِلمًا ضَروريًّا بالحِسِّ ومُشاهدة الأرض من المَركبات الفضائية، وعَرض الصُّور الَّتي الْتُقِطت في الرَّائي، أي: التِّلفزيون، وفي الخيالة، أي: السِّينما. وصار القَول بدوران الأرض مِن البَديهيَّات الَّتي لا يُنازع فيها اليومَ أحَدٌ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما زَعمه أن دوران الأرْض أمرٌ مُشاهد ومَحسوس، فهذا باطِلٌ قَطعًا. ولا يدَّعي هذه الدَّعوىٰ مَن له أدنىٰ مُسكَة من عقل.

وأما ما يَزعمه أهل المَركبات الفضائية أنهم شاهدوا دورانَ الأرض مِن مَركباتِهم فذلك إنما يُخيَّل إليهم من سرعة سيْرِ المَركبات، لا مِن سَير الأرض، كما أن راكبَ المَراكب السَّريعة في الأرض يُخيَّل إليه أن ما حَولَه من الأشجارِ والأحجارِ يَسيرُ، وهو في الحقيقة ثابتٌ في موضعه، فذلك راكبُ المَركبات الفضائية يُخيَّل إليه أن الأرضَ تَسير، وإنما ذلك مِن سُرعة سير المَركبة الَّتي هو فيها.

وأما تَصويرُهم لسير الأرض وعَرْض ذلك في التليفزيون والسينما، فذلك من مَخرَقَتِهم وتَدجِيلِهم علىٰ ضُعفاء البصيرة. ولا يَغترُّ بذلك ويُصدِّقُ به إلَّا جاهلٌ لا عقْلَ له.

وَأَمَّا قولُه: إن دورانَ الأرض مَقطوع به، وأنه صار مَعلومًا عِلمًا ضَرورِيًّا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بل الأمرُ في الحقيقة بخلافِ ما زعمه الطنطاوي، فإن سكونَ الأرض وثباتَها هو المقطوعُ به عند المُتمسِّكين بالكِتَاب والسُّنَّة؛ لِمَا قام علىٰ ذلك من الأدلة الكثيرة من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع والمَعقول الصحيح. وقد ذكرتُ ذلك مستوفىٰ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وزعم الطنطاوي أن دورانَ الأرض قد صار معلومًا علمًا ضروريًا، إنما هو مبني علىٰ ما زعمه أهلُ المَرْكبات الفضائية أنهم شاهدوا ذلك، فهذا هو عُمدَتُه فيما زعمه من العِلم الضروري. ولمَّا كان هذا مَبلغَ عِلمه، وأن اعتماده إنما كان علىٰ ما يُخيَّل إليه في التليفزيون والسينما مِن مَخرَقةِ أعداء الله وتَدجِيلِهم، تَبيَّن أنه ليس عنده عِلْمٌ يُميِّزُ به بين ما يُسمَّىٰ عِلمًا وبَين المَخرَقةِ والتَّخييلات الكاذبة، فَضلًا عن التَّمييز بين العِلْم الضَّروري وغير الضَّروري.

وَأمَّا قولُه: صار القَول بدوران الأرض مِن البديهيات الَّتي لا يُنازِع فيها اليوم أحدٌ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما قولُه: إن دوران الأرض من البديهيات، فذلك خطأ ظاهر. والصَّحيح المطابق للواقع أنْ يُقالَ: إنه من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة.

وأما زعمه أنه لا يُنازع في ذلك اليوم أحدٌ، فهو خطأ ظاهِر؛ لِأَنَّ كلَّ مُتمَسِّك بالكِتَاب والسُّنَّة يُنازِع في ذلك، وهم أسْعَدُ بالدَّليل من مُنازعيهم.

وأكابِر العلماء عندنا في المَملكة العربية السُّعودية كلهم علىٰ إنكارِ

القول بدوران الأرض.

وقد حَكىٰ الشيخ عبدُ القاهر بن طاهر البغدادي -وكان في آخر القرن الرَّابع من الهجرة وأول القَرن الخامس- في كتابه «الفَرق بين الفِرق» إجماعَ أهل السُّنَّة علىٰ وقوف الأرض وسكونها.

وحكىٰ القُرطبي في تفسير سورة الرعد إجماعَ المسلمين وأهلِ الكتاب علىٰ ذلك. ولا عِبرَة بمَن خالف الإجماع من العَصْرِيِّين المَفتُونين بتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة.

وَأَمَّا قولُه: أما الآياتُ الَّتي يَرىٰ فيها مُنكِر الدَّوران دليلًا لهم، كقوله تَعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] فليس فيها دليلٌ، لِأَنَّ (مادَ) عند العرب بمعنىٰ (مَالَ) وهو باب معروف. والمَيلان حَركة اضطرابيَّة. والسَّير حركة انتقالية. فإذا نفىٰ اللهُ عنها المَيلانَ فلا يُفهم منه نفي الحَركة الانتقالية، بل ربما كان في الآية إشارةٌ إلىٰ مَسيرها؛ لِأَنَّ الآية دلَّت علىٰ أن الجبال مِثل الثِّقَل للأرض؛ لئلا تَميدَ، أي: تَضطَرب في سَيرها، كالزَّورق إذا كان فارغًا وضعوا فيه الحجارة أو أكياس الرَّمل؛ لئلا يَضربه المَوج فيَضطَرب.

أقول: في الآية إشارةٌ فقط، وإلا فالصَّحيح ما قُلتُه أوَّلًا عن الإسلام، إذ ليس فيه دليلٌ قطعي لا علىٰ حركة الأرض ولا علىٰ نفي الحركة عنها، وعلىٰ مُدَّعي عكس هذا أن يأتي بالدليل.

والجواب عن هذا من وُجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن المَيدَ في لغة العرب يُطلق علىٰ معانٍ، منها الحركة والدوران. قال القرطبي في «تفسيره»(١) عند قول الله تَعالىٰ في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [الأنبياء: ٣١]: أي: جبالًا ثَوابِتَ: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: لئلَّا تَميدَ بهم ولا تتحرك ليتمَّ القرار عليها. قال: والمَيْد التَّحرُّك والدَّوران.

وقال الشَّوكاني في تفسير هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]: «المَيد التَّحرُّك والدوران، أي: لئلَّا تَتحرَّكَ وتدورَ بهم»(٢). انْتَهىٰ.

وإذا انتفىٰ التَّحرُّكُ والدَّوران عن الأرض، فإنه يَثبُت لها نَقيض ذلك، وهو الوقوفُ والسكون.

فهذه الآية وما في معناها من الآيات الكَثيرة مِن أوضح الأدلة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، وقد استدلَّ بها الرَّاسخون في العِلم علىٰ ذلك. وقد ذكرتُ ذلك مستوفىٰ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وليس في الآية ما يُشير إلىٰ سَير الأرض بوجْهٍ مِن الوجوه، كما زعمه الطنطاوي.

---

(١) (١١/ ٢٨٥).

(٢) انظر: «فتح القدير» (٣/ ٤٧٩).

وأما تَشبيه الأرض بالزَّورق الفارغ، وتَشبيهُ وَضع الجبال عليها بوضع الحجارة أو أكياس الرمل في الزَّورق، لئلَّا يضربه الموج فيَضطرب في حالِ سَيْره، فهو تشبيهٌ غَيرُ مُطابِق؛ لِأَنَّ الأرض قد أُرسيت بالجبال مِن جَميع نواحيها، والجبالُ مُتوجِّهة بثِقَلِها نحوَ المَركز الذي هو وسَط الأرض، فصارت الجبالُ للأرض كالأوتادِ الَّتي تَمنعها من الحَرَكة. ولهذا قال تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٦-٧].

قال ابن منظور في «لسان العرب»[1]: «وأَوتاد الأرض الجِبَالُ؛ لأنها تُثَبِّتُها». انْتَهىٰ.

وإذا كانت الجبالُ أوتادًا للأرض فالتَّشبيه المطابق هو تشبيهُ الأرض بالسَّفينة الَّتي قد وُضع فيها ما يُثقلها، وأَودتْ بالأوتاد في مرْسَاها، فوقفتْ فيه ولم تتحرَّك.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الطنطاوي ذكَر الآية الَّتي فيها نَفي المَيد عن الأرض وتَأولها علىٰ غير تأويلها حيث شبَّه الأرض بالزَّورق الفارغ إذا وُضعت فيه الحِجارة أو أكياس الرَّمل، وأعرض عن الآية الصَّريحة في تَثبيت الأرض بالجبال وجَعْلِها أوتادًا للأرض كالأوتاد الَّتي تثبت الخيام في مواضعها، والسُّفن في مرساها، وهي قول الله تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾

---

(١) (٣/ ٤٤٥).

قال ابنُ كَثير[(١)] **عند هذه الآية:** ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ [النبأ: ٦]: «أي: مُمَهَّدَة للخَلائق ذَلولًا لهم قارَّة ساكنة ثابتة: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: جعلَها لها أوتادًا أرسَاها بها، وثَبَّتها وقرَّرها حتىٰ سكنَتْ، ولم تَضطربْ بمَن عليها».

وقال القُرطبي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: «أي: لتَسْكُن ولا تتكفَّأ، ولا تَميلَ بأهلها»[(٢)].

وقال أبو حيَّان في «تفسيره»[(٣)]: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: «أي: ثَبَّتْنا الأرضَ بالجبال، كما ثبت البيت بالأوتاد. قال الأَفْوَه:

والبيتُ لا يُبْتَنَىٰ إِلَّا لَه عُمُدٌ ... ولا عِمادَ إذا لَم تُرْسَ أَوتَادُ

وتقدَّم قولُ ابن منظور في «لسان العرب»: «وأوتاد الأرْض الجبال؛ لأنها تُثبِّتها».

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ **في كتابه «مفتاح دار السعادة»**[(٤)]: «ومِن مَنافِعِها -أي الجِبال- ما ذكره اللهُ تَعالىٰ في كتابه أنْ جَعَلها للأرض أوتادًا تُثبِّتها، ورَواسِي بمَنزِلَة مراسي السُّفن، وأَعظِم بها مِن مَنفَعة وحِكْمَة». انْتهىٰ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٠٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٧١).

(٣) (١٠/ ٣٨٤).

(٤) (١/ ٢١٩).

وقد روىٰ الإمام أحمد والتِّرمذي وغيرهما عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لمَّا خَلق اللهُ الأَرضَ جَعَلت تَميدُ، فخَلق الجبالَ فألقَاها عليها فاسْتَقَرَّت».

وروىٰ أبو الشَّيخ عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: (إنَّ الجِبالَ لتَفْخَرُ علىٰ الأرضِ بأنها أُثْبِتَتْ بها).

وإنما أعرض الطنطاويُّ عن هذه الآية الَّتي ذكرنا؛ لأنها لا تَحتَمِل التأويل. فلو قال هو أو غيرُه: إن الأرض تُشبه السَّفينة إذا وُضع فيها ما يُثقلها ورُبطت بالأوتاد، وهي مع ذلك تسيرُ في الماء - لكان كلُّ عَاقِلٍ يَضحَكُ منه؛ لأنه قد رَامَ الجَمعَ بين النَّقيضين، والجَمعُ بينهما غيرُ مُمكِن.

وكما أنه لا يَقول عاقل: إنَّ السَّفينة تسير وهي مَربوطة بالأوتاد، فكذلك لا يقول عاقلٌ: إن الأرضَ تَسير وهي مُوتَّدة بالجبال؛ لِأَنَّ تَثبيتَها بالجِبال يُنافي سَيْرَها، فلا يَجتمعان.

الوجه الثَّالث: أن الله تَعالىٰ قال في سورة المؤمنين: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤] الآية. وقال تَعالىٰ في سورة النمل: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١] الآية.

وفي هاتين الآيتين أوضَحُ دليلٍ علىٰ ثَبات الأرض واستقرارها. قال في

«القاموس» و«شرحه»: «قَرَّ بالمَكان يَقرُّ بالكسر والفتح، قَرارًا وقرُورًا وقرًّا، وتقرَّة: ثَبَت وسَكن، فهو قارٌّ كاستقرَّ وتَقارَّ، وهو مستقر». انْتَهىٰ.

الوجه الرَّابع: أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١]، وفي هذه الآية الكريمةِ أوضحُ دليلٍ علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، ولو كانت تَسيرُ وتَدور علىٰ الشَّمس -كما زعمه أعداء الله تَعالىٰ- لكانت تَزولُ مِن مكان إلىٰ مكان، وهذا خلاف نصِّ الآية الكريمة.

وقد روىٰ ابنُ جَرير بإسناد صحيح: عن أبي وائل قال: جاء رجلٌ إلىٰ عبد الله بن مَسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: مِن أين جئتَ؟ قال: مِن الشَّام، قال: مَن لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كَعبًا، قال: ما حدَّثَك؟ قال: حدَّثني أن السموات تَدور علىٰ منكبِ مَلَك، قال: أفصَدَّقْتَه أو كذَّبتَه؟ قال: ما صَدَّقْتُه ولا كذَّبتُه، قال: لَوددتُ أنك افْتَدَيتَ مِن رِحلَتِك إليه براحِلَتِك ورَحلِها، كَذَب كَعبٌ، إن اللهَ يَقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١](١).

وقال ابنُ جرير -أَيْضًا-: حدَّثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: ذهب جُندب البَجلي إلىٰ كعب الأحبار، فقدِم عليه ثمَّ رجَع، فقال له عبدُ الله: حدِّثْنا ما حَدَّثَك، فقال: حدَّثني أن السَّمَاء فوق قُطب كقُطب الرَّحا، والقُطب عَمود علىٰ منكبِ مَلَك، قال عبدُ الله: لودِدتُ أنَّك افتَديتَ رِحلتك بمِثل راحِلَتِك، ثمَّ قال:

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٣٩١)، وغيره عن أبي وائل... فذكره.

ما تنكب اليهوديةُ في قَلْب عبد فكَادت أن تُفارِقَه، ثمَّ قال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١] كفىٰ بها زَوالًا أن تَدُورَ(١).

وروىٰ ابنُ أبي خَيثمة عن قتادة قال: بَلَغ حذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن كعبًا يقول: إن السَّمَاء تَدور علىٰ قُطب كالرَّحىٰ، فقال: كذَبَ كَعبٌ، إن الله يقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١](٢). قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إسناده حسن.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا بَشير قال: حدثنا يَزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة؛ قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١] مِن مَكانِها(٣).

فهذه أقوالُ السَّلف في معنىٰ الآية الكريمة، ورَدُّهم بها علىٰ مَن زعم أن السَّمَاء تدور. وبما قالوه في معنىٰ الآية الكريمة يُردُّ علىٰ مَن زعم أن الأرض تدورُ؛ لِأَنَّ سياق الآية في السموات والأرض واحد. فإذا كانت الآيةُ الكريمة دالَّةً علىٰ ثبات السموات وعدم دورانها كما صرَّح به حَبْر الأمة ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وصرَّح به -أَيْضًا- حذيفةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فكذلك هي دالَّة علىٰ ثبات الأرض وعدم دورانها.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٢)، عن ابراهيم... فذكره.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ١٧٢) عن قتادة... فذكره. وانظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٦٥٠)، و«الدر المنثور» (٧/ ٣٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٣٩١)، عن قتادة... فذكره.

وقد روىٰ البُخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «والذي لا إلهَ غيره، ما من كتابِ الله سورة إِلَّا أنَا أعلمُ حيث نَزلت، وما مِن آية إِلَّا أنا أعلمُ فيما أُنزلت».

ورَواه ابنُ جَرير، ولفظه: قال عبدُ الله: «والذي لا إلهَ غَيره، ما نَزلت آيةٌ في كتاب الله إِلَّا وأنَا أعلمُ فِيمَ نَزلت، وأين أُنزلت».

والأدلَّةُ مِن القرآن علىٰ ثبات الأرض واستقرَارِها قد بلغت خَمسةً وعشرين، وقد ذكرتُها في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوجهُ الخَامِس: ما رواه الإمامُ أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لَمَّا خَلَق اللهُ الأرضَ جَعلَت تَميدُ، فخَلق الجبالَ فألْقَاها عليها فاستقرَّت».

وهذا نَصٌّ في استقرار الأرض وسُكونِها.

والأدلة علىٰ ذلك من السُّنَّة قد بلغت ستَّةَ عَشر حَديثًا. وقد ذكرتُها في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْه السَّادس: ذَكَر الشَّيخ عبدُ القاهرِ بنُ طَاهر البغدادي في آخر كتابه «الفَرْق بَين الفِرَق» جُملَة ممَّا أجمَع عليه أهل السُّنَّة قال فيها: وأجمعوا علىٰ وقوفِ الأرض وسكونها، وأن حركتَها إنما تكون بعارضٍ يَعرِض لها مِن زَلزَلة ونحوها.

وقال القُرطبي في أول تفسير سورة الرعد: «والَّذي عليه المُسلمون وأهلُ الكتاب القَولُ بوقوف الأرضِ وسُكونِها ومَدِّها، وأن حركتَها إنما تكونُ في العادَة بزَلزَلَةٍ تُصيبُها». انْتَهىٰ.

وهذا صَريحٌ في حكاية الإجماعِ مِن المسلمين وأهل الكتاب علىٰ القَول بثبات الأرْض واستقرارها.

وإجماعُ المُسلمين دليلٌ قَطعي علىٰ ثباتِ الأرض واستقرارها. وفيه مع ما تقدَّم من الآيات والأحاديث ردٌّ لِمَا زعمه الطنطاوي عن الإسلام أنه ليس فيه دليلٌ قَطعي علىٰ ثبات الأرض ونَفي الحَركة عنها.

وأما تَقسيمُه الأجور بين الشَّيخ ابن باز ومَن وافقه وبين الصَّوَّاف ومَن وافقه، وجَعلُه للفريق الأول أجرًا واحدًا وللفريق الثَّاني أجرين.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذه قِسمةٌ ضِيزىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وليس الصَّوَّاف وأشباهُه ممَّن يُرجىٰ لهم الأجرُ، فَضلًا عن مضاعفته إلىٰ ضِعفَين. وإنما هم جديرون بمُضاعفة الأوزار؛ لقول الله تَعالىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وَأَمَّا قولُه: ولَسْتُ أُوزِّع الأجورَ، ولكِن أُشير إلىٰ الحديث.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بلىٰ، قد وزَّع الطنطاوي الأجورَ علىٰ حسب رَغبَتِه،

ثَمَّ تنَصَّل مِن ذلك وزعم أنه يُشير إلىٰ الحديث. وليس في الحديث إشارةٌ إلىٰ دُعاة الهُدىٰ ودُعاة الضَّلالة كما قد توهَّم ذلك. وإنما هو واردٌ في الحُكَّام، وهم القُضاة، كما في «الصَّحيحين» و«المُسنَد» و«سُنَنَي أبي داود وابن ماجَهْ»: عن أبي قيس مولىٰ عَمرو بن العاص عن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا حَكَم الحَاكِمُ فاجْتَهَد ثمَّ أصابَ فلَه أجْرانِ، وإذا حَكَمَ فاجتَهَدَ ثمَّ أخطَأَ فلهُ أَجرٌ»، قال: فحدَّثْتُ بهذا الحديث أبا بكر بنَ عَمرو بن حزم فقال: هكذا حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرَّحمن عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وقد رواه التِّرمذي والنَّسائِيُّ من حديث أبي سَلمَةَ عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال: وفي الباب عن عَمرو بن العاص وعُقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وترجَم التِّرمذي علىٰ هذا الحديث بقوله: (باب ما جاء في القاضي يُصيب ويُخطئ). وترجم عليه أبو داود بقوله: (باب في القاضِي يُخطئ)[٢].

والقائل: فحَدَّثتُ أبا بكر؛ هو يَزيد بن عبد الله بن الهَاد، أَحدُ رُواته، كما صرَّح بذلك الإمام أحمد ومسلمٌ وابن ماجَهْ في رِوايتهم لهذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، وأحمد (٤/ ٢٠٤)، وأبو داود (٣٥٧٤)، وابن ماجه (٢٣١٤)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٢٦)، والنسائي (٥٣٨١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا عُلم أن هذا الحديث واردٌ في القُضاة، وأن الطنطاوي قد أخطأ في إشارته إليه، فليُعلَم -أَيْضًا- أن المُطابِقَ لحال الشَّيخ ابن باز ومَن وافقه وحال الصَّوَّاف ومَن وافقه هو حديثُ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ دَعَا إلىٰ هُدًىٰ كَان لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجورِ مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن أُجُورِهم شَيئًا، ومَن دَعَا إلىٰ ضَلالَةٍ كان عليهِ مِن الإِثْم مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن آثامِهِم شَيئًا»، رواه الإمام أحمدُ ومسلم وأهل السنن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال النَّووي: «سَواء كان ذلك الهُدىٰ أو الضَّلالة هو الذي ابتدأه أم كان مَسبوقًا إلَيه». انْتَهىٰ.

فالشَّيخ ابنُ بازٍ قد دعا إلىٰ اعتقادِ ما قامت عليه الأدلَّة من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع؛ مِن جريان الشَّمس في الفلَكِ، ودُؤُوبِها في ذلك، وثَباتِ الأرض واستِقْرارِها، فيُرجىٰ أن يكونَ له من الأجرِ مثلُ أجُور مَن اهتدىٰ بسَبَبه.

وأما الصَّوَّاف فإنه قد دَعَا إلىٰ اعتقادِ ما يُخالِف الكِتَاب والسُّنَّة والإجْماعَ، مِن ضَلالات فِيثاغورس اليُونَاني وأتباعه أهل الهَيْئة الجَدِيدة، وهم: كُوبرنيك البولوني، وهرشل الإنجليزي وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج وجُهَّال المسلمين. فيُخشىٰ علىٰ الصَّوَّاف أن يكونَ عليه مِن الوِزر مثل أوْزَار مَن ضَلَّ بسَببه إلىٰ يوم القيامة، قال الله تعالىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ

ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وَأَمَّا قولُه: وجزاك اللهُ خيرًا علىٰ قَصدِك الحَسَن في الدفاع عن الإسلام.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما قَصدُه فاللهُ أَعلَمُ بِه، هل هو حَسَن أو سَيِّئ. ولكن الذي يَظهَر من حاله أنه مَفتُون بحُبِّ الشُّهْرَة، فلهذا نَصبَ نَفسَه لمُعارضة الحقِّ ومُخالفةِ مَن هو أعلمُ مِنه، فكان الأمْرُ فيه كما قيل:

كمَا قِيلَ قَبْلَ اليَوم خَالِفْ لتُذْكَرَا ... خِلافًا لِقَولِي من فيالَةِ رَأيِهِ

وأما زَعمُه أن ذلك من الدِّفاعِ عن الإسلام.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: كلَّا؛ فليس ما جَمعَه الصَّوَّاف في رسالته في عِلم الفلك دفاعًا عن الإسلام، وإنما هو دفاعٌ عن ضلالات فيثاغورس وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المُتأخِّرين ومَن يُقلِّدُهم ويَحذُو حَذوَهم مِن جُهَّال المُسلمين. ولكن الطَّنطاوي قد الْتبَسَت عليه الحقائقُ، فصار يَرىٰ الباطِلَ في صُورَةِ الحَقِّ، ويَرىٰ أن الدِّفاعَ عن ضلَالاتِ أعداء الإسلام دفاعٌ عن الإسلام. فلا حولَ ولا قوَّةَ إِلَّا بالله العلي العظيم.

وهذا مِن مِصداق ما رواه رَزينٌ وغيرُه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيفَ بِكُم إذا رَأيتُمُ المَعرُوفَ مُنكَرًا وَالمُنكَرَ مَعرُوفًا؟»

قالوا: وإنَّ ذلك لكائِنٌ؟ قال: «نَعَم»[1].

وأمَّا ما ذكره عن أعداءِ الإسلام أنهم اتَّخذوا مِن مَقال الشَّيخ ابن بازٍ طَعنًا علىٰ الإسلام وأهله.

فقد تقدَّم الجوابُ عنه في أوَّل الرَّد علىٰ الطنطاوي.

وَأمَّا قولُه: ليَروا أنَّ في علماء المسلمين مَن لا يُنكر الأمورَ الحِسِّيَّة والمُسَلَّمَاتِ البَدِيهِيَّةَ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس فيما ذكَره الصَّوَّاف في رسالته من الأمورِ الحِسِّيَّة والمُسلَّمات البَديهيَّة شيء سوىٰ القَولِ بكرَويَّة الأرض واسْتدارَةِ الأفلاك. وأما ما سوىٰ ذلك فكلُّها تَخَرُّصات وظُنون كاذِبَة، لا يَقبَلُها إلَّا مَن هو مِن أَجهَلِ الناس.

وعلىٰ هذا فالمُطابق للحقيقة أنْ يُقالَ: ليَرىٰ أعداءُ الله أنَّ في المُسلمين مَن يَسعىٰ سَعيًا حَثيثًا خَلفَ نَعيقِهم، ويُسارِعُ إلىٰ تَحصيل رضاهم بقَبول تَخَرُّصاتهم وظُنونهم الكاذبة وتَأييدها والذَّب عنها والمُجادَلَة بها؛ لِإدْحَاضِ الحَقِّ.

وَأمَّا قولُه: ومِن قبل قال شَيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ: إنه ليس في الدِّين أمرٌ

---

(١) انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ٤١)، و«المدخل» لابن الحاج (٣/ ٢١٢).

ثَابت يُناقِضُ أو يَتناقض أو يُنافي أمرًا ثَابتًا في العقَل أو الحَسِّ. وما قاله هو الحقُّ.

فجوابه من وجْهَين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: إن الطَّنطاوي إنما نقل كلام شيخ الإسلام بالمعنىٰ، فزَاد فِيه وغَيَّرَ أُسلُوبَه. والمَعروف من كلام شيخ الإسلام -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- قوله: إنَّ المَعقولَ الصَّريح لا يُمكِن أن يُخالِفَ المَنقولَ الصَّحيح.

وتَقريرُ قوله هذا أن نُصوص الكِتَاب والسُّنَّة هي الأصلُ الذي يَجبُ الرُّجوع إليه، وأن المَعقولات تُعرض علىٰ نُصوص الكِتَاب والسُّنَّة، فما وافقَها فهو مَعقولٌ صَريحٌ مُعتبَر، وما خالفها فهو فاسِدٌ يَجِبُ اطِّرَاحُه.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الطَّنطاوي قد استشهد بهذا الكلام في غَير مَحلِّه؛ لأنه قد توهَّم أن ما ذكره الصَّوَّاف في رسالته فهو مِن الأمور الحسِّيَّة والمُسلَّمَات البَديهية الَّتي يُثبتها العقلُ. وليس الأمرُ علىٰ ما توهَّمه، بل إن الذي ذكره الصَّوَّاف كلَّه تَخرُّصات وظُنون كاذِبَة تُنافي الأدلةَ من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع، سوىٰ القَول بكرويَّة الأرض واستدارةِ الأفلاك. وقد نبَّهتُ علىٰ ما فيه من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة في مواضعها مِن هذا الكتاب، ولله الحَمدُ والمِنَّة.

* * *

فصل

وقد نَشر الصَّوَّاف في أول رسالته كلامًا لوَزير المَعارف الشيخ ابن عبد الله بن حسَن آل الشيخ، ولِمُدير التَّعليم بمكَّة مصطفىٰ عطَّار. وحيث إنه ليس في كلامهما تصريحٌ بمُوافقة الصَّوَّاف علىٰ ما قرَّره في كتابه من دَوَران الأرض وثبات الشَّمس وغيرِ ذلك مما حشَدَه فيه من تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة. وإنما كتبَا إليه ما كَتبَا؛ لِمُناسَبة خاصَّةٍ، لا لتَدعِيم كتابه وتَقريظه، فضَمَّ كتابَتَهُما إلىٰ كتابه؛ ليَتكثَّر بذلك ويَجعله تأييدًا لأقواله الباطلة، وهو غيرُ مُصيب في فِعله هذا. فلهذا أعرضتُ عن الكِتابة علىٰ كلامهما. ولو أنهما نَشرَا تَعقيبًا عليه بعدم المُوافقة علىٰ ما أودعه في رسالته من الضَّلالات والجهالات لكان خيرًا لهما من السُّكوت الذي قد يُظنُّ بسَببه أنهما قد وافقاه.

* * *

فصل

وفي كلام مُصطفىٰ العطَّار كلمة يَجِب التَّنبيهُ عليها. وهي قوله: والشَّهر الكريم قد أَظَلَّنَا ببَركاته وفُيوضِه.

والجواب أنْ يُقالَ: ليسَت البَركات والفُيوض من الأشهر، ولا مِن غيرها من

المَخلوقات، وإنما هي مِن الله وحده لا شريك له. قال تَعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ﴾ [هود: ٤٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال تَعالىٰ مُخبِرًا عن عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠] الآية.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية. وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

وفي الحديث الصَّحيح: «وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١)، والأحاديثُ في هذا

---

(١) أخرجه النسائي (١٢٨٨)، وغيره من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأصله عند البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦) بزيادات. وأخرجه النسائي أيضًا (١٢٩٠) من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وفي الباب عن أبي مسعود الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، وأبي حميد الساعدي، وأبي هريرة، وغيرهم، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وانظر: «أصل صفة =

المعنىٰ كثيرةٌ جِدًّا.

ومَن أضاف البَركات والفُيوضَ إلىٰ غيرِ الله تَعالىٰ، فقد جَعل ذلك الغَيرَ شَريكًا لله تَعالىٰ فيما هو مِن خَصائص ربُوبِيَّتِه. وحيث إن هذا قد خَفِي علىٰ العطَّار أحببنا أن نُنَبِّهَه عليه.

وهذا آخِرُ ما تيسَّر إيرادُه، والحَمدُ لله ربِّ العالَمِين.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّد وعلىٰ آله وأصحابِه ومَن تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسَلَّم تَسليمًا كَثيرًا.

وقد وقَع الفَراغُ مِن تَسويدِ هذه النُّبذة في يوم الإثْنَين
المُوافق لخَمْسٍ وعشرين مَضَت من شوَّال سنة ١٣٨٨هـ
علىٰ يدِ جامعها الفقير إلىٰ الله تَعالىٰ

حِمُود بنِ عبد الله التُّويجري

غفَر اللهُ له ولوالديه
ولجَميع المُسلمين والمُسلمات، الأحياء منهم والأموات
والحَمدُ لله الذي بنِعمَتِه تَتِمُّ الصَّالحَاتُ

=

صلاة النبي» (٣/ ٩٠٤-٩٣٠).



الفهرس

* *